تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء العاشر
[سورة الرحمن، الآية: ١]- [آخر سورة المدثر]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الرحمن»

«سورة الرحمن»: هي السورة «الخامسة والخمسون» بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة «السابعة والتسعون» وَفْق ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة «الرعد»، وآياتها ثمان وسبعون في عد الكوفة والشام، وسبع في الحجاز، وست في البصرة. وكلماتها ثلاثمائة وإحدى وخمسون. وحروفها ألف وثلاثمائة وست وثلاثون. المختلف فيها خمس آيات: {الرَّحْمَنُ} [الرحمن : ١]، {خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠] {الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣]، {شُوَاظٌ مِنْ نَار} [الرحمن : ٣٥] . مجموع فواصل آياتها :«مرن»، وقيل هذه الحروف الألف إلا {الْمَغْرِبَيْنِ} [الرحمن : ١٧]، و{الْمُجْرِمُونَ} [الرحمن : ٤٣] [١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالته عائشة[٢]، وابن عباس[٣]، وابن الزبير[٤]، وبه قال الحسن[٥]، وعطاء[٦]، وعكرمة[٧]، وجابر[٨]، ومقاتل[٩]، والجمهور[١٠].

قال ابن عاشور:"الأصح أنها مكية كلها، وهي في مصحف ابن مسعود أول المفصل"[١١].

عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه قال: "كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ قال عبد الله بن مسعود: «أنا» ، قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال: «دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني» قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقريش في أنديتها فقام عند المقام، ثم قال: " بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته: {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١ - ٢]، قال: ثم استقبلها يقرأ فيها " قال: وتأملوا فجعلوا يقولون: ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك قال: «ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها» ، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون"[١٢].

قال القرطبي:" وفي هذا دليل على أنها مكية"[١٣].

عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ وهو يُصلّي نحو الرُّكن قبل أن يَصْدَع بما يؤمر والمشركون يسمعون: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ}"[١٤].

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٤٧.

(٢) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى النحاس.

(٤) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٦) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(٧) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.

(٨) حكاه عنه القرطبي في "التفسير": ١٥١/١٧.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٣/٤.

(١٠) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤.

(١١) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

(١٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(١٥٣٥):ص٨٣٧/٢.

(١٣) تفسير القرطبي: ١٥١/١٧.

الثاني : أنها مدنية نزلت في صلح القضية عندما أبى سهيل بن عمرو أن يكتب في رسم الصلح «بسم الله الرحمن الرحيم»[١٥]. وهذا القول منسوب إلى ابن مسعود[١٦]، وابن عباس[١٧].
الثالث : أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله تعالى: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، وهذا القول منسوب إلى ابن عباس-أيضا-[١٨].

قال ابن عطية:" هي مكية فيما قال الجمهور من الصحابة والتابعين. وقال نافع بن أبي نعيم وعطاء وقتادة وكريب وعطاء الخراساني عن ابن عباس: هي مدنية، نزلت عند إباية سهيل بن عمرو وغيره أن يكتب في الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، والأول أصح، وإنما نزلت حين قالت قريش بمكة: وما الرحمن؟ أنسجد لما تأمرنا؟ وفي السيرة أن ابن مسعود جهر بقراءتها في المسجد حتى قامت إليه أندية قريش فضربوه، وذلك قبل الهجرة"[١٩].

قال هبة الله:" هي من السبع عشرة سورة المختلف فيها فقالت طائفة نزلت بمكة وقالت طائفة نزلت بالمدينة، وهي إلى تنزيل مكة أشبه لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:«لقد كانت الجن أحسن ردا منكم على ربهم تعالى حين قالوا: ولا بنعمة من نعمك ربنا نكذب»[٢٠]. وحديث عبد الله بن مسعود: «أنه قرأها في الحجر..». فهذا دليل على نزولها بمكة"[٢١].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٢٢].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة بإجماعهم"[٢٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية في قول جمهور الصحابة والتابعين"[٢٤].

---

(١٤)أخرجه أحمد ٤٤/ ٥١٧ (٢٦٩٥٥)، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٨٦ (٢٣١)، من طريق ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن أسماء بنت أبي بكر به.
قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١١٧ (١١٣٨٦): «فيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح». وقال السيوطي: «سند حسن». وقال في الإتقان ١/ ٥٠: «سند جيد». وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٧/ ٢٢٨: «سند جيد».

(١٥)الحديث ف الإمام أحمد في «زوائده على فضائل الصحابة»(٥٥٨):ص ١/ ٣٧٣ ، وابن أبي شيبة(٣٦٨٣٩):ص٣٨١/٧، والبزاز(١٤٨):ص٢٥٣/١، والطبراني في «الكبير»(٨٢):ص ٧٢/١، والبيهقي في «المدخل إلى السُّنن الكبرى» (٢١٧):ص ١٩٢، والقَطيعي في «جزء الألف دينار» (٣٠٣):ص٤٥٠، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٠٨):ص١٢٥/١، ومحمد بن عبدالسلام الخشني، كما في «إعلام الموقعين» لابن القيم: (٢/ ١٠٣) من طريق يونس العُمَيري، به.

(١٦) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(١٧) الدر المنثور: ٦٨٩/٧، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي في الدلائل، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(١٨) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٠٥/٤. بدون سند.

(١٩) المحرر الوجيز: ٢٢٣/٥.

(٢٠) سوف يأتي تخريجه في فضائل السورة.

(٢١) الناسخ والمنسوخ: ١٧١.

(٢٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٤٧/١.

(٢٣) زاد المسير: ١٩٦/٤.

(٢٤) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٧.

القرآن
{الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١-٢]

التفسير:
الرحمن علَّم الإنسان القرآن؛ بتيسير تلاوته وحفظه وفهم معانيه.
سبب النزول:
قال مقاتل: " وذلك أنه لما نزل: {اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ} [الفرقان : ٦٠]، قال كُفّار مكّة: {وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا} [الفرقان : ٦٠]؟! فأنكروا الرحمن، وقالوا: لا نعرف الرحمن، فأخبر الله- تعالى- عن نفسه، وذكر صنعه ليعرف، فيوحد فقال: {الرَّحْمَنُ (١)} [الرحمن : ١] الذي أنكروه هو الذي {عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ٢]"[٢٥].
قال الثعلبي:" {الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)} [الرحمن : ١-٢]، نزلت حين قالُوا: {وَمَا الرَّحْمنُ}؟، وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: {إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل : ١٠٣]"[٢٦].
عن قتادة أنه قال: في تفسير: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ}، قال: نعمة والله عظيمة"[٢٧].

القرآن
{خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)} [الرحمن : ٣-٤]

التفسير:
خلق الإنسان، علَّمه البيان عمَّا في نفسه تمييزًا له عن غيره.
قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، أي:" خلق جنس الإنسان"[٢٨].
قال السعدي: أي: " في أحسن تقويم، كامل الأعضاء، مستوفي الأجزاء، محكم البناء، قد أتقن البديع تعالى البديع خلقه، أي إتقان"[٢٩].
وفي قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ} [الرحمن : ٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم ــ. قاله ابن كيسان[٣٠].
قال ابن كيسان: علّمه" بيان ما كان وما يكون، لأنه كان يبيّن عن الأولين والآخرين وعن يوم الدين"[٣١].
الثاني: يعني: آدم-عليه السلام- ، قاله الحسن[٣٢]، وقتادة[٣٣].
عن قتادة، في قوله: {خَلَقَ الإِنْسَانَ}، قال:" الإنسان: آدم- صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-"[٣٤].
الثالث : أنه أراد جميع الناس وإن كان بلفظ واحد، كما قيل: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر : ٢]. قاله الحسن[٣٥]، وأبو العالية[٣٦]، وهو قول الأكثرين[٣٧].

---

(٢٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٥/٤، وعزاه إليه ابن الجوزي في " زاد المسير": ٢٠٥/٤. وسبق مرارا أن مقاتل ممن يضع الحديث، والخبر منكر جدا.
(٢٦) الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٢٧) أخرجه الطبري: ٧/٢٣.
(٢٨) انظر: تفسير المراغي: ١٠٦/٢٧.
(٢٩) تفسير السعدي: ٨٢٨.
(٣٠) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٣١) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٣.
(٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٧/٢٣.
(٣٤) أخرجه الطبري: ٧/٢٣.
(٣٥)تفسير البغوي ٧/ ٤٣٨.

والقولان: الأخيران، كلاهما غير بعيدين من الصواب، لاحتمال ظاهر الكلام إياهما[٣٨].
قوله تعالى:{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن : ٤]، أي:" علَّمه البيان عمَّا في نفسه تمييزًا له عن غيره"[٣٩].
وفي قوله تعالى:{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن : ٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن البيان الحلال والحرام ، قاله قتادة[٤٠].
عن قتادة: "{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}، الدنيا والآخرة ليحتجّ بذلك عليه"[٤١].
قال قتادة:" علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه، ليحتجّ بذلك على خلقه"[٤٢].
الثاني : يعني: الخير والشر، قاله الضحاك[٤٣]، والربيع بن أنس[٤٤]، وقتادة[٤٥].
قال قتادة: "تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ، وما يأتي، وما يدع"[٤٦].
الثالث : أن البيان: الكلام، قاله وأبو العالية[٤٧]، ومرّة الهمذاني[٤٨].
قال السدي: "علّم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به"[٤٩].
وقال:" محمد ابن كعب: "ما يقول وما يقال له"[٥٠].
الرابع : النطق والتمييز. قاله الحسن[٥١].
الخامس : الكتابة والخط بالقلم. نظيره {عَلَّمَ بِالْقَلَمِ} [العلق : ٤]، حكاه الثعلبي[٥٢]، وهو مأثور[٥٣].
والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: أن الله علَّم الإنسان ما به الحاجة إليه من أمر دينه ودنياه من الحلال والحرام، والمعايش والمنطق، وغير ذلك مما به الحاجة إليه، لأن الله جلّ ثناؤه لم يخصص بخبره ذلك، أنه علَّمه من البيان بعضا دون بعض، بل عمّ فقال: علَّمه البيان، فهو كما عمّ جلّ ثناؤه[٥٤]،

القرآن
{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)} [الرحمن : ٥]
التفسير:
الشمس والقمر يجريان متعاقبَين بحساب متقن، لا يختلف ولا يضطرب.
وفي تفسير {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥)} [الرحمن : ٥]، أقوال:

---

(٣٦)تفسير البغوي ٧/ ٤٣٨.
(٣٧) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٣٨) تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(٣٩) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(٤١) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.
(٤٢) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.
(٤٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(٤٤) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢٣.
(٤٦) أخرجه الطبري: ٨/٢٣.
(٤٧) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٤٨) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٤٩) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٥٠) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩ بدون سند.
(٥١) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩، والنكت والعيون: ٤٢٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٨٩/٧.
(٥٢) انظر: الكشف والبيان: ١٧٧/٩.
(٥٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٥٤) تفسير الطبري: ٨/٢٣.

أحدها : يعني: بحساب، قاله أبو مالك[٥٥]، وقتادة[٥٦].
قال قتادة:" أي: بحساب وأجل"[٥٧].
قال قتادة:" يجريان في حساب"[٥٨].
و«الحسبان»: مصدر الحساب ، وقيل : جمعه[٥٩].
الثاني : أي: أنهما يجريان بقدر. قاله الضحاك[٦٠].
الثالث: معناه: أنهما يدوران في مثل قطب الرحا. قاله مجاهد[٦١].
عن مجاهد، قوله: {بِحُسْبَانٍ}، قال: "كحسبان الرحا"[٦٢].
الرابع: معنى الحسبان هذه: آجالها ، فإذا انقضى الأجل كانت القيامة ، قاله السدي[٦٣].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: الشمس والقمر يجريان بحساب ومنازل، لأن الحسبان مصدر من قول القائل: حسبته حسابا وحسبانا، مثل قولهم: كفرته كفرانا، وغفرته غُفْرانا. وقد قيل: إنه جمع حساب، كما الشهبان: جمع شهاب[٦٤].

القرآن
{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦)} [الرحمن : ٦]
التفسير:
والنجوم التي في السماء أو النبات الذي ينجم ويطلع من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق، تعرف ربها وتسجد له، وتنقاد لما سخرَّها له مِن مصالح عباده ومنافعهم.
واختلف أهل التفسير في معنى «النجم» -في هذا الموضع-، على قولين:
أحدهما: أن النجم: نجم السماء، وهو موحد والمراد به جميع النجوم ، قاله الحسن[٦٥]، ومجاهد[٦٦]، وقتادة[٦٧].
قال قتادة:" إنما يريد النجم"[٦٨].
الثاني : أن النجم: النبات الذي قد نجم في الأرض وانبسط فيها، ليس له ساق مثل البقل ونحوه، والشجر ما كان على ساق ، قاله سعيد بن جبير[٦٩]، والسدي[٧٠].
قال سعيد بن جبير:" النجم كل شيء ذهب مع الأرض فرشا، قال: والعرب تسمي الثبل نجما"[٧١].

---

(٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٥٧) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٥٨) أخرجه الطبري: ٩/٢٣.
(٥٩) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٦١) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٣.
(٦٢) أخرجه الطبري: ١٠/٢٣.
(٦٣) انظر: النكت والعيون: ٤٢٣/٥.
(٦٤) تفسير الطبري: ١٠/٢٣.
(٦٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٢٣.
(٦٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٣.
(٦٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٢٣.
(٦٨) أخرجه الطبري: ١٢/٢٣.
(٦٩) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٧٠) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٧١) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.

قال السدي:" النجم: نبات الأرض"[٧٢].
قال قتادة:" الشجر: شجر الأرض"[٧٣].
والصواب قول من قال: عُنِي بالنجم: ما نجم من الأرض من نبت لعطف الشجر عليه، فكان بأن يكون معناه لذلك: ما قام على ساق وما لا يقوم على ساق يسجدان لله، بمعنى: أنه تسجد له الأشياء كلها المختلفة الهيئات من خلقه، أشبه وأولى بمعنى الكلام من غيره[٧٤].
واختلفوا في سجود «النجم والشجر»، على قولين:
أحدها : هو سجود ظلهما، قاله سعيد بن جبير[٧٥]، والضحاك[٧٦]، وأبو رزين[٧٧].
عن أبي رزين وسعيد بن جبير:" {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}، قالا: ظلهما سجودهما"[٧٨].
الثاني : أن "النجم" هو الكوكب، وسجوده طلوعه. قاله مجاهد[٧٩]، وقتادة[٨٠].
عن مجاهد في قوله: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ}، قال: "يسجد بكرة وعشيا"[٨١].
قال قتادة:" ما نزل من السماء شيئا من خلقه إلا عَبَّده له طوعا وكرها"[٨٢].

القرآن
{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧)} [الرحمن : ٧]
التفسير:
والسماء رفعها فوق الأرض، ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده.
قوله تعالى:{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا} [الرحمن : ٧]، أي:" والسماء رفعها فوق الأرض"[٨٣].
قال سعيد بن جبير: "كانت السماء والأرض ملتزقتين، فلما رفع السماء وأبرز منها الأرض، كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه"[٨٤].
قال الحسن وقتادة: "كانتا جميعا، ففصل الله بينهما بهذا الهواء"[٨٥].
قوله تعالى:{وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٧]، أي:" ووضع في الأرض العدل الذي أمر به وشرعه لعباده"[٨٦].
عن مجاهد، في قوله: "{وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}، قال: وضع العدل"[٨٧].
وقال الحسن وقتادة والضَّحَّاك: "هو الذي يوزن به لينتصف به النَّاس بعضهم من بعض"[٨٨].

---

(٧٢) أخرجه الطبري: ١١/٢٣.
(٧٣) تفسير الطبري: ١١/٢٣.
(٧٤) تفسير الطبري: ١٢/٢٣.
(٧٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(٧٦) انظر: النكت والعيون: ٤٢٤/٥.
(٧٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.
(٧٨) أخرجه الطبري: ١٣/٢٣.
(٧٩) انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦٣٩، وتفسير الطبري: ١٢/٢٣، وتفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٥، [ط. دار التفسير].
(٨٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٠٧٧):ص٢٦٥/٣، وتفسير الطبري: ١٢/٢٣، وتفسير الثعلبي: ٢٩٤/٢٥، [ط. دار التفسير].
(٨١) أخرجه الطبري: ١٣/٢٣.
(٨٢) أخرجه الطبري: ١٣/٢٣.
(٨٣) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٨٤)تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٥.
(٨٥) أخرجه الطبري: ٤٣١/١٨.
(٨٦) التفسير الميسر: ٥٣١.
(٨٧) تفسير مجاهد:٦٣٦، وتفسير الطبري: ١٤/٢٣.

وفي قراءة عبد الله: «خَفَضَ المِيزَانَ»، والخفض والوضع متقاربا المعنى في كلام العرب[٨٩].

القرآن

{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)} [الرحمن : ٨-٩]

التفسير:

لئلا تعتدوا وتخونوا مَن وَزَنتم له، وأقيموا الوزن بالعدل، ولا تُنْقِصوا الميزان إذا وَزَنتم للناس.

قوله تعالى:{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ} [الرحمن : ٨]، أي:" لئلا تعتدوا وتخونوا مَن وَزَنتم له"[٩٠].

قال قتادة:" اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك، وأوف كما تحبّ أن يُوَفى لك، فإن بالعدل صلاح الناس"[٩١].

عن أبي المغيرة، قال: "سمعت ابن عباس يقول في سُوق المدينة: يا معشر الموالي، إنكم قد بُليتم بأمرين أهلك فيهما أمتان من الأمم: المِكْيال، والميزان"[٩٢].

عن مغيرة، قال: "رأى ابن عباس رجلا يزن قد أرجح، فقال: أقم اللسان، أقم اللسان، أليس قد قال الله: {وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}"[٩٣].

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ} [الرحمن : ٩]، أي:" وأقيموا الوزن بالعدل"[٩٤].

قال عطاء:" أقيموا لسان الميزان بالعدل"[٩٥].

عن مجاهد:" {وأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ}، قال: اللسان"[٩٦].

قوله تعالى:{وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٩]، أي:" ولا تُنْقِصوا الميزان إذا وَزَنتم للناس"[٩٧].

عن قتادة في قوله:{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩)} [الرحمن : ٧ - ٩]، قال قتادة:" قال ابن عباس: يا معشر الموالي إنكم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم، اتقى الله رجل عند ميزانه، اتقى الله رجل عند مكياله، فإنما يعدله شيء يسير، ولا ينقصه ذلك، بل يزيده الله إن شاء الله"[٩٨].

القرآن

{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ (١١) وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ (١٢)} [الرحمن : ١٠-١٢]

التفسير:

---

(٨٨) تفسير الثعلبي: ٢٩٥/٢٥. وأورده الزجاج ولم ينسبه، "معاني القرآن" ٥/ ٩٦، وذكره الماوردي ونسبه للضحاك، "النكت والعيون" ٥/ ٤٢٤، الواحدي ولم ينسبه، "الوسيط" ٤/ ٢١٨، والبَغَويّ ذكره عنهم جميعًا، "معالم التنزيل" ٧/ ٤٤٢، "زاد المسير" لابن الجوزي ٨/ ١٠٧، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٥٤، الخازن ولم ينسبه، "لباب التأويل" ٧/ ٣.

(٨٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٣.

(٩٠) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٩١) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.

(٩٢) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.

(٩٣) أخرجه الطبري: ١٤/٢٣.

(٩٤) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٩٥)تفسير البغوي ٧/ ٤٤٢.

(٩٦)أخرجه ابن المنذر -كما في فتح الباري ٨/ ٦٢١ -.

(٩٧) التفسير الميسر: ٥٣١.

(٩٨) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣.

والأرض وضعها ومهَّدها؛ ليستقر عليها الخلق. فيها من أنواع الفواكه المختلفة الألوان والطعوم والروائح، وفيها النخل ذات الأوعية التي يكون منها الثمر، وفيها الحب ذو القشر؛ رزقًا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة[٩٩].

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [الرحمن : ١٠]، أي:" والأرض وضعها ومهَّدها؛ ليستقر عليها الخلق"[١٠٠].

قال الحسن:" للخلق الجنّ والإنس"[١٠١].

عن قتادة: "{لِلأنَامِ}، قال: للخلق"[١٠٢].

قال مجاهد:" للخلائق"[١٠٣].

قال الضحاك:" كلّ شيء يَدِبّ على الأرض"[١٠٤].

قال عامر الشعبي:" لكلّ ذي رُوح"[١٠٥].

قوله تعالى:{فِيهَا فَاكِهَةٌ} [الرحمن : ١١]، أي:" فيها من أنواع الفواكه المختلفة الألوان والطعوم والروائح"[١٠٦].

قال ابن كيسان: "يعني: ما يفكههم الله به من النعم التي لا تحصى، وكل النعمة يتفكَّه بها"[١٠٧].

قوله تعالى:{وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ} [الرحمن : ١١]، أي:" وفيها النخل التي يطلع فيها أوعية الثمر"[١٠٨].

عن قتادة والحسن: "{ذَاتُ الأَكْمَامِ} أكمامها: ليفها"[١٠٩].

قال الحسن: "أكمامها ليفها الذي يكمم فيه"[١١٠].

قال الحسن: "سَعَفة من ليف عُصبَتْ بها"[١١١].

قال قتادة:" الليف الذي يكون عليها"[١١٢].

وعن قتادة، قال:" أكمامها رُفاتها"[١١٣].

وحكي الثعلبي عن قتادة قال:" رقابها"[١١٤].

وقال الضحاك: "{ذَاتُ الْأَكْمَامِ} ذات الغُلف"[١١٥].

وقال عكرمة: "ذات الأحمال"[١١٦].

---

(٩٩) انظر: التفسير الميسر: ٥٣١، وصفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.

(١٠٠) التفسير الميسر: ٥٣١.

(١٠١) أخرجه الطبري: ١٥/٢٣-١٦.

(١٠٢) أخرجه الطبري: ١٦/٢٣.

(١٠٣) أخرجه الطبري: ١٦/٢٣.

(١٠٤) الدر المنثور: ٧/ ٦٩٣، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١٠٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٧٨.

(١٠٦) صفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.

(١٠٧) تفسير الثعلبي: ٢٩٨/٢٥. [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٧.

(١٠٨) صفوة التفاسير: ٢٧٦/٣.

(١٠٩) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.

(١١٠)تفسير الثعلبي: ٢٥/ ٢٩٩، [ط. دار التفسير].

(١١١) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.

(١١٢) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.

(١١٣) أخرجه الطبري: ١٧/٢٣.

(١١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٧٩/٩. بدون إسناد.

(١١٥) تفسير الثعلبي: ٢٥/ ٢٩٩، [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٤٤٢/٧.

(١١٦) تفسير الثعلبي: ٢٥/ ٢٩٩، [ط. دار التفسير]، وتفسير القرطبي: ١٥٦/١٧.

عن الشعبي قال : "كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق مثل اللؤلؤ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تَيْنَع وتنضج فتكون كأطيب فالوذج أُكِل، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادًا للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر بن الخطاب من عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا، وهي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله، فإن {مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [آل عمران : ٥٩، ٦٠]"[١١٧].

قوله تعالى:{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ} [الرحمن : ١٢]، أي:" وفيها الحب ذو القشر؛ رزقًا لكم ولأنعامكم، وفيها كل نبت طيب الرائحة"[١١٨].

قال الضحاك:" الحبّ: البّر والشعير"[١١٩].

عن سعيد بن جبير:" {وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ}، البقل من الزرع"[١٢٠].

عن أبي مالك قوله: "{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ}، قال: الحب أول ما ينبت"[١٢١].

وفي «العصف»، ثلاثة أقوال :

أحدها : تبن الزرع وورقه الذي تعصفه الريح، قاله الضحاك[١٢٢]، وقتادة[١٢٣].

قال الضحاك:" العصف: التّبن"[١٢٤].

قال قتادة:" عصفه تبنه"[١٢٥].

وقال مجاهد:" العصف: الورق من كل شيء. قال: يقال للزرع إذا قُطع: عصافة، وكلّ ورق فهو عصافة"[١٢٦].

الثاني : أن العصف: هو الحب من البرّ والشعير بعينه. قاله الضحاك-أيضا-[١٢٧].

الثالث : أنه حب المأكول منه، قاله الضحاك[١٢٨]، كما قال تعالى : {كَعَصْفٍ مَأْكُول} [الفيل : ٥].

وأما «الريحان»، ففيه وجوه:

أحدها : أنه الرزق، قاله مجاهد[١٢٩]، والضحاك[١٣٠].

عن الضحاك: "{وَالرَّيْحَانُ}: الرزق، ومنهم من يقول: ريحاننا"[١٣١].

وقال الضحاك في رواية:" الرزق والطعام"[١٣٢].

---

(١١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٢١):ص١٠/٣٣٢٢-٣٣٢٣.

(١١٨) التفسير الميسر: ٥٣١.

(١١٩) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.

(١٢٠) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.

(١٢١) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.

(١٢٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.

(١٢٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٣.

(١٢٤) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣، ١٩.

(١٢٥) أخرجه الطبري: ١٨/٢٣.

(١٢٦) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣.

(١٢٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩/٢٣.

(١٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٤. عن الضحاك: "{كَعَصْفٍ مَأْكُول}- قال: كزرع مأكول".

(١٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.

(١٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.

(١٣١) أخرجه الطبري: ١٩/٢٣-٢٠.

(١٣٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.

الثاني : أنه الريحان الذي يشم ، قاله الحسن[١٣٣].
قال الحسن:" أما الريحان فما أنبتت الأرض من ريحان"[١٣٤].
عن الحسن: "{وَالرَّيْحَانُ}، قال: ريحانكم"[١٣٥].
الثالث: أنه ما قام على ساق. وهذا قول سعيد بن جبير[١٣٦].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي به الرزق، وهو الحبّ الذي يؤكل منه، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العصف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالريحان، أن يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه، ويقال: سبحانَك وريحانَك: أي: ورزقك[١٣٧].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣)} [الرحمن : ١٣]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما الدينية والدنيوية -يا معشر الجن والإنس- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[١٣٨].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[١٣٩].
عن ابن عمر، قال: "إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأ سورة الرحمن، أو قُرئت عنده، فقال "ما لِيَ أَسْمَعُ الجنّ أَحْسَنَ جَوَابا لِرَبِّها مِنْكُمْ؟ " قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: "ما أَتَيْتُ على قَوْلِ اللهِ: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}؟ إلا قالت الجنّ: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنا نُكَذّبُ"[١٤٠].
عن أسماء بنت أبي بكر قالت : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ، وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر، والمشركون يستمعون: {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}"[١٤١].

القرآن
{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (١٥)} [الرحمن : ١٤-١٥]
التفسير:
خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفَخَّار، وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض.
قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن : ١٤]، أي:" خلق أبا الإنسان، وهو آدم من طين يابس كالفَخَّار"[١٤٢].

---

(١٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٣٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٣٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٣.
(١٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٣.
(١٣٧) تفسير الطبري: ٢١/٢٣.
(١٣٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٣٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٤٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٤١)المسند (٣٤٩/٦).
(١٤٢) التفسير الميسر: ٥٣١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: خلق الله الإنسان وهو آدم من صلصال: وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يبسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني أنه من يُبسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طُبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طُبخ من الطين بالنار"[١٤٣].

وفي قوله تعالى:{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن : ١٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه الطين اليابس الذي لم تصبه نار، فإذا نقرته صل فسمعت له صلصلة ، قاله مجاهد[١٤٤]، وقتادة[١٤٥]، ومنه قول الشاعر[١٤٦]:

وقاعٍ ترى الصَّلْصال فيه ودونه ... بقايا بلالٍ بالقرى والمناكبِ

عن قتادة: "{خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، قال: من تراب يابس له صلصلة"[١٤٧].

عن قتادة، في قوله: "{مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}، قال: من طين له صلصلة كان يابسا، ثم خلق الإنسان منه"[١٤٨].

قال مجاهد:" الصلصال: التراب اليابس الذي يُسمع له صلصلة فهو كالفخار، كما قال الله عزّ وجلّ"[١٤٩].

وقال الضحاك:" طين صُلْب يخالطه الكثيب"[١٥٠].

وقال مجاهد:" التراب اليابس"[١٥١].. وقال "الصلصال: الذي يصلصل، مثل الخَزَف من الطين الطيب"[١٥٢].

الثاني : أنه طين خلط برمل، قاله عكرمة[١٥٣].

قال عكرمة:" الصلصال: طين خُلط برمل فكان كالفخار"[١٥٤].

الثالث : أنه الطين المنتن، قاله مجاهد[١٥٥]، مأخوذ من قولهم : «صَلَّ اللحمُ وأصَلَّ»، إذا أنتن، قال الشاعر[١٥٦]:

ذَاكَ فَنًى يَبْذُلُ ذَا قِدْرِهِ ... لَا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولُ

قال عبد الله بن سلام : "خلق الله آدم من تراب من طين لازب ، فتركه كذلك أربعين سنة ، ثم صلصله كالفخار أربعين سنة ، ثم صوره فتركه جسداً لا روح فيه أربعين سنة ، فذلك مائة وعشرون سنة ، كل ذلك والملائكة تقول سبحان الذي خلقك ، لأمر ما خلقك"[١٥٧].

قوله تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ١٥]، أي:" وخلق إبليس، وهو من الجن من لهب النار المختلط بعضه ببعض"[١٥٨].

---

(١٤٣) تفسير الطبري: ٢٤/٢٣.
(١٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٣٧٥):ص٢٢٦٣/٧، وتفسير الطبري:٩٦/١٧، و ٢٥/٢٣.
(١٤٦) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وتفسير السمعاني:١٣٧/٣.
(١٤٧) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٤٨) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٤٩) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٥٠) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.
(١٥١) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.
(١٥٢) أخرجه الطبري:٩٦/١٧.
(١٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٥٤) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٣.
(١٥٥) انظر:تفسير الطبري:٩٧/١٧.
(١٥٦) البيت غير منسوب في النكت والعيون:١٥٧/٣، وللحطيئة في تفسير القرطبي: ٢١/١٠، وفتح القدير للشوكاني: ١٥٥/٣.
(١٥٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٢٨/٥.

وفي قوله تعالى:{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ١٥]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أنه لهب النار، قاله الحسن[١٥٩]، وقتادة[١٦٠]، وعكرمة[١٦١]، والضحاك[١٦٢].
قال عكرمة:" من أحسن النار"[١٦٣].
قال الضحاك:" أحسن النار"[١٦٤]. وفي رواية:" من لهب النار"[١٦٥].
قال قتادة والحسن:" أي: من لهب النار"[١٦٦].
الثاني : أنه اللهب الأخضر والأصفر والأحمر الذي يعلو النار إذا أوقدت ويكون بينها وبين الدخان ، قاله مجاهد[١٦٧].
قال مجاهد:" هو اللهب المنقطع الأحمر"[١٦٨].
عن مجاهد، في قوله: {مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ}، قال: "اللهب الأصفر والأخضر[١٦٩]، الذي يعلو النار إذا أوقدت"[١٧٠].
قال مجاهد:" الحمرة التي تكون في طرف النار"[١٧١].
وفي الجان المخلوق من مارج من نار قولان :
أحدهما : أنه إبليس، قاله الحسن[١٧٢]، وقتادة[١٧٣].
الثاني : أنه أبو الجن، قاله أبو فروة يعقوب عن مجاهد[١٧٤].
عن وهب بن منبه:" وسئل عن الجنّ ما هم، وهل يأكلون أو يشربون، أو يموتون، أو يتناكحون؟ قال: هم أجناس، فأما خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون. ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون، وهي هذه التي منها السعالِي والغُول وأشباه ذلك"[١٧٥].
عن عائشة، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[١٧٦].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦)} [الرحمن : ١٦]
التفسير:

---

(١٥٨) التفسير الميسر: ٥٣١.
(١٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٣.
(١٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٣) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(١٦٤) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٥) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٦) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٨) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣.
(١٦٩) وفي رواية:" والأحمر". انظر: تفسير الطبري: ٢٦/٢٣
(١٧٠) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٣.
(١٧١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٧):ص١٩/١.
(١٧٢) انظر: النكت والعيون:١٥٨/٣.
(١٧٣)انظر: تفسير الطبري:٩٩/١٧.
(١٧٤) انظر: النكت والعيون: ٤٢٩/٥.
(١٧٥) أخرجه الطبري:١٠٠/١٧.
(١٧٦)المسند (١٦٨/٦) وصحيح مسلم برقم (٢٩٩٦).

فبأي نِعَم ربكما -يا معشر الإنس والجن- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(١٧٧).
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"(١٧٨).

القرآن
{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ (١٧)} [الرحمن : ١٧]
التفسير:
هو سبحانه وتعالى ربُّ مشرقَي الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربَيها فيهما، فالجميع تحت تدبيره وربوبيته.
عن مجاهد، قوله: {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}، قال: "مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه"(١٧٩).
قال قتادة:" فمشرقها في الشتاء، ومشرقها في الصيف"(١٨٠).
قال قتادة:" مشرق الشتاء ومغربه، ومشرق الصيف ومغربه"(١٨١).
قال القرظي:" مغرب الشتاء، ومغرب الصيف، ومشرق الشتاء، ومشرق الصيف(١٨٢).
عن ابن أبزى، قوله: "{رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ}، قال: مشارق الصيف ومغارب الصيف، مشرقان تجري فيهما الشمس ستون وثلاث مئة في ستين وثلاث مئة بُرْج، لكلّ برج مطلع، لا تطلع يومين من مكان واحد. وفي المغرب ستون وثلاث مئة برج، لكل برج مغيب، لا تغيب يومين في برج"(١٨٣).

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨)} [الرحمن : ١٨]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(١٨٤).
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"(١٨٥).

القرآن
{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠)} [الرحمن : ١٩-٢٠]
التفسير:
خلط الله ماء البحرين -العذب والملح- متلاقيين، لا فاصل بينهما في مرأى العين، ومع ذلك بينهما حاجز، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ويذهب بخصائصه، بل يبقى العذب عذبًا، والملح ملحًا مع تلاقيهما.

---

(١٧٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٧٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٧٩) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١٨٠) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١٨١) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١٨٢) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(١٠٩):ص٢/٥٥.
(١٨٣) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٣.
(١٨٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(١٨٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

قوله تعالى:{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} [الرحمن : ١٩]، أي:" أرسل البحر الملح والبحر العذب يتجاوران يلتقيان ولا يمتزجان"[١٨٦].

واختلف أهل العلم في البحرين اللذين ذكرهما الله جلّ ثناؤه في هذه الآية، على قولين:

أحدهما: أنهما بحران: أحدهما في السماء، والآخر في الأرض. قاله ابن أبزى[١٨٧]، وسعيد بن جبير[١٨٨].

الثاني: أنهما بحر فارس وبحر الروم. قال قتادة[١٨٩].

وقال الحسن:" بحر الروم، وبحر فارس واليمن"[١٩٠].

وقال قتادة:" بحر فارس وبحر الروم وبحر المشرق وبحر المغرب"[١٩١].

والصواب قول من قال: عُني به بحر السماء، وبحر الأرض، وذلك أن الله قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ}، واللؤلؤ والمرجان إنما يخرج من أصداف بحر الأرض عن قطْرْ ماء السماء، فمعلوم أن ذلك بحر الأرض وبحر السماء[١٩٢].

عن عكرمة:"{مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ}، قال: حسنهما"[١٩٣].

قوله تعالى:{بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ} [الرحمن : ٢٠]، أي:" بينهما حاجزٌ من قدرة الله تعالى لا يطغى أحدهما على الآخر بالممازجة"[١٩٤].

وفي «البزخ» الذي بينهما، أربعة أقوال:

أحدها : أنه حاجز، قاله مجاهد[١٩٥].

قال مجاهد:" بينهما حاجز من الله، لا يبغي أحدهما على الآخر"[١٩٦].

الثاني : أنه عرض الأرض ، قاله مجاهد-أيضا-[١٩٧].

الثالث : أنه ما بين السماء والأرض ، قاله عطية[١٩٨]، والضحاك[١٩٩].

الرابع : أنه الجزيرة التي نحن عليها وهي جزيرة العرب ، قاله الحسن[٢٠٠]، وقتادة[٢٠١].

قال قتادة:" والبرزخ: هذه الجزيرة، هذا اليبَس"[٢٠٢].

قال قتادة:" البرزخ الذي بينهما: الأرض التي بينهما"[٢٠٣].

قال قتادة:" حُجز المالح عن العذب، والعذب عن المالح، والماء عن اليبس، واليبس عن الماء، فلا يبغي بعضه على بعض بقوّته ولطفه وقُدرته"[٢٠٤].

---

(١٨٦) صفوة التفاسير: ٢٧٨/٣.

(١٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.

(١٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢٣.

(١٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.

(١٩٠) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣.

(١٩١) الدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(١٩٢) تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.

(١٩٣) الدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٩٤) صفوة التفاسير: ٢٧٨/٣.

(١٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢٣.

(١٩٦) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣.

(١٩٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.

(١٩٨) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.

(١٩٩) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥.

(٢٠٠) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٥، والدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٢٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.

(٢٠٢) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٢٠٣) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

(٢٠٤) أخرجه الطبري: ٣١/٢٣.

عن الحسن:" {بينهما برزخ}، قال: أنتم البرزخ، {لا يبغيان} عليكم فيغرقانكم"[٢٠٥].
وفي تفسير قوله تعالى:{لَا يَبْغِيَانِ} [الرحمن : ٢٠]، قولان:
أحدها : لا يختلطان، قاله مجاهد[٢٠٦].
الثاني : لا يبغي أحدهما على صاحبه، قاله ابن أبزى[٢٠٧]، ومجاهد[٢٠٨]، وقتادة[٢٠٩].
وروي عن قتادة، قوله: "{لا يَبْغِيانِ}: على اليبس، وما أخذ أحدهما من صاحبه فهو بغي، فحجز أحدهما عن صاحبه بقدرته ولطفه وجلاله تبارك وتعالى"[٢١٠].
والصواب أن يقال: إن الله وصف البحرين اللذين ذكرهما في هذه الآية أنهما لا يبغيان، ولم يخصص وصفهما في شيء دون شيء، بل عمّ الخبر عنهما بذلك، فالصواب أن يُعَمَّ كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: إنهما لا يبغيان على شيء، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، ولا يتجاوزان حدّ الله الذي حدّه لهما[٢١١].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١)} [الرحمن : ٢١]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢١٢].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢١٣].

القرآن
{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢)} [الرحمن : ٢٢]
التفسير:
يخرج من البحرين بقدرة الله اللؤلؤ والمَرْجان.
قال عكرمة:" ما نزلت قطرة من السماء في البحر إلا كانت بها لؤلؤة أو نبتت بها عنبرة"[٢١٤].
قال سعيد بن جبير:" إذا قطر القطر من السماء فتحت له الأصداف فكان اللؤلؤ"[٢١٥].
واختلف أهل التفسير في صفة اللؤلؤ والمرجان، على أقوال:
أحدها: اللؤلؤ: ما عظم من الدر، والمرجان: ما صغُر منه. قاله الحسن[٢١٦]، وقتادة[٢١٧]، والضحاك[٢١٨].
قال الضحاك:" أما المرجان: فاللؤلؤ الصغار، وأما اللؤلؤ: فما عظُم منه"[٢١٩].

---

(٢٠٥) الدر المنثور: ٦٩٦/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٢٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣-٣٢.
(٢٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.
(٢٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.
(٢٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢٣.
(٢١٠) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٣.
(٢١١) تفسير الطبري: ٣٢/٢٣.
(٢١٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٢١٤) اخرجه الطبري: ٣٥/٢٣-٣٦.
(٢١٥) الدر المنثور: ٦٩٧/٧، وعزاه إلى ابن جرير.
(٢١٦) الدر المنثور: ٦٩٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن جرير.
(٢١٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.
(٢١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٣/٢٣.
(٢١٩) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣.

قال قتادة:" أما اللؤلؤ فعظامه، وأما المرجان فصغاره، وإن لله فيهما خزانة دلّ عليها عامة بني آدم، فأخرجوا متاعا ومنفعة وزينة، ويُبلغه إلى أجل"[٢٢٠].

روي عن كعب الأحبار يُسأل عن المرجان، فقال: "هو البُسَّذ. قال أبو جعفر: البُسَّذ له شُعَب، وهو أحسن من اللؤلؤ"[٢٢١].

قال السدي:" وهو البُسَّذ بالفارسية"[٢٢٢] [٢٢٣].

الثاني: أن المرجان من اللؤلؤ: الكبار، واللؤلؤ منها: الصغار. قاله مجاهد[٢٢٤]، ومرّة[٢٢٥].

قال مجاهد:" المرجان، قال: ما عظم من اللؤلؤ"[٢٢٦].

الثالث: أن المرجان: جيد اللؤلؤ. قاله مرّة –أيضا-[٢٢٧].

عن موسى بن أبي عائشة، قال: "سألت مرّة عن اللؤلؤ والمرجان قال: المرجان: جيد اللؤلؤ"[٢٢٨].

والصواب من القول في اللؤلؤ، أنه هو الذي عرفه الناس مما يخرج من أصداف البحر من الحبّ، وأما المرجان، فإني رأيت أهل المعرفة بكلام العرب لا يتدافعونه أنه جمع مرجانة، وأنه الصغار من اللؤلؤ. قد ذكرنا ما فيه من الاختلاف بين متقدمي أهل العلم، والله أعلم بصواب ذلك"[٢٢٩].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣)} [الرحمن : ٢٣]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢٣٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢٣١].

القرآن

{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٤)} [الرحمن : ٢٤]

التفسير:

وله تعالى ملك تسخير السفن الضخمة التي تجري في البحر بمنافع الناس، رافعة سواريها وأشرعتها كالجبال.

عن قتادة: "{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ}، يعني: السفن"[٢٣٢].

قال مجاهد:" المنشآت ما رُفع قِلْعُه من السفن، فأما ما لم يُرفع قِلْعه فليس بمنشآت"[٢٣٣]. وفي رواية:" قال: ما رفع قلعه من السفن فهي منشئات، وإذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة"[٢٣٤].

---

(٢٢٠) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣.

(٢٢١) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٣-٣٤.

(٢٢٢) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٤٩٣/٧.

(٢٢٣)قال السمعاني:" البُسَّذ جوهر معروف" . [تفسير السمعاني: ٣٢٧/٥].

(٢٢٤) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٢٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤/٢٣.

(٢٢٦) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٢٢٧) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٢٢٨) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٣.

(٢٢٩) تفسير الطبري: ٣٤/٢٣-٣٥.

(٢٣٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٣١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٣٢) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٣.

عن الحسن:" {المُنْشَآتُ}، قال: بالشّراع"[٢٣٥].

عن عميرة بن سعد قال : "كنت مع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها، فبسط على يديه ثم قال : يقول الله عز وجل :{وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ}. والذي أنشأها تجري في بحر من بحوره ما قتلتُ عثمان، ولا مالأت على قتله"[٢٣٦].

قرأ إبراهيم النخعي، والضحاك:" «المُنشِآتُ»، قال: أي: الفاعلات"[٢٣٧][٢٣٨].

عن عاصم، أنه قرأها على الوجهين:" {المُنشَآتُ}، و «المُنشِآتُ» بكسر الشين وفتحها"[٢٣٩].

عن سليمان بن مهران الأعمش:" أنه كان يقرؤها: «المُنشِآتُ»، يعني: الباديات"[٢٤٠].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥)} [الرحمن : ٢٥]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢٤١].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢٤٢].

القرآن

{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن :]

التفسير:

كل مَن على وجه الأرض مِن الخلق هالك، ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود.

قوله تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن : ٢٦]، أي:" كل مَن على وجه الأرض مِن الخلق هالك"[٢٤٣].

قال الشعبي: "إذا قرأت {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} فلا تسكت حتى تقول: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}"[٢٤٤].

قوله تعالى:{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٢٧]، أي:" ويبقى وجه ربك ذو العظمة والكبرياء والفضل والجود"[٢٤٥].

---

(٢٣٣)تفسير مجاهد : ٦٣٧. وأخرجه الفريابي - كما في تغليق التعليق-: ٤/ ٣٣٠، والطبري: ٣٧/٢٣-كما سيأتي-. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٣٤) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٣.

(٢٣٥) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٣٥):ص٣٣٢٤/١٠، وكما في تفسي ابن كثير: ٤٩٤/٧.

(٢٣٧) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وانظر: كتاب السبعة لابن مجاهد ٦٢٠، والبحر المحيط ٨/ ١٩١، وتيسير الداني ١٦٧.

(٢٣٨)قال الزمخشري:" وقرئ بكسر الشين: وهي الرافعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهنّ". [الكشاف: ٤٤٦/٤].

(٢٣٩) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢٤٠) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢٤١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٤٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٤٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.

(٢٤٤) الدر المنثور: ٦٩٨/٧، وعزاه ابن أبي حاتم ، وانظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٥٨/٢١، وتفسير ابن كثير: ٢٧٢/٤-٢٧٣.

(٢٤٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.

عن الحسن في قوله:{ وَالْإِكْرَامِ}، قال:" الذي يكرم أهل دينه وولايته"[٢٤٦].

عن حميد بن هلال قال: "قال رجل: يرحم الله رجلا أتى على هذه الآية {ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام}، فسأل الله تعالى بذلك الوجه الكافي الكريم" -ولفظ البيهقي- "بذلك الوجه الباقي الجميل"[٢٤٧].

عن علي بن الحسين، سأل كعب الأحبار، عن قوله: {فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّه} [الزمر : ٦٨]، من الذين استثنى؟ قال: هم ثلاثة عشر، جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش الثمانية، وملك الموت، ورب العزة، فيأمر ملك الموت فيقبض فلانا وفلانا وحملة العرش حتى لا يبقى غيره، فيقول رب العزة، مت يا ملك الموت فيموت، فذلك قوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)} [الرحمن :]، وذلك قوله: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص : ٨٨]"[٢٤٨].

وفي قراءة عبد الله :«ذي الجَلال والإكْرام»، بالياء، على أنه من نعت الربّ وصفته[٢٤٩].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨)} [الرحمن : ٢٨]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢٥٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢٥١].

القرآن

{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)} [الرحمن : ٢٩-٣٠]

التفسير:

يسأله مَن في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه. كل يوم هو في شأن: يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويعطي ويَمْنع. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا، فأنزل الله- تعالى- : {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، يوم السبت وغيره "[٢٥٢].

قوله تعالى:{يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الرحمن : ٢٩]، أي:" يسأله مَن في السموات والأرض حاجاتهم، فلا غنى لأحد منهم عنه سبحانه"[٢٥٣].

قال قتادة:" لا يستغني عنه أهل السماء ولا أهل الأرض، يُحْيِي حَيا، ويُمِيت ميتا، ويربي صغيرا، ويذلّ كبيرًا، وهو مَسْأل حاجات الصالحين، ومنتهى شكواهم، وصريخ الأخيار"[٢٥٤].

---

(٢٤٦) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.

(٢٤٧) الدر المنثور: ٦٩٩/٧، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي.

(٢٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢١٦):ص٣٠٢٨/٩.

(٢٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢٣.

(٢٥٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٥١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٥٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٩٨/٤، وانظر: الكشاف: ٤٤٧/٤.

(٢٥٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.

(٢٥٤) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٣-٣٩.

قوله تعالى:{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن : ٢٩]، أي:" كل يوم هو في شأن: يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويعطي ويَمْنع"[٢٥٥].

عن عبيد بن عمير، "{كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، قال: يجيب داعيا، ويعطي سائلا أو يفكّ عانيا، أو يشفي سقيما"[٢٥٦]. وفي رواية:" يفكّ عانيا، ويشفي سقيما، ويجيب داعيا"[٢٥٧].

قال عبيد بن عمير:" يجيب داعيا، ويعطي سائلا ويفك عانيا، ويتوب على قوم، ويغفر"[٢٥٨].

قال مطر الوراق:" يُحيي ميّتًا، ويُميت حيًّا، ويُربي صغيرًا، ويجيب داعيًا، ويشفي سقيمًا، ومنتهى شكوى الصالحين، ويعرض حاجات المؤمنين"[٢٥٩].

قال الربيع بن أنس:" خلق خلقًا، ويُميت آخرين، ويرزقهم، ويَكْلؤهم[٢٦٠].

قال مجاهد:" من شأنه أن يعطي سائلا ويفك عانيا، ويجيب داعيا، ويشفي سقيما"[٢٦١].

قال مجاهد:" كلّ يوم هو يجيب داعيا، ويكشف كربا، ويجيب مضطرًا، ويغفر ذنبا"[٢٦٢].

قال قتادة:" يخلق مخلقا، ويميت ميتا، ويحدث أمرا"[٢٦٣].

قال أبو الجوزاء:" لا يشغله شأن عن شأن"[٢٦٤].

عن أبي سليمان الدّاراني، في قوله تعالى: "{كل يوم هو في شأن}، قال: "ليس من الله شيء يَحْدُثُ إنما هو في تنفيذ ما قدّر أن يكون في ذلك اليوم"[٢٦٥].

عن عبيد الله بن أبي نَهيك -من طريق الفضل بن موسى-:" {يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن}، قال: يُسأل كلّ يوم، والرّبّ -تبارك وتعالى- في شأن، وهو اسم من أسماء الله - عز وجل -"[٢٦٦].

عن منيب بن عبد الله الأزدي، عن أبيه قال: "تلا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم هذه الآية: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ}، فقلنا: يا رسول الله، وما ذلك الشأن؟ قال: "يَغْفِرُ ذَنْبًا، ويُفَرّجُ كَرْبا، ويَرْفَعُ أقْوَاما، وَيَضَعُ آخَرِينَ"[٢٦٧].

قال ابن عباس:" إن الله خلق لوحا محفوظا من درّة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، عرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كلّ يوم ثلاث مئة وستين نظرة، يخلق بكل نظرة، ويُحيي ويميت، ويُعزّ ويُذلّ، ويفعل ما يشاء"[٢٦٨].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٠]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٢٦٩].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢٧٠].

---

(٢٥٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٢٥٦) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٢٥٧) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٢٥٨) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٢٥٩)أخرجه أبو الشيخ في العظمة(١٥١):ص ٢/ ٤٨٤ - ٤٨٥.
(٢٦٠) الدر المنثور: ٧٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٦١) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٢٦٢) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٣.
(٢٦٣) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٢٦٤) الدر المنثور: ٧٠٠/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٦٥)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ٢٧٣.
(٢٦٦)أخرجه أبو الشيخ في العظمة(١٥٤):ص ٢/ ٤٨٧ - ٤٨٨.
(٢٦٧) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٢٦٨) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٣.
(٢٦٩) التفسير الميسر: ٥٣٢.

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢٧١].

القرآن

{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢)} [الرحمن : ٣١-٣٢]

التفسير:

سنفرُغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكما التي عملتموهما في الدنيا، أيها الثقلان -الإنس والجن-، فنعاقب أهل المعاصي، ونُثيب أهل الطاعة. فبأيِّ نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ} [الرحمن : ٣١]، أي:" سنفرُغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكما التي عملتموهما في الدنيا، أيها الثقلان -الإنس والجن-، فنعاقب أهل المعاصي، ونُثيب أهل الطاعة"[٢٧٢].

عن الضحاك: "{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان}، قال: وعيد"[٢٧٣].

قال سعيد بن جبير:" يقول: سأقصد لحسابكم"[٢٧٤].

عن الحسن:" {سَنَفْرُغُ لَكُمْ} مما أوعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم، ونُنجز لكم ما وعدناكم، ونُوصل كلًّا إلى ما وعدناه، فيتمّ ذلك، ويفرغ منه"[٢٧٥].

عن قتادة:" أنه تلا: {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلان}، قال: دنا من الله فراغ لخلقه"[٢٧٦][٢٧٧].

عن جعفر بن محمد الصادق: "{سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلان} سُمي الجن والإنس: ثَقلين؛ لأنهما مُثقلان بالذنوب"[٢٧٨].

عن يحيى بن وثّاب، وطلحة بن مُصَرِّف أنهما قرءا: «سَيَفْرُغُ لَكُمْ»[٢٧٩] ، بالياء، وفتحها ردّا على قوله: {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْض}، ولم يقل: يسألنا من في السموات، فأتبعوا الخبر الخبر[٢٨٠].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٢]، أي:" فبأيِّ نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٢٨١].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٢٨٢].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٢٨٣].

القرآن

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤)} [الرحمن : ٣٣-٣٤]

---

(٢٧٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٧١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٧٢) التفسير الميسر: ٥٣٢.

(٢٧٣) أخرجه الطبري: ٤١/٢٣-٤٢.

(٢٧٤) رواه مقاتل بن سليمان في "التفسير": ١٩٩/٤.

(٢٧٥)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٥، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٧.

(٢٧٦) أخرجه الطبري: ٤١/٢٣.

(٢٧٧)قال ابن قتيبة:" يريد: أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها". [تأويل مشكل القرآن: ٧٠].

(٢٧٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤٤٧.

(٢٧٩)أخرجه الفراء في معاني القرآن ٣/ ١١٦. وعزاه السيوطي إلى البيهقي.
وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالنون. ينظر: النشر ٢/ ٣٨١.

(٢٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٣.

(٢٨١) التفسير الميسر: ٥٣٢.

(٢٨٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٢٨٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

التفسير:
يا معشر الجن والإنس، إن قَدَرْتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هاربين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنَّى لكم ذلك، وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا؟ . فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا} [الرحمن : ٣٣]، أي:" يا معشر الجن والإنس، إن قَدَرْتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هاربين من أطراف السموات والأرض فافعلوا"[٢٨٤].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا} [الرحمن : ٣٣]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، لن تعلموه إلا بسلطان ، قاله عطية العوفي[٢٨٥].

الثاني : إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض هرباً من الموت فانفذوا ، رواه عبيد عن الضحاك[٢٨٦].

قال الضحاك:" يعني بذلك أنه لا يجيرهم أحد من الموت، وأنهم ميتون لا يستطيعون فرارا منه، ولا محيصا، لو نفذوا أقطار السموات والأرض كانوا في سُلطان الله، ولأخذهم الله بالموت"[٢٨٧].

الثالث : معناه: إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض، فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم؛ فجوزوا ذلك، فإنكم لا تجوزونه إلا بسلطان من ربكم. وهذا قول يقال لهم يوم القيامة. رواه الأجلح عن الضحاك[٢٨٨].

قال الضحاك بن مزاحم: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقَّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها بالثانية، ثم بالثالثة، ثم بالرابعة، ثم بالخامسة، ثم بالسادسة، ثم بالسابعة، فصفوا صفا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبّته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندوّا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"[٢٨٩].

قوله تعالى:{لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣]، أي:" ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى، وأنَّى لكم ذلك"[٢٩٠].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٢٩١].

وفي قوله تعالى:{لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : يعني: إلا بحجة ، قاله مجاهد[٢٩٢]، وعكرمة[٢٩٣].

---

(٢٨٤) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٢٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢٨٧) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢٨٩) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٣.
(٢٩٠) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٢٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.

قال عكرمة:" كلّ شيء في القرآن سلطان فهو حجة"[٢٩٤].
الثاني : لا تنفذون إلا بمُلْك وليس لكم مُلْك ، قاله قتادة[٢٩٥].
وقال قتادة:" إلا بسلطان من الله، إلا بملكة منه"[٢٩٦].
قال قتادة: يقول: إلا بملكة من الله"[٢٩٧].
وقال عطاء:" لا تخرجون من سلطاني[٢٩٨].
والصواب قول من قال: معنى ذلك: إلا بحجة وبينة، لأن ذلك هو معنى السلطان في كلام العرب، وقد يدخل الملك في ذلك، لأن الملك حجة"[٢٩٩].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٤]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٣٠٠].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٠١].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٠٢].

القرآن
{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦)} [الرحمن : ٣٥-٣٦]
التفسير:
يُرْسَل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضًا يا معشر الجن والإنس. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ} [الرحمن : ٣٥]، أي:" يُرْسَل عليكم لهب من نار، ونحاس مذاب يُصَبُّ على رؤوسكم، فلا ينصر بعضكم بعضًا يا معشر الجن والإنس"[٣٠٣].
عن قتادة: "{فَلَا تَنْتَصِرَانِ}، قال: يعني الجنّ والإنس"[٣٠٤].
واختلف في تفسير قوله تعالى:{يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ} [الرحمن : ٣٥]، على وجوه:
أحدها : أن الشواظ: لهب النار، قاله مجاهد[٣٠٥]، وقتادة[٣٠٦]، والضحاك[٣٠٧]، ومنه قول أمية بن أبي الصلت يهجو حسان بن ثابت[٣٠٨]:

---

(٢٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٤) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٦) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٧) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٣.
(٢٩٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٦.
(٢٩٩) تفسير الطبري: ٤٤/٢٣-٤٥.
(٣٠٠) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٠١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٠٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٠٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٠٤) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٣.
(٣٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.
(٣٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.
(٣٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.
(٣٠٨)البيت الأول لأمية بن خلف الخزاعي في المقاصد النحوية ٤/ ٥٦٣، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٣/ ٨٠٧، والبيتان

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ حَسَّانَ عَنِّي ... مُغَلْغَلَةً تَدِبُّ إِلَى عُكَاظِ
أَلَيْسَ أَبُوكَ فِينَا كَانَ قَيْنًا ... لَدَى الْقَيْنَاتِ فَسْلًا فِي الْحَفَاظِ
يَمَانِيًّا يَظَلُّ يَشُدُّ كِيرًا ... وَيَنْفُخُ دَائِبًا لَهَبَ الشُّوَاظِ
فأجابه حسان فقال[٣٠٩]:
أتاني عن أميّ ثنا كلام ... وما هو في المغيب بذي حفاظ
ستأتيه قصائد محكّمات ... وتنشد بالمجاز إلى عكاظ
همزتك فاختضعت بذلّ لفظ ... بقافية تأجّج كالشّواظ

قال ابن زيد:" الشواظ: اللهب، وأما النحاس فالله أعلم بما أراد به"[٣١٠].

الثاني : أنه قطعة من النار فيها خضرة ، قاله مجاهد-أيضا-[٣١١].

قال مجاهد:" الشُّواظ: الأخضر المتقطع من النار"[٣١٢].

قال مجاهد:" الشواظ: هذا اللهب الأخضر المتقطع من النار"[٣١٣].

الثالث : الشُّواظ: هو الدخان الذي يخرج من اللهب، قاله الضحاك-أيضا-[٣١٤]، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٣١٥]:

إنَّ لَهُمْ مِنْ وَقْعِنا أَقْياظا ... ونارُ حَرْب تُسْعِرُ الشُّوَاظا

قال الضحاك:" الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب"[٣١٦].

الرابع : أنها طائفة من العذاب ، قاله الحسن[٣١٧].

وأما «النحاس»، ففيه أربعة أقوال:

أحدها : أنه الصفر يعذّبون به، قاله مجاهد[٣١٨]، وقتادة[٣١٩].

قال مجاهد:" يذاب الصفر من فوق رءوسهم"[٣٢٠]. وفي رواية:" يذاب الصفر فيصبّ على رأسه"[٣٢١].

قال قتادة:" توعدهما بالصُّفر كما تسمعون أن يعذّبهما به"[٣٢٢].

قال قتادة:" يخوّفهم بالنار وبالنحاس"[٣٢٣].

الثاني : أنه دخان النار ، قاله سعيد بن جبير[٣٢٤]، ومنه قول النابغة الجعدي[٣٢٥]:

الثاني والثالث لأمية بن خلف في لسان العرب (شوظ) ، وتاج العروس (شوظ).

(٣٠٩)الديوان : ١٤٤- ١٤٥. في ثمانية أبيات أولها:
أتاني عن أميّة زور قول ... وما هو بالمغيب بذي حفاظ.

(٣١٠) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٣.

(٣١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦/٢٣.

(٣١٢) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٣.

(٣١٣) أخرجه الطبري: ٤٦/٢٣.

(٣١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.

(٣١٥) ديوان العجاج: ٨١.

(٣١٦) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٣.

(٣١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.

(٣١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢٠) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢١) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢٢) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢٣) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٣.

(٣٢٥)البيت في "ديوان النابغة" ٧٥، و"شواهد الكشاف" ص ١٥٧، و"اللسان" ٣/ ٥٩٦ (نحس).

يُضِيءُ كَضَوْءِ سَرَاجِ السَّلِيطِ ... لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسَا

الثالث : أنه القتل، قاله عبد الله بن أبي بكرة[٣٢٦].

الرابع : أنه نحس لأعمالهم ، قاله الحسن[٣٢٧].

والصواب قول من قال: عُنِي بالنحاس: الدخان، وذلك أنه جلّ ثناؤه ذكر أنه يرسل على هذين الحيَّين شواظ من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان. والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب، دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان، والعرب تسمي الدخان نُحاسا بضم النون، ونحاسا بكسرها، والقرّاء مجمعة على ضمها[٣٢٨].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٦]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٣٢٩].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٣٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٣١].

والسَّلِيطُ عند عامة العرب الزيت، وعند أهل اليمن دُهْنُ السمسم. ورجح ابن منظور أنه الزيت.

انظر: "اللسان" ٢/ ١٨٢ (سلط).

والسّراج: المصباح الزاهر. والنحاس. معدن أحمر اللون، يوجد في الطبيعة منفردا أو مركبا، وهو شديد القابلية للسّحب والطّرق، يستخدم في أسلاك الكهرباء وغيرها.

(٣٢٦) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.

(٣٢٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٥/٥.

(٣٢٨) تفسير الطبري: ٤٨/٢٣.

(٣٢٩) التفسير الميسر: ٥٣٢.

(٣٣٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٣٣١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

القرآن
{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨)} [الرحمن : ٣٧-٣٨]
التفسير:
فإذا انشقت السماء وتفطرت يوم القيامة، فكانت حمراء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرصاص المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} [الرحمن : ٣٧]، أي:" فكانت حمراء كلون الورد، وكالزيت المغلي والرصاص المذاب؛ من شدة الأمر وهول يوم القيامة"[٣٣٢].
عن الضحاك، قوله: {فَكَانَتْ وَرْدَةً}:" يقول: تتغير السماء فيصير لونها كلون الدابة الوردة"[٣٣٣].
قال أبو صالح:" كلون البرذون الورد، ثم كانت بعد كالدهان"[٣٣٤].
وقال السدي:" تكون كلون البغلة الوردة"[٣٣٥].
وقال قتادة:" هي خضراء، ولونها يومئذ الحُمرة. قاله قتادة[٣٣٦].
وقال قتادة:" هي اليوم خضراء كما ترون، ولونها يوم القيامة لون آخر"[٣٣٧]. وفي رواية:" إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر"[٣٣٨].
وفي قوله تعالى:{كَالدِّهَانِ} [الرحمن : ٣٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: خالصة، قاله الضحاك[٣٣٩].
الثاني : صافية الحمرة مشرقة، قاله مجاهد[٣٤٠].
وحكي ابن كثير عن أبي الجوزاء:" في صفاء الدهن"[٣٤١].
الثالث : ذات ألوان، قاله الحسن[٣٤٢].
الرابع : صفراء كلون دُهْن الوَرْد، وهذا قول عطاء الخراساني[٣٤٣]، وأبي الجوزاء[٣٤٤].
الخامس : كعكر[٣٤٥] الزيت. قاله زيد بن أسلم[٣٤٦].
وقال السدي:" وتكون كالمهل، كدردي الزيت"[٣٤٧].
روي عن أنس بن مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يبعث الناس يوم القيامة والسماء تَطِش عليهم"[٣٤٨].

---

(٣٣٢) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٣٣) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٣٤) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٣٥) حكاه عنه ابن كثير: في "التفسير": ٤٩٨/٧.
(٣٣٦) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٣٧) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٣٨) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٣.
(٣٤١) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧-٤٩٩.
(٣٤٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧.
(٣٤٣) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٤٩٨/٧.
(٣٤٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٦/٥.
(٣٤٥)العكر: آخر الشيء وخاثره من شراب وماء ودُهن. انظر: "الصحاح" ٢/ ٧٥٦ (عكر)، و"المصباح المنير" ٢/ ٥٠٦ (عكر).
(٣٤٦) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٨٥):ص١٢٤/١.
(٣٤٧) حكاه عنه ابن كثير: في "التفسير": ٤٩٨/٧.
(٣٤٨) المسند: ٢٢٦/٣. قال الجوهري : الطش : المطر الضعيف. [معجم مقاييس اللغة، "طش":ص ٤١٠/٣]

عن لقمان بن عامر الحنفي: أنّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - مرّ بشابٍّ يقرأ: {فَإِذا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهان}، فوقف، فاقشعرّ، وخَنقَته العَبْرة، فجعل يبكي، ويقول: ويحي مِن يومٍ تنشقّ فيه السماء. فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «مثلها يا فتى، فوالذي نفسي بيده لقد بَكَتِ الملائكةُ مِن بُكائك»[٣٤٩].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٣٨]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟"[٣٥٠].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٥١].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٥٢].

القرآن

{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٣٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠)} [الرحمن : ٣٩-٤٠]

التفسير:

ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٣٩]، أي:" ففي ذلك اليوم لا تسأل الملائكة المجرمين من الإنس والجن عن ذنوبهم؟"[٣٥٣].

وفي قوله تعالى:{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٣٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : كانت المسألة قبل، ثم ختم على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قاله الحسن[٣٥٤]، وقتادة[٣٥٥].

قال الحسن: "قد حفظ الله عليهم أعمالهم"[٣٥٦].

قال قتادة:" حفظ الله عزّ وجلّ عليهم أعمالهم"[٣٥٧].

قال قتادة:" قد كانت مسألة ثم ختم على ألسنة القوم، فتتكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون"[٣٥٨].

الثاني : لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم قد رفعوا أعمالهم في الدنيا، قاله مجاهد[٣٥٩].

قال مجاهد:" لا يسأل الملائكة عن المجرم يعرفون بسيماهم"[٣٦٠]. وفي رواية: " لا تسأل الملائكة عن المجرم إنسا ولا جانا، يقول: يعرفون بسيماهم "[٣٦١].

الثالث : أنها كقوله :{هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات : ٣٥، ٣٦]، فهذا في حال، وثَمّ حال يسأل الخلائق فيها عن جميع أعمالهم، قال الله تعالى :{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الحجر : ٩٢، ٩٣][٣٦٢]، وهو معنى قول عكرمة[٣٦٣].

---

(٣٤٩) الدر المنثور: ٧٠٣/٧، وعزاه إلى محمد بن نصر.
(٣٥٠) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٥١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٥٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٥٣) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٥٤) تفسير عبدالرزاق(٣٠٩٤):ص٢٦٩/٣.
(٣٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٣.
(٣٥٦) تفسير عبدالرزاق(٣٠٩٤):ص٢٦٩/٣.
(٣٥٧) أخرجه الطبري: ٥١/٢٣.
(٣٥٨) أخرجه الطبري: ٥١/٢٣.
(٣٥٩)انظر: تفسير الطبري: ٥٢/٢٣.
(٣٦٠) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٣٦١) تفسير مجاهد: ٦٣٨.

قال عكرمة:" إنها مواطن، يُسأل في بعضها، ولا يُسأل في بعضها"[٣٦٤].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٤٠]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٣٦٥].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٦٦].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٦٧].

القرآن
{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤١)} [الرحمن : ٤١]
التفسير:
تَعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم، فتأخذهم بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم، فترميهم في النار.
قوله تعالى:{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} [الرحمن : ٤١]، أي:" تَعرف الملائكة المجرمين بعلاماتهم"[٣٦٨].
عن قتادة: "{يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ}، قال: زرق العيون، سود الوجوه"[٣٦٩].
قال الحسن:" يعرفون باسوداد الوجوه، وزُرقة العيون"[٣٧٠].
قال الضحاك:" بسواد وجوههم، وزُرقة عيونهم"[٣٧١].
قوله تعالى:{فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ} [الرحمن : ٤١]، أي:" فتأخذهم الملائكة بمقدمة رؤوسهم وبأقدامهم، فترميهم في النار"[٣٧٢].
قال الضحاك:" يأخذ المَلَك بناصية أحدهم، فيَقْرُنها إلى قدميه، ثم يكسر ظهره، ثم يُلقيه في النار"[٣٧٣].
قال الضحاك:" يُجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة مِن وراء ظهره"[٣٧٤].
عن عائشة -من طريق عُروة- قالت: لا يُحاسَب أحدٌ يوم القيامة إلا دخل الجنة. ثم قرأتْ: {فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق ٧، ٨]، ثم قرأتْ: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي والأقْدامِ} [الرحمن: ٤١]"[٣٧٥].
عن أنس بن مالك، سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «والذي نفسي بيده، لقد خُلِقَتْ زبانية جهنم قبل أن تُخلَق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يَقبِضوا مَن قَبضوا عليه بالنواصي والأقدام»[٣٧٦].

---

(٣٦٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٧.
(٣٦٣)تفسير البغوي ٧/ ٤٥٠.
(٣٦٤)تفسير البغوي ٧/ ٤٥٠.
(٣٦٥) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٦٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٦٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٦٨) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٦٩) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٣٧٠) أخرجه الطبري: ٥٢/٢٣.
(٣٧١)أخرجه هناد (٣٠٢). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣٧٢) التفسير الميسر: ٥٣٢.
(٣٧٣) الدر المنثور: ٧٠٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٣٧٤)أخرجه هناد في الزهد (٢٦٨).
(٣٧٥)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة):(٣٥٨٩٠):ص ١٩/ ٢٣١.
(٣٧٦) الدر المنثور: ٧٠٤/٧، وعزاه إلى ابن مردويه، والضياء المقدسي في صفة النار.

سُئِلتْ عائشة: أسمعتِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: إنه يأتي عليه ساعة لا يملك لأحد شفاعة؟ قالت: نعم، لقد سألتُه، فقال: «نعم، حين يوضع الصراط، وحين تَبيضّ وجوه وتَسودُّ وجوه، وعند الجسر حين يُشحذ حتى يكون مثل شَفرة السيف ويُسجر حتى يكون مثل الجمْرة؛ فأما المؤمن فيُجيزه ولا يضرّه، وأما المنافق فينطَلِق حتى إذا كان في وسطه خُزَّ في قدميه، فيهوي بيديه إلى قدميه، فهل رأيتَ مِن رجل يسعى حافيًا فيؤخذ بشوكة حتى تكاد تَنفُذ قدميه؟ فإنه كذلك يَهوي بيديه إلى قدميه، فيضربه الزبانيّ بخُطّاف في ناصيته، فيُطرح في جهنم، يَهوي فيها خمسين عامًا». فقلت: أيَثقُل؟ قال: «يَثقُل خمسَ خَلِفاتٍ، فيومئذ {يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي والأقْدامِ}»[٣٧٧].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢)} [الرحمن : ٤٢]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٧٨].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٧٩].

القرآن

{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٤)} [الرحمن : ٤٣-٤٤]

التفسير:

يقال لهؤلاء المجرمين -توبيخًا وتحقيرًا لهم-: هذه جهنم التي يكذِّب بها المجرمون في الدنيا: تارة يُعذَّبون في الجحيم، وتارة يُسقون من الحميم، وهو شراب بلغ منتهى الحرارة، يقطّع الأمعاء والأحشاء.

قوله تعالى:{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]، أي:" يترددون بين نار جهنم وبين ماءٍ حار بلغ النهاية في الحرارة"[٣٨٠].

وفي قوله تعالى:{حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]، ثلاثة أوجه :

أحدها : هو الذي انتهى حره وحميمه. قاله سعيد بن جبير[٣٨١]، والحسن[٣٨٢]، وقتادة[٣٨٣]،والسدي[٣٨٤]. ومنه ومنه قول نابغة بني ذُبيان[٣٨٥]:

ويُخْضَب لِحْيَةٌ غدَرَتْ وخانَتْ ... بأحمَرَ مِنْ نَجيع الجَوْفِ آني

يعني: مدرك.

قال سعيد بن جبير:" الآني الذي قد انتهى حرّه"[٣٨٦]. وفي رواية:" النُّحاس انتهى حرّه"[٣٨٧].

---

(٣٧٧)أخرجه عبد الرزاق ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤ (١١٣١)، وابن الأعرابي في معجمه ٢/ ٧١٤ - ٧١٥ (١٤٠٩)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٧/ ٤٩٩ - ٥٠٠ - ، من طريق رجل من كندة، عن عائشة به.

قال ابن كثير: «هذا حديث غريب جدًّا، وفيه ألفاظ مُنكر رفعها، وفي الإسناد مَن لم يُسمّ، ومثله لا يُحتج به». وقال ابن رجب في التخويف من النار ص ٢٣٢: «خرّجه بقي بن مخلد في مسنده، وابن أبي حاتم في تفسيره، وفي إسناده جهالة، وفي بعض ألفاظه نكارة».

(٣٧٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٣٧٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٣٨٠) صفوة التفاسير: ٢٨٠/٣.

(٣٨١)انظر: تفسير الطبري: ٥٤/٢٣.

(٣٨٢)انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.

(٣٨٣)انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٣.

(٣٨٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣٧/٦.

(٣٨٥) ديوانه: ١٩٤. نجيع الجوف: الدم الخالص. والآنى: الشديد الحرارة، وهو الذي بلغ أناه.

قال الحسن:" يقول: حميم قد آن منتهى حره"[٣٨٨].
قال الضحاك:" هو الذي قد انتهى غَلْيه"[٣٨٩].
قال قتادة:" يقول: حميم قد أنى طبخه منذ خلق الله السموات والأرض"[٣٩٠].
وقال قتادة:" فهم في ترداد وعناء"[٣٩١].
الثاني: أن الآني :الحاضر. قاله محمد بن كعب[٣٩٢].
الثالث : أنه الذي قد آن شربه وبلغ غايته، وهو معنى قول مجاهد[٣٩٣].
عن مجاهد، قوله: "{وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}، قال: قد بلغ إناه"[٣٩٤].
قال كعب الأحبار: «آن»: وادي من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي حتى تخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد أحدث الله سبحانه لهم خلقا جديدا، فيلقون في النار فذلك قوله سبحانه: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ}"[٣٩٥].
قال قتادة:" فهم في عناء وعذاب بين نار وحميم وتلا هذه الآية: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]"[٣٩٦].
وفِي قراءة عَبْد اللَّه: «هَذِهِ جهنم التي كنتما بها تكذبان، تصليانها لا تموتان فيها ولا تحييان تطوفان»[٣٩٧].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥)} [الرحمن : ٤٥]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٣٩٨].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٣٩٩].

القرآن
{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦)} [الرحمن : ٤٦]
التفسير:
ولمن اتقى الله من عباده من الإنس والجن، فخاف مقامه بين يديه، فأطاعه، وترك معاصيه، جنتان.
في سبب نزول الآية، قولان:

---

(٣٨٦) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٣٨٧)تفسير الثعلبي ٩/ ١٨٨، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٠.
(٣٨٨) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٣.
(٣٨٩) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٣٩٠) أخرجه الطبري: ٥٥/٢٣.
(٣٩١)تفسير يحيى بن سلام ١/ ٤٨٩.
(٣٩٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٧/٦.
(٣٩٣) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٣٩٤) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٣.
(٣٩٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٨٨/٩-١٨٩.
(٣٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠١):ص٣٢١٧/١٠.
(٣٩٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ١١٧/٣.
(٣٩٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٣٩٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

أحدهما: قال ابن شَوْذب، وعطاء الخراساني : "نزلت هذه الآية :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} في أبي بكر الصديق"[٤٠٠].

الثاني: عن عطية بن قيس في قوله :{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} : نزلت في الذي قال : أحرقوني بالنار، لعلي أضل الله، قال : تاب يوما وليلة بعد أن تكلم بهذا، فقبل الله منه وأدخله الجنة"[٤٠١].

قال ابن كثير:" الصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره، يقول تعالى : ولمن خاف مقامه بين يدي الله، عز وجل، يوم القيامة، {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات : ٤٠]، ولم يطغ، ولا آثر الدنيا، وعلم أن الآخرة خير وأبقى، فأدى فرائض الله، واجتنب محارمه، فله يوم القيامة عند ربه جنتان.. وهذه الآية عامة في الإنس والجن، فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واتقوا ؛ ولهذا امتن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء "[٤٠٢].

عن مجاهد، في قوله: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع"[٤٠٣].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه، فله جنتان"[٤٠٤].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالمعصية، فيذكر الله عزّ وجلّ فيدعها"[٤٠٥].

قال مجاهد:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله"[٤٠٦].

قال مجاهد:" يذنب الذنب فيذكر مقام ربه فيدعه"[٤٠٧].

قال إبراهيم:" إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله"[٤٠٨].

قال قتادة:" إن لله مقاما قد خافه المؤمنون"[٤٠٩].

قال قتادة:" إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار"[٤١٠].

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداءُ الكبرياء على وجهه في جنة عدن"[٤١١].

عن أبي الدرداء، قال، قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإنْ زَنَى وسَرقَ وإنْ رَغِمَ أنْف أبي الدَّرْداء»"[٤١٢].

عن عطاء بن يسار، قال: أخبرني أبو الدرداء أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قرأ يوما هذه الآية: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

---

(٤٠٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.
(٤٠١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧.
(٤٠٢) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٧، ٥٠٢.
(٤٠٣) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٤) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٥) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٧) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٨) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٤٠٩) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(٤١٠) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(٤١١)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٨) وصحيح مسلم برقم (١٨٠) وسنن الترمذي برقم (٢٥٢٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٧٧٦٥) وسنن ابن ماجه برقم (١٨٦).
(٤١٢) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.

جَنَّتَانِ}، قال فقلت: يا رسول الله وإن زنى وإن سرق؟ قال: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال: «وَإِنْ زَنَى وإِنْ سَرَقَ رَغْمَ أَنْفِ أبي الدَّرْدَاءِ»"[٤١٣].

عن أبي موسى، عن أبيه، -قال حماد لا أعلمه إلا رفعه- في قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: "جنتان من ذهب للمقرّبين أو قال: للسابقين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين"[٤١٤].

عن سيار، قال: "قيل لأبي الدرداء في هذه الآية: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، فقيل: وإن زنى وإن سرق، فقال: وإن زنى وإن سرق. وقال: إنه إن خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق"[٤١٥].

عن ابن مسعود في قوله: "{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، قال: وإن زنى وإن سرق"[٤١٦].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة"[٤١٧].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧)} [الرحمن : ٤٧]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٤١٨].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤١٩].

القرآن

{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨)} [الرحمن : ٤٨]

التفسير:

الجنتان ذواتا أغصان نضرة من الفواكه والثمار.

وتعددت عبارات أهل العلم في تفسير قوله تعالى: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} [الرحمن : ٤٨]، على وجوه:

أحدها : ذواتا ألوان ، قاله مجاهد[٤٢٠]، وأبو سنان[٤٢١].

الثاني : ذواتا ألوان من الفاكهة، قاله الضحاك[٤٢٢].

الثالث : ذواتا أغصان، قاله مجاهد-أيضا-[٤٢٣].

عن مجاهد، وعكرمة، والضحاك، في قوله: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}، قالوا: " الغصن المستقيم طولا"[٤٢٤].

الرابع: ذواتا أطراف أغصان الشجر. قاله ابن عباس-أيضا-[٤٢٥].

الخامس: عنى بذلك فضلهما وسعتهما على ما سواهما. قاله قتادة[٤٢٦].

---

(٤١٣) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.

(٤١٤) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.

(٤١٥) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣-٥٨.

(٤١٦) أخرجه الطبري: ٥٨/٢٣.

(٤١٧)سنن الترمذي برقم (٢٤٥٠) وتفسير البغوي (٤٥١/٧).

(٤١٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤١٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.

(٤٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.

(٤٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.

(٤٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.

(٤٢٤) تفسير البغوي: ٤٥٢/٧.

(٤٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.

قال قتادة:" يعني: فضلهما وسعتهما على ما سواهما"[٤٢٧].
قال قتادة:" ذواتا فضل على ما سواهما"[٤٢٨].
السادس: إن الأفنان أغصان الشجَر يمس بعضُها بعضا، قاله عطاء الخراساني[٤٢٩].
السابع: يعني: ظِل الأغصان على الحيطان. قاله عكرمة[٤٣٠]، وأنشد قول الشاعر[٤٣١]:
ما هاجَ شَوْقَكَ مِنْ هَدِيلِ حَمامَة ... تَدْعُو على فَنن الغُصُونِ حَماما
تَدْعُوا أبا فَرْخَين صَادَفَ ضاريا ... ذا مِخْلَبين مِنَ الصُّقُورِ قَطاما"[٤٣٢].
وعن الحسن، قال:" ذواتا ظلال"[٤٣٣].
الثامن: واسعتا الفناء. قاله الربيع بن انس[٤٣٤].
وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا منافاة بينها، والله أعلم[٤٣٥]، وقد خص الأفنان بالذكر: وهي الغصنة[٤٣٦] التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها تمتد الظلال، ومنها تجتنى الثمار. وقيل: الأفنان ألوان النعم ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين[٤٣٧].
عن أسماء، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر سدرة المنتهى - فقال : "يسير في ظل الفَنَن منها الراكب مائة سنة - أو قال : يستظل في ظل الفَنَن منها مائة راكب - فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القِلال"[٤٣٨].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩)} [الرحمن : ٤٩]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٤٣٩].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤٤٠].

القرآن

---

(٤٢٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٣.
(٤٢٧) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٣.
(٤٢٨) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٣.
(٤٢٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.
(٤٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣.
(٤٣١) انظر: تفسير الطبري: ٥٩/٢٣، ولم أقف على قائلهما، وأنشد ابن بري في "اللسان": «هدر» البيت الأول منهما، ولم ينسبه قال صاحب اللسان عن ابن سيده في المحكم: الهديل: صوت الحمام، وخص بعضهم به وحشها، كالدباسي والقماري ونحوهما، هدل يهدل هديلا. وأنشد ابن بري:.... البيت قال: وقد جاء الهديل في صوت الهدهد. اهـ. والفنفن الغصن المستقيم طولا وعرضا. وقيل الغصن: القضيب، يعني المقضوب، والفنن: ما تشعب منه. والجمع: الأفنان ثم والأفانين.
(٤٣٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٣.
(٤٣٣) تفسير البغوي: ٤٥٢/٧.
(٤٣٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.
(٤٣٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٢/٧.
(٤٣٦) الغصنة : جمع غصن، كقرطة جمع قرط. أفاده الصحاح.
(٤٣٧) الكشاف: ٤٥٢/٤.
(٤٣٨)سنن الترمذي برقم (٢٥٤١) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب".
(٤٣٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٤٤٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

{فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠)} [الرحمن : ٥٠]

التفسير:

في هاتين الجنتين عينان من الماء تجريان خلالهما.

عن الحسن: "تجريان بالماء الزلال: إحداهما التسنيم، والأخرى: السلسبيل"[٤٤١].

وقال عطية : "إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين"[٤٤٢].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الله اختار مِن الملائكة أربعة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل». وذكر الحديث حتى قال: «واختار من العيون أربعة، يقول في محكم كتابه: {فيهما عينان تجريان}، وقال: {فيهما عينان نضاختان} [الرحمن: ٦٦]، فأما التي تجريان: فعين بَيْسان، وعين سُلْوان، وأما النَّضّاختان: فعين زمزم، وعين عَكا ... »"[٤٤٣].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١)} [الرحمن : ٥١]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٤٤٤].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤٤٥].

القرآن

{فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢)} [الرحمن : ٥٢]

التفسير:

في هاتين الجنتين من كل نوع من الفواكه صنفان.

قال عكرمة:" فيهما من كلّ الثمرات"[٤٤٦].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣)} [الرحمن : ٥٣]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٤٤٧].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٤٤٨].

---

(٤٤١) نقلا عن: الكشاف: ٤٥٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.

(٤٤٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.

(٤٤٣)أخرجه ابن عساكر في تاريخه ١/ ٢٢١ - ٢٢٢، من طريق أبي الفضل العباس بن ميمون، عن أبي محمد المراغي، عن قتيبة، عن أبي عوانة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة به.

قال ابن عساكر: «هذا حديث منكر بمرّة، وأبو الفضل والمراغي مجهولان». وأورده الكناني في تنزيه الشريعة ٢/ ٦٥.

(٤٤٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٤٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٤٦) الدر المنثور: ٧٠٩/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤٤٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٤٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

القرآن

{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)} [الرحمن : ٥٤]

التفسير:

وللذين خافوا مقام ربهم جنتان يتنعمون فيهما، متكئين على فرش مبطَّنة من غليظ الديباج، وثمر الجنتين قريب إليهم.

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن : ٥٤]، أي:" وللذين خافوا مقام ربهم جنتان يتنعمون فيهما، متكئين على فرش مبطَّنة من غليظ الديباج"(٤٤٩).

عن يحيى بن أبي إسحاق، قال:" قال لي سالم بن عبد الله: ما الإستبرق؟ قال، قلت: ما غلظ من الديباج وخشن منه"(٤٥٠).

عن عكرمة، في قوله: "{إِسْتَبْرَقٍ}، قال: الديباج الغليظ"(٤٥١).

وقال أبو عِمْران الجَوْني : هو الديباج المغَرّي بالذهب"(٤٥٢).

وفي قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} [الرحمن : ٥٤]، وجهان:

أحدهما : أن بطائنها يريد به: ظواهرها، قاله قتادة(٤٥٣)، والحسن(٤٥٤).

الثاني : أنه أراد البطانة دون الظهارة، لأن البطانة إذا كانت من إستبرق وهي أدون من الظاهرة دل على أن الظهارة فوق الإستبرق.

قال هبيرة(٤٥٥): "هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر؟"(٤٥٦).

قال ابن مسعود:" قد أخبرتم بالبطائن، فكيف لو أخبرتم بالظواهر؟"(٤٥٧).

عن سعيد بن جبير، قال: "قيل له: هذه البطائن من إستبرق فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}"(٤٥٨).

عن سعيد بن جبير :" {بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} قال: ظواهرها من نور جامد(٤٥٩).

قال مالك بن دينار : "بطائنها من إستبرق، وظواهرها من نور"(٤٦٠).

قال سفيان الثوري - أو شريك - : "بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد"(٤٦١).

قال القاسم بن محمد: "بطائنها من إستبرق، وظواهرها من الرحمة"(٤٦٢).

---

(٤٤٩) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٤٥٠) أخرجه الطبري: ٦١/٢٣.

(٤٥١) أخرجه الطبري: ٦١/٢٣.

(٤٥٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧.

(٤٥٣) انظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.

(٤٥٤) حكاه عنه السمعاني في "التفسير":٣٣٤/٥.

(٤٥٥)هبيرة بن يريم الشبامي، ويقال: الخارفي، أبو الحارث الكوفي، روى عن علي وابن مسعود وابن عباس، روى عنه: أبو إسحاق السبيعي وأبو فاختة. قال ابن حنبل: لا بأس بحديثه. وقال النسائي: ليس بالقوي. قال ابن حجر: لا بأس بحديثه، وقد عيب بالتشيع. ينظر: "الجرح والتعديل" ٩/ ١٠٩، "تهذيب الكمال" ٣٠/ ١٥٠، "التقريب".

(٤٥٦) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣. وذكر مثله الثعلبي عن أبي هريرة، انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٠، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٣.

(٤٥٧) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣.

(٤٥٨) أخرجه الطبري :٦٢/٢٣.

(٤٥٩) الدر المنثور: ٧١٠/٧ وعزاه إلى أبي نعيم في الحلية.

(٤٦٠) تفسير ابن كثير: ٥٠٣/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤٦١) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤٦٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

قال ابن شَوْذَب، عن أبي عبد الله الشامي : "ذكر الله البطائن ولم يذكر الظواهر، وعلى الظواهر المحابس، ولا يعلم ما تحت المحابس إلا الله"(٤٦٣).

وفي قراءة عبد الله : «متكئين على سرر وفرش بطائنها من رفرف من استبرق»(٤٦٤).

قوله تعالى:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن : ٥٤]، أي:" وثمر الجنتين قريب إليهم"(٤٦٥).

وفي قوله تعالى:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن : ٥٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : داني لا يبعد على قائم ولا على قاعد، قاله مجاهد(٤٦٦)، والضحاك(٤٦٧).

عن مجاهد:" {وجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ} ما يُجتنى من قريب"(٤٦٨).

قال الضحاك:" دانٍ ثمارها"(٤٦٩).

الثاني : أنه لا يرد أيديهم عنها بُعد ولا شوك ، قاله قتادة(٤٧٠).

قال قتادة:" ثمارهم دانية، لا يردّ أيديهم عنه بعد ولا شوك. ذُكر لنا أن نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «وَالَّذي نَفسِي بيَدِهِ، لا يَقْطَعُ رَجُلٌ ثَمَرة مِنَ الجَنَّةِ، فَتَصِلُ إلى فِيهِ حتى يُبَدّلَ الله مَكانَها خَيْرا منْها»"(٤٧١).

عن علي بن أبي طالب، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « ... وفيها ثمار متدلّية، إذا اشتَهَوها انشَعب الغُصن إليهم، فيأكلون مِن أيّ الثمار اشتَهوا؛ إن شاء قائمًا، وإن شاء مُتكئًا، وذلك قول الله - عز وجل -: {وجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ} ... »(٤٧٢).

وقرئ: «وجِنى»، بكسر الجيم(٤٧٣).

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥)} [الرحمن : ٥٥]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(٤٧٤).

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"(٤٧٥).

القرآن

{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦)} [الرحمن : ٥٦]

---

(٤٦٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٧ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤٦٤) الدر المنثور: ٧٠٩/٧ وعزاه إلى عبد بن حميد عن الضحاك.

(٤٦٥) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٤٦٦) أخرجه الطبري -كما في الفتح ٦/ ٣٢٣ -، وانظر: النكت والعيون: ٤٣٩/٥.

(٤٦٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥ (١١٦) -.

(٤٦٨)أخرجه الطبري -كما في الفتح ٦/ ٣٢٣ -.

(٤٦٩)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٤٥ (١١٦) -.

(٤٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢/٢٣.

(٤٧١) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٣.

(٤٧٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص ٣٥ - ٣٧ (٦) مطولًا، من طريق محمد بن عباد بن موسى العكلي، عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، عن الحارث، عن علي به.

وسنده ضعيف؛ فيه الحارث بن عبد الله الأعور، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب (١٠٢٩): «في حديثه ضعف».

(٤٧٣) انظر: الكشاف: ٤٥٢/٤.

(٤٧٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٧٥) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

التفسير:
في هذه الفرش زوجات قاصرات أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم متعلقات بهم، لم يطأهن إنس قبلهم ولا جان.

قوله تعالى:{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} [الرحمن : ٥٦]، أي:" في هذه الفرش زوجات قاصرات أبصارهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم متعلقات بهم"(٤٧٦).

قال مجاهد:" قَصُر طرفهنّ عن الرجال، فلا ينظرن إلا إلى أزواجهنّ"(٤٧٧).

قال قتادة:" يقول: قُصِر طرفهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم"(٤٧٨).

قوله تعالى:{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]، أي:" لم يطأهن إنس قبلهم ولا جان"(٤٧٩).

عن عامر الشعبي: "{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ}، قال: منذ أُنشِئن"(٤٨٠).

وفي قوله تعالى:{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لم يَمَسَّهنّ شيء إنسٌ ولا غيره. قاله مجاهد(٤٨١).

الثاني : لم يجامعهنّ إنس قبلهم ولا جانّ. قاله عكرمة(٤٨٢)، وعطاء الخراساني(٤٨٣).

قال عطاء:" لم يضاجعهم إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ"(٤٨٤).

عن عكرمة، من طريق مُغيرة- قال: "{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ} لم يُجامعهنّ"(٤٨٥).

قال عكرمة:" لا تقل للمرأة: طامث، فإن الطَّمْث هو الجماع، إن الله يقول: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}"(٤٨٦).

عن عاصم، قال: "قلت لأبي العالية امرأة طامث، قال: ما طامث؟ فقال رجل: حائض، فقال أبو العالية: حائض، أليس يقول الله عزّ وجل: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}"(٤٨٧).

قال مجاهد: «إذا جامع الرجل ولم يسمّ، انطوى الجانّ على إحليله فجامع معه، فذلك قوله: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}»(٤٨٨).

عن أرطاة بن المنذر، قال: "سألت ضَمْرة بن حبيب: هل للجنّ من ثواب؟ قال: نعم، ثم نزع بهذه الآية: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ}، فالإنسيات للإنس، والجنيات للجنّ"(٤٨٩).

ويقرأ :«لَمْ يَطْمُثْهُنَّ»(٤٩٠).

---

(٤٧٦) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٤٧٧) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٣.
(٤٧٨) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٣.
(٤٧٩) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٤٨٠)أخرجه هناد (٢٢).
(٤٨١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(٤٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(٤٨٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣٦):ص١١٤/١.
(٤٨٤)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣٦):ص١١٤/١.
(٤٨٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣١. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٨٦) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(٤٨٧) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣-٦٥.
(٤٨٨) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٣.
(٤٨٩) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٣.
(٤٩٠) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢١.

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧)} [الرحمن : ٥٧]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(٤٩١).

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"(٤٩٢).

القرآن

{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨)} [الرحمن : ٥٨]

التفسير:

كأن هؤلاء الزوجاتِ من الحور الياقوتُ والمَرْجانُ في صفائهن وجمالهن.

عن الحسن، في قوله: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، في بياض المرجان"(٤٩٣).

قال الضحاك:" كالياقوت واللؤلؤ في صفائه"(٤٩٤).

قال السدي:" صفاء الياقوت وحسن المرجان"(٤٩٥).

قال قتادة: "شبه بهنّ صفاء الياقوت في بياض المرجان"(٤٩٦).

عن قتادة: "{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، صفاء الياقوت في بياض المرجان. ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:" مَنْ دَخَلَ الجَنَّة فَلَهُ فِيها زَوْجتَان يُرىَ مُخُّ سُوقِهما مِنْ وَرَاءِ ثِيابِهما"(٤٩٧).

عن عبد الله بن الحارث الهاشميّ:"{كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ} كأنهن اللؤلؤ في الخيط"(٤٩٨).

قال مجاهد:" يُرى مخّ سُوقهنّ مِن وراء الثياب؛ كما يُرى الخيط في الياقوتة"(٤٩٩).

عن عمرو بن ميمون، قال:" إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة، فيرى مخّ ساقها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء"(٥٠٠).

عن إسحاق بن عبد الله، قال: بلَغني: "أنه يقول -يعني: الولي- في الجنة: أشتهي العين. فيُقال له: أفإنهنّ حور عين. فيقول: أشتهي البياض. فيقال: إنهنّ كأنهنّ بيضٌ مكنون. فيقول: أخشى أن يكون في وجهها كَلَف. فيقال له: {كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ والمَرْجانُ}. فيقول: أخشى أن تكون خفيفة. فيقال له: {حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ}. فيقول: إني غيور. فيقال: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ}. قال: قال ابن عباس: تسنيم، وماء التسنيم يشربها المُقرّبون صرفًا، وتُمزج لأصحاب اليمين"(٥٠١).

عن كعب الأحبار، قال: "إنّ المرأة مِن الحور العين لتلبس سبعين حُلّة، لهي أرقُّ مِن شَفّكُم هذا الذي تُسمّونه شَفًّا، وإنّ مُخ ساقها ليُرى من وراء اللحم"(٥٠٢).

---

(٤٩١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٩٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٤٩٣) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٤٩٤)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٠، وهناد (١٨). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٩٥) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣-٦٧.

(٤٩٦) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.

(٤٩٧) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٣.

(٤٩٨)أخرجه ابن أبي شيبة: ١٣/ ١٣٠.

(٤٩٩)أخرجه ابن أبي شيبة: ١٣/ ١٣٠ - ١٣١.

(٥٠٠) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٥٠١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٩٢ - ٣٩٣ (٣٤٧) -.

(٥٠٢) الدر المنثور: ٧/ ٧١٣، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قال ابن مسعود: "إن المرأة من أهل الجنة لتلبس سبعين حلة من حرير، يرى بياض ساقها وحسن ساقها من ورائهنّ، ذلكم بأن الله يقول: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، ألا وإنما الياقوت حجر فلو جعلت فيه سلكا ثم استصفيته، لنظرت إلى السلك من وراء الحجر"(٥٠٣).

عن ابن مسعود عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:" إنَّ المَرأةَ مِنْ أهْل الجَنَّة لَيُرَى بَياضُ ساقها مِنْ وَرَاء سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حرير ومُخُّها، وذلكَ أن اللهَ تَبارَكَ وتَعَالى يَقُولُ: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، أمَّا الياقُوتُ فإنَّهُ لَوْ أدْخَلْتَ فِيهِ سِلْكا ثُمَّ اسْتَصْفَيْتَهُ لرأيْتَهُ مِنْ وَرَائِه"(٥٠٤).

عن محمد بن سيرين، قال : إما تفاخروا وإما تذكروا، الرجال أكثر في الجنة أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضْوَأ كوكب دُرّي في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرَى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب"(٥٠٥).

عن أنس ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لَغَدْوَةٌ في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وَلَقَابُ قوس أحدكم - أو موضع قيده - يعني : سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولطاب ما بينهما، ولنَصِيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"(٥٠٦).

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩)} [الرحمن : ٥٩]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"(٥٠٧).

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"(٥٠٨).

القرآن

{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١)} [الرحمن : ٦٠-٦١]

التفسير:

هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟ فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن : ٦٠]، أي:" هل جزاء مَن أحسن بعمله في الدنيا إلا الإحسان إليه بالجنة في الآخرة؟"(٥٠٩).

وفي قوله تعالى:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن : ٦٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : هل جزاء الطاعة إلا الثواب. وهو معنى قول قتادة(٥١٠).

قال قتادة:" عملوا خيرا فجوزوا خيرا"(٥١١).

---

(٥٠٣) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٥٠٤) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٣.

(٥٠٥)صحيح مسلم برقم (٢٨٣٤)، وصحيح البخاري برقم (٣٢٤٥).

(٥٠٦)المسند (١٤١/٣) وصحيح البخاري برقم (٢٧٩٦).

(٥٠٧) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٠٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٠٩) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٥١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٣.

الثاني : هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلا الجنة. قاله محمد بن المنكدر[٥١٢].

عن أنس بن مالك قال : "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :{هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلا الإِحْسَانُ}، قال : «هل تدرون ما قال ربكم ؟» قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : «يقول هل جزاء ما أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة»"[٥١٣].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قوله:{هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إلا الْإِحْسَانُ}، قال رسول الله :«هل جزاء من أنعمت عليه ممن قال: لا إله إلا الله في الدنيا إلا الجنة في الآخرة"[٥١٤].

عن ميمون بن مهران قال: سمعت ابن عمر وابن عباس يقولان: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلَّا الْإِحْسانُ يقول الله سبحانه: هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي إلّا أن أسكنه جنّتي وحظيرة قدسي برحمتي»[٥١٥].

[٥١٦].

الثالث : هل جزاء التوبة إلا المغفرة ، قاله جعفر بن محمد الصادق[٥١٧].

الرابع : أنها مسجلة للبر والفاجر، للفاجر في دنياه وللبرّ في آخرته. قاله محمد ابن الحنفية[٥١٨]، والحسن[٥١٩].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦١]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٥٢٠].

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٢١].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٢٢].

القرآن

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣)} [الرحمن : ٦٢-٦٣]

التفسير:

ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟

قوله تعالى:{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن : ٦٢]، أي:" ومن دون الجنتين السابقتين جنتان أخريان"[٥٢٣].

عن الحسن:" {ومِن دُونِهما جَنَّتانِ} قال: هما دون {تَجْرِيانِ}"[٥٢٤].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} [الرحمن : ٦٢]، وجهان:

أحدهما : أن الجنتان الأوليان من ذهب وفِضّة، والأخريان من ياقوت. قاله الضحاك[٥٢٥].

---

(٥١١) أخرجه الطبري: ٦٨/٢٣.

(٥١٢) أخرجه الطبري: ٦٨/٢٣.

(٥١٣)معالم التنزيل للبغوي (٤٥٦/٧) وفيه بشر الأصبهاني يروي عن الزبير بن عدي عن أنس بنسخة موضوعة.

(٥١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٤٩):ص٣٣٢٧/١٠.

(٥١٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٩٢/٩.

(٥١٦)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٢٨.

(٥١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥.

(٥١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٦٨.

(٥١٩) انظر: الكشف والبيان: ١٩٢/٩.

(٥٢٠) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٥٢١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٢٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٢٣) التفسير الميسر: ٥٣٣.

(٥٢٤) الدر المنثور: ٧١٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

الثاني : أن الأوليين للسابقين، والأخريين للتابعين، قاله الحسن[٥٢٦].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٣]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٥٢٧].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٢٨].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٢٩].

القرآن
{مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥)} [الرحمن : ٦٤-٦٥]
التفسير:
هاتان الجنتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتى مالت إلى السواد. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن : ٦٤]، أي:" هاتان الجنتان خضراوان، قد اشتدَّت خضرتهما حتى مالت إلى السواد"[٥٣٠].
وفي قوله تعالى:{مُدْهَامَّتَانِ} [الرحمن : ٦٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أي: خضراوان. قاله عطاء بن أبي رباح[٥٣١].
عن عطاء بن أبي رباح، قال: "{مُدْهامَّتان} هما جنتان خَضْراوان"[٥٣٢].
وروي عن عطاء الخراساني: "{مُدْهامَّتان}، قال: " كثرة الشجر وخضرته"[٥٣٣].
الثاني : مسودتان من شدة خضرتهما من الريّ، قاله مجاهد[٥٣٤]، وأبو سنان[٥٣٥]، مأخوذ من: الدهمة، وهي السواد ، ومنه سمي سود الخيل: دهماً[٥٣٦]، قال ذو الرُّمة -وذكر غيثًا-[٥٣٧]:
كَسا الأَكَمَ بُهْمَى غَضَّةٌ حَبَشِيَةٌ ... تُؤَامًا ونُقْعانُ الظُّهورِ الأقارعِ
جعلها حبشية من شدة الخضرة.
قال أبو سنان:" مسوادّتان من الريّ"[٥٣٨].
الثالث : خضراوان من الرّي، قاله سعيد بن جبير[٥٣٩]، وقتادة[٥٤٠]، وعطية[٥٤١]، وأبو صالح[٥٤٢].

---

(٥٢٥)تفسير البغوي ٧/ ٤٥٦.
(٥٢٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٠/٥.
(٥٢٧) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٥٢٨) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٢٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٣٠) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٥٣١)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢، وهناد (٣٩ - ٤٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٥٣٢)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢، وهناد (٣٩ - ٤٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٥٣٣)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٣١):ص١١٣/١.
(٥٣٤) انظر: تفسير مجاهد: ٦٣٩، وتفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٣٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤١/٥،و"تهذيب اللغة" ٦/ ٢٢٤، و"اللسان" ١/ ١٠٢٦ (دهم)
(٥٣٧)البيت في ديوانه ٣٦١، واللسان ١٤١/١٠، والتاج: (قرع) . وفيهما: "قواما". ولعل المراد منه: طوالا مستقيمة. ومن "تؤاما": مجتمعة غير متفرقة. و "البهمى": نبت تَجِدُ به الغنم وجدا شديدا ما دام أخضر. و "النقعان" جمع "نقع" بالفتح: مجتمع الماء. و "الظهور القوارع": الأراضي المرتفعة الشديدة الصلبة. انظر: اللسان ١٩٦/٦ و ١٤١/١٠ و ٢٣٧ و ٣٢٦/١٤ و ٣٣٨ و ٤٠٠/١٥ و ٤٠٧.
(٥٣٨) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.

قال قتادة:" خضراوان من الريّ، ناعمتان"[٥٤٣].
قال قتادة:" خضراوان من الريّ: إذا اشتدت الخضرة ضربت إلى السواد"[٥٤٤].
وقال سعيد بن جبير:" علاهما الريّ من السواد والخضرة"[٥٤٥].
عن حارثة بن سليمان السلميّ، قال: "سمعت ابن الزبَير وهو يفسر هذه الآية على المنبر، وهو يقول: هل تدرون ما {مُدْهَامَّتَانِ}؟ خضراوان من الري"[٥٤٦]..
الرابع: ناعمتان. قاله الحسن[٥٤٧]. وروي عن قتادة نحوه[٥٤٨].
الخامس : ممتلئتان من الخضرة. قاله محمد بن كعب[٥٤٩].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٥]، أي:" فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٥٥٠].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٥١].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٥٢].

القرآن
{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧)} [الرحمن :]
التفسير:
فيهما عينان فوَّارتان بالماء لا تنقطعان. فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قوله تعالى:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} [الرحمن : ٦٦]، أي:" فيهما عينان فوَّارتان بالماء لا تنقطعان"[٥٥٣].
وبماذا هما نضاختان ؟ فيه وجوه :
أحدها : نضاختان بالماء، قاله عكرمة[٥٥٤].
وقال عكرمة:" تَنضَخان بالماء هوامش أنهار الجنة"[٥٥٥].
الثاني : تنضخان بالخير. قاله قتادة[٥٥٦].
وعن الحسن:" بالخير والبركة"[٥٥٧].

---

(٥٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤١) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(٥٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٣.
(٥٤٣) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤٤) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤٥) أخرجه الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤٦) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٣.
(٥٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٣.
(٥٤٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٧.
(٥٥٠) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٥٥١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٥٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٥٣) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٥٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٣.
(٥٥٥)أخرجه هناد في الزهد (٩٧).
(٥٥٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣١٠٣):ص٢٧١/٣.
(٥٥٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤١/٥.

وعن مجاهد:" {نَضّاخَتان}، قال: بكلّ خير"[٥٥٨].
الثالث : بالماء والفاكهة، قاله سعيد بن جبير[٥٥٩].
الرابع : نضاختان بألوان الفاكهة. قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٥٦٠].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك أنهما تنضخان بالماء، لأنه المعروف بالعيون إذ كانت عيون ماء[٥٦١].
قال الضحاك": ممتلئتان لا تنقطعان"[٥٦٢].
عن أنس بن مالك، "{نَضّاخَتان}، قال: بالمِسك والعنبر، تَنضَخان على دُور الجنَّة كما يَنضَخ المطر على دُور أهل الدنيا"[٥٦٣].
قوله تعالى:{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} [الرحمن : ٦٧]، أي:" . فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟"[٥٦٤].
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٦٥].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٦٦].

القرآن
{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨)} [الرحمن : ٦٨]
التفسير:
في هاتين الجنتين أنواع الفواكه ونخل ورمان.
قال سعيد بن جبير:" نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وكرانيفها من زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، ورطبها كالدلاء، أشدّ بياضا من اللبن، وألين من الزبد، وأحلى من العسل، ليس له عَجَم"[٥٦٧].
عن وهب الذماري، قال:" بلغنا أن في الجنة نخلا جذوعها من ذهب، وكرانيفها من ذهب، وجريدها من ذهب وسعفها، كسوة لأهل الجنة، كأحسن حلل رآها الناس قط، وشماريخها من ذهب، وعراجينها من ذهب، وثفاريقها من ذهب، ورطبها أمثال القلال، أشدّ بياضا من اللبن والفضة، وأحلى من العسل والسكر، وألين من الزُّبد والسَّمْن"[٥٦٨].
قال الأعمش:" إنّ في الجنة شجرة لو أنّ غرابًا خرج من عُشّه فطار لمات هَرمًا قبل أن يقطعها"[٥٦٩].
عن عمر بن الخطاب قال :«جاء أناس من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد، أفي الجنة فاكهة ؟ قال : "نعم، فيها فاكهة ونخل ورمان". قالوا : أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا ؟ قال

---

(٥٥٨)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد بلفظ: بالخير.
(٥٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٧٢-٧٣.
(٥٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٧٣.
(٥٦١) تفسير اطبري: ٢٣/٧٣.
(٥٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٧٢.
(٥٦٣)أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٥١٨، وابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٣٥ (٧٠) -. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٥٦٤) التفسير الميسر: ٥٣٣.
(٥٦٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٢.
(٥٦٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٢.
(٥٦٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٧٤.
(٥٦٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٧٤.
(٥٦٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٦٨.

: "نعم وأضعاف". قالوا : فيقضون الحوائج ؟ قال : "لا ولكنهم يعرقون ويرشحون، فيذهب الله ما في بطونهم من أذى"»[٥٧٠].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩)} [الرحمن : ٦٩]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٧١].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٧٢].

القرآن
{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠)} [الرحمن : ٧٠]
التفسير:
في هذه الجنان الأربع زوجات طيبات الأخلاق حسان الوجوه.
اختلف أهل العلم في تفسير الآية على قولين:
أحدهما: أن المراد خيرات كثيرة حسنة في الجنة، قاله قتادة[٥٧٣].
الثاني: أن «خيرات» جمع: خيرة، وهي المرأة الصالحة الحسنة الخُلُق الحسنة الوجه، قاله قتادة-أيضا-[٥٧٤]، وهو قول الجمهور[٥٧٥]. وروي مرفوعا عن أم سلمة[٥٧٦].
قال قتادة:" يقول: في هذه الجنان خيرات الأخلاق، حسان الوجوه"[٥٧٧].
قال قتادة:" خيرات في الأخلاق، حسان في الوجوه"[٥٧٨].
قال عبدالله:" في كل خيمة زوجة"[٥٧٩].
عن مجاهد:" {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسانٌ}، قال: النساء"[٥٨٠].
قال الحسن:" خيِّرات فاضلات"[٥٨١].
قال أبو صالح:" عذارى الجنة"[٥٨٢].
قال إسماعيل بن أبي خالد: "عذارى"[٥٨٣].
قال الأوزاعي:" لَسْنَ بذَرِبات[٥٨٤] اللسان، ولا يغَرْنَ، ولا يؤذين"[٥٨٥].

---

(٥٧٠)رواه عبد بن حميد في "المنتخب" برقم (٣٥) وفيه حصين بن عمر وهو متروك.
(٥٧١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٧٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٥٧٣) حكاه عنه ابن كثير في " التفسير": ٥٠٨/٧.
(٥٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥٧٥)انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.
(٥٧٦)انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥٧٧) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥٧٨) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥٧٩) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.
(٥٨٠) الدر المنثور: ٧١٧/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٥٨١)تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٤.
(٥٨٢)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٣٣٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٥٨٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٦٦.
(٥٨٤)ذَرِبَة: صخّابة، حديدة، سَلِيطة اللسان، فاحِشَة، طويلة اللسان. وذَرَبُ اللسان: حِدَّتُه. لسان العرب (ذرب).

عن أمّ سلمة قالت: "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ}، قال: «خَيْرَاتُ الأخْلاق، حِسانُ الوُجُوهِ»"[٥٨٦].

عن ابن أبي ذئب، عمن سمع أنسا، يقول: إن الحور العين في الجنة ليتغنين , يقلن: نحن الخيرات الحسان حبسنا للأزواج الكرام"[٥٨٧].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين [ص:١٥٠] أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط. إن مما يغنين به: نحن الخيرات الحسان. أزواج قوم كرام. ينظرن بقرة أعيان. وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه. نحن الآمنات فلا يخفنه. نحن المقيمات فلا يظعنه»[٥٨٨].

وقرأ بعضهم : «فيهن خَيّرات»، بالتشديد[٥٨٩].

القرآن

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١)} [الرحمن : ٧١]

التفسير:

فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذّبان؟

قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٥٩٠].

قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٥٩١].

القرآن

{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢)} [الرحمن : ٧٢]

التفسير:

حور مستورات مصونات في الخيام.

عن أبي صالح، في قوله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: عَذارى الجنة"[٥٩٢].

واختلف في تفسير قوله: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ} [الرحمن : ٧٢]، على أقوال:

أحدها : مقصورات الطرف على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلاً، ولا يرفعن طرفاً إلى غيرهم من الرجال ، قاله مجاهد[٥٩٣]، والربيع[٥٩٤].

قال مجاهد:" قُصِر طرفهنّ وأنفسهنّ على أزواجهن"[٥٩٥].

قال مجاهد:" قُصر طرفهنّ على أزواجهنّ فلا يردن غيرهم"[٥٩٦].

قال مجاهد:" قَصَرْن أنفسَهنّ وأبصارهنّ على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم"[٥٩٧].

---

(٥٨٥)أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٣٩).

(٥٨٦) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٣.

(٥٨٧) مصنف ابن أبي شيبة(٣٣٩٨٨):ص٣٢/٧.

(٥٨٨) المعجم الأوسط للطبراني(٤٩١٧):ص١٤٩/٥، والمعجم الصغير(٧٣٤):ص٣٥/٢، وصفة الجنة لأبي نعيم الأصفهاني(٣٢٢):ص١٦٦/٢.، وانظر: انظر صحيح الجامع: (١٥٦١), الصحيحة: (٣٧٤٩).

(٥٨٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.

(٥٩٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٩١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.

(٥٩٢) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.

(٥٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٣.

(٥٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.

(٥٩٥) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٣.

(٥٩٦) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٣.

الثاني : المحبوسات في الحجال، لسْنَ بالطوافات في الطرق، قاله الحسن[٥٩٨]، ومجاهد-أيضا-[٥٩٩]، والضحاك[٦٠٠]، وأبو العالية[٦٠١]، والربيع-أيضا-[٦٠٢]، ومحمد بن كعب[٦٠٣].

قال الحسن:" محبوسات، ليس بطوّافات في الطرق"[٦٠٤].

قال الضحاك:" المحبوسات في الخيام لا يخرجن منها"[٦٠٥].

قال مجاهد:" لا يبرحن الخيام"[٦٠٦].

الثالث : أنهن المسكنات في القصور، قاله الحسن-أيضا-[٦٠٧].

والصواب أن يقال: إن الله تبارك وتعالى وصفهنّ بأنهن مقصورات في الخيام، والقصر: هو الحبس. ولم يخصص وصفهنّ بأنهنّ محبوسات على معنى من المعنيين اللذين ذكرنا دون الآخر، بل عمّ وصفهنّ بذلك. والصواب أن يعمّ الخبر عنهنّ بأنهنّ مقصورات في الخيام على أزواجهنّ، فلا يردن غيرهم، كما عمّ ذلك"[٦٠٨].

عن سعيد بن جُبير، ومجاهد، قالا: "الخيام: درّ مجوّف"[٦٠٩].

قال عمرو بن ميمون:" الخيام: الخيمة: درّة مجوّفة"[٦١٠].

قال الضحاك:" الخيمة درّة مجوفة"[٦١١].

قال عكرمة:" {فِي الخِيامِ} دُرّ مُجَوّف "[٦١٢].

قال الحسن:" الخيام: الدرّ المجوّف"[٦١٣].

قال مجاهد:" خيام اللؤلؤ"[٦١٤].

قال مجاهد:" الخيام: اللؤلؤ والفضة، كما يقال والله أعلم"[٦١٥].

عن محمد بن كعب والربيع، في قوله: {فِي الخِيامِ}، قالا: "في الحجال"[٦١٦].

عن أبي الأحوص، قال، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أتدرون ما حور مقصورات في الخيام؟ الخيام: درّ مجوّف"[٦١٧].

عن أبي الأحوص في قوله: "{حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: درّ مجوّف"[٦١٨].

---

(٥٩٧) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٣.
(٥٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٥٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠١) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.
(٦٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٣.
(٦٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٤) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٥) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٦) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٢/٥.
(٦٠٨) تفسير الطبري: ٧٨/٢٣.
(٦٠٩) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٦١٠) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦١١) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦١٢)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٥.
(٦١٣) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٣.
(٦١٤) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦١٥) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦١٦) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦١٧) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.

قال أبو الأحوص:" الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب"[٦١٩].
عن خليد العصريّ، قال: "لقد ذكر لي أن الخيمة لؤلؤة مجوّفة، لها سبعون مِصْراعا، كلّ ذلك من درّ"[٦٢٠].
عن خُلَيْد العَصَري، عن أبي الدرداء قال : "الخيمة لؤلؤة واحدة، فيها سبعون بابا من در[٦٢١].
قال قتادة:" ذُكر لنا أن ابن عباس كان يقول: الخيمة: درّة مجوّفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة الآف باب من ذهب"[٦٢٢].
وقال: قتادة: "كان يقال: مسكن المؤمن في الجنة، يسير الراكب الجواد فيه ثلاث ليال، وأنهاره وجنانه وما أعدّ الله له من الكرامة"[٦٢٣].
عن أبي مجلز" أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال في قول الله: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}، قال: «درّ مُجَوَّفٌ»"[٦٢٤].
عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهلٌ ما يَرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون"[٦٢٥].
وفي رواية مسلم: "إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضا"[٦٢٦].
عن أسماء بنت يزيد الأشهلية:" أنها أتت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عَزَّ وَجَلَّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلاهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم. وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ وإن الرجل إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا، حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفما نشارككم في هذا الأجر والخير؟ ! فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أصحابه بوجهه كله، ثم قال: " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه؟ " فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا. فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها فقال: " افهمي أيتها المرأة، وأعلمي من خلفك من النساء، أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله ". فانصرفت المرأة وهي تهلل"[٦٢٧].
عن عبد الله قال : "إن لكل مسلم خَيرة، ولكل خَيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك، لا مَرّاحات ولا طمّاحات، ولا بخرات ولا ذفرات، حور عين، كأنهن بيض مكنون"[٦٢٨].

---

(٦١٨) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٦١٩) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٦٢٠) أخرجه الطبري: ٨٠/٢٣.
(٦٢١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.
(٦٢٢) أخرجه الطبري: ٨١/٢٣.
(٦٢٣) تفسير الطبري: ٨١/٢٣.
(٦٢٤) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٣.
(٦٢٥)صحيح البخاري برقم (٤٨٧٩)، (٣٢٤٣).
(٦٢٦)صحيح مسلم برقم (٢٨٣٨).
(٦٢٧)ذكر هذا الحديث ابن الأثير في أسد الغابة ٧/ ١٧ في ترجمة أسماء بنت يزيد الأشهلية.
(٦٢٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٧.

عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : "أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت، كما بين الجابية وصنعاء"[٦٢٩].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣)} [الرحمن : ٧٣]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٦٣٠].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٦٣١].

القرآن
{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٤)} [الرحمن : ٧٤]
التفسير:
لم يطأ هؤلاء الحور إنس قبل أزواجهن ولا جان.
قال عامر الشعبي:" {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولا جانٌّ} منذ أُنشِئن"[٦٣٢].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥)} [الرحمن : ٧٥]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٦٣٣].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٦٣٤].

القرآن
{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)} [الرحمن : ٧٦]
التفسير:
متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر وفرش بديعة فائقة الصنع في غاية الحسن.
قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} [الرحمن : ٧٦]، أي:" متكئين على وسائد ذوات أغطية خضر"[٦٣٥].
اختف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} [الرحمن : ٧٦]، على وجوه:
أحدها: أن الرفرف فضول المحابس والبسط، قاله مروان[٦٣٦]، وآخرون.

---

(٦٢٩)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٢) وقال : "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين". ولم يتفرد به رشدين بل تابعه ابن وهب كما هنا، وفي إسناده دراج يروي عن أبي الهيثم مناكير.
(٦٣٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٣١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٣٢)أخرجه هناد (٢٢).
(٦٣٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٣٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٣٥) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٦٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢٣.

عن سلمة بن كُهيل الحضرميّ، عن رجل يقال له غزوان، {رَفْرَفٍ خُضْرٍ}، قال: "فضول المحابس"[٦٣٧].

عن عنترة، عن أبيه، قال: "فضول الفُرُش والمحابس"[٦٣٨].

قال عطاء الخراساني:" الرّفرف: فُضول الفُرُش والمحابس[٦٣٩].

قال الحسن:" هي البسط، أهل المدينة يقولون: هي البسط"[٦٤٠].

قال قتادة:" الرفرف الخضر: المحابس"[٦٤١]. وقال:" محابس خضر"[٦٤٢].

قال الضحاك:" هي المحابس"[٦٤٣].

قال ابن زيد:" الرفرف: المحابس"[٦٤٤].

عن محمد بن جُحادَةَ، في قول الله: "{مُتَّكِئِينَ عَلى رَفارَفٍ خُضْرٍ}، قال: مجالس"[٦٤٥].

وقال مجاهد:" فُضول الفُرش"[٦٤٦].

الثاني : أنها الوسائد ، قاله الحسن[٦٤٧]، وعاصم الجحدري[٦٤٨].

قال الحسن:" الرفرف: مرافق خُضْر"[٦٤٩].

الثالث: رياض الجنة ، قاله سعيد بن جبير[٦٥٠].

قال سعيد بن جبير:" الرّفرف: رياض الجنة، {خضر} مُخضبة"[٦٥١].

قوله تعالى:{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن : ٧٦]، أي:" وفرش بديعة فائقة الصنع في غاية الحسن"[٦٥٢].

وفي قوله تعالى:{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن : ٧٦]، قولان:

أحدهما: أنها الزَّرابيّ، قاله سعيد بن جبير[٦٥٣]، وقتادة[٦٥٤]، والضحاك[٦٥٥]، والسدي[٦٥٦].

وعن الحسن:" أنها الطنافس المخملية"[٦٥٧].

قال أبو العالية:" هي الطّنافس المُخْملة إلى الرّقة[٦٥٨].

---

(٦٣٧) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٣٨) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٣٩)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٤.

(٦٤٠) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤١) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤٢) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤٣) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤٤) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤٥)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٢١.

(٦٤٦) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٧، وهناد (٨٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٤٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.

(٦٤٩) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٣.

(٦٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/٢٣.

(٦٥١)أخرجه ابن حجر في تغليق التعليق ٤/ ٦٣ بسنده إلى أبي نعيم عن سعيد بن جبير من طريق أبي بشر بلفظ: الرفرف: رياض الجنة، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٨.

(٦٥٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٦٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٦٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.

(٦٥٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.

(٦٥٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.

(٦٥٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٥.

وقال سعيد بن جبير : "هي عتاق الزرابي"[٦٥٩]. يعني : كرام الوسائد وجيادها.
وسئل الحسن البصري عن قوله :{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} فقال : "هي بسط أهل الجنة - لا أبا لكم – فاطلبوها"[٦٦٠].
عن محمد بن جُحادَةَ، في قول الله: "(وعَباقِرِيَّ حِسانٍ)، قال: طنافس. وكان يقرأها: (وعَباقِرِيَّ)"[٦٦١].
الثاني: أنه الدِّيباج الغليظ، قاله مجاهد[٦٦٢].

القرآن
{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧)} [الرحمن : ٧٧]
التفسير:
فبأي نِعَم ربكما -أيها الثقلان- تكذِّبان؟
قال قتادة:" يقول للجنّ والإنس: بأيّ نِعم الله تكذّبان"[٦٦٣].
قال الحسن:" فبأيّ نعمة ربكما تكذّبان"[٦٦٤].

القرآن
{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)} [الرحمن : ٧٨]
التفسير:
تكاثرت بركة اسم ربك وكثر خيره، ذي الجلال الباهر، والمجد الكامل، والإكرام لأوليائه.
عن الحسن في قوله:{ وَالْإِكْرَامِ}، قال:" الذي يكرم أهل دينه وولايته"[٦٦٥].
وفي الحديث الآخر : "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وذي السلطان، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه"[٦٦٦].
عن ربيعة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٦٦٧].

---

(٦٥٨)تفسير الثعلبي ٩/ ١٩٧، وتفسير البغوي ٧/ ٤٥٩.
(٦٥٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧.
(٦٦٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٧-٥١٠.
(٦٦١)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٤٢١.
(٦٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٣.
(٦٦٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٦٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٣.
(٦٦٥) التفسير البسيط للواحدي: ١٦٠/٢١.
(٦٦٦)رواه أبو داود في السنن برقم (٤٨٤٣) والبيهقي في السنن الكبرى (١٦٣/٨) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٦٦٧)المسند(١٧٥٩٦):ص١٣٨/٢٩، وأخرجه البخاري في "التاريخ الكبير" ٢٨٠/٣، والنسائي في "الكبرى" (٧٧١٦) و (١١٥٦٣) ، والطبراني في "الكبير" (٤٥٩٤) ، وفي "الدعاء" (٩٢) ، والحاكم ٤٩٨/١-٤٩٩، والبيهقي في "الدعوات" (١٩٦) ، والقضاعي في "مسنده" (٦٩٣) ، والمزي في ترجمة ربيعة من "التهذيب" ١٢٠/٩ من طرق عن عبد الله بن المبارك، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
وفي الباب عن أنس عند الترمذي (٣٥٢٤) و (٣٥٢٥) ، والطبراني في "الدعاء" (٩٣) و (٩٤) .
ومن حديث أبي هريرة عند الحاكم ٤٩٩/١.
قوله: "ألظوا" قال السندي: بفتح الهمزة وكسر اللام وتشديد الظاء المنقوطة، أي: الزموا ذلك.

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٦٦٨].

عن ثوبان، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، ثم قال: «اللهم، أنت السلام، ومنك السلام، تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام»[٦٦٩].

قرأ جمهور الناس: «ذي الجلال» على اتباع "الرب". وقرأ ابن عامر وأهل الشام. «ذو» على اتباع الاسم، وكذلك في الأول، وفي حرف أبيّ وابن مسعود، «ذي الجلال» في الموضعين، وهذا الموضع مما أريد فيه بالاسم مسماه[٦٧٠].

«آخر تفسير سورة (الرحمن)، والحمد لله وحده»

---

(٦٦٨)مسند أبي يعلى (٤٤٥/٦) وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٢):ص٤٢٦/٥، وقال:" هذا حديث غريب وليس بمحفوظ. وإنما يروى هذا عن حماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن البصري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا أصح. ومؤمل غلط فيه فقال: عن حميد، عن أنس، ولا يتابع فيه".

(٦٦٩)أخرجه مسلم(٥٩١):ص ١/ ٤١٤.

(٦٧٠) انظر: المحرر الوجيز: ٢٣٧/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الواقعة»

«سورة الواقعة»: هي السورة السادسة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة السادسة والأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة طه»، وقبل «سورة الشعراء». آياتها تسع وتسعون في عد الحجاز والشام، وسبع في البصرة، وست في الكوفة. وكلماتها ثلاثمائة وثمان وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة وثلاث. المختلف فيها أربع عشرة آية: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، {إِنْشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، {وَكَانُوا يَقُولُونَ} [الواقعة : ٤٧]، {وَأَبَارِيقَ } [الواقعة : ١٨]، {مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، {وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، {تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٥]، {وَالْآخِرِينَ} [الواقعة : ٤٩]، {لَمَجْمُوعُونَ } [الواقعة : ٥٠]، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ} [الواقعة : ٨٩]. مجموع فواصل آياتها: «لا بد منه»، على الباء منها آية واحدة: {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١][٦٧١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية كلها. قالته، وابن عباس[٦٧٢]، وابن الزبير[٦٧٣]، والحسن[٦٧٤]، وعطاء[٦٧٥]، وعكرمة[٦٧٦]، وقتادة[٦٧٧]، وجابر[٦٧٨]، ومقاتل[٦٧٩]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٦٨٠].

الثاني : أنها مكية إلا آية، نزلت في مدنيّة، وهي قوله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة : ٨٢]. حكي ذلك عن ابن عبس[٦٨١].

الثالث: أنها مدنيّة، رواه عطيّة عن ابن عباس[٦٨٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع ممن يعتد بقوله من المفسرين. وقيل إن فيها آيات مدنية، أو مما نزل في السفر، وهذا كله غير ثابت"[٦٨٣].

---

(٦٧١) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٠.

(٦٧٢) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٦٧٣) الدر المنثور: ٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٦٧٤) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦٧٥) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦٧٦) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦٧٧) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦٧٨) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤. حكاه بدون إسناد.

(٦٧٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢١٣/٤.

(٦٨٠) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٦٨١) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٦٨٢) انظر: زاد المسير: ٢١٨/٤.

(٦٨٣) المحرر الوجيز: ٢٣٨/٥.

القرآن

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣)} [الواقعة : ١-٣]

التفسير:

إذا قامت القيامة، ليس لقيامها أحد يكذِّب به، هي خافضة لأعداء الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة.

قوله تعالى:{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الواقعة : ١]، أي:" إذا قامت القيامة"[٦٨٤].

وفي قوله تعالى:{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الواقعة : ١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: الصيحة، قاله الضحاك[٦٨٥].

الثاني : الساعة وقعت بحق فلم تكذب، قاله السدي[٦٨٦].

الثالث : أنها القيامة، قاله الحسن[٦٨٧].

والواقعة : من أسماء يوم القيامة، سميت بذلك لتحقق كونها ووجودها، كما قال :{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الحاقة : ١٥][٦٨٨].

قوله تعالى:{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة : ٢]، أي:" ليس لقيامها أحد يكذِّب به"[٦٨٩].

وفي قوله تعالى:{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} [الواقعة : ٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليس لها مثنوية، ولا رجعة، ولا ارتداد. قاله قتادة[٦٩٠].

عن قتادة:" {إذا وقعت الواقعة} [الواقعة: ١] قال: " نزلت ليس لوقعتها كاذبة ، قال: مثنوية "[٦٩١].

وحكي الماوردي عن قتادة: "لا رجعة فيها ولا مشورة"[٦٩٢].

الثاني : معناه: لا بد أن تكون. قاله محمد بن كعب[٦٩٣].

قوله تعالى:{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة : ٣]، أي:" هي خافضة لأعداء الله في النار، رافعة لأوليائه في الجنة"[٦٩٤].

وفي قوله تعالى:{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ} [الواقعة : ٣]، وجوه:

أحدها : تخفض رجالاً كانوا في الدنيا مرتفعين، وترفع رجالاً كانوا في الدنيا مخفوضين، قاله الحسن[٦٩٥]، وقتادة[٦٩٦]، ومحمد بن كعب[٦٩٧].

وقال السُّدِّيّ : "خفضت المتكبرين، ورفعت المتواضعين"[٦٩٨].

قال زيد بن أسلم:" نِ انخفض يومئذٍ لم يرتفع أبدًا، ومَن ارتفع يومئذٍ لم ينخفض أبدًا"[٦٩٩].

---

(٦٨٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٦٨٥) تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(٦٨٦) انظر: النكت والعيون: ٤٤٥/٥.

(٦٨٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٥/٥.

(٦٨٨) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٧.

(٦٨٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٦٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٣.

(٦٩١) تفسير عبدالرزاق(٣١١٦):ص٢٧٥/٣.

(٦٩٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.

(٦٩٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٣/٧.

(٦٩٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٦٩٥) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.

(٦٩٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.

(٦٩٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٥١٤/٧.

(٦٩٨) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ٥١٤/٧.

(٦٩٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٧٧.

الثاني : أن الساعة خفضت أعداء الله إلى النار، ورفعت أولياء الله إلى الجنة، به قال عثمان بن عبدالله بن سراقة[٧٠٠].
الثالث : خفضت الصوت فأسمعت الأدنى، ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان القريب والبعيد من الله سواء. قاله قتادة[٧٠١]، والضحاك[٧٠٢]، وعكرمة[٧٠٣].
قال الضحاك:" خفضت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى، فكان فيها القريب والبعيد سواء"[٧٠٤].
الرابع : تخللت كلّ سهل وجبل، حتى أسمعت القريب والبعيد، ثم رفعت أقواما في كرامة الله، وخفضت أقواما في عذاب الله. قاله قتادة[٧٠٥].

القرآن
{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦)} [الواقعة : ٤-٦]
التفسير:
إذا حُرِّكت الأرض تحريكًا شديدًا، وفُتِّتت الجبال تفتيتًا دقيقًا، فصارت غبارًا متطايرًا في الجو قد ذرَتْه الريح.
قوله تعالى:{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة : ٤]، أي:" إذا حُرِّكت الأرض تحريكًا شديدًا"[٧٠٦].
وفي قوله تعالى:{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا} [الواقعة : ٤]، وجهان من التفسير:
أحدهما : رجفت وزلزلت ، قاله مجاهد[٧٠٧]، وقتادة[٧٠٨]، ومنه قول رؤبة بن العجاج[٧٠٩]:
أَليسَ يَوْمٌ سُمِّيَ الخُرُوجا. . . أعْظَمَ يَوْمٍ رَجَّةً رَجُوجا؟
قال قتادة:" يقول: زلزلت زلزلة"[٧١٠].
الثاني : أنها ترج بما فيها كما يرج الغربال بما فيه ، قاله الربيع بن أنس[٧١١].
فيكون تفسيرها على القول الأول: أنها ترج بإماتة ما على ظهرها من الأحياء ، وتفسيرها على القول الثاني: أنها ترج لإخراج من في بطنها من الموتى[٧١٢]، وأصل «الرجّ» -في اللغة-: "التحريك. يقال: رججته فارتجّ فارتضى عنقه، ورجرجته فترجرج[٧١٣].
قوله تعالى:{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} [الواقعة : ٥]، أي:" وفُتِّتت الجبال تفتيتًا دقيقًا"[٧١٤].
وفي قوله تعالى:{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا} [الواقعة : ٥]، وجوه من التفسير:
أحدها: يعنى: فتتت الجبال فتا. قاله مجاهد[٧١٥]، وعكرمة[٧١٦].

---

(٧٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠١) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٤) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٦) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٧٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٤٠.
(٧٠٨) انظر: تفسير اطبري: ٩١/٢٣.
(٧٠٩) ديوانه: ١١، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢٢٣/٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٥٠/٥، والنكت والعيون: ٣٥٨/٥، ٤٤٦.
(٧١٠) أخرجه الطبري: ٩١/٢٣.
(٧١١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٧١٢) النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٧١٣) انظر: "اللسان" ١/ ١١٢٥ (رَجج)، والكشف والبيان: ٢٠٠/٩.
(٧١٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.

الثاني : نسفت نسفا. قاله قتادة[٧١٧].
الثالث : سالت سيلاً ، حكاه الماوردي عن مجاهد[٧١٨].
الرابع : هدت هداً، حكاه الماوردي عن عكرمة[٧١٩].
الخامس : قطعت قطعاً ، حكاه الماوردي عن الحسن[٧٢٠].
السادس : سيرت سيرا، حكاه الماوردي عن محمد بن كعب[٧٢١]، ومنه قول الأغلب العجلي[٧٢٢]:
نحن بسسنا بأثر أطاراً ... أضاء خمساً ثمت سارا
السابع : إنها بست كما يبس السويق، أي: بلت، والبسيسة هي: الدقيق يلت ويتخذ زاداً، قاله مجاهد أيضا-[٧٢٣]، وإسماعيل السدي[٧٢٤]، وأبو صالح[٧٢٥]، ومنه قول لص من غطفان[٧٢٦]:
لا تَخْبِزَا خَبْزًا وبُسَّا بَسَّا ... مَلْسا بِذَوْدِ الحَلْسِ مَلْسا
أي: أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن الخبز فبلّ الدقيق فأكله عجينا[٧٢٧].
عن مجاهد، قوله: "{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا}، قال: كما يبس السويق"[٧٢٨].
قوله تعالى:{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة : ٦]، أي:" فصارت الجبال غبارًا متطايرًا في الجو قد ذرَته الريح"[٧٢٩].
وفي قوله تعالى:{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا} [الواقعة : ٦]، وجهان من التفسير:
أحدهما :أنه ما يبس من ورق الشجر تذروه الريح، قاله قتادة[٧٣٠].
قال قتادة:" كيبيس الشجر، تذروه الرياح يمينا وشمالا"[٧٣١].
قال قتادة:" الهباء: ما تذروه الريح من حطام الشجر"[٧٣٢].
قال عطاء الخراساني:" ما تذروه الريح وتَبُثُّه[٧٣٣].

---

(٧١٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.
(٧١٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.
(٧١٧) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣١٢١):ص٢٧٦/٣
(٧١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٧١٩) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٧٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٥.
(٧٢١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٧٢٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٦/٥.
(٧٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٢/٢٣.
(٧٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٢٦) انظر: والصحاح واللسان (بسس)، و"معاني القرآن" للزجاج ٥/ ١٠٨، و"تفسير الطبري: ٩١/٢٣، وتفسير القرطبي: ١٧/ ١٩٦، وفي تمامه اختلاف. وذكره الأزهري عن الأصمعي حيث قال: وسمعت العرب تنشد .. ، انظر: "تهذيب اللغة" ١٢/ ٣١٦ (بس)، وفى المخصص (٧: ١٢٧) :
ملسا يذوذ الحدسى ملسا.
والبيت فى تفسير القرطبي (١٧/ ١٩٦) :
ولا تطيلا بمناخ حبسا [.....]
(٧٢٧) انظر: مجاز القرآن أبي عبيدة: ٢٤٨/٢.
(٧٢٨) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٣.
(٧٢٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٧٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٩٤/٢٣.
(٧٣١) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(٧٣٢) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(٧٣٣)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٠ .

الثاني: أنها شعاع الشمس الذي دخل من الكوة كهيئة الغبار، قاله سعيد بن جبير[٧٣٤]، ومجاهد[٧٣٥].
قال سعيد بن جبير:" شعاع الشمس حين يدخل من الكوّة"[٧٣٦].
قال مجاهد:" شعاع الشمس يدخل من الكوّة، وليس بشيء"[٧٣٧].
قال أبو مالك:" الغبار الذي يخرج مِن الكَوّة مع شعاع الشمس"[٧٣٨].
قال الحسن:" هو الذي تراه في الشمس إذا دخَلْتْ من الكَوّة إلى البيت"[٧٣٩].
قال الحسن:" غُبارًا ذا هباء"[٧٤٠].
الثالث: هَرَج الدّواب الذي يحرّك الغبار، قاله السدي[٧٤١].
قال السدي:" هذا الهَرَج، هَرَج الدّواب الذي يحرّك الغبار"[٧٤٢].
الرابع : أن " الهباء: ما تطاير مِن شَرر النار". قاله عطية بن سعد العَوفيّ[٧٤٣] .

القرآن
{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧)} [الواقعة : ٧]
التفسير:
وكنتم -أيها الخلق- أصنافًا ثلاثة:
عن قتادة: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً}، قال: منازل الناس يوم القيامة"[٧٤٤].
قال مجاهد:" يعني : فرقا ثلاثة"[٧٤٥].
وقال ميمون بن مِهْران : "أفواجا ثلاثة"[٧٤٦] [٧٤٧].

القرآن
{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩)} [الواقعة : ٨-٩]
التفسير:

---

(٧٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٣٦) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٣٧) أخرجه الطبري: ٩٣/٢٣.
(٧٣٨) الدر المنثور: ٥/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٧٣٩) الدر المنثور: ٥/٨ ، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٧٤٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٣٦ -.
(٧٤١) الدر المنثور: ٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧٤٢) الدر المنثور: ٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧٤٣)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١.
(٧٤٤) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٣.
(٧٤٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٧٤٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧.
(٧٤٧) قال ابن كثير:" أي : ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين. قال السُّدِّيّ : وهم جمهور أهل الجنة. وآخرون عن يسار العرش، وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر، ويؤتون كتبهم بشمائلهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار - عياذًا بالله من صنيعهم - وطائفة سابقون بين يديه وهم أخص وأحظى وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ؛ ولهذا قال :{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ. وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت احتضارهم، وهكذا ذكرهم في قوله تعالى :{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} الآية [فاطر : ٣٢]، وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه ". [تفسير ابن كثير: ٥١٥/٧].

فأصحاب اليمين، أهل المنزلة العالية، ما أعظم مكانتهم!! وأصحاب الشمال، أهل المنزلة الدنيئة، ما أسوأ حالهم!!

قوله تعالى:{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، أي:" فأصحاب اليمين، أهل المنزلة العالية، ما أعظم مكانتهم!!"(٧٤٨).

عن قتادة، قوله: "{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}، أي: ماذا لهم، وماذا أعد لهم"(٧٤٩).

وفي قوله تعالى:{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} [الواقعة : ٨]، وجوه:

أحدها : أن أصحاب الميمنة الذين أخذوا من شق آدم الأيمن ، وأصحاب المشأمة الذين أخذوا من شق آدم الأيسر ، قاله زيد بن أسلم(٧٥٠).

الثاني : أن أصحاب الميمنة من أوتي كتابه بيمينه ، وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بيساره ، قاله عطاء(٧٥١)، ومحمد بن كعب(٧٥٢).

عن الضحاك:" {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} هم الذين يُعطون كتبهم بأيمانهم"(٧٥٣).

الثالث : أن أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم ، وأصحاب المشأمة المشائيم على أنفسهم ، قاله الحسن(٧٥٤)، والربيع(٧٥٥).

عن الحسن، و والربيع بن أنس: "{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ} هم الذين كانوا ميامين مُباركين على أنفسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله - عز وجل -، وهم التابعون بإحسان"(٧٥٦).

الرابع : أن أصحاب الميمنة أهل الجنة ، وأصحاب المشأمة أهل النار ، قاله السدي(٧٥٧).

عن أنس بن مالك، قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل صلى الله عليه وسلم، ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا، فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي، فعرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل: لخازن السماء افتح، قال: من هذا؟ قال هذا جبريل، قال: هل معك أحد؟ قال: نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: أرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول: ففتح، - قال أنس: فذكر أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة، قال أنس - فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس قال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال: هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت:

---

(٧٤٨) التفسير الميسر: ٥٣٤.
(٧٤٩) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.
(٧٥٠) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٧٥١)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٧٥٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٧٥٣)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١، وتفسير البغوي ٨/ ٨.
(٧٥٤) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥، وتفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٧٥٥)تفسير القرطبي: ١٩٨/١٧.
(٧٥٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠١، وتفسير البغوي ٨/ ٨.
(٧٥٧) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.

من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم، فقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وسلم "، قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم، أن ابن عباس، وأبا حبة الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»، قال ابن حزم، وأنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ففرض الله عز وجل على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربك، فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى، فقال: راجع ربك، فقلت: استحييت من ربي، ثم انطلق بي، حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك"»[٧٥٨].

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ} [الواقعة : ٩]، أي:" وأصحاب الشمال، أهل المنزلة الدنيئة، ما أسوأ حالهم!!"[٧٥٩].

عن قتادة، قوله: "{وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}، أي: ماذا لهم وماذا أعد لهم"[٧٦٠].

عن الضحاك:"{وأَصْحابُ المَشْأَمَةِ ما أَصْحابُ المَشْأَمَةِ} هم الذين يُؤتون كتبهم بشمالهم"[٧٦١].

قال الحسن:" هم المشائيم على أنفسهم، وكانت أعمارُهم في المعاصي"[٧٦٢].

عن الحسن، عن معاذ بن جبل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة: ٢٧] ، {وَأَصْحَابُ الشِّمَال} [الواقعة: ٤١]- فقبض بيديه قبضتين فقال: «هذه في الجنة ولا أبالي وهذه في النار ولا أبالي»"[٧٦٣].

القرآن

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢)} [الواقعة : ١٠-١٢]

التفسير:

والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة، أولئك هم المقربون عند الله، يُدْخلهم ربهم في جنات النعيم.

قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة :]، أي:" والسابقون إلى الخيرات في الدنيا هم السابقون إلى الدرجات في الآخرة"[٧٦٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة :]، وجوه:

أحدها : أنهم الأنبياء، قاله محمد بن كعب[٧٦٥].

الثاني : أنهم السابقون إلى الإيمان من كل أمة ، قاله الحسن[٧٦٦]، وقتادة[٧٦٧].

---

(٧٥٨) صحيح البخاري(٣٤٩):ص٧٨/١.

(٧٥٩) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٧٦٠) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.

(٧٦١)تفسير البغوي ٨/ ٨.

(٧٦٢)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وتفسير البغوي ٨/ ٨.

(٧٦٣)المسند (٢٢٠٧٧):ص٣٩٥/٣٦، والحسن لم يسمع من معاذ.

(٧٦٤) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٧٦٥) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٥.

(٧٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢٣.

(٧٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٦/٢٣.

عن قتادة، قوله: "{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}، أي: من كل أمة"[٧٦٨].

وقال الربيع بن أنس:" السابقون إلى إجابة الرسول في الدنيا، وهم السابقون إلى الجنة في العقبى"[٧٦٩].

عن الحسن، في قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} . . . إلى {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم سوى بين أصحاب اليمين من الأمم السابقة، وبين أصحاب اليمين من هذه الأمة، وكان السابقون من الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة"[٧٧٠].

وعن الحسن البصري -من طريق عبد الله بن بكر- يقول: {والسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ}، قال:" وأمّا المُقرّبون فقد مَضوا هنيئًا لهم، ولكن اللهم اجعلنا مِن أصحاب اليمين. قال: وأتى على هذه الآية {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} [النبأ: ٢١]، قال: ألا على الباب رَصد؛ فمَن جاء بجواز جاز، ومَن لم يجئ بجواز حُبس"[٧٧١].

قال الزمخشري:" {وَالسَّابِقُونَ}: المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عز وجل"[٧٧٢].

الثالث : أنهم الذين صلوا إلى القبلتين، قاله ابن سيرين[٧٧٣].

الرابع : هم أول الناس رواحاً إلى المساجد وأسرعهم خفوقاً في سبيل الله ، قاله عثمان بن أبي سودة[٧٧٤].

عثمان بن أبي سَوَدة مولى عبادة بن الصامت -من طريق أبي عمرو- قال: "بلغنا في هذه الآية: {والسّابِقُونَ السّابِقُونَ} أنهم السابقون إلى المساجد والخروج في سبيل الله"[٧٧٥].

الخامس : أنهم السابقون إلى الجهاد. قاله الضحاك[٧٧٦].

السادس : أنهم السابقون إلى التوبة وأعمال البر، قال الله تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَ} [آل عمران : ١٣٣]. وهذا قول سعيد بن جبير[٧٧٧].

عن عبد الله بن شُمَيط، قال: سمعت أبي يقول: "الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حَداثة سِنّه ثم داوم عليه حتى خرج عن الدنيا فهذا السابق المقرب، ورجل ابتكر عمره بالذنوب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة حتى ختم له بهذا فهو من أصحاب اليمين، ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى حتى ختم له بهذا فهذا من أصحاب الشمال"[٧٧٨].

السابع: أنهم أهل القرآن، وهم المتوَّجُون يوم القيامة. قاله كعب الأحبار[٧٧٩].

الثامن: أن السابقين: أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأصحاب الأنبياء. قاله الحسن[٧٨٠].

---

(٧٦٨) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.

(٧٦٩)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وتفسير البغوي ٨/ ٩.

(٧٧٠) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٣.

(٧٧١)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٨٧٤):ص ٣/ ١٥٥ - ١٥٦.

(٧٧٢) الكشاف: ٤٥٧/٤.

(٧٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٣.

(٧٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٣.

(٧٧٥) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٠/ ٢٥٥ (١٩٦٨٥). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. كما أخرج نحوه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد ص ٢٦٣، وفيه: عن عثمان بن أبي مرة، وربما كان تصحيفًا.

(٧٧٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

(٧٧٧) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٩٩/١٧.

(٧٧٨)أخرجه الثعلبي ٩/ ٢٠٢.

(٧٧٩)أخرجه الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٧٧ مختصرًا. وينظر: تفسير البغوي ٨/ ٩.

(٧٨٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٣٧ -.

عن آدم بن عبد الله الخَثْعميّ، قال: "سألتُ زيد بن علي عن قول الله - عز وجل -: {والسابقون السابقون أولئك المقربون} مَن هؤلاء؟ قال: أبو بكر، وعمر. ثم قال: لا أنالني اللهُ شفاعة جدّي إن لم أُوالِهما"[٧٨١].

التاسع: أنهم السابقون "إلى كلّ خير" . قاله محمد بن كعب القُرَظيّ[٧٨٢].

وهذه الأقوال كلها صحيحة، فإن المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، كما قال تعالى :{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ} [آل عمران : ١٣٣]، وقال :{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْض} [الحديد : ٢٢]، فمن سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان ؛ ولهذا قال تعالى :{أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[٧٨٣].

عن عبد الله بن عمرو قال :" قالت الملائكة : يا رب، جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون، فاجعل لنا الآخرة. فقال : لا أفعل. فراجعوا ثلاثا، فقال : لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له : كن، فكان. ثم قرأ عبد الله :{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}"[٧٨٤].

عن عثمان بن عبد الله بن سُراقة، قوله: "{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً}، قال: اثنان في الجنة وواحد في النار، يقول: الحور العين للسابقين، والعُرُب الأتراب"[٧٨٥].

عن عائشة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال : «أتدرون من السابقون إلى ظل الله عز وجل يوم القيامة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم»[٧٨٦].

عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «السابقون يوم القيامة أربعة: فأنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصُهيب سابق الروم»[٧٨٧].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ(١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الواقعة : ١١-١٢]، أي:" أولئك هم المقربون عند الله، يُدْخلهم ربهم في جنات النعيم"[٧٨٨].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٧٨٩].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٧٩٠].

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم

---

(٧٨١)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٩/ ٤٦١.

(٧٨٢)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٢، وتفسير البغوي ٨/ ٩.

(٧٨٣) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٧.

(٧٨٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٧/٧. قال ابن كثير:« وقد روى هذا الأثر الإمام عثمان (٢) بن سعيد الدارمي في كتابه : "الرد على الجهمية"، ولفظه : فقال الله عز وجل : "لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي، كمن قلت له : كن فكان"».

وقد رواه عثمان بن سعيد الدارمي فرفعه كما في البداية والنهاية (٥٥/١) لابن كثير، وقال : "وهو أصح" وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٨/١) وقال : "هذا حديث لا يصح".

(٧٨٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٩٥-٩٦.

(٧٨٦) المسند(٢٤٣٧٩):ص٤٤٠/٤٠.

(٧٨٧) الدر المنثور: ٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد مرسلًا.

(٧٨٨) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٧٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٧٩٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٧٩١].

القرآن

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦)} [الواقعة : ١٣-١٦]

التفسير:

يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى، وقليل من آخر هذه الأمة على سرر منسوجة بالذهب، متكئين عليها يقابل بعضهم بعضًا.

قوله تعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الواقعة : ١٣]، أي:" يدخلها جماعة كثيرة من صدر هذه الأمة، وغيرهم من الأمم الأخرى"[٧٩٢].

وفي معنى قوله تعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الواقعة : ١٣]، وجوه:

أحدها : يعني: أمة. قاله مجاهد[٧٩٣].

عن مجاهد: "{ثلة من الأولين} [الواقعة: ١٣] ، يعني: «أمة» ، {وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٤٠] ، يعني: «أمة»"[٧٩٤].

الثالث : الشطر، وهو النصف، قاله الضحاك[٧٩٥].

عن مجاهد، والضحاك، وعطاء بن أبي رباح، قالوا: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ} مِن سابقي هذه الأمّة، {وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ} مِن آخر هذه الأمّة في آخر الزمان"[٧٩٦].

عن محمد بن سيرين: {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٤٠] قال: " كانوا يقولون: كلهم من هذه الأمة"[٧٩٧]. وفي رواية: "كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة"[٧٩٨].

عن مجاهد:" {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين}، قال: مثل قوله: {فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} [فاطر: ٣٢]"[٧٩٩].

عن ميمون بن مهران، في قوله: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال: كثير من الأوّلين، وكثير من الآخرين"[٨٠٠].

عن معمر ، عن قتادة ، أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» قالوا: نعم ، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة» قالوا: نعم ، قال: والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة ، ثم تلا قتادة {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٤٠]"[٨٠١].

وعن الحسن، قوله:{ثلة مِنَ الْأَوَّلِينَ}: أنهم قوم نوح، {وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} أنهم أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم-"[٨٠٢].

---

(٧٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤س.

(٧٩٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٧٩٣) انظر: تفسير مجاهد: ٦٤٣.

(٧٩٤) تفسير مجاهد: ٦٤٣.

(٧٩٥) حكاه عنه الماوردي في: النكت والعيون: ٤٤٩/٥.

(٧٩٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٩، وتفسير البغوي ٨/ ١٨.

(٧٩٧) تفسير مجاهد: ٦٤٣.

(٧٩٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٩/٧.

(٧٩٩)تفسير مجاهد ص ٦٤٣، وأخرجه عبد بن حميد -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٣٥ -، والفريابي -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ -.

(٨٠٠)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٨٠١) تفسير عبدالرزاق(٣١٣٤):ص٢٧٨/٣.

عن السُّرِّيّ بن يحيى، قال : "قرأ الحسن :{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ} ثلة ممن مضى من هذه الأمة"[٨٠٣].

عن أبي هريرة قال: "لما نزلت: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} [الواقعة: ١٣-١٤]، شق ذلك على أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فنزلت: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأرجوا أن تكونوا ربع أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة أو شطر أهل الجنة وتقاسمونهم الشطر الثاني»"[٨٠٤].

عن جابر بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم : لما نزلت :{فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}، فذكر فيها {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال عمر : يا رسول الله، ثلة من الأولين وقليل منا ؟ قال : فأمسك آخر السورة سنة، ثم أنزل الله تبار وتعالى:{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا عمر، تعال اسمع ما قد أنزل الله :{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، ألا وإن من آدم ثلة وأمتي ثلة ولن تستكمل ثلتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل، ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[٨٠٥]

عن أبي مالك، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما والذي نفسي بيده، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما جاء مع الأنبياء، عليهم السلام"[٨٠٦].

عن ابن زَمْل الجهني، رضي الله عنه، قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح قال، وهو ثان رجله : "سبحان الله وبحمده. أستغفر الله، إن الله كان توابا" سبعين مرة، ثم يقول : "سبعين بسبعمائة، لا خير لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة". ثم يقول ذلك مرتين، ثم يستقبل الناس بوجهه، وكان يعجبه الرؤيا، ثم يقول : "هل رأى أحد منكم شيئا ؟" قال ابن زمل : فقلت : أنا يا رسول الله. فقال : "خير تلقاه، وشر توقاه، وخير لنا، وشر على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين. اقصص رؤياك". فقلت : رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لا حب، والناس على الجادة منطلقين، فبينما هم كذلك، إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم تر عيني مثله، يرف رفيفا يقطر ماؤه، فيه من أنواع الكلأ قال : وكأني بالرعلة الأولى حين أشفوا على المرج كبّروا، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه يمينا ولا شمالا. قال : فكأني أنظر إليهم منطلقين. ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا، فلما أشفوا على المرج كبّروا، ثم أكبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث. ومضوا على ذلك. قال : ثم قدم عظم الناس، فلما أشفوا على المرج كبروا وقالوا : هذا خير المنزل. كأني أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك، لزمت الطريق حتى آتي أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجل آدم شثل أقنى، إذا هو تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا وإذا عن يسارك رجل ربعة باذ كثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلم أصغيتم إكراما له. وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها، كلكم تؤمونه تريدونه، وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال : فامتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أمّا ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللا حب، فذاك ما حملتم عليه من

---

(٨٠٢) انظر: النكت والعيون: ٤٤٩/٥، وتفسير ابن كثير: ٥١٨/٧.

(٨٠٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٨/٧.

(٨٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٧٥):ص٣٣٣٠/١٠.

(٨٠٥) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٢٩/٤٠. قال ابن كثير٥١٨/٧:" في إسناده نظر، وقد وردت طرق كثيرة متعددة بقوله صلى الله عليه وسلم : "إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة" الحديث بتمامه، وهو مفرد في "صفة الجنة".
ومن هذه الطرق: حديث عمران بن حصين، أخرجه الترمذي في السنن برقم (٣١٦٨) وحديث عبد الله بن مسعود، أخرجه أحمد في المسند (٤٢٠/١).

(٨٠٦)المعجم الكبير (٢٩٧/٣) وفي إسناده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف لم يسمع من أبيه.

الهدى وأنتم عليه. وأما المرج الذي رأيت، فالدنيا مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق منها بشيء، ولم تتعلق منا، ولم نردها ولم تردنا. ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدنا وهم أكثر منا أضعافا، فمنهم المرتع، ومنهم الآخذ الضغث، ونجوا على ذلك. ثم جاء عظم الناس، فمالوا في المرج يمينا وشمالا فإنا لله وإنا إليه راجعون. وأما أنت، فمضيت على طريقة صالحة، فلن تزال عليها حتى تلقاني. وأما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة، فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفا. وأما الرجل الذي رأيت على يميني الآدم الشثل، فذلك موسى، عليه السلام، إذا تكلم، يعلو الرجال بفضل كلام الله إياه. والذي رأيت عن يساري الباز الربعة الكثير خيلان الوجه، كأنما حمم شعره بالماء، فذلك عيسى ابن مريم، نكرمه لإكرام الله إياه. وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها فذاك أبونا إبراهيم، كلنا نؤمه ونقتدي به. وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها، فهي الساعة، علينا تقوم، لا نبي بعدي، ولا أمة بعد أمتي". قال : فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل، فيحدثه بها متبرعا»"[٨٠٧].

قوله تعالى:{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، أي:" على سرر منسوجة بالذهب"[٨٠٨].

وفي قوله تعالى:{مَوْضُونَةٍ} [الواقعة : ١٥]، وجوه:

أحدها : أنها المنسوجة بالذهب ، قاله مجاهد[٨٠٩].

قال مجاهد:" الموضونة: المرملة بالذهب"[٨١٠].

قال قتادة:" الموضونة: المرمولة، وهى أوثر السرر"[٨١١].

عن أبي هلال، في قوله: {مَوْضُونَةٍ}، قال:" مرمولة"[٨١٢].

قال السُّدِّيّ : "مرمولة بالذهب واللؤلؤ"[٨١٣].

الثاني : أنها المشبكة النسج، قاله الضحاك[٨١٤]، ومنه قول لبيد[٨١٥]:

إن يفزعوا فسرا مع موضونة ... والبيض تبرق كالكواكب لامها

قال الضحاك:" الوضن: التشبيك والنسج، يقول: وسطها مشبك منسوج"[٨١٦].

وقال عكرمة:" مشبكة بالدّر والياقوت"[٨١٧].

الثالث : أنها المضفورة ، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد[٨١٨].

ومنه: "وضين الناقة. وهو البطان العريض المضفور من السيور"[٨١٩].

قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} [الواقعة : ١٦]، أي:" متكئين عليها يقابل بعضهم بعضًا"[٨٢٠].

قال مجاهد:" لا ينظر أحدُهم في قفا صاحبه"[٨٢١].

---

(٨٠٧)دلائل النبوة (٣٦/٧) وفي إسناده سليمان بن عطاء بن قيس، قال ابن حبان في المجروحين (٣٢٩/١) : "شيخ يروي عن مسلمة ابن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي بأشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات فلست أدري التخليط فيها منه أو من مسلمة بن عبد الله".

(٨٠٨) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٨٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٩/٢٣.

(٨١٠) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.

(٨١١) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.

(٨١٢) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.

(٨١٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.

(٨١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٣.

(٨١٥) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٠/٥.

(٨١٦) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٣.

(٨١٧) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٣.

(٨١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.

(٨١٩) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.

(٨٢٠) التفسير الميسر: ٥٣٤.

القرآن
{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩)} [الواقعة : ١٧-١٩]

التفسير:

يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون، بأقداح وأباريق وكأس من عين خمر جارية في الجنة، لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم.

قوله تعالى:{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} [الواقعة : ١٧]، أي:" يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لا يهرمون ولا يموتون"(٨٢٢).

قال قتادة:" لا يموتون"(٨٢٣).

قال مجاهد:" يموتون ولا يكبرون"(٨٢٤).

عن الحسن، في قوله: {ولدان مخلدون} [الواقعة: ١٧]، قال: «لم تكن حسنات، فيجزون بها، ولا سيئات فيعاقبون عليها، فوضعوا بهذا الموضع»(٨٢٥).

عن سمرة بن جندب، رضي الله عنه،" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة»"(٨٢٦).

عن سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»(٨٢٧).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة "(٨٢٨).

عن يزيد، قال: "قلنا لأنس: يا أبا حمزة، ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكن لهم سيئات، فيعاقبوا بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات، فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة»(٨٢٩).

وفي رواية:" لم يكن لهم سيئات فيعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة هم خدم أهل الجنة"(٨٣٠). يعنى: أطفال المشركين.

قوله تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} [الواقعة : ١٨]، أي:" بأقداح وأباريق"(٨٣١).

وفي قوله تعالى:{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ} [الواقعة : ١٨]، قولان:

أحدهما : أن الأكواب : التي ليس لها عُرى، وأما الأباريق: فهي التي لها عرى. قاله الضحاك(٨٣٢)، وانشد قول الأعشى(٨٣٣):

---

(٨٢١) أخرجه الطبري: ١١٠/١٧، و١٠٠/٢٢.

(٨٢٢) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٨٢٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٨.

(٨٢٤) تفسير مجاهد: ٦٤١.

(٨٢٥) تفسير مجاهد: ٦٤١.

(٨٢٦) مسند البزاز(٤٥١٦):ص٣٨٤/١٠.

(٨٢٧) المعجم الأوسط(٢٠٤٥):ص٣٠٢/٢.

(٨٢٨) .

(٨٢٩) مسند أبي داود(٢٢٢٥):ص٥٨٠/٣.

(٨٣٠)أخرجه الطيالسى (ص ٢٨٢، رقم ٢١١١).

(٨٣١) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٨٣٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.

(٨٣٣)ورد البيت في ديوانه، تحقيق حنَّا نصر (ص:٣٦١)؛ كالآتي:
صَلِيفِية طَيِّباً طَعْمُهَا ... لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوبٍ وَدَنّ

صَرِيفِيَّةٌ طَيِّبٌ طَعْمُها ... لَهَا زَبَدٌ بَينَ كُوب ودَنٌ

قال مجاهد:" الأباريق: ما كان لها آذان، والأكواب ما ليس لها آذان"(٨٣٤). وفي رواية:" ليس لها عرى ولا آذان"(٨٣٥).

قال قتادة:" الأكواب التي دون الأباريق ليس لها عُرًى"(٨٣٦).

عن السدي: "{وَأَكْوَابٍ}، قال: الأكواب التي ليست لها آذان"(٨٣٧).

عن ابن إدريس، قال: "سمعت أبي، قال: مر أبو صالح صاحب الكلبي قال: فقال أبي، قال لي الحسن وأنا جالس: سله، فقلت: ما الأكواب؟ قال: جرار الفضة المستديرة أفواهها، والأباريق ذوات الخراطيم"(٨٣٨).

عن أبي رجاء، قال: سئل الحسن عن الأكواب، قال: هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"(٨٣٩).

الثاني : أن الأكواب : مدورة الأفواه، والأباريق : التي يغترف بها. قاله قتادة(٨٤٠)، ومنه قول الشاعر(٨٤١):

فعدوا عليّ بقرقف ... ينصب من أكوابها

قال قتادة:" الأكواب: التي يغترف بها ليس لها خراطيم، وهي أصغر من الأباريق"(٨٤٢).

قوله تعالى:{وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الواقعة : ١٨]، أي:" وكأس من عين خمر جارية في الجنة"(٨٤٣).

قال الضحاك:" الكأس: الخمر"(٨٤٤).

قال قتادة:" أي: من خمر جارية"(٨٤٥).

قوله تعالى:{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة : ١٩]، أي:" لا تُصَدَّعُ منها رؤوسهم، ولا تذهب بعقولهم"(٨٤٦).

وفي قوله تعالى:{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا} [الواقعة : ١٩]، وجوه:

أحدها : معناه: لا يمنعون منها، قاله أبو حرزة يعقوب بن مجاهد(٨٤٧).

الثاني: لا ينالهم من شربها وجع الرأس وهو الصداع، قاله سعيد بن جبير(٨٤٨)، ومجاهد(٨٤٩)، وقتادة(٨٥٠)، والضحاك(٨٥١)، والسدي(٨٥٢)، وعطية(٨٥٣)، وهذا قول الجمهور(٨٥٤).

والصليفية: الخمر المعتقة. والدنُّ: إناء فخاري تحفظ به الخمرة.

وورد البيت في العباب الزاخر، للصغاني، تحقيق: محمد آل ياسين (حرف الفاء: ٣٤٦)، كما ذكره الضحاك، وقال الصغاني: «وقيل: جعلها صَرِيفِيةً لأنها أُخِذت من الدَّنِّ ساعتئذ كاللبن الصَّريف».

(٨٣٤) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.

(٨٣٥) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨٣٦) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨٣٧) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.

(٨٣٨) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨٣٩) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨٤٠) حكاه عنه في: النكت والعيون: ٤٥١/٥، وأخرج عنه الطبري: ١٠٢/٢٣ نحو هذا المعنى.

(٨٤١) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥١/٥.

(٨٤٢) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.

(٨٤٣) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٨٤٤) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٣.

(٨٤٥) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٣.

(٨٤٦) التفسير الميسر: ٥٣٤.

(٨٤٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.

(٨٤٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.

(٨٤٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.

(٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٣/٢٣.

(٨٥١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.

وفي قوله تعالى:{وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة : ١٩]، وجوه:
أحدها : لا تنزف عقولهم فيسكرون، قاله سعيد بن جبير[٨٥٥]، ومجاهد[٨٥٦]، وقتادة[٨٥٧]، والضحاك[٨٥٨]، والقرظي[٨٥٩].
قال سعيد بن جبير، وقتادة:" لا يغلب أحد على عقله"[٨٦٠].
قال قتادة:" ليس فيها وجع الرأس، ولا يُغلَب أحدٌ على عقله"[٨٦١].
قال مجاهد:" لا تُصدّع رؤوسهم، ولا يقيئونها. وفي لفظ: ولا تُنزَف عقولهم"[٨٦٢].
الثاني : لا يملون، قاله عكرمة[٨٦٣].
قال عكرمة:" أهل الجنة يأكلون ويشربون، ولا يُنزَفون كما يُنزَف أهل الدنيا إذا أكثروا الطعام والشراب. يقول: لا يَملُوا"[٨٦٤].
الثالث : لا يتقيؤون ، قاله يحيى بن وثاب[٨٦٥].

القرآن
{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)} [الواقعة : ٢٠-٢٤]
التفسير:
ويطوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه، وبلحم طير ممَّا ترغب فيه نفوسهم. ولهم نساء ذوات عيون واسعة، كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالا؛ جزاء لهم بما كانوا يعملون من الصالحات في الدنيا.
قوله تعالى:{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ} [الواقعة : ٢٠]، أي:" ويطوف عليهم الغلمان بما يتخيرون من الفواكه"[٨٦٦].
عن ثوبان، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرجل إذا نزع ثمرة في الجنة، عادت مكانها أخرى"[٨٦٧].
عن ثابت، قال أنس : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا، فربما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه، فإذا أثني عليه معروف، كان أعجب لرؤياه إليه. فأتته امرأة فقالت : يا رسول

---

(٨٥٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(٨٥٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٧.
(٨٥٤) حكاه عنهم ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٢١/٤.
(٨٥٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٥/٢٣.
(٨٥٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(٨٥٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣-١٠٥.
(٨٥٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣.
(٨٥٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٠٧):ص١٥١/٢.
(٨٦٠) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٣-١٠٥.
(٨٦١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٤/٢٣-١٠٥، وبنحوه من طريق أبي هلال. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٨٦٢) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٣، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٣٩، وهناد (٦٩ - ٧٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٨٦٣) الدر المنثور: ٨/ ٠، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٨٦٤) الدر المنثور: ٨/ ٠، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٨٦٥) انظر: النكت والعيون: ٤٥١/٥.
(٨٦٦) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٨٦٧)المعجم الكبير (١٠٢/٢) وفي إسناده عباد متكلم فيه.

الله، رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة، فأدخلت الجنة فسمعت وَجبَة انتحبت لها الجنة، فنظرت فإذا فلان ابن فلان، وفلان ابن فلان، فسَمَّتْ اثني عشر رجلا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعث سرية قبل ذلك، فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم، فقيل : اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ - أو : البيذخ - قال : فغمسوا فيه، فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر، فأتوا بصحفة من ذهب فيها بُسر، فأكلوا من بُسره ما شاؤوا، فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا، وأكلت معهم. فجاء البشير من تلك السرية، فقال : كان من أمرنا كذا وكذا، وأصيب فلان وفلان. حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة فقال : "قصي رؤياك" فقصتها، وجعلت تقول : فجيء بفلان وفلان كما قال"[٨٦٨].

قوله تعالى:{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [الواقعة : ٢١]، أي:" وبلحم طير ممَّا ترغب فيه نفوسهم"[٨٦٩].

قال الحسن:" لا يشتهي منها شيئًا إلا صار بين يديه، فيصيب منه حاجته، ثم يطير فيذهب[٨٧٠].

عن كعب، قال : "إن طائر الجنة أمثال البخت، يأكل مما خلق من ثمرات الجنة، ويشرب من أنهار الجنة،

فيصطفق له، فإذا اشتهى منها شيئا أتاه حتى يقع بين يديه، فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء"[٨٧١].

عن أنس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن طير الجنة كأمثال البخت، يرعى في شجر الجنة". فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن هذه لطير ناعمة فقال : "أكلتها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها"[٨٧٢].

عن ابن عمر، قال : «ذكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم طوبى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يا أبا بكر، هل بلغك ما طوبى ؟" قال : الله ورسوله أعلم. قال : "طوبى شجرة في الجنة، ما يعلم طولها إلا الله، يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا، ورقها الحلل، يقع عليها الطير كأمثال البخت". فقال أبو بكر : يا رسول الله، إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال : "أنعم منه من يأكله، وأنت منهم إن شاء الله"»[٨٧٣].

وقال قتادة في قوله :{وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} : "ذكر لنا أن أبا بكر قال : يا رسول الله، إني أرى طيرها ناعمة كما أهلها ناعمون. قال : "من يأكلها - والله يا أبا بكر- أنعم منها، وإنها لأمثال البخت، وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر"[٨٧٤].

عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكوثر فقال : "نهر أعطانيه ربي، عز وجل، في الجنة، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر". فقال عمر : إنها لناعمة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "آكلها أنعم منها"[٨٧٥].

---

(٨٦٨)المسند للإمام أحمد (١٣٥/٣) ومسند أبي يعلى برقم (٣٢٨٩) (٤٤/٦) وقال الهيثمي في المجمع (١٧٥/٧) : "رجاله رجال الصحيح".

(٨٦٩) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٨٧٠) الدر المنثور: ١٠/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٨٧١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٧، وقال:" صحيح إلى كعب".

(٨٧٢)المسند (٢٢١/٣).

(٨٧٣) رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه "صفة الجنة"، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٦٤٩/٤).

(٨٧٤) مرسل، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، وقد روى من طريق الحسن مرسلا أيضا أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١٢).

(٨٧٥) رواه ابن أبي الدنيا، كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧، وانظر: سنن الترمذي برقم (٢٥٤٢) وقال فيه : "حسن غريب.

عن أبي سعيد الخدري، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة فينتفض، فيخرج من كل ريشة - يعني : لونا - أبيض من اللبن، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير"[٨٧٦].

عبد الله بن مسعود، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا"[٨٧٧].

قوله تعالى:{وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، أي:" ولهم نساء ذوات عيون واسعة"[٨٧٨].

عن مجاهد: "{وَحُورٌ عِينٌ}، قال: يحار فيهنّ الطرف[٨٧٩].

قال مجاهد:" خلق الحُور العين من الزعفران"[٨٨٠].

قال الحسن:" الحُور: صوالح نساء بني آدم"[٨٨١].

عن ليث بن أبي سليم، قال: "بلغني أن الحور العين خُلقن من الزعفران"[٨٨٢].

وفي «العين»، وجهان[٨٨٣]:

أحدهما : أنهن بيض عين، عظام الأعين، قاله الضحاك[٨٨٤]، قال الشاعر[٨٨٥]:

إذا كبرت عيون من النساء ... ومن غير النساء فهن عين

الثاني : أنهن اللاتي سواد أعينهن حالك، وبياض أعينهن نقي ، وهو معنى قول الحسن[٨٨٦]، كما قال الشاعر[٨٨٧]:

إذا ما العين كان بها احورار ... علامتها البياض على السواد

قال الحسن:" شديدة السواد: سواد العين، شديدة البياض: بياض العين"[٨٨٨].

قوله تعالى:{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة : ٢٣]، أي:" كأمثال اللؤلؤ المصون في أصدافه صفاءً وجمالا"[٨٨٩].

قال الضحاك:" اللؤلؤ العِظام الذي قد أُكِنّ مِن أن يمسّه شيءٌ"[٨٩٠].

القرآن

{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)} [الواقعة : ٢٥-٢٦]

التفسير:

---

(٨٧٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٧-٥٢٤ . وقال:" هذا حديث غريب جدا، والوَصَّافي وشيخه ضعيفان".

(٨٧٧)جزء الحسن بن عرفة برقم (٢٢)، وحميد الأعرج منكر الحديث.

(٨٧٨) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٨٧٩) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٣.

(٨٨٠) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨١) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨٢) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨٣) انظر: انكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(٨٨٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨٥) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(٨٨٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨٧) الشعر بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٢/٥.

(٨٨٨) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٣.

(٨٨٩) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٨٩٠)أخرجه هناد بن السري (٢٠).

لا يسمعون في الجنة باطلا ولا ما يتأثمون بسماعه، إلا قولا سالمًا من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض.

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٦]، أي:" لا يسمعون في الجنة باطلا ولا ما يتأثمون بسماعه"[٨٩١].

وفي قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا} [الواقعة : ٢٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : لا يسمعون فيها خُلفاً، أي: لا يتخالفون عليها كما يتخالفون في الدنيا ، ولا يأثمون بشربها ، كما يأثمون في الدنيا ، قاله الضحاك[٨٩٢].

الثاني : لا يسمعون فيها شتماً ولا مأثماً ، قاله مجاهد[٨٩٣].

قال مجاهد:" لا يَسْتَبُّون"[٨٩٤].

الثالث: {لغوا}، يعني: باطلًا، {تأثيما}: كذبًا. قاله مجاهد-أيضا-[٨٩٥].

وقال الضحاك:" {لَغْوًا}، قال: الهذْرُ من القول، والتأثيم الكذب"[٨٩٦].

واللغو: سقط القول من فحش وغيره. والتأثيم: مصدر، بمعنى: لا يؤثم أحد هناك غيره ولا نفسه بقول. فكان يسمع ويتألم بسماعه"[٨٩٧].

قوله تعالى:{إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة : ٢٦]، أي:" إلا قولا سالمًا من هذه العيوب، وتسليم بعضهم على بعض"[٨٩٨].

قال عطاء:" يُحيي بعضهم بعضًا بالسلام"[٨٩٩].

القرآن

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤)} [الواقعة : ٢٧-٣٤]

التفسير:

وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! هم في سِدْر لا شوك فيه، وموز متراكب بعضه على بعض، وظلٍّ دائم لا يزول، وماء جار لا ينقطع، وفاكهة كثيرة لا تنفَد ولا تنقطع عنهم، ولا يمنعهم منها مانع، وفرشٍ مرفوعة على السرر.

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، أي:" وأصحاب اليمين، ما أعظم مكانتهم وجزاءهم!! "[٩٠٠].

قال قتادة:" أي ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم"[٩٠١].

وفي قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٢٧]، أقوال:

---

(٨٩١) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٨٩٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٨٩٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٢/٥.
(٨٩٤)تفسير مجاهد ص ٦٤١.
(٨٩٥)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.
(٨٩٦)أخرجه هناد (٦).
(٨٩٧) المحرر الوجيز: ٢٤٣/٥.
(٨٩٨) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٨٩٩)تفسير البغوي ٨/ ١١.
(٩٠٠) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٠١) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٣.

أحدها : أنهم أصحاب الحق ، قاله السدي[٩٠٢].
الثاني : أنهم دون منزلة المقربين ، قاله ميمون بن مهران[٩٠٣].
الثالث : أنهم من أعطي كتابه بيمينه، قاله يعقوب بن مجاهد[٩٠٤].
الرابع : أنهم التابعون بإحسان ممن لم يدرك الأنبياء من الأمم ، قاله الحسن[٩٠٥].
الخامس : ما رواه أسباط عن السدي : "أن الله تعالى مسح ظهر آدم فمسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج ذرية كهيئة الذر بيضاء فقال لهم ادخلوا الجنة ولا أبالي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج ذرية كهيئة الذر سوداء، فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي، فذلك هو قوله تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ}، وقوله :{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ}"[٩٠٦].

قوله تعالى:{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} [الواقعة : ٢٨]، أي:" هم في سِدْر لا شوك فيه"[٩٠٧].

وفي «مخضود»، قولان:

أحدهما : أنه اللين الذي لا شوك فيه، قاله قتادة[٩٠٨]، وعكرمة،[٩٠٩] وقسامة بن زهير[٩١٠]، والسفر بن نُسَير[٩١١]، وأبو الأحوص[٩١٢].

قال قسامة:" خُضِد من الشوك، فلا شوك فيه"[٩١٣].

قال قتادة:" ليس فيه شوك"[٩١٤]. وفي رواية:" كنا نحدّث أنه المُوقَر الذي لا شوك فيه"[٩١٥].

الثاني : أنه الموقر حملاً ، قاله مجاهد[٩١٦]، والضحاك[٩١٧]، وسعيد بن جبير[٩١٨].

عن مجاهد: "{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، قال: الموقَر"[٩١٩].

قال مجاهد:" يقولون هذا الموقَرُ حَمْلٍ"[٩٢٠].

قال سعيد بن جبير:" ثمرها أعظم من القِلال"[٩٢١].

الظاهر أن المراد هذا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على عكس من هذا لا شوك فيه، وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله"[٩٢٢].

---

(٩٠٢) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٩٠٣) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.
(٩٠٤) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥. وحكاه النحاس في إعراب القرآن: ٢٢١/٤ دون نسبة.
(٩٠٥) انظر النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٩٠٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٤٥٣/٥.
(٩٠٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩٠٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٣) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٤) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٥) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٣.
(٩١٦) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٩١٧) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٩١٨) انظر: تفسير الطبري: ١١١/٢٣.
(٩١٩) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(٩٢٠) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(٩٢١) أخرجه الطبري: ١١١/٢٣.
(٩٢٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧.

عن سليم بن عامر، قال : «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم ؛ قال : أقبل أعرابي يومًا فقال : يا رسول الله، ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما هي ؟". قال : السِّدر، فإن له شوكًا موذيًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أليس الله يقول :{فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، خَضَد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها لتنبت ثمرًا تَفَتَّق الثمرةُ منها عن اثنين وسبعين لونًا من طعام، ما فيها لون يشبه الآخر"»[٩٢٣].

عن عُتْبة بن عبد السلمي قال : «كنت جالسًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله، أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكًا منها ؟ يعني : الطلح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يجعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خُصْوَة التيس الملبود، فيها سبعون لونًا من الطعام، لا يشبه لون آخر"»[٩٢٤].

قال أبو العالية والضحاك: "نظر المسلمون إلى وج -وهو واد مخصب بالطائف -فأعجبهم سدرها وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية"[٩٢٥].

قوله تعالى:{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} [الواقعة : ٢٩]، أي:" وموز متراكب بعضه على بعض"[٩٢٦].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} [الواقعة : ٢٩]، قولان:

أحدهما : أن الطلح: الموز، قاله الحسن[٩٢٧]، ومجاهد[٩٢٨]، وقتادة[٩٢٩]، وعكرمة[٩٣٠]، وعطاء[٩٣١]، وقسامة بن زهير[٩٣٢]، وأبو حرزة[٩٣٣].

قال مجاهد:" موزكم، لأنهم كانوا يُعجبون بوجٍّ وظلاله من طلحه وسدره"[٩٣٤].

قال مجاهد:" يعني: المَوْز المتراكم"[٩٣٥].

الثاني : ليس هو مَوزًا، ولكنه شجر له ظِل بارد طيّب. قاله الحسن-أيضا-[٩٣٦].

وفي «المنضود»، قولان:

أحدهما : المصفوف ، قاله السدي[٩٣٧].

الثاني : متراكم الثمر، يذكر بذلك قريشًا ؛ لأنهم كانوا يعجبون من وَجّ، وظلاله من طلح وسدر، قاله مجاهد[٩٣٨].

---

(٩٢٣) رواه ابغوي كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٧، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٧٦/٢) من طريق الربيع، عن بشر بن بكر عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : كان أصحاب رسول الله فذكر مثله، وقال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٩٢٤)البعث لابن أبي داود برقم (٦٩) ورواه الطبراني في مسند الشاميين برقم (٤٩٢) وعنه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٦) عن أبي زرعة عن أبي مسهر عن يحيى بن حمزة به، وقال الهيثمي في المجمع (٤١٤/١٠) : "رجاله رجال الصحيح".

(٩٢٥)ذكره القرطبي في "التفسير": ١٧ / ٢٠٧، والبغوي في التفسير": ١١/٨.

(٩٢٦) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٩٢٧) انظر: النكت والعيون: ٤٥٤/٥.

(٩٢٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.

(٩٢٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.

(٩٣٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٣٠/١٠. حكاه بدون إسناد.

(٩٣١) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.

(٩٣٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/٢٣.

(٩٣٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٣٠/١٠. حكاه بدون إسناد.

(٩٣٤) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٣.

(٩٣٥)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٣ - ، وهناد (١٠٨)، والبيهقي في البعث (٣٠٤). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٩٣٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٠٦، وتفسير البغوي ٨/ ١٢.

(٩٣٧) النكت والعيون: ٤٥٤/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.

(٩٣٨) النكت والعيون: ٤٥٤/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.

قوله تعالى:{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة : ٣٠]، أي:" وظلٍّ دائم لا يزول"(٩٣٩).

قال الضحاك، والسُّدِّيّ، وأبو حَرْزَةَ في قوله :{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}:" لا ينقطع، ليس فيها شمس ولا حر، مثل قبل طلوع الفجر"(٩٤٠).

قال الحسن: "لا ينقطع"(٩٤١).

وقال ابن مسعود:" الجنة سَجْسَج(٩٤٢)، لا حرّ فيها ولا برد(٩٤٣).

عن علقمة بن قيس قال: "إن الجنة سجسج لا حر فيها، ولا قر، وفيها ما اشتهت أنفسهم"(٩٤٤).

وفي رواية:" الْجَنَّة سَجْسَجٌ لَا قَرَّ فِيهَا وَلَا حَر"(٩٤٥).

وعن يحيى بن أبي كثير: أن ساعات الجنة تشبه الغداة الباردة في الصيف"(٩٤٦).

عن عمرو بن ميمون: "{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}، قال: خمس مئة ألف سنة"(٩٤٧). وفي رواية:" مسيرة سبعين ألفَ سنة"(٩٤٨).

عن الحسن في قوله الله تعالى :{وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} قال : "في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها"(٩٤٩).

عن أنس بن مالك، قال: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها"(٩٥٠).

عن أنس، أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: «إنَّ فِي الجَنَّة لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها»(٩٥١).

قال أبو حصين، قال: "كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق، يعني الضبيّ، فحدّث أبو صالح، فقال: حدثني أبو هريرة، قال: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما، فقال أبو صالح أتكذّب أبا هريرة، فقال: ما أكذّب أبا هريرة، ولكني أكذّبك؛ قال: فشقّ على القرّاء يومئذ"(٩٥٢).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «إنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مِئَة سَنَةٍ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}»(٩٥٣).

وفي رواية:« وإنَّ فِي الجَنَّة شَجَرَةً يَسيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}»(٩٥٤).

وفي رواية: "وإنَّ فِي الجَنَّة لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّها مِئَة عامٍ لا يَقْطَعُها، لا يَقْطَعُها، شَجَرَةُ الخُلْدِ»(٩٥٥).

---

(٩٣٩) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٤٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٧.
(٩٤١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٩/٥.
(٩٤٢)قوله: «سجسج» أي معتدل. انظر: (النهاية: ٢/ ٣٤٣).
(٩٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٢٨٠):ص٦١٢/٢، وابن المبارك في "الزهد والرقائق"(١٥٢٥):ص٥٣٤/١.
(٩٤٤) مسند ابن الجعد(٢٥١٥):ص٣٦٥.
(٩٤٥) صفة الجنة أبي نعيم(٤٠):ص٧٢.
(٩٤٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٩/٥.
(٩٤٧) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٣.
(٩٤٨) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(٩٤٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٧.
(٩٥٠) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٣.
(٩٥١) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٣.
(٩٥٢) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٣-١١٧.
(٩٥٣) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(٩٥٤) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.

وفي رواية:«وإنَّ فِي الجَنَّة لشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا سَبْعِينَ أو مِئَة عامٍ، هيَ شَجَرَةُ الخُلْدِ»[٩٥٦].

عن أبي هريرة، قال: " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام، اقرءوا إن شئتم: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}، فبلغ ذلك كعبا، فقال: صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى، والفرقان على لسان محمد، لو أن رجلا ركب حُقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها، حتى يسقط هَرِما، إن الله غرسها بيده، ونفخ فيها من روحه، وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة"[٩٥٧].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب»[٩٥٨].

عن ابن عباس قال : الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها، قدر ما يسير الراكب في نواحيها مائة عام. قال : فيخرج إليها أهل الجنة ؛ أهل الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها. قال : فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحًا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا[٩٥٩].

قوله تعالى:{وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ} [الواقعة : ٣١]، أي:" وماء جار لا ينقطع"[٩٦٠].

عن مجاهد:" {مَسْكُوبٍ}: جارٍ"[٩٦١].

قوله تعالى:{وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ} [الواقعة : ٣٢-٣٣]، أي:" وفاكهة كثيرة متنوعة، لا تنفَد ولا تنقطع عنهم"[٩٦٢].

عن قتادة، قوله: "{لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}، قال: لا يمنعه شوك، ولا بعد"[٩٦٣].

عن عامر بن زيد البَكَالي : أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : "جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الحوض، وذكر الجنة، ثم قال الأعرابي: فيها فاكهة؟ قال: «نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى» ، فذكر شيئا لا أدري ما هو؟ قال: أي شجر أرضنا تشبه؟ قال: «ليست تشبه شيئا من شجر أرضك» . فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أتيت الشام؟» فقال: لا، قال: «تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة، تنبت على ساق واحد، وينفرش أعلاها» ، قال: ما عظم أصلها؟ قال: «لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك، ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرما» قال: فيها عنب؟ قال: «نعم» قال: فما عظم العنقود؟ قال: «مسيرة شهر للغراب الأبقع، ولا يفتر» ، قال: فما عظم الحبة؟ قال: «هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قط عظيما؟» قال: نعم، قال: " فسلخ إهابه فأعطاه أمك، قال: اتخذي لنا منه دلوا؟ " قال: نعم، قال الأعرابي: فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي؟ قال: «نعم وعامة عشيرتك» "[٩٦٤].

عن ابن عباس قال : "خُسِفَت الشمس، فصلى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والناس معه، فذكر الصلاة. وفيه : قالوا : يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكع. قال : "إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا"[٩٦٥].

---

(٩٥٥) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(٩٥٦) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٣.
(٩٥٧) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٣.
(٩٥٨) سنن الترمذي برقم (٢٥٢٥)، ثم قال : "حسن غريب".
(٩٥٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٧، قال ابن كثير:" هذا أثر غريب وإسناده جيد قويّ حسن".
(٩٦٠) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٦١)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.
(٩٦٢) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٦٣) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٣.
(٩٦٤) المسند(١٧٦٤٢):ص١٩١/٢٩.
(٩٦٥)صحيح البخاري برقم (١٠٥٢) وصحيح مسلم برقم (٩٠٧).

عن جابر قال : "بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفوفنا في الصلاة، صلاة الظهر، أو العصر، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناول شيئا، ثم تأخر فتأخر الناس، فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب: شيئا صنعته في الصلاة لم تكن تصنعه قال: " عرضت علي الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة، فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به، فحيل بيني وبينه، ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض، لا ينقصونه شيئا، ثم عرضت علي النار، فلما وجدت سفعها تأخرت عنها، وأكثر من رأيت فيها النساء اللاتي إن اؤتمن أفشين، وإن يسألن بخلن، وإن يسألن ألحفن - قال حسين: وإن أعطين لم يشكرن - ورأيت فيها لحي بن عمرو يجر قصبه في النار، وأشبه من رأيت به معبد بن أكثم الكعبي "، قال معبد: يا رسول الله، أيخشى علي من شبهه وهو والد؟ فقال: «لا، أنت مؤمن، وهو كافر» ، قال حسين: «وكان أول من حمل العرب على عبادة الأوثان» ، قال حسين: «تأخرت عنها ولولا ذلك لغشيتكم»"[٩٦٦].

قوله تعالى:{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ} [الواقعة : ٣٤]، أي:" وفرشٍ مرفوعة على السرر"[٩٦٧].

قال مجاهد:" بعضها فوق بعض"[٩٦٨].

قال الحسن:" ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة"[٩٦٩].

قال كعب الأحبار:" على مسيرة أربعين عامًا"[٩٧٠].

عن أبي سعيد، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- في قوله: "{وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}، قال: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض، ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام»"[٩٧١]. وفي رواية:«إن ارتفاعها لكما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مئة عام»[٩٧٢].

القرآن

{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨)} [الواقعة : ٣٥-٣٨]

التفسير:

إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء، فجعلناهن أبكارًا، متحببات إلى أزواجهن، في سنٍّ واحدة، خلقناهن لأصحاب اليمين.

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة : ٣٥]، أي:" إنا أنشأنا نساء أهل الجنة نشأة غير النشأة التي كانت في الدنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء"[٩٧٣].

عن الحسن:" {إنّا أنْشَأْناهُنَّ إنْشاءً}، قال: النساء"[٩٧٤].

عن قتادة:" {إنّا أنْشَأْناهُنَّ إنْشاءً}، قال: يعني: أزواج القوم"[٩٧٥].

عن قتادة، قوله: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]، قال: "خَلَقْنَاهُنَّ خَلْقًا"[٩٧٦].

قال سعيد بن جبير:" خلقناهن خلْقًا جديدًا"[٩٧٧].

---

(٩٦٦) المسند(١٤٨٠٠):ص١٠٩/٢٣.

(٩٦٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٩٦٨)أخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٣/ ٥٠٤ - ٥٠٥ -.

(٩٦٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٠/٧، وانظر: الدر المنثور: ١٥/٨، وزاد نسبته إلى هناد.

(٩٧٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٤٠١ - ٤٠٢ (٣٦٤٨١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٣٧٩.

(٩٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٨٦):ص٣٣٣٢/١٠.

(٩٧٢) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٣.

(٩٧٣) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(٩٧٤) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٧٥) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٧٦) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٣١):ص١٧٨/٣.

قال مجاهد:" خلقهن خلقًا غير خلقهن الأول"[٩٧٨].

قال صفوان بن محرز:" واللهِ، إنّ منهنّ العُجُزَ الزُّحُفَ، صيَّرهنَّ الله كما تسمعون"[٩٧٩]. وروي عن الضحاك[٩٨٠] نحوه.

وفي رواية عن صفوان بن محرز، قال: "فهن العُجُز الرُّمْصُ"[٩٨١].

قال قتادة:" كان صفوان بن محرز يقول: إن منهنّ العُجُزَ الرُّجَّف، صيرهنّ الله كما تسمعون"[٩٨٢].

قال قتادة:" إن منهن العُجُزَ الرُّجَّفَ، أنشأهن الله في هذا الخلق"[٩٨٣].

عن سلمة بن يزيد، "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: {إنا أنشأناهن إنشاء}، قال: «من الثيب والأبكار»"[٩٨٤]. وفي رواية:" يعني: الثيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا"[٩٨٥].

عن الحسن، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة العجوز» قال: «فبكت عجوز» ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخبروها ليست يومئذ بعجوز، وأنها يومئذ شابة، إن الله عز وجل يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]»"[٩٨٦].

عن أم سلمة، قالت : "قلت : يا رسول الله، أخبرني عن قول الله :{وَحُورٌ عِينٌ} [الواقعة : ٢٢]، قال : "حور : بيض، عين : ضخام العيون، شُفْر الحوراء بمنزلة جناح النسر". قلت : أخبرني عن قوله :{كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ} [الواقعة : ٢٣]، قال : "صفاؤهن صفاءُ الدر الذي في الأصداف، الذي لم تَمَسّه الأيدي". قلت : أخبرني عن قوله :{فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} [الرحمن : ٧٠]. قال : "خَيّراتُ الأخلاق، حِسان الوجوه". قلت : أخبرني عن قوله :{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصافات : ٤٩]، قال : "رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر، وهو : الغِرْقئُ". قلت : يا رسول الله، أخبرني عن قوله :{عُرُبًا أَتْرَابًا}. قال : "هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رُمْصًا شُمطًا، خلقهن الله بعد الكبر، فجعلهن عذارى عُرُبًا متعشقات محببات، أترابًا على ميلاد واحد". قلت : يا رسول الله، نساء الدنيا أفضل أم الحور العين ؟ قال : "بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين، كفضل الظّهارة على البطانة". قلت : يا رسول الله، وبم ذاك ؟ قال : "بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله، عز وجل، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مَجَامِرُهُنَّ الدُّرّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن : نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كُنَّا له وكان لنا". قلت : يا رسول الله، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها ؟ قال : "يا أم سلمة، إنها تُخَيَّر فتختار أحسنهم خلقًا، فتقول : يا رب، إن هذا كان أحسن خلقًا معي فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"[٩٨٧].

---

(٩٧٧) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٧٨) الدر المنثور: ١٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٧٩) أخرجه الطبري:١٢٠/٢٣، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٣٥٥ (٣٦٣٠٣).

(٩٨٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٥.

(٩٨١) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(٩٨٢) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(٩٨٣) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.

(٩٨٤) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.

(٩٨٥) تفسير مجاهد: ٦٤٢.

(٩٨٦) تفسير مجاهد: ٦٤٢.

(٩٨٧)المعجم الكبير (٣٦٨/٢٣) وقال الهيثمي في المجمع (١١٩/٧) : "فيه إسماعيل بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي".

عن أمّ سلمة، زوج النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أنها قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قول الله: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لأَصْحَابِ الْيَمِينِ}، قال: "هُنَّ اللَّوَاتي قُبِضْنَ فِي الدّنْيا عَجائِزَ رُمْصًا شُمْطا، خَلَقَهُنَّ الله بَعْدَ الكبر فَجَعَلَهُنَّ عَذارَى»"[٩٨٨].

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: {إنا أنشأناهن إنشاء}، قال: «عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا»[٩٨٩].

وفي رواية: «منهن العجائز اللاتي كن في الدنيا عمشا رمصا»[٩٩٠].

وفي رواية :«هن اللواتي كن في الدنيا عجائز عمشا رمصا»[٩٩١].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا} [الواقعة : ٣٦]، أي:" فجعلناهن عذارى"[٩٩٢].

عن الضحاك:" {أَبْكَارًا}، يقول: عذارى"[٩٩٣]. وروي عن قتادة مثله[٩٩٤].

عن الحسن البصري، قال: "أتتْ عجوزٌ، فقالت: يا رسول الله، ادعُ الله أن يُدخلني الجنة. فقال: «يا أُمّ فلان، إنّ الجنة لا يدخلها عجوز». فولّت تبكي، قال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز. إنّ الله يقول: {إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا}"[٩٩٥].

وري عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عُدن أبكارًا"[٩٩٦].

قوله تعالى:{عُرُبًا أَتْرَابًا} [الواقعة : ٣٧]، أي:" متحببات إلى أزواجهن، في سنٍّ واحدة"[٩٩٧].

وفي قوله تعالى:{عُرُبًا} [الواقعة : ٣٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن العرب: اللاتي يشتهين أزواجهن. قاله سعيد بن جبير[٩٩٨]، والحسن[٩٩٩]، وعبدالله بن عبيدالله[١٠٠٠]، وعبيد بن عمير[١٠٠١].

قال الحسن:" المشتهية لبعولتهن"[١٠٠٢].

قال عبد الله بن عبيد الله: "العرب: التي تشتهي زوجها"[١٠٠٣].

قال عبيد بن عمير:" العَربة: التي تشتهي زوجها؛ ألا ترى أن الرجل يقول للناقة: إنها لعَربة؟"[١٠٠٤].

الثاني : أن «العرب»: المتحببات المتودّدات إلى أزواجهنّ. قاله مجاهد[١٠٠٥]، والضحاك[١٠٠٦].

---

(٩٨٨) أخرجه الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٩٨٩) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.
(٩٩٠) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.
(٩٩١) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٣.
(٩٩٢) صفوة التفاسير: ٢٩١/٣.
(٩٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٠/٢٣.
(٩٩٤)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٩٩٥)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٤٢ - ، وعبد بن حميد -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٩ - ، والترمذي في الشمائل (٢٣٢)، والبيهقي في البعث (٣٨٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٩٩٦)المعجم الصغير (٩١/١) وفيه معلى بن عبد الرحمن وهو كذاب.
(٩٩٧) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(٩٩٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣-١٢٣.
(٩٩٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٢) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٣) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٤) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣، ١٢٣.

قال مجاهد-في رواية-:"العرب: المتحببات"[١٠٠٧]. وروي عن الضحاك مثله[١٠٠٨].
قال مجاهد:" متحببات إلى أزواجهن"[١٠٠٩].
وحكي الماوردي عن عكرمة:" أنهن المتحببات من الضرائر ليقفن على طاعته ويتساعدن على إشاعته"[١٠١٠].
وحكي الماوردي عن سعيد بن جبير :"أن العرب المنحبسات على أزواجهن المتحببات إليهم"[١٠١١].
الثالث : الشَّكِلة-بلغة أهل مكة-، والغِنجة -بلغة أهل المدينة-، قاله أبو بريدة[١٠١٢]، وروي نحوه عن عكرمة[١٠١٣].
وقال عكرمة:" العرب: المغنوجة"[١٠١٤]. وفي رواية:" هي المغنوجة"[١٠١٥]. وفي رواية:" غِنجات"[١٠١٦].
الرابع: عواشق لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون. قاله سعيد بن جبير[١٠١٧]، والحسن[١٠١٨]، ومجاهد[١٠١٩]، وقتادة[١٠٢٠]، وعكرمة[١٠٢١]، وعطاء الخراساني[١٠٢٢].
قال قتادة:" عُشَّقا لأزواجهن"[١٠٢٣].
قال قتادة:" يقول: عشَّق لأزواجهنّ، يحببن أزواجهنّ حبا شديدا"[١٠٢٤].
قال الحسن:" العرب: العاشق"[١٠٢٥].
قال الربيع بن أنس:" العُرُب: المتعشِّقات"[١٠٢٦].
عن عمرو بن أبي سلمة، قال: "سُئل الأوزاعيّ، عن {عُرُبًا}، قال: سمعت يحيى يقول: هنّ العواشق"[١٠٢٧].
عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أترَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبباتٍ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[١٠٢٨].

(١٠٠٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٧) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٠٠٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٠٩) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠١٠) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٠١١) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.
(١٠١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٠١٣) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠١٤) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠١٥) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠١٦) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣-١٢٢.
(١٠١٧) انظر: تفسير الطبري :١٢٢/٢٣.
(١٠١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٠٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.
(١٠٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٦/ ٣٢٢ -.
(١٠٢٣) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٢٤) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٢٥) أخرجه الطبري: ١٢١/٢٣.
(١٠٢٦) الدر المنثور: ٨/ ١٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٠٢٧) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٣.
(١٠٢٨) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

عن بلال بن أبي بُردة، أنه قال لجلسائه: "ما العَروب مِن النساء؟ فماجوا، وأقبل إسحاق بن عبد الله بن الحارث النَّوفَليّ، فقال: قد جاءكم مَن يخبركم عنها. فسألوه، فقال: الخَفِرة، المتبذّلة لزوجها. وأنشد:

يُعْرِبن عند بُعولهن إذا خَلوا ... وإذا هم خرجوا فهن خِفار"[١٠٢٩].

الخامس : أنها الحسنة التبعُّل. قاله تميم بن حذلم[١٠٣٠]، ومنه قول لبيد[١٠٣١]:

وفي الخُدورِ عَروبٌ غيرُ فاحِشةٍ ... رَيَّا الرَّوادِفِ يَعْشى دونَها البصَرُ

قال تميم بن حذلم:" العَربة: الحسنة التبعل. قال: وكانت العرب تقول للمرأة إذا كانت حسنة التبعل: إنها لعَربة"[١٠٣٢].

وفي قوله تعالى:{أتْرَابًا} [الواقعة : ٣٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أتراب في الأخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد ، قاله السدي[١٠٣٣].

وروي عن زيد بن اسلم قال:" العَربة: هي الحسنة الكلام"[١٠٣٤].

الثاني : أن الأتراب: المستويات. قاله الضحاك[١٠٣٥]، والحسن[١٠٣٦]، ومحمد[١٠٣٧]، وعطاء الخراساني[١٠٣٨]، والربيع بن أنس[١٠٣٩].

عن الحسن ومحمد :{عُرُبًا أتْرَابًا}، قالا: المستويات الأسنان، يأتلفن جميعًا، ويلعبن جميعًا"[١٠٤٠].

قال الحسن:" الأتراب: المستويات"[١٠٤١]، وفي رواية:" أقرانًا"[١٠٤٢].

قال قتادة:" يعني: سنًّا واحدة"[١٠٤٣].

قال الربيع بن أنس:" على سِنٍّ واحد"[١٠٤٤].

عن مجاهد، قوله: "{أتْرَابًا}، قال: أمثالا"[١٠٤٥].

وعن عطية، قال: "أقران"[١٠٤٦].

عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أتْرَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبباتٍ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[١٠٤٧].

(١٠٢٩)أخرجه وكيع في الغرر (وهو أخبار القضاة ٢/ ٣٥)، وابن عساكر في تاريخه ٨/ ٢٤٢ - ٢٤٣.

(١٠٣٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٣.

(١٠٣١)ديوانه ١/ ٥٤، وتفسير الطبري ١٢١/٢٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٢١١.
والحروج جمع حرج وهو مركب للنساء والرجال ليس له رأس. "اللسان" ١/ ٥٩٩ (حرج). وانظر: "تهذيب اللغة" ٢/ ٣٦٠، و"اللسان" ٢/ ٧٢٥ (عرب).

(١٠٣٢) أخرجه الطبري: ١٢٢/٢٣.

(١٠٣٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥.

(١٠٣٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٩٢):ص٣٣٣٢/١٠، وكما في الفتح :٦/ ٣٢٢ .

(١٠٣٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٣.

(١٠٣٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(١٠٣٧) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(١٠٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٦/ ٣٢٢ -.

(١٠٣٩) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٠٤٠) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

(١٠٤١) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى هناد، وعبد بن حميد.

(١٠٤٢) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٠٤٣) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

(١٠٤٤) الدر المنثور: ١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٠٤٥) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

(١٠٤٦) النكت والعيون: ٤٥٦/٥.

(١٠٤٧) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن خَيِّرات حِسان، خُبِّئنا لأزواج كرام"[١٠٤٨].

قوله تعالى:{لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٣٨]، أي:" خلقناهن لأصحاب اليمين"[١٠٤٩].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يدخل أهلُ الجنةِ الجنة جُردا مُردًا بيضًا جِعادًا مُكَحَّلين، أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين، وهم على خَلْق آدم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع"[١٠٥٠].

عن مُعَاذ بن جَبَل، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يدخل أهلُ الجنةِ الجنة جُردًا مُردًا مكحلين أبناء ثلاثين، أو ثلاث وثلاثين سنة"[١٠٥١].

عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير، يُرَدون بني ثلاث وثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار"[١٠٥٢].

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاثٍ وثلاثين، جُردًا مُردًا مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم"[١٠٥٣].

القرآن

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩-٤٠]

التفسير:

وهم جماعة كثيرة من الأولين، وجماعة كثيرة من الآخرين.

عن مجاهد، في قوله: {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ}، قال: "أمة"[١٠٥٤].

عن الحسن: "{ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ}، من الأمم. {وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}: أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٠٥٥].

عن محمد ن سيرين:" {ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ}، قال: كانوا يقولون: كلّهم من هذه الأُمّة"[١٠٥٦].

قال ميمون بن مهران:" كثير من الأوّلين، وكثير من الآخرين"[١٠٥٧].

عن بديل بن كعب، أنه قال: "أهل الجنة عشرون ومئة صف، ثمانون صفا منها من هذه الأمة"[١٠٥٨].

عن عبد الله بن مسعود قال: "تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى أكرينا في الحديث، ثم رجعنا إلى أهلينا، فلما أصبحنا غدونا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى

(١٠٤٨)ذكره الحافظ بن حجر في المطالب العالية (٤٠٢/٤) وعزاه لأبي يعلى، ونقل المحقق قول البصيري : "ورواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم". ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم (٢٥٤) : حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس بن مالك به.

(١٠٤٩) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(١٠٥٠)المسند (٢٩٥/٢) والمعجم الأوسط برقم (٤٨٩٤) "مجمع البحرين".

(١٠٥١)سنن الترمذي برقم (٢٥٤٥)، قال : حسن غريب.

(١٠٥٢)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٢) ورواه من طريق ابن وهب وأبو نعيم في صفة الجنة برقم (٢٥٩).

(١٠٥٣)البعث لابن أبي داود برقم (٦٤) وانظر كلام المحقق الفاضل في سماع هارون بن رئاب عن أنس.

(١٠٥٤) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٣-١٢٦.

(١٠٥٥) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٣.

(١٠٥٦)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٤٣ -.

(١٠٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٨/ ٦٢٦ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٠٥٨) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٣.

الله عليه وسلم: عرضت على الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها، فكان النبي يجيء معه الثلة من أمته، والنبي معه العصابة من أمته؛ والنبي معه النفر من أمته، والنبي معه الرجل من أمته، والنبي ما معه من أمته أحد من قومه، حتى أتى علي موسى بن عمران في كبكبة من بني إسرائيل؛ فلما رأيتهم أعجبوني، فقلت أي رب من هؤلاء؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل فقلت رب، فأين أمتي؟ فقيل: انظر عن يمينك، فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت: من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء أمتك، فقيل: أرضيت؟ فقلت: رب رضيت رب رضيت قيل: انظر عن يسارك، فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقلت: رب من هؤلاء؟ قيل: هؤلاء أمتك، فقيل: أرضيت؟ فقلت رضيت، رب رضيت؛ فقيل إن مع هؤلاء سبعين ألفا من أمتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم؛ قال: فأنشأ عكاشة بن محصن، رجل من بني أسد بن خزيمة، فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم، قال: اللهم اجعله منهم، ثم أنشأ رجل آخر فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم، قال: سبقك بها عكاشة، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: فدى لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني رأيت ثم أناسا يتهرشون[١٠٥٩] كثيرا، أو قال يتهوشون؛ قال: فتراجع المؤمنون، أو قال فتراجعنا على هؤلاء السبعين، فصار من أمرهم أن قالوا: نراهم ناسا ولدوا في الإسلام، فلم يزالوا يعلمون به حتى ماتوا عليه، فنمى حديثهم ذاك إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ليس كذاك، ولكنهم الذين لا يسترقون، ولا يكثوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون - ذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: "إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة، فكبرنا، ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا الشطر، فكبرنا، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[١٠٦٠].

عن قتادة، أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: نعم، قال والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ثم تلا هذه الآية: {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ (٤٠)} [الواقعة : ٣٩ - ٤٠]"[١٠٦١].

القرآن

{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)} [الواقعة : ٤١-٤٤]

التفسير:

وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم جزاءهم!! في ريح حارة من حَرِّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم، وماء حار يغلي، وظلٍّ من دخان شديد السواد، لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر.

قوله تعالى:{وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ} [الواقعة : ٤١]، أي:" وأصحاب الشمال ما أسوأ حالهم جزاءهم!!"[١٠٦٢].

قال قتادة:" أي: ماذا لهم، وماذا أعدّ لهم"[١٠٦٣].

قوله تعالى:{فِي سَمُومٍ} [الواقعة : ٤٢]، أي:" هم في ريح حارة من حَرِّ نار جهنم تأخذ بأنفاسهم"[١٠٦٤].

(١٠٥٩)كذا في الأصل. وفي (النهاية: هرش) يتهارشون، هكذا رواه بعضهم، وفسره بالتقاتل. وهو في مسند أحمد بالواو بدل الراء، والتهاوش: الاختلاط. اهـ. (وقال في هوش) : وفي حديث الإسراء: فإذا بشر كثير يتهاوشون، الهوش: الاختلاط، أي يدخل بعضهم في بعض.

(١٠٦٠) أخرجه الطبري: ١٢٦/٢٣-١٢٧.

(١٠٦١) أخرجه الطبري: ١٢٧/٢٣-١٢٨.

(١٠٦٢) التفسير الميسر: ٥٣٥.

(١٠٦٣) اخرجه الطبري: ١٢٨/٢٣.

عن الحسن:" {السَّمُوم} اسم من أسماء النار، وطبقة من طبقات جهنم"[١٠٦٥].
قوله تعالى:{وَحَمِيمٍ} [الواقعة : ٤٢]، أي:" وماء حار يغلي"[١٠٦٦].
عن الحسن:"{إِلَّا حَمِيمًا وغَسَّاقًا}، قال: شَرابَيْن في النار؛ يقال لأحدهما: حميم، والآخر: غسّاق"[١٠٦٧].
قوله تعالى:{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة : ٤٣]، أي:" وظلٍّ من دخان شديد السواد"[١٠٦٨].
وفي قوله تعالى:{وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ} [الواقعة : ٤٣]، وجوه:
أحدهما: أن «اليحموم»: الدخان، والمعنى: أنهم في ظل من دخان جهنم. قاله أبو مالك[١٠٦٩]، ومجاهد[١٠٧٠]، وعكرمة[١٠٧١]، وأبو صالح[١٠٧٢]، وقتادة[١٠٧٣]، والسدي[١٠٧٤]، وغيرهم.
قال مجاهد:" من دخان حميم"[١٠٧٥].
قال مجاهد:" يقول: ظل من دخان جهنم أسود هو اليحموم"[١٠٧٦].
عن عكرمة، {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، قال: "الدخان"[١٠٧٧].
مجاهد: {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}، قالا: "الدخان"[١٠٧٨].
قال قتادة:" من دخان"[١٠٧٩].
قال قتادة:" كنا نحَدَّث أنها ظلّ الدخان"[١٠٨٠].
الثاني : أن «اليحموم»: جبل في جهنم، يستغيث إلى ظله أهل النار، فيصيبهم من حره ما يستغيثون منه، ويكون ذلك أشد عليهم مما كانوا فيه. حكاه الثعلبي عن ابن بريدة[١٠٨١].
الثالث: أن «اليحموم»: اسم من أسماء النار. قاله ابن كيسان[١٠٨٢].
والمفسرون جميعًا قالوا في «اليحموم»: أنه دخان جهنم، والمعنى: أنهم في ظل من دخان جهنم"[١٠٨٣].
قوله تعالى:{لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة : ٤٤]، أي:" لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر"[١٠٨٤].
قال مجاهد:" لا بارد المدخل ولا كريم"[١٠٨٥].

(١٠٦٤) التفسير الميسر: ٥٣٥.[بتصرف]
(١٠٦٥)تفسير البغوي ٧/ ٣٩١.
(١٠٦٦) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(١٠٦٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤١ (١٨٧) -.
(١٠٦٨) التفسير الميسر: ٥٣٥.
(١٠٦٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٣.
(١٠٧٠) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٧١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٣.
(١٠٧٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٧.
(١٠٧٣)انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٧٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٧.
(١٠٧٥) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٧٦) تفسير مجاهد: ٦٤٣.
(١٠٧٧) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٣.
(١٠٧٨) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٧٩) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٨٠) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣.
(١٠٨١) انظر: الكشف والبيان: ٢١٣/٩، وانظر: تفسير السمعاني: ٣٥٢/٥.
(١٠٨٢) نقلا عن: تفسير البغوي: ١٨/٨.
(١٠٨٣) التفسير البسيط: ٢٣٩/٢١-٢٤٠.
(١٠٨٤) التفسير الميسر: ٥٣٥.

قال قتادة:" لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر"[١٠٨٦].
قال الضحاك:" كلّ شراب ليس بعذب فليس بكريم"[١٠٨٧].

القرآن
{إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥)} [الواقعة : ٤٥]
التفسير:
إنهم كانوا في الدنيا متنعِّمين بالحرام، معرضين عما جاءتهم به الرسل.
قال السدي: أي: " مشركين"[١٠٨٨].

القرآن
{وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦)} [الواقعة : ٤٦]
التفسير:
وكانوا يقيمون على الكفر بالله والإشراك به ومعصيته، ولا ينوون التوبة من ذلك.
عن مجاهد: "{يُصِرّون}: يدمنون"[١٠٨٩]. وفي لفظ:" يدهنون"[١٠٩٠].
وفي تفسير قوله تعالى: {عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} [الواقعة : ٤٦]، وجوه:
أحدها : أنه الشرك بالله، قاله الحسن[١٠٩١]، والضحاك[١٠٩٢]، وعكرمة[١٠٩٣]، وقتادة-في رواية-[١٠٩٤]، والسدي[١٠٩٥].
عن قتادة، قوله: "{وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}، وهو الشرك"[١٠٩٦].
الثاني : الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه، قاله قتادة[١٠٩٧]، ومجاهد[١٠٩٨].
عن مجاهد: "{عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}، قال: على الذنب"[١٠٩٩]. وفي لفظ: "الذنب العظيم"[١١٠٠].
وروي عن الحسن:" {عَلَى الحِنْثِ} على الذَّنب"[١١٠١].
وقال قتادة:" على الذَّنب العظيم"[١١٠٢].
الثالث : هو اليمين الغموس، قاله الشعبي[١١٠٣].

(١٠٨٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٠٥):ص٥٤/٢.
(١٠٨٦) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(١٠٨٧) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٣-١٣١.
(١٠٨٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير القرطبي: ٢١٣/١٧.
(١٠٨٩) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(١٠٩٠) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٣.
(١٠٩١) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥.
(١٠٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠٩٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(١٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠٩٥) تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.
(١٠٩٦) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠٩٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠٩٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١٠٩٩) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١١٠٠) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٣.
(١١٠١) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١١٠٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٧٢، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١١٠٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.

الرابع: الكبائر من الذنوب. قاله الشعبي[١١٠٤].
قال الشعبي:" هي الكبائر"[١١٠٥].

القرآن
{إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨)} [القمر : ٤٧ - ٤٨]
التفسير:
وكانوا يقولون إنكارًا للبعث: أنُبعث إذا متنا وصرنا ترابًا وعظامًا بالية؟ وهذا استبعاد منهم لأمر البعث وتكذيب له. أنُبعث نحن وآباؤنا الأقدمون الذين صاروا ترابًا، قد تفرَّق في الأرض؟
عن قتادة: "{أإذا مِتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبْعُوثُونَ}: تكذيبًا بالبعث"[١١٠٦].

القرآن
{قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥)} [الواقعة : ٤٩ - ٥٥]
التفسير:
قل لهم -أيها الرسول-: إن الأولين والآخرين من بني آدم سيُجمَعون في يوم مؤقت بوقت محدد، وهو يوم القيامة. ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر، فمالئون منها بطونكم ; لشدة الجوع، فشاربون عليه ماء متناهيًا في الحرارة لا يَرْوي ظمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تَرْوى لداء يصيبها.
قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ(٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} [الواقعة :٥١-٥٣]، أي:" ثم إنكم أيها الضالون عن طريق الهدى المكذبون بوعيد الله ووعده، لآكلون من شجر من زقوم، وهو من أقبح الشجر، فمالئون منها بطونكم ; لشدة الجوع"[١١٠٧].
عن أبي عمران الجوني، قال: "بلغنا: أنّ ابنَ آدم لا ينهش مِن شجرة الزقوم نهشةً إلا نهشَتْ مِنه مثلها"[١١٠٨].
قال الحسن:" أصلها في قَعْر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دَركاتها[١١٠٩].
قال قتادة:" عُذِّبَتْ بالنار، ومنها خُلِقَتْ"[١١١٠].
قوله تعالى:{فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة : ٥٤-٥٥]، أي:" فشاربون عليه ماء متناهيًا في الحرارة لا يَرْوي ظمأ، فشاربون منه بكثرة، كشرب الإبل العطاش التي لا تَرْوى لداء يصيبها"[١١١١].
وفي تفسير قوله تعالى:{فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة : ٥٥]، وجوه:

(١١٠٤) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١١٠٥) الدر المنثور: ٤٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١١٠٦) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١، وعلّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٨٢٦.
(١١٠٧) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١١٠٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤١ (١٨٨) -. وعزاه السيوطي إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد، وابن المنذر.
(١١٠٩)تفسير الثعلبي ٨/ ١٤٦، وتفسير البغوي ٧/ ٤٢.
(١١١٠)أخرجه الطبري: ٥٢/٢١. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم.
(١١١١) التفسير الميسر: ٥٣٦.

أحدها : أنها الأرض الرملة التي لا تروى بالماء، وهي هيام الأرض، قاله الضحاك[١١١٢]، وابن كيسان[١١١٣].

قال الضحاك:" الهيمِ} الأرض السّهلة ذات الرّمل"[١١١٤].

الثاني : أنها الإبل التي يواصلها الهيام وهو داء يحدث عطشاً فلا تزال الإبل تشرب الماء حتى تموت، قاله عكرمة[١١١٥]، والضحاك-أيضا-[١١١٦]، والسدي[١١١٧]، ومنه قول قيس بن الملوح[١١١٨]:

يُقَالُ بِهِ دَاءُ الْهُيَامِ أَصَابَهُ ... وَقَدْ عَلِمَتْ نَفْسِيْ مَكَانَ شِفَائِيَا

قال عكرمة:" الإبل يأخذها العُطاش، فلا تزال تشرب حتى تهلك"[١١١٩]. وفي لفظ:" هي الإبل يأخذها العطاش"[١١٢٠].

قال عكرمة:" هي الإبل المِراضى، تَمُصّ الماء مَصًّا ولا تَرْوَى"[١١٢١].

قال الضحاك:" الهيم: الإبل العطاش، تشرب فلا تروى يأخذها داء يقال له الهُيام"[١١٢٢].

قال قتادة:" داء بالإبل لا تَرْوَى معه"[١١٢٣].

وعن مجاهد قال:" الإبل الهيم"[١١٢٤]. وفي لفظ:" الهيم: «الإبل الظمأى»"[١١٢٥].

عن الحسن ، قال: "{الهيمِ} الإبل العِطاش"[١١٢٦].

وعن أبي مجلز:" {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهيم}، قال: كان المِراض تمصّ الماء مصًّا، ولا تَروى"[١١٢٧].

الثالث : أن شرب الهيم هو أن تمد الشرب مرة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا، وهذا قول خالد بن معدان[١١٢٨].

وعن خالد بن معدان : "أنه كان يكره أن يشرب شُرْبَ الهيم عَبَّة واحدة من غير أن يتنفس ثلاثًا"[١١٢٩].

قرأ نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ :«شرب الهيم»، بضم الشين، وباقي السبعة بفتحِها[١١٣٠].

القرآن

{هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)} [الواقعة : ٥٦]

التفسير:

(١١١٢) حكاه عنه الثعلبي في" الكشف والبيان": ٢١٤/٩، والواحدي في "التفسير البسيط": ٢٤٤/٢١.

(١١١٣) حكاه عنه الثعلبي في" الكشف والبيان": ٢١٤/٩.

(١١١٤) حكاه عنه الثعلبي في" الكشف والبيان": ٢١٤/٩، والواحدي في "التفسير البسيط": ٢٤٤/٢١.

(١١١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١١٦) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١١٧) انظر: انكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.

(١١١٨) انظر: النكت والعيون: ٤٥٧/٥، وتفسير القرطبي: ٢١٥/١٧.

(١١١٩) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١٢٠) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١٢١) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١٢٢) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١٢٣) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٣.

(١١٢٤) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٣.

(١١٢٥) تفسير مجاهد: ٦٤٤.

(١١٢٦) الدر المنثور: ٢٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١١٢٧) الدر المنثور: ٢١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١١٢٨) انظر: انكت والعيون: ٤٥٧/٥.

(١١٢٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٣٨/٧.

(١١٣٠) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢٣.

هذا الذي يلقونه من العذاب هو ما أُعدَّ لهم من الزاد يوم القيامة. وفي هذا توبيخ لهم وتهكُّم بهم.
عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[١١٣١].
وقال مجاهد: "يوم الحساب"[١١٣٢].

القرآن
{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧)} [الواقعة : ٥٧]
التفسير:
نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئًا، فهلا تصدِّقون بالبعث.
قوله تعالى:{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ} [الواقعة : ٥٧]، أي:" نحن خلقناكم -أيها الناس- ولم تكونوا شيئًا"[١١٣٣].
روي عن مجاهد: {ولقد خلقناكم} [الأعراف: ١١] يعني: «خلق آدم»"[١١٣٤]. وروي عن قتادة مثله[١١٣٥].

القرآن
{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩)} [الواقعة : ٥٨-٥٩]
التفسير:
أفرأيتم النُّطف التي تقذفونها في أرحام نسائكم، هل أنتم تخلقون ذلك بشرًا أم نحن الخالقون؟
قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} [الواقعة : ٥٨]، أي:" أفرأيتم النُّطف التي تقذفونها في أرحام نسائكم"[١١٣٦].
عن الضحاك: {مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى}، قال: " تصب في الرحم"[١١٣٧].

القرآن
{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١)} [الواقعة : ٦٠-٦١]
التفسير:
نحن قَدَّرنا بينكم الموت، وما نحن بعاجزين عن أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال.
قوله تعالى:{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ} [الواقعة : ٦١]، أي:" نحن قضينا وحكمنا عليكم بالموت وساوينا بينكم"[١١٣٨].

(١١٣١) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(١١٣٢) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(١١٣٣) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١١٣٤) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
قال الطنطاوي في "الوسيط"(١٧٤/١٤-١٧٥):" فالمراد بقوله- تعالى-: خَلَقْناكُمْ: خلقهم من سلالة من طين، ثم جعلهم نطفة في قرار مكين كما قال- تعالى-: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْناهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظاماً، فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً، ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ".[سورة المؤمنون الآيات ١٢- ١٤]
(١١٣٥) تفسير عبدالرزاق(٨٨٦):ص٧٤/٢.
(١١٣٦) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١١٣٧) التفسير البسيط: ٧٢/٢١. قال الواحدي:" ما تقذفون، وتصبون في أرحام النساء من النطف". [التفسير الوسيط: ٢٣٧/٤]
(١١٣٨) صفوة التفاسير: ٢٩٤/٣.

عن مجاهد، قوله: "{قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ}، قال: المستأخر والمستعجل"[١١٣٩]. وفي لفظ:" يعني: المتأخر منكم والمستعجل"[١١٤٠].

قال الضحاك : "ساوى فيه بين أهل السماء والأرض"[١١٤١]. وفي رواية:" تقديره أن جعل أهل الأرض وأهل السماء فيه سواء؛ شريفهم وضعيفهم"[١١٤٢].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ(٦١) وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الواقعة : ٦٠-٦١]، أي:" وما نحن بعاجزين عن أن نغيِّر خلقكم يوم القيامة، وننشئكم فيما لا تعلمونه من الصفات والأحوال"[١١٤٣].

عن مجاهد، قوله: "{وَنُنْشِئَكُمْ}: في أي خلق شئنا"[١١٤٤].

قال السدي:" {وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} نخلُقكم في سوء خلقكم"[١١٤٥].

قال سعيد بن المسيّب: "{وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} يعني: في حواصل طير، تكون بِبَرَهُوت، كأنها الخطاطيف. وبَرَهُوت: وادٍ باليمن"[١١٤٦].

قال الحسن:" {وَنُنْشِئَكُمْ فِي ما لا تَعْلَمُونَ} أي: نبدّل صفاتكم، ونجعلكم قِردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم"[١١٤٧].

القرآن

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢)} [الواقعة : ٦٢]

التفسير:

ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئًا، فهلا تذكَّرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى} [الواقعة : ٦٢]، أي:" ولقد علمتم أن الله أنشأكم النشأة الأولى ولم تكونوا شيئًا"[١١٤٨].

عن مجاهد، قوله: {النَّشْأَةَ الأولى}، قال: "إذ لم تكونوا شيئًا"[١١٤٩].

قال قتادة وأبو عمران الجوني:" هو خلق آدم"[١١٥٠].

قال قتادة:" يعني: خلق آدم لستَ سائلا أحدًا من الخلق إلا أنبأك أن الله خلق آدم من طين"[١١٥١].

عن أبي عمران الجَوْني -من طريق جعفر بن سليمان- يقرأ هذه الآية: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى}، قال: هو خلْق آدم"[١١٥٢].

عن الضحاك:" {ولَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى} قال: خلْق آدم وخلْقكم"[١١٥٣].

(١١٣٩) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٣.

(١١٤٠) تفسير مجاهد: ٦٤٤.

(١١٤١) نقلا عن: تفسير ابن كثير:٥٣٩/٧.

(١١٤٢)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١٨٠).

(١١٤٣) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٤٤) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٣.

(١١٤٥)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥.

(١١٤٦)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥، وتفسير البغوي: ٨/ ٢٠.

(١١٤٧)تفسير الثعلبي: ٩/ ٢١٥، وتفسير البغوي: ٨/ ٢٠.

(١١٤٨) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٤٩) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.

(١١٥٠) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.

(١١٥١) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣.

(١١٥٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال ٦/ ١٧٥ (٩٤).

(١١٥٣)جاء في طبعة الكتاب بتحقيق: د. رضاء الله المباركفوري ص ١٤٣ (٩٥) طمس مكان القائل، وقال المحقق: لعل

قوله تعالى:{فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} [الواقعة : ٦٢]، أي:" فهلا تذكَّرون قدرة الله على إنشائكم مرة أخرى"[١١٥٤].

عن الضحاك:"{فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ}، فهلّا تصدّقون"[١١٥٥].

القرآن

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧)} [الواقعة : ٦٣-٦٧]

التفسير:

أفرأيتم الحرث الذي تحرثونه هل أنتم تُنبتونه في الأرض؟ بل نحن نُقِرُّ قراره وننبته في الأرض؟ لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا، لا يُنتفع به في مطعم، فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم، وتقولون: إنا لخاسرون معذَّبون، بل نحن محرومون من الرزق.

قوله تعالى:{ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣)أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} [الواقعة : ٦٤]، أي:" أفرأيتم الحرث الذي تحرثونه؟ هل أنتم تُنبتونه في الأرض؟ بل نحن نُقِرُّ قراره وننبته في الأرض؟"[١١٥٦].

عن مجاهد:" {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ}، قال: تُنبتونه"[١١٥٧].

قال مجاهد:" لا تقُلْ: زرعتُ. ولكن قل: حرثتُ. إنّ الله هو الزارع"[١١٥٨].

قال أبو عبد الرحمن السلمي : "لا تقولوا : زرعنا ولكن قولوا : حرثنا"[١١٥٩].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "لا تَقُولَنَّ زَرَعْتُ ولكنْ قُلْ حَرَثْتُ" قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قول الله: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}"[١١٦٠].

وروي عن حُجْر المدَرِيّ:" أنه كان إذا قرأ :{أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ} وأمثالها يقول : بل أنت يا رب"[١١٦١].

قوله تعالى:{لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} [الواقعة : ٦٥]، أي:" لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا، لا يُنتفع به في مطعم"[١١٦٢].

قال عطاء:" تِبنًا لا قمح فيه"[١١٦٣].

قوله تعالى:{فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة : ٦٥]، أي:" فأصبحتم تتعجبون مما نزل بزرعكم"[١١٦٤].

وفي قوله تعالى:{فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة : ٦٥]، وجوه من التفسير:

أحدها: فظلتم تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم من المصيبة باحتراقه وهلاكه. قاله مجاهد[١١٦٥]، وقتادة[١١٦٦].

المطموس: عن الضَّحّاك. وفي طبعة الكتاب بتحقيق: أبي بكر سعداوي ٣/ ٢٧١ (٢٠٩) روى الأثر عن الضَّحّاك دون إسناد.

(١١٥٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٥٥)جاء في طبعة الكتاب بتحقيق: د. رضاء الله المباركفوري ص ١٤٣ (٩٥) طمس مكان القائل، وقال المحقق: لعل المطموس: عن الضَّحّاك. وفي طبعة الكتاب بتحقيق: أبي بكر سعداوي ٣/ ٢٧١ (٢٠٩) روى الأثر عن الضَّحّاك دون إسناد.

(١١٥٦) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٥٧) الدر المنثور: ٢٣/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(١١٥٨)أخرجه البيهقي في سننه ٦/ ١٣٨.

(١١٥٩) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(١١٦٠) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٣.

(١١٦١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٠/٧.

(١١٦٢) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٦٣)تفسير البغوي ٨/ ٢٠.

(١١٦٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٦٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.

الثاني: فظلتم تلاومون بينكم في تفريطكم في طاعة ربكم جلّ ثناؤه، حتى نالكم بما نالكم من إهلاك زرعكم. وهذا قول عكرمة[١١٦٧].
الثالث: فظلتم تندمون على ما سلف منكم في معصية الله التي أوجب لكم عقوبته، حتى نالكم في زرعكم ما نالكم. وهذا قول الحسن[١١٦٨]، وقتادة-في رواية-[١١٦٩]، والسدي[١١٧٠].
الرابع: تحزنون ، قاله ابن كيسان[١١٧١].
الخامس: تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم. قاله مجاهد[١١٧٢].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى {فَظَلْتُمْ}: فأقمتم تعجبون مما نزل بزرعكم وأصله من: التفكه بالحديث إذا حدّث الرجلُ الرجلَ بالحديث يعجب منه، ويلهى به، فكذلك ذلك. وكأن معنى الكلام: فأقمتم تتعجبون يُعَجِّب بعضكم بعضا مما نزل بكم[١١٧٣].
قوله تعالى:{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} [الواقعة : ٦٦]، أي:" وتقولون: إنا لمحمَّلون الغرم في إنفاقنا حيث ذهب زرعنا وغرمنا الحبَّ الذي بذرناه"[١١٧٤].
وفي قوله تعالى:{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ} [الواقعة : ٦٦]، وجوه من التفسير:
أحدها: إنا لمولع بنا. قاله مجاهد[١١٧٥]، وعكرمة[١١٧٦]، ومنه قول النمر بن تولب[١١٧٧]:
سلا عن تذكره تكتما ... وكان رهيناً بها مغرماً
أي: مولع.
الثاني: إنا لمعذّبون. قاله قتادة[١١٧٨]، وأنشد قول بشر بن أبى خازم[١١٧٩]:
ويومُ النِّسَارِ ويومُ الجِفَا ... رِ كانا عذابًا وكانا غرامًا
الثالث: إنا لملقون للشرّ. قاله مجاهد-أيضا-[١١٨٠].
الرابع: إنا مجدودون، يعني : لا حظ لنا. قاله مجاهد-أيضا-[١١٨١].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إنا لمعذّبون، وذلك أن الغرام عند العرب: العذاب، ومنه قول الأعشى[١١٨٢]:

(١١٦٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٣.
(١١٦٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.
(١١٦٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.
(١١٦٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٣.
(١١٧٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
(١١٧١) انظر: النكت والعيون: ٤٦٠/٥.
(١١٧٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
(١١٧٣) تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
(١١٧٤) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.
(١١٧٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
(١١٧٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
(١١٧٧) انظر: النكت والعيون: ٤٦١/٥، وتفسير القرطبي: ٤٦١/٥.
(١١٧٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
(١١٧٩)البيت بشر بن أبي خازم، وهو في (الديوان) صفحة ١٩٠. وقد استشهد به الزبيدي في (لسان العرب) باب: غرم، ونسبه إلى الطرماح. واستشهد به ياقوت الحموي في (معجم البلدان) . يوم النّسار: كان بين بني ضبّة وبني تميم. والنسار: جبال صغار كانت الوقعة عندها، وقال بعضهم: هو ماء لبني عامر. (مجمع الأمثال: ٢/ ٤٣٠) . يوم الجفار: كان بعد النّسار بحول، وكان بين بني بكر وتميم. وهو ماء لبني تميم بنجد. (مجمع الأمثال: ٢/ ٤٣٠) . وقد استشهد الميداني في (مجمع الأمثال) ٢/ ٤٣٠ بالبيت.
(١١٨٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٣.
(١١٨١) انظر: النكت والعيون: ٤٦١/٥ [وأنشد له الماوردي البيت السابق]، انظر: وتفسير ابن كثير: ٥٤١/٧.
(١١٨٢) ديوانه: ٩، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٣٢٥/١، ٨٠/٢، وإعراب القرآن للنحاس: ٢٢٧/٤، ٥،٤٨، والكشف والبيان:

يُعاقِبْ يَكُنْ غَرَاما وَإنْ يعـ ... ـط جَزِيلا فإنَّهُ لا يُبالي
يعني بقوله: يكن غرامًا: يكن عذابًا"[١١٨٣].
قوله تعالى:{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [الواقعة : ٦٧]، أي:" بل نحن محرومون الرزق، غرمنا قيمة البذر، وحُرمنا خروج الزرع"[١١٨٤].
عن مجاهد: "{بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}، قال: حُورفنا فحرمنا"[١١٨٥]. وفي لفظ:" أي: محدودون"[١١٨٦].
قال قتادة:" أي: محارَفون"[١١٨٧].
قال محمد بن كعب القرظي:" المحروم: الذي تصيبه الجائحة"[١١٨٨].

القرآن
{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (٦٩)} [الواقعة : ٦٨-٦٩]
التفسير:
أفرأيتم الماء الذي تشربونه لتحْيَوا به، أأنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟
قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ} [الواقعة : ٦٩]، أي:" أأنتم أنزلتموه من السحاب إلى قرار الأرض، أم نحن الذين أنزلناه رحمة بكم؟"[١١٨٩].
عن مجاهد، في قوله :"{مِنَ الْمُزْنِ}، قال: السحاب"[١١٩٠].
قال قتادة:" أي: من السَّحاب"[١١٩١].

القرآن
{لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠)} [الواقعة : ٧٠]
التفسير:
لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع، فهلا تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنفعكم.
قوله تعالى:{لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا} [الواقعة : ٧٠]، أي:" لو نشاء جعلنا هذا الماء شديد الملوحة، لا يُنتفع به في شرب ولا زرع"[١١٩٢].
عن مجاهد، وقتادة:" {أُجاجًا}: منصبًّا"[١١٩٣].
قال الحسن البصري: {لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجًا} مُرًّا"[١١٩٤].

١٤٦/٧، والنكت والعيون: ١٥٥/٤، وغيرها.
(١١٨٣) تفسير الطبري: ١٤١/٢٣-١٤٢.
(١١٨٤) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.
(١١٨٥) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٣.
(١١٨٦) تفسير مجاهد: ٦٤٤.
(١١٨٧) أخرجه الطبري: ١٤٢/٢٣.
(١١٨٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٠٢):ص٢/!٠٣.
(١١٨٩) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١١٩٠) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.
(١١٩١) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٣.
(١١٩٢) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١١٩٣)أخرجه ابن جرير -كما في الفتح ٥/ ٢٩ -.
(١١٩٤)تفسير البغوي ٨/ ٢١.

قال قتادة:" الأجاج: المرّ"[١١٩٥].

قوله تعالى:{فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} [الواقعة : ٧٠]، أي:" فهلا تشكرون ربكم على إنزال الماء العذب لنفعكم"[١١٩٦].

عن أبي جعفر، عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه إذا شرب الماء قال : "الحمد لله الذي سقانا عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا"[١١٩٧].

القرآن

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٧٢)} [الواقعة :٧٢]

التفسير:

أفرأيتم النار التي توقدون، أأنتم أوجدتم شجرتها التي تقدح منها النار، أم نحن الموجدون لها؟

قوله تعالى:{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} [الواقعة : ٧١]، أي:" أفرأيتم النار التي توقدون"[١١٩٨].

قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ} [الواقعة : ٧٢]، أي:" أأنتم أوجدتم شجرتها التي تقدح منها النار، أم نحن الموجدون لها؟"[١١٩٩].

القرآن

{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٣)} [الواقعة : ٧٣]

التفسير:

نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيرًا لكم بنار جهنم ومنفعة للمسافرين.

قوله تعالى:{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً} [الواقعة : ٧٣]، أي:" نحن جعلنا ناركم التي توقدون تذكيرًا لكم بنار جهنم"[١٢٠٠].

عن قتادة، قوله: :{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً}، قال:" للنار الكبرى"[١٢٠١].

قال مجاهد:" تذكرة النار الكبرى"[١٢٠٢]. وفي رواية:" للنار الكبرى التي في الآخرة"[١٢٠٣]. وفي رواية:" هذه النار تذكرةٌ للنار الكبرى"[١٢٠٤].

قال عكرمة:" تذكرةٌ للنار الكبرى؛ إذا رآها الرائي ذكر جهنم"[١٢٠٥].

عن عطاء:" {تَذْكِرَةً} موعظة يتّعظ بها المؤمن[١٢٠٦].

(١١٩٥)أخرجه ابن أبي حاتم -كما في الفتح ٥/ ٢٩ - . وفي المطبوع من تفسير عبد الرزاق ٢/ ٧٠ من طريق معمر، ومن تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٠٨ من طريق سعيد، عند قوله تعالى: {وهذا ملح أجاج} [الفرقان: ٥٣].

(١١٩٦) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٩٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤١/٧، وهذا مرسل وعزاه الهندي في كنز العمال (١١١/٧) إلى أبي نعيم في الحلية.

(١١٩٨) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١١٩٩) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١٢٠٠) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١٢٠١) أخرجهم الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١٢٠٢) أخرجهم الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١٢٠٣) أخرجهم الطبري: ١٤٤/٢٣.

(١٢٠٤)تفسير مجاهد ص ٦٤٥.

(١٢٠٥)تفسير البغوي ٨/ ٢١.

(١٢٠٦)تفسير البغوي ٨/ ٢١.

عن أبي هريرة، عن النبي -صلي الله عليه وسلم -، وعمرو عن يحِيى بن جَعْدَةَ: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضُربتْ بالبحر مرَّتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعةً لأحدٍ"[١٢٠٧].

عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا، من حر جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية، يا رسول الله قال: «فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلها مثل حرها»[١٢٠٨].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سوادًا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفًا"[١٢٠٩].

قوله تعالى:{وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} [الواقعة : ٧٣]، أي:" ومنفعة للمسافرين"[١٢١٠].

وفي قوله تعالى:{وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ} [الواقعة : ٧٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : منفعة للمسافرين. قاله مجاهد[١٢١١]، وقتادة[١٢١٢]، والضحاك[١٢١٣]، والسدي[١٢١٤]، والربيع بن أنس[١٢١٥].

قال قتادة:" للمُرْمل: المسافر"[١٢١٦].

قال السدي والربيع بن أنس:" يعني: للمنزلين المقترين المُرملين، الذين لا زاد معهم، يعني: نارًا يُوقدون، فيختبزون بها"[١٢١٧].

الثاني : المستمتعين بها من حاضر ومسافر ، قاله مجاهد[١٢١٨]، وعكرمة[١٢١٩].

قال مجاهد:" للمستمتعين الناس أجمعين"[١٢٢٠]. وفي لفظ:" للمستمتعين المسافر والحاضر"[١٢٢١].

وقال خصيف: للخلق"[١٢٢٢].

قال عكرمة:" يعني: للمُستمتعين بها مِن الناس أجمعين، المسافرين والحاضرين، يستضيئون بها في الظلمة، ويصْطلون مِن البرد، وينتفعون بها في الطبْخ والخبز"[١٢٢٣].

والصواب عُنِي بذلك للمسافر الذي لا زاد معه، ولا شيء له، وأصله من قولهم: أقوت الدار: إذا خلت من أهلها وسكانها كما قال الشاعر[١٢٢٤]:

أقْوَى وأقْفَرَ مِنْ نُعْمٍ وغَيَّرَها ... هُوجُ الرّياح بهابي التُّرْبِ مَوَّارِ

(١٢٠٧) المسند(٧٣٢٣):ص١٤٣/٧.
(١٢٠٨) صحيح مسلم(٢٨٤٣):ص٢١٨٤/٤.
(١٢٠٩)المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) "مجمع البحرين".
(١٢١٠) التفسير الميسر: ٥٣٦.
(١٢١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٧.
(١٢١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢١٤)تفسير الثعلبي ٩/ ٢١٧.
(١٢١٥)تفسير الثعلبي ٩/ ٢١٧.
(١٢١٦) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢١٧)تفسير الثعلبي ٩/ ٢١٧.
(١٢١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢١٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٧.
(١٢٢٠) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢٢١) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢٢٢) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٣.
(١٢٢٣)تفسير البغوي ٨/ ٢٢.
(١٢٢٤)البيت للنابغة الذبياني من قصيدته التي مطلعها "عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار" وهو البيت الثاني بعد المطلع. ذكرها وليم الورد البروسي في :"العقد الثمين"، ص ٢٦٩، وجعلها من الشعر المنحول إلى النابغة.

يعني بقوله «أقوى»: خلا من سكانه، وقد يكون المقوي: ذا الفرس القويّ، وذا المال الكثير في غير هذا الموضع"[١٢٢٥].

القرآن

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)} [الواقعة : ٧٤]

التفسير:

فنزِّه -أيها النبي- ربك العظيم كامل الأسماء والصفات، كثير الإحسان والخيرات.

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[١٢٢٦].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[١٢٢٧].

عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤] ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم »، فلما نزلت: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: ١] قال: «اجعلوها في سجودكم»"[١٢٢٨].

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)} [الواقعة : ٧٥-٧٦]

التفسير:

أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاربها في السماء، وإنه لَقَسم لو تعلمون قَدَره عظيم.

سبب نزول الآيات: [٧٥-٨٢]:

عن ابن عباس، قال: "مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا». قال: فنزلت هذه الآية: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: ٧٥]، حَتَّى بَلَغَ: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: ٨٢]"[١٢٢٩].

عن زيد بن خالد الجهني، قال:" صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: " أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب "[١٢٣٠].

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة : ٧٥]، أي:" أقسم الله تعالى بمساقط النجوم في مغاربها في السماء"[١٢٣١].

عن سعيد بن جبير: "{فَلا أُقْسِمُ}، قال: أقسم"[١٢٣٢].

قال الضحاك : "إن الله لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتاح يفتتح به كلامه"[١٢٣٣].

وقرأ الحسن والثقفي: «فلأقسم»[١٢٣٤]، بغير ألف[١٢٣٥].

(١٢٢٥) تفسير الطبري: ١٤٦/٢٣.

(١٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(١٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(١٢٢٨) المسند(١٧٤١٤):ص٦٣٠/٢٨.

(١٢٢٩) صحيح مسلم(٧٣):ص٨٤/١، وأخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/ ١٩٨ والواحدي في «أسباب النزول» ٧٨٢.

(١٢٣٠) صحيح البخاري(٨٤٦):ص١٦٩/١، ومسلم ٧١ ومالك ١/ ١٩٢ وأحمد ٤/ ١١٧ من حديث زيد بن خالد.

(١٢٣١) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١٢٣٢) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.

(١٢٣٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٥/، وتفسير ابن كثير: ٥٤٣/٧

وفي «مواقع النجوم»، أقوال:
أحدها : أنها مساقطها. قاله قتادة[١٢٣٦]. وحكي مجاهد أنه : "مطالعها ومساقطها[١٢٣٧].
عن قتادة، قوله: "{فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، أي: مساقطها"[١٢٣٨].
عن مجاهد، قوله: "{بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}، قال: في السماء، ويقال: مطالعها ومساقطها"[١٢٣٩].
الثاني : أنه منازل النجوم. قاله قتادة[١٢٤٠]، وعطاء[١٢٤١].
قال عطاء:" أراد: منازلها[١٢٤٢].
الثالث : أنه انكدار النجوم وانتثارها يوم القيامة. قاله الحسن[١٢٤٣].
الرابع : أنه مواقع النجوم السماء ، قاله مجاهد-أيضا-[١٢٤٤].
قال مجاهد:" يعني: بمواقع النجوم في السماء"[١٢٤٥].
الخامس : أن مواقع النجوم الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، قاله الضحاك[١٢٤٦]. ويكون قوله : {فَلا أُقْسِمُ}، مستعملاً على حقيقته في نفي القسم بها.
السادس : أنها نجوم القرآن أنزلها الله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكرام الكاتبين في السماء الدنيا ، فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة، ونجمه جبريل على محمد -صلى الله عليه وسلم- عشرين سنة ، فهو ينزله على الأحداث في أمته. قاله عكرمة[١٢٤٧]، والسدي[١٢٤٨].
قال عكرمة:" أنزل الله القرآن نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات"[١٢٤٩].
قال عكرمة:" إن القرآن نزل جميعًا، فوضع بمواقع النجوم، فجعل جبريل يأتي بالسورة، وإنما نزل جميعًا في ليلة القدر"[١٢٥٠].
السادس : أن مواقع النجوم هو محكم القرآن، وكان ينزل على النبي صلى الله عليه نجوما. به قال مجاهد[١٢٥١].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعل، من وقع يقع موقعًا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به[١٢٥٢].

(١٢٣٤) انظر: الكشاف: ٤٦٨/٤، والمحرر الوجيز: ٢٥٠/٥.
(١٢٣٥). قال الزمخشري:" ومعناه: فلأنا أقسم: اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم، كقولك «لزيد منطلق» ثم حذف المبتدأ". [الكشاف: ٤٦٨/٤].
(١٢٣٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٣٧) أخرجه الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٣٨) أخرجه الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٣٩) أخرجه الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٤٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٤١)تفسير البغوي ٨/ ٢٢.
(١٢٤٢)تفسير البغوي ٨/ ٢٢.
(١٢٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣.
(١٢٤٤) تفسير مجاهد: ٦٤٥.
(١٢٤٥) تفسير مجاهد: ٦٤٥.
(١٢٤٦) انظر: النكت والعيون: ٥٦٣/٥.
(١٢٤٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٣.
(١٢٤٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.
(١٢٤٩) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
(١٢٥٠) أخرجه الطبري: ١٤٧/٢٣.
(١٢٥١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٣.
(١٢٥٢) تفسير الطبري: ١٤٨/٢٣.

وقرأ عبد الله بن مسعود: «فلا أقسم بموقع النجوم»[١٢٥٣]. والقراء جميعا على: «مواقع».

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة : ٧٦]، أي:" وإنه لَقَسم لو تعلمون قَدَره عظيم"[١٢٥٤].

قال الضحاك: "أن الشرك بآياته جرم عظيم"[١٢٥٥].

القرآن

{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩)} [الواقعة : ٧٧-٧٩]

التفسير:

إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مَصُون مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة. لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يَمَسُّه أيضًا إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث.

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} [الواقعة : ٧٧-٧٨]، أي:" إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لقرآن عظيم المنافع، كثير الخير، غزير العلم، في كتاب مَصُون مستور عن أعين الخلق، وهو الكتاب الذي بأيدي الملائكة"[١٢٥٦].

عن مجاهد، في قوله: "{فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}، قال: القرآن، في كتابه المكنون الذي لا يمسه شيء من تراب ولا غبار"[١٢٥٧].

عن سعيد بن جبير:" {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}، قال: في السماء"[١٢٥٨].

عن عكرمة:" {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}، قال: التوراة، والإنجيل"[١٢٥٩].

قوله تعالى:{لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة : ٧٩]، أي:" لا يَمَسُّ القرآن إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب، ولا يَمَسُّه أيضًا إلا المتطهرون من الشرك والجنابة والحدث"[١٢٦٠].

اختلف أهل العلم في معنى: {لَا يَمَسُّهُ}، هل هو حقيقة في المس بالجارحة أو معنى؟ وكذلك اختلف في: {الْمُطَهَّرُونَ} من هم؟ وفيه أقوال:

أحدها: معناه: لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة. قاله سعيد بن جبير[١٢٦١]، ومجاهد[١٢٦٢]، وعكرمة[١٢٦٣]، وأبو العالية[١٢٦٤]، وجبار بن زيد[١٢٦٥]، وأبي نهيك[١٢٦٦].

(١٢٥٣) رواه الفراء في معاني القرآن: ١٢٩/٣.

(١٢٥٤) التفسير الميسر: ٥٣٦.

(١٢٥٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٣/٥.

(١٢٥٦) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٢٥٧) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(١٢٥٨)أخرجه ابن أبي داود في المصاحف (١٨٧). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٢٥٩)الدر المنثور: ٢٦/٨، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، والطبري. ووقع عند الطبري:١٥١/٢٣، في تفسير قوله تعالى: {لا يَمَسُّهُ إلّا المُطَهَّرُونَ} قال: حملة التوراة والإنجيل. وسيأتي.

(١٢٦٠) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٢٦١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.

(١٢٦٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/٢٣.

(١٢٦٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.

(١٢٦٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥١/٢٣.

(١٢٦٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.

(١٢٦٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٣.

قال مالك: "أحسن ما سمعت في هذه الآية: {لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ}، أنها بمنزلة الآية، التي في: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، قال الله تبارك وتعالى: {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ}"[١٢٦٧].

عن سعيد بن جبير: "{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة الذين في السماء"[١٢٦٨].

عن عكرمة: "{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة"[١٢٦٩].

عن مجاهد:"{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة"[١٢٧٠].

عن أبي العالية: "{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: الملائكة"[١٢٧١].

عن أبي العالية الرياحي، في قوله: {لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، قال: ليس أنتم. أنتم أصحاب الذنوب"[١٢٧٢].

عن قتادة، قوله: "{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، ذاكم عند ربّ العالمين، فأما عندكم فيمسه المشرك النجس، والمنافق الرَّجِس"[١٢٧٣].

قال قتادة:" لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسيّ النجس، والمنافق الرجس. وقال في حرف ابن مسعود :«ما يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُون»"[١٢٧٤].

عن أبي نهيك في قوله: "{لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ}، يقول: الملائكة"[١٢٧٥].

الثاني: أن معنى {لا يَمَسُّهُ}: لا ينزل به، {إلا الْمُطَهَّرُونَ}، أي: الرسل من الملائكة على الرسل من الأنبياء. وهو معنى قول الضحاك[١٢٧٦].

قال الضحاك:" زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد، فأخبرهم الله أنها لا تقدر على ذلك، ولا تستطيعه، ما ينبغي لهم أن ينزلوا بهذا، وهو محجوب عنهم، وقرأ قول الله: {وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ}"[١٢٧٧].

الثالث: لا يمسه إلا المطهرون من الذنوب. قاله الربيع بن أنس[١٢٧٨].

قال الربيع بن أنس: "من الذنوب والخطايا"[١٢٧٩].

الرابع : معنى {لا يَمَسُّهُ}: لا يقرؤه، {إلا الْمُطَهَّرُونَ}: إلا الموحدون.

قال عكرمة: "وكان ابن عباس ينهى أن يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن"[١٢٨٠].

والصواب من القول من ذلك، أن الله جلّ ثناؤه، أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون فعمّ بخبره المطهرين، ولم يخصص بعضًا دون بعض؛ فالملائكة من المطهرين، والرسل والأنبياء من المطهرين وكل من كان مطهرًا من الذنوب، فهو ممن استثني، وعني بقوله: {إلا الْمُطَهَّرُونَ}[١٢٨١].

(١٢٦٧)موطأ الإمام مالك(٢٣٧):ص٩١/١.
(١٢٦٨) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
(١٢٦٩) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
(١٢٧٠) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
(١٢٧١) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
(١٢٧٢) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٣.
(١٢٧٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.
(١٢٧٤) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.
(١٢٧٥) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٣.
(١٢٧٦) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٣.
(١٢٧٧) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٣.
(١٢٧٨) انظر: زاد المسير: ٢٢٨/٤، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.
(١٢٧٩) انظر: زاد المسير: ٢٢٨/٤، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.
(١٢٨٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢١٩/٩، وتفسير القرطبي: ٢٢٦/١٧.
(١٢٨١) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٣.

القرآن

{تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠)} [الواقعة : ٨٠]

التفسير:

وهذا القرآن الكريم منزل من رب العالمين، فهو الحق الذي لا مرية فيه.

قال الطبري:" يقول: هذا القرآن تنزيل من رب العالمين، نزله من الكتاب المكنون"[١٢٨٢].

عن أبي نهيك، في قوله: "{تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قال: القرآن من ذلك الكتاب"[١٢٨٣].

واختُلِف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة[١٢٨٤]، ومجاهد[١٢٨٥].

الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ ، وهذا قول سعيد بن جبير[١٢٨٦]، ومجاهد[١٢٨٧].

الثالث : أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم[١٢٨٨]، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء[١٢٨٩]: هم الروحانيّون.

الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق[١٢٩٠].

الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[١٢٩١].

والظاهر أن{ العالَمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالَم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالَم، والجن عالَم، والملائكة عالَم[١٢٩٢]. والله أعلم.

القرآن

{أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨١)} [الواقعة : ٨١]

التفسير:

أفبهذا القرآن أنتم -أيها المشركون- مكذّبون؟

وقد تعددت عبارات أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{مُدْهِنُونَ} [الواقعة : ٨١]، على وجوه:

أحدها :معناه: مكذّبون غير مصدّقين، قاله الضحاك[١٢٩٣].

الثاني : معرضون ، قاله الضحاك-أيضا-[١٢٩٤].

الثالث: تريدون أن تمالئوهم فيه، وتركنوا إليهم، قاله مجاهد[١٢٩٥].

الرابع: أن المدهن، الذي لا يفعل ما يحق عليه ويدفعه بالعلل. قال ابن كيسان[١٢٩٦].

(١٢٨٢) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٣.

(١٢٨٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٣.

(١٢٨٤) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(١٢٨٥)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(١٢٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.

(١٢٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.

(١٢٨٨) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢١٣/١.

(١٢٨٩) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(١٢٩٠) تفسير الثعلبي:١١٢/١.

(١٢٩١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.

(١٢٩٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(١٢٩٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

(١٢٩٤) انظر: النكت والعيون: ٤٦٤/٥.

(١٢٩٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٣.

القرآن

{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)} [الواقعة : ٨٢]

التفسير:

وتجعلون شكركم لنعم الله عليكم أنكم تكذِّبون بها وتكفرون؟

سبب النزول:

عن أبي حرزة -رضي الله عنه- قال: "نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، ونزلوا بالحجر، فأمرهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن لا يحملوا من مائها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر، وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام يصلي ركعتين ثم دعا، فأرسل سحابة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق: ويحك قد ترى ما دعا النبي صلى الله عليه وسلم فأمطر الله علينا السماء، فقال: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢)} [الواقعة : ٨٢]"[١٢٩٧].

عن يحيى بن أبي كثير، قال: "أصاب الناسَ سَنَةٌ على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فمُطروا، فأصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غاديًا في أثر رحمة الله - عز وجل - وهو يقول: «أصبح الناسُ شاكرًا وكافرًا، فأما الشاكر فيحمد الله - عز وجل - على ما أنزل مِن رزقه ونشر من رحمته، وأما الكافر فيقول: مُطرنا بنَوء كذا وكذا». وأُنزِلتْ هذه الآية: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون}"[١٢٩٨].

قال الحسن البصري:" بئس ما أخَذ القوم لأنفسهم! لم يُرزَقوا مِن كتاب الله إلا التكذيب. قال: ودُكر لنا: أنّ الناس أمحَلوا على عهد نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالوا: يا نبي الله، لو استقيتَ لنا؟ فقال: «عسى قومٌ إن سُقوا أن يقولوا: سُقينا بنَوء كذا وكذا». فاستسقى لهم نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم -، فمُطروا، فقال رجل: إنه قد كان بقي مِن الأنواء كذا وكذا. فأنزل الله: {وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [٦٤٦٠]"[١٢٩٩].

وللمفسرين في معنى هذه الآية، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الإستسقاء بالأنواء وهو قول العرب: مطرنا بنوء كذا، والمعنى: وتجعلون شكر رزقكم تكذيبكم، وذلك أنهم كانوا يمطرون، فيقولون: مطرنا بنوء كذا. قاله مجاهد[١٣٠٠]، والضحاك[١٣٠١]، وعطاء[١٣٠٢]. وهو قول الأكثرين[١٣٠٣].

عن مجاهد، قوله: "{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}، قال: قولهم في الأنواء: مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه"[١٣٠٤].

قال الضحاك:" جعل الله رزقكم في السماء، وأنتم تجعلونه في الأنواء"[١٣٠٥].

قال عطاء الخراساني:" كان ناس يمطرون فيقولون: مُطرنا بنوء كذا، مُطرنا بنوء كذا"[١٣٠٦].

(١٢٩٦) حكاه عنه الثعلبي في"الكشف والبيان": ٢٢١/٩.

(١٢٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٠٧):ص٣٣٣٥/١٠.

(١٢٩٨)أخرجه الطبراني في الدعاء ٢/ ١٢٥١.

(١٢٩٩) الدر المنثور: ٤٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٣٠٠) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٣-١٥٦.

(١٣٠١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣٠٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٣.

(١٣٠٣) انظر: زاد المسير: ٢٢٩/٤. حكاه عن الاكثرين.

(١٣٠٤) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣-١٥٦.

(١٣٠٥) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣٠٦) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

عن عكرمة، في قوله تعالى: "{فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الفرقان : ٥٠]، قال: قيل له ما كفرهم؟ قال: يقولون: مطرنا بالأنواء، فأنزل الله في الواقعة: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة : ٨٢]"[١٣٠٧].

عن القاسم بن أبي أمامة، عن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "ما مُطِرَ قَوْمٌ مِنْ لَيْلَةٍ إلا أَصْبَحَ قَوْمٌ بِهَا كَافِرِينَ، ثم قال: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}، "يقول قَائِلٌ مُطِرْنا بنَجْمِ كَذَا وَكَذَا"[١٣٠٨].

عن إسماعيل بن أمية، قال: أحسبه أو غيره: "أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم سمع رجلا ومطروا يقول: مُطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال: «كَذَبْتَ بَلْ هُوَ رِزْقُ الله»"[١٣٠٩].

عن أبي سعيد: " لو أمسك الله القطر عن الناس سبع سنين، ثم أرسله لأصبحت طائفة به كافرين، يقولون: مطرنا بنوء المجدح"[١٣١٠].

عن أبي هريرة، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "إِنَّ اللهَ لَيُصَبِّحُ القَوْمَ بالنِّعْمَةِ، أَوْ يُمَسِّيهم بِهَا، فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوءِ كَذَا وَكَذَا" قال محمد: فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب، فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة، وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقي فلما استسقى التفت إلى العباس فقال: يا عباس يا عمَّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، كم بقي من نوء الثريا؟ فقال: العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعًا، قال: فما مضت سابعة حتى مُطروا"[١٣١١] [١٣١٢].

الثاني: أن «الرزق» بمعنى: الحظ. فالمعنى: وتجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، قاله الحسن[١٣١٣].

قال الحسن:" بئسما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب به"[١٣١٤]. وفي لفظ:" خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب"[١٣١٥].

الثالث: أنه الاكتساب بالسحر. قاله عكرمة[١٣١٦].

القرآن

{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٥)} [الواقعة : ٨٣-٨٥]

التفسير:

(١٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٥٢): ص٢٧٠٨/٨

(١٣٠٨) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣٠٩) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

(١٣١٠)رواه الإمام أحمد في مسنده (١١٠٤٢):ص٩٥/١٧، وأخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢٧٤/٢، والحميدي (٧٥١) ، والنسائي في "المجتبى" ١٦٥/٣، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٥٢١٨) ، وابن حبان (٦١٣٠) ، والمزي في "تهذيب الكمال" ٢٩٠/١٩ من طريق سفيان بن عيينة، بهذا الإسناد.

ورواية النسائي: "خمس سنين"، ورواية الطحاوي: "تسع سنين".

وأخرجه النسائي في "الكبرى" (١٠٧٦٢) - وهو في "عمل اليوم والليلة" (٩٢٦) -، والدارمي ٣١٤/٢، وأبو يعلى (١٣١٢) من طريق حماد بن سلمة، عن عمرو بن دينار، به. وفيه: "عشر سنين" .

(١٣١١) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٣.

(١٣١٢)قال ابن كثير:" وهذا مَحمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بإنزال المطر، لا أن ذلك النوء يؤثر بنفسه في نزول المطر ؛ فإن هذا هو المنهي عن اعتقاده". [تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٧].

(١٣١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣١٤) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣١٥) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٣.

(١٣١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥.

فهل تستطيعون إذا بلغت نفس أحدكم الحلقوم عند النزع، وأنتم حضور تنظرون إليه، أن تمسكوا روحه في جسده؟ لن تستطيعوا ذلك، ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا، ولكنكم لا ترونهم.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ(٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ} [الواقعة : ٨٣-٨٤]، أي:" فهلاَّ إذا بلغت الروح الحلقوم عند معالجة سكرات الموت، في ذلك الوقت تنظرون إلى المحتضر وما يكابده من شدائد وأهوال"[١٣١٧].

عن قال عطاء: "{وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ}، إلى ما كنتم تكذبون به"[١٣١٨].

حكي عن مسروق بن الأجدع[١٣١٩]:" أنه بكى حين حضرته الوفاة، فاشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي، وإنما هي ساعة، ثم لا أدري إلى أين يسلك بي"[١٣٢٠].

قوله تعالى:{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ} [الواقعة : ٨٥]، أي:" ونحن أقرب إليه منكم بملائكتنا، ولكنكم لا ترونهم"[١٣٢١].

قال عامر بن عبد قيس: "ما نظرت إلى شيء إلّا رأيت الله سبحانه أقرب إليّ منه"[١٣٢٢].

القرآن

{فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧)} [الواقعة : ٨٦-٨٧]

التفسير:

وهل تستطيعون إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين بأعمالكم أن تعيدوا الروح إلى الجسد، إن كنتم صادقين؟ لن ترجعوها.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ} [الواقعة : ٨٦]، أي:" فهلاَّ إن كنتم غير مجزيين بأعمالكم كما تزعمون"[١٣٢٣].

وفي قوله تعالى:{غَيْرَ مَدِينِينَ} [الواقعة : ٨٦]، وجوه:

أحدها : غير محاسبين، قاله الحسن-في رواية-[١٣٢٤]، وسعيد بن جبير[١٣٢٥]، ومجاهد-في رواية-[١٣٢٦]، وعكرمة[١٣٢٧]، وقتادة[١٣٢٨]، والسدي[١٣٢٩]، وأبو حَزْرَة[١٣٣٠].

الثاني : غير مبعوثين يوم القيامة، قاله الحسن-في رواية أخرى-[١٣٣١].

الثالث : غير مصدقين أنكم تُدانون وتبعثون وتجزون، قاله سعيد بن جبير[١٣٣٢]، والحسن البصري[١٣٣٣].

(١٣١٧) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣.

(١٣١٨) التفسير البسيط للواحدي: ٢٦٦/٢١.

(١٣١٩)مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية الهمداني الوادعي الكوفي (١- ٦٣ هـ) : تابعي، ثقة، من عباد أهل الكوفة. شلت يده يوم القادسية. (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٠).

(١٣٢٠) تفسير التستري: ١٦٠، وصفوة الصفوة ٣/ ٢٦.

(١٣٢١) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٣٢٢) تفسير الثعلبي: ٢٢٣/٩.

(١٣٢٣) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣.

(١٣٢٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

(١٣٢٥) الدر المنثور: ٨/ ، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٣٢٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٤٦

(١٣٢٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(١٣٢٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

(١٣٢٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(١٣٣٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

(١٣٣١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.

(١٣٣٢) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.

الرابع : غير معذبين مقهورين ، قاله ميمون بن مهران[١٣٣٤].
الخامس : غير موقنين، قاله مجاهد[١٣٣٥].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: غير محاسبين فمجزيين بأعمالكم من قولهم: كما تدين تدان، ومن قول الله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة : ٤][١٣٣٦].
قوله تعالى:{تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الواقعة : ٨٧]، أي:" تردون نفس هذا الميت إلى جسده بعد ما بلغت الحلقوم، إن كنتم صادقين؟"[١٣٣٧].
عن مجاهد:" {تَرْجِعُونَها}، قال: النّفس"[١٣٣٨].

القرآن
{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩)} [الواقعة : ٨٨-٨٩]
التفسير:
فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه، وله جنة النعيم في الآخرة.
قوله تعالى:{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ(٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ } [الواقعة : ٨٩]، أي:" فأما إن كان الميت من السابقين المقربين، فله عند موته الرحمة الواسعة والفرح وما تطيب به نفسه"[١٣٣٩].
عن الربيع بن خيثم في قوله: "{فأما إن كان من المقربين فروح وريحان} قال: هذا له عند الموت"[١٣٤٠].
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة، كانت في الجسد الطيب، واخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان. فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء، فيستفتح له، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل. فإذا كان الرجل السوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، اخرجي منه ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، {وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص: ٥٨] . فما يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقال: فلان، فيقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لا يفتح لك أبواب السماء. فترسل من السماء، ثم تصير إلى القبر .."[١٣٤١]. الحديث.
عن ربعي بن حراش قال: "أتيت فقيل لي: قد مات أخوك , فجئت سريعا وقد سجي بثوبه , فأنا عند رأس أخي أستغفر له وأسترجع، إذ كشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليكم , فقلنا: وعليك السلام، سبحان الله , قال: سبحان الله " إني قدمت على الله بعدكم فتلقيت بروح وريحان، ورب غير غضبان , وكساني ثيابا خضرا من سندس وإستبرق , ووجدت الأمر أيسر مما تظنون , ولا تتكلوا , وإني أستأذنت

(١٣٣٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
(١٣٣٤) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
(١٣٣٥) انظر: النكت والعيون: ٤٦٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٤٨/٧.
(١٣٣٦) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٣.
(١٣٣٧) صفوة التفاسير: ٢٩٧/٣. والتفسير الميسر: ٥٣٧.
(١٣٣٨) الدر المنثور: ٨/ ٣٦، وعزاه إلى عبد حميد وابن جرير وابن المنذر.
(١٣٣٩) التفسير الميسر: ٥٣٧.
(١٣٤٠) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.
(١٣٤١) المسند(٢٥٠٩٠):ص١٤/٤٢-١٥.

ربي أخبركم وأبشركم , احملوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه عهد إلي أن لا أبرح حتى آتيه , ثم طفئ مكانه , قال: وأخذ حصاة فرمى بها , قال: فما أدري أهو كان أسرع أم هذه "[١٣٤٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَرَوْحٌ} [الواقعة : ٨٩]، أقوال:

أحدها: الفرح، به قال سعيد[١٣٤٣]، والسدي[١٣٤٤].

الثاني: الراحة، به قال مجاهد[١٣٤٥].

وقال أبو حَزْرَة : "الراحة من الدنيا"[١٣٤٦].

الثالث: المغفرة والرحمة، به قال الضحاك[١٣٤٧].

وقال قتادة: الرحمة"[١٣٤٨].

الرابع: جنة ورخاء، قاله مجاهد[١٣٤٩].

الخامس: رَوْحٌ من الغَمّ الذي كانوا فيه، قاله محمد بن كعب[١٣٥٠].

وقرأ أبو بكر الصديق، وأبو رزين، والحسن، وعكرمة، وابن يعمر، وقتادة، ورويس عن يعقوب، وابن أبي سُريج عن الكسائي: «فَرُوْحٌ»، برفع الراء[١٣٥١].

عن عَائِشَةَ، أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه قَرَأَ: «{فَرُوحٌ وَرَيْحَانٌ}»"[١٣٥٢]. قال قتادة :أي: " فرحمة"[١٣٥٣].

وفي معنى قوله تعالى:{وَرَيْحَانٌ} [الواقعة : ٨٩] ، أقوال:

أحدها: أنه الرزق، به قال سعيد بن جبير[١٣٥٤]، ومجاهد[١٣٥٥]، ومنه قول النمر بن تولب[١٣٥٦]:

سلامُ الإلهِ ورَيْحَانُهُ ... ورَحْمَتُه وسَماءٌ دِرَر

الثاني: يعني: المستريح من الدنيا، قاله الضحاك[١٣٥٧].

قال الضحاك:" الرَّيحان: الاستراحة"[١٣٥٨].

الثالث: الرحمة ، قاله الضحاك-أيضا-[١٣٥٩].

الرابع : أنه الخير ، قاله قتادة[١٣٦٠].

الخامس : أنه الجنة، قاله مجاهد[١٣٦١]، وقتادة[١٣٦٢].

(١٣٤٢) مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٩٨٧):ص١٦٢/٧.

(١٣٤٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.

(١٣٤٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.

(١٣٤٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.

(١٣٤٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.

(١٣٤٧) انظر: تفسير اطبري: ١٦١/٢٣.

(١٣٤٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.

(١٣٤٩) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.

(١٣٥٠) انظر: زاد المسير: ٢٣٠/٤.

(١٣٥١) انظر: معاني القرآن لفراء: ١٣١/٣، وتفسير الطبري: ١٥٩/٣، والكشف والبيان: ٢٢٤/٩، وزاد المسير: ٢٣٠/٤.

(١٣٥٢) أخرجه الفراء في" معاني القرآن":١٣١/٣، و"كتاب فيه لغات القرآن": ١٣٨.

(١٣٥٣) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٢٤/٩.

(١٣٥٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.

(١٣٥٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٠/٢٣.

(١٣٥٦)انظر: "المنصف" ٢/ ١١، و"مجاز القرآن" ٢/ ٢٤٣، و"تفسير غريب القرآن لابن قتيبة" ص ٤٣٧، وتفسير الطبري: ٢١/٢٢، و"معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٩٧، و"اللسان" ١/ ١٢٤٧ (روح).

(١٣٥٧) انظر: تفسير اطبري: ١٦١/٢٣.

(١٣٥٨) أخرجه الطبري: ٢٣/!٦١.

(١٣٥٩) انظر: النكت والعيون: ٤٦٧/٥.

(١٣٦٠) انظر: النكت والعيون: ٤٦٧/٥.

السادس: أنه الريحان المشموم، يتلقى به العبد عند الموت. قاله قتادة[١٣٦٣].

قال أبو العالية: "لم يكن أحد من المقرّبين يفارق الدنيا، والمقربون السابقون، حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يُقبض"[١٣٦٤].

عن الربيع بن خثيم: "{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ}، قال: هذا عند الموت، {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ}، قال: يُجاء له من الجنة"[١٣٦٥].

عن الحسن :"{فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ}، قال: تخرج روحه في ريحانة"[١٣٦٦].

عن الحسن، في قوله: "{فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}، قال: ذلك في الآخرة، فقال له بعض القوم قال: أما والله إنهم ليرون عند الموت"[١٣٦٧].

قال أبو عمران الجوني: "بلغنا أن المؤمن إذا قبض روحه تلقى بضبائر الريحان من الجنّة، فتجعل روحه فيه"[١٣٦٨].

وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حصل له جميعُ ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة، والفرح والسرور والرزق الحسن، {وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}[١٣٦٩].

قال محمد بن كعب : "لا يموت أحدٌ من الناس حتى يعلم : أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار ؟"[١٣٧٠].

قوله تعالى:{وَجَنَّتُ نَعِيمٍ} [الواقعة : ٨٩]، أي:" وله جنة النعيم في الآخرة"[١٣٧١].

عن الربيع بن خيثم في قوله: "{وجنة نعيم} قال: تخبأ له الجنة إلى يوم يبعث"[١٣٧٢].

عن أم هانئ : عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تكون النسم طيرا تعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها"[١٣٧٣].

عن عبد الله بن مسعود، قال: «أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة في العرش»[١٣٧٤].

عن عطاء بن السائب، قال : "كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى : رأيت شيخًا أبيض الرأس واللحية على حمار، وهو يتبع جنازة، فسمعته يقول : حدثني فلان بن فلان، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قال : فأكب القوم يبكون فقال : "ما يُبكيكم ؟" فقالوا : إنا نكره الموت. قال : "ليس ذاك، ولكنه إذا حُضِر {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ}، فإذا بُشِّر بذلك أحب لقاء الله عز وجل، والله، عز وجل، للقائه

(١٣٦١) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١٣٦٢) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١٣٦٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٣٦٤) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٣.
(١٣٦٥) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٣٦٦) أخرجه الطبري: ١٦٠/٢٣.
(١٣٦٧) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٣.
(١٣٦٨) زاد المسير: ٢٣١/٤.
(١٣٦٩) تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(١٣٧٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤٩/٧.
(١٣٧١) التفسير الميسر: ٥٣٧.
(١٣٧٢) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.
(١٣٧٣)المسند (٢٧٣٨٧):ص٣٨٣/٤٥.
(١٣٧٤) المعجم الكبير للطبراني(٨٩٠٥):ص١٨٣/٩.

أحب {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنزلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}، فإذا بُشِّر بذلك كره لقاء الله، والله للقاءه أكره"[١٣٧٥].

القرآن

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١)} [الواقعة : ٩٠-٩١]

التفسير:

وأما إن كان الميت من أصحاب اليمين، فيقال له: سلامة لك وأمن; لكونك من أصحاب اليمين.

قوله تعالى:{فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٩١]، أي:" فيقال له: سلامة لك وأمن; لكونك من أصحاب اليمين"[١٣٧٦].

وفي قوله تعالى:{فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ} [الواقعة : ٩١]، وجهان ن التفسير:

أحدهما: سلام من عند الله[١٣٧٧]، وسلمت عليه ملائكة الله. قاله قتادة[١٣٧٨].

الثاني : تسلّم عليه الملائكة، وتخبره أنه من أصحاب اليمين[١٣٧٩]، قاله عكرمة[١٣٨٠]، وعطاء[١٣٨١].

وقال عطاء:" يسلم عليه الملائكة وجيرانه من أصحاب اليمين"[١٣٨٢].

القرآن

{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤)} [الواقعة : ٩٢-٩٤]

التفسير:

وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله ضيافة من شراب جهنم المغلي المتناهي الحرارة، والنار يحرق بها، ويقاسي عذابها الشديد.

قوله تعالى:{وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّين فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ} [الواقعة : ٩٢]، أي:" وأما إن كان الميت من المكذبين بالبعث، الضالين عن الهدى، فله ضيافة من شراب جهنم المغلي المتناهي الحرارة"[١٣٨٣].

عن الربيع بن خيثم في قوله: "{وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم} قال: هذا عند الموت"[١٣٨٤].

قوله تعالى:{وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} [الواقعة : ٩٤]، أي:" والنار يحرق بها، ويقاسي عذابها الشديد"[١٣٨٥].

عن الربيع بن خيثم في قوله: "{وتصلية جحيم} قال: تخبأ له الجحيم إلى يوم يبعث"[١٣٨٦].

(١٣٧٥)المسند (٢٥٩/٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٨٤).

(١٣٧٦) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٣٧٧) أي: سلموا من عذاب الله جل وعز. [كذا فسره النحاس في "إعراب القرآن" :٢٣١/٤].

(١٣٧٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٣.

(١٣٧٩)قال ابن كثير:" وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقوله تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ. نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ. نزلا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت : ٣٠ - ٣٢]". [تفسير ابن كثير: ٥٥١/٧].

(١٣٨٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٠/٧.

(١٣٨١) انظر: زاد المسير: ٢٣١/٤.

(١٣٨٢) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٢٢):ص١١١.

(١٣٨٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٣٨٤) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(١٣٨٥) التفسير الميسر: ٥٣٧.

روي عن الضحاك -في الآية-، قال: "من مات وهو يشرب الخمر، شج في وجهه من جمر جهنم"[١٣٨٧].

قال عطاء بن السّائِب: "وفي قراءة ابن مسعود: (ثُمَّ تَصْلِيَهُ جَحِيمٍ)"[١٣٨٨].

القرآن

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)} [الواقعة : ٩٥-٩٦]

التفسير:

إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه، فسبِّح باسم ربك العظيم، ونزِّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} [الواقعة : ٩٥]، أي:" إن هذا الذي قصصناه عليك -أيها الرسول- لهو حق اليقين الذي لا مرية فيه"[١٣٨٩].

عن مجاهد: "{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}، قال: لهو الخبر اليقين"[١٣٩٠].

وقال مجاهد:" الجزاء المُبين"[١٣٩١].

عن قتادة: {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥)} [الواقعة : ٩٢ - ٩٥]، حتى ختم، إن الله تعالى ليس تاركا أحدا من خلقه حتى يوقفه على اليقين من هذا القران. فأما المؤمن فأيقن في الدنيا، فنفعه ذلك يوم القيامة. وأما الكافر، فأيقن يوم القيامة حين لا ينفعه"[١٣٩٢].

قوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة : ٩٦]، أي:" فسبِّح باسم ربك العظيم، ونزِّهه عما يقول الظالمون والجاحدون، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا"[١٣٩٣].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[١٣٩٤].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[١٣٩٥].

عن عقبة بن عامر الجهني قال : "لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم :{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} قال : «اجعلوها في ركوعكم». ولما نزلت :{سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} [الأعلى : ١]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اجعلوها في سجودكم»"[١٣٩٦].

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قال : سبحان الله العظيم وبحمده، غُرِسَتْ له نخلة في الجنة"[١٣٩٧].

عن أبي هُريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"[١٣٩٨].

(١٣٨٦) الدر المنثور: ٣٦/٨، وعزاه ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(١٣٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨١٣):ص٣٣٣٥/١٠.

(١٣٨٨)أخرجه أحمد في مسنده(١٨٢٨٣):ص ٣٠/ ٢١٦.

(١٣٨٩) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٣٩٠) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٣٩١)تفسير مجاهد ص ٦٤٦.

(١٣٩٢) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٣.

(١٣٩٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٣٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(١٣٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(١٣٩٦)المسند (١٥٥/٤) وسنن أبي داود برقم (٢٨٦٩) وسنن ابن ماجه برقم (٨٨٧).

(١٣٩٧)سنن الترمذي برقم (٣٤٦٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١٠٦٦٣).

(١٣٩٨)صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤) وسنن الترمذي برقم (٣٤٦٧) وسنن النسائي الكبرى

«آخر تفسير سورة (الواقعة)، والحمد لله وحده»

برقم (١٠٦٦٦) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٠٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الحديد»

«سورة الحديد»: هي السورة السابعة والخمسون بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة الخامسة والتسعون وَفْق ترتيب نزول سور القرآن الكريم، جرياً على قول الجمهور: إنها مدنية، قالوا: نزلت بعد سورة الزلزلة، وقبل سورة القتال «محمد». آياتها تسع وعشرون في عد الكوفة والبصرة، وثمان في عد الباقين. وكلماتها خمسمائة وأربع وأربعون. وحروفها ألفان وأربعمائة وست وسبعون. المختلف فيها آيتان: {مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَاب} [الحديد : ١٣]، و{الْإِنْجِيلَ } [الحديد : ٢٧] مجموع فواصل آياتها: «من بز رد»، على «الزاء» {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]، وعلى «الدال»: {هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد} [الحديد : ٢٤][١٣٩٩].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[١٤٠٠]، وابن الزبير[١٤٠١]، والحسن[١٤٠٢]، ومجاهد[١٤٠٣]، وعكرمة[١٤٠٤]، وجابر بن زيد[١٤٠٥]، وقتادة[١٤٠٦]، ومقاتل[١٤٠٧].

الثاني : أنها مكية. قاله ابن السّائب الكلبي[١٤٠٨].

وفي كون هذه السورة مدنية أو مكية اختلاف قوي لم يختلف مثله في غيرها، فقال الجمهور: مدنية[١٤٠٩]. وحكى ابن عطية عن النقاش: "أن ذلك إجماع المفسرين"[١٤١٠].

وقد قيل: إن صدرها مكي، لما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦] إلا أربع سنين"[١٤١١].

وعبد الله بن مسعود من أول الناس إسلاما، فتكون هذه الآية مكية[١٤١٢].

وهذا يعارضه ما رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: "إن الله استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاثا عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا} الآية"[١٤١٣].

ورواية مسلم وغيره عن ابن مسعود أصح سندا، وكلام ابن مسعود يرجح على ما روي عن أنس وابن عباس، لأنه أقدم إسلاما وأعلم بنزول القرآن، وقد علمت آنفا أن صدر هذه السورة كان مقروءا قبل إسلام عمر بن الخطاب[١٤١٤].

قال ابن عطية : "ولا خلاف أن فيها قرآنا مدنيا، لكن يشبه صدرها أن يكون مكيا والله أعلم "[١٤١٥].

(١٣٩٩) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٣.

(١٤٠٠) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي، وزاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠١) انظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه والبيهقي.

(١٤٠٢) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠٣) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠٤) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠٥) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠٦) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٤٠٧) انظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١٤٠٨) انظر: النكت والعيون: ٤٦٨/٥، وزاد المسير: ٢٣٢/٤.

(١٤٠٩) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧. وحكاه عن الجمهور.

(١٤١٠) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(١٤١١) صحيح مسلم(٣٠٢٧):ص٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص٢٨٩/١٠.

(١٤١٢) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

(١٤١٣) الدر المنثور: ٥٨/٨.

(١٤١٤) انظر: التحرير والتنوير: ٣٥٤/٢٧.

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نزلت سورة الحديد يوم الثلاثاء، وخلق الله الحديد يوم الثلاثاء، وقتل ابن آدم أخاه يوم الثلاثاء» ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحجامة يوم الثلاثاء"[١٤١٦].

وأخرج الديلمي عن جابر مرفوعا: "لا تحتجموا يوم الثلاثاء، فإن سورة الحديد أنزلت علي يوم الثلاثاء"[١٤١٧].

(١٤١٥) المحرر الوجيز: ٢٥٦/٥.

(١٤١٦) المعجم الكبير للطبراني (١٤١٠٦):ص٣١٤/١٣، ونقله ابن كثير في "جامع المسانيد"(١١٢٤/مسند ابن عمر) والسيوطي في "اللآلئ المصنوعة" (٤١٢/٢)، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩٣/٥) و (١٢٠/٧) ، وقال: «رواه الطبراني، وفيه مسلمة بن علي الخشني؛ وهو ضعيف». ورواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٣٩٠/٢٦).

وانظر: الدر المنثور: ٤٥/٨، وزاد نسبته إلى ابن مردويه بسند ضعيف.

وفي سنن ابي داود(٣٨٦٢):ص٥/٤ عن كبشة بنت أبي بكرة، وقال: غير موسى كيسة بنت أبي بكرة:" أن أباها، كان ينهى أهله عن الحجامة، يوم الثلاثاء، ويزعم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن يوم الثلاثاء يوم الدم، وفيه ساعة لا يرقأ»". [حكم الألباني] : ضعيف.

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير(٤٩٩):ص٢١٥/٢٠: عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة».

(١٤١٧) الدر المنثور: ٤٥/٨.

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الحديد : ١]

التفسير:

نزَّه الله عن السوء كلُّ ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته، وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم.

قوله تعالى:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ١]، أي:" نزَّه الله عن السوء كلُّ ما في السموات والأرض من جميع مخلوقاته"(١٤١٨).

عن الضحاك:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} " أنه الصلاة ، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"(١٤١٩).

عن أبي الأسود الدُّؤلي، قال:" قال رأس الجالوت: إنما التوراة ككتابكم مِن الحلال والحرام، إلا أنّ كلامكم في كتابكم جامع: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْض}. وفي التوراة: يُسبّح لله الطير والسّباع"(١٤٢٠).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(١٤٢١).

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"(١٤٢٢).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد : ١]، أي:" وهو العزيز على خلقه، الحكيم في تدبير أمورهم"(١٤٢٣).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(١٤٢٤)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(١٤٢٥).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(١٤٢٦). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(١٤٢٧). ذلك(١٤٢٧).

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(١٤٢٨).

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(١٤٢٩).

القرآن

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)} [الحديد : ٢]

التفسير:

(١٤١٨) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤١٩) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(١٤٢٠)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/ ١٧١. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ في العظمة.

(١٤٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(١٤٢٢)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.

(١٤٢٣) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(١٤٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(١٤٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(١٤٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١٤٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(١٤٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

له ملك السموات والأرض وما فيهما، فهو المالك المتصرف في خلقه، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا يتعدَّر عليه شيء أراده، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن.

قوله تعالى:{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ٢]، أي:" له ملك السموات والأرض وما فيهما، فهو المالك المتصرف في خلقه"(١٤٣٠).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(١٤٣١).

قوله تعالى:{يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحديد : ٢]، أي:" يحيي من يشاء، ويُميت من يشاء، لا يتعدَّر عليه شيء أراده، فما شاءه كان، وما لم يشأ لم يكن"(١٤٣٢).

عن محمد بن إسحاق:" {والله يحيي ويميت} " أي: يعجل من يشاء، ويؤخر من يشاء في ذلك من آجالهم بقدرته "(١٤٣٣).

عن ابن إسحاق: {وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}،" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(١٤٣٤).

القرآن

{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)} [الحديد : ٣]

التفسير:

هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم.

قوله تعالى:{هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} [الحديد : ٣]، أي:" هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء"(١٤٣٥).

قال يمان: "{هُوَ الأوَّلُ}: القديم، {وَالآخِرُ}: الرحيم"(١٤٣٦).

وقال الضحاك: "هو الذي أول الأول وآخر الآخر"(١٤٣٧). وروي عن مجاهد مثله(١٤٣٨).

وقال السدي: "{هُوَ الأوَّلُ} ببره إذ عرفك توحيده، {وَالآخِرُ} بجوده إذ عرفك التوبة على ما جنيت"(١٤٣٩).

قوله تعالى:{وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد : ٣]، أي:" والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء"(١٤٤٠).

قال الضحاك: هو الذي "أظهر الظاهر وأبطن الباطن"(١٤٤١). وعن مجاهد مثله(١٤٤٢).

(١٤٣٠) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٤٣٢) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٣٣) تفسير ابن المنذر(١١٠٤):٤٦٣/٢.

(١٤٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١، و(٧٠٧٢):ص١٢٥٧/٤.

(١٤٣٥) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٣٦) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٤٣٧) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٤٣٨) تفسير الثعلبي: ١٣/٢٦، [ط. دار التفسير].

(١٤٣٩) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٤٤٠) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٤١) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩.

(١٤٤٢) تفسير الثعلبي: ١٣/٢٦، [ط. دار التفسير].

وقال يمان: "{وَالظَّاهِرُ}: الحليم، {وَالْبَاطِنُ}: العليم"(١٤٤٣).

وقال السدي: "{وَالظَّاهِرُ} بتوفيقه إذ وفقك للسجود له، {وَالْبَاطِنُ} بستره إذ عصيته فستر عليك"(١٤٤٤).

وسأل عمر -رضي الله تعالى عنه -كعبا عن هذه الآية، فقال: "معناها إن علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن"(١٤٤٥).

عن قتادة، قوله: "{هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بينما هو جالس في أصحابه، إذ ثار عليهم سحاب، فقال: هَلْ تَدْرُونَ ما هَذَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّها الرَّقِيعَ مَوْجُ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ، قال: فَهَلْ تَدورْنَ كَمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم؟ قال: مَسيرةُ خَمْس مِئةِ سَنَةٍ، قال: فَهَلْ تَدْرُوْنَ ما فَوْقَ ذلكَ؟ فقالوا مثل ذلك، قال: فَوْقَها سَماءٌ أخرْىَ، وَبَيْنَهُما مَسِيرةُ خَمْسِ مِئةِ سَنَةٍ، قال: هَلْ تَدْرُوْنَ ما فَوْقَ ذلك؟ فقالوا مثل قولهم الأوّل، قال: فإنَّ فَوْقَ ذلكَ العَرْشَ، وَبَيْنَهُ وَبَينَ السَّماءِ السَّابِعَةِ مثْلُ ما بَيَن السَّماءَيْن، قال: هَلْ تَدْرُوْنَ ما الَّتِي تَحْتَكُمْ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّها الأرْضُ، قال: فَهَلْ تَدْرُون ما تَحْتَها؟ قالوا له مثل قولهم الأوّل، قال: فإنَّ تَحْتَها أرْضًا أخْرَى، وبَيْنَهُما مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، حتى عدّ سبع أرضين، بين كلّ أرضيْن مسيرة خمس مئة سنة، ثم قال: وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّد بيَدِهِ، لَوْ دُلِّيَ أحَدكُمْ بِحَبْلٍ إلى الأرْضِ الأخْرى لَهَبَطَ على الله، ثُمَّ قرأ: {هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"(١٤٤٦).

عن عكرمة بن عمار، حدثني أبو زميل سماك الحنفي، ثنا ابن عباس:" وقلت له: إني أجد في نفسي شيئا لا أستطيع أن أتكلم به قال: لعله شك أو شيء مما شك قلت: نعم قال: ما نجى من هذا أحد حتى نزل على النبي صلى الله عليه وسلم: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ} [يونس : ٩٤]، ثم قال: إذا وجدت من ذلك فقل: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنِ} [الحديد : ٣]"(١٤٤٧).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم : "اللهم، رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، منزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول ليس قبلك شيء وأنت الآخر ليس بعدك شيء، وأنت الظاهر ليس فوقك شيء وأنت الباطن ليس دونك شيء. اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر"(١٤٤٨).

قوله تعالى:{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد : ٣]، أي:" لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، وهو بكل شيء عليم"(١٤٤٩).

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"(١٤٥٠).

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤)} [الحديد : ٤]

(١٤٤٣) نقلا عن: تفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٤٤٤) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٨/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٤٤٥) نقلا عن: الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٢٩/٩، وتفسير البغوي: ٢٩/٨.

(١٤٤٦) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢٣-١٦٩. وهو حديث أبي هريرة في: سنن الترمذي برقم (٣٢٩٨).

(١٤٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٨٢):ص١٩٨٥/٦.

(١٤٤٨)المسند (٤٠٤/٢).

(١٤٤٩) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

التفسير:
هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال، وهو سبحانه معكم بعلمه أينما كنتم، والله بصير بأعمالكم التي تعملونها، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الحديد : ٤]، أي:" هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام"(١٤٥١).

قال مجاهد:" بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجُمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون"(١٤٥٢).

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قوله: "{الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام}، قال: ابتدع السماوات والأرض، ولم يكونا إلا بقدرته، لم يَسْتَعِن على ذلك بأحدٍ مِن خلقه، ولم يُشْرِكه في شيء من أمره، بسلطانه القاهر، وقوله النافذ الذي يقول به لمّا أراد أن يكون له: كن فيكون. ففرغ مِن خَلْق السماوات والأرض في ستة أيام"(١٤٥٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد : ٤]، أي:" ثم استوى -أي: علا وارتفع- على عرشه فوق جميع خلقه استواء يليق بجلاله من غير تمثيلٍ ولا تكييف"(١٤٥٤).

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء"(١٤٥٥).

قال وهب بن منبه :"إن الله خلق العرش من نوره"(١٤٥٦).

عن قتادة، قوله: "{ثم استوى على العرش}، قال: اليوم السابع"(١٤٥٧).

عن الحكم بن أبان، قال: سمعتُ، يقول: "إنّ الله بدأ خلق السموات والأرض وما بينهما يوم الأحد، ثم استوى على العرش يوم الجمعة في ثلاث ساعات، فخلق في ساعة منها الشموس، كي يرغب الناس إلى ربِّهم في الدعاء والمسألة، وخلق في ساعة النتن الذي يسقط على ابن آدم إذا مات لكي يُقْبَر"(١٤٥٨).

ومنهج السلف الصالح إزاء صفة الاستواء، وغيرها من صفات الباري تعالى: أن تمر كما جاءت، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل؛ فيثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، إثباتًا منزهًا عن التشبيه، منزهًا عن التعطيل، فمن نفى حقيقة الاستواء فهو مُعطِّل، ومَنْ شبهه باستواء المخلوق على المخلوق، فهو مُمَثِّل. وقد قال الإمام مالك بن أنس، لَمَّا سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»، وقد وَرَدَ مثلُ ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها، وربيعة الرأي(١٤٥٩).

(١٤٥١) التفسير الميسر: ٥٣٧.
(١٤٥٢) أخرجه الطبري(١٤٧٧٣):ص٤٨٢/١٢.
(١٤٥٣)أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٧١٣.
(١٤٥٤) التفسير الميسر: ٥٣٧، وصفوة التفاسير: ٣٠٣/٣.
(١٤٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٩):ص١٤٩٧/٥.
(١٤٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٠):ص١٤٩٧/٥.
(١٤٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم (٨٥٧٦):ص ١٩٤٧/٥.
(١٤٥٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٧٧):ص١٩٤٧/٥.
(١٤٥٩)انظر: "شرح أصول الاعتقاد" ٣/ ٤٤٠ - ٤٤٣. وانظر مادة (سوا) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٧٩٤، "الصحاح" ٦/ ٢٣٨٥ - ٢٣٨٦، "اللسان" ٤/ ٢١٦٠، "القاموس المحيط" ١٢٩٧، "قاموس القرآن" للدامغاني: ٢٥٥، "تاج العروس" للزبيدي: ١/ ١٧٩. وانظر حول موضوع صفة الاستواء: "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة: ٣٩٤، "الرد على الجهمية" للدارمي: ص ٤٠، "الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد" للبيهقي: ص ١١٦، "الأسماء والصفات" للبيهقي: ٢/ ٣٠٣، "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية" ٥/ ١٤٦، ٣٦٥, ٤٠٤، ٥١٩ - ٥٢٠ "العقائد السلفية" لأحمد بن حجر: ١/ ١٢٤ - ١٢٥،

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [الحديد : ٤]، أي:" يعلم ما يدخل في الأرض من حب ومطر وغير ذلك، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار، وما ينزل من السماء من مطر وغيره، وما يعرج فيها من الملائكة والأعمال"(١٤٦٠).

عن السدي:" {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ}، قال: من المطر، {وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}، قال: من النبات، {وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ} قال: الملائكة، {وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}، قال: الملائكة"(١٤٦١).

القرآن

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥)} [الحديد : ٥]

التفسير:

له ملك السموات والأرض، وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم.

قوله تعالى:{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ٥]، أي:" لله تعالى وحده ملك السموات والأرض"(١٤٦٢).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(١٤٦٣).

قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الحديد : ٥]، أي:" وإلى الله مصير أمور الخلائق في الآخرة، وسيجازيهم على أعمالهم"(١٤٦٤).

عن يحيى بن وثاب:" أنه قرأ كل شيء في القرآن {وإلى الله ترجع الأمور} بنصب التاء وكسر الجيم"(١٤٦٥).

القرآن

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)} [الحديد : ٦]

التفسير:

يُدْخِل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدْخِل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل، وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكنُّه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية.

قوله تعالى:{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحديد : ٦]، أي:" يُدْخِل ما نقص من ساعات الليل في النهار فيزيد النهار، ويُدْخِل ما نقص من ساعات النهار في الليل فيزيد الليل"(١٤٦٦).

قال عكرمة:" قصر هذا في طول هذا، وطول هذا في قصر هذا"(١٤٦٧).

قال إبراهيم: " دخول الليل في النهار، ودخول النهار في الليل"(١٤٦٨).

قال إبراهيم:" قصر أيام الشتاء في طول ليله، وقصر ليل الصيف في طول نهاره"(١٤٦٩).

---

١٦٤ - ١٦٧، "رسائل في العقيدة" لمحمد بن عثيمين: ٧٠.

(١٤٦٠) التفسير الميسر: ٥٣٧.

(١٤٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨٦٨):ص٣١٦١/١٠.

(١٤٦٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.[بتصرف]

(١٤٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٤٦٤) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٦٥) الدر المنثور: ٢٩٣/٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٤٦٦) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٦٧) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٣.

(١٤٦٨) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٣.

(١٤٦٩) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٣.

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الحديد : ٦]، أي:" وهو سبحانه عليم بالسرائر وما تكنُّه الصدور، لا يخفى عليه من ذلك خافية"[١٤٧٠].

عن الحسن: "{إنه عليم بذات الصدور}: يعلم تلك الساعة"[١٤٧١].

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مِمّا اسْتَخْفَوْا به منكم"[١٤٧٢].

القرآن

{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)} [الحديد : ٧]

التفسير:

آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنفقوا مما رزقكم الله من المال واستخلفكم فيه، فالذين آمنوا منكم أيها الناس، وأنفقوا من مالهم، لهم ثواب عظيم.

قوله تعالى:{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [الحديد : ٧]، أي:" آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم"[١٤٧٣].

عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"[١٤٧٤].

قوله تعالى:{وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ} [الحديد : ٧]، أي:" وأنفقوا مما رزقكم الله من المال واستخلفكم فيه"[١٤٧٥].

عن مجاهد: {مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}، قال: "المعمرين فيه بالرزق"[١٤٧٦].

عن مُطَرِّف - يعني بن عبد الله بن الشّخّير - عن أبيه قال : "انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : «{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر : ١]، يقول ابن آدم : مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»"، وزاد مسلم: «وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس»[١٤٧٧].

القرآن

{وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨)} [الحديد : ٨]

التفسير:

وأيُّ عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحدانية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى ذلك، وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك، إن كنتم مؤمنين بالله خالقكم؟

(١٤٧٠) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٧٤):ص٦/٢٠٠١.

(١٤٧٢) أخرجه الطبري(٨٠٩٦):ص٧/٣٢٥-٣٢٦، و ابن المنذر(١٠٩٢):ص٢/٤٥٨، وابن أبي حاتم(٤٣٧٨):ص٣/٧٩٦.

(١٤٧٣) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص٤/١٠٩٠.

(١٤٧٥) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٧٦) أخرجه الطبري: ٢٣/١٧١.

(١٤٧٧)المسند (٤/٢٤) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٨).

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ} [الحديد : ٨]، أي:" وأيُّ عذر لكم في أن لا تصدقوا بوحدانية الله وتعملوا بشرعه، والرسول يدعوكم إلى ذلك، وقد أخذ الله ميثاقكم على ذلك"(١٤٧٨).

عن مجاهد، قوله: "{وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ}، قال: في ظهر آدم"(١٤٧٩).

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أي الخلق أعجب إليكم إيمانا؟» ، قالوا: الملائكة، قال: «وما لهم لا يؤمنون، وهم عند ربهم عز وجل؟» ، قالوا: فالنبيون، قال: «وما لهم لا يؤمنون، والوحي ينزل عليهم؟» ، قالوا: فنحن، قال: «وما لكم لا تؤمنون، وأنا بين أظهركم؟» ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن أعجب الخلق إلي إيمانا لقوم يكونون من بعدكم، يجدون صحفا فيها كتب يؤمنون بما فيها»(١٤٨٠).

وقرأ أبو عمرو: «وَقَدْ أُخِذَ مِيثَاقُكُمْ» بضمّ الألف ورفع الميثاق، على وجه ما لم يسمّ فاعله(١٤٨١).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩)} [الحديد : ٩]

التفسير:

هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات واضحات من القرآن؛ ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، إن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور لَيَرْحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وآجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الحديد : ٩]، أي:" هو الذي ينزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم آيات مفصلات واضحات من القرآن، ليخرجكم بذلك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان"(١٤٨٢).

عن مجاهد، قوله: {مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}، قال: "من الضلالة إلى الهدى"(١٤٨٣).

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحديد : ٩]، أي:" إن الله بكم في إخراجكم من الظلمات إلى النور لَيَرْحمكم رحمة واسعة في عاجلكم وآجلكم، فيجازيكم أحسن الجزاء"(١٤٨٤).

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"(١٤٨٥).

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"(١٤٨٦). وقال:"{الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"(١٤٨٧).

القرآن

(١٤٧٨) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٤٧٩) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٣.
(١٤٨٠) جزء ابن عرفة(١٩):ص٥٢، وانظر: تفسير ابن كثير: ١١/٨.
(١٤٨١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٣.
(١٤٨٢) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٤٨٣) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢٣.
(١٤٨٤) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٤٨٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(١٤٨٦)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣
(١٤٨٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)} [الحديد : ١٠]

التفسير:

وأيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ ولله ميراث السموات والأرض يرث كلَّ ما فيهما، ولا يبقى أحد مالكًا لشيء فيهما. لا يستوي في الأجر والمثوبة منكم مَن أنفق من قبل فتح «مكة» وقاتل الكفار، أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلا من الفريقين وعد الله الجنة، والله بأعمالكم خبير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها.

سبب النزول:

روى محمد بن الفضل عن الكلبي: "أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه"[١٤٨٨].

قال الثعلبي:" وفي هذه الآية دلالة واضحة وحجة بينة على فضل أبي بكر بتقديمه لأنه أول من أسلم"[١٤٨٩].

قال ابن الجوزي: "قال المفسرون: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق"[١٤٩٠].

عن ابن عمر قال: "كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعليه عباءة قد خلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريل فقال: مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلها في صدره بخلال؟ فقال: "أنفق ماله علي قبل الفتح" قال: فإن الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام وقل له: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا أبا بكر إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراض أنت في فقرك هذا أم ساخط؟ فقال أبو بكر: أأسخط على ربي؟ إني عن ربي راض إني عن ربي راض"[١٤٩١].

عن عامر، أن عمر، قال: «لا أسمع بأحد فضلني على أبي بكر إلا جلدته أربعين»[١٤٩٢].

عن الحكم بن جحل قال: سمعت عليا يقول: "لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"[١٤٩٣].

وقال ابن عطية:" روي أنها نزلت بسبب أن جماعة من الصحابة أنفقت نفقات كثيرة حتى قال ناس: هؤلاء أعظم أجرا من كل من أنفق قديما، فنزلت الآية مبينة أن النفقة قبل الفتح أعظم أجرا"[١٤٩٤].

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الحديد : ١٠]، أي:" وأيُّ شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل الله؟ ولله ميراث السموات والأرض يرث كلَّ ما فيهما، ولا يبقى أحد مالكًا لشيء فيهما"[١٤٩٥].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١٤٩٦].

(١٤٨٨) حكاه الثعلبي في :"الكشف والبيان": ٢٣٢/٩.

(١٤٨٩) الكشف والبيان: ٢٣٢/٩.

(١٤٩٠) زاد المسير: ٢٣٣/٤.

(١٤٩١) رواه البغوي في "التفسير": ٣٤/٨. قال ابن كثير: ١٤/٨: هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم". ووجه ضعفه فيه العلاء بن عمرو، قال ابن حبان في كتاب المجروحين والضعفاء: ٢ / ١٨٥: يروي عن أبي إسحاق الفزازي العجائب، لا يجوز الاحتجاج به بحال وساق له هذا الحديث. وقال الذهبي في الميزان: ٣ / ١٠٣: متروك، وساق له هذا الحديث من طريق ابن خزيمة، ثم قال: "وهو كذب".

(١٤٩٢) مصنف ابن أبي شيبة(٣١٩٤٠):ص٣٤٩/٦.

(١٤٩٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل(٤٩):ص٨٣/١. وقال المحقق: " إسناده ضعيف ".

(١٤٩٤) المحرر الوجيز: ٢٥٩/٥.

(١٤٩٥) التفسير الميسر: ٥٣٨.

قوله تعالى:{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} [الحديد : ١٠]، أي:" لا يستوي في الأجر والمثوبة منكم مَن أنفق من قبل فتح «مكة» وقاتل الكفار"[١٤٩٧].

وفي قوله تعالى:{لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ} [الحديد : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: لا يستوي منكم أيها الناس من آمن قبل فتح مكة وهاجر. وهذا قول مجاهد[١٤٩٨]،

قال مجاهد:" آمن فأنفق، يقول: من هاجر ليس كمن لم يهاجر"[١٤٩٩].

قال مجاهد:" يقول: ليس من أنفق وهاجر كمن لم ينفق ولم يهاجر "[١٥٠٠].

الثاني: عني بالفتح فتح مكة، وبالنفقة: النفقة في جهاد المشركين. وهذا قول قتادة[١٥٠١].

عن قتادة في قوله: {مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ}، قالا: "فتح مكة"[١٥٠٢].

قال قتادة:" كان قتالان، أحدهما أفضل من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضل من الأخرى، كانت النفقة والقتال من قبل الفتح "فتح مكة" أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك"[١٥٠٣].

عن أنس قال : "كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغنا أن ذلك ذُكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد - أو مثل الجبال - ذهبًا، ما بلغتم أعمالهم"[١٥٠٤].

وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال : " لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا، ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نَصيفه"[١٥٠٥].

الثالث: عني بالفتح في هذا الموضع: صلح الحديبية. وهذا قول الشعبي[١٥٠٦].

عن عامر، في هذه الآية، قوله: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ}، قال: "فتح الحديبية، قال: "فصل ما بين العمرتين فتح الحديبية"[١٥٠٧].

قال عامر:" فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية، يقول تعالى ذكره: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ... }، الآية"[١٥٠٨].

عن عامر، قال: "فصل ما بين الهجرتين فتح الحديبية". وأُنزلت: {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ} .... إلى {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}، فقالوا: يا رسول الله فتحٌ هو؟ قال: «نَعَمْ عَظِيمٌ»"[١٥٠٩].

عن أبي سعيد الخدريّ، قال، قال لنا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عام الحديبية: "يُوشكُ أنْ يأتي قَوْمٌ تَحْقِرُونَ أعمالَكُمْ مَعَ أعمالِهِمْ، قلنا: من هم يا رسول الله، أقريش هم؟ قال: لا وَلَكِنْ أَهْلُ اليمَن أرَقُّ أفْئِدَةً وألْيَنُ قُلُوبا، فقلنا: هم خير منا يا رسول الله، فقال: لَوْ كانَ لأحَدَهِمْ جَبَلٌ مِنْ ذَهَب فأنْفَقَهُ ما أدْرَكَ مُدّ أحَدِكُمْ

(١٤٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٤٩٧) التفسير الميسر: ٥٣٨.

(١٤٩٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٤/٢٣.

(١٤٩٩) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٣.

(١٥٠٠) تفسير مجاهد: ٦٤٨.

(١٥٠١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٤/٢٣.

(١٥٠٢) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(١٥٠٣) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٣.

(١٥٠٤)المسند (٢٦٦/٣).

(١٥٠٥)صحيح البخاري برقم (٣٦٧٣) وصحيح مسلم برقم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

(١٥٠٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٥/٢٣.

(١٥٠٧) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(١٥٠٨) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

(١٥٠٩) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٣.

وَلا نَصيفَهُ، ألا إنَّ هَذَا فَصْلُ ما بَيْنَنَا وَبَينَ النَّاس، {لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ}... الآية، إلى قوله: {وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}"[١٥١٠].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} [الحديد : ١٠]، أي:" أولئك أعظم درجة عند الله من الذين أنفقوا في سبيل الله من بعد الفتح وقاتلوا الكفار، وكلا من الفريقين وعد الله الجنة"[١٥١١].

عن مجاهد، وقتادة، في قوله تعالى: "{مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللُّهُ الْحُسْنَى}، قالا: "الجنة"[١٥١٢].

قال مجاهد:" يعني: الحسنة، والحسنى هي الجنة"[١٥١٣].

قال عطاء: "درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا قبل الفتح في أفضلها"[١٥١٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [الحديد : ١٠]، أي:" والله بأعمالكم خبير لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم عليها"[١٥١٥].

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"[١٥١٦].

القرآن

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)} [الحديد : ١١]

التفسير:

من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسبًا من قلبه بلا مَنٍّ ولا أذى، فيضاعف له ربه الأجر والثواب، وله جزاء كريم، وهو الجنة؟

قوله تعالى:{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد : ١١]، أي:" من ذا الذي ينفق في سبيل الله محتسبًا من قلبه بلا مَنٍّ ولا أذى"[١٥١٧].

قال الحسن البصري: "كلّ ما في القرآن مِن القرْض الحسن فهو التطُّوع"[١٥١٨].

عن أبي حيان، عن أبيه:" عن شيخ لهم أنه كان إذا سمع السائل يقول: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا}، فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، هذا القرض"[١٥١٩].

القرآن

{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)} [الحديد : ١٢]

التفسير:

(١٥١٠) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٣.
(١٥١١) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٥١٢) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٣.
(١٥١٣) تفسير مجاهد: ٦٤٨.
(١٥١٤) نقلا عن: تفسير البغوي: ٣٤/٨.
(١٥١٥) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٥١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.
(١٥١٧) التفسير الميسر: ٥٣٨.
(١٥١٨)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٣.
(١٥١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٤٣٣):ص٤٦١/٢.

يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمانهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، لا تخرجون منها أبدًا، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحديد : ١٢]، أي:" يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمانهم، بقدر أعمالهم"[١٥٢٠].

عن الحسن، في قوله: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} يعني : "على الصراط"[١٥٢١].

عن جُنَادة بن أمية قال : "إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وحُلاكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ :{يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}"[١٥٢٢].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحديد : ١٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما: معناه: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يضيء نورهم بين أيديهم وبأيمانهم. وهذا قول قتادة[١٥٢٣].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين فصنعاء، فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه"[١٥٢٤].

الثاني: معناه: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى إيمانهم وهداهم بين أيديهم، وبأيمانهم: كتبهم. وهذا قول الضحاك[١٥٢٥].

عن الضحاك في قوله: "{يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ}: كتبهم، يقول الله: فأما من أوتي كتابه بيمينه، وأما نورهم فهداهم"[١٥٢٦].

وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن الضحاك، وذلك أنه لو عنى بذلك النور الضوء المعروف، لم يخص عنه الخبر بالسعي بين الأيدي والأيمان دون الشمائل، لأن ضياء المؤمنين الذي يؤتونه في الآخرة يضيء لهم جميع ما حولهم، وفي خصوص الله جلّ ثناؤه الخبر عن سعيه بين أيديهم وبأيمانهم دون الشمائل، ما يدلّ على أنه معنّى به غير الضياء، وإن كانوا لا يخلون من الضياء"[١٥٢٧].

عن الرحمن بن جبير، أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وأنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم» فقال له رجل: يا نبي الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، ما بين نوح إلى أمتك؟ قال: أعرفهم، محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم ودريتهم"[١٥٢٨].

قوله تعالى:{بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الحديد : ١٢]، أي:" ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[١٥٢٩].

(١٥٢٠) التفسير الميسر: ٥٣٩.
(١٥٢١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٥/٨.
(١٥٢٢) رواه سفيان الثوري كما في تفسير ابن كثير: ١٥/٨.
(١٥٢٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٣.
(١٥٢٤) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢٣.
(١٥٢٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.
(١٥٢٦) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٣.
(١٥٢٧) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٣.
(١٥٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٠):ص٣٣٣٦/١٠-٣٣٣٧.
(١٥٢٩) التفسير الميسر: ٥٣٩.

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[١٥٣٠].
قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[١٥٣١].
عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[١٥٣٢].
قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[١٥٣٣].
قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [الحديد : ١٢]، أي:" لا تخرجون منها أبدًا"[١٥٣٤].
عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[١٥٣٥].
قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد : ١٢]، أي:" ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة"[١٥٣٦].
عن أبي مالك، قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"[١٥٣٧].
قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[١٥٣٨].

القرآن

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣)} [الحديد : ١٣]

التفسير:

يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضئْ من نوركم، فتقول لهم الملائكة -على وجه السخرية منهم-: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نورًا، فَفُصِل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ} [الحديد : ١٣]، أي:" يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضئْ من نوركم"[١٥٣٩].

عن مجاهد:" {يَوْمَ يَقُولُ المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ} الآية، قال: إنّ المنافقين كانوا مع المؤمنين أحياء في الدنيا، يناكحونهم ويُعاشرونهم، وكانوا معهم أموانًا، ويُعطَون النور جميعًا يوم القيامة، فيُطفَأ نور المنافقين إذا بلغوا السُّور، يُماز بينهم يومئذ، والسُّور كالحجاب في الأعراف، فيقولون: {انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا ورَاءَكُمْ فالتَمِسُوا نُورًا}"[١٥٤٠].

عن أبي أمامة قال: "تبعث ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم، فيتبعهم المنافقون فيقولون: انظرونا نقتبس من نوركم"[١٥٤١].

(١٥٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(١٥٣١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(١٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(١٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(١٥٣٤) التفسير الميسر: ٥٣٩.
(١٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.
(١٥٣٦) التفسير الميسر: ٥٣٩.
(١٥٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٥):ص١٩٦٦/٦.
(١٥٣٨)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.
(١٥٣٩) التفسير الميسر: ٥٣٩.
(١٥٤٠)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٤٨ - ، وابن جرير ٢٢/ ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٠١٦). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١٥٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٢):ص٣٣٣٧/١٠.

عن سليم ابن عامر قال: "خرجنا على جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا يشير إلى القبر- بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وسع الله، ثم تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس في أمر من الله، ف تبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر تغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه قال: أو كظلمات في بحر لجي إلى قوله: فما له من نور فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون ... للذين آمنوا: {انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُم} [الحديد : ١٣] ، {قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا } [الحديد : ١٣]، وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُم} [النساء : ١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور. فلا يجدون شيئا، فينصرفون إليهم وقد ضرب {بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَاب} [الحديد : ١٣].. الآية، يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترا حتى يقسم النور، ويميز الله بين المؤمن والمنافق"[١٥٤٢].

قوله تعالى:{قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} [الحديد : ١٣]، أي:" فتقول لهم الملائكة -على وجه السخرية منهم-: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نورًا، فضرب بين المؤمنين والمنافقين بحاجزٍ له باب، يحجز بين أهل الجنة وأهل النار"[١٥٤٣].

وفي قوله تعالى:{فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ} [الحديد : ١٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أنه حائط بين الجنة والنار ، قاله الحسن[١٥٤٤]، وقتادة[١٥٤٥].

قال قتادة:" السور: حائط بين الجنة والنار"[١٥٤٦].

الثاني : أنه حجاب في الأعراف ، قاله مجاهد[١٥٤٧].

عن مجاهد، في قوله: {بِسُورٍ لَهُ بَابٌ}، قال: "كالحجاب في الأعراف"[١٥٤٨].

عن مجاهد: "{فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ} تفسيره: السُّور: الأعراف"[١٥٤٩].

قال مجاهد:" إن المنافقين كانوا مع المؤمنين أحياء في الدنيا يناكحونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتا، ويعطون النور جميعا يوم القيامة فيطفأ نور المنافقين إذا بلغوا السور يماز بينهم يومئذ، والسور كالحجاب في الأعراف، فيقولون: {انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد : ١٣]"[١٥٥٠].

الثالث : أنه سور المسجد الشرقي، بيت المقدس. قاله كعب الأحبار[١٥٥١].

عن شريح:" أن كعبا كان يقول في الباب الذي في بيت المقدس: إنه الباب الذي قال الله {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}"[١٥٥٢].

(١٥٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢١):ص٣٣٣٧/١٠.

(١٥٤٣) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٥٤٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧/٨.

(١٥٤٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢٣.

(١٥٤٦) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٣.

(١٥٤٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٢/٢٣.

(١٥٤٨) أخرجه الطبري: ١٨٢/٢٣.

(١٥٤٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٥١ -.

(١٥٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٤):ص٣٣٣٨/١٠

(١٥٥١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٣/٢٣.

(١٥٥٢) أخرجه الطبري: ١٨٣/٢٣.

قوله تعالى:{بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد : ١٣]، أي:" في باطن السور الذي هو جهة المؤمنين الرحمةُ وهي الجنة، وفي ظاهره وهو جهة الكافرين العذاب وهو النارُ"(١٥٥٣).

عن الحسن:" {باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ} قال: الجنة، {وظاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ العَذابُ} قال: النار"(١٥٥٤).

عن قتادة: "{وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ}، أي: النار"(١٥٥٥).

عن أبي فاختة، قال: "يجمع اللهُ الخلائقَ يوم القيامة، ويُرسل الله على الناس ظُلمةً، فيستغيثون ربَّهم، فيؤتي الله كلَّ مؤمن يومئذ نورًا، ويؤتي المنافقين نورًا، فينطلِقون جميعًا متوجّهين إلى الجنة معهم نورهم، فبينما هم كذلك إذ طفَأ الله نور المنافقين، فيتردّدون في الظّلمة، ويسبقهم المؤمنون بنورهم بين أيديهم، فينادونهم: {انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ}، {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ} حيث ذهب المؤمنون {فِيهِ الرَّحْمَةُ} ومن قِبَله الجنة، ويناديهم المنافقون: {أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ}. قالوا: {بَلى ولَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وتَرَبَّصْتُمْ وارْتَبْتُمْ}. فيقول المنافقون بعضهم لبعض، وهم يَتَسَكَّعُون في الظُّلمة: تعالوا نلتمسْ إلى المؤمنيين سبيلًا، فيَسْقُطون على هُوّةٍ، فيقول بعضهم لبعض: إنّ هذا ينفُقُ بكم إلى المؤمنين. فيتهافتون فيها، فلا يزالون يهوون فيها حتى ينتهوا إلى قَعْرِ جهنم، فهنالك خُدع المنافقون كما قال الله: {وهُوَ خادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]"(١٥٥٦).

القرآن

{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (١٤)} [الحديد : ١٤]

التفسير:

ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟ قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق والمعاصي، وتربصتم بالنبي الموت وبالمؤمنين الدوائر، وشككتم في البعث بعد الموت، وخدعتكم أمانيكم الباطلة، وبقيتم على ذلك حتى جاءكم الموت وخدعكم بالله الشيطان.

قوله تعالى:{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} [الحديد : ١٤]، أي:" ينادي المنافقون المؤمنين قائلين: ألم نكن معكم في الدنيا، نؤدي شعائر الدين مثلكم؟"(١٥٥٧).

قوله تعالى:{قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ} [الحديد : ١٤]، أي:" قال المؤمنون لهم: بلى قد كنتم معنا في الظاهر، ولكنكم أهلكتم أنفسكم بالنفاق والمعاصي"(١٥٥٨).

عن مجاهد، قوله: {فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ}، قال: "النفاق، وكان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم، ويغشَوْنهم، ويعاشرونهم، وكانوا معهم أموانًا، ويعطون النور جميعا يوم القيامة، فيطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذ"(١٥٥٩).

قال أبو سنان[سعيد بن سنان البرجمي]: "{فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ}: بالمعاصي"(١٥٦٠).

قوله تعالى:{وَتَرَبَّصْتُمْ} [الحديد : ١٤]، أي:" وتربصتم بالنبي الموت وبالمؤمنين الدوائر"(١٥٦١).

(١٥٥٣) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(١٥٥٤)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٧٥، ٥٢٨.

(١٥٥٥) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٣.

(١٥٥٦) الدر المنثور: ٥٤/٨-٥٥ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٥٥٧) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(١٥٥٨) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(١٥٥٩) أخرجه الطبري: ١٨٤/٢٣.

(١٥٦٠) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٥٦١) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

عن قتادة: "{وَتَرَبَّصْتُمْ}، يقول: تربصوا بالحق وأهله"[١٥٦٢].
قال أبو سنان[سعيد بن سنان البرجمي]: :" {وَتَرَبَّصْتُمْ} بالتوبة"[١٥٦٣].
قوله تعالى:{وَارْتَبْتُمْ} [الحديد : ١٤]، أي:" وشككتم في البعث بعد الموت"[١٥٦٤].
قال أبو سنان[سعيد بن سنان البرجمي]: :" {وَارْتَبْتُمْ} شككتم"[١٥٦٥].
قال قتادة:" كانوا في شكّ من الله"[١٥٦٦].
قوله تعالى:{وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ} [الحديد : ١٤]، أي:" خدعتكم الأماني الفارغة بسعة رحمة الله"[١٥٦٧].
قال عكرمة:" التَّسْوِيف"[١٥٦٨].
قال أبو سنان[سعيد بن سنان البرجمي]:" قلتم: سيُغفر لنا"[١٥٦٩].
قوله تعالى:{حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} [الحديد : ١٤]، أي:" وبقيتم على ذلك حتى جاءكم الموت"[١٥٧٠].
عن أبي سنان[سعيد بن سنان البرجمي]:" {حَتّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ} قال: الموت"[١٥٧١].
عن شريك بن عبد الله -من طريق فضيل بن عبد الوهاب- في قوله - عز وجل -: {حَتّى جاءَ أَمْرُ اللَّهِ}، قال: الموت"[١٥٧٢].
قال قتادة:" كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار"[١٥٧٣].
قوله تعالى:{وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [الحديد : ١٤]، أي:" وخدعكم بالله الشيطان"[١٥٧٤].
عن مجاهد، وقتادة، في قوله: { وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور}، أي: "الشيطان"[١٥٧٥].
عن أبي سنان:"{وغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ}، قال: الشيطان"[١٥٧٦]. وروي عن شريك بن عبدالله مثله[١٥٧٧].
عن عكرمة -من طريق يحيى بن يمان، عن شيخ- في قوله تعالى: "{وغركم بالله الغرور}، قال: الشيطان"[١٥٧٨].
قال الحسن:" يعطى المؤمن يوم القيامة نورا ويعطى المنافق نورا يمشون به حتى ينتهوا إلى الصراط، فإذا انتهوا إلى الصراط مضى المؤمنون بنورهم ويطفي نور المنافقين، ف {ينادونهم ألم نكن معكم}؟ {قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور}، قال الحسن: فتلك خديعة الله إياهم"[١٥٧٩].

(١٥٦٢) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
(١٥٦٣) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥٦٤) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.
(١٥٦٥) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥٦٦) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
(١٥٦٧) صفوة التفاسير: ٣٠٦/٣.
(١٥٦٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٣٨.
(١٥٦٩) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥٧٠) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.
(١٥٧١) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥٧٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ٣/ ٣٤١ (١٦٦)، وكتاب الأهوال ٦/ ١٩٥ (١٤١).
(١٥٧٣) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٣.
(١٥٧٤) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.
(١٥٧٥) أخرجه الطبري: ١٨٦/٢٣.
(١٥٧٦) الدر المنثور: ٨/ ٥٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٥٧٧)أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل ٣/ ٣٤١ (١٦٦)، وكتاب الأهوال ٦/ ١٩٥ (١٤١).
(١٥٧٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/ ٣٣٨.
(١٥٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦١٣٨):ص١٠٩٥/٤.

القرآن

{فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٥)} [الحديد : ١٥]

التفسير:

فاليوم لا يُقبل من أحد منكم -أيها المنافقون- عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله، مصيركم جميعًا النار، هي أولى بكم من كل منزل، وبئس المصير هي.

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الحديد : ١٥]، أي:" فاليوم لا يُقبل من أحد منكم -أيها المنافقون- عوض؛ ليفتدي به من عذاب الله، ولا من الذين كفروا بالله ورسوله"[١٥٨٠].

عن قتادة: " {فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ}، يعني: من المنافقين، {ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}"[١٥٨١].

القرآن

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦)} [الحديد : ١٦]

التفسير:

ألم يحن الوقت للذين صدَّقوا الله ورسوله واتَّبَعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن، ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم -من اليهود والنصارى- الذين طال عليهم الزمان فبدَّلوا كلام الله، فقست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله؟

اختلفوا فيمن نزلت الآية، على ثلاثة اقوال:

أحدها : أنها في المؤمنين من أمتنا، قاله ابن مسعود[١٥٨٢]، وابن عباس[١٥٨٣]، والقاسم بن محمد[١٥٨٤]، والأعمش[١٥٨٥]، ومقاتل بن حيان[١٥٨٦].

قال الحسن : يستبطئهم وهم أحب خلقه إليه"[١٥٨٧]. وفي لفظ:" أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرءون. فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق"[١٥٨٨]

قال ابن مسعود: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦]، إلا أربع سنين"[١٥٨٩].

قال ابن عباس: "إن الله استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}.. الآية"[١٥٩٠].

قال الأعمش: " لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا, عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا فنزلت في ذلك: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦]"[١٥٩١].

(١٥٨٠) صفوة التفاسير: ٣٠٥/٣.

(١٥٨١) أخرجه الطبري: ١٨٦/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(١٥٨٢) انظر: صحيح مسلم(٣٠٢٧):ص٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص٢٨٩/١٠، وانظر: الكشف والبيان: ٢٤٠/٩، والنكت والعيون:٤٧٧/٥ .

(١٥٨٣) .

(١٥٨٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١١٣٢٥):ص٢١٠٠/٧.

(١٥٨٥) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣١٦٢):ص٢٨٨/٣.

(١٥٨٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٢٦):ص٣٣٣٨/١٠

(١٥٨٧) النكت والعيون: ٤٧٧/٥.

(١٥٨٨) نقلا عن: الكشاف: ٤٧٧/٤.

(١٥٨٩) صحيح مسلم(٣٠٢٧):ص٢٣١٩/٤، والسنن الكبرى للنسائي(١١٥٠٤):ص٢٨٩/١٠.

(١٥٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٥):ص٣٣٣٨/١٠

قال القاسم بن محمد: "مل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملة فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأنزل الله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]. ثم ملوا ملة، فقالوا: يا رسول الله: حدثنا فنزلت: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣] . ثم ملوا ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله. فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦]"[١٥٩٢].

قال سعد: "أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلاه عليهم زمانا. فقالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا . فأنزل الله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف : ٣]، فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا. فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ} [الزمر : ٢٣]. قال: كل ذلك يؤمرون بالقرآن. قال خلاد: وزاد فيه آخر: قالوا: يا رسول الله، لو ذكرتنا. فأنزل الله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦]"[١٥٩٣].

قال مقاتل بن حيان: "كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذوا في شيء من المزاح، فأنزل الله: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}.. الآية"[١٥٩٤].

قال ابن عطية:" روي أنه كثر المزاح والضحك في بعض تلك المدة في قوم من شبان المسلمين، فنزلت هذه الآية"[١٥٩٥].

قال الزمخشري:" قيل: كانوا مجدبين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت"[١٥٩٦].

عن أبى بكر رضى الله عنه أنّ هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاء شديدا، فنظر إليهم فقال: هكذا كنا حتى قست القلوب"[١٥٩٧].

قال سعيد عن عمرو بن مرة: "قدم على أبي بكر الصديق وفد من اليمن، فقالوا: اقرأ علينا القرآن، فقرأ عليهم القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: كذا كنا حتى قست القلوب، وكان أبو بكر لا يملك دمعة حين يقرأ القرآن"[١٥٩٨].

قال الزجاج:" هذه الآية - والله أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حثوا على الرقة والرحمة والخشوع. فأما من كان ممن وصفه - عز وجل - بالخضوع والرقة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء"[١٥٩٩].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن شدّاد بن أوس كان يروي عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قال: «إن أوَّل مَا يُرْفعُ مِنَ النَّاس الخُشُوعُ»"[١٦٠٠].

قال قتادة:" كان شدّاد بن أوس يقول: أوّل ما يرفع من الناس الخشوع"[١٦٠١].

الثاني: أنها نزلت في المنافقين، آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم. قاله أبو صالح عن ابن عباس[١٦٠٢]، والكلبي[١٦٠٣].

(١٥٩١) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٦٢):ص٢٨٨/٣.

(١٥٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٢٥):ص٢١٠٠/٧.

(١٥٩٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك(٥٤٤):ص٣٧٦/٢. وفي:" فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا. فأنزل الله عز وجل {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها} [الزمر: ٢٣] الآية كل ذلك يؤمر بالقرآن".

(١٥٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٢٦):ص٣٣٣٨/١٠

(١٥٩٥) المحرر الوجيز: ٢٦٤/٥.

(١٥٩٦) الكشاف: ٤٧٨/٤.

(١٥٩٧) نقلا عن: الكشاف: ٤٧٧/٤.

(١٥٩٨)أخرجه الثعلبي في تفسيره: ٤/ ١٠٠.

(١٥٩٩) معاني القرآن: ١٢٥/٥.

(١٦٠٠) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(١٦٠١) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣.

(١٦٠٢)موضوع. عزاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٢٣٥/٤ لأبي صالح، وهو متهم في ابن عباس، حيث روى وصاحبه

قال ابن أبي زمنين:" أمرهم أن يخلصوا الإيمان؛ كما أخلص المؤمنون"[١٦٠٤].

وقال مقاتل: "سأل المنافقون سلمان الفارسي فقالوا: "حدِّثنا عن التوراة، فإن فيها العجائب، فأنزل الله- تعالى-: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله} [الحديد : ١٦]"[١٦٠٥].

الثالث: وقيل: أن هذا الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى دون محمد عليهم السلام لأنه قال عقيب هذا: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد : ١٩]، أي: ألم يأن للذين آمنوا بالتوراة والإنجيل أن تلين قلوبهم للقرآن، وألا يكونوا كمتقدمي قوم موسى وعيسى، إذ طال عليهم الأمد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم. حكاه القرطبي[١٦٠٦].

وحكي الماوردي عن ابن حبان:" أنها نزلت في قوم موسى عليه السلام قبل أن يبعث النبي -صلى الله عليه وسلم-"[١٦٠٧].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [الحديد : ١٦]، أي:" ألم يحن الوقت للذين صدَّقوا الله ورسوله واتَّبَعوا هديه، أن تلين قلوبهم عند ذكر الله وسماع القرآن"[١٦٠٨].

عن عكرمة:" {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، قال: يقول: ألم يتبيّن للذين آمنوا"[١٦٠٩].

قال محمد بن كعب القُرَظيّ: "{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ} كانت الصحابة بمكة مُجْدِبين، فلما هاجروا أصابوا الرّيف والنّعمة، ففتروا عما كانوا فيه، ففَسَتْ قلوبهم، فوعظهم الله، فأفاقوا"[١٦١٠].

قال قتادة: ذُكر لنا: أنّ شدّاد بن أوس كان يروي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنّ أول ما يُرفع من الناس الخشوع»"[١٦١١].

عن همّام، عن كعب الأحبار، قال: "إنّا نجِدُ أنّ الله تعالى يقول: أنا الله، لا إله إلا أنا، خالِق الخلْق، أنا الملك العظيم، ديّان الدِّين، وربّ الملوك، قلوبهم بيدي، فلا تشاغلوا بذكرهم عن ذكري ودعائي، والتوبة إليَّ، حتى أعطفهم عليكم بالرحمة فأجعلهم رحمةً، وإلا جعلتهم نِقمة. ثم قال: ارجعوا، رحمكم الله تعالى، وموتوا من قريب، فإن الله يقول: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون} [الروم: ٤١]. قال: ثم قال: {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله}. قال كعب: فهل ترون الله تعالى يُعاتِب إلا المؤمنين"[١٦١٢].

قوله تعالى:{وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ١٦]، أي:" ولا يكونوا في قسوة القلوب كالذين أوتوا الكتاب من قبلهم -من اليهود والنصارى-، فطال عليهم الزمان فبدَّلوا كلام الله، فقست قلوبهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله"[١٦١٣].

عن مجاهد قوله: {الأَمَدُ}، قال: " «طال عليهم الدهر"[١٦١٤].

الكلبي تفسير موضوعا عن ابن عباس، وهذا منه.

(١٦٠٣) انظر: الكشف والبيان: ٢٣٩/٩، والنكت والعيون: ٤٧٧/٥، وأسباب النزول للواحدي: ٤٢٦. والكلبي ضعيف.

(١٦٠٤) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٥٣/٤.

(١٦٠٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤١/٤. والخبر منكر جدا، أمارة الوضع لائحة عليه، ومقاتل بن سليمان متهم بالكذب.

(١٦٠٦) انظر: تفسير القرطبي: ٢٤٩/١٧.

(١٦٠٧) النكت والعيون: ٤٧٧/٥.

(١٦٠٨) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦٠٩) الدر المنثور: ٨/ ، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(١٦١٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤١.

(١٦١١) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣، وأخرج نحوه عبد الرزاق ٢/ ٢٧٥ من طريق معمر. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر دون ذكر الآية.

(١٦١٢)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٣٠٨.

(١٦١٣) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦١٤) تفسير مجاهد: ٦٤٨، والطبري: ١٨٩/٢٣.

عن الربيع بن عميلة الفزاري، قال: "حدثنا عبد الله بن مسعود، حدثنا ما سمعت أعجب إلي منه، إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم فقالوا: تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعنا عليه تركناه، ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك، وكان فيهم رجل فقيه، فلما رأى ما يصنعون عمد إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف، ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك في عنقه، فلما أكثروا القتل قال بعضهم لبعض: يا هؤلاء، إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم، فإنه إن تابعكم فسيتابعكم بقية الناس، وإن أبى فاقتلوه، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا: تؤمن بما في كتابنا؟ قال: وما فيه؟ اعرضوه علي فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا: أتؤمن بهذا؟ قال نعم، آمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن، فتركوه، فلما مات نبشوه فوجدوه متعلقا ذلك القرن، فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله، فقال بعضهم: لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع هذا أصابه فتنة فافترقت بنوا إسرائيل على ثنتين وسبعين ملة، وخير مللهم ملة أصحاب ذي القرن»[١٦١٥].

وأخرج الطبري بسنده عن إبراهيم، قال: "جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود، فقال: يا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال عبد الله: هلك من لم يعرف قلبه معروفا، ولم ينكر قلبه منكرا، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد، وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم، استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وقالوا: نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب، فمن آمن به تركناه، ومن كفر به قتلناه، قال: فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن، ثم جعل القرن بين ثندوتيه؛ فلما قيل له: أتؤمن بهذا؟ قال: آمنت به، ويوميء إلى القرن الذي بين ثندوتيه، ومالي لا أومن بهذا الكتاب، فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن"[١٦١٦].

قال ابن مسعود: "أوشك بكم إن بقيتم، أو بقي من بقي منكم، أن تروا أمورا تنكرونها لا تستطيعون لها غيرا، فحسب المرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره"[١٦١٧].

القرآن

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)} [الحديد : ١٧]

التفسير:

اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتُخرج النبات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها. قد بيَّنا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتتعظوا.

قوله تعالى:{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الحديد : ١٧]، أي:" اعلموا أن الله سبحانه وتعالى يحيي الأرض بالمطر بعد موتها، فتُخرج النبات، فكذلك الله قادر على إحياء الموتى يوم القيامة، وهو القادر على تليين القلوب بعد قسوتها"[١٦١٨].

قال صالح المُرّي: "يليّن القلوب بعد قسوتها"[١٦١٩].

قال جعفر بن محمد: "يحييها بالعدل بعد الجور"[١٦٢٠].

(١٦١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٨٢٩):ص٣٣٣٩/١٠.

(١٦١٦) أخرجه الطبري: ١٨٨/٢٣-١٨٩.

(١٦١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٣٠):ص٣٣٤٠/١٠.

(١٦١٨) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦١٩) رواه ابن المبارك في الزهد(٢٦١):ص١/ ١١١ ، وانظر: التفسير الثعلبي: ٧٠/٢٦، [ط. دار التفسير]، والنكت والعيون: ٥/ ٤٧٨.

(١٦٢٠)التفسير الثعلبي: ٧٠/٢٦، [ط. دار التفسير].

قوله تعالى:{قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد : ١٧]، أي:" قد بيَّنا لكم دلائل قدرتنا؛ لعلكم تعقلونها فتتعظوا"[١٦٢١].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلكم}، يعني: لكي"[١٦٢٢].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[١٦٢٣].

القرآن

{إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨)} [الحديد : ١٨]

التفسير:

إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى، يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالصدقة ورغبهم في ثوابها، فقال أبو الدحداح الأنصاري: يا رسول الله، فإني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله. ثم جاء إلى الحديقة، وأم الدحداح في الحديقة، فقال: يا أم الدحداح، إني قد جعلت حديقتي صدقة لله ولرسوله فخذي بيد صبيتاه فأخرجيهم من الحائط. فلما أصابهم حر الشمس بكوا، فقالت: أمهم لا تبكوا فإن أباكم قد باع حائطه من ربه، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كم من نخلة مذلا عذوقها قد رأيتها لأبي الدحداح في الجنة، فنزلت فيه: {إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا}"[١٦٢٤].

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [الحديد : ١٨]، أي:" إن المتصدقين من أموالهم والمتصدقات، وأنفقوا في سبيل الله نفقات طيبة بها نفوسهم؛ ابتغاء وجه الله تعالى"[١٦٢٥].

قال الحسن:" كلّ ما في القرآن مِن القرْض الحسن فهو التطُّوع"[١٦٢٦].

قوله تعالى:{يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١٨]، أي:" يضاعف لهم ثواب ذلك، ولهم فوق ذلك ثواب جزيل، وهو الجنة"[١٦٢٧].

قرأ الأعمش: {يُضَعَّفُ} بكسر العين وزيادة هاء[١٦٢٨].

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩)} [الحديد : ١٩]

التفسير:

والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرِّقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولا وعملا، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة، والذين كفروا وكذَّبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم، ولا نور.

(١٦٢١) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٢٠٩٩/٧.

(١٦٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(١٦٢٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(١٦٢٥) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦٢٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٣.

(١٦٢٧) التفسير الميسر: ٥٣٩.

(١٦٢٨) تفسير الثعلبي: ٧٣/٢٦. [ط. دار التفسير].

سبب النزول:

قال مقاتل: "فقال الفقراء-أي بعد نزول الآية السابقة[١٦٢٩]-: ليس لنا أموال نجاهد بها أو نتصدق بها، فأنزل الله- تعالى- : {وَالَّذِينَ آمَنُوا..} "[١٦٣٠].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} [الحديد : ١٩]، أي:" والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرِّقوا بين أحد منهم، أولئك هم الصديقون الذين كمُل تصديقهم بما جاءت به الرسل، اعتقادًا وقولا وعملا، والشهداء عند ربهم لهم ثوابهم الجزيل عند الله، ونورهم العظيم يوم القيامة"[١٦٣١].

واختلفوا في نظم الآية، على قولين:

أحدهما : أن قوله {وَالشُّهَدَاءُ} من صفة {الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ}، فالذين آمنوا بالله ورسله هم الصديقون وهم الشهداء عند ربهم، قاله مجاهد[١٦٣٢]، وزيد بن أسلم[١٦٣٣].

عن مجاهد: "{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، قال: كلّ مؤمن شهيد، ثم قرأها"[١٦٣٤].

عن مجاهد، في قوله: {الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}، قال: "بالإيمان على أنفسهم بالله"[١٦٣٥].

عن البراء بن عازب، قال: "سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: «مُؤْمِنُو أمّتِي شُهَداءُ». قال: ثم تلا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم هذه الآية: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}"[١٦٣٦].

عن معن أبي قيس:" أنه سمع هذيلا يحدّث، قال: ذكروا الشهداء، فقال عبد الله: الرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل للدنيا، والرجل يقاتل للسمعة، والرجل يقاتل للمغنم; قال شعبة شيئا هذا معناه: والرجل يقاتل يريد وجه الله، والرجل يموت على فراشه وهو شهيد، وقرأ عبد الله هذه الآية: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}"[١٦٣٧].

الثاني : أن تمام الكلام عند قوله عزّ وجلّ: {أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}. ثم ابتدأ فقال عزّ وجلّ: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}. هذا قول مسروق[١٦٣٨]، وأبي الضحى[١٦٣٩].

عن أبي الضحى: "{أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}، ثم استأنف الكلام فقال: { وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ}"[١٦٤٠].

عن مسروق: {أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، قال: هي للشهداء خاصة"[١٦٤١]. وفي لفظ:" هي خاصة للشهداء"[١٦٤٢].

عن مكحول الشامي -من طريق برد- قال: "{أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ والشُّهَداءُ} للشهداء خاصة"[١٦٤٣].

(١٦٢٩){إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} [الحديد : ١٨].

(١٦٣٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٢/٤.

(١٦٣١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٣٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٣.

(١٦٣٣) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٥.

(١٦٣٤) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(١٦٣٥) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(١٦٣٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣. قال ابن كثير:٢٣/٨:" هذا حديث غريب".

(١٦٣٧) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٣.

(١٦٣٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٦٣٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٦٤٠) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٦٤١) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.

(١٦٤٢) تفسير عبدالرزاق(٣١٦٤):ص٢٨٨/٣.

(١٦٤٣)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٠/ ٢٧٥ (١٩٧٢٨).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول: في قوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ} هذه مفصولة، سماهم الله صدّيقين بأنهم آمنوا بالله وصدّقوا رسله، ثم قال: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}. هذه مفصولة"(١٦٤٤).

قال الضَّحّاك: "{أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ} هم ثمانية نفرٍ مِن هذه الأمّة، سبقوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمزة، وتاسعهم عمر بن الخطاب"(١٦٤٥).

وروي عن مسروق، عن عبد الله في قوله :"{أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} قال : هم ثلاثه أصناف"(١٦٤٦).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»(١٦٤٧).

والذي هو أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: الكلام والخبر عن الذين آمنوا، متناه عند قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ}، وإن قوله: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ} خبر مبتدأ عن الشهداء، وإنما قلنا: إن ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن ذلك هو الأغلب من معانيه في الظاهر، وأنّ الإيمان غير موجب في المتعارف للمؤمن اسم شهيد لا بمعنى غيره، إلا أن يُراد به شهيد على ما آمن به وصدّقه، فيكون ذلك وجها، وإن كان فيه بعض البعد، لأن ذلك ليس بالمعروف من معانيه، إذا أطلق بغير وصل، فتأويل قوله: {وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ} إذن: والشهداء الذين قُتلوا في سبيل الله، أو هلكوا في سبيله عند ربهم، لهم ثواب الله إياهم في الآخرة ونورهم(١٦٤٨).

قال أبو إسحاق، عن عمرو بن ميمون في قوله :" {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ}، قال : يجيؤون يوم القيامة معًا كالإصبعين"(١٦٤٩).

قال مسروق: "سألنا عبد الله عن هذه الآية: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: " هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا"(١٦٥٠).

عن عمر ابن الخطاب يقول: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فَقُتلُ، فذلك الذي يَنْظر الناس إليه هكذا، ورفع رأسَه حتى سقطت قلنسوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم – أو قلنسوُة عمر، والثاني رجل مؤمن لقي العدو فكأنما

(١٦٤٤) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٣.
(١٦٤٥)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٣٤، وتفسير البغوي ٨/ ٣٨.
(١٦٤٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٢/٨.
(١٦٤٧)صحيح البخاري برقم (٣٢٥٦):ص١١٩/٤، وصحيح مسلم برقم (٢٨٣١):ص٢١٧٧/٤.
[(يتراءون) يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية والغرف جمع غرفة وهي العلية. (الغابر) الذاهب أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الأفق) أطراف السماء. (لتفاضل ما بينهم) لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة].
(١٦٤٨) تفسير الطبري: ٢٣/!٩٣.
(١٦٤٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣/٨.
(١٦٥٠) صحيح مسلم(١٨٨٧):ص١٨٨٧/٣.

يُضرب ظهره بشَوك الطلح، جاءه سهم غربٌ فقتله، فذاك في الدرجة الثانية، والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولقي العدو فصدَقَ الله عز وجل حتى قُتل، قال: فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إصرافاً كثيراً، لقي العدوَّ فصدقَ الله حتى قتل، فذلك في الدرجة الرابعة"[١٦٥١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [الحديد : ١٩]، أي:" والذين كفروا وكذَّبوا بأدلتنا وحججنا أولئك أصحاب الجحيم، فلا أجر لهم، ولا نور"[١٦٥٢].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[١٦٥٣].

القرآن

{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠)} [الحديد : ٢٠]

التفسير:

اعلموا -أيها الناس- أنما الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، وزينة تتزينون بها، وتفاخر بينكم بمتاعها، وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد، مثلها كمثل مطر أعجب الزُّرَّاع نباته، ثم يهيج هذا النبات فييبس، فتراه مصفرًا بعد خضرته، ثم يكون فُتاتًا يابسًا متهشمًا، وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان. وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسيًا آخرته إلا متاع الغرور.

قوله تعالى:{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [الحديد : ٢٠]، أي:" اعلموا -أيها الناس- أنما الحياة الدنيا لعب ولهو، تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب"[١٦٥٤].

قوله تعالى:{وَزِينَةٌ} [الحديد : ٢٠]، أي:" وزينة تتزينون بها"[١٦٥٥].

قوله تعالى:{وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ} [الحديد : ٢٠]، أي:" وتفاخر بينكم بمتاعها"[١٦٥٦].

قوله تعالى:{وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} [الحديد : ٢٠]، أي:" وتكاثر بالعدد في الأموال والأولاد"[١٦٥٧].

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال: «من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره، جاء يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالا مفاخرا مكاثرا مرائيا، لقي الله وهو عليه غضبان» [١٦٥٨].

وقد ورد في بعض الأخبار أن النبي قال: " من طلب الدنيا تعففا عن السؤال، وصيانة للولد والعيال، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلبها تفاخرا وتكاثرا ورياء للناس، فليتبوأ مقعده من النار "[١٦٥٩].

قال علي بن أبي طالب لعمار بن ياسر: «لا تحزن على الدنيا، فإن الدنيا ستة أشياء: مطعوم، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح. فأكبر طعامها العسل وهي بزقة ذبابة، وأكبر

(١٦٥١) المسند(١٥٠):ص١/١٢٠.
(١٦٥٢) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٦٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص٦/١٨٩٤.
(١٦٥٤) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٦٥٥) تفسير الطبري: ٢٣/١٩٣.
(١٦٥٦) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٦٥٧) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٦٥٨) مسند إسحاق بن راهويه(٣٥٢):ص١/٣٥٣، وبحر الفوائد بمعاني الأخبار للكلاباذي: ١٢٦.
(١٦٥٩) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٥/٣٧٥.

شرابها الماء ويستوي فيه جميع الحيوان، وأكبر الملبوس الديباج وهي نسجة دود، وأكبر المشموم المسك، وهي دم فأرة ظبية، وأكبر المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال، وأكبر المنكوح النساء وهو مبال في مبال. والله إن المرأة ليزين أحسنها يراد به أقبحها"[١٦٦٠].

قوله تعالى:{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد : ٢٠]، أي:" مثلها كمثل مطر أعجب الزُّرَّاع نباته"[١٦٦١].

عن مجاهد:" {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} يعني: الزراع"[١٦٦٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا} [الحديد : ٢٠]، أي:" ثم ييبس بعد خضرته ونُضرته فتراه مصفر اللون بعد أن كان زاهياً ناضرا، ثم يكون فُتاتًا يابسًا متهشمًا"[١٦٦٣].

قال الحسن بن مسلم بن يَنّاق:" ثم ييبس ذلك الزرع مِن بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخَضِرِ وذَوى[١٦٦٤]: هاجت الأرض، وهاج الزرع"[١٦٦٥].

قوله تعالى:{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ} [الحديد : ٢٠]، أي:" وفي الآخرة عذاب شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان لأهل الإيمان"[١٦٦٦].

قال قتادة:" يقول: صار الناس إلى هذين الحرفين في الآخرة"[١٦٦٧].

قوله تعالى:{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد : ٢٠]، أي:" وما الحياة الدنيا لمن عمل لها ناسيًا آخرته إلا متاع الغرور"[١٦٦٨].

عن أبي مالك:" {الغرور}: يعني: زينة الدنيا"[١٦٦٩].

قال سعيد بن جبير: "متاع الغرور: هو ما يلهيك عن طلب الآخرة وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه"[١٦٧٠].

عن الأعمش:" {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}، قال: زاد الراعي"[١٦٧١].

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"[١٦٧٢].

عن الأعمش:"{متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل}، قال المتاع: زاد الراعي مخلاته فيها طعامه"[١٦٧٣].

عن قتادة: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: هي متاع متروكة أوشكت والله الذي لا إله إلا هو أن تضمحل عن أهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم ولا قوة إلا بالله"[١٦٧٤].

(١٦٦٠) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٤/٩، وانظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٥٥.

(١٦٦١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٦٢) التفسير البسيط للواحدي: ٣٠١/٢١، وتفسير ابن كثير: ٣١٣/٣.

قال الأزهري: "والعرب تقول: للزارع كافرًا؛ لأنه يكْفُرُ البَذْرَ الذي يبذره بتراب الأرض".[نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٣٠١/٢١]

(١٦٦٣) صفوة التفاسير: ٣٠٩/٣.

(١٦٦٤)ذوى: ذَبَل وضَعُف. لسان العرب (ذوي).

(١٦٦٥) أخرجه الطبري: ٢٧٦/٢١.

(١٦٦٦) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٦٧) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٣.

(١٦٦٨) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦١٤):ص٨٣٣/٣.

(١٦٧٠) التفسير البسيط: ٣٠٢/٢١، وتفسير البغوي: ٤/ ٢٩٨، ولباب التأويل: ٧/ ٣٦، وفتح القدير: ٥/ ١٧٥.

(١٦٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦١٢):ص٨٣٣/٣.

(١٦٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.

(١٦٧٣) تفسير سفيان الثوري(٣٤١: ١٥: ١١):ص١٢٦.

(١٦٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٨):ص١٩٤٠/٦.

عن هشام بن حسان، قال: سمعت الحسن يقول: "متاع الدنيا قليل، قال: رحم الله عبدا صاحبها على ذلك"[١٦٧٥].

عن أبي هريرة، عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، قال:" موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"[١٦٧٦]. وفي رواية الطبري:"اقرؤوا :{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إلا مَتَاعُ الْغُرُور}"[١٦٧٧].

القرآن

{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١)} [الحديد : ٢١]

التفسير:

سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِتُجْزَوْا مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّة للذين وحَّدوا الله واتَّبَعوا رسله، ذلك فضل الله الذي يؤتيه مَن يشاء مِن خلقه، فالجنة لا تُنال إلا برحمة الله وفضله، والعمل الصالح. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين.

قوله تعالى:{سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ} [الحديد : ٢١]، أي:" سابقوا -أيها الناس- في السعي إلى أسباب المغفرة من التوبة النصوح والابتعاد عن المعاصي؛ لِتُجْزَوْا مغفرة من ربكم"[١٦٧٨].

عن سعيد :"{إلى مغفرة من ربكم}، قال: لذنوبكم"[١٦٧٩].

عن رياح بن عبيدة -من طريق داود بن أبي هند- في قوله: "{سابقوا إلى مغفرة من ربكم}، قال: التكبيرة الأولى، والصّف الأول"[١٦٨٠].

قوله تعالى:{وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} [الحديد : ٢١]، أي: وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وهي مُعَدَّة للذين وحَّدوا الله واتَّبَعوا رسله"[١٦٨١].

عن سعيد بن جبير: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}،" يعني: عرض سبع سموات وسبع أرضين لو لصق بعضهن إلى بعض فالجنة في عرضهن"[١٦٨٢].

قال ابن كيسان: "عنى به جنة واحدة من الجنان"[١٦٨٣].

عن كريب، قال: "أرسلني ابن عباس إلى رجل من أهل الكتاب أسأله عن هذه الآية جنة عرضها السماوات والأرض قال: فأخرج أسفار موسى فجعل ينظر، قال: تلفق كما يلفق الثوب، وأما طولها فلا يقدر قدره إلا الله"[١٦٨٤]، وروي عن يزيد بن أبي مالك نحو ذلك[١٦٨٥].

(١٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٧٧):ص١٩٦٨/٦.

(١٦٧٦)حديث أنس: أخرجه ابن عساكر (٣٧٣/٢٣) .

حديث سهل: أخرجه البخارى (١١٨٧/٣ رقم ٣٠٧٨) ، والترمذى (١٨٠/٤، رقم ١٦٤٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٤٨/٢ رقم ٤٣٣٠) . وأخرجه أيضا: الحميدى (٤١٥/٢ رقم ٩٣٠) ، وأحمد (٤٣٣/٣ رقم ١٥٦٠٢) .

حديث أبى هريرة: أخرجه الترمذى (٢٣٢/٥، رقم ٣٠١٣) وقال: حسن صحيح. وأخرجه أيضا: ابن حبان (٤٣٤/١٦، رقم ٧٤١٧) ، والحاكم (٣٢٧/٢، رقم ٣١٧٠) وقال: صحيح على شرط مسلم.

(١٦٧٧) تفسير الطبري: ١٩٤/٢٣. قال ابن كثير:"٢٥/٨:" وهذا الحديث ثابت في الصحيح بدون هذه الزيادة".

(١٦٧٨) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤١٥٥):ص٧٦١/٣.

(١٦٨٠)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٨/ ٢٦٣.

(١٦٨١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤١٥٨):ص٧٦٢/٣.

(١٦٨٣) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٤٤/٩.

(١٦٨٤)تفسير ابن أبي حاتم(٤١٥٧):ص٧٦٢/٣.

(١٦٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤١٥٧):ص٧٦٢/٣.

عن يعلى بن مرة، قال : "لقيت التنوخيّ رسول هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص ، شيخًا كبيرًا قد فُنِّد.قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل ، فناول الصحيفة رجلا عن يساره. قال قلت : من صاحبكم الذي يقرأ ؟ قالوا : معاوية. فإذا كتاب صاحبي : " إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار ؟ " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار ؟"[١٦٨٦].

وعن طارق بن شهاب قال : "جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال : تقولون :{جنة عرضها السموات والأرض}، أين تكون النار ؟ فقال له عمر : أرأيت النهار إذا جاء أين يكون الليل ؟ أرأيت الليل إذا جاء ، أين يكون النهار ؟ فقال : إنه لمثلها في التوراة ، فقال له صاحبه : لم أخبرته ؟ فقال له صاحبه : دعه ، إنه بكلٍّ موقنٌ"[١٦٨٧].

قوله تعالى:{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [الحديد : ٢١]، أي:" ذلك الموعود به من المغفرة والجنة هو عطاء الله الواسع، يتفضل به على من يشاء من عبادة من غير إيجاب"[١٦٨٨].

عن السدي:" {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: يختص به من يشاء"[١٦٨٩].

عن أبي هريرة :" أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «تسبحون، وتكبرون، وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»"[١٦٩٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد : ٢١]، أي:" والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على عباده المؤمنين"[١٦٩١].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{العظيم}، يعني: وافر"[١٦٩٢].

القرآن

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)} [الحديد : ٢٢]

التفسير:

ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليقة. إن ذلك على الله تعالى يسير.

قوله تعالى:{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا} [الحديد : ٢٢]، أي:" ما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم من الأمراض والجوع والأسقام إلا هو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن تُخْلَق الخليقة"[١٦٩٣].

(١٦٨٦) أخرجه الطبري(٧٨٣١):ص٢٠٩/٧.

(١٦٨٧)أخرجه الطبري(٧٨٣٥):ص٢١٢/٧.

(١٦٨٨) صفوة التفاسير: ٣١٠/٣.

(١٦٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤٥):ص١١٦٢/٤.

(١٦٩٠)صحيح مسلم (٥٩٥): ٤١٦/١، وأخرجه البخاري (٨٤٣):ص١٦٨/١ باختلاف يسير في الألفاظ، وليس فيه قول أبي صالح.

(١٦٩١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٦٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٧٠٤):ص٦٨٣/٢.

قال قتادة:" أما مصيبة الأرض: فالسنون. وأما في أنفسكم: فهذه الأمراض والأوصاب، {مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}: من قبل أن نخلقها"[١٦٩٤].

وقال قتادة:" وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خَدْش عود، ولا نَكْبة قدم، ولا خَلجَانُ عِرْقٍ إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر"[١٦٩٥].

قال الحسن:" كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن تبرأ النسمة"[١٦٩٦].

قال الضحاك:" هو شيء قد فرغ منه، {من قبل أن نبرأها}: من قبل أن نبرأ الأنفس"[١٦٩٧].

عن أبي العالية:{مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها}، يعني: النسمة"[١٦٩٨].

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحديد : ٢٢]، أي:" إن إثبات ذلك على كثرته سهلٌ هيّنٌ على الله عَزَّ وَجَلَّ وإن كان عسيراً على العباد"[١٦٩٩].

قال السدي:" يعني: هين عليه وليس بشديد عليه[١٧٠٠].

عن الربيع بن أبي صالح، قال: "دخلت على سعيد بن جبير في نفر فبكى رجل من القوم، فقال: ما يبكيك؟ قال: أبكي لما أرى بك ولما يذهب بك إليه. قال: فلا تبك، فإنّه كان في علم الله سبحانه أن يكون، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ: {ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ} الآية"[١٧٠١].

قال عبد الله بن عَمرو بن العاص: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة"[١٧٠٢].

القرآن

{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)} [الحديد : ٢٣-٢٤]

التفسير:

لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر. والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره. هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم. ومن يتولَّ عن طاعة الله لا يضر إلا نفسه، ولن يضر الله شيئًا، فإن الله هو الغني عن خلقه، الحميد الذي له كل وصف حسن كامل، وفعل جميل يستحق أن يحمد عليه.

قوله تعالى:{لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد : ٢٣]، أي:" لكي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرحَ بطر وأشر"[١٧٠٣].

قال عكرمة : "ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفَرَح شكرًا والحزن صبرًا"[١٧٠٤].

قال جعفر بن محمد الصادق: "يا ابن آدم، ما لك تأسى وتأسف على مفقودٍ لا يردّه إليك الفَوْت؟! وما لك تفرح بموجودٍ لا يتركه في يدك الموت؟!"[١٧٠٥].

(١٦٩٣) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٦٩٤) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.
(١٦٩٥) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.
(١٦٩٦) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.
(١٦٩٧) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٣.
(١٦٩٨) تفسير الثعلبي: ٢٤٥/٩.
(١٦٩٩) صفوة التفاسير: ٣١٠/٣.
(١٧٠٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨١/٢.
(١٧٠١) رواه الثعلبي في "التفسير": ٢٤٥/٩.
(١٧٠٢)المسند (١٦٩/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).
(١٧٠٣) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٧٠٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧/٨.

قرأ أبو عمرو وحده: «أتاكم» على وزن مضى، وهذا ملائم لقوله: فاتَكُمْ. وقرأ الباقون من السبعة: «آتاكم» ، على وزن أعطاكم، بمعنى آتاكم الله تعالى، وهي قراءة الحسن والأعرج وأهل مكة[١٧٠٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [الحديد : ٢٣]، أي:" والله لا يحب كل متكبر بما أوتي من الدنيا فخور به على غيره"[١٧٠٧].

عن مجاهد: "{إن الله لا يحب كل مختال فخور} [لقمان: ١٨] ، يعني: «كل متكبر»"[١٧٠٨].

عن مجاهد، في قوله: "{فخور} [لقمان: ١٨] قال: «هو الذي يعدد ما أعطاه، وهو لا يشكر الله»"[١٧٠٩].

عن جعفر بن برقان، قال:" سمعت يزيد بن الأصم، وتلا هذه الآية: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} قال: هو أن يكلمك الرجل فتلوي وجهك محقرة له"[١٧١٠].

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ} [الحديد : ٢٤]، أي:" هؤلاء المتكبرون هم الذين يبخلون بمالهم، ولا ينفقونه في سبيل الله، ويأمرون الناس بالبخل بتحسينه لهم"[١٧١١].

وقرأ أبو العالية وابن السَّمَيْفع: "(البَخْل) بفتح الباء وسكون الخاء"[١٧١٢].

القرآن

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)} [الحديد : ٢٥]

التفسير:

لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل، وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة، وليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب. إن الله قوي لا يُقْهَر، عزيز لا يغالَب.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد : ٢٥]، أي:" لقد أرسلنا رسلنا بالحجج الواضحات، وأنزلنا معهم الكتاب بالأحكام والشرائع، وأنزلنا الميزان؛ ليتعامل الناس بينهم بالعدل"[١٧١٣].

عن قتادة: "{الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ}، قال: الميزان: العدل"[١٧١٤].

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد : ٢٥]، أي:" وأنزلنا لهم الحديد، فيه قوة شديدة، ومنافع للناس متعددة"[١٧١٥].

عن مجاهد: قوله: {وَأَنزلنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، وجنُة وسلاح، وأنزله ليعلم الله من ينصره"[١٧١٦].

(١٧٠٥)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٥، وتفسير البغوي ٨/ ٤٠.
(١٧٠٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٣، والمحرر الوجيز: ٢٦٨/٥
(١٧٠٧) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٧٠٨) تفسير مجاهد: ٥٤٢.
(١٧٠٩) تفسير مجاهد: ٥٤٢.
(١٧١٠) تفسير إسحاق البستي(٢١٤):ص٨٩/٢.
(١٧١١) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٧١٢) تفسير الثعلبي: ٨٥/٢٦. [ط. دار التفسير]
(١٧١٣) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٧١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٣.
(١٧١٥) التفسير الميسر: ٥٤٠.
(١٧١٦) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٣.

وعن الحسن: "{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ}: خلقناه"[١٧١٧].

عن عكرمة في قوله: "{وأنزلنا الحديد} الآية قال: إن أول ما أنزل الله من الحديد الكلبتين والذي يضرب عليه الحديد"[١٧١٨].

عن الحسن:" أنه سئل عن شرب خبث الحديد فكرهه، فقيل له: أليس الله - عز وجل - قال في كتابه: {وأَنْزَلْنا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنافِعُ لِلنّاس}؟ قال: لم يجعل الله منافعه في بطونهم، ولكن جعله في أبوابهم وسروجهم"[١٧١٩].

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بُعِثتُ بالسيف بين يَدَي الساعة حتى يُعبَد الله وحده لا شريك له، وجُعِل رزقي تحت ظِلّ رُمْحي، وجعل الذلة والصِّغار على من خالف أمري، ومن تَشبَّه بقوم فهو منهم"[١٧٢٠].

قوله تعالى:{وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} [الحديد : ٢٥]، أي:" وليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق من ينصر دينه ورسله بالغيب"[١٧٢١].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[١٧٢٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد : ٢٥]، أي:" إن الله قوي لا يُقْهَر، عزيز لا يغالَب"[١٧٢٣].

قال قتادة:" قويا في أمره، عزيزا في نقمته"[١٧٢٤].

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"[١٧٢٥].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[١٧٢٦]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[١٧٢٧].

ذلك[١٧٢٧].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)} [الحديد : ٢٦]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة، فمِن ذريتهما مهتدٍ إلى الحق، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٦]، أي:" وكثير منهم خارجون عن طاعة الله"[١٧٢٨].

عن مجاهد قوله: "{وأكثرهم فاسقون}، قال: القرون الماضية"[١٧٢٩].

عن قتادة، قوله: "{وأكثرهم فاسقون}، قال: ذم الله- تعالى أكثر الناس"[١٧٣٠].

(١٧١٧) الكشاف: ٤٨٠/٤.

(١٧١٨) الدر المنثور: ٦٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(١٧١٩)أخرجه المستغفري في كتاب طب النبي - صلى الله عليه وسلم - ص ٣٤٨، ت: د. أحمد فارس السلوم، ط ١، ١٤٣٧ هـ.

(١٧٢٠)المسند (٥٠/٢) وسنن أبي داود برقم (٤٠٣١).

(١٧٢١) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٧٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(١٧٢٣) التفسير الميسر: ٥٤٠.

(١٧٢٤) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.

(١٧٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.

(١٧٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(١٧٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(١٧٢٨) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٠):ص١٧٥٩/٦.

القرآن

{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧)} [الحديد : ٢٧]

التفسير:

ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وقفَّينا بعيسى بن مريم، وآتيناه الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليـًا وشفقة، فكانوا متوادِّين فيما بينهم، وابتدعوا رهبانية بالغلوِّ في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام، فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله مكذبون بنيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ} [الحديد : ٢٧]، أي:" ثم أتبعنا على آثار نوح وإبراهيم برسلنا الذين أرسلناهم بالبينات، وجعلنا عيسى ابن مريم بعد أولئك الرسل، وأنزلنا عليه الإنجيل"[١٧٣١].

عن أبي مالك، قوله: "{وقفينا}ن يعني- أتبعنا"[١٧٣٢].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} [الحديد : ٢٧]، أي:" وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه ليـًا وشفقة، فكانوا متوادِّين فيما بينهم"[١٧٣٣].

عن قتادة :"{وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً}، فهاتان من الله"[١٧٣٤].

قوله تعالى:{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا} [الحديد : ٢٧]، أي:" وابتدعوا رهبانية بالغلوِّ في العبادة ما فرضناها عليهم، بل هم الذين التزموا بها من تلقاء أنفسهم، قَصْدُهم بذلك رضا الله، فما قاموا بها حق القيام"[١٧٣٥].

عن الحسن:" {ورَهْبانِيَّةً ابْتَدَعُوها} ففرضها الله عليهم حين ابتدعوها"[١٧٣٦].

قال قتادة:" لم تُكتب عليهم، ابتدعوها ابتغاء رضوان الله"[١٧٣٧].

قال قتادة :" والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم، ولم تُكتب عليهم، ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله، فما رعوها حقّ رعايتها، ذُكر لنا أنهم رفضوا النساء، واتخذوا الصوامع"[١٧٣٨].

قال الضحاك:" كان الله - عز وجل - كتب عليهم القتال قبل أن يبعَث محمدًا - صلى الله عليه وسلم - ، فلما استخرج أهل الإيمان، ولم يبقَ منهم إلا القليل، وكثر أهل الشّرك، وانقطعت الرسل؛ اعتزلوا الناس، فصاروا في الغِيران، فلم يزالوا كذلك حتى غيّرت طائفةٌ منهم، فتركوا دين الله وأمره وعهْده الذي عَهده إليهم، وأخذوا بالبدع، فابتدعوا النصرانية واليهودية، فقال الله - عز وجل -: {فَما رَعَوْها حَقَّ رِعايَتِها}، وثبتت طائفةٌ منهم على دين عيسى، حتى بعَث الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم -، فآمنوا به"[١٧٣٩].

(١٧٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١١):ص١٧٥٩/٦.
(١٧٣١) التفسير الميسر: ٥٤١.
(١٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠):ص١٦٨/١.
(١٧٣٣) التفسير الميسر: ٥٤١.
(١٧٣٤) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
(١٧٣٥) التفسير الميسر: ٥٤١.
(١٧٣٦)ذكره يحيى بن سلام -تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٥٦ -.
(١٧٣٧) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
(١٧٣٨) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
(١٧٣٩) .

قال أبا أمامة الباهلي: "إن الله كتب عليكم صيام رمضان، ولم يكتب عليكم قيامه، وإنما القيام شيء ابتدعتموه، وإن قوما ابتدعوا بدعة لم يكتبها الله عليهم، ابتغوا بها رضوان الله، فلم يرعوها حق رعايتها، فعابهم الله بتركها، فقال: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا}"[١٧٤٠].

قوله تعالى:{فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد : ٢٧]، أي:" فآتينا الذين آمنوا منهم بالله ورسله أجرهم حسب إيمانهم، وكثير منهم خارجون عن طاعة الله مكذبون بنيه محمد صلى الله عليه وسلم"[١٧٤١].

.

عن مجاهد: {وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}" يعني: أهل الرهبانية والبدعة"[١٧٤٢].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨)} [الحديد : ٢٨]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وآمنوا برسوله، يؤتكم ضعفين من رحمته، ويجعل لكم نورًا تهتدون به، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

سبب النزول:

عن سعيد بن حبير، قال: "بعث النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه فاستجاب له وآمن به؛ فلما كان عند انصرافه، قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلا ائذن لنا، فنأتي هذا النبيّ، فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإنا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقد تهيأ النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لوقعة أُحُد؛ فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدّة الحال، استأذنوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قالوا: يا نبيّ الله إن لنا أموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة، فإن أذنت لنا انصرفنا، فجئنا بأموالنا، وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسو ابها المسلمين، فأنزل الله فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} .... إلى قوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين؛ فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا}؛ فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم وكتابنا، فله أجره مرتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، فجعل لهم أجرهم، وزادهم النور والمغفرة، ثم قال: {لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ}، وهكذا قرأها سعيد بن جبير: {لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ}"[١٧٤٣].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي:" يا أيها الذين آمنوا، امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وآمنوا برسوله"[١٧٤٤].

عن الضحاك :{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ}، قالا:" يعني: الذين آمنوا من أهل الكتاب"[١٧٤٥].

(١٧٤٠) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٣.
(١٧٤١) التفسير الميسر: ٥٤١.
(١٧٤٢) تفسير الثعلبي :١٠٨/٢٦.
(١٧٤٣) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٣.
(١٧٤٤) التفسير الميسر: ٥٤١.
(١٧٤٥) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٣، ٢٠٨.

قوله تعالى:{يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي:" يؤتكم ضعفين من رحمته"(١٧٤٦).

قال الضحاك:" يقول: أجرين بإيمانكم بالكتاب الأوّل، والذي جاء به محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(١٧٤٧).

عن الشعبيّ، قال: "إن الناس يوم القيامة على أربع منازل: رجل كان مؤمنا بعيسى، فآمن بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فله أجران. ورجل كان كافرا بعيسى، فأمن بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فله أجر. ورجل كان كافرا بعيسى، فكفر بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فباء بغضب على غضب. ورجل كان كافرا بعيسى من مشركي العرب، فمات بكفره قبل محمد فباء بغضب"(١٧٤٨).

عن العباس بن الوليد، قال: "أخبرني أبي، قال: سألت سعيد بن عبد العزيز، عن الكفل كم هو؟ قال: ثلاث مئة وخمسون حسنة، والكفلان: سبع مئة حسنة. قال سعيد: سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حبرا من أحبار اليهود: كم أفضل ما ضعفت لكم الحسنة؟ قال: كفل ثلاث مئة وخمسون حسنة; قال: فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين، ثم ذكر سعيد قول الله عزّ وجلّ في سورة الحديد {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ}، فقلت له: الكفلان في الجمعة مثل هذا؟ قال: نعم"(١٧٤٩).

عن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران "، ثم قال عامر: أعطيناكها بغير شيء، قد كان يركب فيما دونها إلى المدينة"(١٧٥٠).

قوله تعالى:{وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} [الحديد : ٢٨]، أي:" ويجعل لكم نورًا تهتدون به"(١٧٥١).

عن مجاهد، في قوله: "{وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ} قال: هدى"(١٧٥٢).

قوله تعالى:{وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الحديد : ٢٨]، أي:" ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور لعباده، رحيم بهم"(١٧٥٣).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(١٧٥٤).

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"(١٧٥٥).

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"(١٧٥٦).

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"(١٧٥٧).

القرآن

{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الحديد : ٢٩]

(١٧٤٦) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧٤٧) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(١٧٤٨) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(١٧٤٩) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٣.

(١٧٥٠) صحيح البخاري(٩٧):ص٣١/١، وأخرجه مسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس رقم (١٥٤).

(١٧٥١) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢٣.

(١٧٥٣) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧٥٤) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(١٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(١٧٥٦)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(١٧٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

التفسير:
أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرون على شيء مِن فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم، وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه مَن يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: عن قتادة، قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ} [الحديد : ٢٨]، الآية، قال: لما نزلت هذه الآية، حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله عزّ وجلّ {لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ} ... الآية، قال: ذُكر لنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يقول: "إنَّما مَثَلُنا وَمَثَلُ أهْل الكتابَيْن قَبْلَنا، كمَثَل رَجُلٍ اسْتأجَرَ أُجَرَاءَ، يَعْمَلُونَ إلى اللَّيْل على قيرَاطٍ، فَلَمَّا انْتَصَفَ النهارُ سَئمُوا عَمَلَهُ وَمَلُّوا، فحاسَبَهُمْ، فأعطَاهُمْ عَلى قَدْرِ ذَلكَ، ثُمَّ اسْتأجَرَ أُجَرَاءَ إلىَ اللَّيْل عَلى قِيرَاطَيْن، يَعْمَلُونَ لَهُ بَقيةَ عَمَلِهِ، فَقِيلَ لَهُ ما شأنُ هَؤُلاءِ أقَلَّهُمْ عَمَلا وأكْثرهُمْ أجْرًا؟ قال: مالي أُعْطِي مَنْ شِئْتُ، فأرْجُو أنْ نَكون نَحْنُ أصحاب القِيرَاطَين"[١٧٥٨].

عن قتادة: "{كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ} [الحديد : ٢٨]، قال: بلغنا أنها حين نزلت حسد أهل الكتاب المسلمين، فأنزل الله: {لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}"[١٧٥٩].

الثاني: قال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبي فيقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فأنزل الله: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ} [الحديد : ٢٩]، الآية. يعني: بـ«الفضل»: النبوة"[١٧٦٠].

الثالث: أنه لما نزل في مسلمي أهل الكتاب قوله: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} [القصص : ٥٢]، إلى قوله عزّ وجلّ: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ} [القصص : ٥٤]، افتخروا على المسلمين بزيادة الأجر، فشق ذلك على المسلمين، فنزلت هاتان الآيتان. وهذا المعنى في رواية أبي صالح عن ابن عباس[١٧٦١]، وبه قال مقاتل[١٧٦٢].

قال مقاتل:" فجعل الله- تعالى- لمن آمن بمحمد- صلى الله عليه وسلم- من أهل الإنجيل أجرهم مرتين بإيمانهم بالكتاب الأول وكتاب محمد- صلى الله عليه وسلم-، فافتخروا على أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- بذلك، فقالوا: نحن أفضل منكم في الأجر لنا أجران بإيماننا بالكتاب الأول، والكتاب الآخر الذي جاء به محمد- صلى الله عليه وسلم- فشق على المسلمين، فقالوا: ما بالنا قد هاجرنا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- وآمنا به قبلكم ، وغزونا معه وأنتم لم تغزوا فأنزل الله- تعالى- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّه} [الحديد : ٢٨] .."[١٧٦٣].

قوله تعالى:{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الحديد : ٢٩]، أي:" أعطاكم الله تعالى ذلك كله؛ ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، أنهم لا يقدرون على شيء مِن فضل الله يكسبونه لأنفسهم أو يمنحونه لغيرهم"[١٧٦٤].

عن مجاهد، قال: "قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا نبيٌّ، فيقطع الأيدي والأرجل. فلمّا خرج من العرب كفروا؛ فأنزل الله: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتابِ} الآية. يعني بالفضل: النّبوة"[١٧٦٥].

(١٧٥٨) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

(١٧٥٩) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٣.

(١٧٦٠) الدر المنثور: ٦٨/٨، وعواه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وحكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٥١/٩، والبغوي في "التفسير": ٤٥/٨، والقرطبي في "التفسير": ٢٦٨/١٧.

(١٧٦١)عزاه ابن الجوزي لأبي صالح عن ابن عباس، انظر: زاد المسير: ٢٤٠/٤، وهذه رواية ساقطة، مدارها على الكلبي، وهو ممن يضع الحديث.

(١٧٦٢)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤، وتقدم مرارا أن مقاتل متهم بالكذب، فهو ممن يضع الحديث.

(١٧٦٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٤٧/٤.

(١٧٦٤) التفسير الميسر: ٥٤١.

عن أبي المعلى، قال: "كان سعيد بن جُبَير يقول: «لِكَيْلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتاب»"[١٧٦٦].

قوله تعالى:{وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد : ٢٩]، أي:" وأن الفضل كله بيد الله وحده يؤتيه مَن يشاء من عباده، والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع على خلقه"[١٧٦٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{العظيم}، يعني: وافر"[١٧٦٨].

«آخر تفسير سورة (الحديد)، والحمد لله وحده»

(١٧٦٥) الدر المنثور: ٦٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٧٦٦) أخرجه الطبري: ٢١٥/٢٣.

(١٧٦٧) التفسير الميسر: ٥٤١.

(١٧٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٧٠٤):ص٦٨٣/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المجادلة»

«سورة المجادلة»: هي السورة الثامنة والخمسون بحسب ترتيب سور المصحف العثماني، وهي السورة المائة وثلاث وفق تعداد نزول سور القرآن، نزلت بعد «سورة المنافقين»[١٧٦٩]، وقبل «سورة التحريم».

قال ابن عاشور :"والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل «سورة الأحزاب»؛ لأن الله تعالى قال في «سورة الأحزاب»: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُم} [الأحزاب : ٤]، وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في «سورة المجادلة»؛ لأن قوله: {وَمَا جَعَلَ} يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أُبطل بآية «سورة المجادلة»"[١٧٧٠].

وقال السخاوي: "نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين، وقبل سورة الحجرات"[١٧٧١].

وآياتها اثنتان وعشرون عند الجمهور، وإحدى وعشرون عند المكيين. وكلماتها أربعمائة وثلاث وسبعون. وحروفها ألف وسبعمائة واثنتان وتسعون. المختلف فيها آية واحدة: {فِي الْأَذَلِّين} [المجادلة : ٢٠]، مجموع فواصل آياتها «من زرد»، وعلى حرف «الزاء» آية واحدة: {عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١] فحسب[١٧٧٢].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[١٧٧٣]، وابن الزبير[١٧٧٤]، والحسن[١٧٧٥]، ومجاهد[١٧٧٦]، وعكرمة[١٧٧٧]، وقتادة[١٧٧٨]. والجمهور[١٧٧٩].

الثاني : أن العشر الأول منها مدنيّ، والباقي مكّيّ. قاه عطاء[١٧٨٠].

الثالث : أنها مدنيّة سوى آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَة} [المجادلة : ٧]. قاله ابن السّائب الكلبي[١٧٨١]، والنقاش[١٧٨٢].

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع"[١٧٨٣].

(١٧٦٩)ونزلت سورة «المنافقون» بعد غزوة بني المصطلق، في السنة الخامسة من الهجرة فيكون نزول سورة «المجادلة» ، فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك.

(١٧٧٠) التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(١٧٧١) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٦/٢٨.

(١٧٧٢) انظر: بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٥٦.

(١٧٧٣) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي، وانظر: زاد المسير: ٢٣٢/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٧٤) انظر: الدر المنثور: ٦٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٧٧٥) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٧٦) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٧٧) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٧٨) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٧٩) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. وحكاه عن الجمهور.

(١٧٨٠) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٨١) انظر: زاد المسير: ٢٤١/٤. حكاه بدون إسناد.

(١٧٨٢) انظر: المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.

(١٧٨٣) المحرر الوجيز: ٢٧٢/٥.

القرآن

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)} [المجادلة : ١]

التفسير:

قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعت في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظِّهار، وهو قوله لها: «أنت عليَّ كظهر أمي» ، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى; لتفريج كربتها، والله يسمع تخاطبكما ومراجعتكما. إن الله سميع لكل قول، بصير بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

عن عائشة قالت: "الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول: فأنزل الله عز وجل: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١] " إلى آخر الآية"[١٧٨٤].

وعن عائشة، أنها قالت : "تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقول : يا رسول الله، أكَلَ شبابي، ونَثَرت له بطني، حتى إذا كَبُرَت سِنِّي، وانقطع ولدي، ظَاهَر مِنِّي، اللهم إني أشكو إليك. قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية :{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} وقال: وزوجها أوس بن الصامت"[١٧٨٥].

عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خولة[١٧٨٦] بنت ثعلبة قالت: "فيّ - والله - وفي أوس بن صامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر، قالت: فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب، فقال: أنت علي كظهر أمي، قالت: ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثم دخل علي، فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده، لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني وامتنعت منه، فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف، فألقيته عني، قالت: ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه، فذكرت له ما لقيت منه، فجعلت أشكو إليه صلى الله عليه وسلم ما ألقى من سوء خلقه، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يا خويلة، ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه "، قالت: فوالله ما برحت حتى نزل في القرآن، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتغشاه، ثم سري عنه فقال لي: " يا خويلة، قد أنزل الله فيك وفي صاحبك "، ثم قرأ علي: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} إلى قوله :{وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مريه فليعتق رقبة "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: " فليصم شهرين متتابعين "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: " فليطعم ستين مسكينا، وسقا من تمر "، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فإنا سنعينه بعرق من تمر "، قالت: فقلت: وأنا

(١٧٨٤)أخرجه أحمد في "المسند"(٢٤١٩٥):ص٢٢٨/٤٠، والبخاري تعليقا في كتاب التوحيد، باب «وكان الله سميعا بصيرا»: ١٣ / ٣٢٧، والنسائي ج٦ ص١٣٧، وابن ماجه رقم ١٨٨ ورقم ٢٠٦٣، والحاكم ج٢ ص٤٨١ وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي، وأخرجه الطبري في "التفسير" ٢٢٦/٢٣، وأبو الشيخ في "العظمة" (١٩١) ، واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٦٨٩) ، والبيهقي في "السنن" ٣٨٢/٧، وفي "السنن الصغير" ١٣٨/٣، وفي "معرفة السنن والآثار" ١١٥/١١، وفي "الأسماء والصفات" (٣٨٥) ، وفي "الاعتقاد والهداية" ص٥١.

(١٧٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٠):ص٣٣٤٢/١٠.

(١٧٨٦)قال السندي: خولة بنت ثعلبة، ويقال: خويلة، بالتصغير.

يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: " قد أصبت وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه، ثم استوصي بابن عمك خيرا "، قالت: ففعلت، قال: عبد الله قال: أبي قال سعد: العرق الصن"[١٧٨٧].

وقال مقاتل:" وذلك أن خولة بنت ثعلبة بن مالك بن أحرم الأنصاري، من بني عمرو بن عوف بن الخزرج، كانت حسنة الجسم، فرآها زوجها ساجدة في صلاتها، فلما انصرفت أرادها زوجها فأبت عليه، فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي، واسمه أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت ابن قيس بن أحرم الأنصاري فأتت خولة النبي- صلى الله عليه وسلم- فقالت: إن زوجي، يا رسول الله، تزوجني وأنا شابة، ذات مال، وأهل، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وكبرت سنى، ووهن عظمي، جعلني عليه كظهر أمه، ثم ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه، فسكت النبي- صلى الله عليه وسلم- عنها، وكان الظهار، والإيلاء، وعدد النجوم من طلاق الجاهلية، فوقت الله- تعالى- في الإيلاء أربعة أشهر، وجعل في الظهار الكفارة، ووقت من عدد النجوم ثلاث تطليقات، فأنزل الله- تعالى- {الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ ...} [المجادلة : ٢] "[١٧٨٨].

قوله تعالى:{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة : ١]، أي:" قد سمع الله قول خولة بنت ثعلبة التي تراجعت في شأن زوجها أوس بن الصامت، وفيما صدر عنه في حقها من الظِّهار، وهو قوله لها: «أنت عليَّ كظهر أمي» ، أي: في حرمة النكاح، وهي تتضرع إلى الله تعالى; لتفريج كربتها"[١٧٨٩].

قال مجاهد:" تجادل محمدا صلى الله عليه وسلم، فهي تشتكي إلى الله عند كبره وكبرها، حتى انتفض وانتفض رحمها"[١٧٩٠].

قال قتادة:" ذاك أوس بن الصامت ظاهر من امرأته خويلة ابنة ثعلبة"[١٧٩١].

عن عامر الشعبي، قال : "المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمها معاذة التي أنزل الله فيها :{وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النور : ٣٣]"[١٧٩٢]. قال ابن كثير:" صوابه : خولة امرأة أوس بن الصامت"[١٧٩٣].

وروي عن سلمة بن صخر الأنصاري قال : "كنتُ امرأ قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري، فلما دخل رمضان تظهَّرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فَرَقًا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار، وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينا هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحتُ غدوتُ على قومي فأخبرتهم خبري وقلت : انطلقوا معي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - فأخبره بأمري. فقالوا : لا والله لا نفعل ؛ نتخوف أن ينزل فينا - أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم - مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك. قال : فخرجتُ حتى أتيتُ النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبرته خبري. فقال لي : "أنت بذاك". فقلت : أنا بذاك. فقال "أنت بذاك". فقلت : أنا بذاك. قال "أنت بذاك". قلت : نعم، ها أناذا فأمض فيّ حكم الله تعالى فإني صابر له. قال : "أعتق رقبة". قال : فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها. قال : "فصم شهرين". قلت : يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام ؟ قال : "فتصدق". فقلت : والذي بعثك بالحق، لقد بتنا ليلتنا هذه وَحْشَى ما لنا عشاء. قال : "اذهب إلى صاحب صدقة بني زُريق فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقًا من تمر ستين مسكينًا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك". قال :

(١٧٨٧) أخرجه أحمد في "المسند"(٢٧٣١٩):ص٤٥/٣٠٠-٣٠٢.
(١٧٨٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٧/٤.
(١٧٨٩) التفسير الميسر: ٥٤٢.
(١٧٩٠) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢٣.
(١٧٩١) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٣.
(١٧٩٢) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٣٥/٨.
(١٧٩٣) تفسير ابن كثير: ٣٥/٨.

فرجعت إلى قومي فقلت : وجدت عندكم الضيقَ وسوءَ الرأي، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السَّعَة والبركة، قد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها إليَّ. فدفعوها إليَّ"[١٧٩٤].

القرآن

{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢)} [المجادلة : ٢]

التفسير:

الذين يُظاهرون منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: «أنت عليَّ كظهر أمي» -أي: في حرمة النكاح- قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونساؤهم لَسْنَ في الحقيقة أمهاتهم، إنما هن زوجاتهم، ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم. وإن هؤلاء المظاهِرين ليقولون قولا كاذبًا فظيعًا لا تُعرف صحته. وإن الله لعفو غفور عمَّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} [المجادلة : ٢]، أي:" الذين يُظاهرون منكم من نسائهم، فيقول الرجل منهم لزوجته: «أنت عليَّ كظهر أمي» -أي: في حرمة النكاح- قد عصوا الله وخالفوا الشرع، ونساؤهم لَسْنَ في الحقيقة أمهاتهم، إنما هن زوجاتهم"[١٧٩٥].

عن ابن جُرَيْج، قال: "قلتُ لعطاء [بن أبي رباح]: الظِّهار هو أن يقول: هي عليّ كأُمّي؟ قال: نعم، هو الذي ذكر الله تعالى: {يُظاهَرونَ مِن نِّسَآئِهِم}"[١٧٩٦].

عن أبي قلابة، قال: "كان الظهار طلاقا في الجاهلية، الذي إذا تكلم به أحدهم لم يرجع في امرأته أبدا، فأنزل الله عزّ وجلّ فيه ما أنزل"[١٧٩٧].

وقرئ: «يَظَّاهُرونَ» و« يَتَظاهَرونَ»، و« يَظَّهَّرونَ»[١٧٩٨].

قوله تعالى:{إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا} [المجادلة : ٢]، أي:" ما أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، وإن هؤلاء المظاهِرين ليقولون قولا كاذبًا فظيعًا لا تُعرف صحته"[١٧٩٩].

قال قتادة:" الزور: الكذب"[١٨٠٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [المجادلة : ٢]، أي:" وإن الله لعفو غفور عمَّن صدر منه بعض المخالفات، فتداركها بالتوبة النصوح"[١٨٠١].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[١٨٠٢].

قال سعيد بن المسيب:" ليس شيء أحب إلي من عفو"[١٨٠٣].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[١٨٠٤].

(١٧٩٤)المسند (٣٧/٤) وسنن أبي داود برقم (٢٢١٣) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٦٢) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٩).
(١٧٩٥) التفسير الميسر: ٥٤٢.
(١٧٩٦)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/ ٤٢٢ (١١٤٧٦).
(١٧٩٧) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٣.
(١٧٩٨) انظر: تفسير الطبري :٢٢٨/٢٣.
(١٧٩٩) التفسير الميسر: ٥٤٢.
(١٨٠٠) تفسير عبدالرزاق(٣١٦٧):ص٢٩١/٣.
(١٨٠١) التفسير الميسر: ٥٤٢.
(١٨٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(١٨٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٨٠):ص٩٦٣/٣.
(١٨٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

القرآن

{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)} [المجادلة : ٣]

التفسير:

والذين يحرِّمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهَرة منهن، ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء نسائهم، فعلى الزوج المظاهِر -والحالة هذه- كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها، ذلكم هو حكم الله -فيمن ظاهر مِن زوجته- توعظون به، أيها المؤمنون; لكي لا تقعوا في الظهار وقول الزور، وتُكَفِّروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} [المجادلة : ٣]، أي:" والذين يحرِّمون نساءهم على أنفسهم بالمظاهَرة منهن، ثم يرجعون عن قولهم ويعزمون على وطء نسائهم"[١٨٠٥].

اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى:{ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} [المجادلة : ٣]، على أقوال:

أحدهما: أنه العزم على الوطيء[١٨٠٦]. وهذا قول قتادة[١٨٠٧].وهو مشهور قول العراقيين أبي حنيفة وأصحابه[١٨٠٨].

عن قتادة: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}، قال: يريد أن يغشى بعد قوله"[١٨٠٩].

قال قتادة:" حرّمها، ثم يريد أن يعود لها فيطأها"[١٨١٠].

قال سعيد بن جبير: " يعني : يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم"[١٨١١].

وقال الحسن، وطاوس، والزهري: "العَود: هو الوطء"[١٨١٢].

وروي عن مالك: "فإن عزم على وطئها كان عودا، وإن لم يعزم لم يكن عودا"[١٨١٣].

الثاني: العزم على الإمساك بعد التظاهر منها، قاله مالك[١٨١٤].

الثالث: العزم عليهما، أي: الوطء والإمساك. وهو قول مالك في موطئه[١٨١٥].

الرابع: أنه الوطء نفسه فإن لم يطأ لم يكن عودا، قاله الحسن[١٨١٦]، ومالك أيضا[١٨١٧].

الخامس: أن الظهار يوجب تحريما لا يرفعه إلا الكفارة. ومعنى العود عند القائلين بهذا: أنه لا يستبيح وطأها إلا بكفارة يقدمها، قاله أبو حنيفة وأصحابه[١٨١٨].

(١٨٠٥) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٠٦)أي: "أنه الرجوع في تحريم ما حرّم على نفسه من زوجته، التي كانت له حلالا قبل تظاهره، فيحلها بعد تحريمه إياها على نفسه بعزمه على غشيانها ووطئها.

(١٨٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(١٨٠٨) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨٠٩) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(١٨١٠) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٣.

(١٨١١) حكاه في زاد المسير: ٢٤٣/٤، بدون إسناد. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.

(١٨١٢) حكاه في زاد المسير: ٢٤٣/٤، بدون إسناد. وانظر: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨. حكاه عن الحسن، بلفظ:" يعني: الغشيان في الفرج".

(١٨١٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨١٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨١٥) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨١٦) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨١٧) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

(١٨١٨) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧.

السابع: أنه تكرير الظهار بلفظه. وهذا قول أهل الظاهر النافين للقياس، قالوا: إذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود، وإن لم يكرر فليس بعود [١٨١٩]. اختيار بن حزم[١٨٢٠]، وقول داود[١٨٢١]، ويسند ذلك إلى بكير بن الأشج[١٨٢٢]، وأبي العالية[١٨٢٣]، وأبي حنيفة أيضا[١٨٢٤].

قال أبو العالية: "وظاهر الآية يشهد له، لأنه قال: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا} [المجادلة : ٣]، أي: إلى قول ما قالوا"[١٨٢٥].

وأخرج الطبري بسنده عن أبي العالية في قوله: {ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}، قال: "أي: يرجع فيه"[١٨٢٦].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى اللام في قوله: {لِمَا قَالُوا} بمعنى: «إلى» أو «في»، لأن معنى الكلام: ثم يعودون لنقض ما قالوا من التحريم فيحللونه، وإن قيل معناه: ثم يعودون إلى تحليل ما حرّموا، أو في تحليل ما حرّموا فصواب، لأن كلّ ذلك عود له، فتأويل الكلام: ثم يعودون لتحليل ما حرّموا على أنفسهم مما أحله الله لهم"[١٨٢٧].

قوله تعالى:{فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة : ٣]، أي:" فعلى الزوج المظاهِر -والحالة هذه- كفارة التحريم، وهي عتق رقبة مؤمنة عبد أو أمة قبل أن يطأ زوجته التي ظاهر منها"[١٨٢٨].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة : ٣]، على وجهين:

أحدهما: أنه كناية عن الجماع. فلا يجوز للمظاهر الوطيء قبل التكفير، فإن جامعها قبل التكفير أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير[١٨٢٩]. وهذا قول الحسن[١٨٣٠]، وعطاء بن أبي رباح[١٨٣١].

عن عطاء بن أبي رباح-من طريق ابن جُرَيْج- أنّه سُئِل عن هذه الآية: "{مِن قَبْلِ أَنْ يَتَماسّا}. قال: هو الجماع"[١٨٣٢].

وحكي عن مجاهد: "أنه إذا وطئ قبل أن يشرع في التكفير لزمته كفارة أخرى"[١٨٣٣].

وعن غيره: "أن الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شيء أصلا، لأن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإذا أخرها حتى مس فقد فات وقتها"[١٨٣٤].

عن الحسن:" أنه كان لا يرى بأسًا أن يغشى المظاهر دون الفرج"[١٨٣٥].

الثاني: أن المراد كلّ معاني المسيس، والآية على العموم.

قال يونس، قال: بلغني عن الحسن أنه كره للمظاهر المسيس"[١٨٣٦].

(١٨١٩)وضعّفه ابن كثير: "وقال:" وهذا القول باطل". [تفسير ابن كثير: ٣٩/٨].
(١٨٢٠) نقا عن: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.
(١٨٢١) نقا عن: تفسير ابن كثير: ٣٩/٨.
(١٨٢٢) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧-٢٨١، وتفسير ابن كثير: ٣٩/٨.
(١٨٢٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨١/١٧.
(١٨٢٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨١/١٧.
(١٨٢٥) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٠/١٧-٢٨١.
(١٨٢٦) تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٣.
(١٨٢٧) تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٣.
(١٨٢٨) التفسير الميسر: ٥٤٢.
(١٨٢٩) وهذا القول يبيح:" للمظاهر التقبيل والمضاجعة والاستمتاع بأعلى المرأة كالحائض". [المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥].
(١٨٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٣.
(١٨٣١)أخرجه عبد الرزاق (١١٤٩٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٨٣٢)أخرجه عبد الرزاق (١١٤٩٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٨٣٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.
(١٨٣٤) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٧.
(١٨٣٥) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٣.
(١٨٣٦) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٣.

وقال جمهور أهل العلم قوله:{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا}، عام في نوع المسيس الوطء والمباشرة، فلا يجوز لمظاهر أن يطأ ولا يقبل ولا يلمس بيده، ولا يفعل شيئا من هذا النوع إلا بعد الكفارة، وهذا قول مالك رحمه الله[١٨٣٧].

عن ابن عباس: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قد ظاهر من امرأته، فوقع عليها، فقال: يا رسول الله، إني قد ظاهرت من زوجتي فوقعت عليها قبل أن أكفر، فقال: "ما حملك على ذلك، يرحمك الله؟ " قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر. قال: "فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به"[١٨٣٨].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة : ٣]، أي:" ذلكم هو حكم الله -فيمن ظاهر مِن زوجته- توعظون به، أيها المؤمنون; لكي لا تقعوا في الظهار وقول الزور، وتُكَفِّروا إن وقعتم فيه، ولكي لا تعودوا إليه، والله لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها"[١٨٣٩].

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[١٨٤٠].

القرآن

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤)} [المجادلة : ٤]

التفسير:

فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متواليين من قبل أن يطأ زوجه، فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكينًا ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبعهم، ذلك الذي بيَّنَاه لكم من أحكام الظهار; من أجل أن تصدِّقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللجاحدين بها عذاب موجع.

قوله تعالى:{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة : ٤]، أي:" فمن لم يجد رقبة يُعتقها، فالواجب عليه صيام شهرين متواليين من قبل أن يطأ زوجه"[١٨٤١].

وإذا كان الإفطار بالعذر ففيه اختلاف بين أهل العلم، على قولين:

أحدهما: إذا كان إفطاره لعذر فزال العذر، بنى على ما مضى من الصوم. قاله سعيد بن المسيب[١٨٤٢]، وآخرون.

عن سعيد بن المسيب أنه قال في رجل صام من كفارة الظهار، أو كفارة القتل، ومرض فأفطر، أو أفطر من عذر، قال: عليه أن يقضي يومًا مكان يوم، ولا يستقبل صومه"[١٨٤٣].

عن سعيد بن المسيب:" في المظاهر، الذي عليه صوم شهرين متتابعين، فصام شهرًا، ثم أفطر، قال: يتمّ ما بقي"[١٨٤٤].

(١٨٣٧) المحرر الوجيز: ٢٧٤/٥.

(١٨٣٨) أخرجه أبو داود (٢٢٢٣) ، والنسائي ١٦٧/٦، والترمذي (١١٩٩) ، وابن ماجه (٢٠٦٥) ، وابن الجارود (٧٤٧) ، والحاكم ٢٠٤/٢، والبيهقي ٣٨٦/٧ من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة.
قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح".

(١٨٣٩) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٤٠) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

(١٨٤١) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(١٨٤٣) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.

(١٨٤٤) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.

عن الحسن وسعيد بن المسيب:" في رجل صام من كفارة الظهار شهرًا أو أكثر ثم مرض، قال: يعتدّ بما مضى إذا كان له عذر"[١٨٤٥].

عن الحسن:" في الرجل يكون عليه الصوم في قتل أو نذر أو ظهار، فصام بعضه ثم أفطر، قال: إن كان معذورًا فإنه يقضي"[١٨٤٦].

عن الحسن، قال: "إن أفطر من عذر أتمّ، وإن كان من غير عذر استأنف"[١٨٤٧].

عن عطاء، قال: من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر، قال: يقضي ما بقي عليه"[١٨٤٨].

عن عطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار:" في الرجل يفطر في اليوم الغيم، يظنّ أن الليل قد دخل عليه في الشهرين المتتابعين، أنه لا يزيد على أن يبدّله، ولا يستأنف شهرين آخرين"[١٨٤٩].

عن عطاء قال: "إن جامع المعتكف، وقد بقي عليه أيام من اعتكافه، قال: يتمّ ما بقي، والمظاهر كذلك"[١٨٥٠].

عن عامر الشعبي:" في رجل ظاهر، فصام شهرين متتابعين إلا يومين ثم مرض، قال: يتمّ ما بقي"[١٨٥١].

عن الشعبي في رجل عليه صيام شهرين متتابعين، فصام فمرض فأفطر، قال: يقضي ولا يستأنف"[١٨٥٢].

الثاني: يستقبل من أفطر بعذر أو غير عذر، ،لأنه لم يتابع صوم شهرين. وهذا قول إبراهيم[١٨٥٣].

عن إبراهيم:" في رجل عليه صيام شهرين متتابعين فأفطر، قال: يستأنف، والمرأة إذا حاضت فأفطرت تقضي"[١٨٥٤].

عن إبراهيم، قال: "إذا مرض فأفطر استأنف، يعني من كان عليه صوم شهرين متتابعين فمرض فأفطر"[١٨٥٥].

وأولى القولين بالصواب قول من قال: يبني المفطر بعذر، ويستقبل المفطر بغير عذر، لإجماع الجميع على أن المرأة إذا حاضت في صومها الشهرين المتتابعين بعذر، فمثله، لأن إفطار الحائض بسبب حيضها بعذر كان من قِبل الله، فكلّ عذر كان من قِبل الله فمثله[١٨٥٦].

قوله تعالى:{فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} [المجادلة : ٤]، أي:" فمن لم يستطع صيام الشهرين لعذر شرعي، فعليه أن يطعم ستين مسكينًا ممن لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم ما يشبعهم"[١٨٥٧].

عن عكرمة، أن الرجل قال: "والله يا نبي الله , ما أجد رقبة , فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بزائدك» فأنزل الله: {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا} [المجادلة: ٤] فقال: والله يا

(١٨٤٥) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣.
(١٨٤٦) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٣-٢٣٣.
(١٨٤٧) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.
(١٨٤٨) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.
(١٨٤٩) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.
(١٨٥٠) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.
(١٨٥١) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٣.
(١٨٥٢) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.
(١٨٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.
(١٨٥٤) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.
(١٨٥٥) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٣.
(١٨٥٦) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٣.
(١٨٥٧) التفسير الميسر: ٥٤٢.

نبي الله , ما أطيق الصوم , إني إذا لم آكل في اليوم كذا وكذا أكلة ولقيت, فجعل يشكو إليه , فقال: «ما أنا بزائدك»، فنزلت: {فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا} [المجادلة: ٤]"[١٨٥٨].

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المجادلة : ٤]، أي:" ذلك الذي بيَّناه لكم من أحكام الظهار; من أجل أن تصدِّقوا بالله وتتبعوا رسوله وتعملوا بما شرعه الله، وتتركوا ما كنتم عليه في جاهليتكم، :" وتلك الأحكام المذكورة هي أوامر الله وحدوده فلا تتجاوزوها، وللجاحدين والمكذبين بهذه الحدود عذاب مؤلم موجع"[١٨٥٩].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[١٨٦٠]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[١٨٦١].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)} [المجادلة : ٥]

التفسير:

إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما خُذِلوا وأُهينوا، كما خُذِل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادُّوا الله ورسله، وقد أنزلنا آيات واضحات الحُجَّة تدل على أن شرع الله وحدوده حق، ولجاحدي تلك الآيات عذاب مُذلٌّ في جهنم.

سبب النزول:

قال مقاتل:" {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ} [المجادلة : ٥]، نزلت في اليهود والمنافقين"[١٨٦٢].

قال ابن عطية:" هذه الآيات نزلت في منافقين وقوم من اليهود كانوا في المدينة يتمرسون برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، ويتربصون بهم الدوائر، ويدبرون عليهم ويتمنون فيهم المكروه ويتناجون بذلك، فنزلت هذه الآيات إلى آخر أمر النجوى فيهم"[١٨٦٣].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة : ٥]، أي:" إن الذين يشاقون الله ورسوله ويخالفون أمرهما"[١٨٦٤].

قال قتادة:" يعادون الله ورسوله"[١٨٦٥].

قوله تعالى:{كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [المجادلة : ٥]، أي:" خُذِلوا وأُهينوا، كما خُذِل الذين من قبلهم من الأمم الذين حادُّوا الله ورسله"[١٨٦٦].

وفي قوله تعالى:{كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [المجادلة : ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما: خزوا كما خزي الذين من قبلهم. قاله قتادة[١٨٦٧].

الثاني : لعنوا كما لعن الذين من قبلهم ، قاله السدي[١٨٦٨].

(١٨٥٨) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٦٦):ص٢٩١/٣.

(١٨٥٩) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(١٨٦١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(١٨٦٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(١٨٦٣) المحرر الوجيز: ٢٧٥/٥.

(١٨٦٤) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٦٥) أخرجه الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٨٦٦) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٥/٢٣.

(١٨٦٨) انظر: النكت والعيون: ٤٨٩/٥.

القرآن

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)} [المجادلة : ٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم القيامة، يوم يحيي الله الموتى جميعًا، ويجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيخبرهم بما عملوا من خير وشر، أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه. والله على كل شيء شهيد، لا يخفى عليه شيء.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في المنافقين في أمر المناجاة"(١٨٦٩).

قوله تعالى:{أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة : ٦]، أي:" أحصاه الله وكتبه في اللوح المحفوظ، وحفظه عليهم في صحائف أعمالهم، وهم قد نسوه"(١٨٧٠).

عن الربيع بن خُثَيْم -من طريق صالح بن موسى، عن أبيه- :"أنه سمع رجلًا يُلاحِي رجلًا، فقال: مَه، لا تَلفظْ إلا بخير، ولا تقُل لأخيك إلا ما تُحبّ أن تَسمعه مِن غيرك، فإنّ العبد مسؤول عن لفظه، مَحْصِيٌّ عليه، ذلك كلّه: {أَحْصاهُ اللَّهُ ونَسُوهُ}"(١٨٧١).

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧)} [المجادلة : ٧]

التفسير:

ألم تعلم أن الله تعالى يعلم كل شيء في السموات والأرض؟ ما يتناجى ثلاثة مِن خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقلُّ من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثرُ منها إلا هو معهم بعلمه في أيِّ مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم، ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه. إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

روى عن ابن عباس: "أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية، كانوا يوما يتحدثون، فقال أحدهم: أترى أن الله يعلم ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضا ولا يعلم بعضا. وقال الثالث: إن كان يعلم بعضا فهو يعلم كله، وصدق"(١٨٧٢).

قوله تعالى:{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة : ٧]، أي:" ما يتناجى ثلاثة مِن خلقه بحديث سرٍّ إلا هو رابعهم بعلمه وإحاطته، ولا يكون من نجوى خمسة إلا هو سادسهم كذلك، ولا أقلُّ من هذه الأعداد المذكورة ولا أكثرُ منها إلا هو معهم بعلمه في أيِّ مكان كانوا، لا يخفى عليه شيء من أمرهم"(١٨٧٣).

(١٨٦٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٥٩/٤.

(١٨٧٠) التفسير الميسر: ٥٤٢.

(١٨٧١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وآداب اللسان -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٧/ ٩٥ (١٢٨) -.

(١٨٧٢) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٤٩٠/٤، وأبو حيان في البحر المحيط: ١٢٥/١٠.

(١٨٧٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.

عن الضحاك، في قوله: "{مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ} ... إلى قوله: {هُوَ مَعَهُمْ}، قال: هو فوق العرش وعلمه معهم، {أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"(١٨٧٤).

قوله تعالى:{ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة : ٧]، أي:" ثم يخبرهم تعالى يوم القيامة بما عملوا من خير وشر ويجازيهم عليه، إن الله بكل شيء عليم لا تخفى عليه خافية"(١٨٧٥).

قال سعيد بن جبير:" {عليم} يعني: عالما بها"(١٨٧٦).

عن محمد بن إسحاق:{عَلِيمٌ}:" عليم بما يخفون"(١٨٧٧).

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)} [المجادلة : ٨]

التفسير:

ألم تر -أيها الرسول- إلى اليهود الذين نُهوا عن الحديث سرًّا بما يثير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نُهوا عنه، ويتحدثون سرًّا بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول؟ وإذا جاءك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيَّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا: (السام عليك) أي: الموت لك، ويقولون فيما بينهم: هلا يعاقبنا الله بما نقول لمحمد إن كان رسولا حقًا، تكفيهم جهنم يدخلونها، ويقاسون حرها، فبئس المرجع هي.

سبب النزول:

أولا:- في سبب نزول قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} [المجادلة : ٨]، وجوه:

أحدها: أنها نزلت في اليهود والمنافقين، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم. فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم ألا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية. قاله ابن عباس(١٨٧٨).

عن ابن عباس، ومجاهد:" {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} نَزَلَت في اليهود والمنافقين؛ وذلك أنّهم كانوا يَتناجَون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين، ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خَرجوا في السّرايا قتْلٌ أو موتٌ أو مصيبةٌ أو هزيمةٌ، فيقع ذلك في قلوبهم ويُحزنهم، فلا يزالون كذلك حتى يَقدم أصحابهم وأقرباؤهم، فلمّا طال ذلك وكثر شَكَوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأمرهم أن لا يَتناجَوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك، وعادوا إلى مناجاتهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية"(١٨٧٩).

(١٨٧٤) أخرجه الطبري: ٢٣٧/٢٣.

(١٨٧٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٨٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.

(١٨٧٧) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(١٨٧٨) ذكره الثعلبي في " الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٠، وابن الجوزي في "زاد المسير:" ٢٤٥/٤. والخبر بدون إسناد.

(١٨٧٩)علقه الواحدي في أسباب النزول ص ٤١٠ - ٤١١. وأورده الثعلبي ٩/ ٢٥٧.

الثاني: أنها نزلت في اليهود، قاله مجاهد[١٨٨٠]، والمقاتلان[١٨٨١].

عن مقاتل بن حيان:" كان بين يهود وبين النبي صلى الله عليه وسلم موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن، فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ}"[١٨٨٢].

وقال مقاتل بن سليمان:" يعني: اليهود كان بينهم وبين محمد- صلى الله عليه وسلم- موادعة، فإذا رأوا رجلا من المسلمين وحده يتناجون بينهم، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق من المخافة فبلغ ذلك النبي- صلى الله عليه وسلم-، فنهاهم عن النجوى، فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى، فقال- الله تعالى-: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة : ٨]"[١٨٨٣].

الثالث: أنها نزلت في المنافقين. قاله ابن السائب الكلبي[١٨٨٤].

قال السمعاني:" نزلت الآية في قوم من المنافقين كان رسول الله إذا بعث سرية قالوا فيما بينهم: قد أصاب السرية، وكذا قد أسروا وقتلوا وما يشبه ذلك إرجافا بالمسلمين، فنهاهم النبي عن ذلك، فكانوا يقولون قد نبئنا"[١٨٨٥].

الرابع : قال ابن زيد:" كان الرجل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحاجة ليري الناس أنه قد ناجى فيقول لهم: إنما يتناجون في حرب حضرت، أو جمع قد جمع لكم، أو أمر مهم قد وقع، فأنزل الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة : ٨]، أي: المناجاة"[١٨٨٦].

حكاه الثعلبي عن ابن زيد، بدون إسناد. وقد اخرج الطبري بسنده عن ابن زيد نحوه في سبب نزول قوله تعالى: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١٠][١٨٨٧].

ثانيا:- في سبب نزول قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّه} [المجادلة : ٨]، وجهان:

أحدهما: أنها نزلت في اليهود، وهذا قول عبدالله بن عمرو[١٨٨٨]، ومجاهد[١٨٨٩]، وقتادة[١٨٩٠]، وابن زيد[١٨٩١].

عن عبد الله بن عمرو:" أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: سام عليك، ثم يقولون في أنفسهم، لولا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت هذه الآية: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، إلى آخر الآية"[١٨٩٢].

(١٨٨٠) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. بدون إسناد.

(١٨٨١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤، و"الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩. حكاه عنهما. وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨، حكاه عن مقاتل بن حيان.

(١٨٨٢)أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٢):ص٣٣٤٣/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٢/٨.

(١٨٨٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٠/٤.

(١٨٨٤) عزاه إليه ابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٤٦/٤. وهو متروك متهم.

(١٨٨٥) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٥.

(١٨٨٦) نقلا عن" الكشف والبيان" (تفسير الثعلبي): ٢٥٧/٩.

(١٨٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(١٨٨٨) انظر: مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١٥٩/١١-١٦٠.

.

(١٨٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(١٨٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٨٩١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٨٩٢) مسند أحمد(٦٥٨٩):ص١٥٩/١١-١٦٠، وأخرجه البزار (٢٢٧١)، والبيهقي في "شعب الإيمان" (٩١٠٠). وأورده الهيثمي في "المجمع" ١٢١/٧-١٢٢، وقال: "رواه أحمد والبزار والطبراني، وإسناده جيد، لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب في حالة الصحة".

عن مجاهد، في قوله: "{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، قال:" يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضًا يهود"[١٨٩٣].

الثاني: أنها نزلت في المنافقين. وهذا قول ابن عباس[١٨٩٤].

عن ابن عباس: قوله: {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} ... إلى {فَبِئْسَ الْمَصِيرُ}- قال:" كان المنافقون يقولون لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا حيوه: (سام عليكم)، فقال الله: {حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ}"[١٨٩٥].

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [المجادلة : ٨]، أي:" ألم تر -أيها الرسول- إلى اليهود الذين نُهوا عن الحديث سرًّا بما يثير الشك في نفوس المؤمنين، ثم يرجعون إلى ما نُهوا عنه"[١٨٩٦].

عن مجاهد:" {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى}، قال: اليهود"[١٨٩٧].

وروي عن أبي سعيد الخدري، قال: "كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نبيت عنده ؛ يطرُقه من الليل أمر وتبدو له حاجة. فلما كانت ذات ليلة كَثُر أهل النّوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث، فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "ما هذا النجوى ؟ ألم تُنْهَوا عن النجوى ؟". قلنا : تبنا إلى الله يا رسول الله، إنا كنا في ذكر المسيح، فَرقا منه. فقال : "ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه ؟ ". قلنا : بلى يا رسول الله. قال : "الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل"[١٨٩٨].

قوله تعالى:{وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ} [المجادلة : ٨]، أي:" ويتحدثون سرًّا بما هو إثم وعدوان ومخالفة لأمر الرسول"[١٨٩٩].

قرأ يحيى وحمزة والأعمش :«وَيَنْتَجُونَ»[١٩٠٠].

قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ} [المجادلة : ٨]، أي:" وإذا جاءك -أيها الرسول- هؤلاء اليهود لأمر من الأمور حيَّوك بغير التحية التي جعلها الله لك تحية، فقالوا: (السام عليك) أي: الموت لك"[١٩٠١].

قال مجاهد:" يقولون: سام عليكم، قال: هم أيضًا يهود"[١٩٠٢].

عن قتادة، في قوله: "{حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ}، قال: اليهود كانت تقول: سام عليكم"[١٩٠٣].

قال قتادة: «كانت اليهود يقولون: (سام عليك) للنبي صلى الله عليه وسلم»[١٩٠٤].

قال عطاء الخراساني:" كانوا يقولون إذا جاؤوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -: سامٌ عليك"[١٩٠٥].

وأخرجه مسلم(١١):ص١٧٠٧/٤. بنحوه.

(١٨٩٣) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣-٢٤٠.

(١٨٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٩/٢٣.

(١٨٩٥) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٤٤):ص٣٣٤٣/١٠. بنحوه.

(١٨٩٦) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٨٩٧)أخرجه الطبري: ٢٣٨/٢٣. وانظر: الدر المنثور: ٧٩/٨، وعزاه إلى المنذر.

(١٨٩٨)رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠/٣) وابن ماجة في السنن برقم (٤٢٠٤) من طريق كثير بن زيد به نحوه، وقال البوصيري في الزوائد (٢٩٦/٣) : "هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيع بن عبد الرحمن مختلف فيهما".
قال ابن كثير٤٣/٨:" هذا إسناد غريب، وفيه بعض الضعفاء".

(١٨٩٩) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٩٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٨/٢٣.

(١٩٠١) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٩٠٢) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٩٠٣) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.

(١٩٠٤) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير" (٣١٧٠):ص٢٩٢/٣.

قال مسروق:" كانت اليهودُ يأتون النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فيقولون: السّام عليكم"[١٩٠٦].

عن الزهري:" أن عائشة فطنت إلى قولهم، فقالت: وعليكم السّامة واللعنة. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «مهلًا، يا عائشة، إنّ الله يحبّ الرِّفق في الأمر كلّه». فقالت: يا نبي الله، ألم تسمع ما يقولون؟! قال: «أفلم تسمعي ما أردّ عليهم؟! أقول: عليكم»"[١٩٠٧].

روي عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: استأذن رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليك، فقلت: بل عليكم السام واللعنة، فقال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله» قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: " قلت: وعليكم"[١٩٠٨].

عن أنس بن مالك:" أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ أتى عليهم يهودي، فسلم عليهم، فردوا عليه، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "هل تدرون ما قال؟ " قالوا: سلم يا رسول الله، قال: "بل قال: سأم عليكم، أي تسأمون دينكم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أقلت سأم عليكم؟ قال: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا وعليك": أي عليك ما قلت"[١٩٠٩].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩)} [المجادلة : ٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا تحدثتم فيما بينكم سرًا، فلا تتحدثوا بما فيه إثم من القول، أو بما هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان، وخافوا الله بامتثالكم أوامره واجتنابكم نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى} [المجادلة : ٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا تحدثتم فيما بينكم سرًا، فلا تتحدثوا بما فيه إثم من القول، أو بما هو عدوان على غيركم، أو مخالفة لأمر الرسول، وتحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان"[١٩١٠].

قال عطاء: "{آمَنُوا} يريد: الذين آمنوا بزعمهم"[١٩١١].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[١٩١٢].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة : ٩]، أي:" وخافوا الله بامتثالكم أوامره واجتنابكم نواهيه، فإليه وحده مرجعكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم، وسيجازيكم بها"[١٩١٣].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[١٩١٤].

(١٩٠٥)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٩.
(١٩٠٦) أخرجه الطبري: ٢٣٩/٢٣.
(١٩٠٧) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.
(١٩٠٨) صحيح البخاري(٦٩٢٩):ص١٦/٩، وتفسير الطبري: ٢٤٠/٢٣.
(١٩٠٩) أخرجه الطبري: ٢٤٠/٢٣.
(١٩١٠) التفسير الميسر: ٥٤٣.
(١٩١١)تفسير البغوي ٨/ ٥٦.
(١٩١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.
(١٩١٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.

عن صفوان بن مُحْرِز قال : "كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كَنَفه ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ حتى إذا قَرّره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يُعْطَى كتابَ حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين"[١٩١٥].

القرآن

{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠)} [المجادلة : ١٠]

التفسير:

إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيِّن لها، والحامل عليها; ليُدْخِل الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئًا إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته. وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: قال قتادة:" كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله في ذلك القرآن: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا}، ... الآية"[١٩١٦].

قال معمر:" كان المسلمون إذا رأوا المنافقين خلوا يتناجون، يشقّ عليهم، فنزلت: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}"[١٩١٧].

وقال الكلبي:" أن المنافقين كانوا إذا غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه، وعلموا أن له حميما في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا شيء قد بلغهم من حميمي، فلا يزال من ذلك في غم وحزن، حتى يقدم حميمه؛ فأنزل الله هذه الآية"[١٩١٨].

الثاني: قال ابن زيد:" كان الرجل يأتي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يسأله الحاجة، ليرى الناس أنه قد ناجى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قال: وكان النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لا يمنع ذلك من أحد. قال: والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد، وكان إبليس يأتي القوم فيقول لهم: إنما يتناجون في أمور قد حضرت، وجموع قد جمعت لكم وأشياء، فقال الله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} ... إلى آخر الآية"[١٩١٩].

قوله تعالى:{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [المجادلة : ١٠]، أي:" إنما التحدث خفية بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان، فهو المزيِّن لها، والحامل عليها; ليُدْخِل الحزن على قلوب المؤمنين، وليس ذلك بمؤذي المؤمنين شيئًا إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته"[١٩٢٠].

وفي قوله تعالى:{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١٠]، وجهان من التفسير:

أحدها : ما كان يتناجى به المنافقون بعضهم بعضا، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم. قاله قتادة[١٩٢١].

(١٩١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(١٩١٥)المسند (٧٤/٢) وصحيح البخاري برقم (٤٦٨٥) وصحيح مسلم برقم (١٧٦٨).

(١٩١٦) أخرجه الطبري: ٢٤١/٢٣.

(١٩١٧) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(١٩١٨) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٣٦٠/٤.

(١٩١٩) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(١٩٢٠) التفسير الميسر: ٥٤٣.

الثاني : أنها الأحلام التي يراها الإنسان في منامه فتحزنه. وهذا قول عطية[١٩٢٢].

عن يحيى بن داود البلخي، قال: "سئل عطية -وأنا أسمع- الرؤيا، فقال: الرؤيا على ثلاث منازل، فمنها وسوسة الشيطان، فذلك قوله: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ}، ومنها ما يحدّث نفسه بالنهار فيراه بالليل، ومنها كالأخذ باليد"[١٩٢٣].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي به مناجاة المنافقين بعضهم بعضًا بِالإِثْمِ والعدوان، وذلك أن الله جلّ ثناؤه تقدم بالنهي عنها بقوله: {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ}، ثم عما في ذلك من المكروه على أهل الإيمان، وعن سبب نهيه إياهم عنه، فقال: {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا}، فبيَّن بذلك، إذ كان النهي عن رؤية المرء في منامه كان كذلك، وكان عقيب نهيه عن النجوى بصفة أنه من صفة ما نهى عنه[١٩٢٤].

عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث»[١٩٢٥]. وفي رواية:" «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»[١٩٢٦].

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة : ١٠]، أي:" وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون به"[١٩٢٧].

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[١٩٢٨].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)} [المجادلة : ١١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة، وإذا طلب منكم -أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا، يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان، والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها.

سبب النزول:

قال قتادة:" نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض"[١٩٢٩].

قال مقاتل بن حيان:" أنزلت هذه الآية يوم جمعة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا

(١٩٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤١/٢٣.

(١٩٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(١٩٢٣) أخرجه الطبري: ٢٤٢/٢٣.

(١٩٢٤) تفسير الطبري: ٢٤٢/٢٣-٢٤٣.

(١٩٢٥) أخرجه البخاري(٦٢٨٨):ص٦٤/٨، ومسلم(٢١٨٣):ص١٧١٧/٤، وابن أبي شيبة ٨/ ٥٨١ وأحمد ٢/ ٤٥ و١٢١ و١٢٣ و١٢٦ و١٤١ و١٤٦ والحميدي ٦٤٦ وابن ماجه ٣٧٧٦ وابن حبان ٥٨٠. من طرق عن نافع به. وأخرجه ابن ماجه ٣٧٧٦ ومالك ٢/ ٩٨٨ وأحمد ٢/ ٩ والحميدي ٦٤٥ وابن حبان ٥٨٠ و٥٨١ و٥٨٢ والبغوي في «شرح السنة» ٣٤٠٣ من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر به.

(١٩٢٦) صحيح مسلم((١٩٢٦)):ص١٧١٨/٤، وأخرجه البغوي في "التفسير": ٤٤/٥.

(١٩٢٧) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٩٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(١٩٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٥):ص٣٣٤٣/١٠.

إلى المجلس، فقاموا حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم. فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم. فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم. فشق ذلك عليه فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان وأنت يا فلان فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام من أهل بدر. فشق ذلك على من أقيم من مجلسه فنزلت هذه الآية"[١٩٣٠].

وقال مقاتل بن سليمان:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- جلس في صفة ضيقة، ومعه أصحابه فجاء نفر من أهل بدر، منهم: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فسلموا على النبي- صلى الله عليه وسلم-، فرد عليهم، ثم سلموا على القوم، فردوا عليهم، وجعلوا ينتظرون ليوسع لهم فلم يفعلوا، فشق قيامهم على النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان يكرم أهل بدر وذلك يوم الجمعة، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قم يا فلان، وقم يا فلان. لمن لم يكن من أهل بدر، بعدد القيام من أهل بدر، فعرف النبي- صلى الله عليه وسلم- الكراهية في وجه من أقيم منهم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: رحم الله رجلا تفسح لأخيه، فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك، فقال المنافقون للمسلمين: أتزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس، فو الله، ما عدل على هؤلاء، إن قوما سبقوا فأخذوا مجلسهم وأحبوا قربه فأقامهم، وأجلس من أبطأ عن الخير، فو الله، إن أمر صاحبكم كله فيه اختلاف. فأنزل- الله تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ..} [المجادلة : ١١]"[١٩٣١].

قال الزجاج:" قيل إن الآية نزلت بسبب عبد الله بن شماس وكان من أهل الصفة، وكان من يجلس في مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذوي الغنى والشرف كأنهم لا يوسعون لمن هو دونهم، فأمر الله المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أراد النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتساوى الناس بالأخذ بالحظ منه"[١٩٣٢].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المجادلة : ١١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[١٩٣٣].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[١٩٣٤].

قوله تعالى:{إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ} [المجادلة : ١١]، أي:" إذا طُلب منكم أن يوسع بعضكم لبعض المجالس فأوسعوا، يوسع الله عليكم في الدنيا والآخرة"[١٩٣٥].

عن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»[١٩٣٦].

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة، ولكن ليقل: أفسحوا"[١٩٣٧].

عن أبي بكرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقم الرجل الرجل من مجلسه، ثم يقعد فيه» أو قال: «إذا أقام الرجل الرجل من مجلسه فلا يجلس فيه، ولا يمسح الرجل يده بثوب من لا [ص:١٢٨] يملك"[١٩٣٨].

(١٩٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٥):ص١٠/٣٣٤٣-٣٣٤٤. وانظر: الدر المنثور: ٨٢/٨.
(١٩٣١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦١/٤-٢٦٢.
(١٩٣٢) معاني القرآن: ١٣٩/٥.
(١٩٣٣) التفسير الميسر: ٥٤٣.
(١٩٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.
(١٩٣٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.
(١٩٣٦)صحيح البخاري برقم (٦٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢١٧٧).
(١٩٣٧) مسند الشافعي(٦٦٣):ص١٨٧٩/٢.

وفي قوله تعالى:{إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ} [المجادلة : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : مجلس النبي -صلى الله عليه وسلم- خاصة، إذا جلس فيه قوم تشاحوا بأمكنتهم على من يدخل عليهم أن يؤثروه بها أو يفسحوا له فيها ، فأمروا بذلك قاله مجاهد[١٩٣٩]، والضحاك[١٩٤٠]، وقتادة[١٩٤١].

قال مجاهد:" يعني: «مجلس النبي صلى الله عليه وسلم خاصة»"[١٩٤٢].

قال الضحاك:" كان هذا للنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ومن حوله خاصة يقول: استوسعوا حتى يصيب كلّ رجل منكم مجلسًا من النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وهي أيضًا مقاعد للقتال"[١٩٤٣].

قال قتادة:" كان الناس يتنافسون في مجلس النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقيل لهم: {إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا}"[١٩٤٤].

قال قتادة:" كانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنُّوا بمجلسهم عند رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأمرهم أن يفسح بعضهم لبعض"[١٩٤٥].

الثاني : أنها في مجالس الذكر كلها، قاله قتادة-أيضا- [١٩٤٦].

قال قتادة:" نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض"[١٩٤٧].

الرابع : أن ذلك في مجلس القتال، قاله الحسن[١٩٤٨]، وأبو العالية[١٩٤٩]، ومحمد بن كعب القرظي[١٩٥٠]، ويزيد بن أبي حبيب[١٩٥١].

عن الحسن، {فافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ}، وقال: في القتال"[١٩٥٢].

قال الحسن:" كانوا يجيئون، فيجلسون رُكامًا؛ بعضهم خَلْف بعض، فأُمروا أن يتفسّحوا في المجلس، فأفسح بعضهم لبعض"[١٩٥٣].

قال أبو العالية والقرظي:" هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال، كان الرجل يأتي القومَ في الصّف، فيقول: توسّعوا. فيَأبَون عليه؛ لحرصهم على القتال، ورغبتهم في الشهادة"[١٩٥٤].

قال يزيد بن أبي حبيب:" أنزل ذلك على رسول الله في الحرب، في القتال ينشزوا للقتال ويفسحوا في المجلس أن يكمنوا للقتال؛ قال: وذلك من مكيدة الحرب"[١٩٥٥].

(١٩٣٨) المسند(٢٠٤٨٦):ص١٢٧/٣٤.
(١٩٣٩) انظر: تفسير الطبري:: ٢٤٣/٢٣-٢٤٤.
(١٩٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢٣.
(١٩٤١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٤/٢٣.
(١٩٤٢) تفسير مجاهد: ٦٥٠.
(١٩٤٣) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.
(١٩٤٤) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.
(١٩٤٥) أخرجه الطبري: ٢٤٤/٢٣.
(١٩٤٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٤٥):ص٣٣٤٣/١٠.
(١٩٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٥):ص٣٣٤٣/١٠.
(١٩٤٨) انظر: النكت والعيون: ٤٩٢/٥.
(١٩٤٩)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٥٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٨.
(١٩٥٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٥٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٨.
(١٩٥١) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٥٦):ص١٦٨/٢.
(١٩٥٢) الدر المنثور: ٨/ ٨٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٩٥٣) الدر المنثور: ٨/ ٨٢، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٩٥٤)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٥٩، وتفسير البغوي ٨/ ٥٨.
(١٩٥٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٥٦):ص١٦٨/٢.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يتفسحوا في المجلس، ولم يخصص بذلك مجلس النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم دون مجلس القتال، وكلا الموضعين يقال له مجلس، فذلك على جميع المجالس من مجالس رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، ومجالس القتال"[١٩٥٦].

وقرئ:« في الْمجْلس»[١٩٥٧].

قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا} [المجادلة : ١١]، أي:" وإذا طلب منكم -أيها المؤمنون- أن تقوموا من مجالسكم لأمر من الأمور التي يكون فيها خير لكم فقوموا"[١٩٥٨].

وفي قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا} [المجادلة : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: وإذا قيل لكم انهضوا إلى القتال فانهضوا ، قاله الحسن[١٩٥٩].

قال الحسن: "هذا كله في الغزو"[١٩٦٠].

الثاني : إذا دعيتم إلى الخير فأجيبوا ، قاله قتادة[١٩٦١].

الثاني : إذا نودي للصلاة فاسعوا إليها ، قاله الضحاك[١٩٦٢].

قال الضحاك:" كان إذا نودي إلى للصلاة تثاقل رجال، فأمرهم الله إذا نودي للصلاة أن يرتفعوا إليها، يقوموا إليها"[١٩٦٣].

الرابع : إذا دعيتم إلى كلّ خير، قتال عدوّ، أو أمر بالمعروف، أو حقّ ما كان. وهذا قول مجاهد[١٩٦٤].

قوله تعالى:{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة : ١١]، أي:" يرفع الله مكانة المؤمنين المخلصين منكم، ويرفع مكانة أهل العلم درجات كثيرة في الثواب ومراتب الرضوان"[١٩٦٥].

قال قتادة:" إن بالعلم لأهله فضلا وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله"[١٩٦٦].

قال مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّير: "فضل العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع"[١٩٦٧].

وكان عبد الله بن مطرف يقول: "إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صومًا وصلاة وصدقة، والآخر أفضل منه بونًا بعيدًا، قيل له: وكيف ذاك؟ فقال: هو أشدّهما ورعًا لله عن محارمه"[١٩٦٨].

عن الأحنف: كاد العلماء يكونون أربابا، وكل عز لم يوطد[١٩٦٩] بعلم فإلى ذل مّا يصير"[١٩٧٠].

عن عمران القصير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي "[١٩٧١].

(١٩٥٦) تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣.
(١٩٥٧) انظر: السبعة في القراءات: ٦٢٩.
(١٩٥٨) التفسير الميسر: ٥٤٣.
(١٩٥٩) أخرجه الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.
(١٩٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.
(١٩٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣-٢٤٦.
(١٩٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٦/٢٣.
(١٩٦٣) أخرجه الطبري: ٢٤٦/٢٣.
(١٩٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤٥/٢٣.
(١٩٦٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.
(١٩٦٦) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
(١٩٦٧) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
(١٩٦٨) أخرجه الطبري: ٢٤٧/٢٣.
(١٩٦٩) في الصحاح: وطدت الشيء، أي: أثبته وثقلته.
(١٩٧٠) نقلا عن: الكشاف: ٤٩٣/٤.
(١٩٧١) رواه ابن أبي زمنين في التفسير: ٣٦١/٤.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد سبعين درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» [١٩٧٢].

عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن الأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود. وأنا أجود ولد آدم. وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده. ورجل جاد بنفسه في سبيل الله عز وجل حتى يقتل» [١٩٧٣].

وعن ابن مسعود: "أيها الناس افهموا هذه الآية، لترغبكم في العلم"[١٩٧٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [المجادلة : ١١]، أي:" والله تعالى خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وهو مجازيكم عليها"[١٩٧٥].

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"[١٩٧٦].

عن عامر بن واثلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبزى، قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله عز وجل، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين»[١٩٧٧].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [المجادلة : ١٢]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا أردتم أن تُكلِّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًّا بينكم وبينه، فقدِّموا قبل ذلك صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من الثواب، وأزكى لقلوبكم من المآثم، فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم.

سبب النزول:

عن ابن عباس في قوله: {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ}، الآية قال: "إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه صلى الله عليه وسلم، فلما قال ذلك امتنع كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا: {أَأَشْفَقْتُمْ}، الآية، فوسع الله عليهم ولم يضيق"[١٩٧٨].

قال مقاتل بن حيان: نزلت الآية في الأغنياء، وذلك أنهم كانوا يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، وأمر بالصدقة عند المناجاة، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا، وأما أهل الميسرة فبخلوا، واشتد ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الرخصة"[١٩٧٩].

(١٩٧٢) مسند ابي يعلى(٨٥٦):ص١٦٣/٢. إسناده ضعيف.

(١٩٧٣) المقصد الأسنى في زوائد أبي يعلى الموصلي(١٠٥):ص١٧٥/١.

(١٩٧٤) نقلا عن: غرائب التفسير وعجائب التأويل، لتاج القراء: ١١٩٤/٢.

(١٩٧٥) التفسير الميسر: ٥٤٣.

(١٩٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.

(١٩٧٧) صحيح مسلم(٨١٧):ص٥٥٩/١.

(١٩٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٤٨):ص٣٣٤٤/١٠.

(١٩٧٩) أسباب النزول للواحدي: ٤٣٢، مرسل.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ} [المجادلة : ١٢]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا أردتم أن تُكلِّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم سرًّا بينكم وبينه، فقدِّموا قبل ذلك صدقة لأهل الحاجة، ذلك خير لكم لما فيه من الثواب، وأزكى لقلوبكم من المآثم"(١٩٨٠).

قال مجاهد:" نهوا عن مناجاة النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قدم دينارًا فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك"(١٩٨١).

عن قتادة: "{إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}، قال: إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار"(١٩٨٢).

قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المجادلة : ١٢]، أي:" فإن لم تجدوا ما تتصدقون به فلا حرج عليكم؛ فإن الله غفور لعباده المؤمنين، رحيم بهم"(١٩٨٣).

قال قتادة:" سأل الناس رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى أحفوه بالمسألة، فوعظهم الله بهذه الآية، وكان الرجل تكون له الحاجة إلى نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فلا يستطيع أن يقضيها، حتى يقدّم بين يديه صدقة، فاشتدّ ذلك عليهم، فأنزل الله عزّ وجلّ الرخصة بعد ذلك {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} "(١٩٨٤).

عن عكرمة والحسن البصري قالا:" قال في المجادلة: {إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} ، فنسختها الآية التي بعدها، فقال: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}"(١٩٨٥).

القرآن

{أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)} [المجادلة : ١٣]

التفسير:

أخشيتم الفقر إذا قدَّمتم صدقة قبل مناجاتكم رسول الله؟ فإذْ لم تفعلوا ما أُمرتم به، وتاب الله عليكم، ورخَّص لكم في ألا تفعلوه، فاثبتوا وداوموا على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله في كل ما أُمرتم به، والله سبحانه خبير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.

سبب النزول:

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ} [المجادلة: ١٢] صدقة الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم فناجيت النبي صلى الله عليه وسلم، فكنت كلما ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣] الآية "(١٩٨٦).

(١٩٨٠) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١٩٨١) أخرجه الطبري: ٢٤٨/٢٣.

(١٩٨٢) أخرجه الطبري: ٢٤٩/٢٣.

(١٩٨٣) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١٩٨٤) أخرجه اطبري: ٢٤٨/٢٣-٢٤٩.

(١٩٨٥) أخرجه الطبري: ٢٥٠/٢٣.

(١٩٨٦)أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٧٩٤):ص٥٢٤/٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ١٨٤) لسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم

وعن مصعب بن سعد، عن سعد رضي الله عنه قال: "نزلت فيّ ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل: نزل تحريم الخمر، نادمت رجلا فعارضته وعارضني، فعربدت عليه فشججته، فأنزل الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠] إلى قوله: {فَهَلِ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١] ، ونزلت فيّ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥] إلى آخر الآية، ونزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً} [المجادلة: ١٢] فقدمت شعيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنك لزهيد». فنزلت الأخرى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣] الآية كلها"[١٩٨٧].

قوله تعالى:{أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة : ١٣]، أي:" أخشيتم الفقر إذا قدَّمتم صدقة قبل مناجاتكم رسول الله؟"[١٩٨٨].

عن مجاهد :"{أَأَشْفَقْتُمْ}، قال: شقّ عليكم تقديم الصدقة، فقد وُضِعت عنكم، وأمروا بمناجاة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بغير صدقة حين شقّ عليهم ذلك"[١٩٨٩].

عن قتادة: "{أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}: فريضتان واجبتان لا رجعة لأحد فيهما، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من أمر الصدقة في النجوى"[١٩٩٠].

قوله تعالى:{فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المجادلة : ١٣]، أي:" فإذا لم تفعلوا ما أُمرتم به وشقَّ ذلك عليكم، وعفا الله عنكم بأن رخَّص لكم مناجاته من غير تقديم صدقة، فاكتفوا بالمحافظة على الصلاة ودفع الزكاة المفروضة"[١٩٩١].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[١٩٩٢].

وعن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"[١٩٩٣].

وعن الحسن في قوله: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة"[١٩٩٤]. وروي عن قتادة نحو ذلك[١٩٩٥].

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة : ١٣]، أي:" أطيعوا أمر الله وأمر رسوله في جميع أحوالكم"[١٩٩٦].

قال عطاء:" طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة[١٩٩٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المجادلة : ١٣]، أي:" والله سبحانه خبير بأعمالكم، ومجازيكم عليها"[١٩٩٨].

عن قتادة: "{خبيرا}، قال: خبير بخلقه"[١٩٩٩].

وابن مردويه.

(١٩٨٧) المعجم الكبير للطبراني(٣٣١):ص١٤٧/١.

(١٩٨٨) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١٩٨٩) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١٩٩٠) أخرجه الطبري: ٢٥١/٢٣.

(١٩٩١) صفوة التفاسير: ٣٢٣/٣.

(١٩٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

(١٩٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.

(١٩٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.

(١٩٩٥) نظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.

(١٩٩٦) صفوة التفاسير: ٣٢٣/٣.

(١٩٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٧١):ص١٦٥٤/٥.

(١٩٩٨) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(١٩٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٤):ص٢٧١٣/٨.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)} [المجادلة : ١٤]

التفسير:

ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ووالوهم؟ والمنافقون في الحقيقة ليسوا من المسلمين ولا من اليهود، ويحلفون كذبًا أنهم مسلمون، وأنك رسول الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون فيما حلفوا عليه.

سبب نزول الآيات: [١٤-١٨]:

عن السدي في قوله تعالى: {ألم تَرَ إلى الَّذين تولّوا قوما}، الآية قال: "بلغنا أنه نزلت في عبد الله بن نبتل وكان رجلا من المنافقين"(٢٠٠٠). [ضعيف]

قال مقاتل:" قوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، يقول: ألم تنظر يا محمد إلى الذين ناصحوا اليهود بولايتهم فهو عبد الله بن نبتل المنافق.. فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن نبتل: إنك تواد اليهود فحلف عبد الله بالله أنه لم يفعل وأنه ناصح، فأنزل الله- تعالى-: {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤)} [المجادلة : ١٤]"(٢٠٠١).

وذكر الواحدي عن السدي ومقاتل: "نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، كان يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه إلى اليهود. فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال: يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار، وينظر بعيني شيطان. فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل ذلك، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فعلت. فانطلق فجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما شتموه. فأنزل الله تعالى هذه الآيات"(٢٠٠٢).

عن ابن عباس، قال:" كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل حجرة من حُجره، وعنده نفر من المسلمين قِد كاد يَقْلصُ عنهم الظلُّ، قال: فقال: إنه سيأتيكم إنسانٌ ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، قال: فجاء رجل أزرقُ، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكلمه، قال: علام تشتمني أنت وفلانٌ وفلان؟، نفرٌ دعاهم بأسمائهم، قال: فذهب الرجل فدعاهم، فحلفوا بالله اعتذروا إليه، قال: فأنزل الله عز وجل {فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ} الآية"(٢٠٠٣).[صحيح]

(٢٠٠٠)ذكره السيوطي في "لباب النقول" (ص ٢٥٧)، و"الدر المنثور" (٨/ ٨٥) ونسبه لابن أبي حاتم.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٢٠٠١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٢٦٣-٢٦٥.

(٢٠٠٢)أسباب النزول:٤٣٣. مرسل.

(٢٠٠٣) أخرجه أحمد في المسند(٢٤٠٧):ص٤/٢٣١-٢٣٢، وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في "مسنديهما"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ١٧٢ رقم ٧٨٥٠)، والطبري في "جامع البيان" (٢٣/ ٢٥٣)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٦، ٧ رقم ١٢٣٠٧)، والبزار في "المسند" (٣/ ٧٤، ٧٥ رقم ٢٢٧٠ - "كشف")، وابن أبي حاتم في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القران العظيم" (٤/ ٣٥١)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٥/ ٢٨٢، ٢٨٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٧٧) من طرق عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم.

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٢٢): "رواه الطبراني وأحمد والبزار؛ ورجال الجميع رجال الصحيح".

وقال الحافظ ابن كثير: "إسناد جيد ولم يخرجوه".

وقال البوصيري: "هذا إسناد صحيح".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٥) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [المجادلة : ١٤]، أي:" ألم تر إلى المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء ووالوهم؟"(٢٠٠٤).

قال قتادة:" هم المنافقون تولّوا اليهود وناصحوهم"(٢٠٠٥).

قال قتادة:" هم اليهود تولاهم المنافقون"(٢٠٠٦).

القرآن

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦)} [المجادلة : ١٦]

التفسير:

اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم، فبسبب ذلك صدُّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام، فلهم عذاب مُذلٌّ في النار؛ لاستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله وصدِّهم عن سبيله.

قوله تعالى:{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} [المجادلة : ١٦]، أي:" اتخذ المنافقون أيمانهم الكاذبة وقاية لهم من القتل بسبب كفرهم، ولمنع المسلمين عن قتالهم وأخذ أموالهم"(٢٠٠٧).

قال قتادة:" اتخذوا حَلِفهم جُنّة؛ ليَعصِموا بها دماءَهم وأموالهم"(٢٠٠٨).

قال الضحاك:" حَلِفهم بالله إنهم لمنكم جُنة"(٢٠٠٩).

قال مجاهد:" يَجْتَنُّون بها"(٢٠١٠).

قوله تعالى:{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [المجادلة : ١٦]، أي:" فبسبب ذلك صدُّوا أنفسهم وغيرهم عن سبيل الله وهو الإسلام"(٢٠١١).

عن السدي: {وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥] ،" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"(٢٠١٢).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٢٠١٣).

عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"(٢٠١٤).

القرآن

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧)} [المجادلة : ١٧]

التفسير:

لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم مِن عذاب الله شيئًا، أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبدا، لا يخرجون منها.

(٢٠٠٤) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠٠٥) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٣.

(٢٠٠٦) أخرجه الطبري: ٢٥٢/٢٣.

(٢٠٠٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠٠٨) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢٠٠٩) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣.

(٢٠١٠)تفسير مجاهد ص ٦٦١، وأخرجه الطبري: ٣٩٤/٢٣، بلفظ: قال:" يجيئون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا"، وعَبد بن حُمَيد -كما في فتح الباري ٨/ ٦٤٦ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٢٠١١) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(٢٠١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.

(٢٠١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.

قوله تعالى:{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [المجادلة : ١٧]، أي:" لن تدفع عن المنافقين أموالهم ولا أولادهم مِن عذاب الله شيئًا"(٢٠١٥).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المجادلة : ١٧]، أي:" أولئك أهل النار يدخلونها فيبقون فيها أبدا، لا يخرجون منها"(٢٠١٦).

عن أبي مالك، قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها"(٢٠١٧).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (٢٠١٨).

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٢٠١٩).

القرآن

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨)} [المجادلة : ١٨]

التفسير:

يوم القيامة يبعث الله المنافقين جميعًا من قبورهم أحياء، فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون لكم -أيها المؤمنون- في الدنيا، ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم في الدنيا عند المسلمين، ألا إنهم هم البالغون في الكذب حدًا لم يبلغه غيرهم.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ} [المجادلة : ١٨]، أي:" يوم القيامة يبعث الله المنافقين جميعًا من قبورهم أحياء، فيحلفون له أنهم كانوا مؤمنين، كما كانوا يحلفون لكم -أيها المؤمنون- في الدنيا"(٢٠٢٠).

قال قتادة:" إن المنافق حلف له يوم القيامة كما حلف لأوليائه في الدنيا"(٢٠٢١).

قال قتادة:" والله حالف المنافقون ربهم يوم القيامة، كما حالفوا أولياءه في الدنيا"(٢٠٢٢).

قال سعيد بن جبير:" كان النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في ظلّ حجرة قد كاد يَقْلِصُ عنه الظلّ، فقال: "إِنَّهُ سيَأتِيكُمْ رَجُلٌ، أو يَطْلُعُ رَجُلٌ بِعَيْنِ شَيْطانٍ فَلا تُكَلِّمُوهُ" فلم يلبث أن جاء، فاطلع فإذا رجل أزرق، فقال له: "عَلام تَشْتُمُنِي أنْت وَفُلانٌ وَفُلانٌ "؟ قال: فذهب فدعا أصحابه، فحلفوا ما فعلوا، فنزلت: {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ}"(٢٠٢٣).

القرآن

{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)} [المجادلة : ١٩]

التفسير:

غلب عليهم الشيطان، واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بطاعته، أولئك حزب الشيطان وأتباعه. ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

(٢٠١٥) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠١٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٠):ص٩٤/١.

(٢٠١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٠١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٢٠٢٠) التفسير الميسر: ٥٤٤.

(٢٠٢١) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٢٠٢٢) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

(٢٠٢٣) أخرجه الطبري: ٢٥٥/٢٣.

قوله تعالى:{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ} [المجادلة : ١٩]، أي:" غلب عليهم الشيطان، واستولى عليهم، حتى تركوا أوامر الله والعمل بطاعته"(٢٠٢٤).

عن قتادة، قال: "{استحوذ عليهم الشيطان}، إذ أطاعوه"(٢٠٢٥).

عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من ثلاثة في قرية ولا بَدْو، لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب القاصية". قال زائدة : قال السائب : يعني: الصلاة في الجماعة"(٢٠٢٦).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة : ١٩]، أي:" أولئك حزب الشيطان وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في الدنيا والآخرة"(٢٠٢٧).

عن عكرمة، قال: "إنما سمي الشيطان لأنه تشيطن"(٢٠٢٨).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠)} [المجادلة : ٢٠]

التفسير:

إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله، أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة : ٢٠]، أي:" إن الذين يخالفون أمر الله ورسوله"(٢٠٢٩).

قال قتادة:" يقول: يعادون الله ورسوله"(٢٠٣٠).

قال مجاهد:" يعادون، يشاقُّون"(٢٠٣١).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة : ٢٠]، أي:" أولئك من جملة الأذلاء المغلوبين المهانين في الدنيا والآخرة"(٢٠٣٢).

قال عطاء: "يريد الذل في الدنيا، والخزي في الآخرة"(٢٠٣٣).

القرآن

{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١)} [المجادلة : ٢١]

التفسير:

كتب الله في اللوح المحفوظ وحَكَم بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين. إن الله سبحانه قوي لا يعجزه شيء، عزيز على خلقه.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن المؤمنين قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- لئن فتح الله علينا مكة وخيبر وما حولها فنحن نرجو أن يظهرنا الله ما عاش النبي- صلى الله عليه وسلم- على أهل الشام وفارس والروم. فقال

(٢٠٢٤) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٨):ص٤١/١.
(٢٠٢٦)سنن أبي داود برقم (٥٤٧).
(٢٠٢٧) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٧):ص٨٧/١.
(٢٠٢٩) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٣٠) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٣.
(٢٠٣١) أخرجه الطبري: ٢٥٦/٢٣.
(٢٠٣٢) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٣٣) التفسير الوسيط للواحدي: ٢٦٨/٤.

عبد الله بن أبي للمسلمين: أتظنون بالله أن أهل الروم وفارس كبعض أهل هذه القرى التي غلبتموهم عليها، كلا والله لهم أكثر جمعا، وعددا. فأنزل الله- تعالى- في قول عبد الله بن أبيّ {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الفتح : ٤]، وأنزل {كَتَبَ اللَّهُ} كتابا وأمضاه، {لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}، يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده، {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}، يقول: أقوى وأعز من أهل الشام والروم وفارس"[٢٠٣٤]. " لقول عبد الله بن أبيّ: هم أشد بأسا وأعز عزيزا"[٢٠٣٥].

قوله تعالى:{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]، أي:" كتب الله في اللوح المحفوظ وحَكَم بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين"[٢٠٣٦].

قال قتادة:" كتب الله كتابا وأمضاه"[٢٠٣٧].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة : ٢١]، أي:" إن الله سبحانه قوي لا يعجزه شيء، عزيز على خلقه"[٢٠٣٨].

قال قتادة:" قويا في أمره، عزيزا في نقمته"[٢٠٣٩].

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"[٢٠٤٠].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٠٤١]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٠٤٢]. ذلك[٢٠٤٢].

القرآن

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)} [المجادلة : ٢٢]

التفسير:

لا تجد -أيها الرسول- قومًا يصدِّقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون ويوالون مَن عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثَبَّتَ في قلوبهم الإيمان، وقوَّاهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا، ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها زمانًا ممتدًا لا ينقطع، أحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفيع الدرجات، أولئك حزب الله وأولياؤه، وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة.

اختلفوا فيمن نزلت على خمسة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح. قاله سعيد بن عبد العزيز[٢٠٤٣]، عبد الله بن شوذب[٢٠٤٤].

(٢٠٣٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤.
(٢٠٣٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٩/٤.
(٢٠٣٦) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٣٧) أخرجه الطبري: ٢٥٧/٢٣.
(٢٠٣٨) التفسير الميسر: ٥٤٤.
(٢٠٣٩) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٢٠٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.
(٢٠٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٠٤٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٠٤٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

عن عبد الله بن شوذب قال: "جعل أبو أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر، قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية حين قتل أباه: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [المجادلة: ٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ"[٢٠٤٥].[ضعيف]

قال ابن كثير:" ولهذا قال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة، رضي الله عنهم : «ولو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته»"[٢٠٤٦][٢٠٤٧].

الثاني: أنها نزلت في أبي بكر الصديق-رضي الله عنه- وذلك أن أبا قحافة سَبَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فصكّه أبو بكر صَكَّةً شديدةً سقط منها، ثم ذكر ذلك لرسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أو فَعلته» ؟ قال: نعم. قال: فلا تعُد إليه، فقال أبو بكر: والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته، فنزلت هذه الآية، قاله ابن جريج"[٢٠٤٨].[ضعيف]

عن عبد الرحمن بن ثابت بن قيس بن الشماس: أنه استأذن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يزور خاله من المشركين؛ فأذن له، فلما قدم؛ قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأناس حوله: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}"[٢٠٤٩].

الثالث: ما روى مقاتل بن حيان، عن مرة الهمذاني، عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية: "{وَلَوْ كانُوا آباءَهُمْ}، يعني: أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد، {أَوْ أَبْناءَهُم}، يعني: أبا بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال: يا رسول الله: دعني أكر في الرعلة[٢٠٥٠] الأولى. فقال له رسول الله: «متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري؟». {وإِخْوانَهُمْ}، يعني: مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد. {أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}، يعني: عمر، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعليا وحمزة وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر"[٢٠٥١].

(٢٠٤٤) انظر: المعجم الكبير للطبراني(٣٦٠):ص١٥٤/١.

(٢٠٤٥)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٦٠):ص١٥٤/١، وعنه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (١/ ١٠١)، و"معرفة الصحابة" (٢/ ٢١، ٢٢ رقم ٥٧٦) -ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (ص ٢٦٦ - مطبوع) عن أبي يزيد القراطيسي، والحاكم في "المستدرك" (٣/ ٢٦٤، ٢٦٥) -وعنه البيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٢٧) - من طريق الربيع بن سليمان، كلاهما عن أسد بن موسى ثنا ضمرة بن ربيعة عن عبد الله بن شوذب به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لإعضاله.

قال البيهقي عقبه: "هذا منقطع".

وسكت عنه الحاكم والذهبي.

وقال الحافظ ابن حجر في "الإصابة" (٢/ ٢٤٤): "أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب".

وقال في "فتح الباري" (٧/ ٩٣): "مرسل".

وقال في "التلخيص الحبير" (٤/ ١١٣): "هذا معضل".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦) و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) وزاد نسبته لابن أبي حاتم.

(٢٠٤٦) في الطبقات الكبرى: ٣١٥/٣. قال عمر بن الخطاب: " لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله ".

(٢٠٤٧) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.

(٢٠٤٨)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦)، و"لباب النقول" (ص ٢٠٨) ونسبه لابن المنذر، وذكره الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٤، وابن الجوزي في "زاد المسير": ٢٥١/٤.

وابن جريج مدلس، لم يذكر من حدثه، ومع ذلك هو معضل، فالخبر شبه موضوع، قال الإمام أحمد: هذه المراسيل التي يرسلها ابن جريج كأنها موضوعة.

(٢٠٤٩)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٨/ ٨٦) ونسبه لابن مردويه.

(٢٠٥٠)الرعلة: الخيل.

(٢٠٥١) ذكره الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٤/٩-٢٦٥، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٤.

قال ابن كثير:" ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر، فأشار الصديق بأن يفادوا، فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين، وهم بنو العم والعشيرة، ولعل الله أن يهديهم. وقال عمر : لا أرى ما رأى يا رسول الله، هل تمكني من فلان - قريب لعمر - فأقتله، وتمكن عليًا من عقيل، وتمكن فلانًا من فلان، ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... القصة بكاملها"[٢٠٥٢].

الخامس: أنها نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعَة حين كتب إلى أهل مكّة يخبرهم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد عزم على قصدهم. قاله مقاتل[٢٠٥٣]، والفراء[٢٠٥٤].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصة وينذرهم ليحرزوا فنزل الوحي على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر حاطب لما وبخ بذلك أن له بمكة أهلا وأنه ليس له أحد يكنفهم، وإنما فعل ذلك ليحاط أهله، فأعلم الله - عز وجل - أن إيمان المؤمن يفسد بمودة الكفار بالمعاونة على المؤمنين. وأعلم الله تعالى أنه من كان مؤمنا بالله واليوم الآخر لا يوالي من كفر، ولو كان أباه أو أمه أو أخاه أو أحدا من عشيرته"[٢٠٥٥].

السادس: أنها نزلت في عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فشرب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ماءً، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك، قال: وما تصنع بها؟ فقال: أسقيها أبي، لعل الله سبحانه يطهر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ قال: فضلة من شراب رسول الله جئتك بها لتشربها، لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أُمِّكَ! فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في قتل أبي، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: ارفق به، وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[٢٠٥٦].

قال النحاس:" أصح ما روي في هذا أنه نزل في المنافقين الذين والوا اليهود لأنهم لا يقرون بالله جل وعز على ما يجب الإقرار به ولا يؤمنون باليوم الآخر فيخافون العقوبة"[٢٠٥٧].

قال ابن الجوزي:" وهذه الآية قد بَيَّنتْ أن مودَّة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وأن من كان مؤمناً لم يوال كافراً وإن كان أباه أو ابنه أو أحداً من عشيرته"[٢٠٥٨].

قوله تعالى:{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} [المجادلة : ٢٢]، أي:" لا تجد -أيها الرسول- قومًا يصدِّقون بالله واليوم الآخر، ويعملون بما شرع الله لهم، يحبون ويوالون مَن عادى الله ورسوله وخالف أمرهما، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم"[٢٠٥٩].

قال قتادة:" لا تجد يا محمد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يوادّون من حادّ الله ورسوله: أي من عادى الله ورسوله"[٢٠٦٠].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} [المجادلة : ٢٢]، أي:" أولئك الموالون في الله والمعادون فيه ثَبَّتَ في قلوبهم الإيمان"[٢٠٦١].

(٢٠٥٢) تفسير ابن كثير: ٥٤/٨.
(٢٠٥٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٥/٤-٢٦٦.
(٢٠٥٤) انظر: معاني القرآن: ١٤٢/٣.
(٢٠٥٥) معاني القرآن: ١٤١/٥.
(٢٠٥٦) انظر: زاد المسير: ٢٥١/٤-٢٥٢. ولم أقف عليه، وهو مرسل بكل حال فهو واه.
(٢٠٥٧) إعراب القرآن: ٢٥٥/٤.
(٢٠٥٨) زاد المسير: ٢٥٢/٤.
(٢٠٥٩) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢٠٦٠) أخرجه الطبري: ٢٥٨/٢٣.
(٢٠٦١) التفسير الميسر: ٥٤٥.

قال السدي :"{كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ} جعل في قلوبهم الإيمان"[٢٠٦٢].

قال الربيع بن أنس: "يعني: أثبت الإيمان في قلوبهم فهي موقنة مخلصة"[٢٠٦٣].

قوله تعالى:{وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة : ٢٢]، أي:" وقوَّاهم بنصر منه وتأييد على عدوهم في الدنيا"[٢٠٦٤].

قال الحسن:" وقوّاهم بنصر منه"[٢٠٦٥].

قال السدّي: "يعني: بالإيمان"[٢٠٦٦].

قال ربيع:" بالقرآن وحجّته"[٢٠٦٧].

قوله تعالى:{وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا} [المجادلة : ٢٢]، أي:" ويدخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها زمانًا ممتدًا لا ينقطع"[٢٠٦٨].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٢٠٦٩].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٢٠٧٠].

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٢٠٧١].

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٢٠٧٢].

قوله تعالى:{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [المجادلة : ٢٢]، أي:" أحلَّ الله عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم، ورضوا عن ربهم بما أعطاهم من الكرامات ورفيع الدرجات"[٢٠٧٣].

قال عطاء: "{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه وما تفضل به عليهم من الكرامة سوى الثواب"[٢٠٧٤].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة : ٢٢]، أي:" أولئك جماعة الله وخاصته وأولياؤه، وأولئك هم الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة"[٢٠٧٥].

عن سعد بن سعيد الجرجاني، عن بعض مشيخته قال: "قال داود -عليه السلام-: «إلهي، من حزبك وحول عرشك؟». فأوحى الله سبحانه إليه: «يا داود، الغاضّة أبصارهم، النقيّة قلوبهم، السليمة أكفّهم، أولئك حزبي وحول عرشي»[٢٠٧٦].

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر، خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي، فقال: ما يبكيك يا معاذ؟ قال: يبكيني حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «اليسير من الرياء شرك، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة، إن الله يحب الأبرار

(٢٠٦٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٥/٨.
(٢٠٦٣) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.
(٢٠٦٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢٠٦٥) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.
(٢٠٦٦) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.
(٢٠٦٧) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩.
(٢٠٦٨) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢٠٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٢٠٧٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٢٠٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٢٠٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٢٠٧٣) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢٠٧٤) التفسير البسيط للواحدي: ٦١٠/٧، وتفسير البغوي: ٤٦٧/٢.
(٢٠٧٥) صفوة التفاسير: ٣٢٥/٣.
(٢٠٧٦) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦٥/٩. وانظر: تفسير القرطبي: ١٧/ ٣٠٩.

الأتقياء الأخفياء، الذين إن غابوا لم يفتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل غبراء مظلمة» [٢٠٧٧].

عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «اللهم، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدًا ولا نعمة، فإني وجدت فيما أوحيته إلي: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}». قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان"[٢٠٧٨]. قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان"[٢٠٧٩].

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزُّهريّ: "عافانا الله وإيّاك -أبا بكر- مِن الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لِمَن عرفك بها أن يرحمك بها؛ أصبحتَ شيخًا كبيرًا قد أثقلتْك نِعَمُ الله عليك، مما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وعلِمت حُجَج الله مما حمَّلك من كتابه، وفقّهك فيه من دينه، وفهّمك من سنة ... ولقد جاء نَعتُهم على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الله يحبّ الأخفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يُفتقدوا، وإذا شهدوا لم يُعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يَخرجون مِن كلّ فتنة سوداء مظلمة، فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله - عز وجل -: {أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون}». وجاءٌ يجريه الله على يدي أعدائه لأوليائهم، ومِقَةٌ يقذفها الله في قلوبهم لهم، فَيُعظمُهُم الناس تعظيم أولئك لهم، ويَرغب الناس فيما في أيديهم كرغبة أولئك فيه إليهم، {أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون}"[٢٠٨٠].

«آخر تفسير سورة (المجادلة)، والحمد لله وحده»

(٢٠٧٧) المستدرك على الصحيحين(٤):ص٤٤/١،وقال:" هذا حديث صحيح ولم يخرج في الصحيحين". وأخرجه ابن ماجة في (٣٩٨٩):ص١٣٢٠/٣. بسند ضعيف.

(٢٠٧٨) رواه نعيم بن الحماد كما في تفسير ابن كثير: ٥٥/٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨٧/٨، عن ابن مردويه عن كثير بن عطية عن رجل...

(٢٠٧٩) رواه نعيم بن الحماد كما في تفسير ابن كثير: ٥٥/٨، وذكره السيوطي في الدر المنثور: ٨٧/٨، عن ابن مردويه عن كثير بن عطية عن رجل...

(٢٠٨٠)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢/ ٤١ - ٤٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الحشر»

هي السُّورة التَّاسعة والخمسون بحسب الرَّسم القرآني، نزلت بعد «سورة البيّنة» وقبل «سورة النَّصر»، أي: أنَّها من آواخر السُّور التي نزلت على الرَّسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- من السُّور القرآنيَّة؛ حيث تُعدُّ السُّورة الثامنة والتسعون في ترتيب النُّزول، ويبلغ عدد آياتها أربع وعشرون، كلماتها أربعمائة وخمس وأربعون. حروفها ألف وتسعمائة وثلاث عشرة. فواصل آياتها «من بر» على الباء آيتان: {الْعِقَابِ} [الحشر : ٤، ٧] في موضعين[٢٠٨١].

- **مكان نزول السورة:**

روي عن ابن عباس، قال": نزلت سورة الحشر بالمدينة"[٢٠٨٢]. وروي عن ابن الزبير[٢٠٨٣]، مثل ذلك.

قال ابن عطية:" هذه السورة مدنية باتفاق من أهل العلم، وهي سورة بني النضير"[٢٠٨٤].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية كلها بإجماعهم، وذكر المفسّرون أنّ جميعها نزل في بني النّضير"[٢٠٨٥].

(٢٠٨١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٥٨/١.

(٢٠٨٢) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٠٨٣) انظر: الدر المنثور: ٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٠٨٤) المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥. وسوف يأتي الخبر عن بني نضير في سبب نزول الآية رقم(٢) من السورة.

(٢٠٨٥) زاد المسير: ٢٥٣/٤.

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الحشر : ١]

التفسير:

نزَّه الله عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قَدَره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها.

سبب نزول الآيات: [١-٥]:

عن عروة بن الزبير، قال : " ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم بناحية من المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وإن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح، فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل الشام قال: والجلاء أنه كتب عليهم في آي من التوراة، وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم :{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} [الحشر: ١،] إلى قوله: {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر: ٥]"[٢٠٨٦].

قوله تعالى:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحشر : ١]، أي:" نزَّه الله عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض"[٢٠٨٧].

عن الضحاك:" أنه الصلاة، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"[٢٠٨٨].

عن أبي الأسود قال: قال رأس الجالوت: "إنما التوراة الحلال والحرام إلا أن في كتابكم جامعا {سبح لله ما في السماوات والأرض} وفي التوراة يسبح لله الطير والسباع"[٢٠٨٩].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر : ١]، أي:" وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في قَدَره وتدبيره وصنعه وتشريعه، يضع الأمور في مواضعها"[٢٠٩٠].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٠٩١]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٠٩٢].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٠٩٣]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٠٩٤].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٠٩٥].

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٠٩٦].

القرآن

(٢٠٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٨٤٩):ص٣٣٤٥/١٠

(٢٠٨٧) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٢٠٨٨) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٢٠٨٩) الدر المثور: ٤٦/٨، وعزاه إلى أبي الشيخ في "العظمة".

(٢٠٩٠) التفسير الميسر: ٥٤٥.

(٢٠٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٢٠٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٢٠٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢٠٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٢٠٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢٠٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)} [الحشر : ٢]

التفسير:

هو -سبحانه- الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاوروا بها المسلمين حول «المدينة» ، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام» ، ما ظننتم -أيها المسلمون- أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان; لشدة بأسهم وقوة منعتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد، فأتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال، وألقى في قلوبهم الخوف والفزع الشديد، يُخْربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاتعظوا يا أصحاب البصائر السليمة والعقول الراجحة بما جرى لهم.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، أي:" هو -سبحانه- الذي أخرج الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، من أهل الكتاب، وهم يهود بني النضير، من مساكنهم التي جاوروا بها المسلمين حول «المدينة» ، وذلك أول إخراج لهم من «جزيرة العرب» إلى «الشام»"[٢٠٩٧].

قال يزيد بن رومان:" نزلت في بني النضير سورة الحشر بأسرها، يذكر فيها ما أصابهم الله عزّ وجل به من نقمته، وما سلط عليهم به رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وما عمل به فيهم، فقال: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ} ... الآيات"[٢٠٩٨].

عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ}، قال: النضير، حتى قوله: {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}"[٢٠٩٩].

عن قتادة: "{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ}، قيل: الشام، وهم بنو النضير حيّ من اليهود، فأجلاهم نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من المدينة إلى خيبر، مرجعه من أحد"[٢١٠٠].

قال الزهري:" هم بنو النضير قاتلهم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلاهم إلى الشام، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من شيء إلا الحلقة، والحلقة: السلاح، كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله عزّ وجلّ قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك عذبهم في الدنيا بالقتل والسباء"[٢١٠١].

قال الضحاك:" أُعطي كلُّ ثلاثة نَفرٍ بعيرًا وسقاة، ففعلوا ذلك، وخرجوا مِن المدينة إلى الشام إلى أذْرِعات وأريحاء، إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حُيِيّ بن أخطب؛ فإنهم لحقوا بخَيبر، ولَحقَتْ طائفة منهم بالحيرة، فذلك قوله - عز وجل -: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ}"[٢١٠٢].

وفي قوله تعالى:{لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} [الحشر : ٢]، وجوه:

أحدها : لأن هذا كان أوّل الحشر من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وعلى بدنه. قاله مرّة الهمداني[٢١٠٣].

الثاني: إنّما قال: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ}، لأنّ الله سبحانه فتح على نبيّه -عليه السلام- في أول ما قاتلهم. قاله يمان بن رباب[٢١٠٤].

(٢٠٩٧) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢٠٩٨) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.
(٢٠٩٩) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.
(٢١٠٠) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.
(٢١٠١) أخرجه الطبري: ٢٦٢/٢٣.
(٢١٠٢)تفسير البغوي ٨/ ٦٩.
(٢١٠٣) نقلا عن: "الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٦٨/٩-٢٦٩.

الثالث : لأنه أول حشرهم، لأنهم يحشرون بعدها إلى أرض المحشر في القيامة ، قاله الحسن[٢١٠٥]، والزهري[٢١٠٦].

قال الزهري:" يقول تعالى ذكره: لأوّل الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام"[٢١٠٧].

عن الحسن، قال:" بلغني: أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمّا أجلى بني النَّضِير قال: «امضُوا، فهذا أول الحَشْر، وإنّا على الأثر»"[٢١٠٨].

قوله تعالى:{مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ} [الحشر : ٢]، أي:" ما ظننتم -أيها المسلمون- أن يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان; لشدة بأسهم وقوة منعتهم، وظن اليهود أن حصونهم تدفع عنهم بأس الله ولا يقدر عليها أحد"[٢١٠٩].

عن يزيد بن رومان:" أن رهطًا من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ووديعة ومالك، ابنا نوفل، وسويد وداعس، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنَّعوا، فإنا لن نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم، فتربصوا لذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وكانوا قد تحصنوا في الحصون من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حين نزل بهم"[٢١١٠].

عن عكرمة، قال:" مَن شكّ أنّ المَحْشَر إلى بيت المقدس فليقرأ هذه الآية: {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتابِ مِن دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ}، فقد حُشِر الناسُ مرة، وذلك حين ظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - على المدينة أجلى اليهود"[٢١١١].

عن قتادة بن دعامة -من طريق معمر- قال: "تجيء نارٌ مِن مَشرق الأرض، تَحشر الناس إلى مَغربها، تسوقهم سَوق البَرق الكسير، تَبيتُ معهم إذا باتوا، وتَقيل معهم إذا قالوا، وتأكل مَن تَخَلَّف منهم"[٢١١٢].

عن قيس، قال: "قال جريرٌ لقومه فيما يَعِظُهم: واللهِ، إني لَوَدِدتُ أنّي لم أكن بَنيتُ فيها لَبِنة، ما أنتم إلا كالنّعامة استَنَرتْ، وإنّ أول أرضكم هذه خرابًا يُسراها، ثم يَتبعها يُمناها، وإنّ المَحْشَر ههنا. وأشار إلى الشام"[٢١١٣].

قوله تعالى:{فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} [الحشر : ٢]، أي:" فأتاهم الله من حيث لم يخطر لهم ببال، وألقى في قلوبهم الخوف والفزع الشديد"[٢١١٤].

عن ابن جبير والسدي: فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا}: "من حيث لم يحتسبوا بقتل ابن الأشرف"[٢١١٥].

قوله تعالى:{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، أي:" يهدمون بيوتهم بأيديهم من الداخل، وأيدي المؤمنين من الخارج"[٢١١٦].

وفي قوله تعالى:{يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ} [الحشر : ٢]، وجوه من التفسير:

(٢١٠٤) نقلا عن: "الكشف والبيان(تفسير الثعلبي): ٢٦٩/٩.
(٢١٠٥) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.
(٢١٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٣/٢٣.
(٢١٠٧) أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.
(٢١٠٨)أخرجه الطبري: ٢٦٣/٢٣.
(٢١٠٩) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢١١٠) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٣.
(٢١١١) الدر المنثور: ٩٣/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢١١٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٨٢.
(٢١١٣) الدر المنثور: ٩٠/٨، وعزاه إلى أحمد في "الزهد".
(٢١١٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢١١٥) النكت والعيون: ٤٩٩/٥.
(٢١١٦) صفوة التفاسير: ٣٣٠/٣.

أحدها : بأيديهم بنقض الموادعة، وأيدي المؤمنين بالمقاتلة ، قاله الزهري[٢١١٧].
الثاني : بأيديهم في تركها، وأيدي المؤمنين في إجلائهم عنها، قاله أبو عمرو ابن العلاء[٢١١٨].
الثالث : بأيديهم في إخراب دواخلها وما فيها لئلا يأخذها المسلمون ، وبأيدي المؤمنين في إخراب ظواهرها ليصلوا بذلك إليهم. وهذا قول قتادة[٢١١٩].

قال قتادة:" جعلوا يخربونها من أجوافها، وجعل المؤمنون يخربون من ظاهرها"[٢١٢٠].

قال عكرمة : "كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين أن يسكنوها فخربوها من داخل، وخربها المسلمون من خارج"[٢١٢١].

عن معمر، عن الزُّهريّ، قال: "لما صالحوا النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كانوا لا يعجبهم خشبة إلا أخذوها، فكان ذلك خرابها. وقال قتادة: كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها، وتخربها اليهود من داخلها"[٢١٢٢].

الرابع : معناه : أنهم كانوا كلما هدم المسلمون عليهم من حصونهم شيئاً نقضوا من بيوتهم ما يبنون به من حصونهم، قاله الضحاك[٢١٢٣].

قال الضحاك:" يعني: أهل النضير، جعل المسلمون كلما هدموا من حصنهم جعلوا ينقضون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ثم يبنون ما خرب المسلمون"[٢١٢٤].

الخامس : أن تخريبهم بيوتهم أنهم لما صولحوا على حمل ما أقلته إبلهم جعلوا ينقضون ما أعجبهم من بيوتهم حتى الأوتار ليحملوها على إبلهم.

وقال يزيد بن رومان:" احتملوا من أموالهم، يعني بني النضير، ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، قال: فذلك قوله: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ}، وذلك هدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها"[٢١٢٥].

وقرئ:«يخرّبون»، بالتشديد في الراء، بمعنى: يهدّمون بيوتهم[٢١٢٦].

القرآن

{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣)} [الحشر : ٣]

التفسير:

ولولا أن كتب الله عليهم الخروج مِن ديارهم وقضاه، لَعذَّبهم في الدنيا بالقتل والسبي، ولهم في الآخرة عذاب النار.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا} [الحشر : ٣]، أي:" ولولا أن كتب الله عليهم الخروج مِن ديارهم وقضاه، لَعذَّبهم في الدنيا بالقتل والسبي"[٢١٢٧].

وفي معنى :«الجلاء»، أقوال:

(٢١١٧) انظر: النكت والعيون: ٤٩٩/٥.
(٢١١٨) انظر: النكت والعيون: ٥٠٠/٥.
(٢١١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٤/٢٣.
(٢١٢٠) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٣.
(٢١٢١) انظر: النكت والعيون: ٥٠٠/٥، وتفسير القرطبي: ٥/١٨.
(٢١٢٢) أخرجه الطبري: ٢٦٤/٢٣-٢٦٥.
(٢١٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٥/٢٣.
(٢١٢٤) أخرجه الطبري: ٢٦٥/٢٣-٢٦٦.
(٢١٢٥) أخرجه الطبري: ٢٦٥/٢٣.
(٢١٢٦) انظر: تفسير اطبري: ٢٦٦/٢٣.
(٢١٢٧) التفسير الميسر: ٥٤٥.

أحدها : أن «الجلاء»: الفناء. قاله عكرمة[٢١٢٨].
الثاني : أنه القتل. قاله عكرمة-أيضا-[٢١٢٩].
الثالث: يعني بـ «الجلاء»: خروج الناس من أرض إلى اخرى. وهذا قول قتادة[٢١٣٠].
قال قتادة: الجلاء : " خروج الناس من البلد إلى البلد"[٢١٣١].
قال الزهري:" كان النضير من سِبْطٍ لم يصبهم جلاء فيما مضى، وكان الله قد كتب عليهم الجلاء، ولولا ذلك لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسبي"[٢١٣٢].
عن يزيد بن رُومان: "{وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ}، وكان لهم من الله نقمة، {لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا}، أي: بالسيف"[٢١٣٣].
قوله تعالى:{وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} [الحشر : ٣]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب النار"[٢١٣٤].
عن يزيد بن رُومان: "{وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ}، مع ذلك"[٢١٣٥].

القرآن
{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)} [الحشر : ٤]
التفسير:
ذلك -الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة- لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوهما وسعَوا في معصيتهما، ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له.
قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الحشر : ٤]، أي:" ذلك -الذي أصاب اليهود في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة- لأنهم خالفوا أمر الله وأمر رسوله أشدَّ المخالفة، وحاربوهما وسعَوا في معصيتهما"[٢١٣٦].
قال قتادة: "الشقاق: الفراق"[٢١٣٧].
قوله تعالى:{وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر : ٤]، أي:" ومن يخالف الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له"[٢١٣٨].
عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"[٢١٣٩].

القرآن
{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥)} [الحشر : ٥]
التفسير:

(٢١٢٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.
(٢١٢٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٦٠/٨.
(٢١٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٧/٢٣.
(٢١٣١) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.
(٢١٣٢) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.
(٢١٣٣) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.
(٢١٣٤) التفسير الميسر: ٥٤٥.
(٢١٣٥) أخرجه الطبري: ٢٦٧/٢٣.
(٢١٣٦) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢١٣٧) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٢.
(٢١٣٨) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢١٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥):ص٣٤٥/١.

ما قطعتم -أيها المؤمنون- من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فبإذن الله وأمره؛ وليُذلَّ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلَّطكم على قطع نخيلهم وتحريقها.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلم حرق نخل بني النضير وقطع، فنزلت هذه الآية.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقطع، وهي البويرة» فنزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [الحشر: ٥]"[٢١٤٠].

عن ابن عمر، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير، وحرق»، ولها يقول حسان:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةَ بَنِي لُؤَيّ ... حَرِيقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِيرُ،

وفي ذلك نزلت: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا} [الحشر: ٥] الآية"[٢١٤١].

الثاني: أنها نزلت لاختلاف كان من المسلمين في قطعها وتركها.

قال قتادة:" فقطع المسلمون يومئذ النخل، وأمسك آخرون كراهية أن يكون إفسادًا، فقالت اليهود: آلله أذن لكم في الفساد؟ فأنزل الله: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ}"[٢١٤٢].

قال مجاهد:" نهى بعض المهاجرين بعضًا عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه"[٢١٤٣].

روي عن ابن عباس، في قول الله عز وجل: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا} قال: "اللينة النخلة، {وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} قال: استنزلوهم من حصونهم، قال: أمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضا وتركنا بعضا، فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأنزل الله تعالى: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا}"، الآية[٢١٤٤].

الثالث: أنها نزلت لقول اليهود لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إنك كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بالك تقطع نخلنا وتُحرقها؟ فأنزل الله هذه الآية، فأخبرهم أن ما قطع من ذلك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أو ترك، فعن أمر الله فعل.

قال الزجاج:" فأنكر بنو النضير قطع النخل، فأعلم الله - عز وجل - أن ذلك بإذنه القطع والترك جميعا"[٢١٤٥].

قال يزيد بن رومان:" لما نزل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بهم، يعني ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوْه: يا محمد، قد كنت

(٢١٤٠)أخرجه البخاري في المغازي (٤٠٣١) وفي التفسير (٤٨٨٤). وأخرجه مسلم في الجهاد والسير (٢٩/ ١٧٤٦) ص (١٣٦٥) . وأبو داود في الجهاد (٢٦١٥) ، وأخرجه الترمذي في السير (١٥٥٢) وفي التفسير (٣٣٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه النسائي في التفسير (٥٩٣). وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ١٨٨) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن جرير والبيهقي في الدلائل.

(٢١٤١)أخرجه البخاري في الجهاد (٣٠٢١)، ومسلم في الجهاد والسير (٣٠/ ١٧٤٦) ص [واللفظ له]١٣٦٥، وزاد المزي نسبته في تحفة الأشراف (٨٤٥٧) للنسائي في السير في الكبرى. وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٧٢/٢٣). وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ١٨٨) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢١٤٢) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٢١٤٣) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٣.

(٢١٤٤) سنن الترمذي(٣٣٠٣):ص٢٦٢/٥، وقال: " هذا حديث حسن غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن حفص بن غياث، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جبير، مرسلا ولم يذكر فيه عن ابن عباس".

(٢١٤٥) معاني القرآن: ١٤٤/٥.

تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ}"[٢١٤٦].

قال مقاتل:" وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم- أمر بقطع ضرب من النخيل من أجود التمر، يقال له: اللين، شديد الصفرة ترى النواة من اللحى من أجود التمر بغيب فيه الضرس، النخلة أحب إلى أحدهم من وصيف، فجزع أعداء الله لما رأوا ذلك الضرب من النخيل يقطع. فقالوا: يا محمد، أوجدت فيما أنزل الله عليك الفساد في الأرض أو الإصلاح في الأرض، فأكثروا القول ووجد المسلمون ذمامة من قطعهم النخيل خشية أن يكون فسادا، فأنزل الله- تعالى-: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} وكانوا قطعوا أربع نخلات كرام عن أمر النبي- صلى الله عليه وسلم- غير العجوة"[٢١٤٧].

قال الواحدي:" وذلك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير، وتحصنوا في حصونهم، أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فجزع أعداء الله عند ذلك، وقالوا: زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل؟ وهل وجدت فيما زعمت: أنه أنزل عليك، الفساد في الأرض؟ فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم. فوجد المسلمون في أنفسهم من قولهم، وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم: بل اقطعوا. فأنزل الله تبارك وتعالى: {{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} ... الآية، تصديقا لمن نهى عن قطعه، وتحليلا لمن قطعه. وأخبر: أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى "[٢١٤٨].

قال الماوردي:" وفيه دليل على أن كل مجتهد مصيب"[٢١٤٩].

الرابع: ما روي عن الأوزاعي, قال: "أتى النبي صلى الله عليه وسلم يهودي فسأله عن المشيئة, فقال: «المشيئة لله تعالى», قال: فإني أشاء أن أقوم , قال: قد شاء الله أن تقوم " , قال: فإني أشاء أن أقعد , قال: «فقد شاء الله أن تقعد», قال: فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة قال: فقد شاء الله أن تقطعها " قال: فإني أشاء أن أتركها قال: «فقد شاء الله أن تتركها» قال: فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام , فقال: لقنت حجتك كما لقنها إبراهيم عليه السلام قال: ونزل القرآن فقال: {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر : ٥]"[٢١٥٠].

قوله تعالى:{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ} [الحشر : ٥]، أي:" ما قطعتم -أيها المؤمنون- من نخلة أو تركتموها قائمة على ساقها، من غير أن تتعرضوا لها، فبإذن الله وأمره"[٢١٥١].

قال يزيد بن رومان:" أي: فبأمر الله قطعت، ولم يكن فسادًا، ولكن نقمة من الله، وليخزي الفاسقين"[٢١٥٢].

وفي معنى: «اللينة»، أقوال[٢١٥٣]:

أحدها : أن «اللينة»: ما دون العجوة من النخل. قاله عكرمة[٢١٥٤]، وقتادة[٢١٥٥]، والزهري[٢١٥٦]، ويزيد بن رومان[٢١٥٧].

(٢١٤٦) أخرجه الطبري: ٢٧١/٢٣.

(٢١٤٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٧٦/٤-٢٧٧.

(٢١٤٨) أسباب النزول: ٤٣٦-٤٣٧.

(٢١٤٩) النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٢١٥٠) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات(٢٩٦):ص٣٦٧/١، والواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٨، وانظر: الدر المنثور: ٦/ ١٩٢.

(٢١٥١) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢١٥٢) أخرجه الطبري: ٢٧٢/٢٣.

(٢١٥٣) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.

(٢١٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣-٢٧٠.

قال قتادة:" اللينة: ما خلا العجوة من النخل"[٢١٥٨].
قال الزهري:" ألوان النخل كلها إلا العجوة"[٢١٥٩].
قال يزيد بن رومان:" اللينة ما خالف العجوة من التمر"[٢١٦٠].
الثاني : النخلة من أي الأصناف كانت من غير استثناء، العجوة منه وغير العجوة. وهذا قول مجاهد[٢١٦١]، وعمرو بن ميمون[٢١٦٢]، وعطية[٢١٦٣].
قال مجاهد:" نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل، وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه، وتحليل من قطعه من الإثم، وإنما قطعه وتركه بإذنه"[٢١٦٤].
الثالث: أنها العجوة خاصة، قاله جعفر بن محمد[٢١٦٥]، وذكر:" أن العتيق والعجوة كانا مع نوح في السفينة ، والعتيق الفحل ، وكانت العجوة أصل الإناث كلها ولذلك شق على اليهود قطعها"[٢١٦٦].
والصواب من القول في ذلك قول من قال: اللينة: النخلة، وهن من ألوان النخل ما لم تكن عجوة، وإياها عنى ذو الرُّمَّة بقوله[٢١٦٧]:
طِرَاقُ الخَوَافِي وَاقِعٌ فَوْقَ لِيَنَةٍ ... نَدَى لَيْلِهِ فِي رِيشِهِ يَتَرَقْرَقُ"[٢١٦٨].
وفي قراءة عبد الله: «ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على أصوله إلا بإذن الله»[٢١٦٩].
قوله تعالى:{وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} [الحشر : ٥]، أي:" وليُذلَّ بذلك الخارجين عن طاعته المخالفين أمره ونهيه، حيث سلَّطكم على قطع نخيلهم وتحريقها"[٢١٧٠].
قال ابن شهاب:" لتغيظوهم[٢١٧١].
عن ابن شهاب ، قال: "بلغني: أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحْرَق بعضَ أموال بني النَّضِير، فقال قائل:
فهان على سَراةِ بني لؤي ... حريقٌ بالبُوَيْرة مستطير"[٢١٧٢].

القرآن

(٢١٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٥٨) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٥٩) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٦٠) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٦١) انظر: تفسير الطبري: ٢٦٩/٢٣.
(٢١٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.
(٢١٦٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي :٣٧٠/٢١.
(٢١٦٤) أخرجه الطبري: ٢٦٩/٢٣-٢٧٠.
(٢١٦٥) انظر: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.
(٢١٦٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥٠٢/٥.
(٢١٦٧)البيت لذي الرمة (اللسان: ريع) والرواية فيه "ريعه" في موضع "لينة"، وأنشده أبو عبيدة، "مجاز القرآن" ٢/ ٨٨، وفيه: مشرف، بدل: واقع. وأنشده ابن قتيبة، "غريب القرآن" ٣١٨، ونسبه لذي الرمة، وفيه: مشرفاً، بدل: واقع. يصف ذي الرمة نظره كنظر البازي -نوع من الطيور- ومعنى: طراق: بعضه على بعض، والخوافي: ما دون القوادم من جناح الطائر، والرَّيعة: المكان المرتفع، ويترقق: يجيء ويذهب. "ديوان ذي الرمة" ١٧٥.
(٢١٦٨) تفسير الطبري: ٢٧٠/٢٣.
(٢١٦٩) معاني القرآن للفراء: ١٤٤/٣.
(٢١٧٠) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢١٧١) الدر المنثور: ٩٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢١٧٢) الدر المنثور: ٩٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦)} [الحشر : ٦]

التفسير:

وما أفاءه الله على رسوله من أموال يهود بني النضير، فلم تركبوا لتحصيله خيلا ولا إبلا ولكن الله يسلّط رسله على مَن يشاء مِن أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

سبب نزول الآيتين:[٦، ٧]:

قال ابن عباس:" أمر الله عزّ وجلّ نبيه بالسير إلى قريظة والنضير، وليس للمسلمين يومئذ كثير خيل ولا ركاب، فجعل ما أصاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يحكم فيه ما أراد، ولم يكن يومئذ خيل ولا ركاب يوجف بها. قال: والإيجاف: أن يوضعوا السير، وهي لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فكان من ذلك خيبر وَفَدَك وَقُرَى عَرَبَيةٌ، وأمر الله رسوله أن يعد لينبع، فأتاها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فاحتواها كلها، فقال ناس: هلا قسَّمها، فأنزل الله عزّ وجلّ عذره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ}، ثم قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ... الآية"[٢١٧٣].

وحكى الكلبي:" أنها نزلت في رؤساء المسلمين قالوا فيما ظهر عليه رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- من أموال المشركين ، يا رسول الله صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وأنشدوه[٢١٧٤]:

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

فأنزل الله هذه الآية"[٢١٧٥].

قوله تعالى:{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ} [الحشر : ٦]، أي:" وما أعاد الله وردَّه غنيمة على رسوله من أموال يهود بني النضير"[٢١٧٦].

عن يزيد بن رومان: "{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ}، يعني: بني النضير"[٢١٧٧].

وقال الضحاك:" يعني: يوم قريظة"[٢١٧٨].

قوله تعالى:{فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} [الحشر : ٦]، أي:" فلم تركبوا لتحصيله خيلا ولا إبلا"[٢١٧٩].

فل مجاهد:" يذكر ربهم أنه نصرهم، وكفاهم بغير كراع، ولا عدة في قريظة وخيبر، ما أفاء الله على رسوله من قريظة، جعلها لمهاجرة قريش"[٢١٨٠].

قال قتادة:" يقول: ما قطعتم إليها واديا، ولا سرتم إليها سيرا، وإنما كان حوائط لبني النضير طعمة أطعمها الله رسوله، ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "أيما قرية أعطت الله ورسوله، فهي لله ولرسوله، وأيما قرية فتحها المسلمون عنوة فإن لله خمسه ولرسوله وما بقي غنيمة لمن قاتل عليها"[٢١٨١].

(٢١٧٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٤-٢٧٥.

(٢١٧٤)لعبد الله بن عنمة الضبي في: "الأصمعيات" ص ٣٧، "تهذيب اللغة" ٢/ ٣٦٩، ١١/ ٣١٤، ١٢/ ٤١، ٢٤٩، "لسان العرب" ١١/ ٥٢٦ (فضل)، ١٤/ ٤٦٢ (صفا)، "تاج العروس" ٢١/ ٢٠ (نشط).

(٢١٧٥) انظر: النكت والعيون: ٥/٥٠٤.

(٢١٧٦) صفوة التفاسير: ٣/٣٣٠.

(٢١٧٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٤.

(٢١٧٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٥.

(٢١٧٩) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢١٨٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٤.

(٢١٨١) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٣.

قال الزهري:" صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى قد سماها لا أحفظها، وهو محاصر قوما آخرين، فأرسلوا إليه بالصلح، قال:{فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ}، يقول: بغير قتال. قال الزهري: فكانت بنو النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصة لم يفتحوها عنوة، بل على صلح، فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين لم يعط الأنصار منها شيئا، إلا رجلين كانت بهما حاجة"[٢١٨٢].

عن أبي مالك الغفاري: "فأما قول الله: {فَما أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِن خَيْلٍ ولا ركابٍ} قال: لم يسيروا إليهم على خيل ولا ركاب، إنما كانوا في ناحية المدينة، وبَقيتْ قُرَيظة بعدهم عامًا أو عامين على عهدٍ بينهم وبين نبي الله - صلى الله عليه وسلم - ..."[٢١٨٣].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحشر : ٦]، أي:" ولكن الله يسلّط رسله على مَن يشاء مِن أعدائه، فيستسلمون لهم بلا قتال، والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"[٢١٨٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الحشر : ٦]، أي:" والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"[٢١٨٥].

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٢١٨٦].

القرآن

{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧)} [الحشر : ٧]

التفسير:

ما أفاءه الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل فلله ولرسوله، يُصْرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات آباؤهم، والمساكين، وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نَفِدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكًا متداولا بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه الفقراء والمساكين. وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم مِن شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أَخْذه أو فِعْله فانتهوا عنه، واتقوا الله بامتثال أوامره وترك نواهيه. إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه.

قوله تعالى:{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى} [الحشر : ٧]، أي:" ما أفاءه الله على رسوله من أموال مشركي أهل القرى من غير ركوب خيل ولا إبل"[٢١٨٧].

اختلف العلماء في المراد بهذا «الفيء»، على أقوال:

أحدها: عني بذلك الجزية والخراج. به قال ابن شهاب الزُّهريّ[٢١٨٨].

قال ابن شهاب:" بلَغني: أنها الجزية والخَراج"[٢١٨٩].

(٢١٨٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٣-٢٧٤.

(٢١٨٣) الدر المنثور: ٨/٩٤، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢١٨٤) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢١٨٥) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢١٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص١/٥٩.

(٢١٨٧) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢١٨٨) الدر المنثور: ٨/١٠٠، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر. وهو في تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٨٤ ، و الطبري: ٢٣/٢٧٦، من قول معمر.

(٢١٨٩)الدر المنثور: ٨/١٠٠، وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.

الثاني: عنى بذلك الغنيمة التي يصيبها المسلمون من عدوّهم من أهل الحرب بالقتال عنوة. وهذا قول يزيد بن الرومان[٢١٩٠].

عن يزيد بن رومان: "{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ}، ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، وفتح بالحرب عنوة، {فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ}، قال: هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين على ما وضعه الله عليه"[٢١٩١].

الثالث: أنه الغنيمة التي يأخذها المسلمون من أموال الكفار عنوة، وكانت في بدء الإسلام للذين سماهم الله ها هنا دون الغالبين الموجفين عليها، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى في الأنفال: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنفال : ٤١]، الآية. وهذا قول قتادة[٢١٩٢].

قال قتادة:" فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الأنفال، وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر، وكانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس، فأربعة أخماس لمن قاتل عليها، ويقسم الخمس الباقي على خمسة أخماس، فخمس لله وللرسول، وخمس لقرابة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في حياته، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين، وخمس لابن السبيل؛ فلما قضى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وجه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما هذين السهمين: سهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وسهم قرابته، فحملا عليه في سبيل الله صدقة عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢١٩٣].

والصواب من القول في ذلك أن هذه الآية حكمها غير حكم الآية التي قبلها، وذلك أن الآية التي قبلها مال جعله الله عزّ وجلّ لرسوله -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم- خاصة دون غيره، لم يجعل فيه لأحد نصيبًا، وبذلك جاء الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٢١٩٤].

عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: "أرسل إليّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدخلت عليه، فقال: إنه قد حضر أهل أبيات من قومك وإنا قد أمرنا لهم برضخ، فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين مر بذلك غيري، قال: اقبضه أيها المرء فبينا أنا كذلك، إذ جاء يرفأ مولاه، فقال: عبد الرحمن بن عوف، والزبير، وعثمان، وسعد يستأذنون، فقال: ائذن لهم؛ ثم مكث ساعة، ثم جاء فقال: هذا عليّ والعباس يستأذنان، فقال: ائذن لهما؛ فلما دخل العباس قال: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الغادر الخائن الفاجر، وهما جاءا يختصمان فيما أفاء الله على رسوله من أعمال بني النضير، فقال القوم: اقض بينهما يا أمير المؤمنين، وأرح كلّ واحد منهما من صاحبه، فقد طالت خصومتهما، فقال: أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السموات والأرض، أتعلمون أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: "لا نُورَثُ ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ" قالوا: قد قال ذلك؛ ثم قال لهما: أتعلمان أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال ذلك؟ قالا نعم؛ قال: فسأخبركم بهذا الفيء، إن الله خصّ نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بشيء لم يعطه غيره، فقال: {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ}، فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فوالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها دونكم، ولقد قسمها عليكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ينفق على أهله منه سنتهم، ثم يجعل ما بقي في مال الله"[٢١٩٥].

(٢١٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٧٦-٢٧٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢/٦٠٠.
ويزيد بن رومان المدني، مولى آل الزبير، ثقة من الخامسة، مات سنة:١٣٠هـ، وروايته عن أبي هريرة مرسلة. انظر: التقريب (٣٨٢).
(٢١٩١) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٦-٢٧٧.
(٢١٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢٧٧، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ٢/٦٠٠.
(٢١٩٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٧.
(٢١٩٤) تفسير الطبري: ٢٣/٢٧٧-٢٧٨.
(٢١٩٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٧٨-٢٧٩.

قوله تعالى: {فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} [الحشر : ٧]، أي:" يُصْرف في مصالح المسلمين العامة، ولذي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، واليتامى وهم الأطفال الفقراء الذين مات آباؤهم، والمساكين، وهم أهل الحاجة الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، وابن السبيل، وهو الغريب المسافر الذي نَفِدت نفقته وانقطع عنه ماله؛ وذلك حتى لا يكون المال ملكًا متداولا بين الأغنياء وحدهم، ويحرم منه الفقراء والمساكين"[٢١٩٦].

عن علي بن الحسين، قال :" روى لنا الثقة أن عمر بن عبد العزيز، قال: دخلت آية الفيء في آية الغنائم، قال أحمد بن شبويه هذا أشبه من قول قتادة، وسورة الحشر نزلت بعد الأنفال بسنة فمحال أن ينسخ ما قبل ما بعد"[٢١٩٧].

عن ليث بن أبي رقية، قال:" كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمراء الأجناد، أن سبيل الخمس سبيل الفيء"[٢١٩٨].

قال قتادة:" كان الفيء بين هؤلاء، فنَسَختْها الآية التي في الأنفال، فقال: {واعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وللِرَّسُولِ ولِذِي القُرْبى واليَتامى والمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال: ٤١] فنَسَختْ هذه الآيةُ ما كان قبلها في سورة الحشر، فجعل الخُمس لِمَن كان له الفيء، وصار ما بقي من الغنيمة لسائر الناس لِمَن قاتل عليها"[٢١٩٩].

عن سعيد بن المسيّب، قال: "قَسَم عمر ذات يوم قَسمًا مِن المال، فجعلوا يُثْنُون عليه، فقال: ما أحمقكم! لو كان لي ما أعطيتُكم منه درهمًا"[٢٢٠٠].

عن الحسن البصري، قال: "كتب عمر إلى حُذيفة: أنْ أعطِ الناس أعْطِيَتَهم وأرزاقهم. فكتب إليه: إنّا قد فعلنا، وبقي شيءٌ كثير. فكتب إليه عمر: إنّه فَيْئُهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لِعمر، ولا لآل عمر، اقسِمه بينهم"[٢٢٠١].

عن عبد الله بن أبي نَجِيح، قال: "المال ثلاثة: مَغنم، أو فيء، أو صدقة، فليس منه دِرهم إلا بيّن الله موضعه"[٢٢٠٢].

قوله تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر : ٧]، أي:" . وما أعطاكم الرسول من مال، أو شرعه لكم مِن شرع، فخذوه، وما نهاكم عن أخْذه أو فِعْله فانتهوا عنه"[٢٢٠٣].

عن الحسن:"{وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} قال: مِن الفَيْء، {وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا} قال: مِن الفيء"[٢٢٠٤].

قال الحسن:" يؤتيهم الغنائم ويمنعهم الغلول"[٢٢٠٥].

عن مسروق قال : "جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة، أشيء وجدته في كتاب الله أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : بلى، شيء وجدته في كتاب الله

(٢١٩٦) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢١٩٧) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٦٠٢/٢.
(٢١٩٨) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ٦٠٢/٢.
(٢١٩٩)أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٧٠٣). وذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٦٧ - ٣٦٨ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٢٠٠)أخرجه البيهقي في سننه ٦/ ٣٥٨. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٢٠١)أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٩٩.
(٢٢٠٢) الدر المنثور: ١٠٣/٨، وعزاه إلى أبي داود في ناسخه.
(٢٢٠٣) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٠٤) الدر المنثور: ١٠٤/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق، وابن المنذر.
(٢٢٠٥) أخرجه الطبري: ٢٨٠/٢٣.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول!. قال : فما وجدت فيه :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} ؟ قالت : بلى. قال : فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة. قالت : فلعله في بعض أهلك. قال : فادخلي فانظري. فدخلت فَنَظرت ثم خرجَت، قالت : ما رأيتُ بأسا. فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح :{وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ}"[٢٢٠٦].

عن أبي هُرَيرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه"[٢٢٠٧].

عن ابن عُمَر وابن عباس : "أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن الدُّباء والحَنْتَم والنَّقير والمزَفَّت، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم :{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}"[٢٢٠٨].

عن الهيثم بن عمران العبسيّ، قال: سمعت إسماعيل بن عبيد الله، يقول: "ينبغي لنا أن نحفظ ما جاءنا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإنّ الله يقول: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}، فهو عندنا بمنزلة القرآن"[٢٢٠٩].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ٧]، أي:" واتقوا الله بامتثال أوامره وترك نواهيه"[٢٢١٠].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٢٢١١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر : ٧]، أي:" إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره ونهيه"[٢٢١٢].

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"[٢٢١٣].

القرآن

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)} [الحشر : ٨]

التفسير:

وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرون، الذين اضطرهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم يطلبون من الله أن يتفضل عليهم بالرزق في الدنيا والرضوان في الآخرة، وينصرون دين الله ورسوله بالجهاد في سبيل الله، أولئك هم الصادقون الذين صدَّقوا قولهم بفعلهم.

قوله تعالى:{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ} [الحشر : ٨]، أي:" وكذلك يُعطى من المال الذي أفاءه الله على رسوله الفقراء المهاجرون، الذين اضطرهم كفار «مكة» إلى الخروج من ديارهم وأموالهم"[٢٢١٤].

عن مجاهد: "{مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ}، من قريظة جعلها لمهاجرة قريش"[٢٢١٥].

(٢٢٠٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦٧/٨.

(٢٢٠٧)صحيح البخاري برقم (٧٢٨٨) وصحيح مسلم برقم (١٣٣٧).

(٢٢٠٨)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٥٧٨).

(٢٢٠٩)أخرجه المروزي في السنة ص ١٠٥ (١٠٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٨/ ٤٣٦.

(٢٢١٠) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢٢١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(٢٢١٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥):ص٣٤٥/١.

(٢٢١٤) التفسير الميسر: ٥٤٦.

قال قتادة:" هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، خرجوا حبًا لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما فيه من الشدّة، حتى لقد ذكر لنا أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتاء ماله دثار غيرها"(٢٢١٦).

عن سعيد بن جُبَير، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبْزى، قالا: "كان ناس من المهاجرين لأحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحجّ عليها ويغزو، فنسبهم الله إلى أنهم فقراء، وجعل لهم سهمًا في الزكاة"(٢٢١٧).

قال عمر بن عبدالعزيز:" وجدتُ المالَ قُسِم بين هذه الثلاثة الأصناف؛ المهاجرين، والأنصار، والذين جاؤوا من بعدهم(٢٢١٨). وروي عن الحسن مثله(٢٢١٩).

القرآن

{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)} [الحشر : ٩]

التفسير:

والذين استوطنوا «المدينة» ، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين -وهم الأنصار- يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره، ويُقَدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِم من البخل ومَنْع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم.

في سبب نزول الآية، قولان:

أحدهما: عن أبي هريرة -رضي الله عنه-:" أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث إلى نسائه، فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يضم أو يضيف هذا»، فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ما عندنا إلا قوت صبياني، فقال: هيئي طعامك، وأصبحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فهيأت طعامها، وأصبحت سراجها، ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضحك الله الليلة، أو عجب، من فعالكما»، فأنزل الله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩]"(٢٢٢٠).[صحيح]

الثاني: عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال: "أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: «إن أخي فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا» قال: فبعث إليه فلم يزل يبعث إليه واحدا إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأول فنزلت: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: ٩]"(٢٢٢١).[ضعيف]

(٢٢١٥) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٢٢١٦) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٢٢١٧) أخرجه الطبري: ٢٨١/٢٣.

(٢٢١٨)أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٥٢.

(٢٢١٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٢/ ٣٥٢.

(٢٢٢٠)أخرجه البخاري في المناقب (٣٧٩٨)، وفي التفسير (٤٨٨٩). وأخرجه مسلم في الأشربة (١٧٢، ١٧٣/ ٢٠٥٤) ص ١٦٢٤، ١٦٢٥. وأخرجه الترمذي في التفسير (٣٣٠٤) . والنسائي في التفسير (٦٠٢).

(٢٢٢١)إسناده ضعيف: عبيد الله بن الوليد ضعيف [تقريب ١/ ٥٤٠] و [المجروحين ٢/ ٦٣] .

والحديث أخرجه الحاكم (٣٧٩٩):ص٥٢٦/٢، وصححه، وتعقبه الذهبي بقوله: " عبيد الله بن الوليد ضعفوه. وأخرجه الواحدي في "أسباب النزول": ٤٣٩، وعزاه السيوطي في الدر (٦/ ١٩٥) للحاكم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [الحشر : ٩]، أي:" والذين استوطنوا «المدينة» ، وآمنوا من قبل هجرة المهاجرين -وهم الأنصار-"[٢٢٢٢].

عن مجاهد، في قوله: "{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، وهم الأنصار من قبلهم، من قبل المهاجرين، ثم نعت سخاوة أنفسهم عندما زوى عنهم ذلك [ص:٦٥٣] الفيء، وإيثارهم المهاجرين بذلك الفيء، ولم يصب الأنصار من ذلك الفيء شيئا "[٢٢٢٣].

قال عمر رضي الله عنه: " أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان، من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم: أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم "[٢٢٢٤].

قوله تعالى:{يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ} [الحشر : ٩]، أي:" يحبون المهاجرين، ويواسونهم بأموالهم"[٢٢٢٥].

عن قتادة: "{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا}، يقول: مما أعطوا إخوانهم هذا الحيّ من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد والمسجد، قبل قدوم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأوّلتان من هذه الآية، أخذتا بفضلهما، ومضتا على مَهَلهما، وأثبت الله حظهما في الفيء"[٢٢٢٦].

عن أبي هريرة قال : "قالت الأنصار : اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل. قال : لا. فقالوا : تكفونا المؤنَة ونَشرككُم في الثمرة ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا"[٢٢٢٧].

قوله تعالى:{وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا} [الحشر : ٩]، أي:" ولا يجدون في أنفسهم حسدًا لهم مما أُعْطوا من مال الفيء وغيره"[٢٢٢٨].

عن الحسن، في قوله: "{وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا}، قال: الحسد"[٢٢٢٩].

عن الحسن: «حَاجَةً فِي صُدُورِهِمْ»، قال: حسدًا في صدورهم"[٢٢٣٠].

عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر:" أنه حدّث أنّ بني النضير خَلَّوا الأموال لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فكانت النضير لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خاصة، يضعها حيث يشاء، فقسمها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على المهاجرين الأوّلين دون الأنصار، إلا أن سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سمِاك بن خَرَشَة ذكرا فقرا، فأعطاهما رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٢٣١].

قوله تعالى:{وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر : ٩]، أي:" ويُقَدِّمون المهاجرين وذوي الحاجة على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر"[٢٢٣٢].

عن الحسن: {ولو كان بهم خصاصة} [الحشر: ٩] ، يعني: «فاقة»"[٢٢٣٣].

حكي عن وهيب بن الورد أنه قال: "يقول الله تعالى: «وعزتي وعظمتي وجلالي، ما من عبد آثر هواي على هواه إلا قللت همومه وجمعت عليه ضيعته، ونزعت الفقر من قلبه، وجعلت الغنى بين عينيه،

(٢٢٢٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٢٣) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٣.
(٢٢٢٤) صحيح البخاري(٤٨٨٨):ص١٤٨/٦.
(٢٢٢٥) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٢٦) أخرجه الطبري: ٢٨٢/٢٣.
(٢٢٢٧)صحيح البخاري برقم (٢٣٢٥).
(٢٢٢٨) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٢٩) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٣.
(٢٢٣٠) أخرجه الطبري: ٢٨٤/٢٣.
(٢٢٣١) أخرجه الطبري: ٢٨٣/٢٣.
(٢٢٣٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٣٣) تفسير مجاهد: ٦٥٣.

واتجرت له من وراء كل تاجر. وعزتي وجلالي، ما من عبد آثر هواه على هواي إلا كثرت همومه، وفرقت عليه ضيعته، ونزعت الغنى من قلبه، وجعلت الفقر بين عينيه، ثم لا أبالي في أي واد هلك»[٢٢٣٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر : ٩]، أي:" ومن سَلِم من البخل ومَنْع الفضل من المال فأولئك هم الفائزون الذين فازوا بمطلوبهم"[٢٢٣٥].

عن سعيد بن جُبَير، في قوله: "{ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ}، قال: إدخال الحرام، ومَنع الزكاة"[٢٢٣٦].

عن طاووس بن كيسان، قال: "البُخل: أن يَبخل الإنسان بما في يديه، والشُّح: أن يَشِحّ على ما في أيدي الناس"[٢٢٣٧].

قال ابن وهب: "وسمعت الليث بن سعد قال: الشح: ترك الفرائض، وانتهاك المحارم، وا [...] المال"[٢٢٣٨].

عن أبي الشعثاء، عن أبيه، قال: "أتى رجل ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ}، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذاك بالشحّ الذي ذكر الله في القرآن، إنما الشحّ أن تأكل مال أخيك ظلمًا، ذلك البخل، وبئس الشيء البخل"[٢٢٣٩].

عن أبي الهياج الأسدي، قال: "كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلا يقول: اللهمّ قني شحّ نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئًا، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف"[٢٢٤٠].

وفي قراءة أبى حيوة وابن أبى عبلة :«ومن يوق شح نفسه»، بكسر الشين، ورفعها الأغلب في قراءة[٢٢٤١].

القرآن

{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)} [الحشر : ١٠]

التفسير:

والذين جاؤوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حسدًا وحقدًا لأحد من أهل الإيمان، ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} [الحشر : ١٠]، أي:" والذين جاؤوا من المؤمنين من بعد الأنصار والمهاجرين الأولين"[٢٢٤٢].

عن السدي:" أنهم الذين هاجروا بعد ما قوي الإسلام"[٢٢٤٣].

قال مجاهد:" هم الذين أسلموا نعتوا أيضا منهم عبد الله بن نبتل، وأوس بن قيظي"[٢٢٤٤].

(٢٢٣٤) نقلا عن: تفسير التستري: ١٦٥-١٦٦.

(٢٢٣٥) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢٢٣٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٦٩ - . وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٢٢٣٧) الدر المنثور: ١٠٧/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢٢٣٨)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع ٢/ ١٥٨ (٣٢٦)، وما بين المعقوفين كذا ورد فيه.

(٢٢٣٩) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٣-٢٨٧، ورواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٧٢/٨

(٢٢٤٠) أخرجه الطبري: ٢٨٦/٢٣.

(٢٢٤١) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٦١/٣، والبحر المحيط: ٨/ ٢٤٧.

(٢٢٤٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

(٢٢٤٣) انظر: النكت والعيون: ٥٠٧/٥.

عن ابن أبي ليلى، قال: "كان الناس على ثلاث منازل: المهاجرون الأوَّلون: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة"(٢٢٤٥).

وروى مصعب بن سعد قال : "الناس على ثلاثة منازل ، فمضت منزلتان وبقيت الثالثة : فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت"(٢٢٤٦).

عن الزهري قال : "قال عمر، رضي الله عنه :{وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ} قال الزهري : قال عمر : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، قُرى عربية : فَدَك وكذا وكذا، فما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل وللفقراء الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم، {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ} فاستوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق - قال أيوب : أو قال : حظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم"(٢٢٤٧).

قوله تعالى:{يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر : ١٠]، أي:" يقولون: ربنا اغفر لنا ذنوبنا، واغفر لإخواننا في الدين الذين سبقونا بالإيمان"(٢٢٤٨).

قال الضحاك:" أُمروا بالاستغفار لهم، وقد عَلِم ما أحدثوا"(٢٢٤٩).

قال قتادة:" إنما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولم يؤمروا بسبهم، وذكر لنا أن غلامًا لحاطب بن أبي بلتعة جاء نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: يا نبيّ الله ليدخلن حاطب في حيّ النار، قال: "كذبت إنه شهد بدرًا والحُديبية" وذُكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أغلظ لرجل من أهل بدر، فقال نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ لَعَلَّه قَدْ شَهِدَ مَشْهَدًا اطَّلَعَ اللهُ فِيهِ إلى أَهْلِهِ، فأَشْهَدَ مَلائِكَتَهُ إني قَدْ رَضِيتُ عَنْ عِبَادِي هَؤُلاءِ، فَلْيَعْمَلُوا ما شَاءُوا" فما زال بعضُنا منقبضا من أهل بدر، هائبًا لهم، وكان عمر رضي الله عنه يقول: وإلى أهل بدر تهالك المتهالكون، وهذا الحيّ من الأنصار، أحسن الله عليهم الثناء"(٢٢٥٠).

قوله تعالى:{وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر : ١٠]، أي:" ولا تجعل في قلوبنا حسدًا وحقدًا لأحد من أهل الإيمان"(٢٢٥١).

عن الأعمش أنه قرأ: (رَبَّنا لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبنا غِمْرًا لِّلَّذِينَ آمَنُواْ)(٢٢٥٢).

عن علي بن الحسين بن علي -من طريق ابنه محمد- قال: "جلس إليَّ قومٌ مِن أهل العراق، فذكروا أبا بكر وعمر، فمَسُّوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان، فقلت لهم: أخبروني؛ أنتم من المهاجرين {الذين أخرجوا من ديارهم} إلى قوله: {أولئك هم الصادقون}؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قال: فأنتم مِن الذين قال الله - عز وجل - : {والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم} إلى قوله: {أولئك هم المفلحون}؟ قالوا: لا، لسنا منهم. قال: فقلت لهم: وأما أنتم فقد تبرّأتم وشهدتم وأقررتم أن تكونوا منهم، وأنا أشهد أنكم لستم من الفرقة الثالثة الذين قال الله تعالى: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا

(٢٢٤٤) تفسير مجاهد: ٦٥٣، وأخرجه الطبري: ٢٣/٢٨٧-٢٨٨. [مختصرا]
(٢٢٤٥) أخرجه الطبري: ٢٣/١٨٨.
(٢٢٤٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥/٥٠٧.
(٢٢٤٧)) سنن أبي داود برقم (٢٩٦٦).
(٢٢٤٨) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٤٩) الدر المنثور: ٨/١١٤، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٢٥٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٨٧-٢٨٨.
(٢٢٥١) التفسير الميسر: ٥٤٦.
(٢٢٥٢) الدر المنثور: ٨/١٠٢، وعزاه إلى عبد بن حميد.

بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم}، قوموا عنِّي، لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام، ولستم مِن أهله"[٢٢٥٣].

وروي:" أن رجلا جاء إلى مالك بن أنس فجعل يقع في جماعة من الصحابة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم، فقال له: أنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم؟ قال: لا. قال: أنت من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قال: لا. فقال: أشهد أنك لست من الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان"[٢٢٥٤].

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة : أن الرافضي الذي يسبّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم :{رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}[٢٢٥٥].

عن عائشة قالت : "أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فسببتموهم. سمعتُ نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها»"[٢٢٥٦].

وعن ابن عباس، أنه قال: "ليس لمن يقع في الصحابة ويذكرهم بالسوء في الفيء نصيب، وتلا هذه الآيات الثلاث"[٢٢٥٧].

وروي:" أن عمر بن عبد العزيز سئل عما جرى بين الصحابة من القتال وسفك الدماء فقال: تلك دماء طهر الله يدي عنها، فلا أحب أن أغمس لساني فيها"[٢٢٥٨].

قال أبو موسى الاشعري:" وأجمعوا على الكف عن ذكر الصحابة - عليهم السلام - إلا بخير ما يذكرون به، وعلى أنهم أحق أن ينشر محاسنهم، ويلتمس لأفعالهم أفضل المخارج، وأن نظن بهم أحسن الظن، وأحسن المذاهب ممتثلين في ذلك لقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[٢٢٥٩]. وقال أهل العلم :معنى ذلك لا تذكروهم إلا بخير الذكر"[٢٢٦٠].

فذهب أهل السنة والجماعة إلى ما ذكره الأشعري عن صحابة النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - قال الإمام أحمد: "ومن الحجة الواضحة الثابتة البيّنة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث، مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة"[٢٢٦١].

قوله تعالى:{رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر : ١٠]، أي:" ربنا إنك ترحم عبادك رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم"[٢٢٦٢].

(٢٢٥٣)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٨٩.

(٢٢٥٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٢٢٥٥) تفسير ابن كثير: ٧٣/٨.

(٢٢٥٦) رواه البغوي في معالم التنزيل للبغوي (٠٨/٨) وله شاهد في صحيح مسلم برقم (٣٠٢٢) عن عروة قال : قالت لي عائشة : "يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم".

(٢٢٥٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٢٢٥٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٣/٥.

(٢٢٥٩)الحديث أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود.

انظر المعجم الكبير ٢٤٤/١٠، وقال المناوي: "قال الحافظ العراقي في سنده ضعيف، وقال الهيثمي فيه يزيد ابن ربيعة ضعيف، وقال ابن رجب: روي من وجوه في أسانيدها مقال" انظر فيض القدير ٣٤٨/١، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير وحكم له بالصحة. انظر ٢٠٩/١، وقال في سلسلة الأحاديث الصحيحة: روي من حديث ابن مسعود وثوبان وابن عمر وطاوس مرسلاً وكلها ضعيفة الأسانيد ولكن بعضها يشد بعضاً. انظر ٤٢/١.

(٢٢٦٠)رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: ١٧٢.

(٢٢٦١)رسالة السنة ص٧٧، ٧٨.

(٢٢٦٢) التفسير الميسر: ٥٤٦.

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"[٢٢٦٣].
قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٢٢٦٤].

القرآن
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١)} [الحشر : ١١]
التفسير:
ألم تنظر إلى المنافقين، يقولون لإخوانهم في الكفر من يهود بني النضير: لئن أخرجكم محمد ومَن معه مِن منازلكم لنخرجن معكم، ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا سألنا خِذْلانكم أو ترك الخروج معكم، ولئن قاتلوكم لنعاوننكم عليهم؟ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما وعدوا به يهود بني النضير.
سبب النزول:
قال السدي: " قد أسلم ناس من أهل قريظة والنضير وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: لئن أخرجتم لنخرجن معكم. فنزلت فيهم هذا الآية: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ}، الآية"[٢٢٦٥].
قال مقاتل:" أنزل في دس المنافقين إلى اليهود أنا معكم في النصر والخروج فقال:
{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا}، نزلت في عبد الله بن نتيل، وعبد الله بن أبى رافع ابن يزيد، كلهم من الأنصار، {يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ «الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ} من اليهود، منهم: حيي بن أخطب، وجدي وأبو ياسر، ومالك ابن الضيف، وأهل قريظة، {لَئِنْ أُخْرِجْتُم} لئن أخرجكم محمد من المدينة كما أخرج أهل النضير، {لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً}، يقول: لا نطيع في خذلانكم أحدا أبدا، يعني بـ«أحد»: النبي- صلى الله عليه وسلم- وحده"[٢٢٦٦].
قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا} [الحشر : ١١]، أي:" ألا تعجب يا محمد من شأن هؤلاء المنافقين الذين أظهروا خلاف ما أضمروا؟"[٢٢٦٧].
قال الحسن:" يعني: قُرَيظة، والنَّضِير"[٢٢٦٨].
قال مجاهد:" يعني: عبد الله بن أبي ابن سلول ورفاقه"[٢٢٦٩].
قال مجاهد:" عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ورفاعة أو رافعة بن تابوت. وقال الحارث: رفاعة بن تابوت، ولم يشكّ فيه، وعبد الله بن نَبْتَل، وأوس بن قَيْظِيّ"[٢٢٧٠].

القرآن
{لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤)} [الحشر : ١٣ - ١٤]
التفسير:

(٢٢٦٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٢٢٦٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣
(٢٢٦٥) الدر المنثور: ١١٥/٨، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٥٨):ص٣٣٤٧/١٠. [مختصرا]
(٢٢٦٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٨٠/٤.
(٢٢٦٧) صفوة التفاسير: ٣٣٤/٣.
(٢٢٦٨)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٧٠ -.
(٢٢٦٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٣.
(٢٢٧٠) أخرجه الطبري: ٢٨٩/٢٣.

لخوفُ المنافقين وخشيتهم إياكم -أيها المؤمنون- أعظم وأشد في صدورهم من خوفهم وخشيتهم من الله؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله والإيمان به، ولا يرهبون عقابه. لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الحيطان التي يتسترون بها؛ لجبنهم وللرعب الذي تمكن من قلوبهم، عداوتهم فيما بينهم شديدة، تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة؛ وذلك بسبب أنهم قوم لا يعقلون أمر الله ولا يتدبرون آياته.

قوله تعالى:{لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ} [الحشر : ١٤]، أي:" لا يواجهكم اليهود بقتال مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الحيطان التي يتسترون بها؛ لجبنهم وللرعب الذي تمكن من قلوبهم"[٢٢٧١].

وقرئت: «أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ»، - على الوَاحِد – وقُرئت: بتسكين الدال[٢٢٧٢].

قوله تعالى:{بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ} [الحشر : ١٤]، أي:" عداوتهم فيما بينهم شديدة"[٢٢٧٣].

قال مجاهد: "يعني" أنهم يقولون فيما بينهم: لنفعلن كذا ولنفعلن كذا"[٢٢٧٤].

قوله تعالى:{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر : ١٤]، أي:" تظن أنهم مجتمعون على كلمة واحدة، ولكن قلوبهم متفرقة"[٢٢٧٥].

قال إبراهيم النخعي : "يعني : أهل الكتاب والمنافقين"[٢٢٧٦]. وروي عن أبي مِجْلَز نحوه[٢٢٧٧].

عن مجاهد، قوله: "{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى}، قال: المنافقون يخالف دينهم دين النضير"[٢٢٧٨].

قال مجاهد:" هم المنافقون وأهل الكتاب"[٢٢٧٩]. وفي رواية:" المشركون وأهل الكتاب"[٢٢٨٠].

قال قتادة:" تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحقّ"[٢٢٨١].

وفي قراءة عبد الله: «وقلوبهم أشتُّ»، بمعنى: أشدّ تشتتًا، أي: أشدّ اختلافًا[٢٢٨٢].

القرآن

{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)} [الحشر : ١٥]

التفسير:

مثل هؤلاء اليهود فيما حلَّ بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر» ، ويهود بني قينقاع، حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع.

قوله تعالى:{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} [الحشر : ١٥]، أي:" مثل هؤلاء اليهود فيما حلَّ بهم من عقوبة الله كمثل كفار قريش يوم «بدر»، ويهود بني قينقاع"[٢٢٨٣].

وفي قوله تعالى:{كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا} [الحشر : ١٥]، أقوال:

(٢٢٧١) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(٢٢٧٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ١٤٨/٥.
(٢٢٧٣) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(٢٢٧٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠٥/٥.
(٢٢٧٥) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(٢٢٧٦)أخرجه أبو إسحاق الفزاري في سيره ٢٠٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٢٢٧٧)أخرجه أبو إسحاق الفزاري في سيره ٢٠٥.
(٢٢٧٨) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.
(٢٢٧٩) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.
(٢٢٨٠) أخرجه الطبري: ٢٩٣/٢٣.
(٢٢٨١) أخرجه الطبري: ٢٩٢/٢٣.
(٢٢٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.
(٢٢٨٣) التفسير الميسر: ٥٤٧.

أحدها : أنهم كفار قريش الذين قتلوا يوم بدر، فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا وقهروا. قاله مجاهد[٢٢٨٤]، وقتادة[٢٢٨٥]، والسدي[٢٢٨٦].
الثاني : أنهم بنو النضير الذين أجلوا من الحجاز إلى الشام ، قاله قتادة[٢٢٨٧].
الثالث : أنهم بنو قينُقاع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير وكانوا مثلا لهم. قاله قتادة[٢٢٨٨]، وابن إسحاق[٢٢٨٩].

والصواب أن يقال في هذا: إن الآية عامة، وهؤلاء جميعًا ممن كان قبلهم[٢٢٩٠]، وكلّ أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم، ولم يخصص الله عز وجلّ منهم بعضًا في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض، وكلّ ذائق وبال أمره، فمن قربت مدته منهم قبلهم، فهم ممثلون بهم فيما عُنُوا به من المثل[٢٢٩١].

قوله تعالى:{ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ} [الحشر : ١٥]، أي:" حيث ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا"[٢٢٩٢].

قال مجاهد: يعني: «كفار قريش يوم بدر»[٢٢٩٣].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الحشر : ١٥]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع"[٢٢٩٤].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٢٩٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٢٩٦].

القرآن

{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦)} [الحشر : ١٦]

التفسير:

ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووَعْدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زيَّن للإنسان الكفر ودعاه إليه، فلما كفر قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى:{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} [الحشر : ١٦]، أي:" ومثل هؤلاء المنافقين في إغراء اليهود على القتال ووَعْدهم بالنصر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمثل الشيطان حين زيَّن للإنسان الكفر ودعاه إليه"[٢٢٩٧].

وفي قوله تعالى:{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ} [الحشر : ١٦]، قولان:

(٢٢٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٣/٢٣.
(٢٢٨٥) انظر: المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.
(٢٢٨٦) انظر: النكت والعيون: ٥٠٩/٥.
(٢٢٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٥٩):ص٣٣٤٧/١٠.
(٢٢٨٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٢٢٨٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٧٥/٨.
(٢٢٩٠) إعراب القرآن: ٤٠٢/٣.
(٢٢٩١) تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٣.
(٢٢٩٢) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(٢٢٩٣) تفسير مجاهد: ٦٥٣.
(٢٢٩٤) التفسير الميسر: ٥٤٧.
(٢٢٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٢٩٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٢٩٧) التفسير الميسر: ٥٤٧.

أحدهما: أنه مَثَلٌ ضربه الله تعالى للكافر في طاعة الشيطان، وهو عام في جميع الناس[٢٢٩٨]، قاله مجاهد[٢٢٩٩].

عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- :"{كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ}، قال: عامة الناس"[٢٣٠٠].

الثاني: أنه مثل ضربه الله تعالى لشخص معين، قاله طاووس[٢٣٠١]، وعلى هذا جمهور المفسرين[٢٣٠٢].

عن طاووس بن كيسان -من طريق معمر- قال: "كان رجل من بني إسرائيل ، وكان عابدا وكان ربما داوى المجانين ، وكانت امرأة جميلة أخذها الجنون فجيء بها إليه فتركت عنده فأعجبته فوقع عليها ، فحملت فجاءه الشيطان فقال: إن علم بهذا افتضحت فاقتلها وأرقدها في بيتك ، ففتلها ودفنها ، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها ، فقال: ماتت فلم يتهموه لصلاحه فيهم ورضاه ، فجاءهم الشيطان فقال: إنها لم تمت ولكنه وقع عليها فحملت فقتلها ودفنها ، وهي في بيته في مكان كذا وكذا ، فجاء أهلها فقالوا: ما نتهمك ولكن أخبرنا أين دفنتها ، ومن كان معك؟ ففتشوا بيته فوجدوها حيث دفنها فأخذ فسجن فجاءه الشيطان ، فقال: إن كنت تريد أن أخلصك مما أنت فيه ، وتخرج منه ، فاكفر بالله ، فأطاع الشيطان وكفر فأخذ فقتل فتبرأ منه الشيطان حينئذ ، قال طاوس: " فما أعلم إلا بهذه الآية أنزلت فيه {كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين} [الحشر: ١٦]"[٢٣٠٣].

وقد وردت هذه القصة [٢٣٠٤] عن ابن عباس موقوفا: أخرجه الطبري وابن أبي حاتم، وإسناده واه[٢٣٠٥]، فيه مجاهيل: وعطية العوفي واه. وورد عن علي، أخرجه الطبري وإسناده حسن[٢٣٠٦]. وورد عن

(٢٢٩٨)قال ابن عطية:" ذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن «الشيطان» و «الإنسان» في هذه الآية أسماء جنس لأن العرف أن يعمل هذا شياطين بناس كما يغوي الشيطان الإنسان ثم يفر منه بعد أن يورطه، كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرضوهم على الثبوت ووعدوهم النصر، فلما نشب بنو النضير وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال". [المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥].

(٢٢٩٩)تفسير مجاهد ص ٦٥٣، وأخرجه الطبري: ٢٩٧/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٣٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٧/٢٣.

(٢٣٠١) تفسير عبدالرزاق(٣١٩٣):ص٢٩٩/٣.

(٢٣٠٢) انظر: زاد المسير: ٢٦١/٤.

(٢٣٠٣) تفسير عبدالرزاق(٣١٩٣):ص٢٩٩/٣، وتفسير الطبري: ٢٩٦/٢٣-٢٩٧.

(٢٣٠٤)وهذا شرح قصته:

ذكر أهل التفسير:" أن عابداً من بني إسرائيل كان يقال له: برصيصا تعبَّد في صومعةٍ له أربعين سنة لا يقدر عليه الشيطان، فجمع إبليس يوماً مردة الشياطين، فقال: ألا أحدٌ منكم يكفيني برصيصا، فقال: الأبيض، وهو صاحب الأنبياء: أنا أكفيكه، فانطلق على صفة الرّهبان، فأتى صومعته، فناداه فلم يجبه، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام، ولا يفطر إلا في كل عشرة أيام، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل برصيصا، اطَّلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فناداه: ما حاجتك؟ فقال: إني أحببت أن أكون معك، أقتبس من عملك، وأتأدَّب بأدبك، ونجتمع على العبادة، فقال برصيصا: إني لفي شغل عنك، ثم أقبل على صلاته، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يُقْبِلْ إليه برصيصا أربعين يوماً، ثم انفتل، فرآه يصلي، فلما رأى شدة اجتهاده قال: ما حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له، فصعِد إليه، فأقام معه حولاً لا يفطر إلا كل أربعين يوماً، ولا ينفتل من صلاته إلا في كل أربعين يوماً، وربما زاد على ذلك، فلما رأى برصيصا اجتهاده، أعجبه شأنه وتقاصرت إليه نفسه، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرك ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان يبلغنا عنك غير الذي أرى، فاشتد ذلك على برصيصا، وكره مفارقته، فلما ودَّعه قال له الأبيض: إن عندي دَعَوَاتٍ أعلمكها، يشفي الله بها السقيم، ويعافي بها المبتلي، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة، لأن لي في نفسي شغلاً، فأخاف أن يعلم الناس بهذا، فيشغلوني عن العبادة. فلم يزل به حتى علمه إياها، ثم انطلق إلى إبليس فقال: قد والله أهلكتُ الرجل، فانطلق الأبيض، فتعرَّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبِّب، فقال لأهله: إن بصاحبكم جنوناً فأعالجه؟ قالوا: نعم، فقال لهم: إني لا أقوى على جنِّيِّه، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو له فيعافى فقالوا له: دلّنا. فقال: انطلقوا إلى برصيصا العابد فإن عنده اسم الله الأعظم، فانطلقوا إليه فسألوه فدعا بتلك الكلمات، فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس ذلك، ثم يرشدهم إلى برصيصا، فيُعافَوْن، فلما طال ذلك عليه انطلق إلى جارية من بنات ملوك إسرائيل، لها ثلاثة

ابن مسعود، أخرجه الطبري وإسناده ضعيف[٢٣٠٧]. وورد من وجوه متعددة[٢٣٠٨]، ومصدر ذلك كله كتب الأقدمين، وهذا كله حديث ضعيف، والتفسير الأول هو وجه الكلام-والله أعلم-[٢٣٠٩].

قوله تعالى:{فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦]، أي:" فلما كفر الإنسان، تبرأ منه الشيطان، إني أخاف الله رب الخلق أجمعين"[٢٣١٠].

واختُلِف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة[٢٣١١]، ومجاهد[٢٣١٢].

الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ ، وهذا قول سعيد بن جبير[٢٣١٣]، ومجاهد[٢٣١٤].

الثالث : أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم[٢٣١٥]، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء[٢٣١٦]: هم الروحانيّون.

الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق[٢٣١٧].

إخوة، فخنقها، ثم جاء إليهم في صورة متطبِّب، فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض لها مارد لا يطاق، ولكن سأرشدكم إلى رجل تَدَعونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، قالوا: ومن هو؟ قال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منَّا، وهو أعظم شأناً من ذلك؟! قال: إن قبلها، وإلا فضعوها في صومعته، وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا اليه، فأبى عليهم، فوضعوها عنده. وفي بعض الروايات أنه قال: ضعوها في ذلك الغار، وهو غار إلى جنب صومعته، فوضعوها، فجاء الشيطان فقال له: انزل إليها فامسحها بيدك تعافى، وتنصرف إلى أهلها، فنزل، فلما دنا إلى باب الغار دخل الشيطان فيها، فإذا هي تركض، فسقطت عنها ثيابها، فنظر العابد إلى شيء لم ير مثله حسناً وجمالاً، فلم يتمالك أن وقع عليها، وضرب على أذنه، فجعل يختلف اليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا قد افتُضحت، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب؟! فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها، فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها، ودفنها، ثم رجع إلى صومعته، فأقبل على صلاته إذ جاء إخوتها يسألون عنها، فقالوا: يا برصيصا! ما فعلت أختنا؟ قال: قد جاء شيطانها فذهب بها، ولم أطقه، فصدَّقوه، وانصرفوا. وفي بعض الروايات أنه قال: دعوت لها، فعافاها الله، ورجعتْ اليكم، فتفرَّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسَوْا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه، فقال: ويحك: إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، وبرصيصا خير من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال، وهو لا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر، بمثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا، فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها، فكأنكم اتّهمتموني، فقالوا: لا والله واستحيَوْا، وانصرفوا، فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا، وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا، فحفروا عنها، فرأوها، فقالوا: يا عدوَّ الله لم قتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه، وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أنّ الشيطان عرض له، فقال: تقتلها ثم تكابر، فاعترف، فأمر الملك بِقَتْلِهِ وصَلْبِهِ، فعرض له الأبيض، فقال: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علَّمتك الدعوات، ويحك ما اتّقيت الله في أمانة خنت أهلها، أما استحيَيْتَ من الله؟! ألم يكفك ذلك حتى أقررت ففضحت نفسك وأشباهك بين الناس؟! فإن مِتَّ على هذه الحالة لم تفلح، ولا أحدٌ من نظرائك، قال: فكيف أصنع؟ قال: تطيعني في خصلة حتى أُنجيك، وآخذ بأعينهم، وأُخرجك من مكانك، قال: ما هي؟ قال: تسجد لي، فسجد له، فقال: هذا الذي أردت منك، صارت عاقبة أمرك أن كفرت إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ثم قتل. فضرب الله هذا المثل لليهود حتى غرّهم المنافقون، ثم أسلموهم". [انظر: زاد المسير: ٢٦٢/٤-٢٦٣].

(٢٣٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٣-٢٩٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٦٠):ص٣٣٤٨/١٠.

(٢٣٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٤/٢٣-٢٩٥.

(٢٣٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٩٥/٢٣.

(٢٣٠٨) ورد أيضا عن طاووس، كما سبق-. انظر: فسير عبدالرزاق(٣١٩٣):ص٢٩٩/٣، وتفسير الطبري: ٢٩٦/٢٣-٢٩٧.

(٢٣٠٩) المحرر الوجيز: ٢٩٠/٥.

(٢٣١٠) صفوة التفاسير: ٣٣٥/٣.

(٢٣١١) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٢٣١٢)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

(٢٣١٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.

(٢٣١٤) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.

(٢٣١٥) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢١٣/١.

(٢٣١٦) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.

الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[٢٣١٨].

والظاهر أن{ العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم[٢٣١٩]. والله أعلم.

القرآن

{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧)} [الحشر : ١٧]

التفسير:

فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنهما في النار، ماكثَيْن فيها أبدًا، وذلك جزاء المعتدين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى:{فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا} [الحشر : ١٧]، أي:" فكان عاقبة أمر الشيطان والإنسان الذي أطاعه فكفر، أنهما في النار، ماكثَيْن فيها أبدًا"[٢٣٢٠].

عن سليمان بن مهران الأعمش، أنه كان يقرأ: (فَكانَ عاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُما فِي النّارِ خالِدانِ فِيها)[٢٣٢١].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)} [الحشر : ١٨]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه، ولتتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة، وخافوا الله في كل ما تأتون وما تَذَرون، إن الله سبحانه خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الحشر : ١٨]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٣٢٢].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[٢٣٢٣].

قوله تعالى:{اتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ١٨]، أي:" خافوا الله، واحذروا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه"[٢٣٢٤].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٢٣٢٥].

قوله تعالى:{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر : ١٨]، أي:" ولتتدبر كل نفس ما قدمت من الأعمال ليوم القيامة"[٢٣٢٦].

(٢٣١٧) تفسير الثعلبي:١١٢/١.
(٢٣١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.
(٢٣١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.
(٢٣٢٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٢١) الدر المنثور: ١١٧/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٣٢٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.
(٢٣٢٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

عن قتادة والضحاك: "{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}، يعني: يوم القيامة"[٢٣٢٧].
قال قتادة :" ما زال ربكم يقرّب الساعة حتى جعلها كغد، و«غدٌ»: يوم القيامة"[٢٣٢٨].
قال الحسن:" لم يزل يقربه حتى جعله كالغد"[٢٣٢٩].
عن مالك بن دينار: "مكتوب على باب الجنة: وجدنا ما عملنا، ربحنا ما قدّمنا. خسرنا ما خلفنا"[٢٣٣٠].
قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر : ١٨]، أي:" وخافوا الله في كل ما تأتون وما تَذَرون"[٢٣٣١].
قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٢٣٣٢].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر : ١٨]، أي:" إن الله سبحانه خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وهو مجازيكم عليها"[٢٣٣٣].
عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٢٣٣٤].
عن المنذر ابن جرير، عن أبيه قال : "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال : فجاءه قوم حُفَاة عُراة مُجْتَابي النمار - أو : العَبَاء - مُتَقَلِّدي السيوف عامتهم من مُضَر، بل كلهم من مضر، فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، قال : فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة، فصلى ثم خطب، فقال :{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى آخر الآية :{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء : ١]. وقرأ الآية التي في الحشر :{وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ}تَصَدَّق رجل من دينارِه، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تمره - حتى قال - : ولو بشق تمرة". قال : فجاء رجل من الأنصار بصُرة كادت كفه تَعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه كأنه مُذْهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَن سَنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن يَنقُص من أجورهم شيء، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وِزْرُها ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[٢٣٣٥].

القرآن

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)} [الحشر : ١٩]

التفسير:

ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة، أولئك هم الموصوفون بالفسق، الخارجون عن طاعة الله طاعة ورسوله.

(٢٣٢٦) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٢٧) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٣.
(٢٣٢٨) أخرجه الطبري: ٢٩٩/٢٣.
(٢٣٢٩) نقلا عن: الكشاف: ٥٠٨/٤.
(٢٣٣٠) نقلا عن: الكشاف: ٥٠٨/٤.
(٢٣٣١) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.
(٢٣٣٣) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٣٤) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.
(٢٣٣٥)المسند (٣٥٨/٤) وصحيح مسلم برقم (١٠١٧).

قوله تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ} [الحشر : ١٩]، أي:" ولا تكونوا -أيها المؤمنون- كالذين تركوا أداء حق الله الذي أوجبه عليهم، فأنساهم بسبب ذلك حظوظ أنفسهم من الخيرات التي تنجيهم من عذاب يوم القيامة"(٢٣٣٦).

عن السدي:" {نسوا الله}، قال: تركوا طاعة الله"(٢٣٣٧).

عن نعيم بن نمحة، قال: "كان في خطبة أبي بكر رضي الله عنه: " أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم، فمن استطاع أن ينقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ} [الحشر: ١٩]، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا ما قدموا في أيام سلفهم، وحلوا فيه بالشقوة، والسعادة، أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحففوها بالحوائط، قد صاروا تحت الصخر والآبار، هذا كتاب الله عز وجل لا تفنى عجائبه فاستوصوا به، منه ليوم ظلمة وائتضحوا بسائه وبيانه، إن الله عز وجل أثنى على زكريا، وأهل بيته فقال: {كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠] لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم"(٢٣٣٨).

القرآن

{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)} [الحشر : ٢٠]

التفسير:

لا يستوي أصحاب النار المعذَّبون، وأصحاب الجنة المنعَّمون، أصحاب الجنة هم الظافرون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

قوله تعالى:{لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [الحشر : ٢٠]، أي:" لا يستوي أصحاب النار المعذَّبون، وأصحاب الجنة المنعَّمون"(٢٣٣٩).

عن أبي مالك، قوله: "{أصحاب النار}: يعذبون فيها"(٢٣٤٠).

القرآن

{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)} [الحشر : ٢١]

التفسير:

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه مِن وعد ووعيد، لأبصَرْته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعًا ذليلا متشققًا من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته.

قوله تعالى:{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر : ٢١]، أي:" لو أنزلنا هذا القرآن على جبل من الجبال، ففهم ما فيه مِن وعد ووعيد، لأبصَرْته على قوته وشدة صلابته وضخامته، خاضعًا ذليلا متشققًا من خشية الله تعالى"(٢٣٤١).

(٢٣٣٦) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٣٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٣٢/٦.

(٢٣٣٨) المعجم الكبير للطبراني(٣٩):ص٦٠/١. قال ابن كثير: ٧٨/٨:" هذا إسناد جيد، ورجاله كلهم ثقات، وشيخ حَريز بن عثمان، وهو نعيم بن نمحة، لا أعرفه بنفي ولا إثبات، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ حَريز كلهم ثقات. وقد روي لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر، والله أعلم".

(٢٣٣٩) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٣٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٣٠):ص٩٤/١.

قال الضحاك:" لو أنزلتُ هذا القرآنَ على جبلٍ، فأمرتُه بالذي أمرتُكم به، وخوّفته بالذي خوّفتكم به؛ إذًا لخشع وتصدّع مِن خشية الله، فأنتم أحقّ أن تَخشَعوا وتذلّوا، وتَلين قلوبكم لذكر الله"[٢٣٤٢].

قال قتادة: يعذر الله الجبل الأصمّ، ولم يعذر شقيّ ابن آدم، هل رأيتم أحدًا قط تصدّعت جوانحه من خشية الله"[٢٣٤٣].

قوله تعالى:{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الحشر : ٢١]، أي:" وتلك الأمثال نضربها، ونوضحها للناس؛ لعلهم يتفكرون في قدرة الله وعظمته"[٢٣٤٤].

عن مجاهد :{ولعلهم يتفكرون}، قال: يطيعون"[٢٣٤٥].

عن إدريس بن عبد الكريم الحداد، قال: "قرأتُ على خلف، فلمّا بلَغتُ هذه الآية: {لَوْ أَنْزَلْنا هَذا القُرْآنَ عَلى جَبَلٍ} قال: ضعْ يدَك على رأسِك؛ فإني قرأتُ على سليم، فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك؛ فإني قرأتُ على حمزة، فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك؛ فإني قرأتُ على الأعمش، فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك؛ فإني قرأتُ على يحيى بن وثّاب، فلما بلغتُ هذه الآية قال: ضعْ يدك على رأسك؛ فإني قرأتُ على عَلقمة والأسود، فلما بلغتُ هذه الآية قالا: ضَع يدك على رأسك؛ فإنّا قرأنا على عبد الله، فلما بلَغنا هذه الآية قال: ضَعا أيديكما على رؤوسكما؛ فإني قرأتُ على النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فلما بلغتُ هذه الآية قال لي: «ضعْ يدك على رأسك؛ فإنّ جبريل لما نزل بها إليّ قال لي: ضعْ يدك على رأسك؛ فإنها شفاء مِن كلّ داء إلا السّام». والسام: الموت"[٢٣٤٦].

القرآن

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢)} [الحشر : ٢٢]

التفسير:

هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه، عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر، هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به.

قوله تعالى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الحشر : ٢٢]، أي:" هو الله سبحانه وتعالى المعبود بحق الذي لا إله سواه"[٢٣٤٧].

عن كعب قال:" لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص"[٢٣٤٨].

قال محمد بن إسحاق: "لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٢٣٤٩].

قوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الحشر : ٢٢]، أي:" عالم السر والعلن، يعلم ما غاب وما حضر"[٢٣٥٠].

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٢٣٥١].

(٢٣٤١) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٤٢) الدر المنثور: ١٢١/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٣٤٣) أخرجه الطبري: ٣٠١/٢٣.
(٢٣٤٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٤٥) أخرجه الطبري:٢١١/١٧.
(٢٣٤٦)أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١/ ٣٧٧.
(٢٣٤٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٢٣):ص٥٨٥/٢.
(٢٣٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٣٦):ص٥٧٣٣/٣.
(٢٣٥٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

قوله تعالى:{هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [الحشر : ٢٢]، أي:" هو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، الرحيم بأهل الإيمان به"(٢٣٥٢).

قال عطاء الخراساني:" كان الرحمن ، فلما اختزلَ الرحمن من اسمه كان الرحمنَ الرحيمَ"(٢٣٥٣).

عن سعيد بن جبير:"{الرحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"(٢٣٥٤). وفي رواية:"{رحيما} بهم بعد التوب"(٢٣٥٥).

عن عطاء بن دينار: "{رحيم} بهم بعد التوبة"(٢٣٥٦).

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعباده"(٢٣٥٧).

القرآن

{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣)} [الحشر : ٢٣]

التفسير:

هو الله المعبود بحق، الذي لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة، المنزَّه عن كل نقص، الذي سلِم من كل عيب، المصدِّق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من الآيات البينات، الرقيب على كل خلقه في أعمالهم، العزيز الذي لا يغالب، الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق، المتكبِّر الذي له الكبرياء والعظمة. تنزَّه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته.

قوله تعالى:{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الحشر : ٢٣]، أي:" هو الله المعبود بحق، الذي لا إله إلا هو"(٢٣٥٨).

عن محمد بن إسحاق :"{لا إله إلا هو}، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"(٢٣٥٩).

قوله تعالى:{الْمَلِكُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة"(٢٣٦٠).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٢٣٦١).

(٢٣٥٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٣٥٣) أخرجه الطبري(١٤٩):ص١٣٠/١. وعلق عليه قائلا:" قال الطبري:" أراد عطاء أنه لما تسمَّى به الكذابُ مسيلمة - وهو اختزاله إياه ، يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جلّ ثناؤه أن اسمه " الرحمنُ الرحيمُ " ليفصِل بذلك لعباده اسمَهُ من اسم من قد تسمَّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمَّى أحد " الرحمن الرحيم " ، فيجمع له هذان الاسمان ، غيره جلّ ذكره. وإنما يتسمَّى بعضُ خَلْقه إما رحيما ، أو يتسمَّى رَحمن. فأما " رحمن رحيم " ، فلم يجتمعا قطّ لأحد سواهُ ، ولا يجمعان لأحد غيره، فكأنّ معنى قول عطاء هذا : أن الله جل ثناؤه إنما فَصَل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقِه ، اختلف معناهما أو اتفقا.

والذي قال عطاءٌ من ذلك غيرُ فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جلّ ثناؤه خصّ نفسه بالتسمية بهما معًا مجتمعين، إبانةً لها من خلقه ، ليعرف عبادُه بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون مَنْ سواه من خلقه ، مع مَا في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما".

(٢٣٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.

(٢٣٥٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٢٣٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٧٠٥):ص٢١٥٩/٧.

(٢٣٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٢٣٥٨) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٣٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٤):ص٢٠١٠/٦.

(٢٣٦٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٣٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

قوله تعالى:{الْقُدُّوسُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" المنزَّه عن كل نقص"[٢٣٦٢].
عن قتادة: "{الْقُدُّوسُ}، أي: المبارك"[٢٣٦٣].
قوله تعالى:{السَّلَامُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" الذي سلِم من كل عيب"[٢٣٦٤].
عن قتادة: "{السَّلامَ}: الله السلام"[٢٣٦٥].
عن جابر بن زيد قوله: "{السَّلامَ}، قال: هو الله"[٢٣٦٦].
قوله تعالى:{الْمُؤْمِنُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" المصدِّق رسله وأنبياءه بما أرسلهم به من الآيات البينات"[٢٣٦٧].
عن قتادة: "{الْمُؤْمِنُ}: أمن بقوله أنه حقّ"[٢٣٦٨]. وفي رواية:" آمن بقوله أنه حقّ"[٢٣٦٩]. وفي رواية:" المؤمِنُ مَن آمَن به"[٢٣٧٠].
عن الضحاك: "{الْمُؤْمِنُ}، قال: المصدق، الموقن، آمن الناس بربهم فسماهم مؤمنين، وآمن الربّ الكريم لهم بإيمانهم صدّقهم أن يسمى بذلك الاسم"[٢٣٧١].
قال الحسن:" المؤمن بنفسه قبل إيمان خلْقه، كقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨] الآية"[٢٣٧٢].
عن زيد بن علي، قال: "إنما سمّى نفسه: {الْمُؤْمِنُ}؛ لأنه آمنهم من العذاب"[٢٣٧٣].
قوله تعالى:{الْمُهَيْمِنُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" الرقيب على كل خلقه في أعمالهم"[٢٣٧٤].
وفي تفسير قوله تعالى:{الْمُهَيْمِنُ} [الحشر : ٢٣]، وجهان:
أحدها : معناه: الشاهد على خلقه بأعمالهم، وعلى نفسه بثوابهم ، قاله مجاهد[٢٣٧٥]، وقتادة[٢٣٧٦]، ومنه قول الشاعر[٢٣٧٧]:
شهيد عليَّ الله أني أحبها ... كفى شاهداً رب العباد المهيمن
عن قتادة: "{الْمُهَيْمِنُ}، قال: الشهيد عليه"[٢٣٧٨].
عن قتادة، قوله: "{الْمُهَيْمِنُ}، قال: أنزل الله عزّ وجلّ كتابًا فشهد عليه"[٢٣٧٩].
الثاني : معناه: الأمين ، قاله الحسن[٢٣٨٠]، والضحاك[٢٣٨١].

(٢٣٦٢) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٦٣) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
(٢٣٦٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٦٥) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
(٢٣٦٦) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.
(٢٣٦٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٦٨) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٣-٢٠٣.
(٢٣٦٩) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
(٢٣٧٠)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٨). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٣٧١) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٣.
(٢٣٧٢)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٧٣ -.
(٢٣٧٣) الدر المنثور: ١٢٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٣٧٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٧٧) انظر: النكت والعيون: ٥١٤/٥.
(٢٣٧٨) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٧٩) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٨٠)تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
(٢٣٨١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠٤/٢٣.

الثالث: أن {المُهَيْمِنُ} القاضي. قاله الضحاك-أيضا-[٢٣٨٢]، وسعيد بن المسيب[٢٣٨٣].
الرابع: أن {المُهَيْمِنُ} هو المُجِير. قاله محمد بن كعب القرظي[٢٣٨٤].
قوله تعالى:{الْعَزِيزُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" العزيز الذي لا يغالب"[٢٣٨٥].
عن قتادة: "{الْعَزِيزُ}، أي: في نقمته إذا انتقم"[٢٣٨٦].
قوله تعالى:{الْجَبَّارُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" الجبار الذي قهر جميع العباد، وأذعن له سائر الخلق"[٢٣٨٧].
عن قتادة: "{الْجَبَّارُ}، قال: جَبَرَ خلقه على ما يشاء"[٢٣٨٨].
محمد بن كعب القُرَظيّ، قال: "إنما تسمّى {الجَبّارُ} لأنه يَجبر الخلْقَ على ما أراده"[٢٣٨٩].
عن السدي:" {العَزِيزُ الجَبّارُ} هو الذي يَقهر الناس، ويَجبرهم على ما أراد"[٢٣٩٠].
قوله تعالى:{الْمُتَكَبِّرُ} [الحشر : ٢٣]، أي:" المتكبِّر الذي له الكبرياء والعظمة"[٢٣٩١].
عن قتادة: "{الْمُتَكَبِّرُ}، قال: تكبر عن كلّ شر"[٢٣٩٢].
عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تبارك وتعالى: «العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدة منهما قذفته في جهنم»[٢٣٩٣].
قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الحشر : ٢٣]، أي:" تنزَّه الله تعالى عن كل ما يشركونه به في عبادته"[٢٣٩٤].
عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"[٢٣٩٥].
عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٢٣٩٦].
عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٢٣٩٧].
عن جابر بن زيد، قال: "إن اسم الله الأعظم هو الله، ألم تسمع يقول: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ}"[٢٣٩٨].

القرآن

(٢٣٨٢)تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
(٢٣٨٣)تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
(٢٣٨٤)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٨٧، وجاء عقبه: كما قال: {وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون: ٨٨].
(٢٣٨٥) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٨٦) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٨٧) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٨٨) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٨٩)أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٤٨). وعزاه السيوطي إلى سعيد ابن منصور، وابن المنذر.
(٢٣٩٠)تفسير البغوي ٨/ ٨٧.
(٢٣٩١) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٩٢) أخرجه الطبري: ٣٠٤/٢٣.
(٢٣٩٣) مسند أبي داود(٢٥٠٩):ص١٤٠/٤.
(٢٣٩٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.
(٢٣٩٥)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.
(٢٣٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.
(٢٣٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.
(٢٣٩٨) أخرجه الطبري: ٣٠٥/٢٣.

{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)} [الحشر : ٢٤]

التفسير:

هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته، المصوِّر خلقه كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى، يسبِّح له جميع ما في السموات والأرض، وهو العزيز شديد الانتقام مِن أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه.

قوله تعالى:{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ} [الحشر : ٢٤]، أي:" هو الله سبحانه وتعالى الخالق المقدر للخلق، البارئ المنشئ الموجد لهم على مقتضى حكمته"(٢٣٩٩).

قال عامر الشعبي:" اسم الله الأعظم: الله. ثم قرأ، أو قرأتُ عليه: {هُوَ اللَّهُ الخالِقُ} إلى آخرها"(٢٤٠٠).

قوله تعالى:{الْمُصَوِّرُ} [الحشر : ٢٤]، أي:" المصوِّر خلقه كيف يشاء"(٢٤٠١).

وعن حاطب بن أبى بلتعة أنه قرأ: «البارئ المصوّر»(٢٤٠٢)، بفتح الواو ونصب الراء، أي: "الذي يبرأ المصوّر أي: يميز ما يصوّره بتفاوت الهيئات(٢٤٠٣).

قوله تعالى:{لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الحشر : ٢٤]، أي:" له سبحانه الأسماء الحسنى والصفات العلى"(٢٤٠٤).

عن محمد بن جعفر، قال: "سألتُ أبي جعفر بن محمد الصّادق عن الأسماء التِّسعة والتسعين التي مَن أحصاها دخل الجنة، فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسةٌ أسماء: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك. وفي البقرة ثلاثةٌ وثلاثون اسمًا: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حكيم، يا عليُّ، يا عظيم، يا تواب، يا بصير، يا ولي، يا واسع، يا كافي، يا رءوف، يا بديع، يا شاكر، يا واحد، يا سميع، يا قابض، يا باسط، يا حي، يا قيوم، يا غني، يا حميد، يا غفور، يا حليم، يا إله، يا قريب، يا مجيب، يا عزيز، يا نصير، يا قوي، يا شديد، يا سريع، يا خبير. وفي آل عمران: يا وهّاب، يا قائم، يا صادق، يا باعث، يا مُنعِم، يا مُتَفَضِّل. وفي النساء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا مقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير. وفي الأنعام: يا فاطر، يا قاهر، يا لطيف، يا برهان. وفي الأعراف: يا مُحْيي، يا مُمِيت. وفي الأنفال: يا نِعْمَ المولى، يا نِعْمَ النَّصير. وفي هود: يا حفيظ، يا مجيد، يا ودود، يا فعّالُ لما يريد. وفي الرعد: يا كبير، يا متعال. وفي إبراهيم: يا منّان، يا وارث. وفي الحِجْر: يا خَلّاق. وفي مريم: يا فَرْد. وفي طه: يا غفّار. وفي قد أفلح: يا كريم. وفي النور: يا حقُّ، يا مبين. وفي الفرقان: يا هادي. وفي سبأ: يا فتّاح. وفي الزمر: يا عالم. وفي غافر: يا غافر، يا قابِلَ التَّوْبِ، يا ذا الطَّول، يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزّاق، يا ذا القُوَّة، يا متين. وفي الطور: يا بَرُّ. وفي اقتربت: يا مليك، يا مقتدر. وفي الرحمن: يا ذا الجلال والإكرام، يا ربَّ المَشْرِقَيْن، يا ربَّ المَغْرِبَيْن، يا باقي، يا مهيمن. وفي الحديد: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن. وفي الحشر: يا ملك، يا قُدُّوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبّار، يا متكبِّر، يا خالق، يا بارئُ، يا مصوِّر. وفي البروج: يا مُبْدِئُ، يا معيد. وفي الفجر: يا وتر. وفي الإخلاص: يا أحد، يا صمد"(٢٤٠٥).

(٢٣٩٩) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٤٠٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٥/ ١٩٢ - ١٩٣ (٢٩٩٨٠).

(٢٤٠١) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٤٠٢) انظر: الكشاف: ٥١٠/٤.

(٢٤٠٣) الكشاف: ٥١٠/٤.

(٢٤٠٤) التفسير الميسر: ٥٤٨.

(٢٤٠٥) الدر المنثور: ٦١٥/٣-٦١٦، وعزاه إلى أبي نعيم.

عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر"[٢٤٠٦].

وفي رواية: "إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة[٢٤٠٧]"[٢٤٠٨].

وفي رواية الترمذي قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة، هُوَ اللهُ الَّذي لا إلهَ إلا هو: الرَّحْمنُ، الرَّحِيمُ، المَلِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المُؤمِنُ، المُهَيْمِنُ، العَزِيزُ، الجَبَّارُ، المُتَكَبِّرُ، الخَالِقُ، البَارِئُ، المُصَوِّرُ، الغَفَّارُ، القَهَّارُ، الوهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الفَتَّاحُ، العَلِيمُ، القابضُ، البَاسِطُ، الخَافِضُ، الرَّافِعُ، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السَّمِيعُ، البصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللَّطِيفُ، الخَبِيْرُ، الحليمُ، العَظِيمُ، الغَفُورُ، الشَّكُورُ، العَلِيُّ، الكَبِيرُ، الحَفِيظُ، المُقيتُ، الحَسِيبُ، الجَلِيلُ، الكريمُ، الرَّقِيبُ، المُجيبُ، الوَاسِعُ، الحَكِيمُ، الوَدُودُ، المَجِيدُ، البَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الحَقُّ، الوَكِيلُ، القَوِيُّ، المَتِينُ، الوَلِيُّ، الحَمِيدُ، المُحصي، المُبدِىءُ، المُعِيدُ، المُحْيِي، المُميتُ، الحَيُّ، القَيُّومُ، الوَاجِدُ، الماجد، الوَاحِدُ، الأحَدُ، الصَّمَدُ، القَادِرُ، المُقْتَدِرُ، المُقَدِّمُ، المُؤخِّر، الأوَّلُ، الآخرُ، الظَّاهِرُ، البَاطِنُ، الوالي، المُتعال، البَرُّ، التَّوَّابُ، المُنتَقِمُ، العَفُوُّ، الرَّؤوفُ، مَالِكُ المُلْكِ، ذُو الجَلالِ والإكرَام، المُقْسِطُ، الجَامِعُ، الغَنيُّ، المُغْني، المَانِعُ، الضَّارُ، النَّافِعُ، النُّورُ، الهادي، البَديعُ، البَاقي، الوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ»[٢٤٠٩].

قوله تعالى:{يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر : ٢٤]، أي:" ، يسبِّح له جميع ما في السموات والأرض، وهو العزيز شديد الانتقام مِن أعدائه، الحكيم في تدبيره أمور خلقه"[٢٤١٠].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٤١١]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٤١٢].

(٢٤٠٦)أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨، رقم ٧٤٩٣)، والبخارى (٥/ ٢٣٥٤، رقم ٦٠٤٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٢، رقم ٢٦٧٧).

(٢٤٠٧) قال ابن أبي زمنين:" من الناس من قال: معنى أحصاها: حفظها، ومنهم من قال: المعنى: من تعبد لله بها". [تفسير ابن أبي زمنين: ٣٧٤/٤]

وقال الزجاج: " وتأويل: «من أحصاها دخل الجنة»: من وحد الله وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيد الله وإعظامه، دخل الجنة". [معاني القرآن: ٣/ ٣٥٠].

(٢٤٠٨)أخرجه البخاري: الشروط (٢٧٣٦) , ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٧) , والترمذي: الدعوات (٣٥٠٨) , وابن ماجه: الدعاء (٣٨٦٠, ٣٨٦١) , وأحمد (٢/ ٢٥٨, ٢/ ٢٦٧, ٢/ ٤٢٧, ٢/ ٤٩٩, ٢/ ٥٠٣, ٢/ ٥١٦).

(٢٤٠٩)رواه الترمذي رقم (٣٥٠٢) من حديث صفوان بن صالح قال: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، وقال: حديث غريب، ورواه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٣٨٢) موارد الظمآن من طريق صفوان به، وأخرجه ابن ماجة رقم (٣٨٦١) في الدعاء، باب أسماء الله عز وجل، من طريق أخرى عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعا بنحو مما تقدم بزيادة ونقصان، قال البوصيري في " الزوائد ": لم يخرج أحد من الأئمة الستة عدد أسماء الله الحسنى من هذا الوجه ولا غيره، غير ابن ماجة [ص: ١٧٥] والترمذي مع تقديم وتأخير، وطريق الترمذي أصح شيء في الباب، وفي إسناد طريق ابن ماجة ضعف لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني، وقال الحافظ في " تخريج الأذكار ": وهذان الطريقان يرجعان إلى رواية الأعرج، وفيهما اختلاف شديد في سرد الأسماء، وزيادة ونقص، ووقع سرد الأسماء في رواية ثالثة أخرجها الحاكم في " المستدرك " وجعفر الفريابي في " الذكر " من طريق عبد العزيز بن الحصين (يعني ابن الترجمان) عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة، قال الحاكم بعد تخريج الحديث من طريق صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم الطريق التي أخرجه الترمذي بلفظه سواه: أخرجاه في الصحيح بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسماء فيه، ولعله عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقه وبطوله وذكر الأسماء فيه، ولم يذكره غيره لمسلم، نعم أكثرها في القرآن، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الاسم، ومنها ما ليس في القرآن لا بنفسه ولا بورود فعله كالقديم والجميل ونحوهما. اهـ. وقال ابن كثير في التفسير: والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي، والله أعلم.

أقول: ومع ذلك كله فقد ذكر الحديث ابن حبان في صحيحه، وحسنه النووي في أذكاره.

(٢٤١٠) التفسير الميسر: ٥٤٨.

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٤١٣]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٤١٤].
ذلك[٢٤١٤].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٤١٥].

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٤١٦].

عن مَعقِل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وَكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدًا، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة"[٢٤١٧].

«آخر تفسير سورة (الحشر)، والحمد لله وحده»

(٢٤١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٢٤١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٤١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٢٤١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٢٤١٧)المسند (٢٦/٥) وسنن الترمذي برقم (٢٩٢٢).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الممتحنة»

سورة «الممتحنة» هي السورة الستون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فكان بعد «سورة الأحزاب»، وقبل «سورة النساء»، واتفق أهل العدد على عد آيها ثلاث عشرة آية. وآياتها طوال، وكلماتها ثلاثمائة وأربعون. وحروفها ألف وخمسمائة وعشر. مجموع فواصل آياتها «لم نرد»، على اللام منها آية: {السَّبِيلِ} [الممتحنة : ١]. وعلى الدال آية: {الْحَمِيدُ} [الممتحنة : ٦][٢٤١٨].

- **مكان نزول السورة:**

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الممتحنة بالمدينة"[٢٤١٩]. وروي عن ابن الزبير[٢٤٢٠]، مثل ذلك.

قال ابن عطية:" هي مدنية بإجماع المفسرين"[٢٤٢١].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٢٤٢٢].

قال ابن عاشور:" هذه السورة مدنية بالاتفاق"[٢٤٢٣].

قال هبة الله بن سلامة:" نزلت بالمدينة بإجماعهم في شأن حاطب بن أبي بلتعة وقصته في ذلك وفي شأن سبيعة بنت الحارث"[٢٤٢٤].

(٢٤١٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٠/١، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.

(٢٤١٩) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢٤٢٠) انظر: الدر المنثور: ١٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٤٢١) المحرر الوجيز: ٢٩٣/٥.

(٢٤٢٢) زاد المسير: ٢٦٦/٤.

(٢٤٢٣) التحرير والتنوير: ١٣٠/٢٨.

(٢٤٢٤) الناسخ والمنسوخ: ١٧٦.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١)} [الممتحنة : ١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا عدوي وعدوكم خلصاء وأحباء، تُفْضون إليهم بالمودة، فتخبرونهم بأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، وسائر المسلمين، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق من الإيمان بالله ورسوله وما نزل عليه من القرآن، يخرجون الرسول ويخرجونكم -أيها المؤمنون- من «مكة» ؛ لأنكم تصدقون بالله ربكم، وتوحدونه، إن كنتم -أيها المؤمنون- هاجرتم مجاهدين في سبيلي، طالبين مرضاتي عنكم، فلا توالوا أعدائي وأعداءكم، تُفْضون إليهم بالمودة سرًّا، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أظهرتم، ومن يفعل ذلك منكم فقد أخطأ طريق الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل.

سبب النزول:

قال ابن كثير:" كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطبًا هذا كان رجلا من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضًا، وكان له بمكة أولاد ومال، ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفًا لعثمان. فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم، وقال : "اللهم، عَمِّ عليهم خبرنا". فعمد حاطب هذا فكتب كتابًا، وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يدًا، فأطلع الله رسوله على ذلك استجابة لدعائه. فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته"[٢٤٢٥].

روي عبيد الله بن أبي رافع، كاتب علي، يقول: "سمعت عليا رضي الله عنه، يقول بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة، يخبرهم ببعض أمر النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما هذا يا حاطب؟» قال: لا تعجل علي يا رسول الله، إني كنت امرأ من قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم، أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا، ولا ارتدادا عن ديني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه قد صدقكم» فقال عمر: دعني يا رسول الله فأضرب عنقه، فقال: " إنه شهد بدرا وما يدريك؟ لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " قال عمرو: ونزلت فيه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [الممتحنة : ١]، قال: «لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو»، حدثنا علي، قال: قيل لسفيان: في هذا فنزلت: {لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ} [الممتحنة : ١] الآية، قال سفيان: هذا في حديث الناس حفظته من عمرو، ما تركت منه حرفا وما أرى أحدا حفظه غيري"[٢٤٢٦].

(٢٤٢٥) تفسير ابن كثير: ٨٢/٨.

(٢٤٢٦)أخرجه البخاري في التفسير (٤٨٩٠)، وفي الجهاد (٣٠٠٧) وفي المغازي (٤٢٧٤). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة (١٦١/ ٢٤٩٤) ص ١٩٤١، وأخرجه أبو داود في الجهاد (٢٦٥٠) والترمذي في التفسير (٣٣٠٥) وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في التفسير (٦٠٥) ، والبيهقي في السنن (٩/ ١٤٦) وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٢٠٢)

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- أمر الناس بالجهاد وعسكر، وكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة. إن محمدا قد عسكر، وما أراه ألا يريدكم فخذوا حذركم وأرسل بالكتاب مع سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هاشم وكانت قد جاءت من مكة إلى المدينة فأعطاها حاطب بن أبي بلتعة عشرة دنانير على أن تبلغ كتابه أهل مكة وجاء جبريل، فأخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- بأمر الكتاب، وأمر حاطب فبعث رسول الله- صلى الله عليه وسلم- علي بن أبي طالب- عليه السلام-، والزبير بن العوام، وقال لهما: إن أعطتكما الكتاب عفوا خليا سبيلها، وإن أبت فاضربا عنقها. فسارا حتى أدركا بالحجفة وسألاها عن الكتاب فخلفت، ما معها كتاب، وقالت: لأنا إلى خيركم أفقر منى إلى غير ذلك. فابتحثاها، فلم يجدا معها شيئا، فقال الزبير لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- ارجع بنا، فإنا لا نرى معها شيئا. فقال علي: والله لأضربن عنقها، والله ما كذب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا كذبنا، فقال الزبير: صدقت اضرب عنقها. فسل على سيفه، فلما عرفت الجد منهما أخذت عليهما المواثيق، أإن أعطيتكما الكتاب لا تقتلاني، ولا تسبياني، ولا ترداني إلى محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولتخليان سبيلي فأعطياها المواثيق، فاستخرجت الصحيفة من ذؤابتها ودفعتها فخليا سبيلها وأقبلا بالصحيفة فوضعاها في يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقرأها. فأرسل إلى حاطب بن أبي بلتعة، فقال له: أتعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على أن تنذر بنا عدونا؟ قال حاطب اعف عني عفا الله عنك، فو الذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ أسلمت ولا كذبتك منذ صدقتك، ولا أبغضتك منذ أحببتك، ولا واليتهم منذ عاديتهم، وقد علمت أن كتابي لا ينفعهم ولا يضرك فاعذرني، جعلني الله فداك فإنه ليس من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع ماله وعشيرته غيري وكنت حليفا ولست من أنفس القوم، وكان حلفائي قد هاجروا كلهم، وكنت كثير المال والضيعة بمكة فخفت المشركين على مالي فكتبت إليهم لأتوسل إليهم بها وأتخذها عندهم مودة لأدفع عن مالي، وقد علمت أن الله منزل بهم خزيه ونقمته وليس كتابي يغني عنهم شيئا، فعرف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قد صدق فيما قال، فأنزل الله- تعالى- عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبى بلتعة، فقال- تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ} [الممتحنة : ١].."[٢٤٢٧].

عن مجاهد:" {لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ} إلى قوله: {بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} في مُكاتبة حاطِب بن أبي بَلْتَعة ومَن معه إلى كفار قريش يُحذِّرونهم"[٢٤٢٨].

عن سعيد بن جُبَير، قال: "اسم الذي أُنزِلتْ فيه: {يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أَوْلِياءَ}: حاطِب بن أبي بَلْتَعة"[٢٤٢٩].

عن الحسن البصري، قال:" كَتب حاطِب بن أبي بَلْتَعة إلى المشركين كتابًا يَذكُر فيه مَسيرَ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فبَعث به مع امرأة، فبَعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في طلبها، فأخذ الكتاب منها، فجيء به إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فدعا حاطبًا، فقال: «أنتَ كتبتَ هذا الكتاب؟». قال: نعم يا رسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله وبرسوله، وما كفرتُ منذ أسلمتُ، ولا شككتُ منذ استيقنتُ، ولكني كنتُ امرءًا لا نَسب لي في القوم، إنما كنتُ حَليفَهم، وفي أيديهم من أهلي ما قد علمتَ، فكتبتُ إليهم بشيء قد علمتُ أن لن يُغني عنهم من الله شيئًا أراده؛ أنْ أدرأ به عن أهلي ومالي، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، خَلِّ عني وعن عدوّ الله هذا المنافق، فأضرب عُنُقه. فنظر إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نَظرًا عرف عمر أنه قد غَضِب، ثم قال: «ويحك، يا ابن الخطاب، وما يدريك لعلّ الله قد اطّلع على أهل موطن مِن مواطن الخير، فقال للملائكة: اشهدوا أنّي قد غفرتُ لأعبُدي هؤلاء، فليَعملوا ما شاؤوا». قال عمر: الله

لأحمد والحميدي وعبد بن حميد وأبي عوانة وابن حبان وابن جرير الطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وأبي نعيم كلاهما في الدلائل، والحديث عند أحمد (١/ ٧٩) من طريق عبيد الله بن أبي رافع به.

(٢٤٢٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٢٩٧-٢٩٨.

(٢٤٢٨)أخرجه الطبري: ٢٣/٣١٥، وعبد بن حميد -كما في التغليق ٤/ ٣٣٨، والفتح ٨/ ٦٣٣ -.

(٢٤٢٩) الدر المنثور: ٨/١٢٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

ورسوله أعلم. قال: «إنهم أهل بدر فاجتنِبْ أهل بدر، إنهم أهل بدر فاجتنِبْ أهل بدر، إنهم أهل بدر فاجتنِب أهل بدر»"[٢٤٣٠].

القرآن

{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢)} [الممتحنة : ٢]

التفسير:

إن يظفر بكم هؤلاء الذين تُسرُّون إليهم بالمودة يكونوا حربًا عليكم، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والسبي، وألسنتهم بالسب والشتم، وهم قد تمنَّوْا -على كل حال- لو تكفرون مثلهم.

قال قتادة:" ذُكر لنا: أنّ حاطبًا كَتب إلى أهل مكة يُخبرهم سيرورة نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم زمن الحُدَيبية، فأطلع الله - عز وجل - نبيّه -عليه الصلاة والسلام- على ذلك. وذُكر لنا: أنهم وجدوا الكتاب مع امرأة في قَرْنٍ من رأسها، فدعاه نبيُّ الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «ما حمَلك على الذي صنعتَ؟». قال: واللهِ، ما شككتُ في أمر الله، ولا ارتددتُ فيه، ولكن لي هناك أهلًا ومالًا، فأردتُ مصانعة قريش على أهلي ومالي. وذُكر لنا: أنه كان حليفًا لقريش لم يكن مِن أنفُسهم، فأنزل الله - عز وجل - في ذلك القرآن، فقال: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ}"[٢٤٣١].

القرآن

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤)} [الممتحنة : ٤]

التفسير:

قد كانت لكم -أيها المؤمنون- قدوة حسنة في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين، حين قالوا لقومهم الكافرين بالله: إنا بريئون منكم وممَّا تعبدون من دون الله من الآلهة والأنداد، كفرنا بكم، وأنكرنا ما أنتم عليه من الكفر، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا ما دمتم على كفركم، حتى تؤمنوا بالله وحده، لكن لا يدخل في الاقتداء استغفار إبراهيم لأبيه; فإن ذلك إنما كان قبل أن يتبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، ربنا عليك اعتمدنا، وإليك رجعنا بالتوبة، وإليك المرجع يوم القيامة.

سبب النزول:

قال علي بن أبي طالب: "لمّا أنزل الله - عز وجل - خَبَرًا عن إبراهيم - عليه السلام - قال لأبيه: {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} [مريم: ٤٧] سمعتُ رجلًا يستغفر لوالديه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لهما وهما مشركان؟! فقال: أولَم يستغفر إبراهيمُ لأبيه؟! فأتيت النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فذكرت ذلك له؛ فأنزل الله - عز وجل -: {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم} إلى قوله: {إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك}"[٢٤٣٢].

(٢٤٣٠) الدر المنثور: ١٢٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢٤٣١) أخرجه الطبري: ٣١٥/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وفيه: فأنزل الله القرآن، وقال: {إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ} إلى قوله: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، {إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}.

(٢٤٣٢)تفسير البغوي ٤/ ١٠١.

قوله تعالى:{إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} [الممتحنة : ٤]، أي:" إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فلا تقتدوا به، فإنه إنما استغفر لأبيه المشرك رجاء السلامة"[٢٤٣٣].

عن مجاهد: "{إلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأبيه}، قال: نُهُوا أن يتأسَّوْا باستغفار إبراهيم لأبيه، فيستغفروا للمشركين"[٢٤٣٤].

قال مجاهد:" يقول: في كلّ أمره أسوة، إلا الاستغفار لأبيه"[٢٤٣٥].

قال مجاهد:" نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين"[٢٤٣٦].

قال قتادة:" ائتسوا به في كلّ شيء، ما خلا قوله لأبيه: {لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}، فلا تأتسوا بذلك منه، فإنها كانت عن موعدة وعدها إياه"[٢٤٣٧].

قال قتادة:" يقول: لا تأسوا بذلك فإنه كان عليه موعدًا، وتأسوا بأمره كله"[٢٤٣٨].

القرآن

{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)} [الممتحنة : ٥]

التفسير:

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهروا علينا فيُفتنوا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفرًا، واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [الممتحنة : ٥]، أي:" ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بعذابك لنا أو تسلط الكافرين علينا فيفتنونا عن ديننا، أو يظهروا علينا فيُفتنوا بذلك، ويقولوا: لو كان هؤلاء على حق، ما أصابهم هذا العذاب، فيزدادوا كفرًا"[٢٤٣٩].

عن مجاهد، في قوله: "{لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}، قال: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا"[٢٤٤٠].

قال قتادة:" يقول: لا تظهرهم علينا فَيَفْتَتِنُوا بذلك. يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقّ هم عليه"[٢٤٤١].

قوله تعالى:{وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الممتحنة : ٥]، أي:" واستر علينا ذنوبنا بعفوك عنها ربنا، إنك أنت العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله"[٢٤٤٢].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢٤٤٣].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٤٤٤]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٤٤٥].

(٢٤٣٣) صفوة التفاسير: ٣٤٣/٣.
(٢٤٣٤) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.
(٢٤٣٥) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.
(٢٤٣٦) تفسير مجاهد: ٦٥٥.
(٢٤٣٧) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.
(٢٤٣٨) أخرجه الطبري: ٣١٨/٢٣.
(٢٤٣٩) التفسير الميسر: ٥٤٩.
(٢٤٤٠) أخرجه الطبري: ٣١٩/٢٣-٣٢٠.
(٢٤٤١) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.
(٢٤٤٢) التفسير الميسر: ٥٤٩.
(٢٤٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٢٤٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٤٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٤٤٦]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٤٤٧].
ذلك[٢٤٤٧].
عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٤٤٨].
قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٤٤٩].
وفي قراءة ابن مسعود: «إنك أنت الغفور الرحيم»، نظيرها في آخر المائدة: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة : ١١٨][٢٤٥٠].

القرآن

{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧)} [الممتحنة : ٧]

التفسير:

عسى الله أن يجعل بينكم -أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحناء بانشراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء، والله غفور لعباده، رحيم بهم.

سبب النزول:

عن ابن شهاب:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله، فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين. قال ابن شهاب: وهو فيمن أنزل الله فيه:{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"[٢٤٥١].

وقال مقاتل بن حيان : "إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان، صخر بن حرب، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه"[٢٤٥٢].

قال ابن كثير:" وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر ؛ فإن رسول تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح، وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف. وأحسن من هذا ما رواه بن أبي حاتم"[٢٤٥٣].

وفي الصحيح عن ابن عباس، قال: "كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله ثلاث أعطنيهن، قال: «نعم» قال: عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها، قال: «نعم» قال: ومعاوية، تجعله كاتبا بين يديك، قال: «نعم» قال: وتؤمرني حتى أقاتل الكفار، كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم» قال أبو زميل: ولولا أنه طلب ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطاه ذلك، لأنه لم يكن يسأل شيئا إلا قال: «نعم»"[٢٤٥٤].

(٢٤٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٤٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٤٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٢٤٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٢٤٥٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤.
(٢٤٥١) رواه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٣):ص٣٣٤٩/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.
(٢٤٥٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٨٩/٨.
(٢٤٥٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٨٩/٨-٩٠.
(٢٤٥٤) صحيح مسلم(٢٥٠١):ص١٩٤٥/٤.

وهذا الحديث استشكل، فقول أبي سفيان في الحديث : « عندي أحسن العرب وأجمله، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أزوجكها»، منقوض بأن أبا سفيان إنما أسلم يوم فتح مكة، والنبي صلى الله عليه وسلم تزوج أم حبيبة قبل ذلك بزمان طويل. انظر كلام الإمام النووي في : "المنهاج"[٢٤٥٥] وإجابته على ذلك.

وقال مقاتل بن سليمان-في سبب نزول الآية-:" وذلك أن الله- تعالى- حين أخبر المؤمنين بعداوة كفار مكة والبراءة منهم، وذكر لهم فعل إبراهيم والذين معه في البراءة من قومهم، فلما أخبر ذلك عادوا أقرباءهم وأرحامهم وأظهروا لهم العداوة، وعلم الله شدة وجد المؤمنين في ذلك، فأنزل الله- تعالى-: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً} [الممتحنة : ٧]، فلما أسلم أهل مكة خالطهم المسلمون وناكحوهم، وتزوج النبي- صلى الله عليه وسلم- أم حبيبة بنت أبي سفيان فهذه «المودة» التي ذكر الله- تعالى"[٢٤٥٦].

قال الثعلبي:" فلما نزلت هذه الآية: [{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الممتحنة : ٦]] عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة فعلم سبحانه شدّة وجد المؤمنين بذلك فأنزل الله سبحانه: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ أيها المؤمنون وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ من مشركي مكّة مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[٢٤٥٧].

قوله تعالى:{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ} [الممتحنة : ٧]، أي:" عسى الله أن يجعل بينكم -أيها المؤمنون- وبين الذين عاديتموهم من أقاربكم من المشركين محبة بعد البغضاء، وألفة بعد الشحناء بانشراح صدورهم للإسلام، والله قدير على كل شيء"[٢٤٥٨].

قال أبو مالك: " كل شيء في القران: {عسى}، فهو واجب الا حرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن}[٢٤٥٩]، وفي بني اسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم}[٢٤٦٠]"[٢٤٦١]. وروي عن الضحاك[٢٤٦٢]، والحسن[٢٤٦٣]، والسدي[٢٤٦٤]، وابن إسحاق[٢٤٦٥]، نحو ذلك.

عن قتادة، قوله: "{عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ} على ذلك"[٢٤٦٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة : ٧]، أي:" والله غفور لعباده، رحيم بهم"[٢٤٦٧].

قال قتادة:" يغفر الذنوب الكثيرة، رحيم بعباده"[٢٤٦٨].

القرآن

{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨)} [الممتحنة : ٨]

(٢٤٥٥) المنهاج: (٦٣/١٦).
(٢٤٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠١/٤-٣٠٢. وانظر: أسباب النزول للواحدي: ٤٤٣.
(٢٤٥٧) الكشف والبيان: ٢٩٣/٩.
(٢٤٥٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٤٥٩)[التحريم : ٥].
(٢٤٦٠)[الإسراء : ٨].
(٢٤٦١)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٢/ ٣٨٣.
(٢٤٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٤٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٤٦٤) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢-٣٤٨.
(٢٤٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.
(٢٤٦٦) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.
(٢٤٦٧) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٤٦٨) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢٣.

التفسير:
لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم بالخير، وتعدلوا فيهم بإحسانكم إليهم وبرِّكم بهم. إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم.
سبب النزول:
عبد الله بن الزّبير -من طريق عامر- قال: "قَدمتْ قُتَيْلة ابنة عبد العُزّى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا؛ ضِباب، وأقِطٍ، وسمْن، وهي مُشركة، فأبتْ أسماءُ أن تَقبل هدّيتها، أو تُدخلها بيتها، حتى أرسلتْ إلى عائشة: أن سَلِي عن هذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فسألتْه؛ فأنزل الله: {لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} إلى آخر الآية. فأمَرها أن تَقبل هديّتها، وتُدخلها بيتها"(٢٤٦٩)(٢٤٧٠).
عن أسماء بنت أبي بكر -من طريق عُروة- قالتْ: "أتتْني أُمّي راغبة، وهي مُشركة في عهْد قريش إذ عاهدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فسألتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أأصِلُها؟ فأنزل الله: {لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}. فقال: «نعم، صِلِي أُمّكِ»"(٢٤٧١).
قال ابن عباس:" نَزَلتْ في خُزاعة، كانوا قد صالحوا النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - على أن لا يُقاتلوه ولا يُعِينوا عليه أحدًا، فرخّص الله في برِّهم"(٢٤٧٢).
قال مُرّة الهَمداني، وعطية بن سعد العَوفيّ: "{لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ} نَزَلتْ في قوم مِن بني هاشم، منهم العبّاس بن عبد المطلب"(٢٤٧٣).
قال الحسن البصري: "وكان هذا قبل أن يُؤمَر بقتال المشركين كافّة، كان المسلمون قبل أن يؤمر بقتالهم استشاروا النبيَّ في قرابتهم مِن المشركين أن يصِلوهم ويبرّوهم؛ فأنزل الله هذه الآية: {وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}"(٢٤٧٤).
قوله تعالى:{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ} [الممتحنة : ٨]، أي:" لا ينهاكم الله -أيها المؤمنون- عن الذين لم يقاتلوكم من الكفار بسبب الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تكرموهم بالخير، وتعدلوا فيهم بالبر والإحسان"(٢٤٧٥).
عن مجاهد، في قوله: "{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}، أن تستغفروا لهم، {أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ}؛ قال: وهم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا"(٢٤٧٦).
وروي عن قتادة، في قوله: "{لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ} ... الآية، قال: نسختها: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}"(٢٤٧٧).

(٢٤٦٩)أخرجه أحمد ٢٦/ ٣٧ (١٦١١١)، الطبري: ٣٢٢/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٦٤):ص٣٣٤٩/١٠، من طريق مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه به.
وأخرجه الحاكم ٢/ ٥٢٧ (٣٨٠٤)، من طريق مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جدّه به.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال الهيثمي في المجمع ٤/ ١٥٢ (٦٧٥٠): «فيه مصعب بن ثابت؛ ضعّفه أحمد وغيره، ووثّقه ابن حبان». وقال في ٧/ ١٢٣ (١١٤١١): «فيه مصعب بن ثابت، وثّقه ابن حبان، وضعّفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح».
(٢٤٧٠) المسند(١٦١١١):ص٣٧/٢٦، وأخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٣، وابن أبي حاتم(١٨٨٦٤):ص٣٣٤٩/١٠.
(٢٤٧١)أخرجه البخاري ٣/ ١٦٤ (٢٦٢٠)، ٤/ ١٠٣ (٣١٨٣)، ٨/ ٤ (٥٩٧٨، ٥٩٧٩)، ومسلم ٢/ ٦٩٦ (١٠٠٣) كلاهما بنحوه.
(٢٤٧٢)أورده الثعلبي ٩/ ٢٩٤، والبغوي في تفسيره ٨/ ٩٥ واللفظ له.
(٢٤٧٣)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٩٤.
(٢٤٧٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٧٨ -.
(٢٤٧٥) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٤٧٦) أخرجه الطبري: ٣٢٢/٢٣.
(٢٤٧٧) أخرجه الطبري: ٣٢٣/٢٣.

عن عكرمة والحسن:" قالا: قال: {فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا * إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق} إلى قوله: {وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا} [النساء: ٨٩ - ٩١]، وقال في الممتحنة: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين}، وقال فيها: {إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم} إلى: {فأولئك هم الظالمون}، فنسخ هؤلاء الآيات الأربعة في شأن المشركين، فقال: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين} [التوبة: ١ - ٢]"[٢٤٧٨].

قال محمد بن شهاب الزُّهريّ: "قال تعالى: {لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون} [الممتحنة: ٨ - ٩] نُسختْ، فقال تعالى: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين} [التوبة: ١ - ٢]، فجعل لهم أجلًا أربعة أشهر يَسيحون في الأرض، {فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم} [التوبة: ٥]، وقال - عز وجل -: {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله} [التوبة: ٦]"[٢٤٧٩].

عن زيد بن أسلم -من طريق القاسم- أنه قال: "قال في سورة النساء [٩٠]: {إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا}، وقال: {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا} [النساء: ٩١]، وقال في سورة الممتحنة: {لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}، ثم قال فيها: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، فنَسخ هؤلاء الآيات في شأن المشركين، فقال: {بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} [التوبة: ١ - ٢]، فجَعل لهم أجلًا أربعة أشهر يَسيحون فيها، وأبطل ما كان قبل ذلك، ثم قال في الآية التي تليها: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة: ٥]، ثم نسخ واستثنى: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٥]، وقال: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} [التوبة: ٦]"[٢٤٨٠].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة : ٨]، أي:" إن الله يحب الذين يعدلون في أقوالهم وأفعالهم"[٢٤٨١].

قال أبو مالك:" يعني: المعدلين في القول والفعل"[٢٤٨٢].

وفي الحديث:«المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش، الذين يعدلون في حكمهم، وأهاليهم، وما وَلُوا»[٢٤٨٣]

(٢٤٧٨) أخرجه الطبري(١٠٠٧٤):ص٨/٢٥.

(٢٤٧٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٨٧، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وأبي داود.

(٢٤٨٠)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٣/ ٧٠ - ٧٢ (١٥٨).

(٢٤٨١) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٢٤٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٣٩٣):ص٤/١١٣٧.

القرآن

{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)} [الممتحنة : ٩]

التفسير:

إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة، ومن يتخذهم أنصارًا على المؤمنين وأحبابًا، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، الخارجون عن حدود الله.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ} [الممتحنة : ٩]، أي:" إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم بسبب الدين وأخرجوكم من دياركم، وعاونوا الكفار على إخراجكم أن تولوهم بالنصرة والمودة"(٢٤٨٤).

عن مجاهد: "{إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ}، قال: كفار أهل مكة"(٢٤٨٥).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)} [الممتحنة : ١٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن، فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبينات، فلا تردُّوهن إلى أزواجهن الكافرين، فالنساء المؤمنات لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار، ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات، وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهنَّ مهورهن. ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات، واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم، ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه. والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله.

سبب نزول الآيتين:[١٠، ١١]:

عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: "أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جاءه نسوة مؤمنات بعد أن كتب كتاب القضية بينه وبين قريش، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [الممتحنة : ١٠]، حتى بلغ: {بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} [الممتحنة : ١٠] ، فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له بالشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية"(٢٤٨٦).

عن يزيد بن أبي حبيب:" أنه بلغه أنه نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [الممتحنة : ١٠]، الآية. في امرأة أبي حسان بن الدحداحة، وهي أميمة بنت بسر امرأة من بني عمرو بن

(٢٤٨٣)صحيح مسلم برقم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما.

(٢٤٨٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٢٤٨٥) أخرجه الطبري: ٣٢٤/٢٣.

(٢٤٨٦) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣، وانظر: صحيح البخاري برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢).

عوف، وأن سهل بن حنيف تزوجها حين فرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فولدت له عبد الله بن سهل"[٢٤٨٧].

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل، قال: "كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة عهد شرط في أن يرد النساء، فجاءت امرأة تسمى سعيدة وكانت تحت صيفي بن الراهب، وهو مشرك من أهل مكة، وطلبوا ردها فأنزل الله : {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} [الممتحنة : ١٠] "[٢٤٨٨].

قال ابن زيد:" لما هادن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم المشركين «كان في الشرط الذي شرط، أن ترد إلينا من أتاك منا، ونردّ إليك من أتانا منكم»، فقال النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «مَنْ أَتَانَا مِنْكُمْ فَنَرُدُّهُ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ أَتَاكُمْ مِنَّا فَاخْتَارَ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ فَلا حَاجَةَ لَنَا فِيهِمْ»، وقال: فأبى الله ذلك للنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في النساء، ولم يأبه للرجال، فقال الله عزّ وجلّ: {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ} ... إلى قوله: {وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا} أزواجهنّ"[٢٤٨٩].

عن الزهري: "نزلت عليه، وهو في أسفل الحديبية وكان النبي صلى الله عليه وسلم, صالحهم على أن من أتاه منهم فإنه يرده إليهم , فلما جاء النساء نزلت عليه هذه الآية, وأمره أن يرد الصداق على أزواجهن, وحكم على المشركين بمثل هذا إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها, قال الله: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} [الممتحنة: ١٠]، قال: فطلق عمر امرأتين كانتا له بمكة , قال: فأما المؤمنون فأقروا بحكم الله , وأما المشركون فأبوا أن يقروا , فأنزل الله: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة: ١١]، فأمر الله المؤمنين أن يؤدوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين , ولها زوج من المسلمين, أن يؤدي إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما يريدون أن يردوا ذلك إلى المشركين"[٢٤٩٠].

عن الزهريّ، قال: "أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا، فأنزل الله عزّ وجلّ :{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ}... الآية"[٢٤٩١].

عن الحسن في قوله: "{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} [الممتحنة : ١١]، قال: نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا"[٢٤٩٢].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا جاءكم النساء المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام، فاختبروهن؛ لتعلموا صدق إيمانهن، الله أعلم بحقيقة إيمانهن"[٢٤٩٣].

عن مجاهد، قوله: "{فَامْتَحِنُوهُنَّ}، قال: سلوهنّ ما جاء بهنّ فإن كان جاء بهنّ غضب على أزواجهنّ، أو سخطة، أو غيره، ولم يؤمنّ، فارجعوهنّ إلى أزواجهنّ"[٢٤٩٤].

عن قتادة، في قوله: "{فَامْتَحِنُوهُنَّ}، قال: يحلفن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، وحبًّا لله ورسوله"[٢٤٩٥].

(٢٤٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٥):ص٣٣٤٩/١٠-٣٣٥٠.
(٢٤٨٨) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٨٦٦):ص٣٣٥٠/١٠.
(٢٤٨٩) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢٣.
(٢٤٩٠) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٢٠٤):ص٣٠٤/٣، والطبري:٣٢٩/٢٣، بنحوه.
(٢٤٩١) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.
(٢٤٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٩):ص٣٣٥٠/١٠.
(٢٤٩٣) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٤٩٤) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.
(٢٤٩٥) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.

قال قتادة:" كانت محنتهنّ أن يستحلفن بالله ما أخرجكنّ النشوز، وما أخرجكنّ إلا حبّ الإسلام وأهله، وحِرْصٌ عليه، فإذا قلن ذلك قُبل ذلك منهنّ"[٢٤٩٦].

عن سفيان، عن أبيه أو عكرمة، {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ}، قال: "يقال: ما جاء بك إلا حبّ الله، ولا جاء بك عشق رجل منا، ولا فرارا من زوجك، فذلك قوله: {فَامْتَحِنُوهُنَّ}"[٢٤٩٧].

عن بكير بن الأشجّ، قال: "كان امتحانهنّ إنه لم يخرجك إلا الدين"[٢٤٩٨].

قال الضحاك:" كان نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عاهد من المشركين ومن أهل الكتاب، فعاهدهم وعاهدوه، وكان في الشرط أن يردّوا الأموال والنساء، فكان نبيّ الله إذا فاته أحد من أزواج المؤمنين، فلحق بالمعاهدة تاركًا لدينه مختارًا للشرك، ردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإذا لحق بنبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أحد من أزوج المشركين امتحنها نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فسألها ما أخرجك من قومك، فإن وجدها خرجت تريد الإسلام قبلها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وردّ على زوجها ما أنفق عليها، وإن وجدها فرّت من زوجها إلى آخر بينها وبينه قرابة، وهي متمسكة بالشرك ردّها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى زوجها من المشركين"[٢٤٩٩].

عن الزهريّ، أن عائشة قالت: "ما كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يمتحن المؤمنات إلا بالآية، قال الله: {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا}، ولا ولا"[٢٥٠٠].

عروة بن الزبير، أن عائشة زوج النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قالت: "كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يمتحنّ بقول الله: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ} ... إلى آخر الآية، قالت عائشة: فمن أقرّ بهذا من المؤمنات، فقد أقرّ بالمحبة، فكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا أقررن بذلك من قولهنّ قال لهنّ: انطلقن فقد بايعتكنّ، ولا والله ما مست يد رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يد امرأة قطّ، غير أنه بايعهنّ بالكلام؛ قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على النساء قطّ، إلا بما أمره الله عزّ وجلّ، وكان يقول لهنّ إذا أخذ عليهنّ قد بايعتكنّ كلامًا"[٢٥٠١].

قوله تعالى:{فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" فإن علمتموهن مؤمنات بحسب ما يظهر لكم من العلامات والبينات، فلا تردُّوهن إلى أزواجهن الكافرين، فالنساء المؤمنات لا يحلُّ لهن أن يتزوجن الكفار، ولا يحلُّ للكفار أن يتزوجوا المؤمنات"[٢٥٠٢].

عن الزهريّ، قال: "دخلت على عُرْوة بن الزُّبير، وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هُنيد صاحب الوليد بن عبد الملك، وكتب إليه يسأله عن قول الله عزّ وجلّ: {إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ} ... إلى قوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} وكتب إليه عُرْوَة بن الزُّبير: إن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان صالح قريشًا عام الحديبية على أن يردّ عليهم من جاء بغير إذن وليه؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وإلى الإسلام، أبى الله أن يُرْدَدْن إلى المشركين، إذا هنّ امْتَحنّ محنة الإسلام، فعرفوا أنهنّ إنما جئن رغبة فيه"[٢٥٠٣].

(٢٤٩٦) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.
(٢٤٩٧) أخرجه الطبري: ٣٢٦/٢٣.
(٢٤٩٨) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٣.
(٢٤٩٩) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٣-٣٣٠.
(٢٥٠٠) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.
(٢٥٠١) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣-٣٢٦.
(٢٥٠٢) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٠٣) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢٣-٣٢٨.

قوله تعالى:{وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة : ١٠]، أي:" وأعطوا أزواج اللاتي أسلمن مثل ما أنفقوا عليهن من المهور"[٢٥٠٤].

عن مجاهد :"{وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا}، وآتوا أزواجهنّ صدقاتهن"[٢٥٠٥].

قال قتادة:" هذا حكم حكمه الله عزّ وجلّ بين أهل الهدى وأهل الضلالة، كنّ إذا فررن من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه عهد إلى أصحاب نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فتزوّجوهنّ بعثوا مهورهنّ إلى أزواجهنّ من المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عهد، وإذا فررن من أصحاب نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى المشركين الذين بينهم وبين نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عهد بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهنّ من أصحاب نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٥٠٦].

قوله تعالى:{وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" ولا إثم عليكم أن تتزوجوهن إذا دفعتم لهنَّ مهورهن"[٢٥٠٧].

قال الزهري:" إنما أمر الله بردّ صداقهنّ إليهم إذا حُبس عنهم وإن هم ردّوا المسلمين على صداق من حبسوا عنهم من نسائهم"[٢٥٠٨].

قوله تعالى:{وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" ولا تمسكوا بنكاح أزواجكم الكافرات"[٢٥٠٩].

عن قتادة، قوله: "{وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}، مشركات العرب اللاتي يأبين الإسلام أُمِرَ أن يُخلَّى سبيلُهن"[٢٥١٠].

عن مجاهد: "{وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}، قال: أصحاب محمد أُمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة، قعدن مع الكفار"[٢٥١١].

عن مجاهد:"{ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ}، قال: الرجل تَلْحق امرأته بدار الحرب، فلا يَعتدّ بها مِن نسائه"[٢٥١٢]. وروي عن سعيد بن جبير مثله[٢٥١٣].

عن إبراهيم النَّخعي، في قوله: "{ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ}، قال: نَزَلَتْ في المرأة من المسلمين تَلحق بالمشركين فتَكفُر، فلا يُمسك زوجها بعِصْمتها، قد برئ منها"[٢٥١٤].

عن يزيد بن أبي حَبيب -من طريق ابن لِهيعة- قال: "أُنزل: {ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ} في امرأة لعمر بن الخطاب تركها [...][٢٥١٥] يُطلّقها حتى نَزَلَتْ الآية، فطلّقها عمر"[٢٥١٦].

قال ابن شهاب:" فطلق المؤمنون حين أنزلت هذه الآية كل امرأة كافرة كانت تحت رجل منهم، فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته ابنة أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوجها معاوية بن

(٢٥٠٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٠٥) أخرجه الطبري: ٣٢٨/٢٣-٣٢٩.
(٢٥٠٦) أخرجه الطبري: ٣٢٩/٢٣.
(٢٥٠٧) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٠٨) أخرجه الطبري: ٣٣١/٢٣.
(٢٥٠٩) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥١٠) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٣.
(٢٥١١) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٣.
(٢٥١٢)أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٣١٢ - ٣١٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢٥١٣)أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٣١٣.
(٢٥١٤)أخرجه سعيد بن منصور -كما في فتح الباري ٨/ ٦٣٣ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٢٥١٥)كذا في المطبوع، ولعله سقط في أصل المخطوط.
(٢٥١٦)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٩ (٢٩).

أبي سفيان، وابنة جرول من خزاعة، فتزوجها أبو جهم بن حذافة العَدَوِيّ، وجعل الله ذلك حكمًا حكم به بين المؤمنين والمشركين فى هذه المدة التي كانت"[٢٥١٧].

قال الزهريّ: "لما نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ} ... إلى قوله: {وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ}، كان ممن طلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته قريبة ابنة أبي أمية بن المغيرة، فتزوّجها بعده معاوية بن أبي سفيان، وهما على شركهما بمكة، وأم كلثوم ابنة جرول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حُذافة بن غانم رجل من قومه، وهما على شركهما، وطلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي كانت عنده أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرّق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة على دين قومها، ثم تزوّجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس. وكان ممن فرّ إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من نساء الكفار ممن لم يك بينه وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عهد فحبسها وزوّجها رجلا من المسلمين أميمة بنت بشر الأنصارية، ثم إحدى نساء بنِي أمية بن زيد من أوس الله، كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرّت منه، وهو يومئذ كافر إلى رسول الله، فزوّجها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم سهل بن حنيف أحد بني عمرو بن عوف، فولدت عبد الله بن سهل"[٢٥١٨].

عن طلحة-رضي الله عنه- قال: "لما نزلت ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلقت امرأتي أروى بنت ربيعة، طلق عمر قريبة بنت أبي أمية وأم كلثوم بنت جرول الخزاعية"[٢٥١٩].

وقرأ أبو عمرو: «وَلا تُمَسِّكُوا»، بتشديد «السين»"[٢٥٢٠].

قوله تعالى:{وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة : ١٠]، أي:" واطلبوا من المشركين ما أنفقتم من مهور نسائكم اللاتي ارتددن عن الإسلام ولحقن بهم، وليطلبوا هم ما أنفقوا من مهور نسائهم المسلمات اللاتي أسلمن ولحقن بكم"[٢٥٢١].

عن مجاهد، قوله :{وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا، قال: "ما ذهب من أزواج أصحاب محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الكفار، فليعطهم الكفار صدقاتهن، وليمسكوهن، وما ذهب من أزواج الكفار إلى أصحاب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فمثل ذلك، في صلح كان بين محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبين قريش"[٢٥٢٢].

عن ابن شهاب، قال: "أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدَّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين"[٢٥٢٣].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" ذلكم الحكم المذكور في الآية هو حكم الله يحكم به بينكم فلا تخالفوه"[٢٥٢٤].

قال الزهري: "أما المؤمنون فأقرّوا بحكم الله، وأما المشركون فأبوا أن يقرّوا، فأنزل الله عزّ وجلّ :{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الْكُفَّارِ}... الآية"[٢٥٢٥].

عن الزهريّ، قال: "قال الله: {ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}، فأمسك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم النساء، وردّ الرجال، وسأل الذي أمره الله أن يسأل من صدقات النساء من حبسوا منهنّ، وأن يردّوا عليهم

(٢٥١٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٣١-٣٣٢.
(٢٥١٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٣٢-٣٣٣.
(٢٥١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٨):ص١٠/٣٣٥٠.
(٢٥٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٣٣٣.
(٢٥٢١) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٢٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٣٤.
(٢٥٢٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٣٤.
(٢٥٢٤) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٢٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٢٥.

مثل الذي يردّون عليهم إن هم فعلوا، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم ردّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم النساء، كما ردّ الرجال، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية أمسك النساء ولم يرد إليهم صداقًا، وكذلك يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد"[٢٥٢٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الممتحنة : ١٠]، أي:" والله عليم لا يخفى عليه شيء، حكيم في أقواله وأفعاله"[٢٥٢٧].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٢٥٢٨]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٢٥٢٩].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٥٣٠].

القرآن

{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١)} [الممتحنة : ١١]

التفسير:

وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن، ثم ظَفِرتم بهؤلاء الكفار أو غيرهم وانتصرتم عليهم، فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك، وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون.

قوله تعالى:{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ} [الممتحنة : ١١]، أي:" وإن لحقت بعض زوجاتكم مرتدات إلى الكفار، ولم يعطكم الكفار مهورهن التي دفعتموها لهن"[٢٥٣١].

قال الحسن: "نزلت في امرأة الحكم بنت أبي سفيان ارتدت فتزوجها رجل ثقفي، ولم ترتد امرأة من قريش غيرها، فأسلمت مع ثقيف حين أسلموا"[٢٥٣٢].

واختلف هل التفسير في «الكفار» الذين عُنُوا بقوله: {إِلَى الْكُفَّارِ} [الممتحنة : ١١]، على قولين:

أحدهما: أن هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد، إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئًا، فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء، حتى يدفع إلى زوج الذاهبة إليهم مثل نفقته عليها. قاله مجاهد[٢٥٣٣]، وقتادة[٢٥٣٤].

عن مجاهد، في قوله: "{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ}، الذين ليس بينكم وبينهم عهد"[٢٥٣٥].

قال قتادة:" إذا فرر من أصحاب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى كفار ليس بينهم وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عهد"[٢٥٣٦].

الثاني: أنهم كفار قريش الذي كانوا أهل هدنة، وذلك قول الزهريّ[٢٥٣٧].

(٢٥٢٦) أخرجه الطبري: ٣٢٥/٢٣.
(٢٥٢٧) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.
(٢٥٣١) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.
(٢٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٦٩):ص٣٣٥٠/١٠.
(٢٥٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
(٢٥٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
(٢٥٣٥) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٣.
(٢٥٣٦) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٣.
(٢٥٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.

قوله تعالى:{فَعَاقَبْتُمْ} [الممتحنة : ١١]، أي:" فغزوتم وعنمتم وأصبتم من الكفار غنيمة"[٢٥٣٨].

قال مجاهد:" يقول: أصبتم مغنمًا من قريش أو غيرهم"[٢٥٣٩]. وروي عن الضحاك نحوه[٢٥٤٠].

عن مجاهد:" أنهم كانوا أُمروا أن يَردّوا عليهم من الغنيمة. قال: وكان مجاهد يقول: {فَعاقَبْتُمْ}، يقول: فغَنِمتم"[٢٥٤١].

عن إبراهيم النَّخْعي -من طريق مُغيرة- في قوله: "{فَعاقَبْتُمْ}، قال: غَنمتم"[٢٥٤٢].

عن مَسروق بن الأجْدع الهَمداني -من طريق مسلم- أنه قرأها: "{فَعاقَبْتُمْ}، وفسّرها: فغَنِمتم"[٢٥٤٣].

قال قتادة:" ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة[٢٥٤٤] فنبذ إلى كل ذي عهد عهده"[٢٥٤٥].

وقال عطاء:" بل حكمها ثابت"[٢٥٤٦].

وتُقرأ: «فَعَقَّبْتُمْ»، من: «تعقيب الغزو»، وتقرأ: «فَأَعْقَبْتُمْ»[٢٥٤٧].

قوله تعالى:{فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا} [الممتحنة : ١١]، أي:" فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من المسلمين من الغنائم أو غيرها مثل ما أعطوهن من المهور قبل ذلك"[٢٥٤٨].

قال الطبري:" يقول: فاعطوا الذين ذهبت أزواجهم منكم إلى الكفار مثل ما أنفقوا عليهنّ من الصداق"[٢٥٤٩].

واختلف أهل التفسير في المال الذي أمر أن يعطى منه الذي ذهبت زوجته إلى المشركين، وفيه أقوال:

أحدها : أنهم أُمروا أن يعطوه من أموال غنائمهم لاستحقاقها عليهم. وهذا قول مجاهد[٢٥٥٠]، وقتادة[٢٥٥١]، ومسروق[٢٥٥٢]، وإبراهيم[٢٥٥٣].

قال قتادة:" كنّ إذا فررن من أصحاب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى الكفار ليس بينهم وبين نبيّ الله عهد، فأصاب أصحاب رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم غنيمة، أعطى زوجها ما ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم يقتسمون غنيمتهم"[٢٥٥٤].

عن مجاهد: "{فَعَاقَبْتُمْ}، يقول: أصبتم مغنمًا من قريش أو غيرهم، {فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}، صدقاتهنّ عوضًا"[٢٥٥٥].

عن مجاهد:" إنهم كانوا أُمروا أن يردّوا عليهم من الغنيمة. وكان مجاهد يقرأ: {فَعَاقَبْتُمْ}"[٢٥٥٦].

(٢٥٣٨) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.
(٢٥٣٩) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٤٠) انظر: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.
(٢٥٤١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٨٨، والطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٤٢) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٣.
(٢٥٤٣) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣-٣٣٩.
(٢٥٤٤) [الآية: ٥]. وهي آية السيف.
(٢٥٤٥) الناسخ والمنسوخ: ٥٠.
(٢٥٤٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٥٢٣/٥.
(٢٥٤٧) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٦٢، وتفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣.
(٢٥٤٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.
(٢٥٤٩) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٣-٣٣٧.
(٢٥٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٥١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٨/٢٣-٣٣٩.
(٢٥٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.
(٢٥٥٤) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٥٥) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٥٦) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.

قال مجاهد:" من لم يكن بينهم وبينهم عهد، فذهبت امرأة إلى المشركين، فيدفع إلى زوجها مهر مثلها، {فَعَاقَبْتُمْ}، فأصبتم غنيمة، {فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}، قال: مهر مثلها يُدفع إلى زوجها"[٢٥٥٧].

عن مسروق: "أنه قرأها: {فَعَاقَبْتُمْ}، وفسّرها: فغنمتم"[٢٥٥٨].

الثاني : من مال الفيء، قاله الزهري[٢٥٥٩].

عن ابن إسحاق، قال: "سألنا الزهريّ، عن هذه الآية وقول الله فيها: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ}..الآية، قال: يقول: إن فات أحدًا منكم أهله إلى الكفار، ولم تأتكم امرأة تأخذون لها مثل الذي يأخذون منكم، فعوّضوه من فيء إن أصبتموه"[٢٥٦٠].

وهذا لا ينافي الأول[٢٥٦١]؛ لأنه إن أمكن الأول فهو أولى، وإلا فمن الغنائم اللاتي تؤخذ من أيدي الكفار. وهذا أوسع[٢٥٦٢].

الثالث : أنهم أُمروا أن يعطوهم من صداق من أسلمن منهن عن زوج كافر. وهو مروي عن الزهري أيضاً[٢٥٦٣].

قال الزهري:" أقرّ المؤمنون بحكم الله، وأدّوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم، وأبى المشركون أن يقرّوا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين، فقال الله للمؤمنين: {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}، فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين ردَّ المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلا- إن كان بقي لهم-، والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن"[٢٥٦٤].

قال الزهري:" أنزل الله :{وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا}، فأمر الله المؤمنين أن يردّوا الصداق إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج أن يردَّ إليه المسلمون صداق امرأته من صداق إن كان في أيديهم مما أمروا أن يردّوا إلى المشركين"[٢٥٦٥].

روي عن بكير بن الأشجّ، قال:" كان بين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم والمشركين هدنة فيمن فرّ من النساء، فإذا فرّت المشركة أعطى المسلمون زوجها نفقته عليها وكان المسلمون يفعلون وكان إذا لم يعط هؤلاء ولا هؤلاء أخرج المسلمون للمسلم الذي ذهبت امرأته نفقتها"[٢٥٦٦].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: أمر الله عزّ وجلّ في هذه الآية المؤمنين أن يعطوا من فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر إذا هم كانت لهم على أهل الكفر عُقْبى، إما بغنيمة يصيبونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بهم، مثل الذي أنفقوا على الفارّة منهم إليهم، ولم يخصص إيتاءهم ذلك من مال دون مال، فعليهم أن يعطوهم ذلك من كلّ الأموال التي ذكرناها[٢٥٦٧].

(٢٥٥٧) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣.
(٢٥٥٨) أخرجه الطبري: ٣٣٨/٢٣-٣٣٩.
(٢٥٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.
(٢٥٦٠) أخرجه الطبري: ٣٣٩/٢٣.
(٢٥٦١) أي: الغنيمة.
(٢٥٦٢) تفسير ابن كثير: ٩٥/٨.
(٢٥٦٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٧/٢٣.
(٢٥٦٤) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٣.
(٢٥٦٥) أخرجه الطبري: ٣٣٧/٢٣.
(٢٥٦٦) أخرجه الطبري: ٣٣٠/٢٣.
(٢٥٦٧) تفسير الطبري: ٣٣٩/٢٣.

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [الممتحنة : ١١]، أي:" وخافوا الله الذي أنتم به مؤمنون"[٢٥٦٨].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٢٥٦٩].

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢)} [الممتحنة : ١٢]

التفسير:

يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكًا في عبادته، ولا يسرقن شيئًا، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها، ولا يُلحقن بأزواجهن أولادًا ليسوا منهم، ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به، فعاهدهن على ذلك، واطلب لهن المغفرة من الله. إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا} [الممتحنة : ١٢]، أي:" يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بالله ورسوله يعاهدنك على ألا يجعلن مع الله شريكًا في عبادته"[٢٥٧٠].

عن الشعبي، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُبايع النساء، ووضع على يده ثوبًا، فلما كان بعد كان يَخْبُرُ النساء، فيَقرأ عليهنّ هذه الآية: {يا أيها النَّبِيّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن}، فإذا أقررنَ قال: «قد بايعتكنّ». حتى جاءت هند امرأة أبي سُفيان، فلما قال: «ولا تَزنينَ». قالت: أوَتزني الحُرّة؟! لقد كُنّا نستحي من ذلك في الجاهلية، فكيف بالإسلام؟! فقال: «ولا تَقتُلنَ أولادكنّ». قالت: أنتَ قتلتَ آباءهم وتُوصينا بأولادهم! فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «ولا تَسرقنَ». فقالت: يا رسول الله، إني أصيب من مال أبي سُفيان. فرخّص لها"[٢٥٧١].

قوله تعالى:{وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ} [الممتحنة : ١٢]، أي:" ولا يرتكبن جريمة السرقة، ولا يرتكبن جريمة الزنى، ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها"[٢٥٧٢].

عن عامر الشعبي - قال : "بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء، وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه، ثم قال : «ولا تقتلن أولادكن». فقالت امرأة : تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم؟ قال : وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه، جمعهن فعرض عليهن، فإذا أقررن رجعن"[٢٥٧٣].

قوله تعالى:{وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} [الممتحنة : ١٢]، أي:" ولا يُلحقن بأزواجهن أولادًا ليسوا منهم ولا يخالفنك في معروف تأمرهن به"[٢٥٧٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ} [الممتحنة : ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «المعروف» -ها هنا-: الطاعة لله ولرسوله، قاله ميمون بن مهران[٢٥٧٥].

(٢٥٦٨) التفسير الميسر: ٥٥٠.

(٢٥٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

(٢٥٧٠) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٥٧١)أخرجه ابن سعد ٨/ ٥، ٩ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

(٢٥٧٢) صفوة التفاسير: ٣٤٥/٣.

(٢٥٧٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

(٢٥٧٤) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٥٧٥) انظر: النكت والعيون: ٥٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.

عن ميمون بن مِهْرَان:" لم يجعل الله لنبيه طاعة إلا لمعروف، والمعروف : طاعة"[٢٥٧٦].
الثاني :أنه النَّوْحُ. قاله قتادة[٢٥٧٧]، وأبو صالح[٢٥٧٨]. وآخرون.
عن قتادة: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: هو النوح أُخِذ عليهن لا ينحن، ولا يخلُونَّ بحديث الرجال إلا مع ذي محْرم؛ قال: فقال عبد الرحمن بن عوف: إنا نغيب ويكون لنا أضياف؛ قال: «وليس أولئك عنيت»"[٢٥٧٩].
عن سالم بن أبي الجعد: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: النوح"[٢٥٨٠].
عن أبي صالح، في قوله: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: في نياحة"[٢٥٨١].
عن أمّ عطية، قالت: "لما قدم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم المدينة، جمع بين نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب، فقام على الباب فسلم علينا، فرددن، أو فرددنا عليه، ثم قال: أنا رسول رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إليكنّ، قالت: فقلنا مرحبًا برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبرسول رسول الله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئًا، ولا تسرقن، ولا تزنين، قالت: قلنا نعم؛ قال: فمدّ يده من خارج الباب أو البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، ثم قال: اللهمّ اشهد؛ قالت: وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيَّض والعواتق، ولا جمعة علينا، ونهانا عن اتباع الجنازة، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قول الله: {وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قالت: النياحة"[٢٥٨٢].
عن مصعب بن نوح الأنصاريّ، قال: "أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، قالت: فأتيته لأبايعه، فأخذ علينا فيما أخذ ولا تَنُحنَ، فقالت عجوز: يا نبيّ الله إن ناسًا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني، وإنهم قد أصابتهم مصيبة، فأنا أريد أن أسعدهم؛ قال: فانْطلقِي فَكافِئِيهِمْ، ثم إنها أتت فبايعته، قال: هو المعروف الذي قال الله: {وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}"[٢٥٨٣].
عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: "جاءت أُميمة بنت رقيقة إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم تبايعه على الإسلام، فقال لها النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "أُبايعُكِ على أنْ لا تُشْرِكي باللهِ شَيْئا، ولا تَسْرِقي، ولا تَزْني، وَلا تَقْتُلي وَلَدَكِ، وَلا تَأتي بِبُهْتانٍ تفتَرِينَهُ بَينَ يديْكِ ورِجْلَيْكِ، وَلا تَنُوحي وَلا تَبرَّجِي تَبرجَ الجاهِلِيةِ الأولى"[٢٥٨٤].
عن أم سلمة، عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، في قوله: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: «النوح»"[٢٥٨٥].
الثالث : أن من المعروف ألا تخمش وجهها ولا تنشر شعرها ولا تشق جيباً ولا تدعو ويلاً ، قاله أسيد بن أبي أسيد[٢٥٨٦].
الرابع : ما روي عن قتادة، قال:" ذُكر لنا أن نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أخذ عليهن يومئذ النياحة، ولا تحدثن الرجال، إلا رجلا منكن مَحْرَما، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا نبي الله إن لنا أضيافا، وأنا نغيب عن نسائنا؛ قال: فقال رسول الله: «لَيْسَ أُولَئِكَ عَنَيْتُ»"[٢٥٨٧].

(٢٥٧٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٠/٨.
(٢٥٧٧) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.
(٢٥٧٨) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.
(٢٥٧٩) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.
(٢٥٨٠) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.
(٢٥٨١) أخرجه الطبري: ٣٤١/٢٣.
(٢٥٨٢) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢٣-٣٤٦.
(٢٥٨٣) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣-٣٤٤.
(٢٥٨٤) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.
(٢٥٨٥) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٣.
(٢٥٨٦) انظر: النكت والعيون: ٥٢٥/٥.
(٢٥٨٧) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.

وعن قتادة، في قوله: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: لا يحدثن رجلا"[٢٥٨٨].

وروي عن زهير، في قول الله: "{وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، قال: لا يخلوا الرجل بامرأة"[٢٥٨٩].

وعن الحسن البصري، قال:" كان فيما أُخذ عليهن أن لا يَخْلُون بالرجال إلا أن يكون مَحرمًا، وإنّ الرجل قد تُلاطفه المرأة فيُمذي في فَخِذيه"[٢٥٩٠].

الخامس : أن«المعروف»: ما اشترط عليهنّ في البيعة أن يتبعن أمره. رواه عبيد عن الضحاك"[٢٥٩١].

الثامن: أنه عام في الأمور كلها وينبغي لهنّ أن لا يعصين. ذكره ابن المنكدر عن أميمة[٢٥٩٢].

عن ابن المنكدر: "أن أُمَيمة أخبرته أنها دخلت على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في نسوة، فقلن: يا رسول الله ابسط يدك نصافحك، فقال: "إني لا أُصافحُ النِّساءَ، وَلَكِن سآخُذُ عَلَيْكُنَّ، فأخذ علينا حتى بلغ: {وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ}، فقال: "فيما أطَقْتُنَّ واسْتَطَعْتُنَّ فَقلن: الله أرحم بنا من أنفسنا"[٢٥٩٣].

عن أُميمة بنت رقيقة، قالت:" جاءت نسوة إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يبايعنه، فقال: فِيما اسْتَطَعْتُنَّ وأطَقْتنَّ، فقلنا: الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا"[٢٥٩٤].

عن أُميمة بنت رقيقة التيمية، قالت: "بايعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في نسوة من المسلمين، فقلنا له: جئناك يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرِقَ، ولا نزنِي، ولا نقتلَ أولادنا، ولا نأتيَ ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيك في معروف؛ فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ وَأَطَقْتُنَّ"، فقلنا: اللهُ وَرَسُولُهُ أرحم بنا من أنفسنا، فقلنا: بايعنا يا رسول الله، فقال: "ادْهَبْنَ فَقَدْ بَايعْتُكُنَّ، إنَّمَا قَوْلِي لمئَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ"، وما صافح رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم منا أحدًا"[٢٥٩٥].

قوله تعالى:{ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الممتحنة : ١٢]، أي:" فعاهدهن على ذلك واطلب لهن المغفرة من الله، إن الله غفور لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم "[٢٥٩٦].

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"[٢٥٩٧].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢٥٩٨].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣)} [الممتحنة : ١٣]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم; لكفرهم أصدقاء وأخلاء، قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر،

(٢٥٨٨) أخرجه الطبري: ٣٤٢/٢٣.

(٢٥٨٩) أخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٣.

(٢٥٩٠) الدر المنثور: ١٤٤/٨، وعزاه إلى ابن سعد، وعبد بن حميد.

(٢٥٩١) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢٣.

(٢٥٩٢) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

(٢٥٩٣) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

(٢٥٩٤) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٣.

(٢٥٩٥) أخرجه الطبري: ٣٤٤/٢٣.

(٢٥٩٦) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٥٩٧) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.

(٢٥٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها، أو كما يئس الكفار مِن بَعْث موتاهم -أصحاب القبور-؛ لاعتقادهم عدم البعث.

سبب النزول:

قال مقاتل:" يعني: اليهود، نزلت فِي عَبْد اللَّه بن أُبَيٍّ، ومالك بن دخشم، كانت اليهود زينوا لهم ترك الإسلام فكان أناس من فقراء المسلمين يخبرون اليهود عن أخبار المسلمين ليتواصلوا بذلك فيصيبون من ثمارهم وطعامهم، فنهى الله- عز وجل- عن ذلك"[٢٥٩٩].

قال الثعلبي:" وذلك أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ويتواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك"[٢٦٠٠].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الممتحنة : ١٣]، أي:" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، لا تتخذوا الذين غضب الله عليهم; لكفرهم أصدقاء وأخلاء"[٢٦٠١].

قال قتادة: هم اليهود تولاهم: المنافقون"[٢٦٠٢].

قوله تعالى:{قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} [الممتحنة : ١٣]، أي:" قد يئسوا من ثواب الله في الآخرة، كما يئس الكفار المقبورون، من رحمة الله في الآخرة؛ حين شاهدوا حقيقة الأمر، وعلموا علم اليقين أنهم لا نصيب لهم منها"[٢٦٠٣].

وفي قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ} [الممتحنة : ١٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس أصحاب القبور بعد المعاينة من ثواب الآخرة، لأنهم عاينوا الأمر، وعرفوا أنهم أهل النار قطعا. قاله مجاهد[٢٦٠٤]، وعكرمة[٢٦٠٥]، وعكرمة[٢٦٠٦]، ومنصور[٢٦٠٧].

قال مجاهد:" يقول: كما يئس من مات منهم من ثواب الآخرة، ومن رحمة الله حين بين لهم أعمالهم الخبيثة"[٢٦٠٨].

قال عكرمة:" أصحاب القبور قد يئسوا من الآخرة"[٢٦٠٩].

قال منصور:" قد يئسوا أن يكون لهم ثواب الآخرة، كما يئس من في القبور من الكفار من الخير، حين عاينوا العذاب والهوان"[٢٦١٠].

الثاني : قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من بعث من في القبور، قتادة[٢٦١١]، والضحاك[٢٦١٢].

قال قتادة:" يقول: يئسوا أن يُبعثوا كما يئس الكفار أن ترجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا"[٢٦١٣].

(٢٥٩٩)تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٧/٤. وذكره ابن الجوزي في"زاد المسير": ٢٧٥/٤، والواحدي في «الأسباب»: ٤٢٦، بدون إسناد ولا عزو لأحد، فهو لا شيء، وليس له أصل.

(٢٦٠٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٩.

(٢٦٠١) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٠٢) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣١٨٠):٢٩٥/٣.

(٢٦٠٣) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢٦٠٦)انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢٦٠٧)انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢٦٠٨) تفسير مجاهد: ٦٥٧.

(٢٦٠٩) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢٦١٠) أخرجه الطبري: ٣٤٨/٢٣.

(٢٦١١) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦١٢) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦١٣) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

قال قتادة:" الكافر لا يرجو لقاء ميته ولا أجره"[٢٦١٤].

قال الضحاك:" يقول من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم، أو يبعثهم الله"[٢٦١٥].

عن منصور بن زاذان، عن الحسن البصري[٢٦١٦] أنه قال في هذه الآية: {قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ}، قال: "الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات"[٢٦١٧].

والصواب قول من قال: قد يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من اليهود من ثواب الله لهم في الآخرة، وكرامته لكفرهم وتكذيبهم رسوله محمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على علم منهم بأنه لله نبيّ، كما يئس الكفار منهم الذين مضوا قبلهم فهلكوا، فصاروا أصحاب القبور، وهم على مثل الذي هؤلاء عليه من تكذيبهم عيسى؛ صلوات الله عليه وغيره من الرسل، من ثواب الله وكرامته إياهم، وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بتأويل الآية، لأن الأموات قد يئسوا من رجوعهم إلى الدنيا، أو أن يُبعثوا قبل قيام الساعة المؤمنون والكفار، فلا وجه لأن يخصّ بذلك الخبر عن الكفار، وقد شركهم في الإياس من ذلك المؤمنون[٢٦١٨].

«آخر تفسير سورة (الممتحنة)، والحمد لله وحده»

(٢٦١٤) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦١٥) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦١٦) في المطبوع«حسين»، والصحيح الحسن كما في تفسير ابن كثير: ١٠٣/٨.

(٢٦١٧) أخرجه الطبري: ٣٤٧/٢٣.

(٢٦١٨) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٣-٣٤٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الصف»

«سورة الصف» هي السورة الواحدة والستون من سور القرآن الكريم، تليها سورة «الجمعة» وتسبقها« سورة الممتحنة» في ترتيب سور المصحف، آياتها أربع عشرة. وكلماتها مائتان وإحدى وعشرون. وحروفها تسعمائة. مجموع فواصل آياتها: «صمن»، وعلى «الصاد» آية واحدة: {مَرْصُوصٌ} [الصف : ٤][٢٦١٩].

- **مكان نزول السورة:**

وفيها قولان:

أحدهما: أنها مدنيّة، قاله ابن عباس[٢٦٢٠]، والحسن[٢٦٢١]، ومجاهد[٢٦٢٢]، وعكرمة[٢٦٢٣]، وقتادة[٢٦٢٤]، وهو قول الجمهور[٢٦٢٥].

الثاني: أنها مكيّة، قاله مكي عن ابن عباس[٢٦٢٦]، والمهدوي عن عطاء ومجاهد[٢٦٢٧]، وحكاه ابن الجوزي عن ابن يسار[٢٦٢٨].

قال ابن عطية: القول" الأول أصح، لأن معاني السورة تعضده ويشبه أن يكون فيها المكي والمدني"[٢٦٢٩].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٢٦٣٠].

قال ابن عاشور:" هي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام"[٢٦٣١].

(٢٦١٩) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٢/١، والتحرير والتنوير: ١٧١/٢٨.

(٢٦٢٠) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢١) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢٢) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢٣) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢٤) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢٥) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥، وزاد المسير: ٢٧٦/٤.

(٢٦٢٦) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٢٦٢٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٢٦٢٨) انظر: زاد المسير: ٢٧٦/٤. ابن يسار: هو محمد بن إسحاق بن يَسَار، المُطَّلِبي بالولاء، من أهل المدينة، سكن العراق، إمام في المغازي والسيرة النبوية، رُمِيَ بالتشيع والقدر، صدوق يُدلِّس، مات ببغداد سنة (١٥١ هـ)، وقيل بعدها. انظر: "وفيات الأعيان" ٤/ ٢٧٦، "تذكرة الحفاظ" ١/ ١٧٢، "تهذيب التهذيب" ٣/ ٥٠٤.

(٢٦٢٩) المحرر الوجيز: ٣٠١/٥.

(٢٦٣٠) زاد المسير: ٢٦٦/٤.

(٢٦٣١) التحرير والتنوير: ١٧٢/٢٨.

القرآن

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)} [الصف : ١]

التفسير:

نزَّه الله عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض، وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الصف : ١]، أي:" نزَّه الله عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض"(٢٦٣٢).

عن الضحاك:"{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} " أنه الصلاة، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"(٢٦٣٣).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الصف : ١]، أي:" وهو العزيز الذي لا يغالب، الحكيم في أقواله وأفعاله"(٢٦٣٤).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٢٦٣٥)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٢٦٣٦).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(٢٦٣٧). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٢٦٣٨). ذلك(٢٦٣٨).

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٢٦٣٩).

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(٢٦٤٠).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)} [الصف : ٢ - ٣]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لِمَ تَعِدون وعدًا، أو تقولون قولا ولا تفون به؟! عَظُم بغضًا عند الله أن تقولوا بألسنتكم ما لا تفعلونه.

اختلف أهل التفسير في السبب الذي من أجله أُنزلت هذه الآيات:[١-٤]، على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في قوم قالوا : لو عملنا أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليه ، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا عنه، قاله ابن عباس(٢٦٤١)، ومجاهد(٢٦٤٢)، وزيد بن أسلم(٢٦٤٣).

عَن زيد بن أسلم قَالَ:" نزلت هَذِه الْآيَة فِي نفر من الْأَنْصَار فيهم عبد الله بن رَوَاحَة قَالُوا فِي مجْلِس: لَو نعلم أي الْأَعْمَال أحب إِلَى الله لعملنا بِهِ حَتَّى نموت فَأنْزل الله هَذِه فيهم فَقَالَ ابْن رَوَاحَة: لَا أبْرَح حَبِيسًا فِي سَبِيل الله حَتَّى أَمُوت شَهِيدا"(٢٦٤٤).

(٢٦٣٢) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٣٣) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٢٦٣٤) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٢٦٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٢٦٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢٦٣٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٢٦٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢٦٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

(٢٦٤١) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٢٦٤٢) انظر: الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٢٦٤٣) .

عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام قال: "تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يقم أحد منا، " فأرسل إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني: سورة الصف كلها"[٢٦٤٥].[صحيح]

قال ابن عباس:" ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: لوددنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شكّ فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به؛ فلما نزل الجهاد، كره ذلك أُناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره، فقال الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}"[٢٦٤٦].

قال ابن عباس:" كان قوم يقولون: والله لو أنا نعلم ما أحب الأعمال إلى الله؟ لعملناه، فأنزل الله على نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا} ... إلى قوله: {بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} فدلهم على أحبّ الأعمال إليه"[٢٦٤٧].

عن مجاهد، في قول الله: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} ... إلى قوله: {مَرْصُوصٌ}، فيما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة، قالوا في مجلس: لو نعلم أيّ الأعمال أحب إلى الله لعملنا بها حتى نموت، فأنزل الله هذا فيهم، فقال عبد الله بن رواحة: لا أزال حبيسًا في سبيل الله حتى أموت، فقتل شهيدا"[٢٦٤٨].

عن أبي صالح، قال: "قالوا: لو كنا نعلم أيّ الأعمال أحبّ إلى الله وأفضل، فنزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} فكرهوا، فنزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}"[٢٦٤٩].

وقال محمد بن كعب القُرَظيّ: "لمّا أخبر الله تعالى رسوله - صلى الله عليه وسلم - بثواب شهداء بدر؛ قالت الصحابة: اللهم، اشهد، لئن لقينا قتالًا لنُفرغنّ فيه وُسعنا. ففرُّوا يوم أُحد، فعيّرهم الله بذلك بهذه الآية"[٢٦٥٠].

قال مقاتل بن حَيّان : "قال المؤمنون: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملناه فدلهم على أحب الأعمال إليه فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا } [الصف : ٤]، فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} ؟ وقال : أحبكم إلي من قاتل في سبيلي"[٢٦٥١].

قال الفراء:" كَانَ المسلمون يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى اللَّه لأتيناه، ولو ذهبَتْ فِيهِ أنفسنا وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد فتولوا عَنْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتَّى شُجّ وكسرت رباعِيَتُه، فقال: {لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ} لذلك"[٢٦٥٢].

(٢٦٤٤) .

(٢٦٤٥) أخرجه أحمد في المسند(٢٣٧٨٨):ص٢٠٥/٣٩، وأخرجه أبو إسحاق في "السير" (٥٤٦) ، والدارمي (٢٣٩٠) ، والترمذي (٣٣٠٩) ، وأبو يعلى (٧٤٩٩) ، وابن حبان (٤٥٩٤) ، والطبراني في "الكبير - قطعة من ج١٣" (٤٠٦) ، والحاكم ٦٩/٢ و٢٢٨-٢٢٩ و٤٨٦-٤٨٧، والبيهقي ١٥٩/٩-١٦٠، والذهبي في "سير أعلام النبلاء" ٤٢٤/٢ من طرق عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام. ووقع في مطبوع الطبراني مكان "يحيى بن أبي كثير": يحيى بن أكثم، وهو تحريف.

(٢٦٤٦) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٣-٣٥٤.

(٢٦٤٧) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٢٦٤٨) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٢٦٤٩) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٣.

(٢٦٥٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٠٢، وتفسير البغوي ٨/ ١٠٤.

(٢٦٥١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ١٠٦/٨.

(٢٦٥٢) معاني القرآن:١٥٣/٣.

الثاني : أنها نزلت في قوم كان يقول الرجال منهم : قاتلت ولم يقاتل، وطعنت ، ولم يطعن ، وضربت ، ولم يضرب وصبرت ، ولم يصبر ، وهذا مروي عن عكرمة[٢٦٥٣]، وقتادة[٢٦٥٤]، والضحاك[٢٦٥٥].

عن قتادة، في قوله تعالى: {لم تقولون ما لا تفعلون} [الصف: ٢] قال: "بلغني أنها نزلت في الجهاد , قال: كان رجل يقول: «قاتلت وفعلت, ولم يكن يفعل، فوعظهم الله في ذلك أشد الموعظة"[٢٦٥٦].

عن قتادة، قوله: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ}، يؤذنهم ويعلمهم كما تسمعون {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ}، وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه، فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة، فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} .. إلى قوله: {كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}"[٢٦٥٧].

قال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} أنزل الله هذا في الرجل يقول في القتال ما لم يفعله من الضرب والطعن والقتل، قال الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}"[٢٦٥٨].

الثالث : أنها نزلت في المنافقين كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- ولأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا. وهذا قول الحسن[٢٦٥٩]، وابن زيد[٢٦٦٠].

قال الحسن:" يعني: المنافقين نسبهم إلى الإسلام الذي أظهروا، وهو الإقرار، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله، ونؤمن به، فإذا جاء الجهاد بعدوا عنه"[٢٦٦١].

عن ابن وهب: "قال ابن زيد، في قول الله: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}، يقولون للنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه: لو خرجتم خرجنا معكم، وكنا في نصركم، وفي، وفي؛ فأخبرهم أنه {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}"[٢٦٦٢].

وأولى هذه الأقوال بتفسير الآية قول من قال: عنى بها الذين قالوا: لو عرفنا أحبّ الأعمال إلى الله لعملنا به، ثم قصروا في العمل بعد ما عرفوا. وإنما قلنا: هذا القول أولى بها، لأن الله جلّ ثناؤه خاطب بها المؤمنين، فقال: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ولو كانت نزلت في المنافقين لم يسمّوا، ولم يوصفوا بالإيمان، ولو كانوا وصفوا أنفسهم بفعل ما لم يكونوا فعلوه، كانوا قد تعمدوا قيل الكذب، ولم يكن ذلك صفة القوم، ولكنهم عندي أمَّلوا بقولهم: لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله عملناه أنهم لو علموا بذلك عملوه؛ فلما علموا ضعفت قوى قوم منهم، عن القيام بما أملوا القيام به قبل العلم، وقوي آخرون فقاموا به، وكان لهم الفضل والشرف"[٢٦٦٣].

قال الماوردي:" وهذه الآية وإن كان ظاهرها الإنكار لمن قال ما لا يفعل فالمراد بها الإنكار لمن لم يفعل ما قال ، لأن المقصود بها القيام بحقوق الالتيام دون إسقاطه"[٢٦٦٤].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الصف : ٢]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٦٦٥].

(٢٦٥٣) انظر: النكت والعيون ٥٢٧/٥.
(٢٦٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣، و تفسير عبدالرزاق (٣٢٠٩):ص٣٠٧/٣.
(٢٦٥٥) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.
(٢٦٥٦) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٢٠٩):ص٣٠٧/٣.
(٢٦٥٧) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.
(٢٦٥٨) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.
(٢٦٥٩) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨٢/٤.
(٢٦٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣.
(٢٦٦١) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٨٢/٤، وتفسير الثعلبي: ٣٠٢/٩.
(٢٦٦٢) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢٣.
(٢٦٦٣) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٣-٣٥٦.
(٢٦٦٤) النكت والعيون: ٥٢٧/٥.
(٢٦٦٥) التفسير الميسر: ٥٥١.

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"(٢٦٦٦).

قوله تعالى:{لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف : ٢]، أي:" لِمَ تَعِدون وعدًا، أو تقولون قولا ولا تفون به؟!"(٢٦٦٧).

روي عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلي عن أبيه قال : "بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة، فدخل عليه منهم ثلاثمائة رجل، كلهم قد قرأ القرآن، فقال. أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم. وقال : كنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات، فأنسيناها، غير أني قد حفظت منها :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} فتكتب شهادة في أعناقكم، فتسألون عنها يوم القيامة"(٢٦٦٨).

عن أبي خالد الوالبي، قال: "جَلسنا إلى خبّاب، فسكت، فقُلنا: ألا تحدِّثنا! فإنما جَلسنا إليك لذلك. فقال: أتأمروني أنْ أقول ما لا أفعل"(٢٦٦٩).

عن ميمون بن مهران، قال: إنّ القاصّ ينتظر المَقْت. فقيل له: أرأيتَ قول الله: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ}، أهو الرجل يقرّظ نفسه فيقول: فعلتُ كذا وكذا من الخير؟ أم هو الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان فيه تقصير؟ فقال: كلاهما ممقوت"(٢٦٧٠).

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال : "أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتنا وأنا صبي قال : فذهبت لأخرج لألعب، فقالت أمي : يا عبد الله : تعال أعطك. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : "وما أردت أن تُعطِيه ؟". قالت : تمرا. فقال : "أما إنك لو لم تفعلي كُتِبت عليك كِذْبة"(٢٦٧١).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤)} [الصف : ٤]

التفسير:

إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيان متراص محكم لا ينفذ منه العدو. وفي الآية بيان فضل الجهاد والمجاهدين؛ لمحبة الله سبحانه لعباده المؤمنين إذا صفُّوا مواجهين لأعداء الله، يقاتلونهم في سبيله.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا} [الصف : ٤]، أي:" إن الله يحب المجاهدين الذين يصفُّون أنفسهم عند القتال صفاً، ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو"(٢٦٧٢).

قال مطرف: "كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتهي لقاءه، فلقيته فقلت: يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتهي لقاءك. فقال: لله أبوك! فقد لقيت، فهات: فقلت: كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة؟ قال: أجل، فلا إخالني أكذب علي خليلي صلى الله عليه وسلم. قلت: فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله؟ قال: رجل غزا في سبيل الله، خرج محتسبا مجاهدا فلقي العدو فقتل، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل، ثم قرأ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} ... وذكر الحديث "(٢٦٧٣).

وعن كعب الأحبار أنه قال: "يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم «عبدي المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة،

(٢٦٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.
(٢٦٦٧) التفسير الميسر: ٥٥١.
(٢٦٦٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٠٧/٨.
(٢٦٦٩) الدر المنثور: ١٤٧/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٦٧٠) الدر المنثور: ١٤٧/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٦٧١)المسند (٤٤٧/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٩٩١).
(٢٦٧٢) صفوة التفاسير: ٣٥٠/٣.
(٢٦٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٨٢):ص٣٣٥٣/١٠، وانظر: مسند الإمام أحمد ٣/ ٨٠.

وهجرته بطابة، وملكه بالشام، وأمته الحمادون يحمدون الله على كل حال، وفي كل منزلة، لهم دوي كدوي النحل في جو السماء بالسحر، يوضون أطرافهم، ويأتزرون على أنصافهم، صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة» ثم قرأ: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص رعاة الشمس، يصلون الصلاة حيث أدركتهم، ولو على ظهر دابة"[٢٦٧٤].

عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاث يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال"[٢٦٧٥].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف : ٤]، أي:" كأنهم في تراصِّهم وثبوتهم في المعركة، بناءٌ قد رُصَّ بعضه ببعض، وأُلصق وأُحكم حتى صار شيئاً واحدا"[٢٦٧٦].

قال سعيد بن جبير:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم، وهذا تعليم من الله للمؤمنين. قال : وقوله :{كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} ملتصق بعضه في بعض، من الصف في القتال"[٢٦٧٧].

عن قتادة في الآية، قال:" ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحبّ أن يختلف بنيانه، كذلك تبارك وتعالى لا يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به"[٢٦٧٨].

عن أبي بحرية، قال: "كانوا يكرهون القتال على الخيل، ويستحبون القتال على الأرض، لقول الله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، قال: وكان أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني التفتّ في الصف، فجئوا في لحيي"[٢٦٧٩].

عن مُغيرة بن حبيب، قال: سألتُ سالم [بن عبد الله بن عمر] عن المبارزة؟ فأكبَّ هُنَيْهة، ثم رفع رأسه، فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}"[٢٦٨٠].

عن عبد الملك ابن جُرَيْج، قال: "قلت له [أي: عطاء بن أبي رباح]: أيُكره أن يمشي الإنسانُ يخرق الصَّفوف بعد ما يكبّر الإمام؟ قال: لا، إلا أن يمشي بين يدي أحد. ثم قال بعد: إنْ خَرَق الصَّفوف إلى فُرجة فقد أحسن، وحُقَّ على الناس أن يَدْحَسُوا[٢٦٨١] الصَّفوف حتى لا يكون بينهم فُرَج. ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، فالصلاة أحَقُّ أن يكون فيها ذلك"[٢٦٨٢].

القرآن

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)} [الصف : ٥]

التفسير:

واذكر لقومك -أيها الرسول- حين قال نبي الله موسى عليه السلام لقومه: لِمَ تؤذونني بالقول والفعل، وأنتم تعلمون أني رسول الله إليكم؟ فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به، وأصرُّوا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن

(٢٦٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٨٣):ص٣٣٥٤/١٠.

(٢٦٧٥)المسند (٨٠/٣) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٠) وقال البوصيري في الزوائد (٨٧/١) : "هذا إسناد فيه مقال، مجالد بن سعيد وإن أخرج له مسلم في صحيحه فإنما روى له مقرونًا بغيره قال ابن عدى : عامة ما يرويه غير محفوظ".

(٢٦٧٦) صفوة التفاسير: ٣٥٠/٣.

(٢٦٧٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٠٨/٨.

(٢٦٧٨) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٣.

(٢٦٧٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٣-٣٥٨.

(٢٦٨٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٠/ ٣١٩ (١٩٨١٦).

(٢٦٨١)أي: يزدحموا فيها، ويَدُسُّوا أنفسهم بين فُرَجها. النهاية (دحس).

(٢٦٨٢)مصنف عبد الرزاق ٢/ ٥٠ - ٥١ (٢٤٤٨).

قَبول الهداية؛ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم. والله لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} [الصف : ٥]، أي:" واذكر لقومك -أيها الرسول- حين قال نبي الله موسى عليه السلام لقومه: لِمَ تؤذونني بالقول والفعل، والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً بما شاهدتموه من المعجزات الباهرة أني رسولُ اللهِ إليكم، وتعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة؟"(٢٦٨٣).

عن قتادة، في قوله: {لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} [الأحزاب: ٦٩]:" قال: إن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة فلا يستترون ، وكان موسى رجلا حييا لا يفعل ذلك ، فكانوا يقولون ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ، فاغتسل يوما ووضع ثوبه على حجر فسعى الحجر بثوبه فأتبعه موسى يسعى خلفه ويقول: «ثوبي يا حجر ، ثوبي يا حجر ، حتى مر على بني إسرائيل فنظروا إليه فرأوه بريئا مما كانوا يقولون ، فأدرك الحجر فأخذ ثوبه»"(٢٦٨٤).

قوله تعالى:{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف : ٥]، أي:" فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به، وأصرُّوا على ذلك، صرف الله قلوبهم عن قَبول الهداية؛ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم"(٢٦٨٥).

قال الحسن: طبع عليها بكفرهم"(٢٦٨٦).

عن أبي أمامة في قوله: "{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ}، قال: هم الخوارج"(٢٦٨٧).

القرآن

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)} [الصف : ٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول لقومك- حين قال عيسى بن مريم لقومه: إني رسول الله إليكم، مصدِّقًا لما جاء قبلي من التوراة، وشاهدًا بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد» ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعيًا إلى التصديق به، فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بيِّن.

قوله تعالى:{وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف : ٦]، أي:" وشاهدًا بصدق رسول يأتي من بعدي اسمه «أحمد»، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، وداعيًا إلى التصديق به"(٢٦٨٨).

عن محمد بن إسحاق، قال: "وكانت الأحبار والرُّهبان -أهل الكتابيْن- هم أعلم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مَبعثه وزمانه الذي يُترقب فيه من العرب؛ لِما يجدون في كتبهم من صفاته، وما أُثبت فيها عندهم من اسمه، وبما أُخذ عليهم من الميثاق له في عهد أنبيائهم وكتبهم في اتّباعه، فيَستفْتحون به على أهل الأوثان من أهل الشّرك، ويخبرونهم أنّ نبيًا مبعوثًا بدين إبراهيم اسمه أحمد، كذلك يجدونه في كتبهم وعهد أنبيائهم، يقول الله -تبارك وتعالى-: {الذي يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم} إلى قوله: {أولئك هم المفلحون} [الأعراف: ١٥٧]، وقال الله -تبارك وتعالى-: {وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل} الآية كلّها، وقال: {محمد رسول الله والذين معه} الآية كلّها [الفتح: ٢٩]، وقوله: {وكانوا من

(٢٦٨٣) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٨٤) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٢):ص٥٣/٣.

(٢٦٨٥) التفسير الميسر: ٥٥١.

(٢٦٨٦) البحر المحيط في التفسير: ٥٣١/٥.

(٢٦٨٧) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٣.

(٢٦٨٨) التفسير الميسر: ٥٥٢.

قبل يستفتحون على الذين كفروا} إلى قوله: {فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين} [البقرة: ٨٩ - ٩٠]"[٢٦٨٩].

عن محمد بن جُبَير بن مُطعم، عن أبيه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن لي أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يَمحُو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"[٢٦٩٠].

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف : ٦]، أي:" فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالآيات الواضحات، قالوا: هذا الذي جئتنا به سحر بيِّن"[٢٦٩١].

عن ابن إسحاق:" {هذا سحر مبين}، أي: ما ساحر أسحر منك"[٢٦٩٢].

عن مسروق:" أنه كان يقرأ التي في المائدة وفي الصف وفي يونس: «ساحِرٌ»"[٢٦٩٣].

عاصم، أنه قرأ: {هَذا سِحْرٌ مُّبِينٌ} بغير ألف[٢٦٩٤].

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)} [الصف : ٧]

التفسير:

ولا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العبادة لله وحده. والله لا يوفِّق الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك، إلى ما فيه فلاحهم.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ} [الصف : ٧]، أي:" ولا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، وجعل له شركاء في عبادته، وهو يُدعى إلى الدخول في الإسلام وإخلاص العبادة لله وحده"[٢٦٩٥].

عن عكرمة:" أنه النضر وهو من بني عبد الدار قال إذا كان يوم القيامة شفعت لي العزى واللات ، فأنزل الله هذه الآية"[٢٦٩٦].

القرآن

{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)} [الصف : ٨]

التفسير:

يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعِثَ به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة، والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذِّبون.

سبب النزول:

حكي عطاء عن ابن عباس:" أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما ، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود ابشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه ، وما كان الله ليتم أمره ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، ثم اتصل الوحي بعدها[٢٦٩٧].

(٢٦٨٩)سيرة ابن إسحاق ص ٦٢.

(٢٦٩٠)صحيح البخاري برقم (٤٨٩٦) وصحيح مسلم برقم (٢٣٥٤).

(٢٦٩١) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٦٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٨):ص٢٨٥٢/٩.

(٢٦٩٣) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢٦٩٤) الدر المنثور: ١٤٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٢٦٩٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٦٩٦) النكت والعيون: ٥٣٠/٥.

قوله تعالى:{يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} [الصف : ٨]، أي:" يريد هؤلاء الظالمون أن يبطلوا الحق الذي بُعِثَ به محمد صلى الله عليه وسلم -وهو القرآن- بأقوالهم الكاذبة"[٢٦٩٨].

عن السدي قوله: {بِأَفْوَاهِهِمْ}، يقول: بكلامهم"[٢٦٩٩].

وفي {نور الله} -ها هنا-، قولان:

أحدهما: أنه الإسلام ، يريدون دفعه بالكلام ، قاله السدي[٢٧٠٠].

الثاني: أنه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالأراجيف ، قاله الضحاك[٢٧٠١].

قال الضحاك:" يريدون أن يهلك محمد وأصحابه، أن لا يعبدوا الله بالإسلام في الأرض"[٢٧٠٢].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف : ٨]، أي:" والله مظهر الحق بإتمام دينه ولو كره الجاحدون المكذِّبون"[٢٧٠٣].

قال الضحاك:" يعني بها: كفار العرب، وأهل الكتاب من حارب منهم النبي- صلى الله عليه وسلم وكفر بآياته"[٢٧٠٤].

وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «مُتِمٌّ نُوره»، بالتنوين وفتح الراء[٢٧٠٥].

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩)} [الصف : ٩]

التفسير:

الله هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام؛ ليعليه على كل الأديان المخالفة له، ولو كره المشركون ذلك.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [الصف : ٩]، أي:" الله هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام"[٢٧٠٦].

قال قتادة:" قاتل الله قوما ينتحلون دينا لم يصدقه قوم قط ولم يفلحه ولم ينصره إذا أظهروه إهراق به دماؤهم، وإذا سكتوا عنه كان فرحا في قلوبهم ذلك والله دين سوء قد ألاصوا هذا الأمر منذ بضع وستين سنة، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا؟"[٢٧٠٧].

قوله تعالى:{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [الصف : ٩]، أي:" ليعليه على كل الأديان المخالفة له"[٢٧٠٨].

قال مجاهد:" لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا الإسلام وحتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد، والإنسان الحية وحتى لا تقرض فأرة جرابا وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير فهو قوله: ليظهره على الدين كله"[٢٧٠٩].

(٢٦٩٧) النكت والعيون: ٥/٥٣٠.

(٢٦٩٨) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٦٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٧):ص٦/١٧٨٥.

(٢٧٠٠) النكت والعيون: ٥/٥٣٠.

(٢٧٠١) النكت والعيون: ٥/٥٣٠.

(٢٧٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٦٦):ص٦/١٧٨٥.

(٢٧٠٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٧٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٨):ص٦/١٧٨٥-١٧٨٦.

(٢٧٠٥) انظر: السبعة في القراءات: ٦٣٥.

(٢٧٠٦) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٧٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٩):ص٦/١٧٨٦.

(٢٧٠٨) التفسير الميسر: ٥٥٢.

(٢٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص٦/١٧٨٦.

وروي عن الضحاك أنه قال: "يظهر الإسلام على الدين كل دين"[٢٧١٠].
قال السدي: "وذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج"[٢٧١١].
عن ابن مسعود :" إذا أنزل عليهم ابن مريم لم يكن في الأرض دين إلا دين الإسلام. قال: فذلك قوله عز وجل: {ليظهره على الدين كله}"[٢٧١٢].
عن أبي هريرة: "{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ}، قال: خروج عيسى ابن مريم"[٢٧١٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)} [الصف : ١٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، هل أُرشِدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موجع؟

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الصف : ١٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٧١٤].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[٢٧١٥].

وفي قراءة عَبْد اللَّه: «آمنوا»"[٢٧١٦].

قوله تعالى:{هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف : ١٠]، أي:" هل أُرشِدكم إلى تجارة عظيمة الشأن تنجيكم من عذاب موجع؟"[٢٧١٧].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٢٧١٨]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٢٧١٩].

عن مجاهد، في قوله: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠] قال: " قال نفر من الأنصار في مجلس لهم وفيهم عبد الله بن رواحة: لو نعلم أي العمل أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت "، فأنزل الله عز وجل: هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الصف: ١٠] إلى قوله: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٣] ، قال ابن رواحة: «لا أزال حبيسا في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيدا»[٢٧٢٠].

القرآن

{تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)} [الصف : ١١]

التفسير:

(٢٧١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٧٨٦/٦.
(٢٧١١) تفسير الثعلبي: ٣٦/٥.
(٢٧١٢) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي(١٠٢):ص٦٢.
(٢٧١٣) أخرجه اطبري: ٢٦١/٢٣.
(٢٧١٤) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.
(٢٧١٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٥٤/٣.
(٢٧١٧) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٧١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٢٧٢٠) تفسير مجاهد: ٦٥٨.

تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس، ذلك خير لكم من تجارة الدنيا، إن كنتم تعلمون مضارَّ الأشياء ومنافعها، فامتثلوا ذلك.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: قالوا: "لو كُنّا نعلمُ أيَّ الأعمال أحبّ إلى الله. فنَزلت: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِن عَذابٍ أليمٍ} إلى قوله: {بِأمْوالِكُمْ وأنْفُسِكُمْ}. فكرهوا؛ فنَزَلَتْ: {يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون} إلى قوله: {بنيان مرصوص}"[٢٧٢١].

عن سعيد بن جبير: في قوله: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِن عَذابٍ أليمٍ} الآية ، قال: "لَمّا نَزَلَتْ قال المسلمون: لو علِمنا ما هذه التجارة لَأعطينا فيها الأموالَ والأهلين. فبيّن لهم التجارة، فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ورَسُولِهِ}"[٢٧٢٢].

عن أبي صالح باذام -من طريق محمد بن جُحادة- قال:" قال المسلمون: لو أُمِرنا بشيء نفعله. فنَزَلت: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ}، فتباطئوا عنها؛ فنَزلت: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ}"[٢٧٢٣].

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "{يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ} إنّ هذا جوابٌ لِقولهم: لو نعلَم أحبَّ الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لَعمِلنا بها. فقال الله: {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَةٍ} إلى قوله: {ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ}"[٢٧٢٤].

قوله تعالى:{تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ} [الصف : ١١]، أي:" تداومون على إيمانكم بالله ورسوله، وتجاهدون في سبيل الله؛ لنصرة دينه بما تملكون من الأموال والأنفس"[٢٧٢٥].

عن قتادة، قوله: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ} .. الآية، فلولا أن الله بينها، ودلّ عليها المؤمنين، لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها، حتى يضنوا بها، وقد دلكم الله عليها، وأعلمكم إياها فقال: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}"[٢٧٢٦].

عن معمر، قال: "تلا قتادة: {هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ}، قال: الحمد لله الذي بينها"[٢٧٢٧].

في قراءة ابن مسعود: «آمنوا بالله ورسوله»، وهو معنى القراءة المعروفة، وجوابه: «يغفر لكم ذنوبكم»"[٢٧٢٨].

القرآن

{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)} [الصف :]

التفسير:

(٢٧٢١) الدر المنثور: ٨/ ١٤٩، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٧٢٢) الدر المنثور: ٨/ ١٤٩، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٢٧٢٣) الدر المنثور: ١٤٦/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٢٧٢٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٣٨٥ -.
(٢٧٢٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٢٦) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٣-٣٦٣.
(٢٧٢٧) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٣.
(٢٧٢٨) تفسير السمعاني: ٤٢٧/٥.

إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع، ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده. ونعمة أخرى لكم -أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يتم على أيديكم. وبشِّر المؤمنين -أيها النبي- بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

قوله تعالى:{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الصف : ١٢]، أي:" إن فعلتم -أيها المؤمنون- ما أمركم الله به يستر عليكم ذنوبكم"(٢٧٢٩).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٢٧٣٠).

قوله تعالى:{وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الصف : ١٢]، أي:" ويدخلكم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٢٧٣١).

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "(٢٧٣٢).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٢٧٣٣).

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"(٢٧٣٤).

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٢٧٣٥).

قوله تعالى:{وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ} [الصف : ١٢]، أي:" ومساكن طاهرة زكية في جنات إقامة دائمة لا تنقطع"(٢٧٣٦).

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن(٢٧٣٧).

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"(٢٧٣٨).

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُّسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك(٢٧٣٩).

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء(٢٧٤٠).

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصف : ١٢]، أي:" ذلك هو الفوز الذي لا فوز بعده"(٢٧٤١).

قال سعيد بن جبير: " يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"(٢٧٤٢).

قوله تعالى:{وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف : ١٣]، أي:" ونعمة أخرى لكم - أيها المؤمنون- تحبونها هي نصر من الله يأتيكم، وفتح عاجل يتم على أيديكم"(٢٧٤٣).

(٢٧٢٩) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٢٧٣١) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٢٧٣٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٢٧٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٢٧٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٢٧٣٦) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.
(٢٧٣٨) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.
(٢٧٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.
(٢٧٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.
(٢٧٤١) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٤٢)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٩٦٠): ص ٣/ ٨٩١.

قال عطاء: يريد فتح فارس والروم"[٢٧٤٤].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)} [الصف : ١٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصارًا دين الله، كما كان أصفياء عيسى وخلص أصحابه أنصار دين الله حين قال لهم عيسى: مَن يتولى منكم نصري وإعانتي فيما يُقرِّب إلى الله؟ قالوا: نحن أنصار دين الله، فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلَّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على مَن عاداهم مِن فرق النصارى، فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} [الصف : ١٤]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، كونوا أنصارًا دين الله، كما كان أصفياء عيسى وخلص أصحابه أنصار دين الله حين قال لهم عيسى: مَن يتولى منكم نصري وإعانتي فيما يُقرِّب إلى الله؟"[٢٧٤٥].

عن مجاهد، في قول الله: "{مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، قال: من يتبعني إلى الله؟"[٢٧٤٦].

قال الضحاك:" الحواريون: هم الغسالون بالنبطية؛ يقال للغسال: حواري، وقد تقدم بياننا في معنى الحواري بشواهده واختلاف المختلفين فيه قبل فيما مضى، فأغنى عن إعادته"[٢٧٤٧].

عن قتادة: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ}، قال:" قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه". وذُكر لنا أنه بايعه ليلة العقبة اثنان وسبعون رجلا من الأنصار، ذُكر لنا أن بعضهم قال: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعون على محاربة العرب كلها أو يُسلموا. ذُكر لنا أن رجلا قال: يا نبيّ الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت، قال: أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما منعتم منه أنفسكم وأبناءكم" قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبيّ الله؟ قال: "لكم النصر في الدنيا، والجنة في الآخرة"، ففعلوا، ففعل الله"[٢٧٤٨].

عن معمر، قال: "تلا قتادة :{كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ}، قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلا فبايعوه عند العقبة، فنصروه وآوَوْه حتى أظهر الله دينه؛ قالوا: ولم يسمّ حيّ من السماء اسمًا لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم"[٢٧٤٩].

قال قتادة:" إن الحواريين كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عُبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام"[٢٧٥٠].

(٢٧٤٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٤٤) نقلا عن: تفسير البغوي: ١١٠/٨.
(٢٧٤٥) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٤٦) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣-٣٦٦.
(٢٧٤٧) أخرجه الطبري: ٣٦٦/٢٣.
(٢٧٤٨) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.
(٢٧٤٩) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.
(٢٧٥٠) أخرجه الطبري: ٣٦٥/٢٣.

عن عاصم أنه قرأ: "{كُونُوا أنْصارَ اللَّهِ} مضاف[٢٧٥١].

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: «كُونُواْ أنْصَاراً اللهِ»، بتنوين الأنصار [٢٧٥٢].

قوله تعالى:{قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} [الصف : ١٤]، أي:" قال أتباع عيسى وهم المؤمنون الخُلُّص من خاصته المستجيبون لدعوته نحن أنصار دين الله"[٢٧٥٣].

واخْتُلِف في تسميتهم بـ«الحواريين»، على أقوال :

أحدها : انهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم، وهذا قول سعيد بن جبير[٢٧٥٤]، ومسلم البطين[٢٧٥٥].

الثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول الضحاك في -أحد قوليه-[٢٧٥٦].

الثالث : أنهم خاصة الأنبياء وصفوتهم، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة[٢٧٥٧]-في أحد قوليه-، والضحاك[٢٧٥٨].

الرابع: أن الحواري: الوزير. قاله قتادة[٢٧٥٩].

وأشبه الأقوال في معنى «الحواريين»، قولُ من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين"[٢٧٦٠].

قوله تعالى:{فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ} [الصف : ١٤]، أي:" فاهتدت طائفة من بني إسرائيل، وضلّت طائفة، فأيدنا الذين آمنوا بالله ورسوله، ونصرناهم على مَن عاداهم مِن فرق النصارى"[٢٧٦١].

عن مجاهد: "{فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ}، قال: قوّينا"[٢٧٦٢].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف : ١٤]، أي:" فأصبحوا ظاهرين عليهم؛ وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٧٦٣].

عن مجاهد، في قوله: "{فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}، من آمن مع عيسى صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢٧٦٤].

قال إبراهيم:" لما بعث الله محمدًا، ونزل تصديق من آمن بعيسى، أصبحت حجة من آمن به ظاهرة"[٢٧٦٥].

قال إبراهيم:" أيدوا بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فصدّقهم، وأخبر بحجتهم"[٢٧٦٦].

قال إبراهيم:" أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كلمة الله وروحه"[٢٧٦٧].

(٢٧٥١) الدر المنثور: ١٤٩/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٧٥٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٣٥.
(٢٧٥٣) صفوة التفاسير: ٣٥٣/٣.
(٢٧٥٤) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٤):ص٤٤٥/٦.
(٢٧٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٨):ص٦٥٩/٢.
(٢٧٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٩):ص٦٥٩/٢.
(٢٧٥٧) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٦):ص٤٤٦/٦.
(٢٧٥٨) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٧):ص٤٤٦/٦.
(٢٧٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٧٣):ص٦٦٠/٢.
(٢٧٦٠) تفسير الطبري:٤٤٦/٦.
(٢٧٦١) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٦٢) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.
(٢٧٦٣) التفسير الميسر: ٥٥٢.
(٢٧٦٤) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٣.
(٢٧٦٥) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.
(٢٧٦٦) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣.
(٢٧٦٧) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢٣-٣٧٨.

«آخر تفسير سورة (الصف)، والحمد لله وحده»

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الجمعة»

«سورة الجمعة» هي السورة الثانية والستون من سور القرآن الكريم، وهي رابعة السور «المُسبّحات» التي تبدأ بتسبيح الله، نزلت بعد« **سورة** الصف»، وآياتها: إحدى عشرة. وكلماتها: مائة وثمانون. وحروفها سبعمائة وعشرون. فواصل آياتها: «من» [٢٧٦٨].

- **مكان نزول السورة:**

روي عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الجمعة بالمدينة"[٢٧٦٩]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٢٧٧٠].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية كلّها بإجماعهم"[٢٧٧١].

(٢٧٦٨) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٤/١.

(٢٧٦٩) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢٧٧٠) الدر المنثور: ١٥١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٧٧١) زد المسير: ٢٨٠/٤.

القرآن

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١)} [الجمعة : ١]

التفسير:

ينزِّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض، وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزَّه عن كل نقص، العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وصنعه.

قوله تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة : ١]، أي:" ينزِّه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كلُّ ما في السموات وما في الأرض"(٢٧٧٢).

عن الضحاك، وسفيان:"{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} " أنه الصلاة ، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"(٢٧٧٣).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٢٧٧٤).

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"(٢٧٧٥).

قوله تعالى:{الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ} [الجمعة : ١]، أي:" وهو وحده المالك لكل شيء، المتصرف فيه بلا منازع، المنزَّه عن كل نقص"(٢٧٧٦).

عن قتادة: "{الْقُدُّوسُ}، أي: المبارك"(٢٧٧٧).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٢٧٧٨).

قوله تعالى:{الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [الجمعة : ١]، أي:" العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في تدبيره وصنعه"(٢٧٧٩).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٢٧٨٠)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٢٧٨١).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(٢٧٨٢). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٢٧٨٣).

ذلك(٢٧٨٣).

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٢٧٨٤).

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(٢٧٨٥).

(٢٧٧٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٧٣) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٢٧٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٢٧٧٥)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.

(٢٧٧٦) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٧٧) أخرجه الطبري: ٣٠٢/٢٣.

(٢٧٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٢٧٧٩) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

(٢٧٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.

(٢٧٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.

(٢٧٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

(٢٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٢٧٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.

القرآن

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)} [الجمعة : ٢-٣]

التفسير:

الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعًا، يقرأ عليهم القرآن، ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة، ويعلّمهم القرآن والسنة، وإنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق. وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعدُ، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم. والله تعالى -وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ} [الجمعة : ٢]، أي:" الله سبحانه هو الذي أرسل في العرب الذين لا يقرؤون، ولا كتاب عندهم ولا أثر رسالة لديهم، رسولا منهم إلى الناس جميعًا"[٢٧٨٦].

عن مجاهد، قال: "{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ}، قال: العرب"[٢٧٨٧].

قال قتادة:" كانت هذه الأمة أُمِّيَّة لا يقرءون كتابًا"[٢٧٨٨].

قال قتادة:" كان هذا الحيّ من العرب أمة أمِّيَّة، ليس فيها كتاب يقرءونه، فبعث الله نبيه محمدًا رحمة وهُدى يهديهم به"[٢٧٨٩].

قوله تعالى:{يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ} [الجمعة : ٢]، أي:" يقرأ عليهم القرآن"[٢٧٩٠].

عن محمد بن إسحاق يعني قوله: "{يتلوا عليهم آياته ويزكيهم}، قال: يتلو عليكم آياته"[٢٧٩١].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{آيات الله}، يعني: القرآن"[٢٧٩٢].

عن سعيد بن جبير: "{آياتنا}، يعني: القرآن"[٢٧٩٣].

قوله تعالى:{وَيُزَكِّيهِمْ} [الجمعة : ٢]، أي:" ويطهرهم من العقائد الفاسدة والأخلاق السيئة"[٢٧٩٤].

قال محمد بن إسحاق :" ويزكيكم فيما أحدثتم"[٢٧٩٥].

قوله تعالى:{وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [الجمعة : ٢]، أي:" ويعلّمهم القرآن والسنة"[٢٧٩٦].

قال الحسن:" الكتاب: القرآن"[٢٧٩٧]. وروي عن يحيى بن أبي كثير، نحو ذلك[٢٧٩٨].

وفي تفسير {وَالْحِكْمَةَ}، أقوال:

أحدها : أن الحكمة: السنة، قاله ابن الحسن[٢٧٩٩]، وقتادة[٢٨٠٠]، وأبو مالك[٢٨٠١]، ويحيى بن كثير[٢٨٠٢].

(٢٧٨٦) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٨٧) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٢٧٨٨) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٢٧٨٩) أخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٣.

(٢٧٩٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٦٥):ص٨٠٨/٣.

(٢٧٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٤٤):ص٤٨١/٢.

(٢٧٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٩٤٣):ص٢٩٨٣/٩، في تفسير قوله تعالى: {تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [القصص : ٤٥]، وانظر: (١٠٥٧٧):ص١٩٨٥/٦. في تفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ} [يونس : ٩٢].

(٢٧٩٤) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٦٥):ص٨٠٨/٣.

(٢٧٩٦) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٧٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٦٧):ص٨٠٨/٣.

(٢٧٩٨) .

(٢٧٩٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٤٧٠):ص٨٠٩/٣.

(٢٨٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٣/٢٣.

قال الحسن:" الكتاب: القرآن"[٢٨٠٣]، "{والحكمة}: السنة"[٢٨٠٤].
الثاني : أنه الفقه في الدين، وهو قول مالك بن أنس[٢٨٠٥]، وزيد بن أسلم[٢٨٠٦].
وقال زيد بن أسلم:" الحكمة: العقل في الدين"[٢٨٠٧].
الثالث : أنه الفهم والاتعاظ ، قاله الأعمش[٢٨٠٨].
الرابع: أن الحكمة: النبوة. قاله السدي[٢٨٠٩].
وعن السدي:" قوله: {والحكمة}: يعني: النبوة"[٢٨١٠].
والراجح أن الحكمة: السُّنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيانَه لهم[٢٨١١].
قال محمد ابن إسحاق: "{ويعلمهم الكتاب والحكمة}، قال: ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به، والشر فتتقوا، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه، ولتستكثروا من طاعته، وتجتنبوا ما يسخطه عنكم من معصيته"[٢٨١٢].
قوله تعالى:{وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الجمعة : ٢]، أي:" وإنهم كانوا من قبل بعثته لفي انحراف واضح عن الحق"[٢٨١٣].
قال محمد بن إسحاق:" أي : في عمياء من الجاهلية، لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة، صُمٌّ عن الحق، عُمْيٌ عن الهدى"[٢٨١٤].
قال قتادة:"ليس والله كما تقول أهل حروراء : محنة غالبة، من أخطأها أهَريق دمه[٢٨١٥]، ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم إلى قوم لا يعلمون فعلَّمهم، وإلى قوم لا أدب لهم فأدَّبهم"[٢٨١٦].
قوله تعالى:{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة : ٣]، أي:" وأرسله سبحانه إلى قوم آخرين لم يجيئوا بعدُ، وسيجيئون من العرب ومن غيرهم"[٢٨١٧].
وفي قوله تعالى:{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة : ٣]، وجوه من التفسير:
أحدها : عني بذلك جميع من دخل في الإسلام من بعد النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كائنًا من كان إلى يوم القيامة. قاله مجاهد-في رواية-[٢٨١٨].

(٢٨٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠٩/٣.
(٢٨٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠٩/٣.
(٢٨٠٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٦٧):ص٨٠٩/٣.
(٢٨٠٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٧٠):ص٨٠٩/٣.
(٢٨٠٥) انظر: النكت والعيون: ٧/٦.
(٢٨٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٤٧٢):ص٨٠٩/٣.
(٢٨٠٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٧٢):ص٨٠٩/٣.
(٢٨٠٨) انظر: النكت والعيون: ٧/٦.
(٢٨٠٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٧١):ص٨٠٩/٣.
(٢٨١٠)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٧١):ص٨٠٩/٣.
(٢٨١١) معاني القرآن:٤٨٨/١.
(٢٨١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٦٨):ص٨٠٨/٣.
(٢٨١٣) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨١٤)أخرجه الطبري(٨١٧٨):ص٣٧٠/٧.
(٢٨١٥)أهل حروراء : هم الخوارج ، وهذا مذهبهم.
(٢٨١٦) أخرجه الطبري(٨١٧٧):ص٣٧٠/٧.
(٢٨١٧) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨١٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٣.

عن مجاهد في قول الله: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، قال: من ردف الإسلام من الناس كلهم"[٢٨١٩].

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال من أصحابي، رجالا ونساء من أمتي يدخلون الجنة ... بغير حساب ثم قرأ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، يعني: بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٨٢٠].

الثاني : أنهم العجم بعد العرب ، قاله مجاهد[٢٨٢١]، والضحاك[٢٨٢٢].

عن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن العاص، عن أبيه، عن جدّه، عن ابن عمر، أنه قال له: "أما إن سورة الجمعة أنزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذّاب، ثم قرأ {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} ... حتى بلغ {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال: فأنتم هم"[٢٨٢٣].

عن أبي الطفيل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت فيما يرى النائم غنما سودا تتبعها غنم عفر[٢٨٢٤] فأولت أن الغنم السود العرب، وأن العفر العجم»[٢٨٢٥].

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بكر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني رأيت في المنام غنما سودا يتبعها غنم صفر حتى غمرتها يا أبا بكر اعبر»، قال: قلت: هي العرب تتبعك ثم العجم، قال: «كذلك عبرها الملك بسحر»[٢٨٢٦].

عن أبي هريرة، قال: "كنا جلوسًا عند النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فنزلت عليه سورة الجمعة، فلما قرأ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} قال رجل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: فلم يراجعه النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى سأله مرّة أو مرتين أو ثلاثًا، قال: وفينا سلمان الفارسيّ، فوضع النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يده على سلمان فقال: «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلاءِ»"[٢٨٢٧].

الثالث : أنهم الملوك أبناء الأعاجم ، حكي ذلك عن مجاهد-أيضا-[٢٨٢٨].

الصواب عندي قول من قال: عُنِي بذلك كلّ لاحق لحق بالذين كانوا صحبوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في إسلامهم من أيّ الأجناس؛ لأن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} كلَّ لاحق بهم من آخرين، ولم يخصص منهم نوعًا دون نوع، فكلّ لاحق بهم فهو من الآخرين الذين لم يكونوا في عداد الأوّلين الذين كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يتلو عليهم آيات الله، وقوله: {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}، يقول: لم يجيئوا بعد وسيجيئون[٢٨٢٩].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة : ٣]، أي:" والله تعالى -وحده- هو العزيز الغالب على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله"[٢٨٣٠].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٨٣١]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٨٣٢].

(٢٨١٩) أخرجه الطبري: ٣٧٥/٢٣.
(٢٨٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٨٩١):ص٣٣٥٥/١٠.
(٢٨٢١) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٣.
(٢٨٢٢) انظر: النكت والعيون:٧/٦.
(٢٨٢٣) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٣.
(٢٨٢٤)العفرة: البياض غير الناصع.
(٢٨٢٥) مسند البزاز(٢٧٨٥):ص٢١١/٧.
(٢٨٢٦) الكنى والأسماء للدولابي(٤٦):ص١٧/١. وأخرجه الحاكم(٨١٩٣):ص ٤٣٧/٤. سكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢٨٢٧) أخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٣-٣٧٥.
(٢٨٢٨) انظر: النكت والعيون: ٧/٧.
(٢٨٢٩) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢٣-٣٧٦.
(٢٨٣٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٨٣٣]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٨٣٤].
ذلك[٢٨٣٤].
عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٨٣٥].
قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٢٨٣٦].

القرآن
{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)} [الجمعة : ٤]
التفسير:
ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم، فضل من الله، يعطيه مَن يشاء من عباده. وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل.
قوله تعالى:{ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ} [الجمعة : ٤]، أي:" ذلك البعث للرسول صلى الله عليه وسلم، في أمة العرب وغيرهم، فضل من الله، يعطيه مَن يشاء من عباده"[٢٨٣٧].
عن السدي قوله: {يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ}، قال: "يختص به من يشاء"[٢٨٣٨].
عن مجاهد: {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء} [البقرة : ١٠٥]، قال: " النبوة يختص بها من يشاء"[٢٨٣٩].
وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[٢٨٤٠].
عن مجاهد : {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاء}، قال: القرآن والإسلام"[٢٨٤١].
قال الحسن:" رحمته الإسلام، يختص بها من يشاء"[٢٨٤٢].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الجمعة : ٤]، أي:" وهو -وحده- ذو الإحسان والعطاء الجزيل"[٢٨٤٣].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{العظيم}، يعني: وافر"[٢٨٤٤].

القرآن
{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥)} [الجمعة : ٥]
التفسير:

(٢٨٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٢٨٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٢٨٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٨٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٨٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٢٨٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٢٨٣٧) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٤٥):ص١١٦/٤.
(٢٨٣٩) أخرجه ابن المنذر(٦٠٩):ص٦٠٨/١، وابن أبي حاتم(١٠٥٠):ص١٩٩/١.
(٢٨٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٩٩/١.
(٢٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥١):١٩٩/١.
(٢٨٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٢):ص١٩٩/١.
(٢٨٤٣) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٧٠٤):ص٦٨٣/٢.

شَبَهُ اليهود الذين كُلِّفوا العمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كشَبه الحمار الذي يحمل كتبًا لا يدري ما فيها، قَبُحَ مَثَلُ القوم الذين كذَّبوا بآيات الله، ولم ينتفعوا بها، والله لا يوفِّق القوم الظالمين الذين يتجاوزون حدوده، ويخرجون عن طاعته.

قوله تعالى:{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة : ٥]، أي:" شَبَهُ اليهود الذين كُلِّفوا العمل بالتوراة ثم لم يعملوا بها، كشَبه الحمار الذي يحمل كتبًا لا يدري ما فيها"(٢٨٤٥).

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} كتبًا، والكتاب بالنبطية يسمى سفرًا؛ ضرب الله هذا مثلا للذين أعطوا التوراة ثم كفروا"(٢٨٤٦).

عن مجاهد، في قوله: {يَحْمِلُ أَسْفَارًا}، قال: "يحمل كتبًا لا يدري ما فيها، ولا يعقلها"(٢٨٤٧).

قال قتادة:" يحمل كتابًا لا يدري ماذا عليه، ولا ماذا فيه"(٢٨٤٨).

قال قتادة:" كمثل الحمار الذي يحمل كتبًا، لا يدري ما على ظهره"(٢٨٤٩).

قال الحسن:" يَحمِل على ظهره، فلا يدري ما على ظهره، فكذلك المنافق يَحمِل كمِثله"(٢٨٥٠).

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٦)} [الجمعة : ٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملة اليهودية المحرَّفة: إن ادَّعيتم- كذبًا- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس، فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين في ادِّعائكم حب الله لكم.

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: قوله تعالى: {قُلْ يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا} وذلك أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى يهود المدينة يدعوهم إلى دينه الإسلام، فكتب يهود المدينة إلى يهود خيبر: إنّ محمدًا يزعم أنه نبي، وإنه يدعونا وإياكم إلى دينه، فإن كنتم تريدون مُتابعته فاكتبوا إلينا ببيان ذلك، وإلا فأنتم ونحن على أمر واحد؛ لا نؤمن بمحمد، ولا نَتّبعه. فغَضِبت يهود خيبر، فكتبوا إلى يهود المدينة كتابًا قبيحًا، وكتبوا أنّ إبراهيم كان صِدِّيقًا نبيًّا، وكان من بعد إبراهيم إسحاق صِدِّيقًا نبيًّا، وكان من بعد إسحاق يعقوب صِدِّيقًا نبيًّا، وولد يعقوب اثنا عشر، فوُلد لكلّ رجل منهم أُمّة من الناس، ثم كان مِن بعدهم موسى، ومن بعد موسى عُزَير، فكان موسى يقرأ التوراة من الألواح، وكان عُزَير يقرؤها ظاهرًا، ولولا أنه كان ولدًا لله ونبيّه وصَفيّه لم يُعطه ذلك، فنحن وأنتم من سِبطه، وسِبط مَن اتخذه الله خليلًا، ومن سِبط مَن كلّمه الله تكليمًا، فنحن أحقّ بالنبوة والرسالة من محمد - صلى الله عليه وسلم -، ومتى كان الأنبياء من جزائر العرب؟! ما سمعنا بنبيٍّ قطّ كان مِن العرب إلا هذا الرجل الذي تزعمون، على أنّا نجد ذِكره في التوراة، فإن تبعتموه صَغَرَكُم ووَضَعَكُم، فنحن أبناء الله وأحبّاؤه. فقال الله تعالى للنبي - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ يا أيُّها الَّذِينَ هادُوا} لليهود {إنْ زَعَمْتُمْ} يعني: إذا زعمتم {أنَّكُمْ أوْلِياءُ لِلَّهِ} في الآخرة {مِن دُونِ النّاس} وأحبّاؤه؛ {فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ} بأنكم أولياؤه وأحبّاؤه، وأنّ الله ليس بمعذّبكم"(٢٨٥١).

(٢٨٤٥) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٨٤٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٧٧-٣٧٨.

(٢٨٤٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٧٧.

(٢٨٤٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٧٧.

(٢٨٤٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٣٧٧.

(٢٨٥٠)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ١٩٢.

(٢٨٥١)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٣٢٦ - ٣٢٧.

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ} [الجمعة : ٦]، أي:" قل -أيها الرسول- للذين تمسكوا بالملة اليهودية المحرَّفة، إن ادَّعيتم- كذبًا- أنكم أحباء الله دون غيركم من الناس"(٢٨٥٢).

قال أبو عمرو بن العلاء: "لأنّهم يَتَهَوَّدُون، أي: يتحرّكون عند قراءة التوراة، ويقولون: إنّ السموات والأرض تحرّكت حين آتى اللهُ موسى التوراة"(٢٨٥٣).

قوله تعالى:{فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الجمعة : ٦]، أي:" فتمنَّوا الموت إن كنتم صادقين في ادِّعائكم حب الله لكم"(٢٨٥٤).

عن أبي العالية:" {إن كنتم صادقين}، بما تقولون إنه كما تقولون"(٢٨٥٥).

القرآن

{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧)} [الجمعة : ٧]

التفسير:

ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبدًا إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفًا من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدَّموه من الكفر وسوء الفعال. والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء.

قوله تعالى:{وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} [الجمعة : ٧]، أي:" ولا يتمنى هؤلاء اليهود الموت أبدًا إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة، وخوفًا من عقاب الله لهم؛ بسبب ما قدَّموه من الكفر وسوء الفعال"(٢٨٥٦).

عن عباد بن منصور عن الحسن، قال:" قول الله: {ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم}، فقلت: أرأيت لو أنهم أحبوا الموت حين قال لهم فتمنوا أراهم كانوا ميتين؟ قال: لا. والله ما كانوا ليموتوا لو تمنوا الموت، وما كانوا ليتمنوه، وقد قال الله ما سمعت: {ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين}"(٢٨٥٧).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [الجمعة : ٧]، أي:" . والله عليم بالظالمين، لا يخفى عليه من ظلمهم شيء"(٢٨٥٨).

عن قتادة، قوله: "{والله عليم}، قال: عالم"(٢٨٥٩).

القرآن

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)} [الجمعة : ٨]

التفسير:

قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفرَّ منه، فإنه آتٍ إليكم عند مجيء آجالكم، ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم، وسيجازيكم عليها.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ} [الجمعة : ٨]، أي:" قل: إن الموت الذي تهربون منه لا مفرَّ منه، فإنه آتٍ إليكم عند مجيء آجالكم"(٢٨٦٠).

(٢٨٥٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٥٣)تفسير الثعلبي ١/ ٢٠٨.
(٢٨٥٤) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٣٩):ص١٧٧/١.
(٢٨٥٦) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٤١):ص١٧٨/١.
(٢٨٥٨) التفسير الميسر: ٥٥٣.
(٢٨٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٤٢):ص١٧٨/١.
(٢٨٦٠) التفسير الميسر: ٥٥٣.

عن الحسن، عن سَمُرَة مرفوعا : "مثل الذي يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين، فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانبهر دخل جحره، فقالت له الأرض : يا ثعلب ديني. فخرج له حُصَاص، فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه، فمات"(٢٨٦١).

قوله تعالى:{ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الجمعة : ٨]، أي:" ثم ترجعون يوم البعث إلى الله العالم بما غاب وما حضر"(٢٨٦٢).

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٢٨٦٣).

عن معمر، قال: "تلا قتادة: {ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}، فقال: إن الله أدّل ابن آدم بالموت، لا أعلمه إلا رفعه"(٢٨٦٤).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩)} [الجمعة : ٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة، واتركوا البيع، وكذلك الشراء وجميع ما يَشْغَلُكم عنها، ذلك الذي أُمرتم به خير لكم؛ لما فيه من غفران ذنوبكم ومثوبة الله لكم، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم فافعلوا ذلك.

سبب النزول:

عن أبي مالك، قال: "كان قوم يجلسون في بقيع الزبير، فيشترون ويبيعون إذا نودي للصلاة يوم الجمعة، ولا يقومون، فنزلت: {إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}"(٢٨٦٥).

عن محمد بن سيرين -من طريق أيوب- قال: "جَمَّع أهلُ المدينة قبل أن يَقدَم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -، وقبل أن تَنزل الجُمُعة، قالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كلّ سبعة أيام، وللنصارى مثل ذلك، فهلُمّ فلنجعل يومًا نجتمع فيه، فنذكر الله ونشكره. فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العَرُوبة. وكانوا يُسمُّون الجُمُعة: يوم العَرُوبة. فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة، فصلّى بهم يومئذ ركعتين، وذكّرهم، فسَمَّوا الجُمُعة حين اجتمعوا إليه، فذبح لهم شاةً، فتَغَدّوا، وتَعشَّوا منها، وذلك لقِلّتهم؛ فأنزل الله في ذلك بعد: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ} الآية"(٢٨٦٦).

عن محمد بن كعب القُرَظيّ: "أنّ رجلين من أصحاب النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - كانا يختلفان في تجارتهما إلى الشام، فربما قَدِما يوم الجمعة ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَخطب، فيَدَعُونه ويقومون، فما هم إلا بيعًا حتى تقام الصلاة؛ فأنزل الله: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا البَيْعَ}. قال: فحَرُم عليهم ما كان قبل ذلك"(٢٨٦٧).

(٢٨٦١)المعجم الكبير (٢٢٢/٧) ورواه العقيلي في الضعفاء (٢٠٠/٤) ومن طريقه ابن الجوزى في العلل المتناهية (٤٠٥/٢) وقال ابن الجوزي : "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعاذ في حديثه وهم، ولا يتابع على رفعه، وإنما هو موقوف على سمرة".

(٢٨٦٢) التفسير الميسر: ٥٥٣.

(٢٨٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٢٨٦٤) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣.

(٢٨٦٥) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٢٨٦٦)أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥١٤٤). وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٢٨٦٧) الدر المنثور: ١٦٣/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الجمعة : ٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٢٨٦٨].

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٢٨٦٩].

قوله تعالى:{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة : ٩]، أي:" ، إذا نادى المؤذن للصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إلى سماع الخطبة وأداء الصلاة"[٢٨٧٠].

وفي السعي إليها، أقوال:

أحدها : النية بالقلوب والإرادة لها، قاله الحسن[٢٨٧١]، وقتادة[٢٨٧٢].

قال الحسن:" أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع"[٢٨٧٣].

قال الحسن:" السّعي بالقلوب، والإرادة"[٢٨٧٤].

قال قتادة:" والسعي يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المضيّ إليها"[٢٨٧٥].

قال عبد الله بن الصامت: "كنت أمشي مع أبي ذر إلى الجمعة فسمعنا النداء للصلاة، فرفعت في مشي، فجذبني جذبة، وقال: ألسنا نسعى"[٢٨٧٦].

الثاني : أن السعي: هو العمل، كما قال تعالى : {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل : ٤]، وقوله تعالى: {مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا} [الإسراء : ١٩] ، قاله الضحاك[٢٨٧٧]، وعكرمة[٢٨٧٨]، وزيد بن أسلم[٢٨٧٩]، ومحمد بن كعب القرظي[٢٨٨٠].

قال شُرحبيل بن مسلم الخَوْلانّي:": فاسعوا في العمل، وليس السعي في المشي"[٢٨٨١].

الثالث : أن السعي: المشي على القدم من غير إسراع، وقرأ عمر وابن مسعود وأبو العالية: «فامضوا إلى ذكر الله»[٢٨٨٢].

عن أبي العالية أنه يقرؤها: «فَامْضُوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ»"[٢٨٨٣].

عن سالم بن عبد الله، قال: "كان عمر رضي الله عنه يقرؤها: «فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ»"[٢٨٨٤].

عن سالم، عن أبيه، قال: "ما سمعت عمر يقرؤها قطّ إلا: «فامضوا»"[٢٨٨٥].

(٢٨٦٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٨٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٠٢٦): ص ٣/ ٩٠٢.

(٢٨٧٠) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٨٧١) انظر: النكت والعيون: ٨/٧.

(٢٨٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٣-٣٨١.

(٢٨٧٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٢٠/٨.

(٢٨٧٤)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٨٧ (١٩٦)، وآدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٥٩ - من طريق المبارك بنحوه.

(٢٨٧٥) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣-٣٨١.

(٢٨٧٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥.

(٢٨٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣

(٢٨٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣

(٢٨٧٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٥٥):ص٦٩/١.

(٢٨٨٠) الدر المنثور: ١٤٦/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٢٨٨١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٣.

(٢٨٨٢) انظر: النكت والعيون: ٩/٧، وتفسير ابن كثير: ١٢٠/٨.

(٢٨٨٣) أخرجه اطبري: ٣٨٢/٢٣.

(٢٨٨٤) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.

(٢٨٨٥) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.

عن إبراهيم: "أنه قيل لعمر رضي الله عنه: إن أبيًّا يقرؤها {فَاسْعَوْا}، قال: أما إنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنما هي «فامضوا»"[٢٨٨٦].

عن ابن شهاب، قال: أخبرني سالم بن عبد الله بن عمر، أن عبد الله قال: "لقد توفى الله عمر رضي الله عنه، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}، إلا: «فامضوا إلى ذكر الله»"[٢٨٨٧].

عن إبراهيم، قال: "كان عبد الله يقرؤها «فامضوا إلى ذكر الله»، ويقول: لو قرأتها «فاسعوا»، لسعيت حتى يسقط ردائي"[٢٨٨٨].

عن إبراهيم، قال: قال عبد الله: "لو كان السعي لسعيت حتى يسقط ردائي، قال: ولكنها «فَامْضُوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ»، قال: هكذا كان يقرؤها"[٢٨٨٩].

عن ابن مسعود، قال: لو قرأتها: {فَاسْعَوْا}، لسعيت حتى يسقط ردائي، وكان يقرؤها «فَامْضُوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ»[٢٨٩٠].

واتباع المصحف أولى، ولو كانت عند عمر «فامضوا» لا غير، لغيرها في المصحف. والدليل على أن معنى «السَّعْي»: التصرف في كل عمل قول اللَّه - عز وجل –{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠)} [النجم: ٣٩-٤٠] فلا اختلاف في أن معناه: وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا عمل[٢٨٩١].

الرابع : أن السعي: إجابة الداعي، قاله السدي[٢٨٩٢].

وروي عن ابن وهب، عن الليث بن سعد:" أنه سُئل عن قول الله: {إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ}. قال: السّعي: الأتِيُّ إليها"[٢٨٩٣].

قال مالك بن أنس: "وإنما السّعي في كتاب الله: العمل والفعل؛ {يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ}، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وإذا تَوَلّى سَعى فِي الأرْضِ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وأمّا مَن جاءَكَ يَسْعى وهُوَ يَخْشى} [عبس: ٨ - ٩]، وقال: {ثُمَّ أدْبَرَ يَسْعى} [النازعات: ٢٢]، وقال: {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى} [الليل: ٤]. قال مالك: فليس السّعي الذي ذكر الله في كتابه بالسّعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عنى العمل والفعل"[٢٨٩٤].

وفي تفسير قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة : ٩]، قولان:

أحدهما : أنها موعظة الإمام في الخطبة، قاله مجاهد[٢٨٩٥]، وسعيد بن المسيب[٢٨٩٦].

عن مجاهد: "{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}، قال: العزمة عند الذكر عند الخطبة"[٢٨٩٧]. وفي رواية:" العزيمة عند التذكِرة، كأنه يعني: إذا خطب"[٢٨٩٨].

قال سعيد بن المسيب:" فهي موعظة الإمام فإذا قضيت الصلاة بعد"[٢٨٩٩].

(٢٨٨٦) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.
(٢٨٨٧) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.
(٢٨٨٨) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.
(٢٨٨٩) أخرجه اطبري: ٣٨١/٢٣.
(٢٨٩٠) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٣.
(٢٨٩١) معاني القرآن: ١٧١/٥-١٧٢.
(٢٨٩٢) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.
(٢٨٩٣)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٢/ ١٥٥ (٣١٩).
(٢٨٩٤)موطأ مالك (ت: د. بشار عواد) ١/ ١٦٣ (٢٨٦).
(٢٨٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.
(٢٨٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٤/٢٣.
(٢٨٩٧) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.
(٢٨٩٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩١.
(٢٨٩٩) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

عن أبي مالك: "وأما الذِّكر الذي أمر الله -تبارك وتعالى- بالسعي إليه عباده المؤمنين فإنه موعظة الإمام في خُطبته -فيما قيل-"[٢٩٠٠].

الثاني : أنه الصلاة، وهو قول الجمهور[٢٩٠١]. وهو الأصح"[٢٩٠٢].

عن مكحول : "أن النداء كان في يوم الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام، ثم تقام الصلاة، وذلك النداء الذي يحرم عنده البيع الشراء إذا نودي به، فأمر عثمان، رضي الله عنه، أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس"[٢٩٠٣].

قوله تعالى:{وَذَرُوا الْبَيْعَ} [الجمعة : ٩]، أي:" واتركوا البيع، وكذلك الشراء وجميع ما يَشْغَلُكم عنها"[٢٩٠٤].

قال الضحاك:" إذا زالت الشمس حرم البيع والشراء"[٢٩٠٥].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة : ٩]، أي:" ذلك الذي أُمرتم به خير لكم؛ لما فيه من غفران ذنوبكم ومثوبة الله لكم، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم فافعلوا ذلك"[٢٩٠٦].

عن أبي مالك: "{ذلكم}، يعني: هذا"[٢٩٠٧].

عن سعيد بن جبير:" {خير لكم}، يعني: أفضل لكم"[٢٩٠٨].

القرآن

{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)} [الجمعة : ١٠]

التفسير:

فإذا سمعتم الخطبة، وأدَّيتم الصلاة، فانتشروا في الأرض، واطلبوا من رزق الله بسعيكم، واذكروا الله كثيرًا في جميع أحوالكم؛ لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ} [الجمعة : ١٠]، أي:" فإذا سمعتم الخطبة، وأدَّيتم الصلاة، فتفرقوا في الأرض وانبثوا فيها للتجارة وقضاء مصالحكم"[٢٩٠٩].

قال مجاهد:" هي رخصة، يعني قوله: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ}"[٢٩١٠].

قال الضحاك:" هذا إذن من الله، فمن شاء خرج، ومن شاء جلس"[٢٩١١].

قوله تعالى:{وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة : ١٠]، أي:" واطلبوا من رزق الله بسعيكم"[٢٩١٢].

وفي قوله تعالى:{وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [الجمعة : ١٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : الرزق من البيع والشراء ، قاله مقاتل والضحاك[٢٩١٣].

(٢٩٠٠)أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٣.

(٢٩٠١) انظر: النكت والعيون: ٩/٧.

(٢٩٠٢) تفسير السمعاني: ٤٣٥/٥.

(٢٩٠٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٢٢/٨.

(٢٩٠٤) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٣/٢٣.

(٢٩٠٦) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٥):ص١٨٠٤/٦.

(٢٩٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٠٩):ص٣٠٤٣/٩.

(٢٩٠٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩١٠) أخرجه الطبري:٣٨٥/٢٣.

(٢٩١١) أخرجه الطبري:٣٨٥/٢٣.

(٢٩١٢) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩١٣) انظر: النكت والعيون: ١٠/٧.

الثاني : العمل في يوم السبت، قاله جعفر بن محمد[٢٩١٤].

عن بعض السلف:" أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من أمور الدنيا نظرا في هذه الآية"[٢٩١٥].

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} [الجمعة : ١٠]، أي:" واذكروا الله كثيرًا في جميع أحوالكم"[٢٩١٦].

قال الطبري:" يقول: واذكروا الله بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه"[٢٩١٧].

قال السدي:" يعني: باللسان"[٢٩١٨].

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟" قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "ذكر الله عز وجل"[٢٩١٩].

عن أبي سعيد الخدري ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا : مجنون"[٢٩٢٠].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الجمعة : ١٠]، أي:" لعلكم تفوزون بخيري الدنيا والآخرة"[٢٩٢١].

قال سعيد بن جبير:"يعني: لكي تفلحون"[٢٩٢٢].

قال محمد بن كعب القرظي:" يقول: لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني"[٢٩٢٣].

القرآن

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١)} [الجمعة : ١١]

التفسير:

إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئًا مِن لهو الدنيا وزينتها تفرَّقوا إليها، وتركوك -أيها النبي- قائمًا على المنبر تخطب، قل لهم -أيها النبي-: ما عند الله من الثواب والنعيم أنفع لكم من اللهو ومن التجارة، والله -وحده- خير مَن رزق وأعطى، فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله، قال: "كنا مع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في الجمعة، فمرّت عير تحمل الطعام، قال: فخرج الناس إلا اثني عشر رجلا فنزلت آية الجمعة"[٢٩٢٤].

(٢٩١٤) انظر: النكت والعيون: ١٠/٧.

(٢٩١٥) نقلا عن الكشاف: ٥٣٦/٤.

(٢٩١٦) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩١٧) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢٣.

(٢٩١٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٢٤/٢.

(٢٩١٩)المسند (١٩٥/٥) وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٧) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٠).

(٢٩٢٠)المسند (٦٨/٣) وفيه دراج ، عن أبي الهيثم ضعيف.

(٢٩٢١) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.

(٢٩٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٥):ص١٢٠٠/٤ ، و(٩٨٦٩):ص١٧١١/٤.

(٢٩٢٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣-٣٨٧.

وفي رواية عن جابر: "أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كان يخطب قائمًا يوم الجمعة، فجاءت عير من الشام، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا قال: فنزلت هذه الآية في الجمعة {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"[٢٩٢٥].

عن جابر بن عبد الله -من طريق سالم بن أبي الجَعد- قال: "بينما النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - يَخطب يوم الجُمُعة قائمًا إذ قَدِمت عِير المدينة، فابتَدرها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى لم يَبق منهم إلا اثنا عشر رجلًا؛ أنا فيهم، وأبو بكر، وعمر؛ فأنزل الله: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها} إلى آخر السورة"[٢٩٢٦].

عن جابر بن عبد الله -من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه- قال: "كان الجواري إذا نُكِحوا كانوا يمُرُّون بالكَبَر والمزامير، ويتركون النبي - صلى الله عليه وسلم - قائمًا على المنبر، ويَنفَضّون إليها؛ فأنزل الله: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٢٧].

عن جابر بن عبد الله -من طريق جعفر بن محمد، عن أبيه-: "أنّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان يَخطب الناس يوم الجُمُعة، فإذا كان نِكاحٌ لعِب أهلُه وعزَفوا، ومرُّوا باللهو على المسجد، وإذا نزل بالبطحاء جَلَبٌ[٢٩٢٨]، قال: وكانت البطحاء مجلسًا بفناء المسجد الذي يلي بَقيع الغَرقَد، وكانت الأعراب إذا جَلبوا الخيل والإبل والغنم وبضائع الأعراب نزلوا البطحاء، فإذا سَمع ذلك مَن يَقعد للخُطبة قاموا للهو والتجارة، وتركوه قائمًا، فعاتب الله المؤمنين لنبيّه - صلى الله عليه وسلم -، فقال: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٢٩].

عن ابن وبْرة الكلبي -من طريق الليث-: "أنّه قَدِمَ بتجارةٍ ورسولُ الله على المنبر يوم الجمعة يَخطب، فخرج إليه؛ فنزل القرآن: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائِمًا قُلْ ما عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ ومِنَ التِّجارَةِ واللَّهُ خَيْرُ الرّازِقِينَ}"[٢٩٣٠].

عن مُرّة الهمداني-من طريق السُّدِّيّ- {إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ}، قال: "جاء دِحية الكلبي بتجارة والنبي - صلى الله عليه وسلم - قائم في الصلاة يوم الجُمُعة، فتركوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، وخرجوا إليه؛ فنَزلت: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إلَيْها وتَرَكُوكَ قائِمًا} حتى ختم السورة"[٢٩٣١].

عن أبي مالك، قال: "قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع خشوا أن يسبقوا إليه، قال: فنزلت: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"[٢٩٣٢].

عن السدّي، عن قرة: "{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ}، قال: جاء دحية الكلبي بتجارة والنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قائم في الصلاة يوم الجمعة، فتركوا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وخرجوا إليه، فنزلت: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}، حتى ختم السورة"[٢٩٣٣].

(٢٩٢٥) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(٢٩٢٦)أخرجه البخاري ٢/ ١٣ (٩٣٦)، ٣/ ٥٥ (٢٠٥٨)، ٣/ ٥٦ (٢٠٦٤)، ٦/ ١٥٢ (٤٨٩٩)، ومسلم ٢/ ٥٩٠ (٨٦٣)، والثعلبي ٩/ ٣١٧ بنحوه.

(٢٩٢٧)أخرجه الطحاوي في أحكام القرآن ١/ ١٥٣ (٢٣٤)، وابن القيسراني في السماع ص ٧٢، وابن جرير ٢٢/ ٦٤٨. وأورده الثعلبي ٩/ ٣١٨.

(٢٩٢٨)الجلب: ما جلب من خيل وإبل ومتاع. لسان العرب (جلب).

(٢٩٢٩) الدر المنثور: ١٦٦/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٢٩٣٠)أخرجه عبد الله بن وهب في تفسيره ٢/ ٦١ (١١٩) عن الليث مرسلًا. وأورده ابن بشكوال في غوامض الأسماء المبهمة ٢/ ٨٥٣.

(٢٩٣١) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٢٩٣٢) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

(٢٩٣٣) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢٣.

قال مجاهد:" كانوا يقومون إلى نَواضحهم، وإلى السّفر يَقدُمون؛ يَبتغون التجارة واللهو؛ فأنزل الله سبحانه: {وإذا رَأَوْا تِجارَةً أوْ لَهْوًا}"[٢٩٣٤].

قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا} [الجمعة : ١١]، أي:" إذا رأى بعض المسلمين تجارة أو شيئًا مِن لهو الدنيا وزينتها تفرَّقوا إليها"[٢٩٣٥].

عن مجاهد في قوله: "{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا}، قال: رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم وإلى السفر يبتغون التجارة"[٢٩٣٦].

وفي تفسير «اللهو» -ها هنا- وجهان :

أحدهما : يعني: لعباً. قاله ابن عباس[٢٩٣٧].

الثاني : أنه الطبل. قاله مجاهد[٢٩٣٨].

قال جابر:" كان الجواري إذا نكحوا كانوا يمرّون بالكبر والمزامير ويتركون النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قائمًا على المنبر، وينفضون إليها، فأنزل الله (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا}"[٢٩٣٩].

قوله تعالى:{وَتَرَكُوكَ قَائِمًا} [الجمعة : ١١]، أي:" وتركوك -أيها النبي- قائمًا على المنبر تخطب"[٢٩٤٠].

قال قتادة:" بينما رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخطب الناس يوم الجمعة، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة؛ ثم قام في الجمعة الثانية فجعل يخطبهم؛ قال سفيان: ولا أعلم إلا أن في حديثه ويعظهم ويذكرهم، فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال: كم أنتم، فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة؛ ثم قام في الجمعة الثالثة فجعلوا يتسللون ويقومون حتى بقيت منهم عصابة، فقال كم أنتم؟ فعدّوا أنفسهم، فإذا اثنا عشر رجلا وامرأة، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوِ اتَّبَعَ آخِرُكُمْ أَوَّلَكُمْ لالْتَهَبَ عَلَيْكُمُ الْوَادِي نَارًا»، وأنزل الله عزّ وجلّ: {وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا}"[٢٩٤١].

قال الحسن: "إن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر، فقدمت عير والنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخطب يوم الجمعة، فسمعوا بها، فخرجوا والنبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قائم، كما قال الله عزّ وجلّ"[٢٩٤٢].

قال قتادة:" لو اتبع آخرهم أوّلهم لالتهب عليهم الوادي نارًا"[٢٩٤٣].

قال قتادة:" لم يبق مع النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يومئذ إلا اثنا عشر رجلا وامرأة معهم"[٢٩٤٤].

عن هشيم، قال: "كان في الاثني عشر أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما –"[٢٩٤٥].

قال قتادة:" مرّ رجل بابن زياد، وهو يَخطب قاعدًا، فقال له: اخطب قائمًا، قال الله - عز وجل - لنبيّه صلي الله عليه وسلم: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}"[٢٩٤٦].

(٢٩٣٤)تفسير مجاهد ص ٦٦٠.

(٢٩٣٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٣٦) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

(٢٩٣٧) انظر: النكت والعيون: ١١/٦.

(٢٩٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٩/٢٣.

(٢٩٣٩) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣-٣٨٩.

(٢٩٤٠) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٤١) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

(٢٩٤٢) أخرجه الطبري: ٣٨٧/٢٣.

(٢٩٤٣) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(٢٩٤٤) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢٣.

(٢٩٤٥)أخرجه ثابت بن يعقوب الثوري -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٣٢٨ -.

(٢٩٤٦)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢١٨.

عن كعب بن عُجرة: "أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أُمّ الحكم يَخطب قاعدًا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يَخطب قاعدًا، وقد قال الله: {وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٤٧].

عن محمد بن سيرين -من طريق يزيد-:" أنه سُئل عن خطبة النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة. فقرأ: {وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٤٨].

قال قتادة:" مرّ رجل بابن زياد، وهو يَخطب قاعدًا، فقال له: اخطب قائمًا، قال الله - عز وجل - لنبيّه صلي الله عليه وسلم: {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما}"[٢٩٤٩].

عن كعب بن عُجرة: "أنه دخل المسجد وعبد الرحمن بن أُمّ الحكم يَخطب قاعدًا، فقال: انظروا إلى هذا الخبيث يَخطب قاعدًا، وقد قال الله: {وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٥٠].

عن محمد بن سيرين -من طريق يزيد-:" أنه سُئل عن خطبة النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة. فقرأ: {وتَرَكُوكَ قائِمًا}"[٢٩٥١].

قال طاووس بن كيسان:" الجلوس على المنبر يوم الجمعة بدعة"[٢٩٥٢].

عن طاووس بن كيسان -من طريق ليث- قال: "خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائمًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وإنّ أول من جلس على المنبر معاوية بن أبي سفيان"[٢٩٥٣].

قال الشعبي:" إنما خطب معاوية قاعدًا حين كثُر شَحم بطنه ولحمه"[٢٩٥٤].

قوله تعالى:{قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الجمعة : ١١]، أي:" قل لهم -أيها النبي-: ما عند الله من الثواب والنعيم أنفع لكم من اللهو ومن التجارة، والله -وحده- خير مَن رزق وأعطى، فاطلبوا منه، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة"[٢٩٥٥].

قال مجاهد:" اللهو: الطبل"[٢٩٥٦].

«آخر تفسير سورة (الجمعة)، والحمد لله وحده».

(٢٩٤٧)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٢، ومسلم (٨٦٤)، والبيهقي في سُنَنِه ٣/ ١٩٦ - ١٩٧. وعزاه السيوطي إلى أحمد، وابن مردويه.

(٢٩٤٨)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٣.

(٢٩٤٩)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢١٨.

(٢٩٥٠)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٢، ومسلم (٨٦٤)، والبيهقي في سُنَنِه ٣/ ١٩٦ - ١٩٧. وعزاه السيوطي إلى أحمد، وابن مردويه.

(٢٩٥١)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٣.

(٢٩٥٢)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٣.وقد أورد السيوطي عقب تفسير الآية ١٤/ ٤٨٩ - ٤٩٠ آثارًا في أحكام خطبتي الجمعة، وصفتهما.

(٢٩٥٣)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٢.

(٢٩٥٤)أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ١١٣.

(٢٩٥٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٥٦) تفسير مجاهد: ٦٦٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المنافقون»

«سورة المنافقون» هي السورة الثالثة والستون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثالثة والأخيرة من المجموعة الرابعة من قسم المفصل، نزلت بعد «سورة الحج» وقبل «سورة المجادلة»، وآياتها: إحدى عشرة. كلماتها: مائة وثمانون. حروفها: سبعمائة وست وسبعون. فواصل آياتها «نون»[٢٩٥٧].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال:"نزلت سورة المنافقين بالمدينة"[٢٩٥٨]. وروي عن ابن الزبير مثله[٢٩٥٩].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٢٩٦٠].

قال ابن الجوزي:" وهي مدنيّة بإجماعهم، وذكر أهل التفسير أنها نزلت في عبد الله بن أبي ونظرائه"[٢٩٦١].

قال ابن عاشور:" الصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في «جامع الترمذي» عن محمد بن كعب القرظي «أنها نزلت في غزوة تبوك»[٢٩٦٢] . ووقع فيه أيضا عن سفيان: أن ذلك في غزوة بني المصطلق»[٢٩٦٣] وغزوة بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع.

ورجح أهل المغازي[٢٩٦٤] وابن العربي في «العارضة»[٢٩٦٥]، وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق[٢٩٦٦] وهو الأظهر. لأن قول عبد الله بن أبي ابن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل»[٢٩٦٧]، يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوءة وقد ضعف أمر المنافقين"[٢٩٦٨].

(٢٩٥٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٢٩٥٨) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢٩٥٩) الدر المنثور: ١٧٠/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٩٦٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٥/١.

(٢٩٦١) زد المسير: ٢٨٠/٤.

(٢٩٦٢) سنن الترمذي(٣٣١٤):ص٤١٧/٥.

نص الحديث: ن الحكم بن عتيبة، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي، منذ أربعين سنة يحدث عن زيد بن أرقم:" أن عبد الله بن أبي، قال في غزوة تبوك: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [المنافقون: ٨] قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له، فحلف ما قاله، فلامني قومي وقالوا: ما أردت إلى هذه، فأتيت البيت ونمت كئيبا حزينا، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم أو أتيته، فقال: «إن الله قد صدقك» قال: فنزلت هذه الآية: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} [المنافقون: ٧]". «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٩٦٣) سنن الترمذي(٣٣١٥):ص٤١٧/٥.

نص الحديث:

عن عمرو بن دينار، سمع جابر بن عبد الله يقول: "كنا في غزاة - قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال المهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار، فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» قالوا: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوها فإنها منتنة»، فسمع ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال: أوقد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» وقال غير عمرو، فقال: له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تقر أنك الذليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل". «هذا حديث حسن صحيح».

(٢٩٦٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ١٠٥/٢.

(٢٩٦٥) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨.

(٢٩٦٦) قال ابن كثير:" وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك، فيه نظر، بل ليس بجيد ؛ فإن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش. وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسير أن ذلك كان في غزوة المُرَيسيع، وهي غزوة بني المصطلق". [تفسير ابن كثير: ١٢٧/٨]

(٢٩٦٧) مسند أحمد(١٥٢٢٣):ص٣٨٨/٢٣-٣٨٩، ومصنف عبدالرزاق(١٨٠٤١):ص٤٦٨/٩، ومسند ابن أبي

شيبة(٣٦٨٣٧):ص٣٨٠/٧.
ونص الحديث: عن عمرو، قال: سمعت جابر بن عبد الله، يقول: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة - قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، (١) فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " ما بال دعوى الجاهلية " فقيل: رجل من المهاجرين كسع رجلا من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " دعوها، فإنها منتنة "
قال جابر: وكان المهاجرون حين قدموا المدينة أقل من الأنصار، ثم إن المهاجرين كثروا، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمع ذلك عمر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " يا عمر، دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".
(٢٩٦٨) التحرير والتنوير: ٢٣١/٢٨-٢٣٢.

القرآن

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١)} [المنافقون : ١]

التفسير:

إذا حضر مجلسك المنافقون -أيها الرسول- قالوا بألسنتهم، نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسول الله، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فيما أظهروه من شهادتهم لك، وحلفوا عليه بألسنتهم، وأضمروا الكفر به.

سبب نزول السورة:

عن زيد بن أرْقَم -من طريق أبي إسحاق- قال: "خَرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سَفرٍ، فأصاب الناسَ شِدّةٌ، فقال عبد الله بن أُبيّ لأصحابه: لا تُنفِقوا على مَن عند رسول الله حتى يَنفَضُّوا مِن حوله. وقال: لئن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرِجنّ الأعزُّ منها الأذلَّ. فأتيتُ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فأخبَرتُه بذلك، فأرسَل إلى عبد الله بن أُبيّ، فسَأله، فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كذب زيدٌ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -. فوقع في نفسي مما قالوا شِدّة، حتى أنزل الله تصديقي في: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ}، فدَعاهم النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ليَستغفِر لهم، فلَوَّوا رؤوسهم، وهو قوله: {خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ} قال: كانوا رجالًا أجمل شيء"[٢٩٦٩].

عن زيد بن أرْقَم -من طريق أبي سعيد- قال: "غَزَونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان معنا ناس من الأعراب، فكُنّا نَبْتَدِر الماء، وكان الأعراب يَسبقونا إليه، فَيَسبق الأعرابيُّ أصحابَه، فيَملأ الحوض، ويَجعل حوله حجارة، ويَجعل النِّطْعَ عليه حتى يجيء أصحابه، فأتى رجلٌ مِن الأنصار أعرابيًّا، فأرخى زِمام ناقته لتَشرب، فأبى أن يَدَعه، فانتَزع حجرًا، ففاض الماء، فرفَع الأعرابيُّ خشبةً، فضَرب بها رأس الأنصاريّ، فشَجّه، فأتى عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين، فأخبَره، وكان من أصحابه، فغَضِب، وقال: لا تُنفِقوا على مَن عند رسول الله حتى يَنفَضُّوا من حوله. يعني: الأعراب، وكانوا يَحضُرون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الطعام، فقال عبدُ الله لأصحابه: إذا انفَضُّوا من عند محمد فائتُوا محمدًا بالطعام فليأكل هو ومَن عنده. ثم قال لأصحابه: إذا رَجعتم إلى المدينة فليُخرِج الأعزُّ منها الأذلَّ. قال زيد: وأنا رِدْف عمّي، فسمعتُ عبد الله، وكُنّا أخواله، فأخبَرتْ عمّي، فانطلق، فأخبَر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأرسَل إليه رسول الله، فحَلف وجَحد، فصدَّقه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذَّبني، فجاء عمّي إليّ، فقال: ما أردتَ إلا أن مقَتَك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكذَّبك، وكذَّبك المسلمون. فوقع عليّ مِن الهمّ ما لم يقع على أحد قطّ، فبينما أنا أسِير وقد خَفَقْتُ برأسي من الهمّ إذ آتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعَرَك أُذُني، وضَحك في وجهي، فما كان يَسُرُّني أنّ لي بها الخُلْد أو الدنيا، ثمّ إنّ أبا بكر لَحِقني، فقال: ما قال لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قلتُ: ما قال لي شيئًا، إلا أنّه عَرَك أُذُني، وضَحك في وجهي. فقال: أبْشِر. ثمّ لَحِقني عمر، فقلتُ له مثل قولي لأبي بكر، فلمّا أصبَحنا قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة المنافقين: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ} حتى بلغ: {لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ}"[٢٩٧٠].

(٢٩٦٩)أخرجه البخاري(٤٩٠٣):ص ٦/ ١٥٣، ومسلم(٢٧٧٢):ص ٤/ ٢١٤٠.

(ينفضوا) يتفرقوا عنه. (الأعز) الأكثر عزة ومنعة وعنوا به أنفسهم. (الأذل) الأقل عزة ومنعة وعنوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه. (لعمي) قيل هو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لأنه كان زوج أمه وعمه الحقيقي ثابت بن قيس رضي الله عنه. (ما أردت إلى أن كذبك) ما حملك على قولك حتى جرى لك ما جرى. (مقتك) أبغضك.

(٢٩٧٠)أخرجه الترمذي ٥/ ٥٠٥ - ٥٠٧ (٣٦٠٠)، والحاكم ٢/ ٥٣١ (٣٨١٢)، والبيهقي في الدلائل ٤/ ٥٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن مردويه.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وقال الحاكم: «قد اتفق الشيخان على إخراج أحرف يسيرة من هذا الحديث من حديث أبي إسحاق السّبيعي، عن زيد بن أرْقَم، وأخرج البخاري متابعًا لأبي إسحاق من حديث شعبة، عن الحكم، عن محمد بن كعب القُرَظيّ، عن زيد بن أرْقَم، ولم يُخرجاه بطوله، والإسناد صحيح». وقال الذهبي في التلخيص: «صحيح، وأخرجا منه».

عن زيد بن أرْقَم، قال: "كنتُ جالسًا مع عبد الله بن أُبيّ، فمَرّ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في ناس مِن أصحابه، فقال عبد الله بن أُبيّ: لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فأتيتُ سعد بن عُبادة، فأخبَرتُه، فأتى رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكَر ذلك له، فأرسَل رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد الله بن أُبيّ، فحَلف له عبد الله بن أُبيّ بالله ما تَكلّم بهذا، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى سعد بن عُبادة، فقال سعد: يا رسول الله، إنما أخبَرنيه الغلام زيد بن أرْقَم. فجاء سعد، فأخذ بيدي، فانطلَق بي، فقال: هذا حدَّثني. فانتَهرني عبد الله بن أُبيّ، فانتهيتُ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبَكيتُ، وقلتُ: إي، والذي أنزل النور عليك، لقد قاله. وانصرف عنه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ؛ فأنزل الله: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ} إلى آخر السورة"[٢٩٧١].

عن أبي إسحاق [السّبيعي]، أن زيد بن أرقم أخبره أنّ عبد الله بن أُبيّ بن سَلول قال: "لا تُنفِقوا على مَن عند رسول الله حتى يَنفَضُّوا. وقال: لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال: فحَدَّثني زيد أنه أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقول عبد الله بن أُبيّ، قال: فجاء، فحَلف عبد الله بن أُبيّ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال ذلك. قال أبو إسحاق: فقال لي زيد: فجَلستُ في بيتي، حتى أنزل الله تصديق زيد، وتكذيب عبد الله في: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ}"[٢٩٧٢].

عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعن عبد الله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبّان، قال: كلٌّ قد حدَّثني بعض حديث بني المُصْطَلِق، قالوا: "بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنّ بني المُصْطَلِق يَجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضِرار أبو جُوَيْرِيَة بنت الحارث زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ فلمّا سمع بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، خرج إليهم حتى لَقِيَهم على ماء مِن مياههم يُقال له: المُرَيْسِيع، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل، فتزاحف الناس، فاقتتلوا، فهَزم الله بني المُصْطَلِق، وقتل مَن قتل منهم، ونفَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فأفاءَهم الله عليه، وقد أُصِيب رجل من بني كلب بن عَوْف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صُبابة، أصابه رجل من الأنصار من رَهْط عُبادة بن الصّامت، وهو يرى أنه من العدوّ، فقتله خطأً، فبَينا الناس على ذلك الماء ورَدتْ واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجيرٌ له من بني غِفار يُقال له: جَهْجاه بن سعيد، يقود له فرسه، فازدَحم جَهْجاه وسِنان الجُهَنيّ حليف بني عَوْف بن الخَزْرَج على الماء، فاقتتلا، فصَرخ الجُهَنيّ: يا معشر الأنصار. وصرخ جَهْجاه: يا معشر المهاجرين. فغضب عبد الله بن أُبيّ بن سَلول، وعنده رَهْطٌ من قومه فيهم زيد بن أرْقَم، غلام حديث السِّن، فقال: قد فعلوها؟! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، واللهِ، ما أعدُّنا وجَلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يَأكلْك، أما -واللهِ- لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. ثم أقبل على مَن حضر مِن قومه، فقال: هذا ما فعَلتُم بأنفسكم أحللتُموهم بلادكم، وقاسمتُموهم أموالكم، أما -واللهِ- لو أمسكتُم عنهم ما بأيديكم لتَحوّلوا إلى غير بلادكم. فسمع ذلك زيد بن أرْقَم، فمشى به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وذلك عند فراغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مِن غَزوه، فأخبَره الخبر وعنده عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، مُر به عبّاد بن بِشر بن وقْش، فَلْيَقتُله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فكيف -يا عمر- إذا تحدّث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه، لا، ولكن أذِّن بالرحيل». وذلك في ساعة لم يكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَرتَحل فيها، فارتَحل الناس، وقد مشى عبد الله بن أُبيّ إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين بَلغه أنّ زيد بن أرْقَم قد بَلغه ما سمع منه، فحَلف بالله: ما قلتُ ما قال، ولا تَكلّمتُ به. وكان عبد الله بن أُبيّ في قومه شريفًا عظيمًا، فقال مَن حضر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مِن أصحابه مِن الأنصار: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام أوْهَم في

(٢٩٧١)أخرجه الطبراني في الكبير ٥/ ١٩٦ (٥٠٧٣).
قال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٥ (١١٤٢٠): «رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف».
(٢٩٧٢) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢٣.

حديثه، ولم يَحفظ ما قال الرجل. حَدَبًا على عبد الله بن أُبيّ، ودَفعًا عنه، فلما استقلّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسار، لقِيه أُسيْد بن حُضَيْر، فحَيّاه بتحيّة النّبوة وسَلّم عليه، ثم قال: يا رسول الله، لقد رُحتَ في ساعة مُنكَرة ما كنتَ تَروح فيها. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أوَما بلَغك ما قال صاحبكم؟». قال: فأيُّ صاحب، يا رسول الله؟ قال: «عبد الله بن أُبيّ». قال: وما قال؟ قال: «زعم أنه إن رَجع إلى المدينة أخرَج الأعزُّ منها الأذلَّ». قال أُسيْد: فأنت -واللهِ- يا رسول الله تُخرجه إن شئتَ، هو -واللهِ- الذليلُ وأنتَ العزيز. ثم قال: يا رسول الله، ارْفُق به، فواللهِ، لقد جاء اللهُ بك، وإنّ قومه لَيَنظِمون له الخَرَز لِيُتَوّجوه، فإنه لَيَرى أنّك قد استَلبتَه مُلكًا. ثم مشى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدْر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض وقعوا نِيامًا، وإنما فعل ذلك لِيَشغَل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس مِن حديث عبد الله بن أُبيّ، ثم راح بالناس وسَلك الحِجاز حتى نزل على ماء بالحِجاز فُوَيْق النَّقيع، يقال له: نقعاء، فلما راح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هبّتْ على الناس ريح شديدة آذتهم، وتَخوَّفوها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تخافوا، فإنما هبّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار». فلمّا قدِموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قَيْنُقاع -وكان من عظماء يهود، وكهفًا للمنافقين- قد مات ذلك اليوم، فنَزَلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أُبيّ بن سَلول، ومَن كان معه على مثل أمْره، فقال: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ} فلما نَزَلتْ هذه السورة أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأُذُن زيد، فقال: هذا الذي أوفى الله بأُذُنه. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ الذي كان من أبيه"[٢٩٧٣].

عن أبي الأسود -من طريق ابن لهيعة- عن عروة: "أنّ أوْس بن أقرم، وهو رجل من بني الحارث بن الخَزْرَج، هو الذي سمع قول عبد الله بن أُبيّ، فأخبَر بذلك عمر بن الخطاب، وذكر ذلك عمر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبعَث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ابن أُبيّ، فسأله عما تَكلّم به، فحَلف بالله ما قال من ذلك شيئًا، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن كان سَبق منك قول فتُبْ». فجَحد وحَلف، فوقع رجال بأوْس بن أقرم، وقالوا: أسأتَ بابن عمّك وظَلمتَه، ولم يُصدّقك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فبينما هم يسيرون إذ رَأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُوحى إليه، فلما قضى الله قضاءَه في موطنه ذلك، وسُرِّي عنه؛ نظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو بأوْس بن أقرم، فأخذ بأُذُنه، فعصَرها، حتى استشرف القوم؛ فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «أبْشِر، فقد صدق الله حديثك». ثم قرأ عليه سورة المنافقين حتى بلغ ما أنزل الله في ابن أُبيّ: {هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا} حتى بلغ: {ولكن المنافقين لا يعلمون}"[٢٩٧٤].

القرآن

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)} [المنافقون : ٢-٣]

التفسير:

إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب، ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون؛ ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم، فهم لا يفهمون ما فيه صلاحهم.

قوله تعالى:{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} [المنافقون : ٢]، أي:" إنما جعل المنافقون أيمانهم التي أقسموها سترة ووقاية لهم من المؤاخذة والعذاب"[٢٩٧٥].

(٢٩٧٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٠٦-٤٠٧، وهو في تفسير البغوي ٨/ ١٣٠ - ١٣٣ موقوف على ابن إسحاق.

(٢٩٧٤)أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٥٦.

(٢٩٧٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

عن قتادة: "{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً}، أي: حلفهم جنة"[٢٩٧٦].
عن مجاهد في قول الله: "{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً}، قال: يجتنون بها، قال ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا"[٢٩٧٧].
وقرئت: «اتَّخَذُوا إِيْمَانَهُمْ»، بكسر الهمزة – أي: إظْهَارَهُم الإيمَانَ {جُنَّةً}[٢٩٧٨].
قوله تعالى:{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [المنافقون : ٢]، أي:" ومنعوا أنفسهم، ومنعوا الناس عن طريق الله المستقيم، إنهم بئس ما كانوا يعملون"[٢٩٧٩].
عن السدي:{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج: ٢٥]، " يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"[٢٩٨٠].
قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"[٢٩٨١].
عن سعيد بن جبير:" {في سبيل الله}، قال: في طاعة الله"[٢٩٨٢].
قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} [المنافقون : ٣]، أي:" ذلك لأنهم آمنوا في الظاهر، ثم كفروا في الباطن، فختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم"[٢٩٨٣].
قال قتادة: " أقروا بلا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقلوبهم منكِرة تأبى ذلك"[٢٩٨٤].

القرآن
{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤)} [المنافقون : ٤]
التفسير:
وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم ; لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها، يظنون كل صوت عال واقعًا عليهم وضارًا بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جبنهم، والرعب الذي تمكَّن من قلوبهم، هم الأعداء الحقيقيون شديدو العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم، أخزاهم الله وطردهم من رحمته، كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟
قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ} [المنافقون : ٤]، أي:" وإذا نظرت إلى هؤلاء المنافقين تعجبك هيئاتهم ومناظرهم، وإن يتحدثوا تسمع لحديثهم ; لفصاحة ألسنتهم، وهم لفراغ قلوبهم من الإيمان، وعقولهم من الفهم والعلم النافع كالأخشاب الملقاة على الحائط، التي لا حياة فيها"[٢٩٨٥].

(٢٩٧٦) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢٣.
(٢٩٧٧) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢٣.
(٢٩٧٨) انظر: معاني القرآن: ١٧٥/٥.
(٢٩٧٩) التفسير الميسر: ٥٥٤.
(٢٩٨٠) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.
(٢٩٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.
(٢٩٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٥٠٢):ص١٨٥٤/٦.
(٢٩٨٣) التفسير الميسر: ٥٥٤.
(٢٩٨٤) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢٣.
(٢٩٨٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

قال رجل لابن سيرين: "رأيتني في النوم محتضنا خشبة، فقال ابن سيرين: أظنك من أهل هذه الآية وتلا: {كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ}"[٢٩٨٦].

وقرأ ذلك الأعمش والكسائي: «خُشْبُ»، بضم الخاء وسكون الشين[٢٩٨٧].

قوله تعالى:{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} [المنافقون : ٤]، أي:" يظنون كل صوت عال واقعًا عليهم وضارًا بهم؛ لعلمهم بحقيقة حالهم، ولفرط جبنهم، والرعب الذي تمكَّن من قلوبهم"[٢٩٨٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ} [المنافقون : ٤]، ثلاثة أوجه:

أحدها: أنهم لوجلهم وخبثهم يحسبون كل صيحة يسمعونها - حتى لو دعا رجل صاحبه أو صاح بناقته - أن العدو قد اصطلم وأن القتل قد حل بهم ، قاله السدي[٢٩٨٩].

الثاني: {يحسبون كل صيحة عليهم} كلام ضميره فيه ولا يفتقر إلى ما بعده ، وتقديره: يحسبون كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم فقال: {هم العدو فاحذرهم} وهذا معنى قول الضحاك[٢٩٩٠].

الثالث: يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر فيها بقتلهم ، فهم أبدا وجلون ثم وصفهم الله بأن قال: {هم العدو فاحذرهم} حكاه عبد الرحمن بن أبي حاتم[٢٩٩١].

قوله تعالى:{هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} [المنافقون : ٤]، أي:" هم الأعداء الحقيقيون شديدو العداوة لك وللمؤمنين، فخذ حذرك منهم"[٢٩٩٢].

قوله تعالى:{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} [المنافقون : ٤]، أي:" أخزاهم الله وطردهم من رحمته"[٢٩٩٣].

قال أبو مالك:" معناه: لعنهم الله"[٢٩٩٤].

قوله تعالى:{أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤]، أي:" كيف ينصرفون عن الحق إلى ما هم فيه من النفاق والضلال؟"[٢٩٩٥].

عن أبي مالك:" {أنى يؤفكون}: كيف يؤفكون؟"[٢٩٩٦].

عن قتادة:" {فأنى يؤفكون}، قال: من أين"[٢٩٩٧].

وفي قوله تعالى:{أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون : ٤]، وجوه:

أحدها: معناه: كيف يكذبون، قاله أبو مالك[٢٩٩٨].

الثاني: معناه: يعدلون عن الحق ، قاله قتادة[٢٩٩٩].

الثالث: معناه: يصرفون عن الرشد ، قاله الحسن[٣٠٠٠].

الرابع: معناه: كيف يضل عقولهم عن هذا ، قاله السدي[٣٠٠١].

(٢٩٨٦) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٣١٢/٥.

(٢٩٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢٣.

(٢٩٨٨) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٨٩) انظر: النكت والعيون: ١٥/٦.

(٢٩٩٠) انظر: النكت والعيون: ١٥/٦.

(٢٩٩١) .

(٢٩٩٢) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٩٣) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٩٤) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦.

(٢٩٩٥) التفسير الميسر: ٥٥٤.

(٢٩٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٥٢):ص١١٨٠/٤.

(٢٩٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤١٩):ص٣٠٧٩/٩.

(٢٩٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٤):ص١٧٨٣/٦.

(٢٩٩٩) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦، وروي نحوه في تفسير ابن أبي حاتم(١٠٣٨٣):١٩٥٢/٦

(٣٠٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٢١):ص٣٠٧٩/٩، بلفظ: "أي: يعدلون". وانظر: النكت والعيون: ١٦/٦.

(٣٠٠١) انظر: النكت والعيون: ١٦/٦.

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)} [المنافقون : ٥]

وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عمَّا بدر منكم من سيِّئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا، وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب إليهم.

سبب النزول:

سعيد بن جُبَير: "أنّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نزل منزلًا في السّفر لم يرتحل منه حتى يُصلّي فيه، فلمّا كان غزوة تبوك نَزل منزلًا، فقال عبد الله بن أُبيّ: لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فبَلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فارتحل ولم يُصلِّ، فذكروا ذلك له، فذكر قصة ابن أُبيّ، ونَزل القرآن، قال: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ واللَّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ}. وجاء عبد الله بن أُبيّ إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فجَعل يَعتَذر ويَحلِف ما قال، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول له: «ثُبْ». فجعل يَلوي رأسه؛ فأنزل الله: {وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} الآية"[٣٠٠٢].

قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} [المنافقون : ٥]، أي:" وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عمَّا بدر منكم من سيِّئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا"[٣٠٠٣].

عن مجاهد، في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ}، قال: عبد الله بن أُبَيّ، قيل له: تعالَ ليستغفر لك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فلوى رأسه وقال: ماذا قلت؟"[٣٠٠٤].

عن قتادة -من طريق سعيد- في الآية، قال: "نزلت في عبد الله بن أُبيّ؛ وذلك أنّ غلامًا من قرابته انطلق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحديث وتكذيب شديد، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فإذا هو يَحلِف ويتبرّأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلامُوه وعذّلوه، وقيل لعبد الله: لو أتيتَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاستَغفَر لك. فجعل يَلوي رأسه، ويقول: لستُ فاعلًا، وكذب عليّ. فأنزل الله ما تسمعون"[٣٠٠٥].

عن قتادة، قال: قال له قومه: لو أتيت النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ}"[٣٠٠٦].

عن بشير بن مسلم -من طريق الحكم-:" أنّه قيل لعبد الله بن أُبيّ بن سَلول: يا أبا حُباب، إنّه قد أنزل فيك آيٌ شِداد، فاذهب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يَستغفِر لك. فلوّى رأسه، وقال: أمرتموني أنْ أومن فآمنتُ، وأمرتموني أنْ أُعطي زكاة مالي فأعطيتُ، فما بقي إلا أنْ أسجد لمحمد!"[٣٠٠٧].

(٣٠٠٢)أخرجه عبد بن حميد -كما في الفتح ٨/ ٦٤٤ - ، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٥٣ - ١٥٤ - .
قال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جُبَير». وقال الحافظ: «إسناده صحيح إلى سعيد بن جُبَير مرسلًا ... والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المُصْطَلِق».

(٣٠٠٣) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٠٤) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٣.

(٣٠٠٥)أخرجه عبد بن حميد -كما في فتح الباري ٦/ ٦٤٨ - ، وابن جرير ٢٢/ ٦٥٧. كما أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩٤ من طريق معمر مختصرًا، وابن جرير ٢٢/ ٦٥٨.

(٣٠٠٦) أخرجه الطبري: ٤٠٠/٢٣.

(٣٠٠٧)أخرجه عبد بن حميد -كما في الفتح ٨/ ٦٤٨ - ، والطبري: ٣٩٩/٢٣. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

سعيد بن جُبَير: "أنّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - كان إذا نزل منزلًا في السّفر لم يرتحل منه حتى يُصلّي فيه، فلمّا كان غزوة تبوك نَزل منزلًا، فقال عبد الله بن أُبيّ: لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. فبَلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فارتحل ولم يُصلِّ، فذكروا ذلك له، فذكر قصة ابن أُبيّ، ونَزل القرآن، قال: {إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ واللَّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ}. وجاء عبد الله بن أُبيّ إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فجَعل يَعتَذر ويَحلِف ما قال، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول له: «ثُبْ». فجعل يَلوي رأسه؛ فأنزل الله: {وإذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ} الآية"[٣٠٠٨].

قرأت القرّاء: {لَوَّوْا}، على وجه الخبر عنهم أنهم كرّروا هز رءوسهم وتحريكها، وأكثروا، إلا نافعًا فإنه قرأ ذلك بتخفيف الواو «لَوَوْا»، على وجه أنهم فعلوا ذلك مرّة واحدة[٣٠٠٩].

قوله تعالى:{وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [المنافقون : ٥]، أي:" وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب إليهم"[٣٠١٠].

عن قتادة :" {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا} ... الآية كلها قرأها إلى {الْفَاسِقِينَ}، أنزلت في عبد الله بن أُبيّ، وذلك أن غلامًا من قرابته انطلق إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فحدّثه بحديث عنه وأمر شديد، فدعاه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فإذا هو يحلف ويتبرأ من ذلك، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام، فلاموه وعَذلوه وقيل لعبد الله: لو أتيت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فجعل يلوي رأسه: أي لستُ فاعلا وكذب عليّ، فأنزل الله ما تسمعون"[٣٠١١].

عن زيد بن أرقم، قال: "خرجت مع عمي في غزاة، فسمعت عبد الله بن أُبيّ ابن سلول يقول لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ؛ قال: فذكرت ذلك لعمي، فذكره عمي لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأرسل إليّ، فحدثته، فأرسل إلى عبد الله عليًّا رضي الله عنه وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، قال: فكذّبني رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وصدّقه، فأصابني همّ لم يصبني مثله قطّ؛ فدخلت البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذّبك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ومقتك، قال: حتى أنزل الله عزّ وجلّ {إذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ}، قال: فبعث إليّ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقرأها، ثم قال: "إن الله عزَّ وَجَلَّ قَدْ صَدَّقَكَ يا زيد"[٣٠١٢].

عن محمد بن شهاب الزُّهريّ -من طريق ابن إسحاق- قال: "كان لعبد الله بن أُبيّ مقام يقومه كلَّ جمعة لا يتركه شرفًا له في نفسه وفي قومه، فكان إذا جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة يَخطب قام، فقال: أيها الناس، هذا رسول الله بين أظهركم، أكرمَكم الله به، وأعزَّكم به، فانصروه، وعزِّروه، واسمعوا له، وأطيعوا. ثم يجلس، فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أُحُد، وصنع المنافق ما صنع في أُحُد، فقام يفعل كما كان يفعل، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه، وقالوا: اجلس، يا عدوّ الله، لستَ لهذا المقام بأهل، قد صنعتَ ما صنعتَ. فخرج يتخطّى رقاب الناس وهو يقول: واللهِ، لكأني قُلتُ هُجْرًا أن قمتُ أشدّد أمره. فقال له رجل: ويلك! ارجع يَستغفِر لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال المنافق: واللهِ، ما أبغي أن يَستغفِر لي"[٣٠١٣].

(٣٠٠٨)أخرجه عبد بن حميد -كما في الفتح ٨/ ٦٤٤ - ، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٥٣ - ١٥٤ - .
قال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جُبَير». وقال الحافظ: «إسناده صحيح إلى سعيد بن جُبَير مرسلًا ... والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المُصْطَلِق».
(٣٠٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٧/٢٣.
(٣٠١٠) التفسير الميسر: ٥٥٥.
(٣٠١١) أخرجه الطبري: ٣٩٨/٢٣.
(٣٠١٢) أخرجه الطبري: ٣٩٧/٢٣-٣٩٨.
(٣٠١٣)أخرجه البيهقي في الدلائل ٣/ ٣١٨.

القرآن

{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)} [المنافقون : ٦]

التفسير:

سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبدًا ; لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر. إن الله لا يوفِّق للإيمان القوم الكافرين به، الخارجين عن طاعته.

سبب النزول:

عن ابن عباس قوله: "{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}، قال: نزلت هذه الآية بعد الآية التي في سورة التوبة {إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨] فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «زيادة على سبعين مرّة»، فأنزل الله: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ}"[٣٠١٤].

عن عُروة بن الزبير، قال: "لَمّا نزلت: {اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [التوبة: ٨٠] قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «لَأزيدنّ على السبعين». فأنزل الله: {سَواءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ} الآية"[٣٠١٥].

قوله تعالى:{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ} [المنافقون : ٦]، أي:" سواء على هؤلاء المنافقين أطلبت لهم المغفرة من الله -أيها الرسول- أم لم تطلب لهم، إن الله لن يصفح عن ذنوبهم أبدًا ; لإصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر"[٣٠١٦].

القرآن

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧)} [المنافقون : ٧]

التفسير:

هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة» : لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه. ولله وحده خزائن السموات والأرض وما فيهما من أرزاق، يعطيها من يشاء ويمنعها عمَّن يشاء، ولكن المنافقين لا يفهمون أن الرزق من عند الله؛ لجهلهم به سبحانه وتعالى.

سيي نزول الآيتين:[٧-٨]:

عن ابن عباس:" من طريق سعيد بن جُبَير- قال: نزلت هذه الآيةُ: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتّى يَنْفَضُّوا} في عَسِيفٍ لعمر بن الخطاب [٣٠١٧]"[٣٠١٨].

عن زيد بن أرْقَم -من طريق أبي حمزة- قال: "لما قال عبد الله بن أُبيّ ما قال: لا تُنفِقوا على مَن عند رسول الله حتى يَنفَضّوا. وقال: لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. سمعتُه، فأتيتُ النَّبِيّ -

---

(٣٠١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٠٠.

(٣٠١٥) الدر المنثور: ٨/، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير، وذكر محققو الدر أن في بعض نسخه: ابن مردويه بدل ابن جرير.

(٣٠١٦) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠١٧)العسيف: الأجير. النهاية (عسف).

(٣٠١٨)أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/ ٩٥ (٩٢) من طريق ابن مردويه.

رجال إسناده ثقات، رجال الشيخين، سوى المثنى بن معاذ العنبري فمِن رجال مسلم، والراوي عنه ابنه معاذ بن المثنى، قال الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ١٣٦: «كان ثقة». والراوي عنه أحمد بن محمد بن زياد، وهو أبو سهل القطان شيخ ابن مردويه، قال الذهبي في المعين في طبقات المحدثين (١٢٥٧): «شيخ».

صلى الله عليه وسلم -، فذكرتُ ذلك له، فلامني ناس من الأنصار، وجاءهم يَحلِف ما قال ذلك، فرجعتُ إلى المنزل، فنِمتُ، فأتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «إنّ الله صدّقك، وعذرك». فنَزلت هذه الآية: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} الآيتين"[٣٠١٩].

عن عكرمة مولى ابن عباس -من طريق الحكم-: "أنّ عبد الله بن أُبيّ بن سَلول كان له ابن يُقال له: حُباب، فسمّاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: عبد الله، فقال: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذَرْني حتى أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». ثم جاءه أيضًا، فقال له: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذَرْني حتى أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». ثم جاءه أيضًا، فقال: يا رسول الله، إنّ والدي يؤذي الله ورسوله؛ فذَرْني أقتله. فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تقتل أباك». فقال: يا رسول الله، فذَرْني حتى أسقيه مِن وضُوئك؛ لعلّ قلبه أن يَلين. فتوضأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأعطاه، فذهب به إلى أبيه، فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتُك؟ قال له والده: نعم، سَقيتني بول أمك. فقال له ابنه: لا، واللهِ، ولكن سقيتُك وضُوء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال عكرمة: وكان عبد الله بن أُبيّ عظيم الشأن فيهم، وفيه أُنزلت هذه الآية في المنافقين: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا}، وهو الذي قال: {لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ}"[٣٠٢٠].

عن الحسن البصري -من طريق معمر-: "أنّ غلامًا جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، إني سمعتُ عبد الله بن أُبيّ يقول كذا وكذا. قال: «فلعلّكَ غَضِبتَ عليه». قال: لا، واللهِ، يا نبي الله، لقد سمعتُه يقوله. قال: «فلعلّكَ أخطأ سمعكَ». قال: لا، واللهِ، يا نبي الله، لقد سمعتُه يقوله. قال: «فلعلّه شُبّه عليكَ». قال: لا، والله. قال: فأنزل الله تصديقًا للغلام: {لَئِنْ رَجَعْنا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنها الأذَلَّ}. فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - بأُذُن الغلام، فقال: «وفتْ أُذُنك، وفتْ أُذُنك، يا غلام»[٣٠٢١].

قال قتادة:" اقتتل رجلان؛ أحدهما من جُهَينة، والآخر من غِفار، وكانت جُهَينة حليف الأنصار، فظهر عليه الغِفاري، فقال رجلٌ منهم عظيم النّفاق: عليكم صاحبكم، عليكم صاحبكم، فواللهِ، ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمِّن كلبك يَأكلك، أما -واللهِ- لئن رَجَعنا إلى المدينة لَيُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ. وهم في سفر، فجاء رجلٌ مِمّن سمعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأخبَره ذلك، فقال عمر: مُر معاذًا يضرب عُنُقه. فقال: «واللهِ، لا يتحدّث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه». فنَزلت فيهم: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَن عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ}"[٣٠٢٢].

قوله تعالى:{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} [المنافقون : ٧]، أي:" هؤلاء المنافقون هم الذين يقولون لأهل «المدينة» : لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه"[٣٠٢٣].

قال قتادة:" وهذا قول عبد الله بن أُبي لأصحابه المنافقين لا تنفقوا على محمد وأصحابه حتى يدعوه، فإنكم لولا أنكم تنفقون عليهم لتركوه وَأجَلوا عنه"[٣٠٢٤].

(٣٠١٩)أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ٣٢/ ٥١ (١٩٢٩٧)، ومن طريقه الطبراني في الكبير ٥/ ١٧٧ (٥٠٠٣). رجال إسناده ثقات، رجال الشيخين، سوى أبي حمزة طلحة بن يزيد الأيلي فمن رجال البخاري، وقال عنه ابن حجر في التقريب (٣٠٣٨): «وثقه النسائي».

(٣٠٢٠)أخرجه عبد بن حميد -كما في الفتح ٨/ ٦٤٨ - ، والحديث عند ابن جرير ٤٠٣/٢٢، وعبد الرزاق (٦٦٢٧). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الحافظ في الفتح ٨/ ٦٥٠: «مرسل عن عكرمة».

(٣٠٢١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩٤، وابن جرير ٢٢/ ٦٦٥ مرسلًا.

(٣٠٢٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٩٣، وابن جرير ٤٠٤/٢٣.

(٣٠٢٣) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٢٤) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.

قال قتادة:" إن عبد الله بن أُبيّ ابن سلول قال لأصحابه، لا تنفقوا على من عند رسول الله، فأنكم لو لم تنفقوا عليهم قد انفضوا"[٣٠٢٥].

عن الضحاك، قوله:" {لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا}، يعني: الرَّفد والمعونة، وليس يعني: الزكاة المفروضة؛ والذين قالوا هذا هم المنافقون"[٣٠٢٦].

القرآن

{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨)} [المنافقون : ٨]

التفسير:

يقول هؤلاء المنافقون: لئن عُدْنا إلى «المدينة» ليخرجنَّ فريقنا الأعزُّ منها فريق المؤمنين الأذل، ولله تعالى العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك؛ لفرط جهلهم.

قوله تعالى:{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} [المنافقون : ٨]، أي:" يقول هؤلاء المنافقون: لئن عُدْنا إلى «المدينة» ليخرجنَّ فريقنا الأعزُّ منها فريق المؤمنين الأذل"[٣٠٢٧].

عن قتادة، قوله: "{لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ}، قرأ الآية كلها إلى {لا يَعْلَمُونَ}، قال: قد قالها منافق عظيم النفاق في رجلين اقتتلا أحدهما غفاريّ، والآخر جُهَنِيّ، فظهر الغفاريّ على الجُهنيّ، وكان بين جُهينة والأنصار حلف، فقال رجل من المنافقين وهو ابن أُبيَ: يا بني الأوس، يا بني الخزرج، عليكم صاحبكم وحليفكم، ثم قال: والله ما مثلنا ومَثَلَ محمد إلا كما قال القائل: "سمِّن كلبك يأكلك"، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، فسعى بها بعضهم إلى نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال عمر: يا نبيّ الله مُر معاذ بن جبل أن يضرب عنق هذا المنافق، فقال: "لا يتحدّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَدًا يَقْتُلُ أصحَابَهُ". ذكر لنا أنه كان أكثر على رجل من المنافقين عنده، فقال: هل يصلي؟ فقال: نعم ولا خير في صلاته، فقال: نهيت عن المصلين، نهيت عن المصلين[٣٠٢٨].

عن عكرمة:" أن عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ بن سلول كان يقال له حباب، فسماه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عبد الله، فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "لا تَقْتُلْ أبَاكَ عَبْدَ اللهِ"، ثم جاء أيضًا فقال: يا رسول الله إن والدي يؤذي الله ورسوله، فذرني حتى أقتله، فقال له رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: لا تَقْتُلْ أباك"، فقال: يا رسول الله فتوضأ حتى أسقيه من وضوئك لعلّ قلبه أن يلين، فتوضأ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فأعطاه، فذهب به إلى أبيه فسقاه، ثم قال له: هل تدري ما سقيتك؟ فقال له والده نعم، سقيتني بول أمك، فقال له ابنه: لا والله، ولكن سقيتك وضوء رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ قال عكرمة: وكان عبد الله بن أُبيّ عظيم الشأن فيهم. وفيهم أنزلت هذه الآية في المنافقين: {هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} وهو الذي قال: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ}، قال: فلما بلغوا المدينة، مدينة الرسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ومن معه، أخذ ابنه السيف، ثم قال لوالده: أنت تزعم "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذلّ"، فوالله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣٠٢٩].

عن عاصم بن عمر بن قتادة: "أن عبد الله بن عبد الله بن أُبي أتى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلا فمرني به فأنا

(٣٠٢٥) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.
(٣٠٢٦) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢٣.
(٣٠٢٧) التفسير الميسر: ٥٥٥.
(٣٠٢٨) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٣.
(٣٠٢٩) أخرجه الطبري: ٤٠٣/٢٣.

أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخلَ النارَ؛ فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: " بَلْ نَرْفُقْ بِهِ وَنُحْسِنْ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا"، وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه ويعنفونه ويتوعدونه، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: "كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ، أما واللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأَرْعَدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ"؛ قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أعظم بركة من أمري"[٣٠٣٠].

عن محمد بن سيرين: "أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان مُعسكِرًا، وأنّ رجلًا من قريش كان بينه وبين رجل من الأنصار كلام، حتى اشتدّ الأمر بينهما، فبلغ ذلك عبد الله بن أُبيّ، فخرج فنادى: غَلبني على قومي مَن لا قوم له. فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأخذ سيفه، ثم خرج عامدًا ليضربه، فذكر هذه الآية: {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ} [الحجرات: ١]، فرجع حتى دخل على النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «مالك، يا عمر؟». قال: العَجب مِن ذلك المنافق! يقول: غَلبني على قومي مَن لا قوم له، واللهِ، لئن رَجَعنا إلى المدينة ليُخرِجنّ الأعزّ منها الأذلّ. قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «قم، فنادِ في الناس يَرتحلوا». فتفرّق القوم، فخرج عمر، فنادى: يا أيها الناس، إنّ رسول الله مُرتحِل؛ فارتَحِلوا. فساروا، حتى إذا كان بينهم وبين المدينة مسيرة ليلة تعجّل عبدُ الله بن عبد الله بن أُبيّ، حتى أناخ بجامع طرق المدينة، ودخل الناس، حتى جاء أبوه عبد الله بن أُبيّ، فقال: وراءك. فقال: مالك، ويلك؟! قال: واللهِ، لا تَدخلها أبدًا إلا أن يَأذن رسول الله، ولتَعلمنّ اليوم مَن الأعزّ من الأذلّ. فرجع حتى لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فشكا إليه ما صنع ابنه، فأرسَل إليه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - أنْ خَلِّ عنه حتى يَدخل، ففعل، فلم يلبثوا إلا أيامًا قلائل حتى اشتكي عبد الله، فاشتدّ وجعُه، فقال لابنه عبد الله: يا بني، ائت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فادْعُه، فإنك إذ أنتَ طلبتَ ذلك إليه فعل. ففعل ابنه، فأتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله، إنّ عبد الله بن أُبيّ شديد الوجع، وقد طلب إليّ أنْ آتيك فتأتيه؛ فإنه قد اشتاق إلى لقائك. فأخذ نعليه، فقام، وقام معه نفرٌ من أصحابه حتى دَخلوا عليه، فقال لأهله حين دخل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: أجلِسوني. فأجلَسوه، فبكى، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أجزعًا -يا عدوّ الله- الآن؟!». فقال: يا رسول الله، إني لم أدْعُك لتُؤنّبني، ولكن دَعوْتُك لترحمني. فاغرورقتْ عينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «ما حاجتك؟». قال: حاجتي إذا أنا مِتّ أن تشهد غُسلي، وتُكفّني في ثلاثة أثواب مِن أثوابك، وتمشي مع جنازتي، وتُصلّي علي. ففعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فنَزلت هذه الآية بعد: {ولا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنهُمْ ماتَ أَبَدًا ولا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ} [التوبة: ٨٤]"[٣٠٣١].

عن ابن إسحاق : "حدثني محمد بن يحيى بن حبان، وعبد الله بن أبي بكر، وعاصم بن عُمَر بن قتادة، في قصة بني المصطلق : فبينا رسول الله مقيم هناك، اقتتل على الماء جَهجاه بن سعيد الغفاري - وكان أجيرا - لعمر بن الخطاب، وسنان بن وَبْر، قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال : ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان : يا معشر الأنصار. وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين - وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي - فلما سمعها قال : قد ثاورُونا في بلادنا. والله ما مثلُنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : "سَمن كلبك يأكلك". والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : هذا ما صنعتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم في بلادكم إلى غيرها. فسمعها زيد ابن أرقم، فذهب بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غُلَيِّمٌ - وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فأخبره الخبر، فقال عمر رضي

(٣٠٣٠) أخرجه الطبري: ٤٠٧/٢٣.

(٣٠٣١) الدر المنثور: ١٧٨/٨-١٧٩، وعزاه إلى عبد بن حميد.

الله عنه : يا رسول الله مر عَبّاد بن بشرْ فليضرب عنقه. فقال صلى الله عليه وسلم : "فكيف إذا تحدث الناس - يا عمر - أن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ولكن ناد يا عمر في الرحيل".

فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أتاه فاعتذر إليه، وحلف بالله ما قال ما قال عليه زيد بن أرقم - وكان عند قومه بمكان - فقالوا : يا رسول الله، عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل.

وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مُهجرًا في ساعة كان لا يروح فيها، فلقيه أسيد بن الحضير فسلم عليه بتحية النبوة، ثم قال : والله لقد رُحتَ في ساعة مُنكَرَة ما كنت تروح فيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟. زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل". قال : فأنت - يا رسول الله - العزيزُ وهو الذليل. ثم قال : يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخَرزَ لِئَتَوّجه، فإنه ليرى أن قد استلبتَه ملكا.

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا، ليلته حتى أصبحوا، وصَدرَ يومه حتى اشتد الضحى. ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث، فلم يأمن الناس أن وجدوا مَس الأرض فناموا، ونزلت سورة المنافقين"[٣٠٣٢].

قوله تعالى:{وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون : ٨]، أي:" ولله تعالى العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وللمؤمنين بالله ورسوله لا لغيرهم"[٣٠٣٣].

قال سعيد بن المسيب: "{إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}؛ يعني إن الله يعز من يشاء؛ كما قال في آية أخرى {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (٣) وعزة الرسول والمؤمنين بالله تعالى، فهي كلها لله، قال الله تعالى: {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠)}. {وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}"[٣٠٣٤].

عن الحسن بن على -رضى الله عنهما-: "أنّ رجلا قال له. إنّ الناس يزعمون أنّ فيك تيها، قال: ليس بتيه، ولكنه عزة، وتلا هذه الآية"[٣٠٣٥].

وكان جعفر الصادق رحمه الله، يقول: "من مثلي ورب العرش معبودي، من مثلي وأنت لي"[٣٠٣٦].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩)} [المنافقون : ٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تَشْغَلْكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته، ومن تشغَله أمواله وأولاده عن ذلك، فأولئك هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [المنافقون : ٩]، أي:" :" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تَشْغَلْكم أموالكم ولا أولادكم عن عبادة الله وطاعته"[٣٠٣٧].

عن الضحاك: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، قال: الصلوات الخمس"[٣٠٣٨].

(٣٠٣٢)السيرة النبوية لابن هشام :٢/٢٩٠ – ٢٩٢، وتفسير ابن كثير: ٨/١٢٧-١٢٨.

(٣٠٣٣) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٣٤) تفسير الثعلبي: ١٤/٢٤٧، وتفسير البغوي: ٤/١٤٢.

(٣٠٣٥) نقلا عن الكشاف: ٤/٥٤٣.

(٣٠٣٦) تفسير الثعلبي: ٢٦/٤٦٥. [ط. دار التفسير]

(٣٠٣٧) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٣٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٤١٠.

وعن الحسن: جميع الفرائض"[٣٠٣٩].

القرآن

{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠)} [المنافقون : ١٠]

التفسير:

وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته، فيقول نادمًا: ربِّ هلا أمهلتني، وأجَّلت موتي إلى وقت قصير، فأتصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء.

قوله تعالى:{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ} [المنافقون : ١٠]، أي:" وأنفقوا -أيها المؤمنون- بالله ورسوله بعض ما أعطيناكم في طرق الخير، مبادرين بذلك من قبل أن يجيء أحدكم الموت، ويرى دلائله وعلاماته"[٣٠٤٠].

عن الضحاك:"{وأنْفِقُوا مِن ما رَزَقْناكُمْ}، قال: يعني: الزّكاة، والنّفقة في الحج"[٣٠٤١].

قوله تعالى:{فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ } [المنافقون : ١٠]، أي:" فيقول نادمًا: ربِّ هلا أمهلتني، وأجَّلت موتي إلى وقت قصير فأتصدق من مالي، وأكن من الصالحين الأتقياء"[٣٠٤٢].

عن الضحاك بن مزاحم في قوله: "{لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ}، قال: فأتصدّق بزكاة مالي {وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ}، قال: الحجّ"[٣٠٤٣].

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}، إلى آخر السورة: هو الرجل المؤمن نزل به الموت وله مال كثير لم يزكه، ولم يحجّ منه، ولم يعط منه حق الله يسأل الرجعة عند الموت فيزكي ماله، قال الله: {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا}"[٣٠٤٤].

القرآن

{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)} [المنافقون : ١١]

التفسير:

ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها، والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك.

قوله تعالى:{وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا} [المنافقون : ١١]، أي:" ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء وقت موتها، وانقضى عمرها"[٣٠٤٥].

قال الضحاك:" كل نفس أجلها الموت، {ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها}"[٣٠٤٦].

(٣٠٣٩) نقلا عن: الكشاف: ٥٤٤/٤.

(٣٠٤٠) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٤١) الدر المنثور: ٨/ ١٨٠، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٠٤٢) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٤٣) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣.

(٣٠٤٤) أخرجه الطبري: ٤١١/٢٣-٤١٢.

(٣٠٤٥) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٤٤٨٩):ص٢٦٧/٨. في تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} [الأنعام : ٢].

عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال : ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الزيادة في العمر فقال : " إن الله لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبدَ دُرية صالحة يدعون له، فيلحقه دعاؤهم في قبره"[٣٠٤٧].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المنافقون : ١١]، أي:" والله سبحانه خبير بالذي تعملونه من خير وشر، وسيجازيكم على ذلك"[٣٠٤٨].

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٣٠٤٩].

«آخر تفسير سورة (المنافقون)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٠٤٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٣٤/٨، ورواه ابن عدى في الكامل (٢٨٥/٣) من طريق الوليد بن عبد الملك عن سليمان بن عطاء به - مجمع على ضعفه.

(٣٠٤٨) التفسير الميسر: ٥٥٥.

(٣٠٤٩) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التغابن»

«سورة التغابن» هي السورة الرابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة من السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد «سورة الجمعة»، وقبل «سورة الصف» بناء على أنها مدنية، وآياتها: ثمان عشرة. وكلماتها: مائتان وإحدى وأربعون. وحروفها ألف وسبعون. فواصل آياتها «من در»، وعلى «الدال» آية واحدة: {حَمِيدٌ} [التغابن : ٦][٣٠٥٠].

- **مكان نزول السورة:**

وفي مكان نزول السورة، أقوال:

أحدها: أنها مدنية. قاله ابن عباس[٣٠٥١]، وابن الزبير[٣٠٥٢]، والحسن[٣٠٥٣]، ومجاهد[٣٠٥٤]، وعكرمة[٣٠٥٥]، وقتادة[٣٠٥٦]. وهو قول الجمهور[٣٠٥٧].

الثاني: أنها مكية. قاله الضحاك[٣٠٥٨].

الثالث: أنها مكية، إلّا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُم} [التغابن : ١٤]، واللّتان بعدها. حكاه ابن الجوزي عن عطاء بن يسار[٣٠٥٩].

وأخرج ابن إسحق وابن جرير عن عطاء بن يسار قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة إلا هؤلاء الآيات: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ} [التغابن : ١٤]، نزلت في عوف بن مالك الأشجعي كان ذا أهل وولد فكان إذا أراد الغزو بكوا عليه ورققوه فقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم هذه الآيات فيه بالمدينة"[٣٠٦٠].

الرابع: أنها مكية، إلّا خمسة آيات منها نزلت بالمدينة، قوله عزّ وجلّ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُم} [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة. قاله ابن عباس[٣٠٦١].

أخرج النحاس عن ابن عباس قال: "نزلت سورة التغابن بمكة إلا آيات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الأشجعي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم جفاء أهله وولده فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"[٣٠٦٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية، إلا آخرها: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ}[التغابن : ١٤]، إلى آخر السورة"[٣٠٦٣].

قال القرطبي:" سورة التغابن مدنية في قول الأكثرين"[٣٠٦٤].

قال ابن عاشور:" هي مدنية في قول الجمهور"[٣٠٦٥].

(٣٠٥٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

(٣٠٥١) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٣٠٥٢) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٠٥٣)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٥٤)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٥٥)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٥٦)انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٥٧) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٥٨) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤، وتفسير القرطبي: ١٣١/٨.

(٣٠٥٩) انظر: زاد المسير: ٢٩١/٤.

(٣٠٦٠) الدر المنثور: ١٨١/٨.

(٣٠٦١) انظر: الدر المنثور: ١٨١/٨، وعزاه إلى النحاس.

(٣٠٦٢) الدر المنثور: ١٨١/٨.

(٣٠٦٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١.

(٣٠٦٤) تفسير القرطبي: ١٣١/١٨.

(٣٠٦٥) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨.

القرآن

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [التغابن : ١]

التفسير:

ينزِّه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض، له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل، وهو على كل شيء قدير.

قوله تعالى:{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [التغابن : ١]، أي:" ينزِّه الله عما لا يليق به كل ما في السموات وما في الأرض"(٣٠٦٦).

عن الضحاك:{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} " أنه الصلاة ، سميت تسبيحا لما تتضمنه من التسبيح"(٣٠٦٧).

عن أبي الأسود الدُّؤلي، قال:" قال رأس الجالوت: إنما التوراة ككتابكم مِن الحلال والحرام، إلا أنّ كلامكم في كتابكم جامع: {يُسَبِّحُ لِلَّهِ ما في السَّماواتِ وما في الأَرْض}. وفي التوراة: يُسبّح لله الطير والسّباع"(٣٠٦٨).

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"(٣٠٦٩).

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"(٣٠٧٠).

قوله تعالى:{لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} [التغابن : ١]، أي:" له سبحانه التصرف المطلق في كل شيء، وله الثناء الحسن الجميل"(٣٠٧١).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٣٠٧٢).

قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"(٣٠٧٣).

قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"(٣٠٧٤).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التغابن : ١]، أي:" وهو- سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه أمر أراده"(٣٠٧٥).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٣٠٧٦).

عن عطاء بن أبي رباح، في قوله تعالى: {وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى}:" كلمة التقوى: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير"(٣٠٧٧).

(٣٠٦٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٦٧) النكت والعيون: ٤٦٨/٥.

(٣٠٦٨)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٠/ ١٧١. وعزاه السيوطي إلى أبي الشيخ في العظمة.

(٣٠٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٣٠٧٠)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.

(٣٠٧١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٣٠٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.

(٣٠٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.

(٣٠٧٥) التفسير الوسيط للطنطاوي: ٣٥٤/٤.

(٣٠٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

(٣٠٧٧)أخرجه الطبري٢٥٦/٢٢، وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤٤٢، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٦/ ٢٨٩.

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢)} [التغابن : ٢]

التفسير:

الله هو الذي أوجدكم من العدم، فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدِّق به عامل بشرعه، وهو سبحانه بصير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم بها.

قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن : ٢]، أي:" :" الله هو الذي أوجدكم من العدم، فبعضكم جاحد لألوهيته، وبعضكم مصدِّق به عامل بشرعه"(٣٠٧٨).

قال عطية: "يريد فمنكم مصدق ومنكم جاحد"(٣٠٧٩).

قال الضحاك: "فمنكم كافر في السر، مؤمن في العلانية كالمنافق، ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمّار وذويه -رضي الله عنه"(٣٠٨٠).

قال عطاء بن أبي رباح: "فمنكم كافر بالله مؤمن بالكوكب، ومنكم من يؤمن بالله كافر بالكوكب، يعني: في شأن الأنواء"(٣٠٨١).

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: "كان عبد الله بن مسعود يخطبنا بالكوفة، فيقول: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه، فقال حذيفة بن أسيد، رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: عجبا من أمر هذا، يقول: السعيد من سعد في بطن أمه، والشقي من شقي في بطن أمه فقال عبد الله: يا حذيفة، وما يعجبك من هذا؟ ثم قال: ألا أحدثك بالشفاء من ذاك؟ ثم رفع الحديث، فقال: «إن ملكا موكلا بالرحم، إذا أراد الله عز وجل أن يخلق شيئا بإذن الله، فيقول: يا رب أجله، فيقضي ربك ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقه، فيقضي ربك ويكتب الملك، ثم يقول: شقي أم سعيد؟ فيقضي ربك ويكتب الملك، فيكون كذلك، ما زاد وما نقص»"(٣٠٨٢).

عن مالك بن أنس -من طريق عبد العزيز بن عبد الله الأويسي- قال:" ما أضلَّ مَن كذّب بالقَدَر! لو لم يكن عليهم حُجّةٌ إلا قوله تعالى: {خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن} لكفى بها حُجّة"(٣٠٨٣).

عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ الغلام الذي قتله الخضِر - عليه السلام - طُبِع كافرًا»(٣٠٨٤).

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «العبد يُولد مؤمنًا، ويعيش مؤمنًا، ويموت مؤمنًا، والعبد يولد كافرًا، ويعيش كافرًا، ويموت كافرًا، وإنّ العبد يَعمَل بُرْهةً من دهره

(٣٠٧٨) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٧٩)التفسير الكبير" ٣٠/ ٢١، ونسبه لعطية، وهو مروي –من طريق العوفي-عن ابن عباس في "التفسير البسيط: ٤٨٣/٢١".

(٣٠٨٠) تفسير الثعلبي: ٤٩٤/٢٦. [ط. دار التفسير]. ذكره القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٨/ ١٣٣، والشوكاني في "فتح القدير" ٥/ ٢٣٥.

وعمار هو ابن ياسر، وكان الكفار يعذبونه ومن فعل فعله، ولا يرفعون عنهم العذاب حتى يسبوا النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويسبوا دينه، فكان يذهب عمار إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- يبكي فيخبره الخبر فيقول له -صلى الله عليه وسلم-: "إن عادوا فعد". أي إن عادوا إلى إيذائك، فعد إلى سبي ليرفع عنك العذاب.

وأصل هذا الخبر أخرجه ابن سعد في "الطبقات الكبرى" ٣/ ٢٤٩، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" ١/ ١٤٠، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٤٩٠ من طريق أبي عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه فذكره. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣٠٨١) تفسير الثعلبي: ٤٩٤/٢٦. [ط. دار التفسير].

(٣٠٨٢) المعجم الاوسط(٢٦٣١):ص١٠٧/٣.

(٣٠٨٣)أخرجه الفريابي في القدر ص ٢١٨، والآجري في الشريعة ٢/ ٧٢٤، والبيهقي في القضاء والقدر ٣/ ٨٢٢.

(٣٠٨٤)أخرجه مسلم ٤/ ١٨٥٠ - ١٨٥١ (١٧٢/ ٢٣٨٠)، ٤/ ٢٠٥٠ (٢٦٦١)، وابن جرير ١٥/ ٣٥٧، والثعلبي ٦/ ١٨٤.

بالسّعادة، ثم يُدركه ما كُتب له فيموت شقيًّا، وإنّ العبد يَعمَل بُرْهةً من دهره بالشّقاء، ثم يُدركه ما كُتب له فيموت سعيدًا»[٣٠٨٥].

القرآن

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣)} [التغابن : ٣]

التفسير:

خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة، وخلقكم في أحسن صورة، إليه المرجع يوم القيامة، فيجازي كلا بعمله.

قوله تعالى:{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ} [التغابن : ٣]، أي:" خلق الله السموات والأرض بالحكمة البالغة"[٣٠٨٦].

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"[٣٠٨٧].

قوله تعالى:{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [التغابن : ٣]، أي:" وخلقكم في أحسن صورة"[٣٠٨٨].

قال السدي:" إذا وقعت النطفة في الرحم (طارت في الجسد أربعون يوما) «١» ثم تكون علقة أربعين يوما، ثم تكون مضغة أربعون يوما، فإذا بلغ أن يخلق، بعث الله ملكا يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط في المضخة، ثم يعجنه بها، ثم يصورها كما يؤمر فيقول: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ وما رزقه؟ وما عمره؟ وما أثره؟ وما مصائبه؟ فيقول الله تعالى، ويكتب الملك، فإذا مات ذلك الجسد، دفن حيث أخذ ذلك التراب"[٣٠٨٩].

عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الرب فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو قاض فيقول أشقي أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق» وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: {وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير}"[٣٠٩٠].

وقرأ أبو رَزِينٍ: «فَأَحْسَنَ صِوَرَكُمْ»[٣٠٩١] [٣٠٩٢].

القرآن

(٣٠٨٥)أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ٢٣٥ - ٢٣٦ (٨٥٠١)، وفي الكبير ١٠/ ٢٢٣ (١٠٥٤٢)، وابن حيان في جزئه ص ٢٣٩ (١٢٥).

قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمر بن إبراهيم، تفرّد به، شاذ». وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ٢١٣ (١١٩٢٢): «رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار، وفيه عمر بن إبراهيم العبدي، وقد وثّقه غير واحد، وقال ابن عدي: حديثه عن قتادة مضطرب. قلتُ: وهذا منها». وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة ص ١٨١ (١٢٦): «هذا حديث حسن غريب».

(٣٠٨٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٨/٢٧١٣-٢٧١٤.

(٣٠٨٨) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٥٦):ص٢/٥٩٠، في تفسير قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ} [آل عمران : ٦].

(٣٠٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٠٢):ص١٠/٣٥٥٨.

(٣٠٩١) كتاب فيه لغات القرآن للفراء: ١٢٧.

(٣٠٩٢)قال الأخفش:" بعض العرب يقول: «صُوَر»، و«صِوَر». والجيدة: «صُوَر»". [معاني القرآن: ٢/٥٢٦].

{يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)} [التغابن : ٤]

التفسير:

يعلم سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض، ويعلم ما تخفونه -أيها الناس- فيما بينكم وما تظهرونه. والله عليم بما تضمره الصدور وما تخفيه النفوس.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [التغابن : ٤]، أي:" والله عليم بما تضمره الصدور وما تخفيه النفوس"(٣٠٩٣).

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: {والله عليم بذات الصدور}، أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مِمّا اسْتَخْفَوْا به منكم"(٣٠٩٤).

عن الحسن: "{إنه عليم بذات الصدور}: يعلم تلك الساعة"(٣٠٩٥).

القرآن

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥)} [التغابن : ٥]

التفسير:

ألم يأتكم -أيها المشركون- خبر الذين كفروا من الأمم الماضية قبلكم، إذ حلَّ بهم سوء عاقبة كفرهم وسوء أفعالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع؟

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [التغابن : ٥]، أي:" ولهم في الآخرة عذاب أليم موجع"(٣٠٩٦).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(٣٠٩٧)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(٣٠٩٨).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)} [التغابن : ٦]

التفسير:

ذلك الذي أصابهم في الدنيا، وما يصيبهم في الآخرة؛ بسبب أنهم كانت تأتيهم رسل الله بالآيات البينات والمعجزات الواضحات، فقالوا منكرين: أبشر مثلنا يرشدوننا؟ فكفروا بالله وجحدوا رسالة رسله، وأعرضوا عن الحق فلم يقبلوه. واستغنى الله، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئًا.

قوله تعالى:{وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [التغابن : ٦]، أي:" واستغنى الله عن طاعتهم وعبادتهم، والله غني، له الغنى التام المطلق، حميد في أقواله وأفعاله وصفاته لا يبالي بهم، ولا يضره ضلالهم شيئًا"(٣٠٩٩).

عن الحسن، قوله:{ حَمِيدٌ}، قال: "يستحمد إلى خلقه، أي: يعطيهم نعما يستدعي بها حمدهم"(٣١٠٠).

(٣٠٩٣) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٩٤) أخرجه الطبري(٨٠٩٦):ص٧/٣٢٥-٣٢٦، و ابن المنذر(١٠٩٢):ص٢/٤٥٨، وابن أبي حاتم(٤٣٧٨):ص٣/٧٩٦.

(٣٠٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٧٤):ص٦/٢٠٠١.

(٣٠٩٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣٠٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٣/٨٢٣.

(٣٠٩٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٣/٨٢٣.

(٣٠٩٩) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١٠٠) البحر المحيط في التفسير: ٢/٦٨١.

عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله»[٣١٠١].

القرآن

{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧)} [التغابن : ٧]

التفسير:

ادَّعى الذين كفروا بالله باطلا أنهم لن يُخْرَجوا من قبورهم بعد الموت، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربي لتُخْرَجُنَّ من قبوركم أحياء، ثم لتُخْبَرُنَّ بالذي عملتم في الدنيا، وذلك على الله يسير هيِّن.

قوله تعالى:{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} [التغابن : ٧]، أي:" ادَّعى الذين كفروا بالله باطلا أنهم لن يُخْرَجوا من قبورهم بعد الموت"[٣١٠٢].

قال شريح: "لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا"[٣١٠٣].

قال شريح:" (زَعَموا) زامِلةُ[٣١٠٤] الكذب، فلا تكونن للكذب زامِلةً"[٣١٠٥].

قال ابن الجوزي:" وكان مجاهد يكره أن يقول الرجل: زعم فلان"[٣١٠٦].

عن مجاهد:" أنه كره (زَعَموا)؛ لقول الله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا}"[٣١٠٧].

عن أبي مسعود أنه قيل له: "ما سمعتَ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يقول في (زَعَموا)؟ قال: سمعتُه يقول: «بِئس مَطيّة الرجل»"[٣١٠٨].

قوله تعالى:{قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن : ٧]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربي لتُخْرَجُنَّ من قبوركم أحياء، ثم لتُخْبَرُنَّ بالذي عملتم في الدنيا، وذلك على الله يسير هيِّن"[٣١٠٩].

عن السدي:{ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}،" يعني: هين عليه وليس بشديد عليه"[٣١١٠].

القرآن

{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨)} [التغابن : ٨]

التفسير:

فآمنوا بالله ورسوله -أيها المشركون- واهتدوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله، والله بما تفعلون خبير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة.

(٣١٠١) صحيح البخاري(٥٢٢٠):ص٣٥/٧.

(٣١٠٢) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١٠٣) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٣٥/١٨.

(٣١٠٤)الزّامِلةُ: البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمتاع، كأنها فاعلة من الزَّمْل: الحمل. النهاية (زمل).

(٣١٠٥)أخرجه ابن أبي شيبة: ٨/ ٤٤٩.

(٣١٠٦) زاد المسير: ٢٩٢/٤.

(٣١٠٧)أخرجه ابن أبي شيبة ٨/ ٤٤٩. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣١٠٨)أخرجه أحمد ٢٨/ ٣٠٧ (١٧٠٧٥)، ٣٨/ ٤٠٩ (٢٣٤٠٣)، وأبو داود ٧/ ٣٢٨ (٤٩٧٢).

قال النووي في الأذكار ص ٦٠٠ (١٩٢٦): «إسناد صحيح». وقال ابن حجر في الفتح ١٠/ ٥٥١: «أخرجه أحمد وأبو داود، ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعًا، وكأنّ البخاري أشار إلى ضعف هذا الحديث بإخراجه حديث أم هانئ». وقال الحوت الشافعي في أسنى المطالب ص ١٠٦ (٤٦٠): «فيه انقطاع وإرسال». وأورده الألباني في الصحيحة ٢/ ٥٢٣.

(٣١٠٩) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١١٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٨١/٢.

قوله تعالى:{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا} [التغابن : ٨]، أي:" فآمنوا بالله ورسوله -أيها المشركون- واهتدوا بالقرآن الذي أنزله على رسوله"(٣١١١).

عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"(٣١١٢).

عن قتادة، في قوله:" {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء : ١٧٤]: وهو هذا القرآن"(٣١١٣).

عن مجاهد:" {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء : ١٧٤] بينا؛ يعني: القرآن"(٣١١٤). وروي عن الحسن مثله(٣١١٥).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [التغابن : ٨]، أي:" والله بما تفعلون خبير لا يخفى عليه شيء من أعمالكم وأقوالكم، وهو مجازيكم عليها يوم القيامة"(٣١١٦).

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"(٣١١٧).

القرآن

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)} [التغابن : ٩]

التفسير:

اذكروا يوم الحشر الذي يحشر الله فيه الأولين والآخرين، ذلك اليوم الذي يظهر فيه الغُبْن والتفاوت بين الخلق، فيغبن المؤمنون الكفار والفاسقين: فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله، وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله. ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، خالدين فيها أبدًا، ذلك الخلود في الجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ} [التغابن : ٩]، أي:" اذكروا يوم الحشر الذي يحشر الله فيه الأولين والآخرين"(٣١١٨).

قال قتادة:" هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غَبن أهل الجنة أهلَ النار"(٣١١٩).

وقرأ رويس عن يعقوب «يوم نجمعكم»، بالنون اعتبارا بقوله: {أَنْزَلْنَا} [التغابن : ٨](٣١٢٠).

قوله تعالى:{ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} [التغابن : ٩]، أي:" ذلك اليوم الذي يظهر فيه الغُبْن والتفاوت بين الخلق، فيغبن المؤمنون الكفار والفاسقين: فأهل الإيمان يدخلون الجنة برحمة الله، وأهل الكفر يدخلون النار بعدل الله"(٣١٢١).

عن مجاهد: "{ذلك يوم التَّغابُن}، قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنة، وأهلُ النارِ النارَ"(٣١٢٢).

قال مجاهد:" هو غبن أهلَ الجنة أهل النار"(٣١٢٣).

(٣١١١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(٣١١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٣٢٦):١١٢٥/٤.

(٣١١٤) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٢٦/١.

(٣١١٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٢٠٩/٧.

(٣١١٦) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١١٧) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

(٣١١٨) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١١٩) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢٣.

(٣١٢٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/٩.

(٣١٢١) التفسير الميسر: ٥٥٦.

(٣١٢٢)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢٢٧. وفي الطبري عنه: غبن أهل الجنة أهلَ النار. وفي الدّر: غابن أهل الجنة أهل النار. وعزاه السيوطي للفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣١٢٣) أخرجه الطبري: ٤١٩/٢٣-٤٢٠.

قال قتادة:" هو يوم القيامة، وهو يوم التغابن: يوم غَبن أهل الجنة أهلَ النار"[٣١٢٤].
قال عطاء الخراساني:" يوم يغبن الرجل نفسه وأهله ويحسرهم"[٣١٢٥].
قال محمد بن كعب:" يوم القيامة؛ يَغبن أهلُ الجنة أهلَ النار[٣١٢٦].
عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لا يدخل أحد النار إلا أري مقعده من الجنة، لو أحسن ليكون عليه حسرة، ولا يدخل الجنة أحد إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا "[٣١٢٧].
قوله تعالى:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} [التغابن : ٩]، أي:" ومن يؤمن بالله ويعمل بطاعته، يمح عنه ذنوبه"[٣١٢٨].
عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمِنُوا بِاللَّهِ}، يعني: بتوحيد الله"[٣١٢٩].
عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"[٣١٣٠].
قوله تعالى:{وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التغابن : ٩]، أي:" ويدخله جنات تجري من تحت قصورها الأنهار"[٣١٣١].
عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٣١٣٢].
قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٣١٣٣].
عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٣١٣٤].
قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٣١٣٥].
قرأ أهل المدينة والشام –هاهنا- وفي السورة التي تليها: «نكَفِّرْ» و«ندْخِلْهُ » بالنون، والباقون بالياء[٣١٣٦].
قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [التغابن : ٩]، أي:" مقيمين في تلك الجنات أبد الحياة، لا يموتون لا يُخرجون منها"[٣١٣٧].
عن سعيد بن جبير، {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني:" لا يموتون"[٣١٣٨].

(٣١٢٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٢٠.
(٣١٢٥)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء): (٣٦٥):ص١٢٠. وآخره كذا جاء في مطبوعة المصدر، ولعل الصواب: "ويخسرهم".
(٣١٢٦)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ١٠٣ (٢٢٣٠).
(٣١٢٧) المسند(١٠٩٨٠):ص٥٧٨/١٦، وصحيح البخاري(٦٥٦٩):ص١١٧/٨. قال مصطفى البغا:" «ليزداد شكرا» اعترافا بفضل الله تعالى وفرحا ورضا بما أولاه من نعمة. «حسرة» زيادة في تعذيبه".
(٣١٢٨) التفسير الميسر: ٥٥٦.
(٣١٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(٣١٣٠)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٣١٣١) التفسير الميسر: ٥٥٦.
(٣١٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٣١٣٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٣١٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٣١٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٣١٣٦) انظر: الكشف والبيان:٣٢٨/٩.
(٣١٣٧) صفوة التفاسير: ٣٧٠/٣.
(٣١٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٥٠٥):ص٩٨٤/٣.

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التغابن : ٩]، أي:" ذلك الخلود في الجنات هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده"[٣١٣٩].

قال سعيد بن جبير:" يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[٣١٤٠].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠)} [التغابن : ١٠]

التفسير:

والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا بدلائل ربوبيته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله، أولئك أهل النار ماكثين فيها أبدًا، وساء المرجع الذي صاروا إليه، وهو جهنم.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [التغابن : ١٠]، أي:" والذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وكذَّبوا بدلائل ربوبيته وبراهين ألوهيته التي أرسل بها رسله"[٣١٤١].

عن قتادة قوله: "{وَالَّذِينَ كَفَرُوا}، قال: المشركون من قريش"[٣١٤٢].

عن سعيد بن جبير، قوله: {بِآيَاتِنَا} يعني: القرآن"[٣١٤٣].

عن السدي: "أما آيات الله، فمحمد صلى الله عليه وسلم"[٣١٤٤].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا} [التغابن : ١٠]، أي:" أولئك أهل النار ماكثين فيها أبدًا"[٣١٤٥].

عن أبي مالك في قوله: {أَصْحَابُ النَّارِ}، يعذبون فيها"[٣١٤٦].

عن أنس، يرفعه قال: "المخلدون في النار في توابيت من حديد مطبقة"[٣١٤٧].

القرآن

{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١)} [التغابن : ١١]

التفسير:

ما أصاب أحدًا شيءٌ من مكروه يَحُلُّ به إلا بإذن الله وقضائه وقدره. ومَن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهده لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال؛ لأن أصل الهداية للقلب، والجوارح تبع. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

قوله تعالى:{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، أي:" ما أصاب أحدًا شيءٌ من مكروه يَحُلُّ به إلا بإذن الله وقضائه وقدره، ومَن يؤمن بالله يهد قلبه للتسليم بأمره والرضا بقضائه، ويهده لأحسن الأقوال والأفعال والأحوال"[٣١٤٨].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني : يسترجع، يقول :{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة : ١٥٦]. قاله سعيد بن جبير[٣١٤٩].

(٣١٣٩) التفسير الميسر: ٥٥٦.
(٣١٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٠٧١)ص١٢٥٧/٤.
(٣١٤١) التفسير الميسر: ٥٥٦.
(٣١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٧):ص٩٤/١.
(٣١٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٩):ص٩٤/١.
(٣١٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٢٨):ص٩٤/١.
(٣١٤٥) التفسير الميسر: ٥٥٦.
(٣١٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٣٠):ص٩٤/١.
(٣١٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٣٢):ص٩٤/١.
(٣١٤٨) التفسير الميسر: ٥٥٧.

وفي الحديث المتفق عليه : "عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سَرَّاء شكر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"[٣١٥٠].

عبادة بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أي العمل أفضل ؟ قال : "إيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله". قال : أريد أهونَ من هذا يا رسول الله. قال : "لا تتهم الله في شيء، قضى لك به"[٣١٥١].

الثاني : هو إذا ابتلي صبر ، وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظُلم غفر ، قاله مجاهد[٣١٥٢].

الثالث: أنه يعلم أنه من عند اللَّه ويرضى ويسلّم ، قاله علقمة بن قيس[٣١٥٣]، وسعيد بن جبير[٣١٥٤].

قال علقمة بن قيس:" هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ذلك ويرضى"[٣١٥٥].

وقرأ عكرمة: «يَهْد قَلْبهُ»، بفتح الدال ورفع قلبه على أن الأصل فيه يهدى قلبه، من الهدوء أي: يسكن ويطمئن، فأبدل من الهمزة ألفا ثمّ حذفها للجزم[٣١٥٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن : ١١]، أي:" والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من ذلك"[٣١٥٧].

قال سعيد بن جبير:" {عليم} يعني: عالما بها"[٣١٥٨].

عن محمد بن إسحاق:{عَلِيمٌ}:" عليم بما يخفون"[٣١٥٩].

القرآن

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)} [التغابن : ١٢]

التفسير:

وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما بلَّغكم به عن ربه، فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغًا واضح البيان.

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [التغابن : ١٢]، أي:" وأطيعوا الله -أيها الناس- وانقادوا إليه فيما أمر به ونهى عنه، وأطيعوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما بلَّغكم به عن ربه"[٣١٦٠].

قال عطاء بن ابي رباح:" طاعة الله: إتباع كتابه، وطاعة الرسول: اتباع سنته[٣١٦١].

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن : ١٢]، أي:" فإن أعرضتم عن طاعة الله ورسوله، فليس على رسولنا ضرر في إعراضكم، وإنما عليه أن يبلغكم ما أرسل به بلاغًا واضح البيان"[٣١٦٢].

(٣١٤٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٣٨/٨.

(٣١٥٠)رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي، رضي الله عنه.

(٣١٥١)) المسند (٣١٨/٥).

(٣١٥٢) حكاه عنه النسفي في"التفسير": ٤٩٣/٣.

(٣١٥٣) انظر: تفسير عبدالرزاق (٣٢٢٧):ص٣١٤/٣.

(٣١٥٤) انظر: تفسير السمعاني: ٤٥٢/٥.

(٣١٥٥) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢٣، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٢٢٧):ص٣١٤/٣.

(٣١٥٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٩٣/٤، والكشف والبيان: ٣٢٩/٩، والبحر المحيط: ٢٧٥/٨.

(٣١٥٧) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣١٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٨):ص٨٩٠/٣.

(٣١٥٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(٣١٦٠) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣١٦١) تفسير القرآن من الجامع لان وهب(١٢):ص١٢/٩.

(٣١٦٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.

قال الزهري : "من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم"[٣١٦٣].

القرآن

{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٣)} [التغابن : ١٣]

التفسير:

الله وحده لا معبود بحق سواه، وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم.

قوله تعالى:{اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [التغابن : ١٣]، أي:" الله وحده لا معبود بحق سواه"[٣١٦٤].

عن محمد بن إسحاق :"{لا إله إلا هو}، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"[٣١٦٥].

عن كعب، قال: "{لا إله إلا الله}: كلمة الإخلاص"[٣١٦٦].

قوله تعالى:{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التغابن : ١٣]، أي:" وعلى الله فليعتمد المؤمنون بوحدانيته في كل أمورهم"[٣١٦٧].

قال ابن إسحاق: "{وَعَلَى اللَّهِ}، أي: لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٣١٦٨].

قال محمد بن إسحاق: يقول الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، أي: من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن، فليتوكل علي أعنه على أمره وأدفع عنه، حتى أبلغ به وأقويه على نيته"[٣١٦٩].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)} [التغابن : ١٤]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إنَّ مِن أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم، وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتستروها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" هؤلاء رجال أسلموا، فأرادوا أن يأتوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؛ فلما أتَوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فرأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله جلّ ثناؤه: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ} .. الآية"[٣١٧٠].

قال إسماعيل بن أبي خالد: "كان الرجل يسلم، فيلومه أهله وبنوه، فنزلت: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}"[٣١٧١].

عن عطاء بن يسار، قال: "نزلت سورة التغابن كلها بمكة، إلا هؤلاء الآيات: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، نزلت في عوف بن مالك الأشجعيّ، كان ذا أهل وولد، فكان إذا

(٣١٦٣)رواه البخاري في صحيحه معلقًا (٥٠٣/١٣) "فتح".

(٣١٦٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣١٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٤):ص٢٠١٠/٦.

(٣١٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٤):ص١٥٨٦/٥.

(٣١٦٧) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣١٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٢٧):ص٨٠٣/٣.

(٣١٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٠٧٩):ص٧٥٠/٣.

(٣١٧٠) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.

(٣١٧١) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.

أراد الغزو بكوا إليه ورقّقوه، فقالوا: إلى من تَدعنا؟ فيرقّ ويقيم، فنزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ}، الآية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية الآيات إلى آخر السورة بالمدينة"(٣١٧٢).

قال مقاتل:" نزلت في الأشجع، {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ}، يعني: إذا أمروكم بالإثم، وذلك أن الرجل كان إذا أراد الهجرة قال له أهله، وولده ننشدك الله أن تذهب وتدع أهلك وولدك ومالك، نضيع بعدك، ونصير عيالا بالمدينة لا معاش لنا فيثبطونه، فمنهم من يقيم، ومنهم من يهاجر ولا يطيع أهله، فيقول: تثبطونا عن الهجرة، لئن جمعنا الله وإياكم لنعاقبنكم، ولا نصلكم، ولا تصيبون منا خيرا، يقول الله: فاحذروهم أن تطيعوهم في ترك الهجرة"(٣١٧٣).

قوله تعالى:{ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، أي:" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله، إنَّ مِن أزواجكم وأولادكم أعداء لكم يصدونكم عن سبيل الله، ويثبطونكم عن طاعته، فكونوا منهم على حذر، ولا تطيعوهم"(٣١٧٤).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن : ١٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه أراد قوماً أسلموا بمكة فأرادوا الهجرة فمنعهم أزواجهم وأولادهم منها وثبطوهم عنها ، فنزل ذلك فيهم ؛ قاله عكرمة(٣١٧٥).

قال عكرمة:" كان الرجل يريد أن يأتي النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فيقول له أهله: أين تذهب وتدعنا؟ قال: وإذا أسلم وفَقِه، قال: لأرجعنّ إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر فلأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزل الله جلّ ثناؤه: {وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"(٣١٧٦).

قال الضحاك:" هذا في أناس من قبائل العرب كان يسلم الرجل أو النفر من الحيّ، فيخرجون من عشائرهم ويدعون أزواجهم وأولادهم وآباءهم عامدين إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فتقوم عشائرهم وأزواجهم وأولادهم وآباؤهم، فيناشدونهم الله أن لا يفارقوهم، ولا يؤثروا عليهم غيرهم، فمنهم من يَرقّ ويرجع إليهم، ومنهم من يمضي حتى يلحق بنبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٣١٧٧).

وقال قتادة:" ينهون عن الإسلام، ويُبَطِّئُون عنه، وهم من الكفار فاحذروهم"(٣١٧٨).

الثاني : من أزواجكم وأولادكم من لا يأمر بطاعة اللَّه ولا ينهى عن معصيته، قاله قتادة(٣١٧٩).

قال قتادة:" منهم من لا يأمر بطاعة الله، ولا ينهى عن معصيته، وكانوا يبطِّئون عن الهجرة إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وعن الجهاد"(٣١٨٠).

الثالث : أن منهم من يأمر بقطيعة الرحم ومعصية الرب ، ولا يستطيع مع حبه ألاّ يطيعه ، وهذا من العداوة ؛ قاله مجاهد(٣١٨١).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن : ١٤]، أي:" وإن تتجاوزوا عن سيئاتهم وتعرضوا عنها، وتستروها عليهم، فإن الله غفور رحيم، يغفر لكم ذنوبكم؛ لأنه سبحانه عظيم الغفران واسع الرحمة"(٣١٨٢).

(٣١٧٢) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.
(٣١٧٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٥٣/٤.
(٣١٧٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣١٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٣/٢٣.
(٣١٧٦) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢٣.
(٣١٧٧) أخرجه الطبري: ٤٢٥/٢٣.
(٣١٧٨) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.
(٣١٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٣.
(٣١٨٠) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢٣.
(٣١٨١) انظر تفسير الطبري: ٤٢٤/٢٣.

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"[٣١٨٣].
قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٣١٨٤].

القرآن
{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥)} [التغابن : ١٥]
التفسير:
ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم. والله عنده ثواب عظيم لمن آثر طاعته على طاعة غيره، وأدَّى حق الله في ماله.
قوله تعالى:{إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [التغابن : ١٥]، أي:" ما أموالكم ولا أولادكم إلا بلاء واختبار لكم"[٣١٨٥].
قال قتادة:" يقول: بلاء"[٣١٨٦].
وروى على بن معبد في «الطاعة والمعصية» عن إسحاق بن أبى يحيى عن عبد الملك عن بكير، قال: «ينادى مناد يوم القيامة: أين الذين أكلت عيالهم حسناتهم قوموا فان قبلكم الانبعاث»[٣١٨٧].
قال عبد الله: "ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، إن الله يقول: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} [سورة الأنفال: ٢٨]، فليستعذ بالله من مُضِلات الفتن"[٣١٨٨].
عن أبي الضُّحى، قال:" قال رجل وهو عند عمر: اللهم، إني أعوذ بك من الفتنة -أو الفتن-. فقال عمر: أتُحبّ أن لا يرزقك الله مالًا ولا ولدًا؟! أيُّكم استعاذ مِن الفِتَن فليَستعِذ من مُضلّاتها"[٣١٨٩].
عن محمد بن سيرين، قال: قال ابن عمر لرجل: إنك تُحبّ الفتنة. قال: أنا؟ قال: نعم. فلما رأى ابن عمر ما داخَل الرجل مِن ذاك قال: تُحبّ المال والولد"[٣١٩٠].
قالت الحكماء: "أدخل «من» التبعيض في ذكر الأزواج والأولاد حيث أخبر عن عداوتهم، لأنّ كلّهم ليسوا بأعداء ولم يذكر«من» في قوله: {إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ}، لأنّها لا تخلو عن الفتنة واشتغال القلب بها"[٣١٩١].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التغابن : ١٥]، أي:" والله عنده ثواب عظيم لمن آثر طاعته على طاعة غيره، وأدَّى حق الله في ماله"[٣١٩٢].
عن قتادة: "{وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، وهي الجنة"[٣١٩٣].
عن سعيد بن جبير في قول الله:{أَجْرٌ عَظِيمٌ}، يعني: جزاء وافرا"[٣١٩٤].

(٣١٨٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣١٨٣) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.
(٣١٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٣١٨٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣١٨٦) أخرجه الطبري: ٤٢٦/٢٣.
(٣١٨٧) نقلا عن: تخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى: ٤٢/٤.
(٣١٨٨) أخرجه الطبري: (١٥٩١٢):ص٤٧٥/١٣.
(٣١٨٩)أخرجه ابن أبي شيبة ١٥/ ٤٣.
(٣١٩٠) الدر المنثور: ١٨٤/٨، وعزاه إلى وكيع في الغرر.
(٣١٩١) الكشف والبيان: ٣٣٠/٩.
(٣١٩٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣١٩٣) أخرجه الطبري: ٤٢٦/٢٣.
(٣١٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٨٧):ص١٦٨٥/٥.

القرآن

{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)} [التغابن : ١٦]

التفسير:

فابذلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم، واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبُّر وتفكر، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيرًا لكم. ومن سَلِم من البخل ومَنْع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن : ١٦]، أي:" فابذلوا -أيها المؤمنون- في تقوى الله جهدكم وطاقتكم"(٣١٩٥).

قال الربيع: "اتقوا الله جهدكم"(٣١٩٦).

عن عُمارة المِعْوَلي، قال: "قلت للحسن [البصري]: قوله - عز وجل -: {فاتقوا الله ما استطعتم}؟ قال: تأتي أجْهَد جهدك"(٣١٩٧).

عن سعيد بن جبير في قوله :"{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} قال : لما نزلت الآية اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفًا على المسلمين :{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} فنسخت الآية الأولى"(٣١٩٨).

عن قتادة، في قوله: "{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}، قال: نسختها: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}"(٣١٩٩).

عن قتادة، قوله: "{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا}، هذه رخصة من الله، والله رحيم بعباده، وكان الله جلّ ثناؤه أنزل قبل ذلك: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}، وحقّ تقاته أن يُطاع فلا يعصى، ثم خفَّف الله تعالى ذكره عن عباده، فأنزل الرخصة بعد ذلك فقال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا}، فيما استطعت يا ابن آدم، عليها بايع رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على السمع والطاعة فيما استطعتم"(٣٢٠٠).

قوله تعالى:{وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ} [التغابن : ١٦]، أي:" واسمعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم سماع تدبُّر وتفكر، وأطيعوا أوامره واجتنبوا نواهيه، وأنفقوا مما رزقكم الله يكن خيرًا لكم"(٣٢٠١).

قال الحسن البصري: "{وأنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ} إنها النفقة في سبيل الله"(٣٢٠٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [التغابن : ١٦]، أي:" ومن سَلِم من البخل ومَنْع الفضل من المال، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب"(٣٢٠٣).

عن عطاء:"{ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ}، قال: في النفقة"(٣٢٠٤).

القرآن

{إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧)} [التغابن : ١٧]

(٣١٩٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣١٩٦) نقلا عن: التفسير الوسيط للواحدي: ٣٠٩/٤.

(٣١٩٧)أخرجه أبو إسحاق المالكي في أحكام القرآن ص ٢٢٧.

(٣١٩٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١٤٠/٨.

(٣١٩٩) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(٣٢٠٠) أخرجه الطبري: ٤٢٧/٢٣.

(٣٢٠١) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣٢٠٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٤٠٠ -.

(٣٢٠٣) التفسير الميسر: ٥٥٧.

(٣٢٠٤) الدر المنثور: ١٨٥/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

التفسير:
إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم، ويغفر لكم ذنوبكم. والله شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حليم لا يعجل بالعقوبة على مَن عصاه.

قوله تعالى:{إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ} [التغابن : ١٧]، أي:" إن تنفقوا أموالكم في سبيل الله بإخلاص وطيب نفس، يضاعف الله ثواب ما أنفقتم"(٣٢٠٥).

قال الحسن البصري: "كلّ ما في القرآن مِن القرْض الحسن فهو التطُّوع"(٣٢٠٦).

قوله تعالى:{وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [التغابن : ١٧]، أي:" ويغفر لكم ذنوبكم"(٣٢٠٧).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٣٢٠٨).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن : ١٧]، أي:" والله شكور لأهل الإنفاق بحسن الجزاء على ما أنفقوا، حليم لا يعجل بالعقوبة على مَن عصاه"(٣٢٠٩).

قال الحسن:" الحليم: الرحيم"(٣٢١٠).

عن قتادة :"{إنه كان حليما} عن خلقه، فلا يعجل كعجلة بعضهم على بعض"(٣٢١١).

القرآن

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)} [التغابن : ١٨]

التفسير:

وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر، العزيز الذي لا يغالَب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

قوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [التغابن : ١٨]، أي:" وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر"(٣٢١٢).

قال الحسن: "الشهادة: ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٣٢١٣).

قوله تعالى:{الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [التغابن : ١٨]، أي:" وهو سبحانه العالم بكل ما غاب وما حضر"(٣٢١٤).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٣٢١٥)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٣٢١٦).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(٣٢١٧). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٣٢١٨).

(٣٢٠٥) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣٢٠٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٣.
(٣٢٠٧) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣٢٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٣٢٠٩) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣٢١٠) أخرجه ابم ابي حاتم(١١٠٤٢):ص٢٠٥٨/٦.
(٣٢١١) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
(٣٢١٢) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.
(٣٢١٤) التفسير الميسر: ٥٥٧.
(٣٢١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٣٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٣٢١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٣٢١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٣٢١٩].

قال محمد بن جعفر بن الزبير" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"[٣٢٢٠].

«آخر تفسير سورة (التغابن)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٢١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص٦/١٧٦٤.

(٣٢٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص٦/١٧٦٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الطلاق»

«سورة الطلاق» هي السورة الخامسة والستون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الإنسان»، وآياتها خمس عشرة في عد البصرة، واثنتا عشرة عند الباقين. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. والمختلف فيها ثلاث آيات: {مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، و {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق : ٢]، {يَا أُولِي الْأَلْبَاب} [الطلاق : ١٠]، فواصل آياتها على «الألف»[٣٢٢١].

- **مكان نزول السورة:**

نزلت «سورة الطلاق» على النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة إلى المدينة المنورة فهي من السور المدنية.

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الطلاق بالمدينة"[٣٢٢٢].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٣٢٢٣].

قال ابن عاشور:" هي مدنية بالاتفاق "[٣٢٢٤].

(٣٢٢١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٧/١، والتحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٨

(٣٢٢٢) انظر: الدر المنثور: ١٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٢٢٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

(٣٢٢٤) التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٨.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١)} [الطلاق : ١]

التفسير:

يا أيها النبي إذا أردتم -أنت والمؤمنون- أن تطلّقوا نساءكم فطلقوهن مستقبلات لعدتهن -أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حَمْل ظاهر- واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن، وخافوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنَّ فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والآيسة والحامل، ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى، وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك. لا تدري -أيها المطلّق-: لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمرًا لا تتوقعه فتراجعها.

سبب النزول:

قال السدي: "نزلت في عبد الله بن عمر، وذلك أنه طلق امرأته حائضا، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها، ويمسكها حتى تطهر، ثم تحيض حيضة أخرى، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها، فإنها العدة التي أمر الله بها"[٣٢٢٥].

عن أنس قال : "طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله، عز وجل :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} فقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة"[٣٢٢٦].

وذكره ابن جرير الطبري عن قتادة مرسلا[٣٢٢٧]، وقد ورد من غير وجه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها.

عن ابن شهاب، أخبرني سالم : "أن عبد الله بن عمر أخبره : أنه طلق امرأة له وهي حائض، فذكر عمرُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : "ليراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله، عز وجل"[٣٢٢٨].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} [الطلاق : ١]، أي:" يا أيها النبي إذا أردتم -أنت والمؤمنون- أن تطلّقوا نساءكم فطلقوهن مستقبلات لعدتهن -أي في طهر لم يقع فيه جماع، أو في حَمْل ظاهر-"[٣٢٢٩].

قال الضحاك:" العدّة: القرْء، والقرء: الحيض. والطاهر: الطاهر من غير جماع، ثم تستقبل ثلاث حيَض"[٣٢٣٠].

عن الضحاك، قوله: "{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، يقول: طلّقها طاهرًا من غير جماع"[٣٢٣١].

(٣٢٢٥) أسباب النزول للواحدي: ٤٥٦، بدون سند. والحديث أخرجه البخاري في الطلاق (٥٣٣٢) موصولا وتعليقا (٥٢٦٤)، وأخرجه مسلم في الطلاق (١ م/ ١٤٧١) ص ١٠٩٣، وأبو داود في الطلاق (٢١٨٠) من طريق الليث به، وأخرجه ابن ماجة في الطلاق (٢٠١٩) من طريق عبيد الله عن نافع به.

(٣٢٢٦) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير":١٣٢/٨.

(٣٢٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢٣، وانظر: أسباب النزول للوحدي: ٤٥٦.

(٣٢٢٨)صحيح البخاري برقم (٤٩٠٨)، ورواه مسلم برقم (١٤٧١)، ولفظه : "فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء"، وانظر: المسند (٢٦/٢، ٤٣، ٥١، ٥٤، ٥٨) وسنن أبي داود برقم (٢١٧٩) وسنن النسائي (١٣٨/٦) وسنن ابن ماجة برقم (٢٠٢٣).

(٣٢٢٩) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٢٣٠) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.

قال قتادة:" العدة: أن يطلقها طاهرًا من غير جماع تطليقة واحدة"[٣٢٣٢].
عن مجاهد: "{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، قال: لطهرهن"[٣٢٣٣].
عن مجاهد: "{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، قال: طاهرًا في غير جماع"[٣٢٣٤].
قال الحسن:" طاهرًا من غير حيض، أو حاملا قد استبان حملها"[٣٢٣٥].
قال ابن سيرين:" يطلقها وهي طاهر من غير جماع، أو حَبَل يستبين حملها"[٣٢٣٦].
قال السدي:" طاهرًا في غير جماع، فإن كانت لا تحيض، فعند غرّةٌ كل هلال"[٣٢٣٧].
عن مجاهد:" أن رجلا سأل ابن عباس فقال: إنه طلق امرأته مئة، فقال: عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، ولم تتق الله فيجعل لك مخرجًا، وقرأ هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، وقال: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ}"[٣٢٣٨].
عن الحسن وابن سيرين:" فيمن أراد أن يطلق ثلاث تطليقات جميعًا في كلمة واحدة، أنه لا بأس به بعد أن يطلقها في قبل عدتها، كما أمره الله؛ وكان يكرهان أن يطلق الرجل امرأته تطليقة، أو تطليقتين، أو ثلاثًا، إذا كان بغير العدّة التي ذكرها الله"[٣٢٣٩].
عن معمر، عن قتادة، في قوله: "{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، قال: إذا طهرت من الحيض في غير جماع، قلت: كيف؟ قال: إذا طهرت فطلقها من قبل أن تمسها، فإن بدا لك أن تطلقها أخرى تركتها حتى تحيض حيضة أخرى، ثم طلقها إذا طهرت الثانية، فإذا أردت طلاقها الثالثة أمهلتها حتى تحيض، فإذا طهرت طلقها الثالثة، ثم تعتدّ حيضة واحدة، ثم تَنكِح إن شاءت"[٣٢٤٠].
عن معمر، قال: "وقال ابن طاوس: إذا أردت الطلاق فطلقها حين تطهر، قبل أن تمسها تطليقة واحدة، لا ينبغي لك أن تزيد عليها، حتى تخلو ثلاثة قروء، فإن واحدة تبينها"[٣٢٤١].
عن سعيد بن عبد العزيز:" سُئل عن قول الله :{فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ}، قال: طلاق السنة أن يطلق الرجل امرأته وهي في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن شاء راجعها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، وإن أراد أن يطلقها ثلاثًا طلقها واحدة في قبل عدتها، وهي طاهر من غير جماع، ثم يدعها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم يدعها، حتى إذا حاضت وطهرت طلقها أخرى، ثم لا تحلّ له حتى تنكح زوجًا غيره"[٣٢٤٢].
عن ابن عمر، قال: "طلّقت امرأتي وهي حائض؛ قال: فأتى عمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يخبره بذلك، فقال: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعهَا حَتَى تَطْهُر، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إنْ شَاءَ طَلَّقَهَا قَبْلَ أنْ يُجَامِعَهَا، وإنْ شَاءَ أمْسَكَهَا، فَإنَها العِدَّةُ التي قال اللّه عَزَّ وَجَلَّ»"[٣٢٤٣].

(٣٢٣١) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٣٢) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٣٣) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٣٤) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.
(٣٢٣٥) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.
(٣٢٣٦) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٣٧) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.
(٣٢٣٨) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٣.
(٣٢٣٩) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢٣.
(٣٢٤٠) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٤١) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢٣.
(٣٢٤٢) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٣.
(٣٢٤٣) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.

عن نافع، عن ابن عمر: "أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عُمر النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: «مُرْه فَلْيُرَاجِعهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، ثُمَّ إنْ شَاءَ أمْسَكَهَا، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أمَرَ اللهُ أنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ»"[٣٢٤٤].

عن مجاهد، قال: "كنت عند ابن عباس، فجاءه رجل فقال: إنه طلق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننا أنه رادّها عليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحموقة، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، وإن الله عزّ وجلّ قال: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، وإنك لم تتق الله فلا أجد لك مخرجًا، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، قال الله: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ فِي قُبُلِ عِدَّتِهِنَّ}"[٣٢٤٥].

قوله تعالى:{وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ} [الطلاق : ١]، أي:" واحفظوا العدة؛ لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن"[٣٢٤٦].

عن السدي، قوله: "{وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ}، قال: احفظوا العدّة"[٣٢٤٧].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ} [الطلاق : ١]، أي:" وخافوا الله ربكم، لا تخرجوا المطلقات من البيوت التي يسكنَّ فيها إلى أن تنقضي عدتهن، وهي ثلاث حيضات لغير الصغيرة والآيسة والحامل"[٣٢٤٨].

عن السديّ، قوله: "{وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ}، حتى تنقضي عدتهنّ"[٣٢٤٩].

عن ابن جُرَيج، قال: قال عطاء: "إن أذن لها أن تعتدّ في غير بيته، فتعتدّ في بيت أهلها، فقد شاركها إذن في الإثم. ثم تلا :{لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}، قال: قلت هذه الآية في هذه؟ قال: نعم"[٣٢٥٠].

عن نافع:" أن عبد الله بن عمر كان يقول في هذه الآية: {لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}، قال: خروجها قبل انقضاء العدّة. قال ابن عجلان عن زيد بن أسلم: إذا أتت بفاحشة أخرجت"[٣٢٥١].

عن الضحاك في قوله: "{لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ}، قال: ليس لها أن تخرج إلا بإذنه، وليس للزوج أن يخرجها ما كانت في العدّة، فإن خرجت فلا سُكْنى لها ولا نفقة"[٣٢٥٢].

عن قتادة: "{لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ}، وذلك إذا طلقها واحدة أو ثنتين لها ما لم يطلقها ثلاثًا"[٣٢٥٣].

قوله تعالى:{وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [الطلاق : ١]، أي:" ولا يجوز لهن الخروج منها بأنفسهن، إلا إذا فعلن فعلة منكرة ظاهرة كالزنى"[٣٢٥٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [الطلاق : ١]، وجوه:

(٣٢٤٤) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢٣.
(٣٢٤٥) أخرجه الطبري: ٤٣٢/٢٣-٤٣٣.
(٣٢٤٦) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٢٤٧) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢٣.
(٣٢٤٨) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٢٤٩) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.
(٣٢٥٠) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.
(٣٢٥١) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.
(٣٢٥٢) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢٣.
(٣٢٥٣) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٣.
(٣٢٥٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.

أحدها : أن الفاحشة يعني: الزنا، والإخراج هو إخراجها لإقامة الحد ، قاله سعيد بن المُسَيَّب، والشعبي[٣٢٥٥]، والحسن[٣٢٥٦]، وابن سيرين[٣٢٥٧]، ومجاهد[٣٢٥٨]، وعِكْرمة[٣٢٥٩]، وسعيد بن جبير[٣٢٦٠]، وأبو قِلابة[٣٢٦١]، وأبو صالح[٣٢٦٢]، والضحاك[٣٢٦٣]، وزيد بن أسلم[٣٢٦٤]، وعطاء الخراساني[٣٢٦٥]، والسُّدِّي[٣٢٦٦]، وسعيد بن أبي هلال[٣٢٦٧].

عن صالح بن مسلم، قال: "سألت عامرًا قلت رجل طلق امرأته تطليقة أيخرجها من بيتها؟ قال: إن كانت زانية"[٣٢٦٨].

الثاني : أن الفاحشة خروجهن، ويكون تقدير الآية : إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن ، قاله السدي[٣٢٦٩].

الثالث: أن ذلك نشوزها على زوجها، فيطلقها على النشوز، فيكون لها التحوّل حينئذ من بيتها. قاله قتادة[٣٢٧٠].

قال قتادة: "إلا أن يطلقها على نشوز، فلها أن تحوّل من بيت زوجها"[٣٢٧١].

والصواب من القول في ذلك قول من قال: عنى بالفاحشة في هذا الموضع: المعصية، وذلك أن الفاحشة هي كلّ أمر قبيح تعدّى فيه حدّه، فالزنى من ذلك، والسرق والبذاء على الأحماء، وخروجها متحوّلة عن منزلها الذي يلزمها أن تعتدّ فيه منه، فأي ذلك فعلت وهي في عدتها، فلزوجها إخراجها من بيتها ذلك، لإتيانها بالفاحشة التي ركبتها[٣٢٧٢].

قوله تعالى:{وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ} [الطلاق : ١]، أي:" وتلك أحكام الله التي شرعها لعباده"[٣٢٧٣].

قال الضحاك:" يقول: تلك طاعة الله فلا تعتدوها"[٣٢٧٤].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} [الطلاق : ١]، أي:" ومن يتجاوز أحكام الله فقد ظلم نفسه، وأوردها مورد الهلاك"[٣٢٧٥].

قال الضحاك:" يقول: من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه"[٣٢٧٦].

(٣٢٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.
(٣٢٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.
(٣٢٥٧) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢٣.
(٣٢٥٩) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٠) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦١) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٢) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٣) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٤) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٥) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٧) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٤٣/٨.
(٣٢٦٨) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢٣.
(٣٢٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.
(٣٢٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.
(٣٢٧١) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢٣.
(٣٢٧٢) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢٣.
(٣٢٧٣) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٢٧٤) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٣.
(٣٢٧٥) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٢٧٦) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢٣.

قوله تعالى:{لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} [الطلاق : ١]، أي:" لا تدري -أيها المطلّق-: لعل الله يحدث بعد ذلك الطلاق أمرًا لا تتوقعه فتراجعها"(٣٢٧٧).

عن الزهريّ:" أن فاطمة بنت قيس كانت تحت أبي حفص المخزومي، وكان النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أمَّر عليًا على بعض اليمن، فخرج معه، فبعث إليها بتطليقة كانت لها، وأمر عياش بن أبي ربيعة المخزومي، والحارث بن هشام أن ينفقا عليها، فقالا لا والله ما لها علينا نفقة، إلا أن تكون حاملا فأتت النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فذكرت ذلك له، فلم يجعل لها نفقة إلا أن تكون حاملا واستأذنته في الانتقال، فقالت: أين انتقل يا رسول الله؟ قال: "عِنْدَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ"، وكان أعمى، تضع ثيابها عنده، ولا يبصرها؛ فلم تزل هنالك حتى أنكحها النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أسامة بن زيد حين مضت عدتها، فأرسل إليها مروان بن الحكم يسألها عن هذا الحديث، فأخبرته، فقال مروان: لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة، وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها، فقالت فاطمة: بيني وبينكم الكتاب، قال الله جلّ ثناؤه: {فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ} حتى بلغ {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، قالت: فأي أمر يحدث بعد الثلاث، وإنما هو في مراجعة الرجل امرأته، وكيف تحبس امرأة بغير نفقة؟"(٣٢٧٨).

عن الضحاك في قوله: "{لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، يقول: لعلّ الرجل يراجعها في عدتها"(٣٢٧٩).

قال الضحاك:" هذا ما كان له عليها رجعة"(٣٢٨٠).

عن السدي :"{لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، قال: الرجعة"(٣٢٨١).

عن قتادة :"{لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، أي: مراجعة"(٣٢٨٢).

عن قتادة، قوله: "{لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، قال: هذا في مراجعة الرجل امرأته"(٣٢٨٣).

قال قتادة:" يراجعها في بيتها هذا في الواحدة والثنتين، هو أبعد من الزنى"(٣٢٨٤).

وقال الحسن: "هذا في الواحدة والثنتين، وما يحدث الله بعد الثلاث"(٣٢٨٥).

قال أيوب: "سمعت الحسن وعكرمة، يقولان: المطلقة ثلاثًا، والمتوفى عنها لا سكنى لها ولا نفقة؛ قال: فقال عكرمة {لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}، فقال: ما يحدث بعد الثلاث"(٣٢٨٦).

القرآن

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)} [الطلاق : ٢-٣]

التفسير:

(٣٢٧٧) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٢٧٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤١-٤٤٢.
(٣٢٧٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨١) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢-٤٤٣.
(٣٢٨٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.
(٣٢٨٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٢.

فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارَّة لهن، وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم، وأدُّوا -أيها الشهود- الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر، ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر. ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له مخرجًا من كل ضيق، وييسِّر له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسبانه. ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمَّه في جميع أموره. إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب، قد جعل الله لكل شيء أجلا ينتهي إليه، وتقديرًا لا يجاوزه.

سبب النزول:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: نزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(٣)} [الطلاق : ٢ - ٣]، في رجل من أشجع، كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له: «اتق الله واصبر» فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما أعطاني شيئا وقال لي: «اتق الله واصبر» فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم له كان العدو أصابوه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها وأخبره خبرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلها» فنزلت: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ(٣)} [الطلاق : ٢ - ٣]"[٣٢٨٧].

قوله تعالى:{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق : ٢]، أي:" فإذا قاربت المطلقات نهاية عدتهن فراجعوهن مع حسن المعاشرة، والإنفاق عليهن، أو فارقوهن مع إيفاء حقهن، دون المضارَّة لهن"[٣٢٨٨].

عن الضحاك، قوله: "{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، يقول: إذا انقضت عدتها قبل أن تغتسل من الحيضة الثالثة، أو ثلاثة أشهر إن لم تكن تحيض، يقول: فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدّة بإمساك بمعروف، والمعروف أن تحسن صحبتها، {أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}، والتسريح بإحسان: أن يدعها حتى تمضي عدتها، ويعطيها مهرًا إن كان لها عليه إذا طلقها، فذلك التسريح بإحسان، والمُتعة على قدر الميسرة"[٣٢٨٩].

عن السديّ، قوله: "{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، قال: إذا طلقها واحدة أو ثنتين، يشاء أن يمسكها بمعروف، أو يسرّحها بإحسان"[٣٢٩٠].

قوله تعالى:{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق : ٢]، أي:" وأشهدوا على الرجعة أو المفارقة رجلين عدلين منكم"[٣٢٩١].

عن السديّ، قوله: "{وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}، قال: على الطلاق والرجعة"[٣٢٩٢].

قال إبراهيم النخعي:" العَدْلُ في المسلمين: مَن لم تَظهر منه ريبة"[٣٢٩٣].

عن محمد بن سيرين: "أنّ رجلًا سأل عمران بن حُصَين عن رجلٍ طلّق ولم يُشْهد، وراجَع ولم يُشْهد. قال: بئسما صنع؛ طلّق في بدعة، وارتَجع في غير سُنّة، فليُشهد على طلاقه وعلى مُراجعته، وليستغفر الله"[٣٢٩٤].

(٣٢٨٧) أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٣٨٢٠):ص٥٣٤/٢، وصححه وتعقبه الذهبي: بل منكر وعباد رافضي جبل وعبيد متروك قاله الأزدي.

(٣٢٨٨) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٢٨٩) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢٣.

(٣٢٩٠) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣.

(٣٢٩١) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٢٩٢) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢٣.

(٣٢٩٣) الدر المنثور: ١٦٨/٨، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

(٣٢٩٤)أخرجه عبد الرزاق (١٠٢٥٥ - ١٠٢٥٧).

عن إبراهيم النَّخْعي -من طريق أبي مَعْشر-:" في رجل طلّق امرأته فأشهَد، ثم راجَعها ولم يُشهد. قال: لم يكن يَكْرَهُ ذلك تأثُّمًا، ولكن كان يَخافُ أن يَجْحَدَ"[٣٢٩٥].

عن عامر الشعبي -من طريق الشيباني-:" أنه سُئِل عن رجل طلّق امرأته، ثم راجَعها، فيَجهل أن يُشهد؟ قال: يُشهد إذا عَلِم"[٣٢٩٦].

عن عامر الشعبي -من طريق مُغيرة-:" في الرجل يُطلّق امرأته، ثم يُجامعها قبل أن يُشهد على رَجعتها. قال: كيف تقول -يا مُغيرة- في رجل فعل بامرأة قومٍ ليس منها بسبيل؟!"[٣٢٩٧].

عن طاووس بن كيسان -:"من طريق سليمان التيمي- قالوا: الجماع رَجعة؛ فلْيُشْهد"[٣٢٩٨].

- عن الحسن البصري -من طريق يونس-:" في الرجل يُطلّق امرأته، ثم يَغشاها ولم يُشهد. قال: غِشْيانُهُ لها مراجعة؛ فلْيُشهد"[٣٢٩٩].

عن الحكم بن عتيبة-من طريق أبي غَنِيَّة، عن أبيه- :"في رجل يُراجع امرأته ولا يُشهد. قال: فلْيُشْهد على رَجعتها"[٣٣٠٠].

عن الحكم بن عتيبة-من طريق شعبة- :"في رجل طلّق امرأته، فحَنث وقد غَشيها في عِدّتها، وقد عَلم بذلك بعد انقضاء العِدّة. قال: غِشْيانُهُ لها مُراجعة"[٣٣٠١].

عن عطاء، قال: "النكاح بالشهود، والطَّلاق بالشهود، والمُراجعة بالشهود"[٣٣٠٢].

عن قتادة:" أنّ سُليمان بن يَسار حدّث: أنّ عمر بن عبد العزيز قال: ما رأيتُ مثل القَسامَة قطُّ أُقيدَ بها، والله يقول: {وأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنكُمْ}. وقالت الأسباط: {وما شَهِدْنا إلّا بِما عَلِمْنا وما كُنّا لِلْغَيْبِ حافِظِينَ} [يوسف: ٨١]. وقال الله: {إلّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٦]"[٣٣٠٣].

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ} [الطلاق : ٢]، أي:" وأدُّوا -أيها الشهود- الشهادة خالصة لله لا لشيء آخر"[٣٣٠٤].

قال السدي:" أشهدوا على الحق"[٣٣٠٥].

قال الضحاك:" إذا أشهَدتم على شيء فأقيموه"[٣٣٠٦].

عن عبد الله بن عباس: أنّ رجلًا سأل النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - عن الشهادة. فقال: «لا تَشهَد إلا على مِثل الشمس، أو دَعْ»[٣٣٠٧].

(٣٢٩٥)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٧ (١٨٠٧٤) باب: ما قالوا في الإشهاد على الرَّجعة إذا طلّق ثم راجع.

(٣٢٩٦)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٧ (١٨٠٧٢) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرجعة إذا طلّق ثم راجع.

(٣٢٩٧)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٧ (١٨٠٧٣) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرَّجعة إذا طلّق ثم راجع.

(٣٢٩٨)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٧ (١٨٠٧٦) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرَّجعة إذا طلّق ثم راجع.

(٣٢٩٩)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٧ (١٨٠٧٥) وهو تحت باب: ما قالوا في الإشهاد على الرَّجعة إذا طلّق ثم راجع.

(٣٣٠٠)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٨ (١٨٠٧٨).

(٣٣٠١)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ٩/ ٥١٨ (١٨٠٨٠).

(٣٣٠٢)أخرجه عبد الرزاق (١٠٢٦٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣٣٠٣)أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٤/ ٢٦٥ - ٢٦٦ (٢٨٣٨٥).

(٣٣٠٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٣٠٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٤٤-٤٤٥.

(٣٣٠٦) الدر المنثور: ٨/١٦٩، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٣٠٧)أخرجه الحاكم ٤/ ١١٠ (٧٠٤٥) بنحوه، من طريق محمد بن سليمان بن مسمول، عن عبد الله بن سلمة بن وهرام، عن طاووس اليماني، عن ابن عباس به. وأورده الثعلبي ٢/ ٢٩٣. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [الطلاق : ٢]، أي:" ذلك الذي أمركم الله به يوعظ به مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر "[٣٣٠٨].

عن السديّ: "{مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، قالَ: يؤمن به"[٣٣٠٩].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق : ٢]، أي:" ومن يخف الله فيعمل بما أمره به، ويجتنب ما نهاه عنه، يجعل له مخرجًا من كل ضيق"[٣٣١٠].

عن عكرمة: "{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، قال: من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجًا"[٣٣١١].

عن قتادة: "{يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، قال: من شُبُهَات الأمور، والكرب عند الموت"[٣٣١٢].

عن الربيع بن خثيم: "{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، قال: من كلّ شيء ضاق على الناس"[٣٣١٣].

قال أبو العالية الرِّياحيّ: "{مَخْرَجًا} من كلّ شدة"[٣٣١٤].

قال مسروق:" المخرج أن يعلم أن الله تبارك وتعالى لو شاء أعطاه وإن شاء منعه"[٣٣١٥].

عن الضحاك، قوله: "{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرًا، قال: يعني بالمخرج واليُسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين، فذلك اليُسر الذي قال الله، وإن مضت عدتها ولم يراجعها، كان خاطبًا من الخطاب، وهذا الذي أمر الله به، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كلّ حيضة فقد أخطأ السنة، وعصى الربّ، وأخذ بالعسر"[٣٣١٦].

عن السديّ، قوله: "{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، قال: يطلق للسُّنة، ويراجع للسُّنة؛ زعم أن رجلا من أصحاب النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقال له عوف الأشجعيّ، كان له ابن، وأن المشركين أسروه، فكان فيهم، فكان أبوه يأتي النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فيشكوا إليه مكان ابنه، وحالته التي هو بها وحاجته، فكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يأمره بالصبر ويقول له: إن الله سيجعل له مخرجا، فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرًا إذا انفلت ابنه من أيدي العدوّ، فمرّ بغنم من أغنام العدوّ فاستاقها، فجاء بها إلى أبيه، وجاء معه بغنًى قد أصابه من الغنم، فنزلت هذه الآية: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}"[٣٣١٧].

عن سالم بن أبي الجعد: "{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}، قال: نزلت في رجل من أشجع جاء إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو مجهود، فسأله فقال له النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "اتَّقِ اللهَ وَاصْبِرْ"، قال: قد فعلت، فأتى قومه، فقالوا: ماذا قال لك؟ قال: قال: "اتق الله واصبر"، فقلت: قد فعلت حتى قال ذلك ثلاثًا،

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الذهبي في التلخيص: «واهٍ». وقال البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٦٤ (٢٠٥٧٩): «محمد بن سليمان بن مسمول هذا تَكلّم فيه الحميدي، ولم يرو من وجه يُعتمد عليه». وقال ابن حزم في المحلى ٨/ ٥٣٤: «هذا خبر لا يصحّ سنده؛ لأنه من طريق محمد بن سليمان بن مسمول، وهو هالك، عن عبيد الله بن سلمة بن وهرام، وهو ضعيف، لكن معناه صحيح». وقال ابن حجر في بلوغ المرام ٢/ ١٩٢ (١٤٠٥): «إسناد ضعيف، وصحّحه الحاكم فأخطأ»س.

(٣٣٠٨) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٣٠٩) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣.

(٣٣١٠) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٣١١) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(٣٣١٢) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.

(٣٣١٣) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(٣٣١٤)تفسير البغوي ٦/ ١٥٠.

(٣٣١٥) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣-٤٤٦.

(٣٣١٦) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.

(٣٣١٧) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣-٤٤٧.

فرجع فإذا هو بابنه كان أسيرًا في بني فلان من العرب، فجاء معه بأعنز فرجع إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: إن ابني كان أسيرًا في بني فلان، وإنه جاء بأعنز فطابت لنا؟ قال: "نعم"»[٣٣١٨].

قوله تعالى:{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} [الطلاق : ٣]، أي:" ويسِّر له أسباب الرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يكون في حسبانه"[٣٣١٩].

عن مسروق:" {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}، قال: من حيث لا يدري"[٣٣٢٠].

عن قتادة: " {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ}، من حيث لا يرجو ولا يؤمل"[٣٣٢١]. وفي رواية:" لا يأمل ولا يرجو"[٣٣٢٢].

عن شُتَير بن شكَل قال :" سمعت عبد الله بن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن :{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} [النحل : ٩٠] وإن أكثر آية في القرآن فرجًا :{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}"[٣٣٢٣].

عن أبي ذر قال : "جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو عَلَيَّ هذه الآية :{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ} حتى فرغ من الآية، ثم قال : "يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم". وقال : فجعل يتلوها ويُرددها علي حتى نَعَست، ثم قال : "يا أبا ذر، كيف تصنع إن أخرجت من المدينة ؟. "قلت : إلى السعة والدّعة أنطلق، فأكون حمامة من حمام مكة. قال : "كيف تصنع إن أخرجت من مكة ؟". قال : قلت : إلى السعة والدّعة، وإلى الشام والأرض المقدسة. قال : "وكيف تصنع إن أخرجتَ من الشام ؟". قلت : إذا - والذي بعثك بالحق - أضع سيفي على عاتقي. قال : "أوخير من ذلك ؟". قلت : أوخير من ذلك ؟ قال : "تسمع وتطيع، وإن كان عبدًا حبشيًّا"[٣٣٢٤].

عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هَمٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب"[٣٣٢٥].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ} [الطلاق : ٣]، أي:" ومن يتوكل على الله فهو كافيه ما أهمَّه في جميع أموره، إن الله بالغ أمره، لا يفوته شيء، ولا يعجزه مطلوب"[٣٣٢٦].

عن مسروق: "{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ}، توكل عليه أو لم يتوكل عليه، غير أن المتوكل يُكَفِّرْ عنه سيئاته، ويُعظِم له أجرًا"[٣٣٢٧].

عن الشعبيّ، قال: "تجالس شُتير بن شكل ومسروق، فقال شُتير: إما أن تحدّث ما سمعت من ابن مسعود فأصدّقك، وإما أن أحدث فتصدّقني؟ قال مسروق: لا بل حدّث فأصدّقك، فقال: سمعت ابن مسعود يقول: إن أكبر آية في القرآن تفوّضًا[٣٣٢٨]: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، قال مسروق: صدقت"[٣٣٢٩].

عن عمران بن حُصَين، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من انقطع إلى الله كفاه الله كل مَئُونة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكَلَه إليها"[٣٣٣٠].

(٣٣١٨) أخرجه الطبري: ٤٤٧/٢٣.
(٣٣١٩) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٣٢٠) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢٣-٤٤٦.
(٣٣٢١) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.
(٣٣٢٢) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.
(٣٣٢٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير":١٤٦/٨.
(٣٣٢٤)المسند (١٧٨/٥).
(٣٣٢٥)المسند (٢٤٨/١).
(٣٣٢٦) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٣٢٧) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢٣.
(٣٣٢٨) قال المحقق:" كذا في الأصل، ولم أجد في المعاجم هذا المصدر ولا فعله، ولعله محرف عن "التفويض"، وهو رد الأمر كله إلى الله، وهو المفهوم من معنى حديث ابن مسعود هذا".
(٣٣٢٩) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.
(٣٣٣٠) رواه ابن ابي حاتم كما في " تفسير ابن كثير":١٤٨/٨، ورواه الطبراني في المعجم الصغير (١١٦/١) ومن طريقه

قال الربيع: "إنّ الله تعالى قضى على نفسه أنّ من توكل كفاه، ومن آمن به هداه، ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به نجّاه، ومن دعاه أجاب له، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} [التغابن : ١١]، {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق : ٣]، {إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ} [التغابن : ١٧] {وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [آل عمران : ١٠١]، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ} [البقرة : ١٨٦]"[٣٣٣١].

قوله تعالى:{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق : ٣]، أي:" قد جعل الله لكل شيء أجلا ينتهي إليه، وتقديرًا لا يجاوزه"[٣٣٣٢].

عن مسروق: "{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، قال: أجلا"[٣٣٣٣]. وفي رواية:" منتهى"[٣٣٣٤].

عن السديّ، قوله: "{قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}، قال: الحيض في الأجل والعدّة"[٣٣٣٥].

قال عبد الرحمن بن نافع: "لما نزلت: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، قال أصحاب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: حسبنا الله إذا توكلنا عليه فنحن ننسى ما كان لنا ولا نحفظه، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ}، يعني: منكم وعليكم"[٣٣٣٦].

القرآن

{وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤)} [الطلاق : ٤]

التفسير:

والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهنَّ دم الحيض؛ لكبر سنهنَّ، إن شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهنَّ؟ فعدَّتهنَّ ثلاثة أشهر، والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك. وذوات الحَمْل من النساء عدتهن أن يضعن حَمْلهن. ومن يَخَفِ الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسرًا في الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" قال رجل للنبي- صلى الله عليه وسلم- حين نزلت: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة : ٢٢٨]، فما عدة المرأة التي لا تحيض؟ وقال خلاد الأنصارى: ما عدة من لم تحض من صغر؟ وما عدة الحبلى؟ فأنزل الله- عز وجل- في اللاتي قعدن عن المحيض: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ} [الطلاق : ٤]"[٣٣٣٧].

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: " لما نزلت الآية التي في سورة البقرة في عدد من عدد النساء قالوا: قد بقي عدد من النساء لم يذكرن الصغار والكبار، ولا من انقطعت عنهن الحيض، وذوات الأحمال فأنزل الله عز وجل الآية التي في سورة النساء: {وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق: ٤]"[٣٣٣٨].

الخطيب في تاريخه (١٩٧/٧) من طريق جعفر بن محمد البغدادي، عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق به، وقال الطبراني : "لم يروه عن هشام إلا الفضيل، تفرد به إبراهيم بن الأشعث" وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٤/١٠) : "وفيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال : يغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات".

(٣٣٣١) نقلا عن"الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٣٨/٩.

(٣٣٣٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٣٣٣) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٣٣٣٤) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٣٣٣٥) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢٣.

(٣٣٣٦) نقلا عن"الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٣٣٨/٩.

(٣٣٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٦٥/٤.

(٣٣٣٨) أخرجه الحاكم في "المستدرك":ص٥٣٤/٢، وصححه ووافقه الذهبي، قلت: إسناده منقطع: عمرو بن سالم لم يسمع أبي بن كعب [تهذيب التهذيب ١٢/ ١٨١] والحديث أخرجه البيهقي في السنن (٧/ ٤١٤)، وأخرجه الطبري(٤٥١/٢٣)، وزاد

قوله تعالى:{وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ} [الطلاق : ٤]، أي:" والنساء المطلقات اللاتي انقطع عنهنَّ دم الحيض؛ لكبر سنهنَّ، إن شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهنَّ؟ فعدَّتهنَّ ثلاثة أشهر"(٣٣٣٩).

قال قتادة:" وهنّ اللواتي قعدن من المحيض فلا يحضن، واللائي لم يحضن هنّ الأبكار التي لم يحضن، فعدتهنّ ثلاثة أشهر"(٣٣٤٠).

قال السدي:" يقول: التي قد ارتفع حيضها، فعدتها ثلاثة أشهر"(٣٣٤١).

عن الضحاك في قوله: {وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ}،... الآية، قال: القواعد من النساء"(٣٣٤٢).

وفي معنى: «الريبة» -ها هنا-، قولان:

أحدهما : إن ارتبتم فيهن بالدم الذي يظهر منهن لكبرهن فلم تعرفوا أحيض هو أم استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر ، قاله مجاهد(٣٣٤٣)، والزهري(٣٣٤٤). وآخرون.

قال مجاهد:" إن لم تعلموا التي قعدت عن الحيضة، والتي لم تحض، فعدتهنّ ثلاثة أشهر"(٣٣٤٥).

عن الزهريّ: "{إِنِ ارْتَبْتُمْ}، قال: في كبرها أن يكون ذلك من الكبر، فإنها تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر؛ فأما إذا ارتفعت حيضة المرأة وهي شابة، فإنه يتأنى بها حتى ينظر حامل هي أم غير حامل؟ فإن استبان حملها، فأجلها أن تضع حملها، فإن لم يستبن حملها، فحتى يستبين بها، وأقصى ذلك سنة"(٣٣٤٦).

قال ابن زيد:" إن ارتبت أنها لا تحيض وقد ارتفعت حيضتها، أو ارتاب الرجال، أو قالت هي: تركتني الحيضة، فعدتهنّ ثلاثة أشهر إن ارتاب، فلو كان الحمل انتَظَرَ الحملَ حتى تنقضي تسعة أشهر، فخاف وارتاب هو، وهي أن تكون الحيضة قد انقطعت، فلا ينبغي لمسلمة أن تحبس، فاعتدت ثلاثة أشهر، وجعل الله جلّ ثناؤه أيضًا للتي لم تحض الصغيرة ثلاثة أشهر"(٣٣٤٧).

عن أبي معبد، قال: "سُئل سليمان عن المرتابة، قال: هي المرتابة التي قد قعدت من الولد تطلق، فتحيض حيضة، فيأتي إبَّان حيضتها الثانية فلا تحيض؛ قال: تعتدّ حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة؛ قال: فإن حاضت حيضتين ثم جاء إبان الثالثة فلم تحض اعتدّت حين ترتاب ثلاثة أشهر مستقبلة، ولم يعتدّ بما مضى"(٣٣٤٨).

الثاني : معنى ذلك: إن ارتبتم مما يظهر منهنّ من الدم، فلم تدروا أدم حيض، أم دم مستحاضة من كبر كان ذلك أو علة؟ وهذا قول قتادة(٣٣٤٩)، وعكرمة(٣٣٥٠)، وعامر الشعبي(٣٣٥١).

عن عكرمة، قال: "إن من الريبة: المرأة المستحاضة، والتي لا يستقيم لها الحيض، تحيض في الشهر مرارًا، وفي الأشهر مرّة، فعدتها ثلاثة أشهر، وهو قول قتادة"(٣٣٥٢).

نسبته في الدر (٦/ ٢٣٤) لإسحاق بن راهويه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣٣٣٩) التفسير الميسر: ٥٥٨.

(٣٣٤٠) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٣٣٤١) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.

(٣٣٤٢) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.

(٣٣٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٣٣٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٣٣٤٥) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٣٣٤٦) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٣.

(٣٣٤٧) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢٣-٤٥١.

(٣٣٤٨) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٣.

(٣٣٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٣-٤٥٢.

(٣٣٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢٣-٤٥٢.

(٣٣٥١) .

(٣٣٥٢) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢٣-٤٥٢.

والراجح قول من قال: عُنِي بذلك: إن ارتبتم فلم تدروا ما الحكم فيهنّ، وذلك أن معنى ذلك لو كان كما قاله من قال: إن ارتبتم بدمائهنّ فلم تدروا أدم حيض، أو استحاضة؟ لقيل: إن ارتبتنّ لأنهنّ إذا أشكل الدم عليهنّ فهنّ المرتابات بدماء أنفسهنّ لا غيرهنّ، وفي قوله: {إِنِ ارْتَبْتُمْ} وخطابه الرجال بذلك دون النساء الدليل الواضح على صحة ما قلنا من أن معناه: إن ارتبتم أيها الرجال بالحكم فيهنّ؛ وأخرى وهو أنه جلّ ثناؤه قال: {وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ}، واليائسة من المحيض هي التي لا ترجو محيضًا للكبر، ومحال أن يقال: واللائي يئسن، ثم يقال: ارتبتم بيأسهنّ، لأن اليأس: هو انقطاع الرجاء والمرتاب بيأسها مرجوّ لها، وغير جائز ارتفاع الرجاء ووجوده في وقت واحد، فإذا كان الصواب من القول في ذلك ما قلنا، فبين أن تأويل الآية: واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم بالحكم فيهنّ، وفي عِددهنّ، فلم تدروا ما هنّ، فإن حكم عددهنّ إذا طلقن، وهنّ ممن دخل بهنّ أزواجهنّ، فعدتهن ثلاثة أشهر[٣٣٥٣].

قوله تعالى:{وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} [الطلاق : ٤]، أي:" والصغيرات اللاتي لم يحضن، فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك"[٣٣٥٤].

عن الضحاك :" {وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ}: لم يبلغن المحيض، وقد مُسِسْن، عدتهنّ ثلاثة"[٣٣٥٥].

عن السدي:" {وَاللائِي لَمْ يَحِضْنَ}، قال: الجواري"[٣٣٥٦].

قوله تعالى:{وَأُولاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٤]، أي:" وذوات الحَمْل من النساء عدتهن أن يضعن حَمْلهن"[٣٣٥٧].

عن السدي:" {وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}، قال: للمرأة الحُبلى التي يطلقها زوجها وهي حامل، فعدتها أن تضع حملها"[٣٣٥٨].

قال قتادة:" فإذا وضعت ما في رحمها فقد انقضت عدتها، ليس المحيض من أمرها في شيء إذا كانت حاملا"[٣٣٥٩].

عن محمد - هو ابن سيرين - قال : كنت جالسا في ناس بالكوفة في مجلس للأنصار عظيم فيهم عبد الرحمن بن أبي ليلى، فذكروا شأن سبيعة، فذكرت عن عبد الله بن عتبة بن مسعود في معنى قول ابن عون: حتى تضع، قال ابن أبي ليلى: لكن عمه لا يقول ذلك، فرفعت صوتي وقلت: إني لجريء أن أكذب على عبد الله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة؟ قال: فلقيت مالكا، قلت: كيف كان ابن مسعود، يقول في شأن سبيعة؟ قال: قال: «أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون لها الرخصة، لأنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى»"[٣٣٦٠].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أنه عامّ في المطلقات والمتوفى عنهنّ، لأن الله جلّ وعزّ، عمّ بقوله بذلك فقال: {وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} ولم يخصص بذلك الخبر عن مطلقة دون متوفى عنها، بل عمّ الخبر به عن جميع أولات الأحمال، إن ظنّ ظانّ أن قوله: {وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} في سياق الخبر عن أحكام المطلقات دون المتوفى عنهنّ، فهو بالخبر عن حكم المطلقة أولى بالخبر عنهنّ، وعن المتوفى عنهنّ، فإن الأمر بخلاف ما ظنّ، وذلك أن ذلك وإن كان في سياق الخبر عن أحكام المطلقات، فإنه منقطع عن الخبر عن أحكام المطلقات، بل هو خبر مبتدأ عن أحكام عدد جميع أولات

(٣٣٥٣) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢٣.
(٣٣٥٤) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٣٥٥) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢٣.
(٣٣٥٦) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢٣.
(٣٣٥٧) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٣٥٨) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٣.
(٣٣٥٩) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢٣.
(٣٣٦٠)سنن النسائي (٣٥٢١)، وتفسير الطبري: ٤٥٣/٢٣-٤٥٤.

الأحمال المطلقات منهنّ وغير المطلقات، ولا دلالة على أنه مراد به بعض الحوامل دون بعض من خبر ولا عقل، فهو على عمومه لما بيَّنا"[٣٣٦١].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا} [الطلاق : ٤]، أي:" ومن يَخَفِ الله، فينفذ أحكامه، يجعل له من أمره يسرًا في الدنيا والآخرة"[٣٣٦٢].

عن الضحاك في قوله: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} {ومن يتق الله يجعل له من أمره يُسرًا}، قال: يعني: بالمخرج واليُسر إذا طلق واحدة ثم سكت عنها، فإن شاء راجعها بشهادة رجلين عدلين، فذلك اليُسر الذي قال الله، وإن مضت عدتها ولم يراجعها، كان خاطبًا من الخطاب، وهذا الذي أمر الله به، وهكذا طلاق السنة فأما من طلق عند كلّ حيضة فقد أخطأ السنة، وعصى الربّ، وأخذ بالعسر"[٣٣٦٣].

القرآن

{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٦)} [الطلاق : ٦]

التفسير:

أسكنوا المطلقات من نسائكم في أثناء عدتهن مثل سكناكم على قدر سَعَتكم وطاقتكم، ولا تلحقوا بهن ضررًا؛ لتضيِّقوا عليهن في المسكن، إن كان نساؤكم المطلقات ذوات حَمْل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حَمْلهن، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن، وليأمر بعضكم بعضًا بما عرف من سماحة وطيب نفس، وإن لم تتفقوا على إرضاع الأم، فستُرضع للأب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة.

قوله تعالى:{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ} [الطلاق : ٦]، أي:" أسكنوا المطلقات من نسائكم في أثناء عدتهن مثل سكناكم على قدر سَعَتكم وطاقتكم"[٣٣٦٤].

قال السدي:" المرأة يطلقها، فعليه أن يسكنها، وينفق عليها"[٣٣٦٥].

عن السديّ، قوله: "{مِنْ وُجْدِكُمْ}، قال: من ملككم، من مقدرتكم"[٣٣٦٦].

عن ابن عباس، قوله: "{أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ}، يقول: من سعتكم"[٣٣٦٧]. وروي عن مجاهد وقتادة، مثله[٣٣٦٨].

قال سعيد بن جبير:" فإن لم تجد إلا ناحية بيتك فأسكنها فيه"[٣٣٦٩].

قوله تعالى:{وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ} [الطلاق : ٦]، أي:" ولا تلحقوا بهن ضررًا؛ لتضيِّقوا عليهن في المسكن"[٣٣٧٠].

عن مجاهد: "{وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ}، قال: في المسكن"[٣٣٧١].

(٣٣٦١) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢٣.
(٣٣٦٢) التفسير الميسر: ٥٥٨.
(٣٣٦٣) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢٣.
(٣٣٦٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٣٦٥) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٣.
(٣٣٦٦) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.
(٣٣٦٧) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢٣-٤٥٧.
(٣٣٦٨) انظر: المصدر نفسه: ٤٥٧/٢٣.
(٣٣٦٩) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢٣.
(٣٣٧٠) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٣٧١) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.

عن السدي:" قوله: "{وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ}، قال: لتضيقوا عليهن مساكنهنّ حتى يخرجن"[٣٣٧٢].

عن أبي الضُّحَى :{وَلا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ} قال : يطلقها، فإذا بقي يومان راجعها"[٣٣٧٣].

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطلاق : ٦]، أي:" وإن كان نساؤكم المطلقات ذوات حَمْل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حَمْلهن"[٣٣٧٤].

قد اختلف الفقهاء في المبتوتة، هل لها سكنى، ونفقة في مدة العدة، أم لا؟ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ المبتوتة المطلقة ثلاثا لها السكنى، دون النفقة، واحتجوا بأنّ الله تعالى عمّ بالسكنى المطلقات كلّهنّ، وخصّ بالنفقة أولات الأحمال خاصّة قال: {فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}. قاله ابن المسيب[٣٣٧٥]، وسليمان بن يسار[٣٣٧٦]، وعطاء[٣٣٧٧]، والشعبي[٣٣٧٨]، والحسن[٣٣٧٩]، وهذا مذهب مالك[٣٣٨٠]، والشافعي[٣٣٨١]، والأوزاعي[٣٣٨٢]، وابن أبي ليلى[٣٣٨٣].

الثاني : لا سكنى لها ولا نفقة. قاله الحسن[٣٣٨٤]، وحماد[٣٣٨٥]، وأحمد [٣٣٨٦]، وإسحاق[٣٣٨٧]، وأبو ثور[٣٣٨٨].

واحتجوا بحديث فاطمة بنت قيس أخت الضّحاك بن قيس حين أرسل زوجها المخزومي طلاقها فلم يجعل لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم نفقة وقال لها: إنّما النفقة إذا كانت له عليك الرجعة، وأمرها أن تعتدّ في بيت ابن أم مكتوم[٣٣٨٩].

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: "حدثتني فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أن أبا عمرو المخزوميّ، طلقها ثلاثًا فأمر لها بنفقة فاستقلتها، وكان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وهو عند ميمونة، فقال: يا

(٣٣٧٢) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢٣.
(٣٣٧٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٥٣/٨.
(٣٣٧٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٣٧٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٧٦) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٧٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٧٨) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٧٩) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٠) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، وزاد المسير: ٣٠١/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨١) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، وزاد المسير: ٣٠١/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٢) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٣) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٤) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٥) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٦) حكاه عنهما الثعلبي في"الكشف والبيان": ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٧) انظر: البحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٨٨) حكاه عنه الثعلبي في"الكشف والبيان": ٣٤٠/٩.
(٣٣٨٩) الحديث أخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٦ وأبو داود ٢٢٨٤ والنسائي ٦/ ٧٥- ٧٦ وأحمد ٦/ ٤١٢ والشافعي ٢/ ١٨- ١٩ و ٥٤ وابن حبان ٤٢٩٠ وابن الجارود ٧٦٠ والطبراني ٢٤/ (٩١٣) والبيهقي ٧/ ١٣٥ و ١٧٧ و ١٨١ و ٤٧١ من طرق عن مالك به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٣٨ وأبو داود ٢٢٨٥ و ٢٢٨٦ و ٢٢٨٧ والنسائي ٦/ ١٤٥ والطبراني ٢٤/ (٩٢٠) وابن حبان ٤٢٥٣ والبيهقي ٧/ ١٧٨ من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة به. وأخرجه مسلم ١٤٨٠ ح ٤٨ والنسائي ٦/ ١٥٠ والترمذي ١١٣٥ وابن ماجة ٢٠٣٥ وأحمد ٦/ ٤١١ وابن حبان ٤٢٥٤ والطبراني ٢٤/ (٩٢٩) والبيهقي ٧/ ١٣٦ و ٤٧٣ من طرق عن سفيان عن أبي بكر بن أبي الجهم عن فاطمة بنت قيس به مطوّلا ومختصرا. وأخرجه مالك في «الموطأ» ٢/ ٥٨٠ والبغوي في «شرح السنة» ٢٣٧٨ عن عبد الله بن يزيد به.

رسول الله إن أبا عمرو طلق فاطمة ثلاثًا، فهل لها من نفقة؟ فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "لَيْسَ لَهَا نَفَقَةٌ"، فأرسل إليها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن انتقلي إلى بيت أمّ شريك وأرسل إليها أن لا تسبقيني بنفسك، ثم أرسل إليها أنّ أمّ شريك يأتيها المهاجرون الأوّلون، فانتقلي إلى ابن أم مكتوم، فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك، فزوّجها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أسامة بن زيد"[٣٣٩٠].

الثالث: لها السكنى والنفقة حاملا كانت أو حائلا، وهذا قول عائشة -رضي الله عنها-[٣٣٩١]. وبه قال أبو حنيفة[٣٣٩٢].

وروي عن إبراهيم، قال: "كان عمر وعبد الله يجعلان للمطلقة ثلاثًا: السكنى، والنفقة، والمتعة. وكان عمر إذا ذكر عنده حديث فاطمة بنت قيس أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أمرها أن تعتدّ في غير بيت زوجها، قال: ما كنا لنجيز في ديننا شهادة امرأة"[٣٣٩٣].

وعن عيسى بن قرطاس، قال: "سمعت عليّ بن الحسين يقول في المطلقة ثلاثًا: لها السكنى، والنفقة والمتعة، فإن خرجت من بيتها فلا سكنى ولا نفقة ولا متعة"[٣٣٩٤].

عن إبراهيم، قال: للمطلقة ثلاثًا: السكنى والنفقة"[٣٣٩٥].

قال إبراهيم:" إذا طلق الرجل ثلاثًا، فإن لها السكنى والنفقة"[٣٣٩٦].

الصواب من القول في ذلك أن لا نفقة للمبتوتة إلا أن تكون حاملا لأن الله جلّ ثناؤه جعل النفقة بقوله: {وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن} للحوامل دون غيرهنّ من البائنات من أزواجهن ولو كان البوائن من الحوامل وغير الحوامل في الواجب لهنّ من النفقة على أزواجهنّ سواء، لم يكن لخصوص أولات الأحمال بالذكر في هذا الموضع وجه مفهوم، إذ هنّ وغيرهنّ في ذلك سواء، وفي خصوصهن بالذكر دون غيرهنّ أدل الدليل على أن لا نفقة لبائن إلا أن تكون حاملا[٣٣٩٧].

واختلفوا في الحامل، والمتوفَّى عنها زوجها، على قولين:

أحدهما: أن نفقتها من جميع المال، قاله ابن مسعود[٣٣٩٨]، وابن عمر[٣٣٩٩]، وأبو العالية[٣٤٠٠]، والشعبي[٣٤٠١]، وشريح[٣٤٠٢]، وإبراهيم[٣٤٠٣]، وبه قال مالك[٣٤٠٤]، وابن أبي ليلى[٣٤٠٥]، والثوري[٣٤٠٦].

الثاني: أن نفقتها في مال نفسها، قاله ابن عباس[٣٤٠٧]، وابن الزبير[٣٤٠٨]، والحسن[٣٤٠٩]، وسعيد بن المسيب[٣٤١٠]، وعطاء[٣٤١١]، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه[٣٤١٢]. وعن أحمد كالقولين[٣٤١٣].

(٣٣٩٠) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣.
(٣٣٩١) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩.
(٣٣٩٢) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن: ٣٤٠/٩، والبحر المحيط في التفسير: ٢٠١/١٠.
(٣٣٩٣) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.
(٣٣٩٤) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.
(٣٣٩٥) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.
(٣٣٩٦) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢٣.
(٣٣٩٧) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢٣-٤٦٠.
(٣٣٩٨) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٣٩٩) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٠) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠١) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٢) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٣) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٤) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٥) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٦) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٧) نظر: تفسير الطبري: ٤٥٨/٢٣-٤٥٩، وزاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤٠٨) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.

قوله تعالى:{فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [الطلاق : ٦]، أي:" ، فإن أرضعن لكم أولادهن منكم بأجرة، فوفوهن أجورهن"(٣٤١٤).

عن الضحاك:" أنه قال في الرضاع: إذا قام على شيء فأمّ الصبيّ أحقّ به، فإن شاءت أرضعته، وإن شاءت تركته إلا أن لا يقبل من غيرها، فإذا كان كذلك أُجْبرت على رضاعه"(٣٤١٥).

قال قتادة:" ي أحقّ بولدها أن تأخذه بما كنت مسترضعًا به غيرَها"(٣٤١٦).

عن السديّ: "{فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ}، قال: ما تراضوا عليه {عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ}"(٣٤١٧).

عن إبراهيم :"في الصبيّ إذا قام على ثمن فأمه أحق أن ترضعه، فإن لم يجد له من يرضعه أجبرت الأم على الرضاع"(٣٤١٨).

قوله تعالى:{وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ} [الطلاق : ٦]، أي:" وليأمر بعضكم بعضًا بما عرف من سماحة وطيب نفس"(٣٤١٩).

عن السديّ، قوله: "{وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ}، قال: اصنعوا المعروف فيما بينكم"(٣٤٢٠).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى} [الطلاق : ٦]، أي:" وإن لم تتفقوا على إرضاع الأم، فستُرضع للأب مرضعة أخرى غير الأم المطلقة"(٣٤٢١).

قال سعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، وإبراهيم:" إذا قام الرّضاع على شيء خُيِّرت الأمّ"(٣٤٢٢).

قال السدي:" إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى، الأمّ أحق إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها، فلا ينبغي له أن ينتزع منها"(٣٤٢٣).

القرآن

{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)} [الطلاق : ٧]

التفسير:

لينفق الزوج مما وسَّع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سَعَة في الرزق، ومن ضُيِّق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق، لا يُكَلِّف الفقير مثل ما يُكَلِّف الغني، سيجعل الله بعد ضيق وشدة سَعَة وغنى.

(٣٤٠٩) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤١٠) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤١١) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤١٢) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤١٣) نظر: زاد المسير: ٣٠٢/٤.
(٣٤١٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤١٥) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.
(٣٤١٦) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.
(٣٤١٧) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.
(٣٤١٨) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢٣-٤٦١.
(٣٤١٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٢٠) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢٣.
(٣٤٢١) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٢٢) الدر المنثور: ٨/ ٢٠٧.
(٣٤٢٣) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢٣.

قوله تعالى:{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ} [الطلاق : ٧]، أي:" لينفق الزوج مما وسَّع الله عليه على زوجته المطلقة، وعلى ولده إذا كان الزوج ذا سَعَة في الرزق"(٣٤٢٤).

عن مجاهد: "{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}، قال: على المطلقة إذا أرضعت له"(٣٤٢٥).

عن السديّ:"{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ}، قال: من سعة موجده"(٣٤٢٦).

عن أبي سنان، قال: "سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن أبي عُبيدة، فقيل له: إنه يلبس الغليظ من الثياب، ويأكل أخشن الطعام، فبعث إليه بألف دينار، وقال للرسول: انظر ما يصنع إذا هو أخذها، فما لبث أن لبس ألين الثياب، وأكل أطيب الطعام، فجاء الرسول فأخبره، فقال رحمه الله: تأول هذه الآية: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ}"(٣٤٢٧).

وقرئ: «لينفق»، بالنصب، أي: شرعنا ذلك لينفق(٣٤٢٨).

قوله تعالى:{وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} [الطلاق : ٧]، أي:" ومن ضُيِّق عليه في الرزق وهو الفقير، فلينفق مما أعطاه الله من الرزق"(٣٤٢٩).

عن السديّ:"{وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ}، قال: من قتر عليه رزقه"(٣٤٣٠).

قوله تعالى:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} [الطلاق : ٧]، أي:" لا يُكَلِّف الفقير مثل ما يُكَلِّف الغني"(٣٤٣١).

عن هشيم: "{لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا مَا آتَاهَا}، قال: إلا ما افترض عليها"(٣٤٣٢).

قال السدي:" يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغنيّ"(٣٤٣٣).

قوله تعالى:{سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطلاق : ٧]، أي:" سيجعل الله بعد ضيق وشدة سَعَة وغنى"(٣٤٣٤).

عَن معمر، قَالَ: "سَألت الزُّهْرِيّ عَن الرجل لَا يجد مَا ينْفق على امْرَأته يفرق بَينهمَا قَالَ: يستأني لَهُ وَلَا يفرق بَينهمَا، وتلا: {لَا يُكَلف الله نفسا إِلَّا مَا آتاها سَيَجْعَلُ الله بعد عسر يسرا} قَالَ معمر: وَبَلغنِي أَن عمر بن عبد الْعَزِيز قَالَ مثل قَول الزُّهْرِيّ"(٣٤٣٥).

عن شَهْر بن حَوْشَب قال : "قال أبو هريرة : بينما رجل وامرأة له في السلف الخالي لا يقدران على شيء، فجاء الرجل من سفره، فدخل على امرأته جائعا قد أصاب مَسْغَبَةً شديدة، فقال لامرأته : عندك شيء ؟ قالت : نعم، أبشر، أتاك رزق الله، فاستحثها، فقال : ويحك! ابتغي إن كان عندك شيء. قالت نعم، هُنَيهة - ترجو رحمة الله - حتى إذا طال عليه الطوى، قال : ويحك! قومي فابتغي إن كان عندك شيء فائتيني به، فإني قد بُلغتُ وجَهدتُ. فقال : نعم، الآن يُنضح التنور فلا تعجل. فلما أن سكت عنها ساعة وتحيّنت أن يقول لها، قالت من عند نفسها : لو قمتُ فنظرتُ إلى تنوري ؟ فقامَتْ فنظرَت إلى تَنورها ملآن من جنُوبَ الغنم، ورَحييها تطحنَان. فقامت إلى الرحى فنَفضتها، واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم.

(٣٤٢٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٢٥) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.
(٣٤٢٦) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.
(٣٤٢٧) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.
(٣٤٢٨) انظر: الكشاف: ٥٦٠/٤.
(٣٤٢٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٣٠) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢٣.
(٣٤٣١) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٣٢) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.
(٣٤٣٣) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢٣.
(٣٤٣٤) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٣٥) الدر المنثور: ٢٠٨/٨، وعزاه إلى عب\الرزاق.

قال أبو هريرة : فوالذي نفس أبي القاسم بيده، هو قول محمد صلى الله عليه وسلم : "لو أخذت ما في رَحييها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة"(٣٤٣٦).

القرآن

{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩)} [الطلاق : ٨-٩]

التفسير:

وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسوله وتمادَوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حسابًا شديدًا، وعذَّبناهم عذابًا عظيمًا منكرًا، فتجرَّعوا سوء عاقبة عتوهم وكفرهم، وكان عاقبة كفرهم هلاكًا وخسرانًا لا خسران بعده.

قوله تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا} [الطلاق : ٨]، أي:" وكثير من القرى عصى أهلها أمر الله وأمر رسوله وتمادَوا في طغيانهم وكفرهم، فحاسبناهم على أعمالهم في الدنيا حسابًا شديدًا"(٣٤٣٧).

عن السدي، قوله: "{وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ}، قال: غَيَّرت وَعَصَت"(٣٤٣٨).

وروي عمرو بن أبي سلمة، قال: "سمعت عمر بن سليمان يقول في قوله: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ}، قال: قرية عذّبت في الطلاق"(٣٤٣٩).

قوله تعالى:{وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا} [الطلاق : ٩]، أي:" وعذَّبناهم عذابًا عظيمًا منكرًا"(٣٤٤٠).

عَن عَاصِم أنه قَرَأ:" {عذابا نكراً} مثقلة"(٣٤٤١).

قوله تعالى:{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا} [الطلاق : ٩]، أي:" فتجرَّعوا سوء عاقبة عتوهم وكفرهم"(٣٤٤٢).

عن السديّ، قوله: "{فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا}، قال: عقوبة أمرها"(٣٤٤٣).

قال قتادة:" يقول: عاقبة أمرها"(٣٤٤٤).

قال مجاهد:" جزاء أمرها"(٣٤٤٥).

قال عطاء الخراساني:" فَذاقتْ جزاء أمرها"(٣٤٤٦).

القرآن

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا (١١)} [الطلاق : ١٠-١١]

(٣٤٣٦)المسند (٤٢١/٢).
(٣٤٣٧) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٣٨) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣.
(٣٤٣٩) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢٣.
(٣٤٤٠) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٤١) الدر المنثور: ٢٠٩/٨، عزاه إلى عبد بن حميد.
(٣٤٤٢) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٤٣) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.
(٣٤٤٤) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.
(٣٤٤٥) أخرجه الطبري: ٤٦٦/٢٣.
(٣٤٤٦)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١١٦.

التفسير:
أعدَّ الله لهؤلاء القوم الذين طغَوا، وخالفوا أمره وأمر رسله، عذابًا بالغ الشدة، فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة الذين صدَّقوا الله ورسله وعملوا بشرعه. قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكرًا يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته. وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل؛ كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن يؤمن بالله ويعمل عملا صالحًا، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، قد أحسن الله للمؤمن الصالح رزقه في الجنة.

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [الطلاق : ١٠]، أي:" فخافوا الله واحذروا سخطه يا أصحاب العقول الراجحة"(٣٤٤٧).

عن السديّ، قوله: "{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ}، قال: يا أولي العقول"(٣٤٤٨).

قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا(١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ} [الطلاق : ١٠-١١]، أي:" أنتم يا معشر المؤمنين الذي صدقتم بالله ورسوله، قد أنزل الله إليكم -أيها المؤمنون- ذكرًا يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله والعمل بطاعته، وهذا الذكر هو الرسول يقرأ عليكم آيات الله موضحات لكم الحق من الباطل"(٣٤٤٩).

قال السدي:" الذكر: القرآن، والرسول: محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٣٤٥٠).

قوله تعالى:{لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الطلاق : ١١]، أي:" كي يخرج الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان"(٣٤٥١).

قال مجاهد:" {من الظلمات إلى النور} [الأحزاب: ٤٣] قال: «يعني من الضلالة إلى الهدى»"(٣٤٥٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [الطلاق : ١١]، أي: " ومن يؤمن بالله ويعمل عملا صالحًا، يدخله جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٣٤٥٣).

عن السُّدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"(٣٤٥٤).

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "(٣٤٥٥).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٣٤٥٦).

عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"(٣٤٥٧).

(٣٤٤٧) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٤٨) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣.
(٣٤٤٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٥٠) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢٣.
(٣٤٥١) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٥٢) تفسير مجاهد: ٦٤٨.
(٣٤٥٣) التفسير الميسر: ٥٥٩.
(٣٤٥٤)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(٣٤٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٣٤٥٦) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٣٤٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٣٤٥٨].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الطلاق : ١١]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[٣٤٥٩].

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"[٣٤٦٠].

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)} [الطلاق : ١٢]

التفسير:

الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعًا من الأرَضين، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبِّر به خلقه بين السموات والأرض؛ لتعلموا -أيها الناس- أن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} [الطلاق : ١٢]، أي:" الله وحده هو الذي خلق سبع سموات، وخلق سبعًا من الأرَضين"[٣٤٦١].

عن مجاهد، قال: "هذه الأرض إلى تلك مثل الفسطاط ضربته في فلاة، وهذه السماء إلى تلك السماء، مثل حلقة رميت بها في أرض فلاة"[٣٤٦٢].

عن الربيع بن أنس، قال: "السماء أوّلها موج مكفوف؛ والثانية صخرة؛ والثالثة حديد؛ والرابعة نحاس؛ والخامسة فضة؛ والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة"[٣٤٦٣].

عن مجاهد، قال: "هذا البيت الكعبة رابع أربعة عشر بيتًا في كل سماء بيت، كل بيت منها حذو صاحبه، لو وقع وقع عليه، وإن هذا الحرم حرمي بناؤه من السموات السبع والأرضين السبع"[٣٤٦٤].

قال قتادة: "خلق سبع سموات وسبع أرضين في كل سماء من سمائه، وأرض من أرضه، خلق من خلقه وأمر من أمره، وقضاء من قضائه"[٣٤٦٥].

عن قتادة قال: بينا النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جالس مرّة مع أصحابه، إذ مرّت سحابة، فقال النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم "أتدرون ما هَذَا؟ هَذِهِ العنَانُ، هَذِهِ رَوَايَا الأرْضِ يَسوقُهَا اللهُ إلى قَوْمٍ لا يَعْبُدُونَهُ"؛ قال: "أتَدْرُونَ مَا هَذِهِ السَّمَاءُ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "هَذِهِ السَّمَاءُ مَوْجٌ مَكْفُوفٌ، وَسَقْفٌ مَحْفُوظٌ"؛ ثُم قال: "أتَدْرُونَ مَا فَوْقَ ذَلِك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فَوْقَ ذَلك سَمَاءٌ أُخْرَى"، حتى عدّ سبع سموات وهو يقول: "أتَدْرُونَ مَا بَيْنَهُمَا؟ خَمْس مِئَةِ سَنَة"؛ ثم قال: "أتَدْرُونَ مَا فَوْق ذَلك؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ"، قال: "أتدرون ما بينهما؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم قال: "بَينَهُمَا خَمْسُ مِائَةِ سَنَةٍ"؛ ثُمَّ قَالَ: "أتَدْرُونَ مَا هذِهِ الأرْضُ؟ قالوا: الله وَرَسولُهُ أعلم، قَالَ: "تَحْتَ ذِلِكَ أرْضٌ"، قال: أتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالُوا: الله وَرسوله أعلم. قال: "بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، حتى عدّ سبع أرضين، ثم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي

(٣٤٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٣٤٥٩) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٣٤٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٣٤٦١) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٣٤٦٢) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(٣٤٦٣) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(٣٤٦٤) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

(٣٤٦٥) أخرجه الطبري: ٤٧٠/٢٣.

بِيَدِهِ لَوْ دُلِي رَجُلٌ بِحَبْلٍ حَتى يَبْلُغَ أَسْفَلَ الأَرْضِينَ السَّابِعَةِ لَهَبَطَ عَلَى اللهِ"؛ ثُم قَال: {هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"(٣٤٦٦).

عن قتادة، قال: "التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض، فقال بعضهم لبعض: من أين جئت؟ قال أحدهم: أرْسلني ربي من السماء السابعة، وتركته؛ ثمَّ، قال الآخر: أرسلني ربي من الأرض السابعة وتركته؛ ثمَّ، قال الآخر: أرسلني ربي من المشرق وتركته؛ ثمَّ، قال الآخر: أرسلني ربي من المغرب وتركته ثمَّ"(٣٤٦٧).

عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال : "ما لكم لا تتكلمون ؟ "فقال : وا نتفكر في خلق الله عز وجل قال "فكذلك فافعلوا تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها ساحتها - أو قال ساحتها نورها - مسيرة الشمس أربعين يومًا بها خلقُ الله تعالى لم يعصُوا الله طرفة عين قطّ "قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال "ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ "قالوا أمن ولد آدم ؟ قال "لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ "(٣٤٦٨).

عن سعيد بن جبَير، قال: "قال رجل لابن عباس {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ} ... الآية، فقال ابن عباس: ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر"(٣٤٦٩).

قوله تعالى:{يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ} [الطلاق : ١٢]، أي:" ، وأنزل الأمر مما أوحاه الله إلى رسله وما يدبِّر به خلقه بين السموات والأرض"(٣٤٧٠).

قال سعيد بن جبير:" السماء مَكفوفة، والأرض مَكفوفة"(٣٤٧١).

عن مجاهد، قوله: "{يَتَنزلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ}، قال: بين الأرض السابعة إلى السماء السابعة"(٣٤٧٢).

قال ابن كيسان: "وهذا على مجال اللغة واتساعها، كما يقول للموت أمر الله، وللرياح والسحاب ونحوها"(٣٤٧٣).

وقال قتادة: "في كل أرض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه، وأمر من أمره، وقضاء من قضائه"(٣٤٧٤).

عن الحسن البصري، في الآية، قال: "بين كلّ سماء وأرض خلْقٌ وأمْرٌ"(٣٤٧٥).

وقرئ: «ينزل الأمر»(٣٤٧٦).

(٣٤٦٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٠-٤٧١.

(٣٤٦٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧١.

(٣٤٦٨)الحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٤٠٨) وعزاه لابن أبي الدنيا، قال ابن كثير:" هذا حديث مرسل وهو منكر جدًا وعثمان بن أبي دهرش ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال : روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك". [انظر: تفسير ابن كثير: ٨/١٥٧، والجرح والتعديل: ٦/١٤٩].

(٣٤٦٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٠.

(٣٤٧٠) التفسير الميسر: ٥٥٩.

(٣٤٧١) الدر المنثور: ٨/٢١٠، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٤٧٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧١.

(٣٤٧٣) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٩/٣٤٢.

(٣٤٧٤) نقلا عن: الكشف والبيان في تفسير القرآن": ٩/٣٤٢.

(٣٤٧٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٠٠، وانظر: الدر المنثور: ٨/٢١٠، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٣٤٧٦) انظر: الكشاف: ٤/٥٦١.

«آخر تفسير سورة (الطلاق)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التحريم»

«سورة التحريم» هي السورة السادسة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة، وعدد آياتها اثنتا عشرة. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وستون. وفواصل آياتها: «منار»، على الألف آية فحسب: {أَبْكَارًا} [التحريم : ٥] [٣٤٧٧].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمدينة. قاله ابن عباس[٣٤٧٨].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة التحريم بالمدينة"[٣٤٧٩].

الثاني : أن أولها إلى تمام عشر آيات مدنية، وما بعدها أنزلت بمكة. حكي ذلك عن قتادة[٣٤٨٠].

قال ابن عاشور:" ولعله أراد إلى عشر آيات، أي: أن الآية العاشرة من المكي إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشرة مكية"[٣٤٨١].

قال القرطبي:" سورة التحريم مدنية في قول الجميع"[٣٤٨٢].

قال ابن الجوزي:" هي مدنيّة كلّها بإجماعهم"[٣٤٨٣].

قال الفيروزآبادي:" السورة مدنية بالاتفاق"[٣٤٨٤].

(٣٤٧٧) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧١/١، والتحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨

(٣٤٧٨) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٤٧٩) انظر: الدر المنثور: ٢١٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٤٨٠) انظر: الإتقان في علوم القرآن: ٤٤/١، قال السيوطي: " وقال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي حدثنا حجاج ابن منهال نبأنا هشام عن قتادة قال: "نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والحديد والرحمن والمجادلة والحشرو الممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويأيها النبي صلى الله عليه وسلم لم تحرم إلى رأس العشروإذا زلزلت وإذا جاء نصرا لله وسائر القرآن نزل بمكة".

(٣٤٨١) التحرير والتنوير: ٣٤٣/٢٨.

(٣٤٨٢) تفسير القرطبي: ١٧٧/١٨.

(٣٤٨٣) زاد المسير: ٣٠٤/٤.

(٣٤٨٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٦٩/١.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)} [التحريم : ١]

التفسير:

يا أيها النبي لِمَ تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك، تبتغي إرضاء زوجاتك؟ والله غفور لك، رحيم بك.

اختُلف في سبب نزول صدر هذه السورة على ثلاثة أقوال:

أحدها : ما روى عروة عن عائشة قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء، ويحب العسل، وكان إذا صلى العصر أجاز على نسائه فيدنو منهن، فدخل على حفصة، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقال لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فذكرت ذلك لسودة، قلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك، فقولي له: يا رسول الله، أكلت مغافير[٣٤٨٥]، فإنه سيقول: لا، فقولي له: ما هذه الريح، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جرست نحله العرفط[٣٤٨٦]، وسأقول ذلك: وقوليه أنت يا صفية، فلما دخل على سودة، قلت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو، لقد كدت أن أبادره بالذي قلت لي وإنه لعلى الباب، فرقا منك، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: «لا» قلت: فما هذه الريح؟ قال: «سقتني حفصة شربة عسل» قلت: جرست نحله العرفط، فلما دخل علي قلت له مثل ذلك، ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك، فلما دخل على حفصة قالت له: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: «لا حاجة لي به» قالت: تقول سودة: سبحان الله، لقد حرمناه، قالت: قلت لها: اسكتي"[٣٤٨٧].

وعن ابن جريج، قال: زعم عطاء، أنه سمع عبيد بن عمير، يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة: أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: «لا، بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له» فنزلت {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١]- إلى - {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ} [التحريم: ٤]، لعائشة وحفصة: {وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ} [التحريم: ٣] لقوله: «بل شربت عسلا»"[٣٤٨٨].

عن عبد الله بن شدّاد بن الهاد، قال: "نزلت هذه الآية في شراب: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِك}"[٣٤٨٩].

عن ابن أبي مليكة، قال: "نزلت في شراب"[٣٤٩٠].

(٣٤٨٥)المغافير: شيء حلو يشبه العسل. انظر: "اللسان" (غفر) ٦/ ٣٢٧٦./ والمغافير: صمغ يسيل من شجر العرفط حلو غير أن رائحته ليست بطيبة. "اللسان" ٢/ ٧٤٩ (عرفط).

(٣٤٨٦)جرست النحلة أي أكل ورعت، وهو لحسها إياه ثم تعسله، ولا يقال جرس بمعنى رعى إلا للنحل.

والعرفط (بضم العين والفاء وتسكين الراء): شجر خبيث الريح، وهو من أخبث المراعي، وقيل: هو شجر الطلح، وله صمغ كريه الرائحة، فهذا أكلته النحل حصل في عسلها من ريحه وهو المغافير. "اللسان" ١/ ٤٤٠ (جرس) ٢/ ٧٤٩ (عرفط).

قال الجوهري:" الجرس والجرس: الصوت الخفي. ويقال: سمعت جرس الطير، إذا سمعت صوت مناقيرها على شئ تأكله. وفي الحديث: " فيسمعون جرس طير الجنة ". قال الاصمعي: كنت في مجلس شعبة قال: " فيسمعون جرش طير الجنة " بالشين، فقلت: " جرس "، فنظر إلى فقال: خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا". [الصحاح"جرس":ص٣/٩١١-٩١٢]

(٣٤٨٧)صحيح. أخرجه البخاري ٦٩٧٢ عن عبيد بن إسماعيل بن عن عائشة. وأخرجه مسلم ١٤٧٤ ح ٢١ وأبو داود ٣٧١٥ وأبو يعلى ٤٨٩٦ من طرق عن أبي أسامة به. وأخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٨٣٢ من طريق علي بن مسهر عن هشام بن عروة به.

(٣٤٨٨) صحيح البخاري(٥٢٦٧):ص٧/٤٤، وأخرجه مسلم في الطلاق باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق رقم (١٤٧٤).

(٣٤٨٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٩.

(٣٤٩٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٨٠.

قال الحافظ: "وأخرج ابن مردويه من طريق ابن أبي مُليكة عن ابن عباس أنَّ شرب العسل كان عند سودة، وأنَّ عائشة وحفصة هما اللتان تواطأتا على وفق ما في رواية عبيد بن عمير وإن اختلفا في صاحبة العسل"[٣٤٩١].

قال الحافظ: ووقع في تفسير السُّدِّي أنَّ شرب العسل كان عند أم سلمة، أخرجه الطبري وغيره، وهو مرجوح لإرساله وشذوذه"[٣٤٩٢].

الثاني: أنها نزلت في شأن مارية أم إبراهيم خلا بها رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- في بيت حفصة بنت عمر وقد خرجت لزيارة أبيها ، فلما عادت وعلمت عتبت على النبي -صلى الله عليه وسلم- فحرمها على نفسه أرضاء لحفصة ، وأمرها أن لا تخبر أحداً من نسائه ، فأخبرت به عائشة لمصافاة كانت بينهما وكانت تتظاهران على نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- أي: تتعاونان ، فحرّم مارية وطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً ، وكان جعل على نفسه أن يُحرّمهن شهراً ، فأنزل اللّه هذه الآية ، فراجع حفصة واستحل مارية وعاد إلى سائر نسائه ، قاله عمر بن الخطاب[٣٤٩٣]، وابن عباس[٣٤٩٤]، والحسن[٣٤٩٥]، وقتادة[٣٤٩٦]، والشعبي[٣٤٩٧]، ومسروق[٣٤٩٨]، وزيد بن أسلم[٣٤٩٩]، والكلبي[٣٥٠٠]، وهو ناقل السيرة.

عن ابن عباس، قال: "قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان؟ قال: عائشة، وحفصة. وكان بدء الحديث في شأن أمِّ إبراهيم القبطية، أصابها النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في بيت حفصة في يومها، فوجدته حفصة، فقالت: يا نبيّ الله لقد جئت إليّ شيئًا ما جئتَ إلى أحد من أزواجك بمثله في يومي وفي دوري، وعلى فراشي، قال: "ألا تَرْضينَ أنْ أُحَرّمهَا فَلا أقْرَبَهَا؟ " قالت: بلى، فحرّمها، وقال: لا تَذْكُري ذَلِكَ لأحَدٍ"، فذكرته لعائشة، فأظهره الله عزّ وجلّ عليه، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} ... الآيات كلها، فبلغنا أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كفر يمينه، وأصاب جاريته"[٣٥٠١].

قال ابن عباس:" كانت حفصة وعائشة متحابتين وكانتا زوجتي النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فذهبت حفصة إلى أبيها، فتحدثت عنده، فأرسل النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى جاريته، فظلت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة، فوجدتهما في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها، وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جاريته، ودخلت حفصة فقالت: قد رأيت من كان عندك، والله لقد سُؤْتَنِي، فقال النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "واللهِ لأرْضِيَنَّكِ فَإنّي مُسِرّ إلَيْكِ سِرًا فَاحْفَظِيهِ"؛ قالت: ما هو؟ قال: "إنّي أُشْهِدُك أنَّ سُرِّيَّتَي هَذِهِ عَلَيَّ حَرَامٌ رِضًا لَكِ"، كانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فانطلقت حفصة إلى عائشة، فأسرّت إليها أن أبشري إن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قد حرّم عليه فتاته، فلما أخبرت بسرّ النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أظهر الله عزّ وجلّ النبيّ صَلَّى

(٣٤٩١)أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري(٥٨٢٦):ص١١٥٢/١١.

(٣٤٩٢)أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري(٥٨٢٨):ص١١٥٢/١١-١١٥٣.

(٣٤٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٣٤٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢٣، ٤٧٨.

(٣٤٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٣٤٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٣٤٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(٣٤٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣-٤٧٦.

(٣٤٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٥/٢٣.

(٣٥٠٠) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٦.

(٣٥٠١) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأنزل الله على رسوله لما تظاهرتا عليه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ} ... إلى قوله: {وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}"[٣٥٠٢].

قال مسروق: "آلى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وحرّم، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين"[٣٥٠٣].

عن أنس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أمة يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها على نفسه، فأنزل الله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم: ١] إلى آخر الآية"[٣٥٠٤].

عن زيد بن أسلم:" أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أصاب أمَّ إبراهيم في بيت بعض نسائه؛ قال: فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي، فجعلها عليه حراما؛ فقالت: يا رسول الله كيف تحرّم عليك الحلال؟ ، فحلف لها بالله ألا يصيبها، فأنزل الله عزّ وجل: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ}، قال زيد: فقوله أنت عليّ حرام لغو"[٣٥٠٥].

الثالث: ما رواه عكرمة، عن ابن عباس قال : "نزلت هذه الآية :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} ؟ في المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم"[٣٥٠٦].

قال عكرمة: "نزلت في المرأة التي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ عليه والسلام، ويقال لها أم شريك فأبى النبي -عليه السلام- أن يصلها لأجل امرأته"[٣٥٠٧].

قال ابن كثير:" هذا قول غريب، والصحيح أن ذلك كان في تحريمه العَسَل"[٣٥٠٨].

قال السمعاني:" في الآية قولان معروفان: أظهر القولين: أنها نزلت في تحريم رسول الله على نفسه مارية القبطية..وهو قول عامة المفسرين، عن ابن عباس في رواية: «أن الآية وردت في الواهبة نفسها للنبي»[٣٥٠٩]. وهو قول شاذ"[٣٥١٠].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ} [التحريم : ١]، أي:" يا أيها النبي لِمَ تمنع نفسك عن الحلال الذي أحله الله لك"[٣٥١١].

قال الشعبي:" حلف بيمين مع التحريم، فعاتبه الله في التحريم، وجعل له كفارة اليمين"[٣٥١٢].

عن زيد بن أسلم:" قال لها: أنت عليّ حرام، ووالله لا أطؤك"[٣٥١٣].

قال الضحاك:" كانت لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فتاة، فغشيها، فبصُرت به حفصة، وكان اليومُ يوم عائشة، وكانتا متظاهرتين، فقال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "اكْتُمي عَلَيَّ وَلا تَذْكُري لِعَائِشَةَ مَا رَأَيْتِ"، فذكرت حفصة لعائشة، فغضبت عائشة، فلم تزل بنبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى حلف أن لا يقربها أبدًا، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يكفر يمينه، ويأتي جاريته"[٣٥١٤].

(٣٥٠٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٧-٤٧٨.
(٣٥٠٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٦.
(٣٥٠٤) السنن الكبرى للنسائي(٨٨٥٧):ص٨/١٥٧.
(٣٥٠٥) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٥.
(٣٥٠٦) روه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٨/١٦٠.
(٣٥٠٧) الكشف والبيان: ٩/٣٤٤-٣٤٥.
(٣٥٠٨) تفسير ابن كثير: ٨/١٦٠.
(٣٥٠٩) ونقله عنه أيضا الماوردي في"النكت والعيون": ٣٨.
(٣٥١٠) تفسير السمعاني: ٥/٤٧٠.
(٣٥١١) التفسير الميسر: ٥٦٠.
(٣٥١٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٦.
(٣٥١٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٦.
(٣٥١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٤٧٦-٤٧٧.

عن قتادة :"أن النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حرّمها يعني جاريته، فكانت يمينًا"[٣٥١٥].

قال قتادة:" كان حرم فتاته القبطية أمَّ ولده إبراهيم يقال لها مارية في يوم حفصة، وأسرّ ذلك إليها، فأطلعت عليه عائشة، وكانتا تظاهران على نساء النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأحلّ الله له ما حرَّم على نفسه، فأمر أن يكفر عن يمينه، وعوتب في ذلك، فقال: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}، قال قتادة: وكان الحسن يقول حرّمها عليه، فجعل الله فيها كفارة يمين"[٣٥١٦].

عن ابن جُرَيْج، قال: "قلت لعطاء [بن أبي رباح]: الرجل يقول لامرأته: أنتِ عَلَيَّ حرامٌ. قال: يمين. ثم تلا: {يا أَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضاتَ أَزْواجِكَ} الآية. قلتُ: وإن كان أراد الطَّلاق، قد عَلِم مكان الطَّلاق. قال: وإن قال: أنتِ عليَّ كالدم، أو كلحم الخنزير، فهو كقوله: هي عليّ حرام"[٣٥١٧].

القرآن

{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢)} [التحريم : ٢]

التفسير:

قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام. والله ناصركم ومتولي أموركم، وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله.

سبب النزول:

عن عمر بن الخطاب، قال: "قال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لحفصة: «لا تُحدّثي أحدًا، وإنّ أُمّ إبراهيم عليّ حرام». فقالت: أتحرّم ما أحلَّ الله لك؟! قال: «فواللهِ، لا أقربها» فلم يَقْربها نفسها حتى أخبَرتْ عائشة؛ فأنزل الله: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ}"[٣٥١٨].

عن عائشة، قالت: "لمّا حَلف أبو بكر أن لا يُنفِق على مِسْطح؛ فأنزل الله: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ} فأحلَّ يمينه، وأنفَق عليه"[٣٥١٩].

عن مَسروق بن الأجْدع الهَمداني، وعامر الشعبي -من طريق داود- قالا: "آلى رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - من أمَته وحَرّمها؛ فأنزل الله: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمانِكُمْ}، وأنزل: {لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ}"[٣٥٢٠].

عن الضحاك بن مزاحم، قال: "كان قومٌ حلفوا على تحريم الحلال، فقالوا: أما إذ حلفنا وحرمنا على أنفسنا فإنه ينبغي لنا أن نبرَّ. فقال الله: {أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس} [البقرة: ٢٢٤]. ولم يجعل لها كفارة؛ فأنزل الله: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك}، {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم}. فأمر النبيُّ - عليه السلام - بالكفارة؛ لتحريم ما حرَّم على نفسه الجارية التي كان حرَّمها على نفسه، أمره أن يكفِّر يمينه ويعاود جاريته، ثم أنزل الله: {لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ} [البقرة: ٢٢٥]"[٣٥٢١].

(٣٥١٥) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢٣.

(٣٥١٦) أخرجه الطبري: ٤٧٨/٢٣-٤٧٩.

(٣٥١٧)أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٦/ ٣٩٩ (١١٣٥٧).

(٣٥١٨) أخرجه الهيثم بن كليب في مسنده -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ١٥٩ - ، والضياء في المختارة ١/ ٢٩٩ - ٣٠٠ (١٨٩)، من طريق نافع، عن ابن عمر، عن عمر.

قال ابن كثير: «هذا إسناد صحيح، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج».

(٣٥١٩)أخرجه الحارث بن أبي أسامة -كما في المطالب العالية (٤١٥٧) -.

(٣٥٢٠)أخرجه ابن سعد ٨/ ١٨٦.

(٣٥٢١) الدر المنثور: ٦٤٦/١، وعزاه إلى ابن المنذر.

عن زيد بن أسلم:" أنّ النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - حَرّم أُمّ إبراهيم، فقال: «هي عليّ حرام». فقال: «والله لا أقربَها» فنَزَلَتْ: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}"[٣٥٢٢].

قوله تعالى:{قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} [التحريم : ٢]، أي:" قد شرع الله لكم -أيها المؤمنون- تحليل أيمانكم بأداء الكفارة عنها، وهي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام"[٣٥٢٣].

عن مَسروق بن الأجْدع الهَمداني -من طريق الشعبي-: "أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - حَرّم جاريته، وآلى منها، فجعل الحلال حرامًا، وقال في اليمين: {قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}"[٣٥٢٤].

- عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم -من طريق أبي الحُويرث- قال: ... {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك} فكان ذلك التحريم حلالًا، ثم قال: {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} فكفّر رسولُ الله عن يمينه حين آلى"[٣٥٢٥].

عن ميمون بن مهران، في قوله: {تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ}، قال: يقول: "قد أحللتُ لك ما مَلكتْ يمينُك، فلِمَ تُحرّم ذلك وقد فَرضتُ لك تَحِلّة اليمين تُكفّر بها يمينك؟! كلّ ذلك في هذا"[٣٥٢٦].

قوله تعالى:{ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [التحريم : ٢]، أي:" والله ناصركم ومتولي أموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم، الحكيم في أقواله وأفعاله"[٣٥٢٧].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[٣٥٢٨]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[٣٥٢٩].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٣٥٣٠].

القرآن

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣)} [التحريم : ٣]

التفسير:

وإذ أسرَّ النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثا، فلما أخبرت به عائشة رضي الله عنها، وأطلعه الله على إفشائها سرَّه، أعلم حفصة بعض ما أخبرت به، وأعرض عن إعلامها بعضه تكرما، فلما أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت: مَن أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، قال: "دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمارية القِبْطيّة سُرِّيَّته بيت حفصة، فوجَدتْها معه، فقالت: يا رسول الله، في بيتي مِن بين بيوت نسائك! قال: «فإنها عليّ حرام أنْ أمسّها، واكتمي هذا عليّ». فخرجت حتى أتتْ عائشة، فقالت: ألا أُبشّرك! قالت: بماذا؟ قالت: وجدتُ مارية مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيتي، فقلتُ: يا رسول الله، في بيتي من بين بيوت نسائك! فكان أول السُّرور أنْ حَرّمها على نفسه، ثم قال لي: «يا حفصة، ألا أُبشّرك». فأعلمني أنّ أباكِ يلي الأمر من بعده،

(٣٥٢٢)أخرجه ابن سعد ٨/ ١٨٦.
(٣٥٢٣) التفسير الميسر: ٥٦٠.
(٣٥٢٤) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢٣.
(٣٥٢٥)أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/ ١٧٨.
(٣٥٢٦) الدر المنثور: ٢١٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٣٥٢٧) التفسير الميسر: ٥٦٠.
(٣٥٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(٣٥٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(٣٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

وأنّ أبي يليه بعد أبيكِ، وقد استكتمني ذلك، فاكتُميه. فأنزل الله: {يا أيُّها النَّبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: لِما كان منك، إلى قوله: {وإذْ أسَرَّ النَّبيُّ إلى بَعْضِ أزْواجِهِ حَدِيثًا}"[٣٥٣١].

قوله تعالى:{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} [التحريم : ٣]، أي:" وإذ أسرَّ النبي إلى زوجته حفصة -رضي الله عنها- حديثا"[٣٥٣٢].

عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم -من طريق أبي الحُويرث- قال: "{وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا}، يعني: حفصة"[٣٥٣٣].

قال ميمون بن مهران:" أسرّ إليها: «إنّ أبا بكر خليفتي من بعدي»"[٣٥٣٤].

قال الضحاك:" أسرّ إلى حفصة بنت عمر أنّ الخليفة مِن بعده أبو بكر، ومن بعد أبي بكر عمر"[٣٥٣٥].

عن الضَّحّاك بن مُزاحِم، قال: أتى النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - جاريةٌ له في يوم عائشة، وكانت عائشة وحفصة مُتَحابَّتَيْن، فأطلعتْ حفصة على ذلك، فقال لها: «لا تُخبري عائشة بما كان مِنِّي، وقد حَرّمتُها عَلَيَّ». فأفشَتْ حفصةُ سِرَّ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فأنزل الله: {يا أيها النَّبيّ لم تحرم} الآيات"[٣٥٣٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} [التحريم : ٣]، أي:" فلما أخبرت بذلك السرِّ عائشة-رضي الله عنها- وأفشته لها وأطلع الله نبيه بواسطة جبريل الامين على إفشائها للسرِّ، أعلمها وأخبرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ببعض الحديث الذي أفشته معاتباً لها، ولم يخبرها بجميع ما حصل منها حياءً منه وتكرماً "[٣٥٣٧].

عن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم -من طريق أبي الحُويرث- قال: "{فلما نبأت به} حين أخبَرتْ عائشة {وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به} يعني: حفصة، لما أخبره الله {قالت} حفصة: {من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير}"[٣٥٣٨].

عن مجاهد بن جبر، في قوله: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ} قال: الذي عرَّف أمر مارية، وأعرض في قوله: «إنّ أباكِ وأباها يَلِيان الناس بعدي». مخافة أن يَفشو"[٣٥٣٩].

قال الحسن البصري: ما استقصى كريمٌ قطّ، قال الله تعالى: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ} وذلك أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - لمّا رأى الكراهية في وجه حفصة أراد أن يتراضاها؛ فأسرّ إليها شيئين: تحريم

(٣٥٣١)أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٣ - ١٤ (٢٣١٦) مطولًا، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ١٥٥ (١٧٢٤) في ترجمة موسى بن جعفر الأنصاري، وابن مردويه في تفسيره -كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي ٤/ ٦٠ - من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير، عن عمّه، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة به.

قال العقيلي: «موسى بن جعفر الأنصاري مجهول بالنقل، لا يُتابع على حديثه، ولا يصحّ إسناده». وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٢٠١ (٨٨٥٣) في ترجمة موسى بن جعفر الأنصاري: «هذا باطل». وقال الهيثمي في المجمع ٧/ ١٢٦ - ١٢٧ (١١٤٢٥): «رواه الطبراني في الأوسط من طريق موسى بن جعفر بن أبي كثير، عن عمّه، قال الذهبي: مجهول، وخبره ساقط». قال السيوطي: «سند ضعيف».

(٣٥٣٢) التفسير الميسر: ٥٦٠.

(٣٥٣٣)أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/ ١٧٨.

(٣٥٣٤)أخرجه ابن عساكر ٣٠/ ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣٥٣٥)أخرجه أبو نعيم (١٧٧ - فضائل الخلفاء الأربعة).

(٣٥٣٦) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٥٣٧) صفوة التفاسير: ٣٨٤/٣.

(٣٥٣٨)أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠/ ١٧٨.

(٣٥٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٢٢):ص٣٣٦٢/١٠، وانظر: الدر المنثور: ٢١٨/٨.

الأمَة على نفسه، وتبشيرها بأنّ الخلافة بعده في أبي بكر وفي أبيها عمر - رضي الله عنهم -، فأخبَرتْ به حفصةُ عائشة، وأطلع اللهُ تعالى نبيَّه عليه"[٣٥٤٠].

عن عطاء الخُراسانيّ -من طريق شيخ- قال: ما استقصى حليمٌ قطّ؛ ألم تسمع إلى قوله: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ}"[٣٥٤١].

عن علي بن أبي طالب، قال:" ما استقصى كريمٌ قطّ؛ لأن الله تعالى يقول: {عَرَّفَ بَعْضَهُ وأعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ}"[٣٥٤٢].

وقرئ: «عَرَفَ»، بتخفيف الراء، بمعنى: عرف لحفصة بعض ذلك الفعل الذي فعلته من إفشائها سرّه، وقد استكتمها إياه، أي: غضب من ذلك عليها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وجازاها عليه؛ من قول القائل لمن أساء إليه: لأعرفنّ لك يا فلان ما فعلت، بمعنى: لأجازينك عليه؛ قالوا: وجازاها رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على ذلك من فعلها بأن طلقها[٣٥٤٣].

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} [التحريم : ٣]، أي:" فلما أخبرها بما أفشت من الحديث، قالت: مَن أخبرك بهذا؟ قال: أخبرني به الله العليم الخبير، الذي لا تخفى عليه خافية"[٣٥٤٤].

قال محمد بن جبير بن مطعم:" لما أخبره الله {قالت} حفصة: {من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير}"[٣٥٤٥].

القرآن

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤)} [التحريم : ٤]

التفسير:

إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وُجد منكما ما يوجب التوبة حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إفشاء سرِّه، وإن تتعاونا عليه بما يسوءه، فإن الله وليه وناصره، وجبريل وصالح المؤمنين، والملائكة بعد نصرة الله أعوان له ونصراء على مَن يؤذيه ويعاديه.

قوله تعالى:{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم : ٤]، أي:" إن ترجعا -يا حفصة وعائشة- إلى الله فقد وُجد منكما ما يوجب التوبة حيث مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، من إفشاء سرِّه"[٣٥٤٦].

عن قتادة: "{فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}، أي: مالت قلوبكما"[٣٥٤٧].

قال الضحاك:" قول: زاغت"[٣٥٤٨].

عن مجاهد، قال: كنا نرى أن قوله: {فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}: شيء هين، حتى سمعت قراءة ابن مسعود: «إن تَتُوبَا إلى اللهِ فَقَدْ زَاغَتْ قُلُوبُكُمَا»"[٣٥٤٩].

(٣٥٤٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٤٦ مختصرًا، وتفسير البغوي ٨/ ١٦٤.
(٣٥٤١)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٨٣٦١).
(٣٥٤٢) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٣٥٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٢/٢٣.
(٣٥٤٤) التفسير الميسر: ٥٦٠.
(٣٥٤٥) الدر المنثور: ٢١٨/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.
(٣٥٤٦) التفسير الميسر: ٥٦٠.
(٣٥٤٧) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.
(٣٥٤٨) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٣.
(٣٥٤٩) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢٣-٤٨٤.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحريم : ٤]، أي:" وإن تتعاونا على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بما يسوءه"[٣٥٥٠].

عن الضحاك:" {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}، يقول: على معصية النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأذاه"[٣٥٥١].

قال عمر بن الخطاب: "لما اعتزل نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم نساءه، دخلت عليه وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما شقّ عليك من شأن النساء، فلئن كنت طلقتهنّ فإن الله معك وملائكته، وجبرائيل وميكائيل، وأنا وأبو بكر معك، وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام، إلا رجوت أن يكون الله مصدّق قولي، فنزلت هذه الآية، آية التخيير: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ}، {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} ... الآية، وكانت عائشة ابنة أبي بكر وحفصة تتظاهران على سائر نساء النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣٥٥٢].

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم : ٤]، أي:" فإن الله وليه وناصره وجبريل كذلك وليه وناصره، والصالحون من المؤمنين"[٣٥٥٣].

وفي قوله تعالى:{ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} [التحريم : ٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم الأنبياء ، قاله قتادة[٣٥٥٤]، وزيد بن أسلم[٣٥٥٥]، والعلاء بن زياد العدوي[٣٥٥٦].

الثاني : أبو بكر وعمر، قال الضحاك وعكرمة : "لأنهما كانا أبوي عائشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما"[٣٥٥٧].

عن مجاهد، قوله: "{وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: أبو بكر وعمر"[٣٥٥٨].

عن الضحاك، قوله: " {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: أبو بكر وعمر"[٣٥٥٩].

قال الضحاك:" خيار المؤمنين أبو بكر الصدّيق وعمر"[٣٥٦٠].

عن عكرمة، وميمون بن مهران -من طريق فُرات- قالا: "أبو بكر، وعمر"[٣٥٦١].

الثالث: أنه عمر-رضي الله عنه-. قاله الحسن[٣٥٦٢]، وسعيد بن جبير[٣٥٦٣].

عن سعيد بن جبير في قوله: "{وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، قال: نزلت في عمر خاصة"[٣٥٦٤].

الرابع :أنه أبو بكر. قاله المسيّب بن شريك[٣٥٦٥].

الخامس: أبو بكر وعمر وعثمان-رضي الله عنهم-. وهذا قول الحسن البصري[٣٥٦٦].

السادس : أنهم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ، قاله السدي[٣٥٦٧].

(٣٥٥٠) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.
(٣٥٥١) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٣٥٥٢) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢٣-٤٧٦.
(٣٥٥٣) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.
(٣٥٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.
(٣٥٥٥) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.
(٣٥٥٦) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩.
(٣٥٥٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٤١/٦.
(٣٥٥٨) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٣٥٥٩) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٣٥٦٠) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣.
(٣٥٦١)عزاه السيوطي إلى ابن عساكر. وأخرجه ابن عساكر ٣٠/ ٢٣٣ عن ميمون بن مهران وحده.
(٣٥٦٢) الدر المنثور: ٢١٩/٨، وعزاه إلى ابن عساكر.
(٣٥٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٤):ص٣٣٦٢/١٠.
(٣٥٦٤) تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٢٤):ص٣٣٦٢/١٠.
(٣٥٦٥)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٤٨.
(٣٥٦٦) حكاه عنه ابن كثير في "التفسير": ١٦٤/٨.

وقال الكلبي: "هم المخلصون الذين ليسوا بمنافقين"[٣٥٦٨].
السابع : أنهم خيار المؤمنين. قاله الضحاك[٣٥٦٩].
فمن أصحّ ما قيل فيه: إنه لكل صالح من المؤمنين، ولا يخصّ به واحد إلّا بتوقيف[٣٥٧٠]، فإن قوله: {وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ}، وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو بمعنى قوله: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ}، فالإنسان وإن كان في لفظ واحد، فإنه بمعنى الجميع، وهو نظير قول الرجل: لا تقْرِيَنّ إلا قارئ القرآن، يقال: قارئ القرآن، وإن كان في اللفظ واحدًا، فمعناه الجمع، لأنه قد أذن لكل قارئ القرآن أن يقريه، واحدًا كان أو جماعة[٣٥٧١].

القرآن
{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥)} [التحريم : ٥]
التفسير:
عسى ربُّه إن طلقكنَّ -أيتها الزوجات- أن يزوِّجه بدلا منكن زوجات خاضعات لله بالطاعة، مؤمنات بالله ورسوله، مطيعات لله، راجعات إلى ما يحبه الله مِن طاعته، كثيرات العبادة له، صائمات، منهنَّ الثيِّبات، ومنهن الأبكار.
سبب النزول:
عن أنس، عن عمر، قال: "بلغني عن بعض أمهاتنا، أمهات المؤمنين شدّة على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأذاهنّ إياه، فاستقريتهنّ امرأة امرأة، أعظها وأنهاها عن أذى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وأقول: إن أبيتنّ أبدله الله خيرًا منكنّ، حتى أتيت، حسبت أنه قال على زينب، فقالت: يا ابن الخطاب، أما في رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ما يعظ نساءه حتى تعظهنّ أنت؟ فأمسكت، فأنزل الله: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُن}"[٣٥٧٢].
قوله تعالى:{عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ} [التحريم : ٥]، أي:" أي حقٌّ واجب على الله إن طلقكنَّ رسوله، أن يعطيه -عليه السلام- بدلكنَّ زوجاتٍ صالحاتٍ خيراً وأفضل منكنَّ"[٣٥٧٣].
عن عاصم أنه قرأ: "{عَسى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَهُ} خفيفة مرفوعة"[٣٥٧٤].
وقرئ: «يبدِّله أزواجا»، بتشديد الدال، من التبديل[٣٥٧٥].
قوله تعالى:{مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ} [التحريم : ٥]، أي:" خاضعات مستسلماتٍ لأمر الله تعالى وأمر رسوله مصدقاتٍ بالله وبرسوله، مطيعات لما يُؤمرن به، مواظباتٍ على الطاعة"[٣٥٧٦].
عن قتادة، وابن زيد:"{قَانِتَاتٍ}، قال: مطيعات"[٣٥٧٧].

(٣٥٦٧) حكاه الماوردي في "النكت والعيون": ٤١/٦.
(٣٥٦٨) حكاه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٤٨/٩.
(٣٥٦٩) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٣-٤٨٧.
(٣٥٧٠) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.
(٣٥٧١) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢٣.
(٣٥٧٢) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢٣.
(٣٥٧٣) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.
(٣٥٧٤) انظر: تفسير الطبري :٤٨٩/٢٣، عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وهي قراءة متواترة، قرأ بها العشرة ما عدا نافعًا، وأبا جعفر، وأبا عمرو؛ فإنهم قرؤوا: «أن يُبَدِّلَهُ» بالتشديد. انظر: النشر ٢/ ٣١٤، والإتحاف ص ٥٤٨.
(٣٥٧٥) انظر: تفسير الطبري :٤٨٩/٢٣.
(٣٥٧٦) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.
(٣٥٧٧) أخرجه الطبري :٤٨٩/٢٣.

قوله تعالى:{تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ} [التحريم : ٥]، أي:" تائباتٍ من الذنوب، ولا يصررن على معصية، تعبدات لله تعالى يكثرن العبادة، كأنَّ العبادة امتزجت بقلوبهن حتى صارت سجيةً لهن، مسافراتٍ مهاجراتٍ إلى الله ورسوله"[٣٥٧٨].

وفي قوله تعالى:{سَائِحَاتٍ} [التحريم : ٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : صائمات، وهو الحسن[٣٥٧٩]، وإبراهيم النخعي[٣٥٨٠]، وأبي عبد الرحمن السلمي[٣٥٨١]، وابن جبير[٣٥٨٢]، وأبي الحسن[٣٥٨٣]، وأبي عياض[٣٥٨٤]، وعطاء[٣٥٨٥]، وقتادة[٣٥٨٦]، والضحاك[٣٥٨٧]،ووهب بن منبه[٣٥٨٨]، والربيع بن أنس[٣٥٨٩]، وأبي عمرو العبدي[٣٥٩٠]، والسدي[٣٥٩١].

قال الماوردي:" وقال الزهري : "قيل للصائم سائح لأن الذي كان يسيح في الأرض متعبداً لا زاد معه كان ممسكاً عن الأكل، والصائم يمسك عن الأكل ، فلهذه المشابهة سمي الصائم سائحاً ، وإن أصل السياحة الاستمرار على الذهاب في الأرض كالماء الذي يسيح ، والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المشتهى ، وهو الأكل والشرب والوقاع . وعندي فيه وجه آخر وهو أن الإنسان إذا امتنع عن الأكل والشرب والوقاع وسد على نفسه أبواب الشهوات انفتحت عليه أبواب الحكم وتجلت له أنوار المتنقلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة فتحصل له سياحة في عالم الروحانيات"[٣٥٩٢].

الثاني : مهاجرات، لأنهن بسفر الهجرة سائحات ، قاله زيد بن أسلم[٣٥٩٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} [التحريم : ٦]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار وقودها الناس والحجارة، يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا} [التحريم : ٦]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، احفظوا أنفسكم بفعل ما أمركم الله به وترك ما نهاكم عنه، واحفظوا أهليكم بما تحفظون به أنفسكم من نار حامية مستعمرة"[٣٥٩٤].

(٣٥٧٨) صفوة التفاسير: ٣٨٥/٣.

(٣٥٧٩)انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٤):ص٥٠٤/١٤، والنكت والعيون: ٤٢/٦.

(٣٥٨٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(٣٥٨١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٣٥٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٧٢٩٤):ص٥٠٣/١٤، والنكت والعيون: ٤٢/٦.

(٣٥٨٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٣٥٨٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٣٥٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٩):ص٥٠٥/١٤، و تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٣٥٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٣٥٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

(٣٥٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٧٣١١):ص٥٠٥/١٤..

(٣٥٨٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٨٩٠/٦ حكاه دون ذكر السند.

(٣٥٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٧٣٠٢):ص٥٠٤/١٤.

(٣٥٩١) انظر: تفسير ابن كثير: ١٦٥/٨.

(٣٥٩٢) النكت والعيون: ٤٢/٦.

(٣٥٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٣.

قال مجاهد:" اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله"[٣٥٩٥].

قال قتادة:" مروهم بطاعة الله، وأنهوهم عن معصيته"[٣٥٩٦].

قال قتادة:" يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليه بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها، وزجرتهم عنها"[٣٥٩٧].

وفي معنى هذه الآية ما رواه عبد الملك بن الربيع بن سَبْرَة، عن أبيه، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين، فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها"[٣٥٩٨][٣٥٩٩].

قوله تعالى:{وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم : ٦]، أي:" حطبها الذي تُسعَّر به نار جهنم هو الخلائق والحجارة"[٣٦٠٠].

وفي {الْحِجَارَةُ} [التحريم : ٦]، قولان:

أحدهما : أنها حجارة من كبريت، وهذا قول أبي جعفر الباقر[٣٦٠١]، ومجاهد[٣٦٠٢]، والسدي[٣٦٠٣].

قال السدي:" فأما الحجارة فهي حجارة في النار من كبريت أسود يعذبون به مع النار"[٣٦٠٤].

وقال مجاهد:" حجارة -أنتن من الجيفة- من كبريت"[٣٦٠٥].

الثاني: أنها حجارة أصلب من هذه الحجارة التي في الدنيا وأعظم. وهذا قول عمرو بن دينار[٣٦٠٦].

عن عبد العزيز بن أبي أرواد - رضي الله عنه - قال: "بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} [التحريم: ٦]، ولفظ الحكيم: لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية، تلاها على أصحابه - وفيهم شيخ - ولفظ الحكيم: فتى. فقال: يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا». فوقع مغشيا عليه، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فإذا هو حي، فناداه فقال: قل لا إله إلا الله. فقالها، فبشره بالجنة، فقال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال: نعم يقول الله عز وجل: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن : ٤٦]، {ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم : ١٤]"[٣٦٠٧].

قوله تعالى:{عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]، أي:" يقوم على تعذيب أهلها ملائكة أقوياء قساة في معاملاتهم، لا يخالفون الله في أمره، وينفذون ما يؤمرون به بدون إمهال ولا تأخير"[٣٦٠٨].

(٣٥٩٤) التفسير الميسر: ٥٦٠، وصفوة التفاسير: ٣٨٦/٣

(٣٥٩٥) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣-٤٩٢.

(٣٥٩٦) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣-٤٩٢.

(٣٥٩٧) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢٣-٤٩٢.

(٣٥٩٨)المسند (٤٠٤/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٩٤)، و(٤٩٥)، وسنن الترمذي برقم (٤٠٧).

(٣٥٩٩)قال الفقهاء : "وهكذا في الصوم ؛ ليكون ذلك تمرينًا له على العبادة، لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر". [نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨].

(٣٦٠٠) صفوة التفاسير: ٣٨٦/٣.

(٣٦٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦٤/١، حكاه بدون سند، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦٧/٨.

(٣٦٠٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٦):ص٦٤/١.

(٣٦٠٣) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٥):ص٦٤/١.

(٣٦٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٤٥):ص٦٤/١.

(٣٦٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٤٦):ص٦٤/١.

(٣٦٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٧):ص٦٥/١.

(٣٦٠٧)أخرجه ابن أبي حاتم (١٢٢٢٩): ص ٧/ ٢٢٣٧ - ٢٢٣٨.

(٣٦٠٨) التفسير الميسر: ٥٦٠.

عن إسماعيل بن عبيد الله، قال: "كان داود - عليه السلام - يُعاتَب في كثرة البكاء، فيقول: ذَروني أبكِ قبل يوم البكاء؛ قبل تحريق العظام، واشتعال اللّحى، قبل أنْ يؤمر بي {مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ}"[٣٦٠٩].

عن عبد العزيز بن أبي رَوّاد، قال: "مرّ عيسى - عليه السلام - بجبل مُعلّق بين السماء والأرض، فدخل فيه، وبكى، وتعجّب مَن حوله، ثم خرج إلى مَن حوله، فسأل: ما قصة هذا الجبل؟ فقالوا: مالنا به علم، كذلك أدركنا آباءَنا. فقال: يا ربّ، ائذن لهذا الجبل يُخبرني ما قصّته. فأذِن له، فقال: لما قال الله: {وقُودُها النّاسُ والحِجارَةُ} طِرتُ؛ خِفتُ أنْ أكون من وقودها، فادعُ الله أن يُؤمّنني. فدعا الله تعالى، فأمّنه، فقال: الآن قَررتُ. فقرّ على الأرض"[٣٦١٠].

عن كعب الأحبار، قال: "ما بين مَنكِبي الخازن مِن خَزنتها مسيرة سنة، مع كلّ واحد منهم عمود له شُعبتان، يَدفع به الدّفعة، يَصرَع به في النار سبعمائة ألف"[٣٦١١].

أبي عمران الجَوْنَي، قال:" بلَغنا: أنّ خَزنة النار تسعة عشر، ما بين مَنكِب أحدهم مسيرة مائة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خُلقوا للعذاب، يَضرب المَلك منهم الرجل من أهل النار الضّربة فيتركه طحينًا من لدن قَرْنه إلى قدمه"[٣٦١٢].

عن محمد بن أبي عامر المكي، قال: "خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق البهائم من ماء، وخلق آدم من طين، فجعل الطاعة في الملائكة، وجعل المعصية في الجن والإنس"[٣٦١٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨)} [التحريم : ٨]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعا لا معصية بعده، عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم، وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يُعلي شأنهم، نور هؤلاء يسير أمامهم وبأيمانهم حال مشيهم على الصِّراط بقدر أعمالهم، يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة، واعف عنَّا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا، إنك على كل شيء قدير.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم : ٨]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ارجعوا عن ذنوبكم إلى طاعة الله رجوعا لا معصية بعده"[٣٦١٤].

قال مجاهد:" يستغفرون ثم لا يعودون"[٣٦١٥].

قال الضحاك:" النصوح. أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدًا"[٣٦١٦].

قال قتادة:" هي الصادقة الناصحة"[٣٦١٧].

(٣٦٠٩)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٤٧ (٢٢١) -.

(٣٦١٠) الدر المنثور: ٢٢٥/٨-٢٢٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٦١١) أخرجه الطبري: ٢٣١/١٨.

(٣٦١٢)أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (٣١٢) بنحوه.

(٣٦١٣) الدر المنثور: ٢٢٥/٨، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣٦١٤) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦١٥) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٣٦١٦) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣.

(٣٦١٧) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢٣-٤٩٥.

قال الحسن:" التوبة النصوح : أن تُبغِض الذنبَ كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته[٣٦١٨].
وعن شهر بن حوشب: "أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار"[٣٦١٩].
وعن ابن السماك: "أن تنصب الذنب الذي أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك"[٣٦٢٠].
وعن السدى: "لا تصح التوبة إلا بنصيحة النفس والمؤمنين، لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله"[٣٦٢١].
وقرئ: «نُصْوحًا»، بضمّ النون، بمعنى المصدر من قولهم: نصح فلان لفلان نُصُوحًا[٣٦٢٢].
قوله تعالى:{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [التحريم : ٨]، أي:" عسى ربكم أن يمحو عنكم سيئات أعمالكم"[٣٦٢٣].
قال أبو مالك: " كل شيء في القران: {عسى}، فهو واجب الا حرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن}[٣٦٢٤]، وفي بني اسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُم}[٣٦٢٥]"[٣٦٢٦]. وروي عن الضحاك[٣٦٢٧]، والحسن[٣٦٢٨]، والسدي[٣٦٢٩]، وابن إسحاق[٣٦٣٠]، نحو ذلك.
قوله تعالى:{وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحريم : ٨]، أي:" وأن يدخلكم جنات تجري من تحت قصورها الأنهار"[٣٦٣١].
عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٣٦٣٢].
قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٣٦٣٣].
عن أبي مالك قوله: "{تجري من تحتهم الأنهار}، يعني: تحت منازلهم وأرضهم"[٣٦٣٤].
قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"[٣٦٣٥].
قوله تعالى:{يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [التحريم : ٨]، أي:" يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه، ولا يعذبهم، بل يُعلي شأنهم، نور هؤلاء المؤمنين يسير أمامهم وبأيمانهم حال مشيهم على الصِّراط بقدر أعمالهم"[٣٦٣٦].

(٣٦١٨) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٦٩/٨.
(٣٦١٩) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.
(٣٦٢٠) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.
(٣٦٢١) حكاه عنه الزمخشري في "الكشاف": ٥٦٩/٤.
(٣٦٢٢) انظر: تفسير الطبري :٤٩٥/٢٣.
(٣٦٢٣) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٢٤)[التحريم : ٥].
(٣٦٢٥)[الإسراء : ٨].
(٣٦٢٦)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٢/ ٣٨٣.
(٣٦٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٦٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٧٤/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٦٢٩) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢-٣٤٨.
(٣٦٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.
(٣٦٣١) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.
(٣٦٣٣) تفسير مجاهد: ٤٩٦.
(٣٦٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٣٨):ص١٩٢٩/٦.
(٣٦٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.
(٣٦٣٦) التفسير الميسر: ٥٦١.

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: "كان يذكّرنا ويبكي، ويصدِّق قولَه فعلُه، يقول: يا أيها الناس، إنكم مكتوبون عند الله - عز وجل - بأسمائكم وسِيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلائكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان ابن فلان، هاك نورك، ويا فلان ابن فلان، لا نور لك"(٣٦٣٧).

قوله تعالى:{يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} [التحريم : ٨]، أي:" يقولون: ربنا أتمم لنا نورنا حتى نجوز الصراط، ونهتدي إلى الجنة"(٣٦٣٨).

عن مجاهد، قوله: "{رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}، قال: قول المؤمنين حين يُطفأ نور المنافقين"(٣٦٣٩).

قال الحسن: "ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، يعطى المؤمن والمنافق، فيطفأ نور المنافق، فيخشى المؤمن أن يطفأ نوره، فذلك قوله: {رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}"(٣٦٤٠).

عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: "كان يذكرنا ويبكي، ويصدّق قوله فعله، يقول: يا أيها الناس إنكم مكتوبون عند الله عزّ وجلّ بأسمائكم وسيماكم، ومجالسكم ونجواكم وخلاتكم، فإذا كان يومُ القيامة قيل: يا فلانُ ابْنَ فلان هاكَ نورَك، ويا فلانُ ابْنَ فلان، لا نور لك"(٣٦٤١).

قوله تعالى:{وَاغْفِرْ لَنَا} [التحريم : ٨]، أي:" واعف عنَّا وتجاوز عن ذنوبنا واسترها علينا"(٣٦٤٢).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٣٦٤٣).

قوله تعالى:{إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم : ٨]، أي:" إنك أنت القادر على كل شيء، من المغفرة والعقاب، والرحمة والعذاب"(٣٦٤٤).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٣٦٤٥).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩)} [التحريم : ٩]

التفسير:

يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقاتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما، ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم، وقَبُح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التحريم : ٩]، أي:" يا أيها النبي جاهد الذين أظهروا الكفر وأعلنوه، وقاتلهم بالسيف، وجاهد الذين أبطنوا الكفر وأخفوه بالحجة وإقامة الحدود وشعائر الدين، واستعمل مع الفريقين الشدة والخشونة في جهادهما"(٣٦٤٦).

قال الحسن:" جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالحدود، أقم عليهم حدودَ الله"(٣٦٤٧).

(٣٦٣٧) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.
(٣٦٣٨) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٣٩) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.
(٣٦٤٠) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.
(٣٦٤١) أخرجه الطبري: ٤٩٦/٢٣.
(٣٦٤٢) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٣٦٤٤) صفوة التفاسير: ٢٨٧/٣.
(٣٦٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.
(٣٦٤٦) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٤٧) أخرجه الطبري(١٦٩٦٥):ص٣٥٩/١٤.

قال قتادة:" أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف، ويغلظ على المنافقين بالحدود"[٣٦٤٨].

وقال الضحاك:" جاهد الكفار بالسيف، وأغلظ على المنافقين بالكلام، وهو مجاهدتهم"[٣٦٤٩].

قال الضحاك:" واغلظ على المنافقين بالكلام"[٣٦٥٠].

قال ابن عباس:" أذهب الرفق عنهم"[٣٦٥١].

قال الضحاك:" جاهد المنافقين بالقول"[٣٦٥٢]. وروي عن مقاتل بن حيان والربيع بن أنس: مثله[٣٦٥٣].

عن الحسن:" المنافقين بالحدود"[٣٦٥٤]. وروي عن قتادة: مثله"[٣٦٥٥].

قال الربيع:" جهاد المنافقين: ألا تظهر منهم معصية إلا أطفيت، ولا حدا إلا أقيم"[٣٦٥٦].

قال ابن عباس:" فأمره الله أن يجاهد الكفار بالسيف"[٣٦٥٧]. وروي عن الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان والربيع بن أنس: مثله[٣٦٥٨].

قوله تعالى:{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [التحريم : ٩]، أي:" ومسكنهم الذي يصيرون إليه في الآخرة جهنم"[٣٦٥٩].

قال محمد بن إسحاق: "ومأواهم (جهنم)، النار، أي: فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم، ما اعتصمتم بي، واتبعتم أمري، للمعصية التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم"[٣٦٦٠].

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التحريم : ٩]، أي:" وقُبح ذلك المرجع الذي يرجعون إليه"[٣٦٦١].

عن ابن أبي نجيح، قوله: "{وبئس المصير}، قال: مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي نجيح: سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره"[٣٦٦٢].

القرآن

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠)} [التحريم : ١٠]

التفسير:

ضرب الله مثلا لحال الكفرة -في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله- بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط: حيث كانتا في عصمة عبدَين من عبادنا

(٣٦٤٨) أخرجه الطبري :٢٣/٤٩٧.

(٣٦٤٩) أخرجه الطبري(١٦٩٦٤):ص١٤/٣٥٩.

(٣٦٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٧):ص٦/١٨٤٢.

(٣٦٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٦):ص٦/١٨٤٢.

(٣٦٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٥):ص٦/١٨٤٢.

(٣٦٥٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦/١٨٤٢.

(٣٦٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٢):ص٦/١٨٤١.

(٣٦٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦/١٨٤١.

(٣٦٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٣):ص٦/١٨٤١.

(٣٦٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠١):ص٦/١٨٤١.

(٣٦٥٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٦/١٨٤١.

(٣٦٥٩) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٨):ص٦/١٨٤٢.

(٣٦٦١) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص٦/١٨٤٢.

صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين، فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئًا، وقيل للزوجتين: ادخلا النار مع الداخلين فيها.

قوله تعالى:{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا} [التحريم : ١٠]، أي:" ضرب الله مثلا لحال الكفرة -في مخالطتهم المسلمين وقربهم منهم ومعاشرتهم لهم، وأن ذلك لا ينفعهم لكفرهم بالله- بحال زوجة نبي الله نوح، وزوجة نبي الله لوط، :" حيث كانتا في عصمة عبدَين من عبادنا صالحين، فوقعت منهما الخيانة لهما في الدين، فقد كانتا كافرتين"(٣٦٦٣).

عن عكرمة: "{فَخَانَتَاهُمَا}، قال: في الدين"(٣٦٦٤).

قال عكرمة:" وكانت خيانتهما أنهما كانتا مشركتين"(٣٦٦٥).

قال الضحاك:" كانتا مخالفتين دين النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كافرتين بالله"(٣٦٦٦).

قال الضحاك:" ما بغت امرأة نبيّ قط، {فَخَانَتَاهُمَا}، قال: في الدين خانتاهما"(٣٦٦٧).

عن أبي معاوية البجلي، قال: "سألت سعيد بن جبير: ما كانت خيانة امرأة لوط وامرأة نوح؟ فقال: أما امرأة لوط، فإنها كانت تدلّ على الأضياف؛ وأما امرأة نوح فلا علم لي بها"(٣٦٦٨).

عن الحسن البصري، قال: "امرأة النبيِّ إذا زَنتْ لم يُغفَر لها"(٣٦٦٩).

عن أشرس الخُراسانيّ، يرفعه إلى النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -، أنه قال: «ما بغَت امرأةُ نبيٍّ قطّ»(٣٦٧٠).

قوله تعالى:{فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا} [التحريم : ١٠]، أي:" فلم يدفع هذان الرسولان عن زوجتيهما من عذاب الله شيئًا"(٣٦٧١).

قال قتادة:" يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئًا، وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون"(٣٦٧٢).

عن قتادة، قوله: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ}، ... الآية، هاتان زوجتا نَبِيَّ الله لما عصتا ربهما، لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئًا"(٣٦٧٣).

القرآن

{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١)} [التحريم : ١١]

التفسير:

وضرب الله مثلا لحال المؤمنين -الذين صدَّقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم- بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة

(٣٦٦٣) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٦٤) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.
(٣٦٦٥) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.
(٣٦٦٦) أخرجه الطبري :٤٩٧/٢٣-٤٩٨.
(٣٦٦٧) أخرجه الطبري :٤٩٧/٢٣-٤٩٨.
(٣٦٦٨) أخرجه الطبري: ٤٩٨/٢٣.
(٣٦٦٩) الدر المنثور: ٢٢٨/٨.
(٣٦٧٠)أخرجه ابن عساكر ٥/ ٣١٨.
(٣٦٧١) التفسير الميسر: ٥٦١.
(٣٦٧٢) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٣.
(٣٦٧٣) أخرجه الطبري: ٤٩٩/٢٣.

بالله، حين قالت: رب ابْنِ لي دارًا عندك في الجنة، وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته، ومما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم.

قوله تعالى:{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ} [التحريم : ١١]، أي:" وضرب الله مثلا لحال المؤمنين -الذين صدَّقوا الله، وعبدوه وحده، وعملوا بشرعه، وأنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين في معاملتهم- بحال زوجة فرعون التي كانت في عصمة أشد الكافرين بالله، وهي مؤمنة بالله"(٣٦٧٤).

عن قتادة، قوله: "{وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ}، وكان أعتى أهل الأرض على الله، وأبعده من الله، فو الله ما ضرّ امرأته كُفر زوجها حين أطاعت ربها، لتعلموا أن الله حكم عدل، لا يؤاخذ عبده إلا بذنبه"(٣٦٧٥).

عن القاسم بن أبي بَزَّة، قال: "كانت امرأة فرعون تسأل من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون. فتقول: آمنت بربّ موسى وهارون؛ فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فإن مضت على قولها فألقوها عليها، وإن رجعت عن قولها فهي امرأته؛ فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح"(٣٦٧٦).

عن أبي العالية الرِّياحِيّ -من طريق الربيع بن أنس- قال: "كان إيمان امرأةِ فرعون من قِبَل امرأةِ خازن فرعون، وكان إيمان خازن فرعون مِن أثر يوسف، وأن امرأة خازن فرعون مشطت ابنة فرعون يومًا، فوقع منها المشط، فقالت: تعس مَن كفر بالله. فقالت لها بنتُ فرعون: ألك ربٌّ غير أبي؟! فقالت: ربي وربُّ أبيك وربُّكِ وربُّ كلِّ شيء اللهُ. فلطمتها ابنةُ فرعون، وضربتها، وأخبرت أباها، فأرسل إليها فرعون، فقال لها: أتعبدين ربًّا غيري؟ فقالت: ربِّي وربُّك وربُّ كل شيء الله، وإياه أعبد. فكذبها فرعون، وأوتد لها أوتادًا، فشدَّ يديها ورجليها، وأرسل عليها الحيّات، وكانت كذلك فأتى عليها يومًا فقال لها: أما أنت منتهية؟ فقالت له: ربي وربك ورب كل شيء الله. فقال لها: فإنِّي ذابحٌ ابنَك في فيك إن لم ترجعي. فقالت له: اقض ما أنت قاض. فذبح ابنها في فيها، وأن روح ابنها بشَّرها، فقال لها: اصبري، يا أمَّه؛ فإنّ لك عند الله من الثواب كذا وكذا. فصبرت، ثم أتى عليها فرعون يومًا آخر، فقال لها مثل ذلك، فقالت له مثل ذلك، فذبح ابنها الأصغر في فيها، فبشَّرها روحه أيضًا، وقال لها: اصبري، يا أمّه؛ فإنّ لكِ عند الله مِن الثواب كذا وكذا، وذلك كله بعين امرأة فرعون، وسمعت كلام روح ابنها الأكبر، ثم الأصغر، فآمنت امرأةُ فرعون، وقُبض روح امرأة خازن فرعون، وكُشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها في الجنة لامرأة فرعون حتى رأته، فازدادت إيمانًا ويقينًا وتصديقًا، واطَّلع فرعون على إيمانها، فخرج إلى الملأ، فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها، فقال لهم: فإنها تعبد ربًّا غيري. فقالوا له: اقتلها. فأوتد لها أوتادًا، وشد يديها ورجليها، فدعت آسية ربها، فقالت: {رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين}، فكشف لها الغطاء، فنظرت إلى بيتها بيِّنًا في الجنة، ووافق ذلك أن حضرها فرعون، فضحكت حين رأت بيتها بيِّنًا في الجنة، فقال فرعون: ألا تعجبون مِن جنونها؛ إنّا نُعذِّبها وهي تضحك؟ فقُبض روحها"(٣٦٧٧).

قوله تعالى:{إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ} [التحريم : ١١]، أي:" حين قالت: رب ابْنِ لي دارًا عندك في الجنة"(٣٦٧٨).

عن الحسن:" إنه[أي: بيته] من درة"(٣٦٧٩).

(٣٦٧٤) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٧٥) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٣٦٧٦) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٣.

(٣٦٧٧)أخرجه آدم بن أبي إياس مطولًا -كما في تفسير مجاهد ص ٥٢٢ ــ ٥٢٤، رواه أبو جعفر الرازي كما في تفسير ابن كثير: ١٧٢/٨-١٧٣.

(٣٦٧٨) التفسير الميسر: ٥٦١.

قال الحسن البصري: "رفع اللهُ امرأةَ فرعون إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب"[٣٦٨٠].

قوله تعالى:{وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم : ١١]، أي:" وأنقذني من سلطان فرعون وفتنته، ومما يصدر عنه من أعمال الشر، وأنقذني من القوم التابعين له في الظلم والضلال، ومن عذابهم"[٣٦٨١].

قال الحسن وابن كيسان:" نجاها الله أكرم نجاة، ورفعها إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب"[٣٦٨٢].

القرآن

{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)} [التحريم : ١٢]

التفسير:

وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعيسى عليه السلام، وصدَّقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة على رسله، وكانت من المطيعين له.

قوله تعالى:{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} [التحريم : ١٢]، أي:" وضرب الله مثلا للذين آمنوا مريم بنت عمران التي حفظت فرجها، وصانته عن الزنى، فأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن ينفخ في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى رحمها، فحملت بعيسى عليه السلام"[٣٦٨٣].

قال قتادة:" فنفخنا في جيبها من روحنا"[٣٦٨٤].

قوله تعالى:{وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ} [التحريم : ١٢]، أي:" وصدَّقت بكلمات ربها، وعملت بشرائعه التي شرعها لعباده، وكتبه المنزلة على رسله"[٣٦٨٥].

قال الحسن:" يعني: جميع الكتب"[٣٦٨٦].

قرأ عاصم: "{وصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ} بالألف، «وكِتابِهِ» واحدًا"[٣٦٨٧].

قوله تعالى:{وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم : ١٢]، أي:" وكانت من القوم المطيعين، العابدين لله عَزَّ وَجَلَّ"[٣٦٨٨].

عن قتادة: "{مِنَ الْقَانِتِينَ}، من المطيعين"[٣٦٨٩].

وقال عطاء:" أي: من المُصلّين"[٣٦٩٠].

(٣٦٧٩) تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨.

(٣٦٨٠)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٥١، وتفسير البغوي ٨/ ١٧١.

(٣٦٨١) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٨٢) تفسير القرطبي: ٢٠٣/١٨. ونحوه في "تفسير الثعلبي": ٣٥١/٩.

(٣٦٨٣) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٨٤) أخرجه الطبري :٥٠٠/٢٣.

(٣٦٨٥) التفسير الميسر: ٥٦١.

(٣٦٨٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٠ -.

(٣٦٨٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

«وكِتابِهِ» قراءة متواترة، قرأ بها العشرة إلا حفص، وأبو عمرو، ويعقوب، فإنهم قرؤوا: {وكُتُبِهِ} مجموعًا. انظر: النشر ٢/ ٣٨٩، والإتحاف ص ٥٤٩.

(٣٦٨٨) صفوة التفاسير: ٣٨٨/٣.

(٣٦٨٩) أخرجه الطبري :٥٠٠/٢٣.

(٣٦٩٠)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٣٥ (٧٢).

عن الكرماني -من طريق حفص بن مَيسرة- في قول الله: **"{وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ}**، قال: ما بين المغرب والعشاء"[٣٦٩١].

«آخر تفسير سورة (التحريم)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٦٩١)تفسير البغوي ٨/ ١٧٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الملك»

«سورة الملك» هي السورة السابعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الرابعة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة الطور، وآياتها ثلاثون عند الجمهور، وإحدى وثلاثون عند المكيين. وكلماتها ثلاثمائة وثلاثون. وحروفها ألف وثلاثمائة وثلاث عشرة. والمختلف فيها آية: {قَدْ جَاءَنَا نَذِير} [الملك : ٩]، مجموع فواصل آياتها: «تمر»، على «الميم» اثنان: {أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]، و{مُسْتَقِيمٍ} [الملك : ٢٢][٣٦٩٢].

- **مكان نزول السورة**

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: نزلت بمكة: تبارك الملك[٣٦٩٣].

وروي الضحاك، عن ابن عباس، قال:" أنزلت تبارك الملك في أهل مكة إلا ثلاث آيات[٣٦٩٤].

قال ابن عاشور:" فيحتمل أن الضحاك عنى استثناء ثلاث آيات نزلت في المدينة. وهذا الاحتمال هو الذي يقتضيه إخراج صاحب «الإتقان» هذا النقل في عداد السور المختلف في بعض آياتها، ويحتمل أن يريد أن ثلاث آيات منها غير مخاطب بها أهل مكة، وعلى كلا الاحتمالين فهو لم يعين هذه الآيات الثلاث وليس في آيات السورة ثلاث آيات لا تتعلق بالمشركين خاصة بل نجد الخمس الآيات الأوائل يجوز أن يكون القصد منها الفريقين من أول السورة إلى قوله: عذاب السعير [الملك: ٥]"[٣٦٩٥].

قال الألوسي:" هي مكية على الأصح. وقيل غير ثلاث آيات منها وأخرج ابن جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وفي قول غريب إنها مدنية"[٣٦٩٦].

قال القرطبي:" سورة الملك مكية في قول الجميع"[٣٦٩٧].

(٣٦٩٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٣/١.

(٣٦٩٣) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي.

(٣٦٩٤) انظر: الدر المنثور: ٢٣٠/٨، وعزاه إلى ابن جرير.

(٣٦٩٥) التحرير والتنوير: ٧/٢٩.

(٣٦٩٦) روح المعاني: ٣/١٥.

(٣٦٩٧) تفسير القرطبي: ٢٠٥/١٨.

القرآن

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [الملك : ١]

التفسير:

تكاثر خير الله وبرُّه على جميع خلقه، الذي بيده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه، وهو على كل شيء قدير.

قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ} [الملك : ١]، أي:" تكاثر خير الله وبرُّه على جميع خلقه، الذي بيده مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه"(٣٦٩٨).

قال ابن عباس:" {تبارك} تَفاعُلٌ مِن البَرَكة"(٣٦٩٩). وروى عن أبي مالك الغفاري نحو ذلك(٣٧٠٠).

قال الضحاك: "{تبارك}: تَعَظَّم"(٣٧٠١).

وقال الحسن: "تجيء البركة مِن قِبَلِه"(٣٧٠٢).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الملك : ١]، أي:" وهو القادر على كل شيء له القدرة التامة، والتصرف الكامل في كل الأمور، من غير منازع ولا مدافع"(٣٧٠٣).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٣٧٠٤).

القرآن

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)} [الملك : ٢]

التفسير:

الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملا وأخلصه؟ وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده.

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك : ٢]، أي:" الذي خلق الموت والحياة؛ ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملا وأخلصه؟"(٣٧٠٥).

قال قتادة:" أذل الله ابن آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء"(٣٧٠٦).

عن قتادة :"{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ}، ذكر أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أكان يقول: «إنَّ الله أذَلَّ ابْنَ آدَمَ بالمَوْتِ»"(٣٧٠٧).

قوله تعالى:{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك : ٢]، أي:" ليختبركم -أيها الناس-: أيكم خيرٌ عملا وأخلصه؟"(٣٧٠٨).

عن قتادة، قوله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، يعني: أيكم أتم عملا"(٣٧٠٩).

عن أبي عجلان، قال: قال الله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، ولم يقل: أكثر عملا"(٣٧١٠).

(٣٦٩٨) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٦٩٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٨):ص ٥/ ١٤٩٨، و(١٤٩٤٧):ص٨/٢٦٥٩.

(٣٧٠٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٥٩/٨.

(٣٧٠١)تفسير الثعلبي ٤/ ٢٤٠.

(٣٧٠٢)تفسير الثعلبي ٣/ ١٢٣.

(٣٧٠٣) صفوة التفاسير: ٣٩٢/٣.

(٣٧٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

(٣٧٠٥) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٠٦) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٣٧٠٧) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٣.

(٣٧٠٨) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٨):ص٢٠٠٦/٦.

عن ابن عمر:" أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا:{أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}، ثم قال: أيكم أحسن عقلا وأورع، عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله"[٣٧١١].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك : ٢]، أي:" وهو العزيز الذي لا يعجزه شيء، الغفور لمن تاب من عباده"[٣٧١٢].

قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"[٣٧١٣].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٣٧١٤].

القرآن

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣)} [الملك : ٣]

التفسير:

الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض، ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من اختلاف ولا تباين، فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها مِن شقوق أو صدوع؟

قوله تعالى:{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [الملك : ٣]، أي:" الذي خلق سبع سموات متناسقة، بعضها فوق بعض"[٣٧١٥].

قال ابن عباس:" بعضها فوق بعض"[٣٧١٦]. وروي عن ابن جريج مثله[٣٧١٧].

قال الحسن:" بعضهنّ فوق بعض، بين كلّ أرض وسماء خلْقٌ وأمْر"[٣٧١٨].

قوله تعالى:{مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ} [الملك : ٣]، أي:" ما ترى في خلق الرحمن -أيها الناظر- من اختلاف ولا تباين"[٣٧١٩].

قال قتادة:" ما ترى فيهم من اختلاف"[٣٧٢٠].

قال عطاء الخراساني:" يقال: لا يَفُوت بعضه بعضًا"[٣٧٢١].

وقرئ: «مِنْ تَفَوُّتٍ»، بتشديد الواو بغير ألف[٣٧٢٢].

قوله تعالى:{فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ} [الملك : ٣]، أي:" فأعد النظر إلى السماء: هل ترى فيها مِن شقوق أو صدوع؟"[٣٧٢٣].

عن قتادة: "{مِنْ فُطُورٍ}، قال: من خلل"[٣٧٢٤].

(٣٧١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٦):ص٢٠٠٦/٦. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٣٧١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٠٥):ص٢٠٠٦/٦.

(٣٧١٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.

(٣٧١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٣٧١٥) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧١٦) الدر المنثور:٨/ ٢٣٤، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣٧١٧) الدر المنثور:٨/ ٢٣٤، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٧١٨)أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي في "الدر المنثور: (٢٩١/٨) إلى ابن المنذر.

(٣٧١٩) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٢٠) أخرجه الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(٣٧٢١)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٨.

(٣٧٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٦/٢٣.

(٣٧٢٣) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٢٤) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.

وقال السدي :"{هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}، أي : من خُروق"[٣٧٢٥].
قال قتادة:" يقول: هل ترى من خلل يا ابن آدم"[٣٧٢٦].
عن عطية العوفي:" {هَلْ تَرى مِن فُطُورٍ} عَيب"[٣٧٢٧].
قال محمد بن كعب القُرَظيّ: "{هَلْ تَرى مِن فُطُورٍ} فُروج"[٣٧٢٨].

القرآن
{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤)} [الملك : ٤]
التفسير:
ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلا صاغرًا عن أن يرى نقصًا، وهو متعب كليل.
قوله تعالى:{ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا} [الملك : ٤]، أي:" :" ثم أعد النظر مرة بعد مرة، يرجع إليك البصر ذليلا صاغرًا عن أن يرى نقصًا"[٣٧٢٩].
عن قتادة، قوله: "{يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا}، أي: حاسرا"[٣٧٣٠]. وفي رواية:" صاغرا"[٣٧٣١].
قوله تعالى:{وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك : ٤]، أي:" وهو متعب كليل"[٣٧٣٢].
عن قتادة، قوله: "{وَهُوَ حَسِيرٌ}، أي: يقول: مُعْيٍ لم ير خَلَلا ولا تفاوتا"[٣٧٣٣].

القرآن
{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥)} [الملك : ٥]
التفسير:
ولقد زيَّنا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضيئة، وجعلناها شهبًا محرقة لمسترقي السمع من الشياطين، وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرها.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك : ٥]، أي:" ولقد زيَّنا السماء القريبة التي تراها العيون بنجوم عظيمة مضيئة، وجعلناها شهبًا محرقة لمسترقي السمع من الشياطين"[٣٧٣٤].
قال قتادة:" إن الله جلّ ثناؤه إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال: خلقها زينة للسماء الدنيا، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدي بها؛ فمن يتأوّل منها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به"[٣٧٣٥].

(٣٧٢٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٧٧/٨.
(٣٧٢٦) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
(٣٧٢٧)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٥٧.
(٣٧٢٨)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٥٧.
(٣٧٢٩) التفسير الميسر: ٥٦٢.
(٣٧٣٠)أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
(٣٧٣١)أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
(٣٧٣٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.
(٣٧٣٣) أخرجه الطبري: ٥٠٧/٢٣.
(٣٧٣٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.
(٣٧٣٥) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢٣.

عن محمد بن كعب: " والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتبعون ويتخذون النجوم علة فهو كما أخبرنا الله: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات : ١٠]، قال: {عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين} [الشعراء : ٢٢١]، إلى قوله: {وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُون} [الشعراء : ٢٢٣]"[٣٧٣٦].

عن عبد الله بن حفص، قال: "خصت العرب بخصال: بالكهانة والقيافة والعيافة والنجوم والحساب، فهدم الإسلام الكهانة، وثبت الباقي بعد ذلك"[٣٧٣٧].

قوله تعالى:{وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِير} [الملك : ٥]، أي:" وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب النار الموقدة يقاسون حرها"[٣٧٣٨].

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"[٣٧٣٩].

القرآن

{وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٦)} [الملك :٦]

التفسير:

وللكافرين بخالقهم عذاب جهنم، وساء المرجع لهم جهنم.

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الملك :٦]، أي:" وساء المرجع لهم جهنم"[٣٧٤٠].

عن ابن أبي نجيح، قوله: "{وبئس المصير}، قال: مصير الكافر إلى النار، قال ابن أبي نجيح: سمعته من عكرمة فعرضته على مجاهد فلم ينكره"[٣٧٤١].

القرآن

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٧)} [الملك : ٧]

التفسير:

إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتًا شديدًا منكرًا، وهي تغلي غليانًا شديدًا.

قوله تعالى:{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا} [الملك : ٧]، أي:" إذا طُرح هؤلاء الكافرون في جهنم سمعوا لها صوتًا شديدًا منكرًا"[٣٧٤٢].

عن أبي يحيى، قال: "إنّ الرجل ليُجرّ إلى النار، فتنزوي ويَنقبض بعضها إلى بعض، فيقول لها الرحمن: ما لكِ؟ قالت: إنّه كان يستحي مني. فيقول: أرسِلوا عبدي. قال: وإنّ العبد ليُجرّ إلى النار، فيقول: يا ربّ، ما كان هذا الظنّ بك. قال: فما كان ظنّك؟ قال: كان ظني أن تَسعني رحمتكَ. فيقول: أرسِلوا عبدي. قال: وإنّ الرجل ليُجرّ إلى النار، فتَشهق إليه النار شَهيق البَغلة إلى الشّعير، ثم تَزفر زَفرة لا يبقى أحدٌ إلا خاف"[٣٧٤٣].

قوله تعالى:{وَهِيَ تَفُورُ} [الملك : ٧]، أي:" وهي تغلي غليانًا شديدًا"[٣٧٤٤].

قال مجاهد:" يقول: تغلي كما يغلي القدر"[٣٧٤٥]. وفي رواية:" تفور بهم، كما يفور الحَبُّ القليل في الماء الكثير"[٣٧٤٦].

(٣٧٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٠٤٧):ص٢٨٣١/٩.

(٣٧٣٧) الدر المنثور: ٣٢٩/٣، وعزاه إلى الزبير بن بكار في "المفقيات".

(٣٧٣٨) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.

(٣٧٤٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٠٩):ص١٨٤٢/٦.

(٣٧٤٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٤٣) الدر المنثور: ٢٣٥/٨-٢٣٦.

(٣٧٤٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.

القرآن

{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨)} [الملك : ٨]

التفسير:

تكاد جهنم تتمزق مِن شدة غضبها على الكفار، كلما طُرح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟

قوله تعالى:{تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} [الملك : ٨]، أي:" تكاد جهنم تتمزق مِن شدة غضبها على الكفار "(٣٧٤٧).

قال الضحاك:" يقول: تفرّق"(٣٧٤٨).

قال فُضَيل بن عِياض: " تَقَطَّع"(٣٧٤٩).

قوله تعالى:{كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} [الملك : ٨]، أي:" كلما طُرح فيها جماعة من الناس سألهم الموكلون بأمرها على سبيل التوبيخ: ألم يأتكم في الدنيا رسول يحذركم هذا العذاب الذي أنتم فيه؟"(٣٧٥٠).

قال مجاهد: "الرسل من الإنس. والنذير من الجن، ثم قرأ: {وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف : ٢٩]"(٣٧٥١).

قال عبيد بن سليمان: "سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم مؤمن قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلّم؟ فقال: ألم تسمع قوله تعالى: {مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ}"(٣٧٥٢).

القرآن

{قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩)} [الملك : ٩]

التفسير:

أجابوهم قائلين: بلى قد جاءنا رسول مِن عند الله وحذَّرنا، فكذَّبناه، وقلنا فيما جاء به من الآيات: ما نزَّل الله على أحد من البشر شيئًا، ما أنتم -أيها الرسل- إلا في ذهاب بعيد عن الحق.

عن أبي الضحى، قال: جاء ابن الأزرق وعطية إلى ابن عباس، فقالا له: أرأيت قول الله عز وجل: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٦] ، وقال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١] وقال في مكان آخر: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] وقال: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] ، فقال له ابن عباس: «ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة، فيأتي عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يأتي عليهم حال فيجحدون شركهم، ويظنون أن ذلك ينفعهم فيختم الله على ألسنتهم، وتنطق جوارحهم فتشهد عليهم بأعمالهم، ثم تنطق ألسنتهم، فتقر بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا» ، فيقولون: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الملك: ٩]"(٣٧٥٣).

(٣٧٤٥) أخرجه الطبري: ٥٠٩/٢٣.

(٣٧٤٦)أخرجه هناد (٣١٣)، وابن جرير ٢٣/ ١٢٤ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣٧٤٧) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٤٨) أخرجه الطبري: ٥١٠/٢٣.

(٣٧٤٩)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٨ (١٣٢) -.

(٣٧٥٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٥١) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

(٣٧٥٢) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي: ١٩١/٤.

(٣٧٥٣) تفسير مجاهد: ٦٩٢-٦٩٣.

القرآن

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠)} [الملك : ١٠]

التفسير:

وقالوا معترفين: لو كنا نسمع سماع مَن يطلب الحق، أو نفكر فيما نُدْعى إليه، ما كنا في عداد أهل النار.

قوله تعالى:{مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١٠]، أي:" ما كنا في عداد أهل النار"(٣٧٥٤).

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"(٣٧٥٥).

القرآن

{فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)} [الملك : ١١]

التفسير:

فاعترفوا بتكذيبهم وكفرهم الذي استحقوا به عذاب النار، فبعدًا لأهل النار عن رحمة الله.

قوله تعالى:{فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١١]، أي:" فبعدًا لأهل النار عن رحمة الله"(٣٧٥٦).

قال سعيد بن جبير:" «سُحقا» واد في جهنم"(٣٧٥٧).

عن أبي البَخْتَريّ الطائي، قال : أخبرني من سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يهلك الناس حتى يُعذِروا من أنفسهم"(٣٧٥٨).

وفي حديث آخر : "لا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة""(٣٧٥٩).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)} [الملك : ١٢]

التفسير:

إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته، لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [الملك : ١٢]، أي:" إن الذين يخافون ربهم، فيعبدونه، ولا يعصونه وهم غائبون عن أعين الناس، ويخشون العذاب في الآخرة قبل معاينته"(٣٧٦٠).

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٣٧٦١).

قوله تعالى:{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك : ١٢]، أي:" لهم عفو من الله عن ذنوبهم، وثواب عظيم وهو الجنة"(٣٧٦٢).

قال قتادة:" مغفرة لذنوبهم ورزق كريم في الجنة"(٣٧٦٣).

(٣٧٥٤) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.

(٣٧٥٦) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٥٧) أخرجه الطبري: ٥١١/٢٣.

(٣٧٥٨)المسند (٢٦٠/٤).

(٣٧٥٩)المسند (٥٤١/٢) من حديث أبي هريرة مرفوعا.

(٣٧٦٠) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٣٧٦٢) التفسير الميسر: ٥٦٢.

(٣٧٦٣) أخرجه الطبري: ١٥٤/١٩.

القرآن

{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣)} [الملك : ١٣]

التفسير:

وأخفوا قولكم -أيها الناس- في أي أمر من أموركم أو أعلنوه، فهما عند الله سواء، إنه سبحانه عليم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟

سبب النزول:

قال ابن عباس: "نزلت في المشركين، كانوا ينالون من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فيخبره جبرائيل ما قالوا فيه ونالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم كي لا يسمع إله محمد"(٣٧٦٤).

قال مقاتل:" {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ} في النبي- صلى الله عليه وسلم- في القلوب، {أَوِ اجْهَرُوا بِهِ}، يعني: أو تكلموا به علانية يعني به كفار مكة"(٣٧٦٥).

قال الواحدي:" نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم فيخبره الله تعالى فقالوا: فيما بينهم: {أَسِرُّوا قَوْلَكُمْ} كيلا يسمع إله محمد.." (٣٧٦٦).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الملك : ١٣]، أي:" إنه سبحانه عليم بمضمرات الصدور، فكيف تخفى عليه أقوالكم وأعمالكم؟"(٣٧٦٧).

عن الحسن: "{إنه عليم بذات الصدور}: يعلم تلك الساعة"(٣٧٦٨).

القرآن

{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)} [الملك : ١٤]

التفسير:

ألا يعلم ربُّ العالمين خَلْقه وشؤونهم، وهو الذي خَلَقهم وأتقن خَلْقَهُمْ وأحسنه؟ وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم.

قوله تعالى:{وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك : ١٤]، أي:" وهو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم"(٣٧٦٩).

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"(٣٧٧٠).

عن عيسى بن إسماعيل بن عيسى بن المسيّب، قال: "بينا رجل واقف بالليل في شجر كثير وقصفت الريح فوقع في نفس الرجل فقال: أترى الله يعلم ما يسقط من هذه الورق؟ فنودي من خلفه: {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}؟!"(٣٧٧١).

وروى محمد بن فضيل عن زرين عن ابن أبي أسماء:" أنّ رجلا دخل غيضة فقال: لو خلوت هاهنا للمعصية من كان يراني؟ قال: فسمع صوتا ملأ ما بين لابتي الغيضة، {أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}؟!"(٣٧٧٢).

(٣٧٦٤) حكاه عنه الثعلبي في"الكشف والبيان":٣٥٩/٩.

(٣٧٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٩١/٤.

(٣٧٦٦) الوجيز: ١١١٧.

(٣٧٦٧) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٣٧٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٦٧٤):ص٢٠٠١/٦.

(٣٧٦٩) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٣٧٧٠) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.

(٣٧٧١) رواه الثعلبي: ٣٥٩/٩.

(٣٧٧٢) رواه الثعلبي: ٣٥٩/٩.

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)} [الملك : ١٥]

التفسير:

الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها، وكلوا من رزق الله الذي يخرجه لكم منها، وإليه وحده البعث من قبوركم للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي } [الملك : ١٥]، أي:" الله وحده هو الذي جعل لكم الأرض سهلة ممهدة تستقرون عليها، فامشوا في نواحيها وجوانبها"[٣٧٧٣].

اختلف أهل العلم في معنى: {مَنَاكِبِهَا} [الملك : ١٥]، على أقوال:

أحدها: أن مناكبها: جبالها. قاله قتادة[٣٧٧٤].

عن قتادة، عن بشير بن كعب:" أنه قرأ هذه الآية: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا} فقال لجارية له: إن دَرِيْت ما مناكبها، فأنت حرة لوجه الله؛ قالت: فإن مناكبها: جبالها، فكأنما سُفِع في وجهه، ورغب في جاريته، فسأل، منهم من أمره، ومنهم من نهاه، فسأل أبا الدرداء، فقال: الخير في طمأنينة، والشرّ في ريبة، فَذرْ ما يريبك إلى ما لا يريبك"[٣٧٧٥].

الثاني: أن مناكبها: أطرافها، وفِجاجها. قاله مجاهد[٣٧٧٦].

وأصل «المنكب»: الجانب، ومنه منكب الرجل، والريح النكاب، وتنكب فلان[٣٧٧٧].

عن قتادة:" أن بشير بن كعب العدويّ، قرأ هذه الآية: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا}، فقال لجاريته: إن أخبرتني ما مناكبها، فأنت حرّة، فقالت: نواحيها؛ فأراد أن يتزوّجها، فسأل أبا الدرداء، فقال: إن الخير في طمأنينة، وإن الشرّ في ريبة، فدع ما يَريبك إلى ما لا يريبك"[٣٧٧٨].

الثالث: طرقها وفجاجها. قاله مجاهد-أيضا-[٣٧٧٩]، والسدي[٣٧٨٠].

الرابع: في منابت زرعها وأشجارها ، قاله الحسن[٣٧٨١].

الخامس: سهلها. قاله الحسن -أيضا-[٣٧٨٢].

السادس: آكامها[٣٧٨٣]. قاله الضحاك[٣٧٨٤].

و الصواب قول من قال: معنى ذلك: فامشوا في نواحيها وجوانبها، وذلك أن نواحيها نظير مناكب الإنسان التي هي من أطرافه[٣٧٨٥]، أي : فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئًا، إلا أن ييسره الله لكم[٣٧٨٦].

القرآن

(٣٧٧٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.

(٣٧٧٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.

(٣٧٧٥) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٣.

(٣٧٧٦)تفسير مجاهد: ٦٦٧.

(٣٧٧٧) الكشف والبيان: ٣٥٩/٩.

(٣٧٧٨) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢٣.

(٣٧٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٥١٢/٢٣.

(٣٧٨٠) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٦.

(٣٧٨١) انظر: النكت والعيون: ٥٤/٦.

(٣٧٨٢) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي: ٣٥٩/٩.

(٣٧٨٣) «آكامها»: بالمدّ جمع أكمة وهو التراب والأرض المرتفعة دون الجبال.

(٣٧٨٤) انظر: الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي: ٣٥٩/٩.

(٣٧٨٥) تفسير الطبري: ٥١٣/٢٣.

(٣٧٨٦) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٨.

{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧)} [الملك :]

التفسير:

هل أمنتم -يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض، فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟ هل أمنتم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحجارة الصغيرة، فستعلمون -أيها الكافرون- كيف تحذيري لكم إذا عاينتم العذاب؟ ولا ينفعكم العلم حين ذلك.

قوله تعالى:{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك : ١٦]، أي:" هل أمنتم -يا كفار «مكة» - الله الذي فوق السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا؟"[٣٧٨٧].

عن الحسن:{فَإِذَا هِيَ تَمُورُ}، قال: "تحرّك بأهلها"[٣٧٨٨].

قال الضحّاك: "تدور بهم وهم في قعرها"[٣٧٨٩].

قال ابن كيسان: "تهوى بهم"[٣٧٩٠].

قوله تعالى:{أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا} [الملك : ١٧]، أي:" هل أمنتم الله الذي فوق السماء أن يرسل عليكم ريحا ترجمكم بالحجارة الصغيرة"[٣٧٩١].

عن قتادة:" حجارة من السماء"[٣٧٩٢].

القرآن

{وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨)} [الملك : ١٨]

التفسير:

ولقد كذَّب الذين كانوا قبل كفار «مكة» كقوم نوح وعاد وثمود رسلهم، فكيف كان إنكاري عليهم، وتغييري ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [الملك : ١٨]، أي:" فكيف كان إنكاري عليهم، وتغييري ما بهم من نعمة بإنزال العذاب بهم وإهلاكهم؟"[٣٧٩٣].

عن قتادة، قوله: {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}، قال:" شديد والله لقد عجل لهم عقوبة الدنيا ثم صيرهم إلى النار"[٣٧٩٤].

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩)} [الملك : ١٩]

التفسير:

(٣٧٨٧) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٧٨٨) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.
(٣٧٨٩) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.
(٣٧٩٠) حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٦٠/٩.
(٣٧٩١) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٧٩٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩٨/١٧.
(٣٧٩٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٧٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٧٢):ص٣١٧٩/١٠.

أغَفَل هؤلاء الكافرون، ولم ينظروا إلى الطير فوقهم، باسطات أجنحتها عند طيرانها في الهواء، ويضممنها إلى جُنوبها أحيانًا؟ ما يحفظها من الوقوع عند ذلك إلا الرحمن. إنه بكل شيء بصير لا يُرى في خلقه نقص ولا تفاوت.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ} [الملك : ١٩]، أي:" أولم ينظروا نظر اعتبار إلى الطيور فوقهم، باسطاتٍ أجنحتهن في الجو عند طيرانها وتحلقيها، ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن وقتاً بعد وقت؟"(٣٧٩٥).

عن مجاهد، قوله: "{صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ}، بسطهنّ أجنحتهنّ وقبضهنّ"(٣٧٩٦).

عن قتادة، قوله: "{صَافَّاتٍ}، قال: الطير يصفّ جناحه كما رأيت، ثم يقبضه"(٣٧٩٧).

القرآن

{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١)} [الملك : ٢٠-٢١]

التفسير:

بل مَن هذا الذي هو في زعمكم -أيها الكافرون- حزب لكم ينصركم من غير الرحمن، إن أراد بكم سوءًا؟ ما الكافرون في زعمهم هذا إلا في خداع وضلال من الشيطان. بل مَن هذا الرازق المزعوم الذي يرزقكم إن أمسك الله رزقه ومنعه عنكم؟ بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه.

قوله تعالى:{بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} [الملك : ٢١]، أي:" بل استمر الكافرون في طغيانهم وضلالهم في معاندة واستكبار ونفور عن الحق، لا يسمعون له، ولا يتبعونه"(٣٧٩٨).

قال مجاهد:" النُّفُورُ: الكُفُور"(٣٧٩٩).

القرآن

{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٢)} [الملك : ٢٢]

التفسير:

أفمن يمشي منكَّسًا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أمَّن يمشي مستويًا منتصب القمة سالمًا على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟

قوله تعالى:{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} [الملك : ٢٢]، أي:" أفمن يمشي منكَّسًا على وجهه لا يدري أين يسلك ولا كيف يذهب، أشد استقامة على الطريق وأهدى، أمَّن يمشي مستويًا منتصب القمة سالمًا"(٣٨٠٠).

عن مجاهد، قوله: "{مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ}، قال: في الضلالة"(٣٨٠١).

عن الضحاك قوله: "{أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ}، يعني: الكافر. أهدى {أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا} المؤمن؟ ضرب الله مثلا لهما"(٣٨٠٢).

(٣٧٩٥) صفوة التفاسير: ٣٩٥/٣.
(٣٧٩٦) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٣.
(٣٧٩٧) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢٣.
(٣٧٩٨) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٧٩٩) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢٣، وانظر: تفسير مجاهد: ٦٦٧.
(٣٨٠٠) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٨٠١) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.
(٣٨٠٢) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.

وعن قتادة: "{يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال المؤمن عمل بطاعة الله، فيحشره الله على طاعته"[٣٨٠٣].

قال قتادة:" هو الكافر أكبّ على معاصي الله في الدنيا، حشره الله يوم القيامة على وجهه، فقيل: يا نبيّ الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «إن الذي أمشاه على رجليه قادر أن يحشره يوم القيامة على وجهه»"[٣٨٠٤].

عن نُفَيع قال : "سمعت أنس بن مالك يقول : قيل : يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم ؟ فقال : "أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرًا على أن يمشيهم على وجوههم"[٣٨٠٥].

قوله تعالى:{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الملك : ٢٢]، أي:" على طريق واضح لا اعوجاج فيه؟"[٣٨٠٦].

عن قتادة: "{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي: على الإسلام"[٣٨٠٧].

عن قتادة:"{ إنك على صراط مستقيم) : أي الإسلام"[٣٨٠٨].

عن مجاهد: {إن ربي على صراط مستقيم} [هود: ٥٦] ، يعني: «على الحق»[٣٨٠٩].

وعن مجاهد:"{ أمن يمشي سويا على صراط مستقيم} [الملك: ٢٢] ، يعني: «على الحق المستقيم»[٣٨١٠].

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال: حقّ مستقيم"[٣٨١١].

عن مجاهد، {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: " يعني: الإسلام: الدين الحق"[٣٨١٢].

عن مجاهد في قوله: "{صراط مستقيم}، قال: الحق"[٣٨١٣].

عن عاصم الأحول، عن أبي العالية :"الصراط المستقيم، قال: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العالية ونصح"[٣٨١٤].

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦)} [الملك : ٢٥-٢٦]

التفسير:

ويقول الكافرون: متى يتحقق هذا الوعد بالحشر يا محمد؟ أخبرونا بزمانه أيها المؤمنون، إن كنتم صادقين فيما تدَّعون، قل -أيها الرسول- لهؤلاء: إن العلم بوقت قيام الساعة اختصَّ الله به، وإنما أنا نذير لكم أخوِّفكم عاقبة كفركم، وأبيِّن لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان.

قوله تعالى:{وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} [الملك : ٢٦]، أي:" وإنما أنا نذير لكم أخوِّفكم عاقبة كفركم، وأبيِّن لكم ما أمرني الله ببيانه غاية البيان"[٣٨١٥].

(٣٨٠٣) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.
(٣٨٠٤) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.
(٣٨٠٥)المسند (١٦٧/٣)، وانظر: صحيح البخاري برقم (٤٧٦٠) وصحيح مسلم برقم (٢٨٠٦).
(٣٨٠٦) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٨٠٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٠.
(٣٨٠٨) أخرجه الطبري: ٦١٠/٢١.
(٣٨٠٩) تفسير مجاهد: ٣٨.
(٣٨١٠) تفسير مجاهد: ٦٦٧.
(٣٨١١) أخرجه الطبري: ٥١٦/٢٣.
(٣٨١٢) تفسير مجاهد: ٣٣٣.
(٣٨١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.
(٣٨١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٧):ص١٢٨٧/٤.
(٣٨١٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.

قال قتادة:" نذيرا من النار"[٣٨١٦].

القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧)} [الملك : ٢٧]

التفسير:

فلما رأى الكفار عذاب الله قريبًا منهم وعاينوه، ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم، وقيل توبيخًا لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً} [الملك : ٢٧]، أي:" فلما رأى الكفار عذاب الله قريبًا منهم وعاينوه"[٣٨١٧].

عن الحسن، قوله: "{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ}، قال: لما عاينوه"[٣٨١٨].

عن أبي رجاء، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}، قال: معاينة"[٣٨١٩].

قال قتادة:" لما عاينت من عذاب الله"[٣٨٢٠]. وفي رواية:" لما رأوا عذاب الله زلفة"[٣٨٢١].

عن مجاهد، قوله: "{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً}، قال: قد اقترب"[٣٨٢٢].

قوله تعالى:{سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الملك : ٢٧]، أي:" ظهرت الذلة والكآبة على وجوههم"[٣٨٢٣].

قال قتادة:" يقول: سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا"[٣٨٢٤].

قوله تعالى:{وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} [الملك : ٢٧]، أي:" وقيل توبيخًا لهم: هذا الذي كنتم تطلبون تعجيله في الدنيا"[٣٨٢٥].

قال الحسن البصري: "{الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} تدّعون أن لا جنة ولا نار"[٣٨٢٦].

عن قتادة: "أنه قرأها: {الذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ}، خفيفة؛ ويقول: كانوا يدعون بالعذاب، ثم قرأ: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}"[٣٨٢٧].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨)} [الملك : ٢٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكافرين: أخبروني إن أماتني الله ومَن معي من المؤمنين كما تتمنون، أو رحمنا فأخَّر آجالنا، وعافانا من عذابه، فمَن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب أليم موجع؟

قوله تعالى:{فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك : ٢٨]، أي:" فمَن هذا الذي يحميكم، ويمنعكم من عذاب أليم موجع؟"[٣٨٢٨].

(٣٨١٦) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.
(٣٨١٧) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٨١٨) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨١٩) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨٢٠) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨٢١) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨٢٢) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨٢٣) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٨٢٤) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢٣.
(٣٨٢٥) التفسير الميسر: ٥٦٣.
(٣٨٢٦)تفسير الثعلبي ٩/ ٣٦١.
(٣٨٢٧) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢٣.

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٨٢٩]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٨٣٠].

القرآن

{قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٩)} [الملك : ٢٩]

التفسير:

قل: الله هو الرحمن صدَّقنا به وعملنا بشرعه، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا، فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أيُّ الفريقين منا ومنكم في بُعْدٍ واضح عن صراط الله المستقيم؟

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} [الملك : ٢٩]، أي:" قل: الله هو الرحمن صدَّقنا به وعملنا بشرعه، وأطعناه، وعليه وحده اعتمدنا في كل أمورنا"[٣٨٣١].

قال عطاء الخراساني:" كان الرحمن ، فلما اختزلَ الرحمن من اسمه كان الرحمنَ الرحيمَ"[٣٨٣٢].

قوله تعالى:{فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [الملك : ٢٩]، أي:" فستعلمون -أيها الكافرون- إذا نزل العذاب: أيُّ الفريقين منا ومنكم في بُعْدٍ واضح عن صراط الله المستقيم؟"[٣٨٣٣].

عن سعيد بن جبير:" المبين: البين"[٣٨٣٤].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٣٠)} [الملك : ٣٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهبًا في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة، فمَن غير الله يجيئكم بماء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا} [الملك : ٣٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن صار ماؤكم الذي تشربون منه ذاهبًا في الأرض لا تصلون إليه بوسيلة"[٣٨٣٥].

عن سعيد بن جُبير، قوله: "{إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا}، لا تناله الدلاء"[٣٨٣٦].

قال قتادة والضحاك:" أي: ذاهبا"[٣٨٣٧].

(٣٨٢٨) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٨٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٣٨٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٣٨٣١) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٨٣٢) أخرجه الطبري(١٤٩):ص١٣٠/١. وعلق عليه قائلا:" قال الطبري:" أراد عطاء أنه لما تسمَّى به الكذابُ مسيلمة - وهو اختزاله إياه ، يعني اقتطاعه من أسمائه لنفسه - أخبر الله جلّ ثناؤه أن اسمه " الرحمنُ الرحيمُ " ليفصِل بذلك لعباده اسمَهُ من اسم من قد تسمَّى بأسمائه ، إذ كان لا يسمَّى أحد " الرحمن الرحيم " ، فيجمع له هذان الاسمان ، غيره جلّ ذكره. وإنما يتسمَّى بعضُ خَلْقه إما رحيما ، أو يتسمَّى رَحمن. فأما " رحمن رحيم " ، فلم يجتمعا قطّ لأحد سواهُ ، ولا يجمعان لأحد غيره، فكأنّ معنى قول عطاء هذا : أن الله جل ثناؤه إنما فَصّل بتكرير الرحيم على الرحمن ، بين اسمه واسم غيره من خلقِه ، اختلف معناهما أو اتفقا.

والذي قال عطاءٌ من ذلك غيرُ فاسد المعنى ، بل جائز أن يكون جلّ ثناؤه خصّ نفسه بالتسمية بهما معًا مجتمعين، إبانةً لها من خلقه ، ليعرف عبادُه بذكرهما مجموعين أنه المقصود بذكرهما دون مَنْ سواه من خلقه ، مع مَا في تأويل كل واحد منهما من المعنى الذي ليس في الآخر منهما".

(٣٨٣٣) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٨٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٠٩):ص٣٠٢٧/٩.

(٣٨٣٥) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٨٣٦) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

قوله تعالى:{فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك : ٣٠]، أي:" فمَن غير الله يجيئكم بماء جارٍ على وجه الأرض ظاهر للعيون؟"[٣٨٣٨].

عن سعيد بن جُبير، قوله: "{فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ}، قال: الظاهر"[٣٨٣٩].

قال قتادة، والضحاك:" الماء المعين: الجاري"[٣٨٤٠].

«آخر تفسير سورة (الملك)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣٨٣٧) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.
(٣٨٣٨) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٨٣٩) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.
(٣٨٤٠) أخرجه الطبري: ٥٢٠/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القلم»

«سورة القلم» هي السورة الثامنة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الخامسة والأخيرة من المجموعة الخامسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة العلق، عدد آياتها اثنتان وخمسون. وكلماتها ثلاثمائة. وحروفها ألف ومائتان وست وخمسون. فواصل آياتها: «من»[٣٨٤١].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدهما: أنها أنزلت بمكة. قاله ابن عباس[٣٨٤٢]، والحسن[٣٨٤٣]، وعكرمة[٣٨٤٤]، وعطاء[٣٨٤٥]، وجابر[٣٨٤٦].

عن ابن عباس قال: نزلت سورة {ن والقلم} بمكة"[٣٨٤٧].

الثاني : أنها مكية إلا قوله عزّ وجلّ: {إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ} [القلم : ١٧] إلى قوله عزّ وجلّ: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون} [القلم : ٣٣]، نزلت بالمدينة. حكي هذا القول عن ابن عباس[٣٨٤٨]، وقتادة[٣٨٤٩].

وذكر الماوردي عن ابن عباس:" من أولها إلى قوله سبحانه: {سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} [القلم : ١٦] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون} [القلم : ٣٣]، مدني، ومن بعد ذلك إلى قوله: {يَكْتُبُونَ} [القلم : ٤٧] مكي، ومن بعد ذلك إلى قوله: {مِنَ الصَّالِحِين} [القلم : ٥٠] مدني، وباقي السورة مكي[٣٨٥٠].

قال السمعاني:" هي مكية في قول الأكثرين"[٣٨٥١].

قال ابن عطية:" هي مكية، ولا خلاف فيها بين أحد من أهل التأويل"[٣٨٥٢].

فهذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت: «اقرأ باسم ربك» ثم هذه، ثم المزمل، ثم المدثر كما روى عن ابن عباس[٣٨٥٣].

(٣٨٤١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٦/١.

(٣٨٤٢) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٨٤٣) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٣٨٤٤) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٣٨٤٥) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٣٨٤٦) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨.

(٣٨٤٧) الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى النحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٣٨٤٨) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

(٣٨٤٩) انظر: زاد المسير: ٣١٨/٤.

(٣٨٥٠) انظر: النكت والعيون: ٥٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٨، والتحرير والتنوير: ٥٧/٢٩-٥٨.

(٣٨٥١) تفسير السمعاني: ١٦/٦.

(٣٨٥٢) المحرر الوجيز: ٣٤٥/٥.

(٣٨٥٣) انظر: الدر المنثور: ٢٤٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس.

القرآن

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤)} [القلم : ١ - ٤]

التفسير:

{ن} سبق الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

أقسم الله بالقلم الذي يكتب به الملائكة والناس، وبما يكتبون من الخير والنفع والعلوم. ما أنت -أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شدائد على تبليغ الرسالة لثوابًا عظيمًا غير منقوص ولا مقطوع، وإنك -أيها الرسول- لعلى خلق عظيم، وهو ما اشتمل عليه القرآن من مكارم الأخلاق؛ فقد كان امتثال القرآن سجية له يأتمر بأمره، وينتهي عما ينهى عنه.

سبب نزول قوله تعالى: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]:

عن ابن جُرَيْج، قال: كانوا يقولون للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إنه لمجنون، به شيطان. فنَزلت: {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} [القلم : ٢]"[٣٨٥٤].

قوله تعالى: {ن} [القلم : ١]، أي:" نون حرف من الحروف المقطعة، ذكر للتنبيه على إعجاز القرآن"[٣٨٥٥].

وذكروا في قوله تعالى: {ن} [القلم : ١]، خمسة أقوال:

أحدها : أن «النون» الحوت الذي عليه الأرض. ذكره مجاهد[٣٨٥٦].

قال مجاهد:" كان يقال النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة"[٣٨٥٧].

الثاني : أن «النون» الدواة ، رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣٨٥٨]. وبه قال قتادة-في رواية-[٣٨٥٩].

الثالث: أنه قسم أقسم اللَّه به، ولله تعالى أن يقسم بما يشاء ، قاله قتادة-في رواية أخرى-[٣٨٦٠].

الرابع : أنه: اسم من أسماء الله. قاله سالم بن عبد الله[٣٨٦١].

قال سالم بن عبد الله: " {الم}، و {حم}، و {ن} ونحوها، اسم الله مقطعة"[٣٨٦٢].

الخامس: أن «نون» بالفارسية: «أيذون كن»، قاله الضحاك[٣٨٦٣].

قوله تعالى: {وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم : ١]، أي:" أقسم بالقلم وما يكتبه الكاتبون على صدق محمد وسلامته مما نسبه إليه المجرمون من السفه والجنون"[٣٨٦٤].

عن مجاهد:" {ن وَالْقَلَمِ}، قال: الذي كُتِبَ به الذكر"[٣٨٦٥].

وفي قوله تعالى: {وَمَا يَسْطُرُونَ} [القلم : ١]، قولان:

أحدهما : وما يكتبون، قاله مجاهد[٣٨٦٦]، وقتادة[٣٨٦٧]، والسدي[٣٨٦٨].

(٣٨٥٤) الدر المنثور: ٨/ ٢٤٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٨٥٥) صفوة التفاسير: ٤٠١/٣.

(٣٨٥٦) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٣.

(٣٨٥٧) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢٣.

(٣٨٥٨) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(٣٨٥٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(٣٨٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢٣.

(٣٨٦١)أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٢٢): ص ٩/ ٣٠٢٩.

(٣٨٦٢)أخرجه ابن أبي حاتم (١٧١٢٢): ص ٩/ ٣٠٢٩.

(٣٨٦٣) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.

(٣٨٦٤) صفوة التفاسير: ٤٠١/٣.

(٣٨٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٣.

عن قتادة: "{وَمَا يَسْطُرُونَ}، قال: وما يَخُطُّون"[٣٨٦٩].

الثاني : أنهم الملائكة الكاتبون يكتبون أعمال الناس من خير وشر. وهذا قول السدي[٣٨٧٠].

قوله تعالى:{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} [القلم : ٢٢-٣ أي:" ما أنت -أيها الرسول- بسبب نعمة الله عليك بالنبوة والرسالة بضعيف العقل، ولا سفيه الرأي، وإن لك على ما تلقاه من شدائد على تبليغ الرسالة لثوابًا عظيمًا غير منقوص ولا مقطوع"[٣٨٧١].

عن مجاهد، قوله: "{غَيْرُ مَمْنُونٍ}، قال: محسوب"[٣٨٧٢].

قال الحسن:" أي: لا يَمُنّ عليك به مِن أذًى"[٣٨٧٣].

قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم : ٤]، أي:" وإنك -أيها الرسول- لعلى أدب رفيع جم وخلق فاضل كريم، فقد جمع الله فيك الفضائل والكمالات"[٣٨٧٤].

عن مجاهد، قوله: "{خُلُقٍ عَظِيمٍ}، قال: الدين"[٣٨٧٥].

قال الضحاك:" يعني: دينه، وأمره الذي كان عليه، مما أمره الله به، ووكله إليه"[٣٨٧٦].

عن قتادة، قال: "سألتُ عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن، تقول: كما هو في القرآن"[٣٨٧٧].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ألست تقرأ القرآن؟ قال: قلت: بلى، قالت: فإن خُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن"[٣٨٧٨].

عن سعيد بن هشام، قال: "أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها، فقلت: أخبريني عن خُلُق رسول الله، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}"[٣٨٧٩].

عن جُبير بن نُفَير قال: "حججت فدخلت على عائشة، فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن"[٣٨٨٠].

عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها، وأحسن الناس خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير"[٣٨٨١].

عن عائشة-رضي الله عنها- قالت : "ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادمًا له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه

(٣٨٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢٣-٥٢٨.
(٣٨٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢٣.
(٣٨٦٨) انظر: النكت والعيون: ٦٠/٦.
(٣٨٦٩) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢٣.
(٣٨٧٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٨٧/٨.
(٣٨٧١) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٨٧٢) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٣.
(٣٨٧٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ١٩ -.
(٣٨٧٤) صفوة التفاسير: ٤٠١/٣.
(٣٨٧٥) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.
(٣٨٧٦) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.
(٣٨٧٧) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.
(٣٨٧٨) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.
(٣٨٧٩) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.
(٣٨٨٠) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢٣.
(٣٨٨١)صحيح البخاري برقم (٣٥٤٩).

أيسرهما حتى يكون إثمًا، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله، عز وجل"[٣٨٨٢].

عن أبي هُرَيرة قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : "إنما بُعِثتُ لأتمم صالح الأخلاق"[٣٨٨٣].

القرآن

{فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ (٦)} [القلم : ٥ - ٦]

التفسير:

فعن قريب سترى -أيها الرسول-، ويرى الكافرون في أيكم الفتنة والجنون؟

قوله تعالى:{فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ} [القلم : ٥]، أي:" فسوف ترى يا محمد، ويرى قومك ومخالفوك كافر مكة إذا نزل به العذاب"[٣٨٨٤].

قال الضحاك:" يقول: ترى ويرون"[٣٨٨٥].

قوله تعالى:{بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} [القلم : ٦]، أي:" في أيكم الفتنة والجنون"[٣٨٨٦].

وفي قوله تعالى:{بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ} [القلم : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: بأيكم الجنون ، قاله الضحاك[٣٨٨٧].

وروي عن مجاهد: "{بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ}، قال: المجنون"[٣٨٨٨]. وفي رواية:" بأيكم المجنون"[٣٨٨٩].

الثاني : الضال ، قاله الحسن[٣٨٩٠].

الثالث : الشيطان ، قاله مجاهد[٣٨٩١].

عن مجاهد، قوله: "{بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ}، قال: الشيطان"[٣٨٩٢].

الرابع : أيكم أولى بالشيطان. قاله قتادة[٣٨٩٣].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: بأيكم الجنون، ووجه المفتون إلى الفتون بمعنى المصدر، لأن ذلك أظهر معاني الكلام، إذا لم ينو إسقاط الباء، وجعلنا لدخولها وجها مفهوما[٣٨٩٤].

القرآن

{فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩)} [القلم : ٨ - ٩]

التفسير:

فاثبت على ما أنت عليه -أيها الرسول- من مخالفة المكذبين ولا تطعهم. تمنَّوا وأحبوا لو تلاينهم، وتصانعهم على بعض ما هم عليه، فيلينون لك.

سبب النزول:

(٣٨٨٢)المسند (٢٣٢/٦).

(٣٨٨٣)المسند (٣٨١/٢).

(٣٨٨٤) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.

(٣٨٨٥) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٣٨٨٦) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٨٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٣.

(٣٨٨٨) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٣٨٨٩) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣.

(٣٨٩٠) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦.

(٣٨٩١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣١/٢٣.

(٣٨٩٢) أخرجه الطبري: ٥٣٠/٢٣-٥٣١.

(٣٨٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٣٨٩٤) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

قال مقاتل:" قوله: {فَلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ}، حين دعي إلى دين آبائه وملتهم، نظيرها في سورة الفرقان[٣٨٩٥]، نزلت هذه الآية في بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم منهم الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، وعبد الله ابن أبي أمية، وعبد الله بن مخزوم، وعثمان، ونوفل ابني عبد الله بن المغيرة، والعاص، وقيس، وعبد، شمس وبني الوليد سبعة الوليد، وخالد، وعمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس، بنو الوليد بن المغيرة ودوا حين دعي إلى دين آبائه"[٣٨٩٦].

وفي تفسير قوله تعالى: {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم : ٩]، أقوال:

أحدها : معناه: ودوا لو تكفر فيكفرون، قاله الضحاك[٣٨٩٧]، والسدي[٣٨٩٨].

الثاني : ودُّوا لو تصانعهم دينك فيصانعون في دينهم. قاله الحسن[٣٨٩٩].

الثالث : لو تَرْكَن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحقّ فيمالئونك. قاله مجاهد[٣٩٠٠].

الرابع : لو تكذب فيكذبون ، قاله الربيع بن أنس[٣٩٠١]، والعوفي[٣٩٠٢].

الخامس : لو تنافق وترائي فينافقون. قاله زيد بم أسلم[٣٩٠٣].

السادس : لو تحابهم فيحابوك. قاله أبان ابن تغلب[٣٩٠٤].

السابع: لو ترفض بعض أمرك فيرفضون بعض أمرهم. قاله الحسن[٣٩٠٥].

الثامن : لو تقاربهم فيقاربوك. قاله ابن كيسان[٣٩٠٦].

التاسع : أن تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك ، وهو معنى قول قتادة[٣٩٠٧].

قال قتادة:" يقول: ودّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر، فأدهنوا معك"[٣٩٠٨]. وفي رواية:" ودّوا لو يُدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيُدْهنون"[٣٩٠٩].

الصواب قول من قال: معنى ذلك: ودّ هؤلاء المشركون يا محمد لو تلين لهم في دينك بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم، فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال جلّ ثناؤه: {وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} وإنما هو مأخوذ من الدُّهن شبه التليين في القول بتليين الدُّهن"[٣٩١٠].

القرآن

{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥)} [القلم : ١٠-١٥]

(٣٨٩٥)سورة الفرقان: ٥٢ وتمامها : فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَجاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً}.

(٣٨٩٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٣/٤-٤٠٤.

(٣٨٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢٣.

(٣٨٩٨) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦-٦٣.

(٣٨٩٩) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٣٩٠١) انظر: النكت والعيون: ٦٢/٦.

(٣٩٠٢) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٣) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٤) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٥) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٦) انظر: الكشف والبيان: ١٢/١٠.

(٣٩٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣، والنكت والعيون: ٦٢/٦.

(٣٩٠٨) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٣٩٠٩) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

(٣٩١٠) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢٣.

التفسير:
ولا تطع -أيها الرسول- كلَّ إنسانٍ كثير الحلف كذاب حقير، مغتاب للناس، يمشي بينهم بالنميمة، وينقل حديث بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم، بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير، متجاوز حدَّه في العدوان على الناس وتناول المحرمات، كثير الآثام، شديد في كفره، فاحش لئيم، منسوب إلى غير أبيه. ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين طغى وتكبر عن الحق، فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذَّب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم.

سبب النزول:

عن أبي عثمان النَّهدي، قال: "قال مروان بن الحكم لَمّا بايع الناسُ ليزيد: سُنّة أبي بكر وعمر. فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: إنّها ليست بسُنّة أبي بكر وعمر، ولكنها سُنّة هِرَقْل. فقال مروان: هذا الذي أُنزل فيه: {والَّذِي قالَ لِوالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُما} الآية [الأحقاف: ١٧]. قال: فسمِعَتْ ذلك عائشةُ، فقالتْ: إنّها لم تنزل في عبد الرحمن، ولكن نزلت في أبيك: {ولا تُطِعْ كُلَّ حَلّافٍ مَهِينٍ هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ}"(٣٩١١).

قوله تعالى:{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ} [القلم : ١٠]، أي:" ولا تطع -أيها الرسول- كلَّ إنسانٍ كثير الحلف كذاب حقير"(٣٩١٢).

قال السدي:" نزلت في الأخنس بن شريق"(٣٩١٣).

قال مجاهد: هو الأسود بن عبد يغوث"(٣٩١٤).

عن مجاهد، قوله: "{حَلافٍ مَهِينٍ}، قال: ضعيف"(٣٩١٥).

قال قتادة:" وهو المكثار في الشرّ"(٣٩١٦).

عن الحسن وقتادة: "{وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ}، قال: هو المكثار في الشرّ"(٣٩١٧).

قال الحسن:" يقول: كلّ مكثار في الحلف مهين ضعيف"(٣٩١٨).

قوله تعالى:{هَمَّازٍ} [القلم : ١١]، أي:" مغتاب للناس"(٣٩١٩).

قال الحسن:" هو الذي يَغمز بأخيه في المجلس(٣٩٢٠).

عن قتادة: "{هَمَّازٍ}، يأكل لحوم المسلمين"(٣٩٢١).

قوله تعالى:{مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} [القلم : ١١]، أي:" يمشي بين الناس بالنميمة، وينقل حديث بعضهم إلى بعض على وجه الإفساد بينهم"(٣٩٢٢).

قال قتادة:" ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض"(٣٩٢٣).

(٣٩١١)أخرجه النسائي في الكبرى ١٠/ ٢٥٧ (١١٤٢٧)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٢٨ (٨٤٨٣)، من طريق محمد بن زياد، عن عائشة بنحوه.
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح، على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». وتعقّبه الذهبي، فقال: «فيه انقطاع».
(٣٩١٢) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٩١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٣٩):ص٣٣٦٤/١٠.
(٣٩١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٣٩):ص٣٣٦٤/١٠.
(٣٩١٥) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٣٩١٦) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٣٩١٧) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٣٩١٨) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٣٩١٩) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٩٢٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٢، وتفسير البغوي ٨/ ١٩٢.
(٣٩٢١) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.
(٣٩٢٢) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٩٢٣) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢٣.

قوله تعالى:{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ} [القلم : ١٢]، أي:" بخيل بالمال ضنين به عن الحق، شديد المنع للخير"[٣٩٢٤].

قال قتادة:" فلا يُعطي خيرًا"[٣٩٢٥].

قوله تعالى:{مُعْتَدٍ أَثِيمٍ} [القلم : ١٢]، أي:" ظالم متجاوز في الظلم والعدوان، كثير الآثام والإجرام"[٣٩٢٦].

عن قتادة، قوله: "{مُعْتَدٍ} في عمله، {أَثِيمٍ} بربه"[٣٩٢٧].

قوله تعالى:{عُتُلٍّ} [القلم : ١٣]، أي:" جاف غليظ، قاسي القلب عديم الفهم"[٣٩٢٨].

وفي قوله تعالى:{عُتُلٍّ} [القلم : ١٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن العُتُلّ: الفاحش اللئيم، به قال الحسن[٣٩٢٩]، وقتادة[٣٩٣٠]،والربيع بن أنس[٣٩٣١]، وهو مأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[٣٩٣٢]، ومنه قول الشاعر[٣٩٣٣]:

يعتل من الرجال زنيم ... غير ذي نجدةٍ وغير كريم

عن القاسم، مولى معاوية قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتُلّ الزنيم، قال: " الفَاحِشُ اللَّئِيمُ"[٣٩٣٤].

قال الحسن:" فاحش الخُلق، لئيم الضريبة"[٣٩٣٥].

قال: الحسن وقتادة: هو الفاحش اللئيم الضريبة"[٣٩٣٦].

الثاني : أنه الكافر اللئيم ، قاله عكرمة[٣٩٣٧].

وقال إبراهيم النخعي:" العُتُلّ: الفاجر"[٣٩٣٨].

الثالث : أنه شديد الأشَر. قاله مجاهد[٣٩٣٩].

وقال الضحاك:" العتلّ: الشديد"[٣٩٤٠].

الرابع: أنه صحيح الجسم الشديد، قاله أبو رزين[٣٩٤١].

قال أبو رزين:" العتلّ: الشديد"[٣٩٤٢]. وفي رواية:" العتلّ: الصحيح"[٣٩٤٣]. وفي رواية:" الصحيح الشديد"[٣٩٤٤].

(٣٩٢٤) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٩٢٥) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
(٣٩٢٦) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.
(٣٩٢٧) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢٣.
(٣٩٢٨) صفوة التفاسير: ٤٠٢/٣.
(٣٩٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣١)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ١٤٠.
(٣٩٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣٣) انظر: النكت والعيون: ٦٤/٦.
(٣٩٣٤) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣٥) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣٦) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
(٣٩٣٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٣٢.
(٣٩٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
(٣٩٤٠) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٣.
(٣٩٤١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٧/٢٣.
(٣٩٤٢) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٤٣) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.

وحكي الماوردي عن الحسن: "أنه الوفير الجسم"[٣٩٤٥].

الخامس : أن العتلّ: الأكول الشروب القويّ الشديد. قاله شهر بن حوشب[٣٩٤٦]، وعبيد بن عمير[٣٩٤٧].
عن شَهْر بن حَوْشَب، قال: "العُتُلّ: الصحيح، الأكُول، الشَّرُوب"[٣٩٤٨].
عن عبيد بن عمير، قال: العتلّ: الأكول الشروب القويّ الشديد، يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع المَلَكُ من أولئك سبعين ألفا دفعة في جهنم"[٣٩٤٩].
روي شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غَنْم عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم، فقال له رجل من المسلمين: ما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما الجواظ فالذي جمع ومنع تدعوه لظى نزاعة للشوى وأما الجعظري فالفظ الغليظ قال الله: فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأما العتل الزنيم فشديد الخلق رحيب الجوف مصحح شروب واجد للطعام والشراب ظلوم للناس»[٣٩٥٠].
عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مُتَضَعَّف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتل جَوّاظ مستكبر". وقال وَكِيع : "كل جَوَّاظ جعظري مستكبر"[٣٩٥١].
عن وهب الدَّماريّ، قال: "تبكي السماء والأرض من رجل أتمّ الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه مقضما من الدنيا، ثم يكون ظلوما للناس، فذلك العتلّ الزنيم"[٣٩٥٢].
عن زيد بن أسلم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَبْكِي السَّماءُ مِنْ عَبْدٍ أصَحَّ اللهُ جِسْمَهُ، وأرْحَبَ جَوْفَهُ، وأعْطاهُ مِنَ الدُّنْيا مِقْضَما فَكانَ للنَّاس، ظَلُوما، فَذلكَ العُتلُّ الزَّنِيمُ"[٣٩٥٣].
قوله تعالى:{بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم : ١٣]، أي:" بعد تلك الأوصاف الذميمة التي تقدمت منسوب إلى غير أبيه"[٣٩٥٤].
وفي تفسير «الزنيم»، وجوه:
أحدها: أن الزنيم: هو المريب الذي يعرف بالشر. به قال سعيد بن جبير[٣٩٥٥].
قال سعيد بن جبير:" الزنيم: الذي يعرف بالشرّ، كما تعرف الشاة بزنمتها؛ الملصق"[٣٩٥٦].
الثاني : أنه الجلف الجافي الأكول الشروب من الحرام. قاله شهر بن حَوْشب[٣٩٥٧].
الثالث : أن الزنيم: الفاجر. قاله أبو رزين[٣٩٥٨].

(٣٩٤٤) أخرجه الطبري: ٥٣٧/٢٣.
(٣٩٤٥) النكت والعيون: ٦٤/٦.
(٣٩٤٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣٩٤٧) أخره الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٤٨)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣٩٤٩) أخره الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٣٨):ص٣٣٦٤/١٠.
(٣٩٥١)المسند (٣٠٦/٤) وصحيح البخاري برقم (٤٩١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢٦٠٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦١٥) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٦).
(٣٩٥٢) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٥٣) أخرجه الطبري: ٥٣٦/٢٣.
(٣٩٥٤) التفسير الميسر: ٥٦٤.
(٣٩٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣.
(٣٩٥٦) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢٣.
(٣٩٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢٣.
(٣٩٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣.

الرابع: أنه الفاحش ، قاله إبراهيم[٣٩٥٩].
الخامس : أنه الذي له زنمة كزنمة الشاة.
قال الضحاك:" كانت له زنمة في أصل أذنه، يقال: هو اللئيم الملصق في النسب"[٣٩٦٠].
قال محمد بن إسحاق : "نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق ولذلك سمي زنيماً"[٣٩٦١].
قال مسلم بن خالد الزنجي:" يعرف الزنيم بما وصفه الله عز وجل كما تعرف الشاة الزنماء من التي ليست بزنماء"[٣٩٦٢].
قال مجاهد:" الزنيم يُعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة"[٣٩٦٣].
قال الشعبي:" الزّنيم: الذي له زنمة من الشّرّ يعرف بها، كما تعرف الشاة بالزّنمة"[٣٩٦٤].
السادس : هو الذي يعرف باللؤم، كما تُعرف الشاة بزنمتها. قاله عكرمة[٣٩٦٥].
السابع : أنه الدعيّ، أي: الملصق بالقوم، وليس منهم، وهذا مروي عن عكرمة[٣٩٦٦]، وسعيد بن المسيب[٣٩٦٧]، ومنه قول حسان بن ثابت[٣٩٦٨]:
وأنت زنيم نيط في آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وقوله أيضا[٣٩٦٩]:
زنيمٌ تَداعاه الرجالُ زيادةً ... كما زيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارعُ
ومنه قول الآخر[٣٩٧٠]:
زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغي الأم ذو حسب لئيم
عن عامر بن قدامة، قال : "سئل عكرمة عن الزنيم، قال : هو ولد الزنا"[٣٩٧١].
الثامن : أنه علامة الكفر كما قال تعالى :{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ} [القلم : ١٦]، قاله أبو رزين[٣٩٧٢].
قال أبو رزين:" الزنيم: علامة الكافر"[٣٩٧٣].
وروي ن قتادة , عن علي, قال: " الزنيم: هو الهجين الكافر"[٣٩٧٤].
والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزنيم هو : المشهور بالشر، الذي يعرف به من بين الناس، وغالبًا يكون دعيًا وله زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره، كما

(٣٩٥٩) انظر: النكت والعيون: ٦٥/٦.
(٣٩٦٠) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢٣.
(٣٩٦١) نقلا عن: النكت والعيون: ٦٥/٦.
(٣٩٦٢)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٠٤):ص٦٢ .
(٣٩٦٣) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٣.
(٣٩٦٤) رواه سفيان، نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ١٠٢.
(٣٩٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣.
(٣٩٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.
(٣٩٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢٣.
(٣٩٦٨)ديوانه ص ١٦٠، وتفسير الطبري ٢٩/ ١٥ واللسان (زنم)، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤.
(٣٩٦٩)ديوانه" ص ٤٩١، وفي "اللسان" ٢/ ٥٣ (زنم) نسبه للخطيم التميمي.
(٣٩٧٠)لم أجد للبيت قائلًا، وهو في التفسير البسيط للواحدي: ٨٧/٢٢.
(٣٩٧١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٩٣/٨.
(٣٩٧٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٠/٢٣، والنكت والعيون: ٦٥/٦.
(٣٩٧٣) أخرجه الطبري: ٥٤٠/٢٣.
(٣٩٧٤) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٢٨٢):ص٣٣٢/٣.

جاء في الحديث : «لا يدخل الجنة ولد زنا»[٣٩٧٥]، وفي الحديث الآخر : «ولد الزنا شَرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه»[٣٩٧٦][٣٩٧٧].

قوله تعالى:{أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} [القلم : ١٤]، أي:" ومن أجل أنه كان صاحب مال وبنين طغى وتكبر عن الحق"[٣٩٧٨].

عن عاصم أنه قرأ: "«ءَأن كانَ ذا مالٍ وبَنِينَ» يَستفهم بهمزتين"[٣٩٧٩].

قوله تعالى:{إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [القلم : ١٥]، أي:" فإذا قرأ عليه أحد آيات القرآن كذَّب بها، وقال: هذا أباطيل الأولين وخرافاتهم"[٣٩٨٠].

عن قتادة، قوله: "{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"[٣٩٨١]. وروي عن الضحاك نحو ذلك[٣٩٨٢].

عن السدي، قوله: {إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"[٣٩٨٣].

القرآن

{سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦)} [القلم : ١٦]

التفسير:

سنجعل على أنفه علامة لازمة لا تفارقه عقوبة له; ليكون مفتضحًا بها أمام الناس.

وفي تفسير الآية وجوه:

أحدها : سنشينه شينا باقيا لا يفارقه آخر ما عليه. قاله قتادة[٣٩٨٤].

الثاني: سيمَى على أنفه. قاله قتادة أيضا[٣٩٨٥].

قال قتادة:" سنسم على أنفه"[٣٩٨٦]. وفي رواية:" «سيما على أنفه»[٣٩٨٧].

(٣٩٧٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٣/٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنه، ورواه النسائي في السنن الكبرى برقم (٤٩٢٥، ٤٩٢٦) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١١١/٣) قال : "وفيه مخالفة للأصول وأعظمها قوله تعالى : "ولا تزر وازرة أخرى". قال الإمام ابن القيم متعقبًا على ابن الجوزي في المنار المنيف (ص١٣٣) : "ليست معرضة بها إن صحت، فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه، بل لأن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب في الغالب، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة، فإن كانت في هذا الجنس طيبة دخلت الجنة، وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد في ذمة : "أنه شر الثلاثة" وهو حديث حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض، وهذه نطفة خبيثة فشره في أصله وشر الأبوين في فعلهما". قلت : ويوجه أيضًا بالتقييد الذي في حديث عائشة الآتي بأنه شر الثلاثة إذا عمل عمل أبويه، وكلام ابن الجوزي منطبق على حديث : "ولد الزنا في النار إلى سبعة أبناء". وهو موضوع.

(٣٩٧٦)رواه الإمام أحمد (١٠٩/٦) من حديث عائشة، رضي الله عنها، و (٣١١/٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣٩٧٧) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٨.

(٣٩٧٨) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٩٧٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وهي قراءة متواترة، قرأ بها ابن عامر، وشعبة، وحمزة، وأبو جعفر، ويعقوب، وهم على أصولهم في تحقيق الهمزة وتسهيلها، والإدخال وعدمه. وقرأ بقية العشرة: {أن كان} بهمزة واحدة. انظر: الإتحاف ص ٥٥٢.

(٣٩٨٠) التفسير الميسر: ٥٦٤.

(٣٩٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥١):ص٢٩١٦/٩.

(٣٩٨٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢١٩١٦/٩.

(٣٩٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٠):ص٢٩١٦/٩.

(٣٩٨٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٣٩٨٥) انظر: تفسير الطبري:٥٤١/٣٤.

(٣٩٨٦) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٣٩٨٧) تفسير عبدالرزاق(٣٢٨٨):ص٣٣٤/٣.

الثالث: أنها سمة سوداء تكون على أنفه يوم القيامة يتميز بها الكافر ، كما قال تعالى : {يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم} [الرحمن : ٤١]. وهذا قول أبي العالية[٣٩٨٨]، ومجاهد[٣٩٨٩].

قال أبو العالية ومجاهد:" سنشينه على أنفه، ونُسوّد وجهه، فنَجعل له عَلَمًا في الآخرة يُعرف به، وهو سواد الوجه"[٣٩٩٠].

وقال الضحاك: "يشكونه على وجهه"[٣٩٩١].

ومعنى ذلك: سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفي السمة على الخرطوم، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف.. يعني بقوله: {سَنَسِمُهُ} سنكويه[٣٩٩٢].

القرآن

{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨)} [القلم : ١٧-١٨]

التفسير:

إنا اختبرنا أهل «مكة» بالجوع والقحط، كما اختبرنا أصحاب الحديقة حين حلفوا فيما بينهم، ليقطعُنَّ ثمار حديقتهم مبكّرين في الصباح، فلا يَطْعَم منها غيرهم من المساكين ونحوهم، ولم يقولوا: إن شاء الله.

قوله تعالى:{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ} [القلم : ١٧]، أي إنا اختبرنا أهل «مكة» بالجوع والقحط، كما اختبرنا أصحاب البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه"[٣٩٩٣].

قال عكرمة:" هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة كان يطعم المساكين منها، فلما مات أبوهم، قال بنوه: والله إن كان أبونا لأحمق حين يُطعم المساكين، فاقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون، ولا يطعمون مسكينا"[٣٩٩٤].

قال سعيد بن جبير:" هي أرض باليمن يُقال لها: ضَرَوان، بينها وبين صنعاء ستة أميال"[٣٩٩٥].

قال قتادة:" هؤلاء ناسٌ قصّ الله عليكم حديثهم، وبيّن لكم أمْرهم[٣٩٩٦].

قال قتادة:" كانت الجنة لشيخ، وكان يتصدَّق، فكان بنوه ينهونه عن الصدقة، وكان يمسك قوت سنته، وينفق ويتصدَّق بالفضل؛ فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا: {لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}"[٣٩٩٧].

قوله تعالى:{إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ} [القلم : ١٧]، أي:" حين حلفوا ليقطعن ثمرها وقت الصباح، قبل أن يخرج اليهم المساكين"[٣٩٩٨].

عن أبي مالك:" {لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِينَ}، قال: لَيَحْضُرُنّها"[٣٩٩٩].

قوله تعالى:{وَلَا يَسْتَثْنُونَ} [القلم : ١٨]، أي:" ولم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا، كأنهم واثقون من الأمر"[٤٠٠٠].

(٣٩٨٨) انظر: تفسير الثعلبي: ١٥/١٠.

(٣٩٨٩) انظر: تفسير الثعلبي: ١٥/١٠.

(٣٩٩٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٥، وتفسير البغوي ٨/ ١٩٤.

(٣٩٩١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٥/١٠.

(٣٩٩٢) تفسير الطبري: ٥٤١/٢٣.

(٣٩٩٣) انظر: التفسير الميسر: ٥٦٥، وصفوة التفاسير: ٤٠٣/٣.

(٣٩٩٤) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٣-٥٤٣.

(٣٩٩٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١١، وانظر: الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣٩٩٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣٩٩٧) أخرجه الطبري: ٥٤٢/٢٣-٥٤٣.

(٣٩٩٨) صفوة التفاسير: ٤٠٣/٣.

(٣٩٩٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

قال أبو صالح:" كان استثناؤهم: سبحان الله"[٤٠٠١].

القرآن

{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠)} [القلم : ١٩-٢٠]

التفسير:

فأنزل الله عليها نارًا أحرقتها ليلا وهم نائمون، فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم.

قوله تعالى:{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ} [القلم : ١٩]، أي:" فأنزل الله عليها نارًا أحرقتها ليلا وهم نائمون"[٤٠٠٢].

قال قتادة:" أتاها أمرُ اللهِ ليلًا"[٤٠٠٣]. وروي عن قطر بن ميمون مثله[٤٠٠٤].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : ٢٠]، أي:" فأصبحت محترقة سوداء كالليل المظلم"[٤٠٠٥].

وفي قوله تعالى:{فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} [القلم : ٢٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: مثل الليل الأسود. قاله عكرمة[٤٠٠٦]، ومنه قول الشاعر[٤٠٠٧]:

تَطاوَلَ لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهيمُ، ... فَمَا يَنْجابُ، عَنْ لِيلٍ، صَرِيمُ

قال ابن كيسان: "كالجرة السوداء"[٤٠٠٨].

الثاني: فأصبحت كأرض تدعى الصريم، وهي أرض باليمن يقال لها ضَرْوان من صنعاء على ستة أميال. وهذا قول سعيد بن جبير[٤٠٠٩].

الثالث : مثل الزرع إذا حُصِد، أي: هشيمًا يبسًا. وهذا قول السدي[٤٠١٠]، ونحوه عن قتادة[٤٠١١].

قال قتادة: "{كَالصَّرِيمِ}، كأنها صرمت"[٤٠١٢].

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقًا قد كان هُيِّئ له"، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم :{فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ} قد حرموا خَير جَنَّتهم بذنبهم"[٤٠١٣].

وقال الحسن: صرم عنها الخير فليس فيها شيء"[٤٠١٤].

القرآن

(٤٠٠٠) صفوة التفاسير: ٤٠٣/٣.

(٤٠٠١)الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٠٠٢) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٠٣) الدر المنثور:/٢٥١، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٠٠٤) الدر المنثور: ٢٥١/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٠٠٥) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٠٦) الدر المنثور: ٢٥١/٩٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٠٠٧) اللسان: (صرم)، وتفسير الطبري: ٥٤٥/٢٣.

(٤٠٠٨) انظر: الكشاف والبيان: ١٦/١٠.

(٤٠٠٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٤/٢٣.

(٤٠١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٤٠١١) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٩٨/٢٢، و"تهذيب اللغة" ١٢/ ١٨٥، و"اللسان" ٢/ ٤٣٥ (صرم).

(٤٠١٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٩٨/٢٢، و"تهذيب اللغة" ١٢/ ١٨٥، و"اللسان" ٢/ ٤٣٥ (صرم).

(٤٠١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ١٩٦/٨. وفي إسناده عمر بن صبح، قال ابن حيان : كان ممن يضع الحديث. وقال الدارقطنى : متروك. وقال الأذي : كذاب. وله شاهد من حديث ثوبان، رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (٢٧٧/٥).

(٤٠١٤) انظر: الكشاف والبيان: ١٦/١٠.

{فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢)} [القلم : ٢١-٢٢]

التفسير:

فنادى بعضهم بعضًا وقت الصباح: أن اذهبوا مبكرين إلى زرعكم، إن كنتم مصرِّين على قطع الثمار.

قوله تعالى:{أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ} [القلم : ٢٢]، أي:" أن اذهبوا مبكرين إلى زرعكم، إن كنتم مصرِّين على قطع الثمار"(٤٠١٥).

قال مجاهد : "كان حرثهم عِنَبًا"(٤٠١٦).

القرآن

{فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤)} [القلم : ٢٣-٢٤]

التفسير:

فاندفعوا مسرعين، وهم يتسارُّون بالحديث فيما بينهم: بأن لا تمكِّنوا اليوم أحدا من المساكين من دخول حديقتكم.

قوله تعالى:{فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ} [القلم : ٢٣]، أي:" فاندفعوا مسرعين، وهم يتسارُّون بالحديث فيما بينهم"(٤٠١٧).

قال قتادة:" يقول: يُسرون"(٤٠١٨).

قوله تعالى:{أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ} [القلم : ٢٤]، أي:" قائلين: لا تدخلوا في هذا اليوم أحداً من الفقراء إلى البستان ولا تمكنوه من الدخول"(٤٠١٩).

قال قتادة:" لما مات أبوهم غدوا عليها، فقالوا: {لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ}"(٤٠٢٠).

القرآن

{وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥)} [القلم : ٢٥]

التفسير:

وساروا في أول النهار إلى حديقتهم على قصدهم السيِّئ في منع المساكين من ثمار الحديقة، وهم في غاية القدرة على تنفيذه في زعمهم.

اختلف أهل التفسير في معنى «الحرْد» -في هذا الموضع-، على أقوال:

أحدها: معناه: على قُدْرة في أنفسهم وجدّ. وهذا قول مجاهد(٤٠٢١)، والحسن(٤٠٢٢)، وقتادة(٤٠٢٣).

قال مجاهد:" على جدّ قادرين في أنفسهم"(٤٠٢٤).

عن الحسن، قال:" على جهد، أو قال على جِدّ"(٤٠٢٥).

قال قتادة:" غدا القوم وهم محردون إلى جنتهم، قادرون عليها في أنفسهم"(٤٠٢٦).

(٤٠١٥) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠١٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٤٠١٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠١٨) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠١٩) صفوة التفاسير: ٤٠٤/٣.

(٤٠٢٠) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢٤) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢٥) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

(٤٠٢٦) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣.

وقال قتادة:" على حِدّ من أمرهم"[٤٠٢٧].
الثاني: على أمر مجمع، أي: على أمر قد أسسوه بينهم. وهذا قول مجاهد-أيضا-[٤٠٢٨]، وعكرمة[٤٠٢٩].
قال مجاهد:" كان حرث لأبيهم، وكانوا إخوة، فقالوا: لا نطعم مسكينا منه حتى نعلم ما يخرج منه، {وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ}: على أمر قد أسسوه بينهم"[٤٠٣٠].
قال مجاهد وعكرمة:" على أمر مجمع"[٤٠٣١].
الثالث : على فاقة وحاجة. قاله الحسن[٤٠٣٢].
الرابع : على حنق وغضب، قاله الشعبي[٤٠٣٣]، والسدي[٤٠٣٤]، ومنه قول الأشهب بن رُميلة[٤٠٣٥]:
أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خِفِيَّةٍ ... تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِمَاءَ الأساوِدِ
وحكي عن عكرمة، قال: على غيظ"[٤٠٣٦].
وقال الشعبي:" {عَلَى حَرْدٍ} على المساكين"[٤٠٣٧].
الخامس : على حرص. قاله الحسن[٤٠٣٨].
السادس : أن القرية تسمى: حرداً ، قاله السدي[٤٠٣٩].
وحكي الثعلبي عن السدي، قال:" أن الحرد: اسم الجنّة"[٤٠٤٠].
فأبعد السدي في قوله هذا![٤٠٤١]، والذي هو أولى تفسير الآية قول من قال: وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرّوه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم[٤٠٤٢].
وفي قوله : {قَادِرِينَ} [القلم : ٢٥]، وجهان:
أحدهما : يعني: قادرين على المساكين ، قاله الشعبي[٤٠٤٣].
الثاني : قادرين على جنتهم عند أنفسهم[٤٠٤٤] ، قاله قتادة[٤٠٤٥].

القرآن

(٤٠٢٧) أخرجه الطبري: ٥٤٦/٢٣. وقال السمعاني في التفسير: ٢٥/٦:" أشهر الأقاويل أن معناه: على حسد، وهو قول قتادة ومجاهد والحسن وجماعة". لعلّ كلمة«حسد» خطأ مطبعي والصحيح: «جدّ»، لما روي عنهم في القول الأول.
(٤٠٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣.
(٤٠٢٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣.
(٤٠٣٠) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٣.
(٤٠٣١) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢٣.
(٤٠٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢٣، والنكت والعيون: ٦٩/٦.
(٤٠٣٣) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٥/٦.
(٤٠٣٤) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.
(٤٠٣٥)البيت للأشهب بن رُميلة كما في "اللسان" ١/ ٦٠٢، و"تفسير الطبري" ٥٤٧/٢٣، و"تفسير غريب القرآن" (٤٨٠)، و"الخزانة" ٦/ ٢٧، والشَّرى موضع تُنسب إليه الأسد. يقال للشجعان: ما هم إلا أسود الشرى. وقيل: هو شرى الفرات وناحيته وبه غياض وآجام ومأسدةٌ. "اللسان" ٢/ ٣١٠ (شري).
(٤٠٣٦) نقلا عن: النكت والعيون: ٦٩/٦، وتفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
(٤٠٣٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
(٤٠٣٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٥/٦.
(٤٠٣٩) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.
(٤٠٤٠) انظر: الكشف والبيان: ١٧/١٠.
(٤٠٤١) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.
(٤٠٤٢) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٣.
(٤٠٤٣) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.
(٤٠٤٤)أي: قادرين عند أنفسهم على الصرام.
(٤٠٤٥) انظر: النكت والعيون: ٦٩/٦.

{فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)} [القلم : ٢٦-٣٣]

التفسير:

فلما رأوا حديقتهم محترقة أنكروها، وقالوا: لقد أخطأنا الطريق إليها، فلما عرفوا أنها هي جنتهم، قالوا: بل نحن محرومون خيرها; بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين. قال أعدلهم: ألم أقل لكم هلا تستثنون وتقولون: إن شاء الله؟ قالوا بعد أن عادوا إلى رشدهم: تنزَّه الله ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا بترك الاستثناء وقصدنا السيِّئ. فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل منهم الآخر على تركهم الاستثناء وعلى قصدهم السيِّئ، قالوا: يا ويلنا إنَّا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله، عسى ربنا أن يعطينا أفضل من حديقتنا; بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا. إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير. مثل ذلك العقاب الذي عاقبنا به أهل الحديقة يكون عقابنا في الدنيا لكل مَن خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله من النعم فلم يؤدِّ حق الله فيها، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد مِن عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون لانزجروا عن كل سبب يوجب العقاب.

قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ} [القلم : ٢٦]، أي:" فلما رأوا حديقتهم محترقة أنكروها، وقالوا: لقد أخطأنا الطريق إليها"(٤٠٤٦).

قال قتادة:" أي: أضللنا الطريق"(٤٠٤٧).

قال قتادة:" يقولون أخطأنا الطريق ما هذه بجنتنا"(٤٠٤٨).

قوله تعالى: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [القلم : ٢٧]، أي:" فلما عرفوا أنها هي جنتهم، قالوا: بل نحن محرومون خيرها; بسبب عزمنا على البخل ومنع المساكين"(٤٠٤٩).

قال قتادة:" بل جُوزينا فحُرمنا"(٤٠٥٠).

قال قتادة:" فقال بعضهم: {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} حرمنا جنتنا"(٤٠٥١).

عن محمد بن كعب القرظي قال: "المحروم الذي تصيبه الجائحة؛ قال الله: {وغدوا على حردٍ قادرين فلما رأوها قالوا إنا لضالون بل نحن محرومون}، وقال: {فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون}، قال: المحروم الذي تصيبه الجائحة"(٤٠٥٢).

قوله تعالى: {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} [القلم : ٢٨]، أي:" قال أعدلهم"(٤٠٥٣).

عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس: "{قَالَ أَوْسَطُهُمْ}: أعدلهم"(٤٠٥٤).

قال قتادة:" أي: أعدلهم قولا، وكان أسرع القوم فزعا، وأحسنهم رَجْعة"(٤٠٥٥).

(٤٠٤٦) التفسير الميسر: ٥٦٥.
(٤٠٤٧) اخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣.
(٤٠٤٨) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣-٥٥٠.
(٤٠٤٩) التفسير الميسر: ٥٦٥.
(٤٠٥٠) اخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣.
(٤٠٥١) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢٣-٥٥٠.
(٤٠٥٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٠٢):ص١٠٣/٢.
(٤٠٥٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.
(٤٠٥٤) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٣. وانظر: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨ حكاه عن محمد بن كعب، والربيع بن أنس.
(٤٠٥٥) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢٣.

قوله تعالى: {أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ} [القلم : ٢٨]، أي: "ألم أقل لكم هلا تستثنون وتقولون: إن شاء الله؟"[٤٠٥٦].

عن مجاهد: "{لَوْلَا تُسَبِّحُونَ}، قال: بلغني أنه الاستثناء"[٤٠٥٧].

قال مجاهد:" يقول: تستثنون، فكان التسبيح فيهم الاستثناء"[٤٠٥٨].

قال السدي : "وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا"[٤٠٥٩].

قال أبو صالح: "استثناءهم: سبحان الله"[٤٠٦٠].

وعن الحسن: "هو الصلاة"[٤٠٦١][٤٠٦٢].

قوله تعالى: {قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} [القلم : ٢٩]، أي:" قالوا بعد أن عادوا إلى رشدهم: تنزَّه الله ربنا عن الظلم فيما أصابنا، بل نحن كنا الظالمين لأنفسنا بترك الاستثناء وقصدنا السيِّئ"[٤٠٦٣].

عن ميمون بن مهران :{سبحان الله}: اسم يعظم الله به ويحاشى به من السوء"[٤٠٦٤].

عن الحسن قال: "{سبحان الله}: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[٤٠٦٥].

عن المسيّب -من طريق الهُذيل- قال: "{سُبْحَانَ اللَّهِ} إنصاف لله من السوء"[٤٠٦٦].

قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ} [القلم : ٣٠]، أي:" فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل منهم الآخر على تركهم الاستثناء وعلى قصدهم السيِّئ، قالوا: يا ويلنا إنَّا كنا متجاوزين الحد في منعنا الفقراء ومخالفة أمر الله"[٤٠٦٧].

قال ابن كيسان: "{قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ} : "طغينا نعم الله فلم نشكرها"[٤٠٦٨]. وفي رواية:""[٤٠٦٩].

قوله تعالى: {عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ} [القلم : ٣٢]، أي:" عسى ربنا أن يعطينا أفضل من حديقتنا; بسبب توبتنا واعترافنا بخطيئتنا، :" إنا إلى ربنا وحده راغبون، راجون العفو، طالبون الخير"[٤٠٧٠].

قرأ الحسن، وعاصم، والأعمش، وابن مُحيصن {يُبْدِلَنَا} بالتخفيف. غيرهم بالتشديد، وهما لغتان[٤٠٧١][٤٠٧٢].

(٤٠٥٦) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٥٧) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٤٠٥٨) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢٣.

(٤٠٥٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٦/٨.

(٤٠٦٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٧/١٠.

(٤٠٦١) الكشاف: ٥٩١/٤.

(٤٠٦٢)قال الزمخشري:" كأنهم كانوا يتوانون في الصلاة، وإلا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر، ولكانت لهم لطفا في أن يستثنوا ولا يحرموا". [الكشاف: ٥٩١/٤].

(٤٠٦٣) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٤):ص٨١/١.

(٤٠٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٤٥):ص٨١/١.

(٤٠٦٦)أخرجه الهذيل بن حبيب -كما في تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٢٨٧ -.

(٤٠٦٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٦٨) نقلا عن: تفسير الثعلبي: ١٧/١٠.

(٤٠٦٩) تفسير الثعلبي: ٢٢٣/٢٨، [ط. دار التفسير].

(٤٠٧٠) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٧١)المبسوط في القراءات العشر" لابن مهران (ص ٢٣٨)، "الكشف عن وجوه القراءات" لمكي ٢/ ٧٢، "التيسير" للداني (ص ١١٨)، "المحرر الوجيز" لابن عطية ٥/ ٣٥١، "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي ٢/ ٢٢٣.

وهي قراءة الجمهور.

قال بكر بن سهل الدمياطي: "حدّثني أبو خالد اليمامي أنه رأى تلك الجنّة، وقال: رأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم"[٤٠٧٣].

سئل قتادة عن أصحاب الجنة: "أهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال: لقد كلفتنى تعبا"[٤٠٧٤].

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه: "بلغني أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان: فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا"[٤٠٧٥].

قرأ الحسن وعاصم والأخفش وابن محيص:«يُبْدِلَنَا» بالتخفيف، وغيرهم بالتشديد، وهما لغتان وفرق قوم بينهما، فقال: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم، والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه[٤٠٧٦].

قوله تعالى: {كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٣٣]، أي:" مثل ذلك العقاب الذي عاقبنا به أهل الحديقة يكون عقابنا في الدنيا لكل مَن خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله من النعم فلم يؤدِّ حق الله فيها، ولعذاب الآخرة أعظم وأشد مِن عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون لانزجروا عن كل سبب يوجب العقاب"[٤٠٧٧].

عن قتادة: : {كَذَلِكَ الْعَذَابُ}، " أي: عقوبة الدنيا"[٤٠٧٨].

روي عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جده؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الجداد بالليل، والحصاد بالليل"[٤٠٧٩].

القرآن

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤)} [القلم : ٣٤]

التفسير:

إن الذين اتقوا عقاب الله بفعل ما أمرهم به وتَرْك ما نهاهم عنه، لهم عند ربهم في الآخرة جنات فيها النعيم المقيم.

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٤٠٨٠].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٤٠٨١].

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٤٠٨٢].

(٤٠٧٢)وفرق قوم بينهما، فقال: التبديل: التغيير بشيء أو تغيير حاله، وعين الشيء قائم، والإبدال: رفع الشيء، ووضع شيء آخر مكانه.

(٤٠٧٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٨/١٠.

(٤٠٧٤) نقلا عن: الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٤٠٧٥) نقلا عن: الكشاف: ٥٩٢/٤.

(٤٠٧٦) انظر: الكشف والبيان: ١٨/١٠.

(٤٠٧٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٧٨) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢٣.

(٤٠٧٩) سنن البيهقي الكبرى (١٣٣/٤) والجداد - بالدال بالفتح والكسر - قال ابن الأثير في النهاية (٢٤٤/١) : "هي صرام النخل، وهو قطع ثمرتها، يقال : جد الثمرة يجدها جدا، وإنما نهى عن ذلك لأجل المساكين حتى يحضروا في النهار فيتصدق عليهم منه".

(٤٠٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٤٠٨١) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٤٠٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤س.

القرآن

{أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨)} [القلم : ٣٧-٣٨]

التفسير:

أم لكم كتاب منزل من السماء تجدون فيه المطيع كالعاصي، فأنتم تدرسون فيه ما تقولون؟ إن لكم في هذا الكتاب إذًا ما تشتهون، ليس لكم ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ} [القلم : ٣٨]، أي:" تدرسون في هذا الكتاب أن لكم ما تشتهون وتطلبون؟"(٤٠٨٣).

قرأ الضحاك: "«أن لكم» بفتح الألف"(٤٠٨٤).

القرآن

{أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩)} [القلم : ٣٩-٤٠]

التفسير:

أم لكم عهود ومواثيق علينا في أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون؟

قال عطاء: "يريد ألكم عهد مني ألا أصيبكم بعذاب ولا عقوبة"(٤٠٨٥).

وقرأ الحسن، وزيد بن علي: (بالغة) بالنصب على الحال(٤٠٨٦).

القرآن

{سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٤١)} [القلم : ٤٠-٤١]

التفسير:

سل المشركين -أيها الرسول-: أيهم بذلك الحكم كفيل وضامن بأن يكون له ذلك؟ أم لهم آلهة تكفُل لهم ما يقولون، وتعينهم على إدراك ما طلبوا، فليأتوا بها إن كانوا صادقين في دعواهم؟

قوله تعالى:{سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ} [القلم : ٤٠]، أي:" سل المشركين -أيها الرسول-: أيهم بذلك الحكم كفيل وضامن بأن يكون له ذلك؟"(٤٠٨٧).

قال قتادة:" أيّهم كفيل بهذا الأمر"(٤٠٨٨).

عن الحسن، وابن كيسان:" الزعيم: الرسول -ها هنا- قائم بالحجة والدعوى"(٤٠٨٩).

القرآن

{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢)} [القلم : ٤٢]

التفسير:

اذكر ذلك اليوم الذي يكشف عن ساق-وهو يوم القيامة-، ويدعى الكافرون والمنافقون إلى السجود لله تعالى فلا يستطيعون(٤٠٩٠).

(٤٠٨٣) صفوة التفاسير: ٤٠٥/٣.

(٤٠٨٤) المحرر الوجيز: ٣٥١/٥.

(٤٠٨٥) التفسير البسيط: ١٠!/٢٢.

(٤٠٨٦)انظر: "معانى الفراء" ٣/ ١٧٦، و"البحر المحيط" ٨/ ٣١٥، و"الإتحاف" (٤٢١).

(٤٠٨٧) التفسير الميسر: ٥٦٥.

(٤٠٨٨)أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٠٨٩) الكشف والبيان: ١٨/١٠.

(٤٠٩٠) انظر: الوجيز للواحدي: ١١٢٤، وتفسير البغوي: ١٩٩/٨.

قوله تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم : ٤٢]، أي:" اذكر ذلك اليوم الذي يكشف عن ساق-وهو يوم القيامة-"[٤٠٩١].

اختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} [القلم : ٤٢]، على أقوال:

أحدها: معناه: عن ساق الآخرة ، قاله الحسن[٤٠٩٢].

وروي عن عكرمة، قال:" دَنا الأمْر، وكَشَف الأمْرُ عن ساقِها. قال: يعني: يوم القيامة"[٤٠٩٣].

الثاني: أنه إقبال الآخرة وذهاب الدنيا ، قال الضحاك[٤٠٩٤]، لأنه أول الشدائد ، كما قال الراجز[٤٠٩٥]:

قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا ... وجدَّت الحرب بكم فَجِدُّوا

الثالث : يكشف عن الغطاء، أي: الغطاء بين الدنيا والآخرة ، قاله الربيع بن أنس[٤٠٩٦]، ومنه قول الراجز[٤٠٩٧]:

في سَنَةٍ قد كشَفَتْ عن ساقِها ... حمراءَ تَبْري اللَّحْمَ عن عُرَاقِها

وحكي عن الحسن قال:" أي: الستر بين الدنيا والآخرة"[٤٠٩٨]. ومعناهما قريب.

عن الربيع بن أنس:" {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ}، قال: عن الغطاء، فيقع مَن كان آمن به في الدنيا، فيَسجدون له، ويُدعى الآخرون إلى السجود فلا يَستطيعون؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا به في الدنيا، ولا يُبصرونه، ولا يَستطيعون السجود، وهم سالمون في الدنيا"[٤٠٩٩].

الرابع: يكشف الرب سبحانه عن نوره.

روي عن عكرمة:" هي سُتور ربّ العزّة إذا كُشفتْ للمؤمنين يوم القيامة"[٤١٠٠].

عن أبي موسى الأشعري، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ}، قال: «نور عظيم يخرّون له سجّدا»[٤١٠١].

الخامس: أنه كناية عن صعوبة الأمر وشدته، أي: يوم يعظم الهول ويشتد الكرب. وهذا تفسير سعيد بن جبير[٤١٠٢]، وعكرمة[٤١٠٣]، ومجاهد[٤١٠٤]، وقتادة[٤١٠٥]، ومنه قول الشاعر[٤١٠٦]:

(٤٠٩١) انظر: الوجيز للواحدي: ١١٢٤، وتفسير البغوي: ١٩٩/٨.

(٤٠٩٢) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٦.

(٤٠٩٣)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ١٤٨ رقم (٢٢٧٦).

(٤٠٩٤) انظر: النكت والعيون: ٧٠/٦.

(٤٠٩٥)البيت ورد في خطبة الحجاج أول ما قدم أميرًا على العراق. والأبيات لحنظلة بن ثعلبة. انظر: "الكامل" ١/ ٢٢٤، و"اللسان" ٢/ ٨٢٧ (عرد)، و"العقد الفريد" ٤/ ١٢١، و"شرح شواهد الشافية" (٣٠٠).

والعُرُدُّ: هو الشديد في كل شيء. يقال: إنه لقوي شديد عرد. "اللسان" ٢/ ٧٢٨ (عرد).

(٤٠٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٣.

(٤٠٩٧)البيت غير منسوب: في غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٨١، وتفسير القرطبي ٢٤٨/١٨، وفتح القدير: ٢٦٧/٥، والبحر المحيط: ٣١٦/٨. وفي مفاتيح الغيب: "شمرت". وورد عجزه في اللسان ١١٥/١٢.

(٤٠٩٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٢٨/٦.

(٤٠٩٩) أخرجه الطبري: ٥٥٥٩/٢٣ مختصرًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤١٠٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤١٠١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٩/١٠-٢٠، وانظر: مجمع الزوائد: ٧/ ١٢٨.

(٤١٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٤١٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢٣.

(٤١٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٤١٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٥/٢٣.

(٤١٠٦) البيت لسعد بن مالك، جد طرفة بن العبد. شاعر جاهلي، واحد سادات بكر بن وائل وفرسانها.

وانظر: ترجمته في: انظر: "طبقات فحول الشعراء" (٤٩)، و"المؤتلف والمختلف" (١٩٨)، و"شرح الحماسة" للتبريزى ٧٣/ ٢، و"الحماسة" لأبي تمام ١/ ٢٦٥، و"معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين" (١٤٨).

البيت ورد في "معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٧٧، و"الخصائص" ٣/ ٢٥٢، و"اللسان" / ٢٤٣ (سوق)، و"الحماسة" لأبي تمام

كَشَفَتْ لَهُمْ عَن ساقِها ... وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصَّرَاحُ

عن عكرمة:" أنه سُئل عن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ}. قال: إنّ العرب كانوا إذا اشتد القتال فيهم والحرب وعَظُم الأمر فيهم قالوا لشِدّة ذلك: قد كَشَفت الحرب عن ساق. فذكر الله تعالى شِدّة ذلك اليوم بما يعرفون"(٤١٠٧).

عن مكحول الشامي أنه سُئل عن قول الله تعالى: "{يوم يكشف عن ساق}. قال: أما سمعتَ قول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق"(٤١٠٨).

عن مجاهد، قوله: "{يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قال: شدة الأمر وجدّه؛ قال ابن عباس: هي أشد ساعة في يوم القيامة"(٤١٠٩). وفي رواية:" هي أوّل ساعة تكون في يوم القيامة"(٤١١٠).

قال مجاهد:" كلّ كَرْبٍ أو شِدّة فهو ساق، ومنه قوله: {والتَّفَّتِ السّاقُ بِالسّاقِ} [القيامة: ٢٩] أي: كَرْب الدنيا بكَرْب الآخرة"(٤١١١).

عن سعيد بن جبير:" أنه سُئِل عن قوله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ}. فغَضب غضبًا شديدًا، وقال: إنّ أقوامًا يزعمون أنّ الله يَكشف عن ساقه، وإنما يَكشِف عن الأمْر الشديد"(٤١١٢).

عن سعيد بن جبير، قال: "عن شدّة الأمر"(٤١١٣).

قال عكرمة:" هو يومُ كربٍ وشدّة"(٤١١٤).

عن إبراهيم:" عن أمْرٍ عظيم؛ عن شِدّة"(٤١١٥).

عن مجاهد:" {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ}، قال: عن بلاء عظيم"(٤١١٦).

قال قتادة:" عن أمر فظيع جليل"(٤١١٧).

قال قتادة:" يوم يكشف عن شدة الأمر"(٤١١٨).

عن قتادة:" {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ} قال: أمْرٌ فظيع جليل، {ويُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ} قال: ذلكم يوم القيامة. ذُكر لنا: أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يُؤذن للمؤمنين يوم القيامة في السجود، فيَسجد المؤمنون، وبين كل مُؤْمِنَيْن منافق، فيقسو ظهر المنافق عن السجود، ويجعل الله سجود المؤمنين عليهم توبيخًا، وصغارًا، وذلًّا، وندامة، وحسرة». وفي قوله: {وقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وهُمْ سالِمُونَ} قال: في الدنيا"(٤١١٩).

والصحابة متنازعون في تفسير هذه الآية : هل المراد الكشف عن الشدة ؟ أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه ؟ ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيها يذكر أنه من الصفات أم لا في غير

١/ ٢٦٦، و"المحتسب" ٢/ ٣٢٦. والصراح والصراح: الخالص من كل شيء.

(٤١٠٧)أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٧٥١). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤١٠٨)أخرجه ابن الأنباري في الوقف والابتداء ١/ ٩٩ (١١٨).

(٤١٠٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٥.

(٤١١٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٥.

(٤١١١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٢٢ - ٢٣ -.

(٤١١٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤١١٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٥.

(٤١١٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٩.

(٤١١٥)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١١ بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤١١٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤١١٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٥.

(٤١١٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٥٥.

(٤١١٩) أخرجه الطبري: ، ٢٣/٥٥٥، وبنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣١٢، وابن جرير ٢٣/ ١٩٨ من طريق معمر. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

هذا الموضوع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله ؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه، وإنما ذكره مجردًا عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والأصبع لم يأخذ ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري المتفق على صحته، وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه : «فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدًا»[٤١٢٠]. ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى : " {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ} [القلم : ٤٢]، مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم : «فيكشف عن ساقة فيخرون له سجدًا». وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة، جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه، قالوا : وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ؛ فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال : كشف الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال تعالى : {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الزخرف : ٥٠]، وقال: {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون : ٧٥] ، فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه، وأيضًا فهناك تحدث الشدة وتشتد، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة"[٤١٢١].

واعلم أن نسبة الساق المعروف إلى الله تعالى محال تعالى عن نسبة الأعضاء والتجزي إليه وإذا ثبت استحالته في حق الله تعالى وجب تأويله بما يستعمله فيه أهل اللغة بما يليق بجلال الرب تعالى، قال ابن عباس وخلق من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم إن المراد بالساق هنا الشدة أي شدة أهوال يوم القيامة وما يلقاه أهل الموقف..[٤١٢٢].

قوله تعالى:{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ} [القلم : ٤٢]، أي:" ويدعى أهل النفاق إلى السجود لله عند ظهور الأمر الشديد فلا يستطيعون السجود"[٤١٢٣].

قال إبراهيم: "ولا يبقى مؤمن إلا سجد، ويقسو ظهر الكافر فيكون عظما واحدا"[٤١٢٤].

القرآن

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣)} [القلم : ٤٣]

التفسير:

منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة مِن عذاب الله، وقد كانوا في الدنيا يُدْعَون إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحَّاء قادرون عليها فلا يسجدون; تعظُّمًا واستكبارًا.

قوله تعالى:{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} [القلم : ٤٣]، أي:" منكسرة أبصارهم لا يرفعونها، تغشاهم ذلة شديدة مِن عذاب الله"[٤١٢٥].

عن قتادة: "{خاشِعَةً أبْصارُهُمْ} بسواد الوجوه"[٤١٢٦].

قوله تعالى:{وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم : ٤٣]، أي:" وقد كانوا في الدنيا يُدْعَون إلى الصلاة لله وعبادته، وهم أصحَّاء قادرون عليها فلا يسجدون; تعظُّمًا واستكبارًا"[٤١٢٧].

عن قتادة، قوله: "{وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ}، ذلكم والله يوم القيامة. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "يُؤْذَنُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمُ القِيامَةِ فِي السُّجُودِ، فَيَسْجُدُ المؤمِنُونَ وَبَينَ كلِّ مُؤْمَنْين

(٤١٢٠) سبق تخريجه.
(٤١٢١)الصواعق المرسلة :٢٥٢/١، ٢٥٣.
(٤١٢٢)إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: ١٣٤-١٣٥.
(٤١٢٣) الهداية إلى بلوغ النهاية: ٧٦٤٩/١٢.
(٤١٢٤) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢٣.
(٤١٢٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤١٢٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٢.
(٤١٢٧) التفسير الميسر: ٥٦٦.

مُنَافِقٌ، فَيَقْسُو ظَهْرُ المُنَافِقِ عَنِ السُّجُودِ، وَيَجْعَلُ اللهُ سُجُودَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ تَوْبِيخا وَدُلا وَصَغارًا، وَنَدَامَةً وَحَسْرَةً"[٤١٢٨].

قال قتادة:" بلغني أنه يُؤْذَن للمؤمنين يوم القيامة في السجود بين كل مؤمنين منافق، يسجد المؤمنون، ولا يستطيع المنافق أن يسجد؛ وأحسبه قال: تقسو ظهورهم، ويكون سجود المؤمنين توبيخا عليهم، قال: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}"[٤١٢٩].

عن إبراهيم التيمي: "{وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}، قال: إلى الصلاة المكتوبة"[٤١٣٠].

قال إبراهيم التيمي: "يدعون إلى الصلاة المكتوبة بالأذان والإقامة فيأبونه"[٤١٣١]..

قال سعيد بن جبير:" يَسْمَعُ المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه"[٤١٣٢]. وفي رواية:" كانوا يسمعون حيّ على الفلاح فلا يجيئون"[٤١٣٣].

عن سعيد بن جبير:" {وقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ}، قال: الصلوات في الجماعات"[٤١٣٤].

قال كعب الأحبار: "والله ما نزلت هذه الآية إلّا في الذين يتخلّفون عن الجماعات"[٤١٣٥].

عن كعب الأحبار، قال: "والذي أنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزّبور على داود، والفرقان على محمد؛ لنَزَلَتْ هذه الآية في الصلوات المكتوبات حيث يُنادى بهن: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ ساقٍ} إلى قوله: {وقَدْ كانُوا يُدْعَوْنَ إلى السُّجُودِ وهُمْ سالِمُونَ} الصلوات الخمس إذا نُودِي بها"[٤١٣٦].

ويروى:" أنّ ربيع بن الجثم عرض له الفالج فكان يتهادى بين رجلين إلى المسجد، فقيل له: يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة، قال: من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا"[٤١٣٧].

قيل لسعيد بن المسيب: "إنّ طارقا يريد قتلك فتغيّب، فقال: أحيث لا يقدره عليّ الله، فقيل له: فاجلس، فقال: أسمع حيّ على الفلاح فلا أجيب"[٤١٣٨].

القرآن

{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)} [القلم : ٤٤-٤٥]

التفسير:

فذرني -أيها الرسول- ومَن يكذِّب بهذا القرآن، فإن عليَّ جزاءهم والانتقام منهم، سنمدهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجًا لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم، وأُمهلهم وأُطيل أعمارهم; ليزدادوا إثمًا. إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد.

قوله تعالى:{فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ} [القلم : ٤٤]، أي:" فذرني -أيها الرسول- ومَن يكذِّب بهذا القرآن، فإن عليَّ جزاءهم والانتقام منهم"[٤١٣٩].

(٤١٢٨) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٤١٢٩) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢٣.

(٤١٣٠) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(٤١٣١) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٤١٣٢) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢٣.

(٤١٣٣) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٤١٣٤)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٩١٤)، وابن جرير ٢٣/ ١٩٦ - ١٩٧ بلفظ: يسمع المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه.

(٤١٣٥) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٤١٣٦)عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

(٤١٣٧) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

(٤١٣٨) نقلا عن: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢/١٠.

قال السدي: "يعني: القرآن"[٤١٤٠].

قوله تعالى:{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [القلم : ٤٤]، أي:" سنمدهم بالأموال والأولاد والنعم؛ استدراجًا لهم من حيث لا يشعرون أنه سبب لإهلاكهم"[٤١٤١].

قال عطاء: "سنمكر بهم من حيث لا يعلمون"[٤١٤٢].

قال سفيان الثوري: "نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر"[٤١٤٣].

قال الضحاك: "كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة"[٤١٤٤].

قال السدي:" سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون"[٤١٤٥].

قال الحسن:" نتبع النعمة السيئة وننسيهم التوبة"[٤١٤٦].

عن الحسن، قال: " كم من مستدرج بالإحسان إليه، وكم من مغبون بالثناء عيه، وكم من مغرور بالستر عليه!"[٤١٤٧].

قوله تعالى:{وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم : ٤٥]، أي:" وأمهلهم وأطيل أعمارهم; ليزدادوا إثمًا، إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد"[٤١٤٨].

قوله تعالى:{إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} [القلم : ٤٥]، أي:" إن كيدي بأهل الكفر قويٌّ شديد"[٤١٤٩].

عن السدي: {وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}، قال:" كف عنهم وأخرجهم على رسلهم ان مكري شديد ثم نسخها الله فأنزل الله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم} [التوبة : ٥]، الآية"[٤١٥٠].

القرآن

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧)} [القلم : ٤٦-٤٧]

التفسير:

أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجرا دنيويا على تبليغ الرسالة فهم مِن غرامة ذلك مكلَّفون حِمْلا ثقيلا؟ بل أعندهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم مِن أنهم أفضل منزلة عند الله مِن أهل الإيمان به؟

قوله تعالى:{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ} [القلم : ٤٦]، أي:" أم تسأل -أيها الرسول- هؤلاء المشركين أجرا دنيويا على تبليغ الرسالة، فهم معرضون عن الإيمان بسبب ذلك التكليف الثقيل ببذلهم المال؟"[٤١٥١].

قل قتادة:" يقول: هل سألتَ هؤلاء القوم أجرًا يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام؟!"[٤١٥٢].

(٤١٣٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٤٠) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(٤١٤١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٤٢) انظر: تفسير البغوي:٣٠٨/٣.

(٤١٤٣) نقلا عن: الكشف والبيان:٢٢/١٠، وتفسير البغوي:٣٠٨/٣.

(٤١٤٤) انظر: تفسير الثعلبي:٣١٢/٤، وزاد المسير:٢٠١/٣.

(٤١٤٥) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(٤١٤٦) النكت والعيون: ٧٢/٦.

(٤١٤٧) نقلا عن: النكت والعيون: ٧٣/٦.

(٤١٤٨) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٤٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٥٠) الدر المنثور: ٦١٨/٣، وعزاه إلى أبي الشيخ.

(٤١٥١) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٥٢) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢٢.

قوله تعالى:{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ} [القلم : ٤٧]، أي:" بل أعندهم علم الغيب، فهم يكتبون عنه ما يحكمون به لأنفسهم مِن أنهم أفضل منزلة عند الله مِن أهل الإيمان به؟"[٤١٥٣].

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"[٤١٥٤].

القرآن

{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)} [القلم : ٤٨-٥٠]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه، حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم، لولا أن تداركه نعمة مِن ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لَطُرح مِن بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه، فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم.

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ} [القلم : ٤٨]، أي:" فاصبر -أيها الرسول- لما حكم به ربك وقضاه، ومن ذلك إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم، ولا تكن كصاحب الحوت، وهو يونس -عليه السلام- في غضبه وعدم صبره على قومه"[٤١٥٥].

عن قتادة: {وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ}، " يقول: لا تعجل كما عَجِل، ولا تغضب كما غضب"[٤١٥٦].

قال ابن جريج:" لا تُغاضِب كما غاضب يونس"[٤١٥٧].

عن وهب بن منبه:" إنّ يونس بن مَتّى كان عبدًا صالحًا، وكان في خُلُقِه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة -ولها أثقال لا يحملها إلا قليل- تَفَسَّخَ تحتها تَفَسُّخَ الرُّبَع تحت الحِمْل، فقذفها بين يديه، وخرج هاربًا منها. يقول الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} [الأحقاف: ٣٥]، {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت} [القلم: ٤٨]، أي: لا تُلقِ أمري كما ألقاه"[٤١٥٨].

قوله تعالى:{إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} [القلم : ٤٨]، أي:" حين نادى ربه، وهو مملوء غمًّا طالبًا تعجيل العذاب لهم"[٤١٥٩].

عن مجاهد، قوله: "{إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ}، يقول: مغموم"[٤١٦٠].

وقال عطاء الخراساني، وأبو مالك :"مكروب"[٤١٦١].

قوله تعالى:{لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} [القلم : ٤٩]، أي:" لولا أن تداركه نعمة مِن ربه بتوفيقه للتوبة وقَبولها لَطُرح مِن بطن الحوت بالأرض الفضاء المهلكة، وهو آتٍ بما يلام عليه"[٤١٦٢].

عن عبدالله المزني:" {وهُوَ مَذْمُومٌ}، قال: هو مُذنِب"[٤١٦٣].

(٤١٥٣) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤١٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص٦/١٨٦٤-١٨٦٥.
(٤١٥٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤١٥٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٣.
(٤١٥٧)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤١٥٨) أخرجه الطبري: ١٨/٥١٣.
(٤١٥٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤١٦٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٣-٥٦٤.
(٤١٦١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٨/٢٠١.
(٤١٦٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

قوله تعالى:{فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القلم : ٥٠]، أي:" فاصطفاه ربه لرسالته، فجعله من الصالحين الذين صلحت نياتهم وأقوالهم وأعمالهم"(٤١٦٤).

عن عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، قال: "بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزلّه الشيطان، حتى ظن أن لن نقدر عليه، قال: وكان له سلف وعبادة وتسبيح، فأبى الله أن يدعه للشيطان، فأخذه فقذفه في بطن الحوت، فمكث في بطن الحوت أربعين من بين ليلة ويوم، فأمسك الله نفسه فلم يقتله هناك، فتاب إلى ربه في بطن الحوت، وراجع نفسه، قال: فقال {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}، قال: فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته، بما كان سلف من العبادة والتسبيح، فجعله من الصالحين، قال عوف: وبلغني أنه قال في دعائه: وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبنه أحد قبلي"(٤١٦٥).

عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى"(٤١٦٦).

القرآن

{وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١)} [القلم : ٥١]

التفسير:

وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحمايته لك، ويقولون: -حسب أهوائهم- إنه لمجنون.

سبب النزول:

قال محمد بن السّائِب الكلبي: "كان رجل من العرب يَمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة، ثم يَرفع جانب خِبائه، فتَمُرّ به النّعم، فيقول: ما رعى اليوم إبل ولا غنم أحسن مِن هذه. فما تَذهب إلا قريبًا حتى يَسقط منها طائفة وعِدّة. فسأل الكفارُ هذا الرجل أن يُصيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعين، ويَفعل به مثل ذلك، فعَصم الله تعالى نبيّه، وأنزَل هذه الآية: {وإِنْ يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ}"(٤١٦٧).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ} [القلم : ٥١]، أي:" وإن يكاد الكفار حين سمعوا القرآن ليصيبونك -أيها الرسول- بالعين؛ لبغضهم إياك، لولا وقاية الله وحمايته لك"(٤١٦٨).

قال الحسن البصري: "{لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ} ليَقْتلونك"(٤١٦٩).

عن مجاهد:" يقول: لَيَنْفُذونك بأبصارهم"(٤١٧٠).

عن قتادة:" يقول: ليزهقونك بأبصارهم"(٤١٧١).

قال عطاء الخراساني:" ليزيلونك بأبصارهم"(٤١٧٢).

قال قتادة:" ليرهقوك"(٤١٧٣).

(٤١٦٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٣-٥٦٤.

(٤١٦٤) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٦٥) أخرجه الطبري: ١٨/٥١٥.

(٤١٦٦)المسند (١/٣٩٠) وصحيح البخاري برقم (٤٦٠٣)، و(٤٦٣١)، وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٦).

(٤١٦٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣، وأسباب النزول للواحدي ص ٦٩٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٠٢.

(٤١٦٨) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٦٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٤.

(٤١٧٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٤-٥٦٥.

(٤١٧١) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٤-٥٦٥.

(٤١٧٢)جزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٧٧):ص١٢٢.

(٤١٧٣) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٢٩٦):ص٣/٣٣٦.

قال زيد بن أسلم:" ليمَسّوك"[٤١٧٤].
قال عطية العوفي:" يرمونك"[٤١٧٥].
قال السدي:" يُصيبونك بعيونهم"[٤١٧٦].
قال قتادة:" لينفذونك بأبصارهم معاداة لكتاب الله، ولذكر الله"[٤١٧٧].
قال الضحاك:" يقول: يَنْفذونك بأبصارهم من العداوة والبغضاء"[٤١٧٨].
قال الحسن: "دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان هذه الآية"[٤١٧٩].

القرآن
{وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٥٢)} [القلم : ٥٢]
التفسير:
وما القرآن إلا موعظة وتذكير للعالمين من الإنس والجن.
واختُلِف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:
أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة[٤١٨٠]، ومجاهد[٤١٨١].
الثاني: أنّه الإنس ، والجنِّ ، وهذا قول سعيد بن جبير[٤١٨٢]، ومجاهد[٤١٨٣].
الثالث : أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم[٤١٨٤]، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء[٤١٨٥]: هم الروحانيّون.
الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق[٤١٨٦].
الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[٤١٨٧].
السادس: ما رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال:" الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"[٤١٨٨].
والظاهر أن{ العالَمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالَم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالَم، والجن عالَم، والملائكة عالَم[٤١٨٩]. والله أعلم.

(٤١٧٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٤.
(٤١٧٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٣.
(٤١٧٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٢٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٠٢.
(٤١٧٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٤-٥٦٥.
(٤١٧٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٤-٥٦٥.
(٤١٧٩) نقلا عن: تفسير البغوي: ٨/٢٠٣، ووالكشاف: ٤/٥٩٧، والبحر المحيط: ٨ / ٣١٨.
(٤١٨٠) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١/١١٢.
(٤١٨١)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١/١١٢.
(٤١٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١/١٤٤-١٤٥.
(٤١٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١/١٤٥.
(٤١٨٤) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:١/٢١٣.
(٤١٨٥) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١/١١٢.
(٤١٨٦) تفسير الثعلبي:١/١١٢.
(٤١٨٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص٦/١٩٣١.
(٤١٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٣١):ص٧/٢٢٠٧.
(٤١٨٩) انظر: تفسير الطبري: ١/١٤٣، معاني القرآن للزجاج: ١/٤٦.

«آخر تفسير سورة (القلم)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الحاقة»

«سورة القلم» هي السورة التاسعة والستون بحسب الرسم القرآني، وهي إحدى سور المُفصّل، وقد نزلت بعد «سورة الملك»، وآياتها إحدى وخمسون في عد البصرة والشام، واثنتان في عد الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وأربعمائة وثمانون. والمختلف فيها آيتان: {الحآقة} الأولى { {بِشِمَالِهِ } [الحاقة : ٢٥]. مجموع فواصل آياتها: «نم له»، على اللام منها آية واحدة: {بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} [الحاقة : ٤٤][٤١٩٠].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة الحاقة بمكة"[٤١٩١]، وروي عن ابن الزبير مثله[٤١٩٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بالإجماع"[٤١٩٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤١٩٤].

(٤١٩٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٧٨/١.

(٤١٩١) الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤١٩٢) انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤١٩٣) المحرر الوجيز: ٣٥٦/٥.

(٤١٩٤) زاد المسير: ٣٢٨/٤.

القرآن

{الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)} [الحاقة : ١ - ٣]

التفسير:

القيامة الواقعة حقًّا التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقًّا في صفتها وحالها؟ وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعَرَّفك حقيقة القيامة، وصَوَّر لك هولها وشدتها؟

قوله تعالى:{الْحَاقَّةُ(١) :{مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة : ١-٢]، أي:" القيامة الواقعة حقًّا التي يتحقق فيها الوعد والوعيد، ما القيامة الواقعة حقًّا في صفتها وحالها؟"(٤١٩٥).

عن عكرمة، والضحاك، قوله: "{الْحَاقَّةُ}، يعني: القيامة"(٤١٩٦).

قال قتادة:" يعني: الساعة أحقت لكل عامل عمله"(٤١٩٧).

قال قتادة:" أحقت لكلّ قوم أعمالهم"(٤١٩٨).

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} [الحاقة : ٣]، أي:" وأي شيء أدراك -أيها الرسول- وعَرَّفك حقيقة القيامة، وصَوَّر لك هولها وشدتها؟"(٤١٩٩).

عن قتادة، قوله: "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ} تعظيما ليوم القيامة كما تسمعون"(٤٢٠٠).

القرآن

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)} [الحاقة : ٤]

التفسير:

كذَّبت ثمود، وهم قوم صالح، وعاد، وهم قوم هود بالقيامة التي تقرع القلوب بأهوالها.

عن قتادة، قوله: "{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ}، أي: بالساعة"(٤٢٠١).

القرآن

{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)} [الحاقة : ٥-٨]

التفسير:

فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها، وأمَّا عاد فأُهلِكوا بريح باردة شديدة الهبوب، سلَّطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، لا تَفْتُر ولا تنقطع، فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى كأنهم أصول نخل خَرِبة متآكلة الأجواف. فهل ترى لهؤلاء القوم مِن نفس باقية دون هلاك؟

قوله تعالى:{فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقة : ٥]، أي:" فأما ثمود فأهلكوا بالصيحة العظيمة التي جاوزت الحد في شدتها"(٤٢٠٢).

واختلف أهلُ التفسير في معنى: «الطاغية» التي أهلك الله بها ثمود، على قولين:

(٤١٩٥) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤١٩٦) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٦-٥٧٠. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٤١٩٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٦.

(٤١٩٨) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٦٦.

(٤١٩٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.

(٤٢٠٠) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٧٠.

(٤٢٠١) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٧٠.

(٤٢٠٢) التفسير الميسر: ٥٦٦.

أحدهما: أنها طغيانهم وكفرهم بالله. قاله مجاهد[٤٢٠٣].

عن مجاهد، قوله:"{فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ}، قال: بالذنوب"[٤٢٠٤].

الثاني: أنها الصيحة التي قد جاوزت مقادير الصياح وطغت عليها. قاله قتادة[٤٢٠٥].

قال قتادة:" بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم"[٤٢٠٦]. وفي رواية:" أرسل الله عليهم صيحة واحدة فأهمدتهم"[٤٢٠٧].

والصواب قول من قال: معنى ذلك: فأهلكوا بالصيحة الطاغية، لأن الله إنما أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به، كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به، فقال: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} ولو كان الخبر عن ثمود بالسبب الذي أهلكها من أجله، كان الخبر أيضا عن عاد كذلك، إذ كان ذلك في سياق واحد، وفي إتباعه ذلك بخبره عن عاد بأن هلاكها كان بالريح الدليل الواضح على أن إخباره عن ثمود إنما هو ما بينت[٤٢٠٨].

قوله تعالى:{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة : ٦]، أي:" وأمَّا عاد فأُهلِكوا بريح باردة شديدة الهبوب"[٤٢٠٩].

عن الضحاك، قوله: "{بِرِيحٍ صَرْصَرٍ}، يعني: باردة عاتية، عتت عليهم بلا رحمة ولا بركة"[٤٢١٠].

عن مجاهد، قوله:" {صَرْصَرٍ}، قال: شديدة"[٤٢١١].

قال قتادة:" الصرصر: الباردة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم"[٤٢١٢].

عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما فتح الله على عاد من الريح التي أهلكوا فيها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض. فلما رأى ذلك أهل الحاضرة الريح وما فيها، قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة"[٤٢١٣].

قوله تعالى:{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة : ٧]، أي:" سلَّطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة، لا تَفْتُر ولا تنقطع"[٤٢١٤].

عن الربيع بن أنس في قوله: ":{سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ}، قال: كان أولها الجمعة"[٤٢١٥].

عن زر بن حبيش: "{فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ}، قال: يوم الأربعاء"[٤٢١٦].

قال وهب: "هي الأيام التي سمّاها العرب: «أيام العجوز»، ذات برد ورياح شديدة، وإنما نسبت هذه الأيام إلى «العجوز»، لأن عجوزا دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلها اليوم الثامن من نزول العذاب، وانقطع العذاب في اليوم الثامن"[٤٢١٧].

(٤٢٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٤) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٦) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٧) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٨) تفسير الطبري: ٥٧١/٢٣.
(٤٢٠٩) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤٢١٠) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.
(٤٢١١) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣-٥٧٣.
(٤٢١٢) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢٣.
(٤٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٦٠):ص٣٣٦٩/١٠.
(٤٢١٤) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤٢١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٥٩):ص٣٣٦٩/١٠.
(٤٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٠٨):ص٣٣٢٠/١٠.

وفي تفسير قوله تعالى:{حُسُومًا} [الحاقة : ٧]، أقوال:
أحدها : متتابعات، قاله مجاهد[٤٢١٨]، وقتادة[٤٢١٩]، وعكرمة[٤٢٢٠]، وسفيان[٤٢٢١]، ومنه قول أمية بن أبي الصلت[٤٢٢٢]:
وكم كنّا بها من فرط عام ... وهذا الدّهر مقتبل حسوم
عن عكرمة، ومجاهد، قوله: "{وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}، يقول: تباعا"[٤٢٢٣].
عن مجاهد، وعكرمة، قوله:"{وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا}، قال: متتابعة"[٤٢٢٤].
قال قتادة:" متتابعة ليس لها فترة"[٤٢٢٥]. وفي رواية:" متتابعة ليس فيها تفتير"[٤٢٢٦].
عن قتادة:" {حُسُومًا}، قال: دائمات"[٤٢٢٧].
الثاني : مشائيم، قاله عكرمة[٤٢٢٨]، والربيع[٤٢٢٩]، وعطية[٤٢٣٠].
قال عطية:" شؤما كأنّها حسمت الخير عن أهلها"[٤٢٣١].
الثالث : أنها حسمت الليالي والأيام حتى استوفتها، لأنها بدأت طلوع الشمس من أول يوم ، وانقطعت مع غروب الشمس من آخر يوم ، قاله الضحاك[٤٢٣٢].
والصواب قول من قال: عُنِي بقوله: {حُسُومًا}: متتابعة، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"[٤٢٣٣].
قوله تعالى:{فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} [الحاقة : ٧]، أي:" فترى القوم في تلك الليالي والأيام موتى، كأنهم أصول نخل خَربة متآكلة الأجواف"[٤٢٣٤].
عن قتادة: "{كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ}، وهي أصول النخل"[٤٢٣٥].
عن الحسن، قال: "لما أقبلت الريح قام إليها قوم عاد، فأخذ بعضهم بأيدي بعض كما تفعل الأعاجم، وغمزوا أقدامهم في الأرض وقالوا: يا هود من يزيل أقدامنا عن الأرض إن كنت صادقا، فأرسل الله عليهم الريح فصيرتهم كأنهم أعجاز نخل مُنْقَعر"[٤٢٣٦].

(٤٢١٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٦/١٠.
(٤٢١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
(٤٢١٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣.
(٤٢٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
(٤٢٢١) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٣.
(٤٢٢٢)ديوان أمية بن أبي الصلت) صفحة ٥٥. الفرط: مجاوزة الحد. يقال: إياك والفرط في الأمر أي: مجاوزة الحد. ويقال: من فرط شغفه به أو كرهه له.
(٤٢٢٣) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
(٤٢٢٤) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣، ٥٧٤.
(٤٢٢٥) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.
(٤٢٢٦) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣.
(٤٢٢٧) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢٣-٥٧٤.
(٤٢٢٨) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
(٤٢٢٩) انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
(٤٢٣٠) انظر: الكشف والبيان: ٢٧/١٠.
(٤٢٣١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٢٧/١٠.
(٤٢٣٢)انظر: النكت والعيون: ٧٧/٦.
(٤٢٣٣) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢٣.
(٤٢٣٤) التفسير الميسر: ٥٦٦.
(٤٢٣٥) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢٣.
(٤٢٣٦) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٢.

عن محمد بن قرظة بن كعب، عن أبيه، عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: «انتزعت الريح الناس من قبورهم»[٤٢٣٧].

القرآن

{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠)} [الحاقة : ٩-١٠]

التفسير:

وجاء الطاغية فرعون، ومَن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها، وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم بسبب الفعلة المنكرة من الكفر والشرك والفواحش، فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة.

قوله تعالى:{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ } [الحاقة : ٩]، أي:" وجاء الطاغية فرعون، ومَن سبقه من الأمم التي كفرت برسلها وأهل قرى قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم "[٤٢٣٨].

عن قتادة، قوله: "{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ}، قرية لوط"[٤٢٣٩].

قال قتادة:" هم قوم لوط، ائتفكت بهم أرضُهم"[٤٢٤٠].

قرأ أبو عمرو والكسائي: «ومن قبله»، بكسر القاف وفتح الباء، أي: ومن معه وتبعه من جنوده. واختاره أبو عبيد وأبو حاتم اعتبارا بقراءة عبد الله وأبيّ :«ومن معه». وقرأ أبو موسى الأشعري: «ومن تلقاءه». وقرأ عاصم: {ومَن قَبْلَهُ} بنصب القاف[٤٢٤١]، أي: ومن تقدمه من القرون الخالية والأمم الماضية[٤٢٤٢].

قوله تعالى:{بِالْخَاطِئَةِ} [الحاقة : ٩]، أي:" بالفعلة الخائطة المنكرة، وهي الكفر والعصيان"[٤٢٤٣].

عن مجاهد: "{بِالْخَاطِئَةِ}، قال: الخطايا"[٤٢٤٤].

قوله تعالى:{فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِم فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً} [الحاقة : ١٠]، أي:" فعصت كل أمة منهم رسول ربهم الذي أرسله إليهم، فأخذهم الله أخذة بالغة في الشدة"[٤٢٤٥].

عن مجاهد: "{أَخْذَةً رَابِيَةً}، قال: شديدة"[٤٢٤٦].

القرآن

{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٢)} [الحاقة : ١١-١٢]

التفسير:

(٤٢٣٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٦٦/٩.

(٤٢٣٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٢٣٩) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٤٢٤٠) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٤٢٤١)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وهي قراءة متواترة، قرأ بها العشرة ما عدا أبا عمرو، ويعقوب، والكسائي؛ فإنهم قرؤوا: «ومَن قِبَلَهُ» بكسر القاف وفتح الباء. انظر: النشر ٢/ ٣٨٩، والإتحاف ص ٥٥٤.

(٤٢٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٥/٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٦١/١٨-٢٦٢.

(٤٢٤٣) صفوة التفاسير: ٤١٢/٣.

(٤٢٤٤) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢٣.

(٤٢٤٥) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٢٤٦) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.

إنَّا لما جاوز الماء حدَّه، حتى علا وارتفع فوق كل شيء، حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء؛ لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة، وتحفظها كل أذن مِن شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت.

قوله تعالى:{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ} [الحاقة : ١١]، أي:" إنَّا لما جاوز الماء حدَّه، حتى علا وارتفع فوق كل شيء"(٤٢٤٧).

قال قتادة: "بلغنا أنه طغى فوق كلّ شيء خمس عشرة ذراعا"(٤٢٤٨).

قال قتادة:" ذاكم زمن نوح، طغى الماء على كلّ شيء خمس عشرة ذراعا بقدر كل شيء"(٤٢٤٩).

قال سعيد بن جبير:" لم تنزل من السماء قطرة إلا بعلم الخزَّان، إلا حيث طغى الماء، فإنه قد غضب لغضب الله، فطغى على الخزان، فخرج ما لا يعلمون ما هو"(٤٢٥٠).

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ} -قال محمد بن عمرو في حديثه-: طما، -وقال الحارث-: ظهر"(٤٢٥١).

قال الضحاك:" كثر وارتفع"(٤٢٥٢).

قوله تعالى:{حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة : ١١]، أي:" حملنا أصولكم مع نوح في السفينة التي تجري في الماء"(٤٢٥٣).

قال السدي:" السّفينة(٤٢٥٤).

قوله تعالى:{لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً} [الحاقة : ١٢]، أي:" لنجعل الواقعة التي كان فيها نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة"(٤٢٥٥).

قال قتادة:" فأبقاها الله تذكرة وعبرة وآية، حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة، وكم من سفينة قد كانت بعد سفينة نوح قد صارت رمادا"(٤٢٥٦).

قوله تعالى:{وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} [الحاقة : ١٢]، أي:" وتحفظها كل أذن مِن شأنها أن تحفظ، وتعقل عن الله ما سمعت"(٤٢٥٧).

قال قتادة:" أذن عقلت عن الله، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله"(٤٢٥٨).

قال قتادة:" أذن سمعت، وعقلت ما سمعت"(٤٢٥٩).

قال الضحاك:" سمعتها أذن ووعت"(٤٢٦٠).

عن عليّ بن حوشب، قال: "سمعت مكحولا يقول: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}، ثم التفت إلى عليّ، فقال: «سألْتُ الله أنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ»، قال عليّ رضي الله عنه: فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسيته"(٤٢٦١).

(٤٢٤٧) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٤٨) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.
(٤٢٤٩) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.
(٤٢٥٠) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢٣.
(٤٢٥١) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.
(٤٢٥٢) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.
(٤٢٥٣) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٥٤)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن المنذر.
(٤٢٥٥) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٥٦) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢٣.
(٤٢٥٧) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٥٨) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.
(٤٢٥٩) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.
(٤٢٦٠) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.

عن عبد الله بن رستم، قال: سمعت بُرَيدة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ: «يا عَلِيُّ؛ إنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أُدْنِيَكَ وَلا أُقْصِيَكَ، وأنْ أُعَلِّمَكَ وأنْ تَعي، وحَقٌّ على اللهِ أنْ تَعِي»، قال: فنزلت: {وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ}"[٤٢٦٢].

القرآن

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٨)} [الحاقة : ١٣-١٨]

التفسير:

فإذا نفخ المَلَك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم، ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكُسِّرتا، ودُقَّتا دقة واحدة. ففي ذلك الحين قامت القيامة، وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسُك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام. في ذلك اليوم تُعرضون على الله -أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم.

قوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ} [الحاقة : ١٣]، أي:" فإذا نفخ المَلَك في «القرن» نفخة واحدة، وهي النفخة الأولى التي يكون عندها هلاك العالم"[٤٢٦٣].

عن قتادة: "{ونفخ في الصور}، أي: في الخلق"[٤٢٦٤].

عن مجاهد :"{ونفخ في الصور}، قال: كهيئة البوق"[٤٢٦٥].

عن مجاهد: "{الصور}: البوق"[٤٢٦٦].

قال مجاهد:" هو القرن، صاحبه آخذ به، فقبض مجاهد قبضتين بكفيه على طف القرن، بين طرفيه، وبين قدر قبضة أو نحوها قد برك على ركبة إحدى رجليه، فأشار فبرك على ركبة يسراه مقعيا على قدمي عقبه تحت فخذه وإليته وأطراف أصابعه في التراب، قد نصب ركبته اليمنى ووضع قدمها في التراب"[٤٢٦٧].

قال عكرمة:" الصور مع إسرافيل فيه أرواح كل شيء تكون فيه، ثم ينفخ فيه الصاعقة فإذا نفخ نفخة البعث قال: الله: بعزتي ليرجعن كل روح إلى جسده وداره ... أعظم من سبع سموات ومن الأرض قال: فخلق الصور على في إسرافيل وهو شاخص بصره متى يؤمر بالنفخ في الصور"[٤٢٦٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} إسرافيل {نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ}، وهي النفخة الأولى"[٤٢٦٩].

قوله تعالى:{وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} [الحاقة : ١٤-١٥]، أي:" ورُفعت الأرض والجبال عن أماكنها فكُسِّرتا، ودُقَّتا دقة واحدة، ففي ذلك الحين قامت القيامة"[٤٢٧٠].

(٤٢٦١) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.
(٤٢٦٢) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢٣.
(٤٢٦٣) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٤٢٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٣):ص٢٩٢٩/٩.
(٤٢٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٤٢٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٤):ص٢٩٢٩/٩.
(٤٢٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٢٢):ص٢٩٢٨/٩.
(٤٢٦٩) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢٣.

عن الزهري:" {فدكتا دكة واحدة}، قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقبض الله الأرض ، ويطوي السماء بيمينه» ، ثم يقول: «لي الملك أين ملوك الأرض؟»"[٤٢٧١].

قوله تعالى:{وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ(١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا} [الحاقة : ١٦]، أي:" وانصدعت السماء، فهي يومئذ ضعيفة مسترخية، لا تماسُك فيها ولا صلابة، والملائكة على جوانبها وأطرافها"[٤٢٧٢].

عن مجاهد، قوله: "{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}، قال: أطرافها"[٤٢٧٣].

قال سعيد بن جبير:" على حافات السماء"[٤٢٧٤].

قال سعيد بن المسيب: الأرجاء: حافات السماء"[٤٢٧٥].

عن الأجلح، قال، قلت للضحاك: "ما أرجاؤها، قال: حافاتها"[٤٢٧٦].

عن قتادة: "{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}: على حافاتها"[٤٢٧٧].

قال قتادة، وسفيان: "على نواحيها"[٤٢٧٨].

عن سعيد بن جبير:" على ما لم يَهِ منها"[٤٢٧٩].

قال الضحاك: "إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفا دون صفّ، ثم نزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض ندّوا، فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}، وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ}، وقوله: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"[٤٢٨٠].

قوله تعالى:{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٧]، أي:" ويحمل عرش ربك فوقهم يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام"[٤٢٨١].

وفي قوله تعالى:{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما: ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عدّتهن إلا الله. قاله الضحاك[٤٢٨٢].

الثاني: ثمانية من الملائكة. قاله سعيد بن جبير[٤٢٨٣]، وقتادة[٤٢٨٤]، وعبد الله بن عمرو[٤٢٨٥]، وشهر بن حوشب[٤٢٨٦]، والربيع بن أنس[٤٢٨٧].

(٤٢٧٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٧١) تفسير عبدالرزاق(٣٣٠٧):ص٣٤٠/٣.
(٤٢٧٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٧٣) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٤) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٥) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٦) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٧) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٨) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٧٩) أخرجه الطبري: ٥٨٢/٢٣.
(٤٢٨٠) أخرجه الطبري: ٥٨١/٢٣.
(٤٢٨١) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٨٢) نقلا عن: الكشاف: ٦٠٢/٤.
(٤٢٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٦٨):ص٣٣٧٠/١٠.
(٤٢٨٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٢٩ -.

قال قتادة:" هم اليوم أربعة مِن الملائكة، وهم يومئذ ثمانية"[٤٢٨٨].
قال الربيع بن أنس:" ثمانية من الملائكة"[٤٢٨٩].
عن ابن إسحاق، قال: "بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هم اليوم أربعة"، يعني: حملة العرش "وإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فكانوا ثمانية وقد قال الله:{وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}"[٤٢٩٠].
قال عبد الله بن عمرو: "حملة العرش ثمانية، ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام"[٤٢٩١].
عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وأذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش، بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام"[٤٢٩٢].
قال ميسرة:" أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور"[٤٢٩٣].
عن شهر بن حوشب , قال: "حملة العرش ثمانية" , قال: " أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك , كأنهم ينظرون إلى أعمال بني آدم"[٤٢٩٤].
وقال وهب بن منبه: " أربعة ملائكة يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة أوجه: وجه وجه ثور، ووجه وجه أسد , ووجه وجه نسر، ووجه وجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام إلا أن يقولوا: «قدسوا الله القوي ملأت عظمته السموات والأرضين»[٤٢٩٥].
عن أبي الزاهرية، قال: "أنبئت أن «لبنان» أحد حملة العرش الثمانية يوم القيامة"[٤٢٩٦].
وعن الحسن: "الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف؟"[٤٢٩٧].
قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ} [الحاقة : ١٨]، أي:" في ذلك اليوم تُعرضون على الله -أيها الناس- للحساب والجزاء، لا يخفى عليه شيء من أسراركم"[٤٢٩٨].
قال قتادة:" تُعرضون ثلاث عَرَضاتٍ؛ فأمّا عَرْضتان ففيهما الخُصومات والمَعاذير، وأمّا الثالثة فتَطايُر الصُّحف في الأيدي"[٤٢٩٩].
قال قتادة ذُكر لنا: أنّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «يُعرَض الناس ثلاث عَرَضاتٍ يوم القيامة؛ فأمّا عَرْضتان ففيهما خُصومات ومَعاذير وجِدال، وأمّا العَرْضة الثالثة فتَطير الصُّحف في الأيدي». اللهم، اجعلنا ممن تؤتيه كتابه بيمينه. قال: وكان بعضُ أهل العلم يقول: إنّي وجدتُ أكْيس الناس

(٤٢٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٩٦٦):ص٣٣٧٠/١٠.
(٤٢٨٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٣١٤): ص٣٤٢/٣.
(٤٢٨٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٢٨٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٢٩ -.
(٤٢٨٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٢٩٠) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣.
(٤٢٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٦٦):ص٣٣٧٠/١٠.
(٤٢٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٦٧):ص٣٣٧٠/١٠.
(٤٢٩٣) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣.
(٤٢٩٤) تفسير عبدالرزاق(٣٣١٤): ص٣٤٢/٣.
(٤٢٩٥) تفسير عبدالرزاق(٣٣١٣):ص ٣٤٢/٣.
(٤٢٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٧٠):ص٣٣٧١/١٠.
(٤٢٩٧) نقلا عن: الكشاف: ٦٠٢/٤.
(٤٢٩٨) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٢٩٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٤. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

مَن قال: {هاؤُمُ اقْرَءُوا كِتابِيَهْ إنِّي ظَنَنْتُ أنِّي مُلاقٍ حِسابِيَهْ}. قال: ظنّ ظنًّا يقينًا، فنَفعه الله بظنّه. قال: وذُكر لنا: أنّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول: «مَن استطاع أن يموت وهو يُحسن الظنّ بالله فليفعل»"[٤٣٠٠].

وقرئ:«لَا يخْفَى»[٤٣٠١].

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤)} [الحاقة : ١٩-٢٤]

التفسير:

فأمَّا من أُعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجًا وسرورًا: خذوا اقرؤوا كتابي، إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح، فهو في عيشة هنيئة مرضية، في جنة مرتفعة المكان والدرجات، ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. يقال لهم: كلوا أكلا واشربوا شربًا بعيدًا عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدَّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية.

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ} [الحاقة : ١٩]، أي:" فأمَّا من أُعطي كتاب أعماله بيمينه، فيقول ابتهاجًا وسرورًا: خذوا اقرؤوا كتابي"[٤٣٠٢].

قال قتادة:" كان بعض أهل العلم يقول: وجدت أكيس الناس من قال: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}"[٤٣٠٣].

عن أبي عثمان قال : "المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئةً تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها، فيرجع إليه لونه. ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال : فعند ذلك يقول :{هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}"[٤٣٠٤].

قوله تعالى:{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة : ٢٠]، أي:" إني أيقنت في الدنيا بأني سألقى جزائي يوم القيامة، فأعددت له العدة من الإيمان والعمل الصالح"[٤٣٠٥].

قال قتادة:" يقول: إنِّي قد عَلمتُ"[٤٣٠٦].

قال قتادة:" ظنّ ظنا يقينا، فنفعه الله بظنه"[٤٣٠٧].

قال قتادة:" ما كان من ظنّ الآخرة فهو علم"[٤٣٠٨].

قال مجاهد:" كلّ ظنّ في القرآن {إِنِّي ظَنَنْتُ}، يقول: أي: علمت"[٤٣٠٩].

قال الحسن:" إنّ المؤمن أحسنَ الظنّ بربّه فأحسنَ العمل، وإنّ المنافق أساء الظنّ فأساء العمل"[٤٣١٠].

(٤٣٠٠) أخرجه الطبري: ٥٨٤/٢٣ مختصرًا مرسلًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٣٠١) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨١/٣.

(٤٣٠٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٠٣) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٤٣٠٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٤/٨.

(٤٣٠٥) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٠٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٥.

(٤٣٠٧) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٤٣٠٨) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٤٣٠٩) أخرجه الطبري: ٥٨٥/٢٣.

(٤٣١٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ١٤٤.

عن عمر بن ذرّ، في قوله:" {فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه} قال: حَمل - وربّ الكعبة- ظنّه على اليقين، ثم نادى مُسفر وجهه، ثَلِجٌ قلبه، مُطلقة يداه. {وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه} أخذ ابن ذرّ يقول: صَدَقْتَ، يا كذاب، صدقت، يا كذاب، ينادي مُسْوَدٌّ وجْهُه، كاسفٌ باله، مُغلولة يداه إلى عنقه ..."[٤٣١١].

عن أبي الضيف- وكان من أصحاب معاذ بن جبل- قال: "يدخل أهل الجنة الجنة على أربعة أصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخائفين ثم أصحاب اليمين قلت: لم سموا أصحاب اليمين قال: لأنهم عملوا بالحسنات والسيئات فأعطوا كتبهم بأيمانهم فقرأوا سيئاتهم حرفا حرفا قالوا يا ربنا هذه سيئاتنا فأني حسناتنا؟ فعند ذلك محا الله السيئات وأبدلها حسنات فعند ذلك قالوا: {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}، فهم أهل الجنة"[٤٣١٢].

عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أوّل من يعطى كِتابَهُ بِيَمِينِهِ من هذه الأمّة عمر بن الخطّاب، وله شعاع كشعاع الشمس!» فقيل له: فأين أبو بكر؟ قال: «هيهات هيهات زقّته الملائكة إلى الجنّة!»"[٤٣١٣].

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يا عائشة كلّ الناس يحاسبون يوم القيامة إلّا أبو بكر»"[٤٣١٤].

قوله تعالى:{فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} [الحاقة : ٢١]، أي:" فهو في عيشة هنيئة مرضية"[٤٣١٥].

قال سعيد بن جبير:" يُريدُ: فيها الرضا"[٤٣١٦].

قوله تعالى:{فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} [الحاقة : ٢٢]، أي:" في جنة مرتفعة المكان والدرجات"[٤٣١٧].

عن الضحاك:" أن الجنة أعلى من النار فسميت لذلك عالية"[٤٣١٨].

قال عطاء: "والدرجة مثل ما بين السماء والأرض"[٤٣١٩].

عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة قال:" سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، يحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين، تقصر بهم أعمالهم»"[٤٣٢٠].

وقد ثبت في الصحيح : "إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض"[٤٣٢١].

قوله تعالى:{قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة : ٢٣]، أي:" ثمارها قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع"[٤٣٢٢].

عن الضحاك:" {قُطُوفُها}، قال: ثِمارها"[٤٣٢٣].

قال قتادة:" دنت فلا يردّ أيديهم عنها بعد ولا شوك"[٤٣٢٤].

قال الحسن:" تَدْنو منه حتى يتناولها مِن حيثُ شاء"[٤٣٢٥].

(٤٣١١)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١١٤ - ١١٥.

(٤٣١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٤٤٢):ص٨/٢٧٣٥.

(٤٣١٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٣٠.

(٤٣١٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠/٣٠. وانظر: كنز العمّال: ١١/ ٥٥٨، ح ٣٢٦٣٥، وح ٣٢٦٣٦ بتفاوت.

(٤٣١٥) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣١٦)علقه البخاري في صحيحه (ت: مصطفى البغا) كتاب التفسير، عقب باب تفسير سورة الحاقة ٤/ ١٨٧١.

(٤٣١٧) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣١٨) النكت والعيون: ٦/٢٦٠.

(٤٣١٩) التفسير البسيط للواحدي: ٢٣/٤٧٦، وورد بمثله من غير عزو في "لباب التأويل" ٤/ ٣٧٢.

(٤٣٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٧٣):ص١٠/٣٣٧١.

(٤٣٢١)صحيح البخاري برقم (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤٣٢٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٢٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٣٢٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٥٨٦.

عن خُثَيْمٍ، قال: "سمعت تُبَيْعًا وسُئل عن: {قُطُوفُها دانِيَةٌ}. فيقول: تَدْنو إليه وهو قائم، فيأخذ من فاكهتها ما أحبّ، ثم تَدْنو إليه وهو قاعد، فيأخذ من فاكهتها ما أحبّ، ثم تَرجع كما كانت"(٤٣٢٦).

عن أبي إسحاق، قال: "سمعت البراء يقول في هذه الآية: {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ}، قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم"(٤٣٢٧).

عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : «بسم الله الرحمن الرحيم»، هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية"(٤٣٢٨).

وفي رواية أخرى:" يعطى المؤمن جَوَازا على الصراط : «بسم الله الرحمن الرحيم»، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية"(٤٣٢٩).

قوله تعالى:{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة : ٢٤]، أي:" يقال لهم: كلوا أكلا واشربوا شربًا بعيدًا عن كل أذى، سالمين من كل مكروه؛ بسبب ما قدَّمتم من الأعمال الصالحة في أيام الدنيا الماضية"(٤٣٣٠).

عن عبد العزيز بن رفيع: " {بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الأيّامِ الخالِيَةِ}، قال: الصوم"(٤٣٣١).

عن مجاهد: "أيام الصيام"(٤٣٣٢).

قال الحسن:" سمعنا أنه الصيام"(٤٣٣٣).

عن قتادة:" قال الله: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}، إن أيامكم هذه أيام خالية: هي أيام فانية، تؤدي إلى أيام باقية، فاعملوا في هذه الأيام، وقدّموا فيها خيرًا إن استطعتم، ولا قوّة إلا بالله"(٤٣٣٤).

عن يوسف بن يعقوب الخيفي، يقول: "بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة، وغارت أعينكم، وخمصت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، {وكُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِما أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخالِيَةِ}"(٤٣٣٥).

القرآن

(٤٣٢٥)أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤١.

(٤٣٢٦)أخرجه أبو حاتم الرازي في الزهد ص ٤١.

(٤٣٢٧) أخرجه الطبري: ٥٨٦/٢٣.

(٤٣٢٨)المعجم الكبير للطبراني (٢٧٢/٦) وعبد الرحمن بن زياد ضعيف، ورواه ابن عدى في الكامل (٣٤٤/١) من طريق إسحاق الدبري، به. وقال : "حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر" ثم ذكر هذا الحديث.

(٤٣٢٩)رواه الضياء في صفة الجنة كما في تفسير ابن كثير: ٢١٤/٨، ورواه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٤٦/٢) من طريق أبي بكر - محمد بن خشام - عن العباس البلخي، عن سعدان بن سعيد الحكمي عن سليمان التيمي به. وقال ابن الجوزي : "هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الطريق الأول - أي طريق عبد الرزاق - ففيه عبد الرحمن بن زياد قال أحمد بن حنبل : نحن لا نروى عن عبد الرحمن. وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات ويدلس. وأما الطريق الثاني، فقال الدارقطني : تفرد به سعدان عن التيمي. قال ابن الجوزي : سعدان مجهول، وكذلك محمد بن خشام".

(٤٣٣٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٣١)أخرجه ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٩٤٩)، وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع - موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ١٠٤ (١٤٧) -، وأبو عمرو الداني في المكتفى ص ٢٢١ (٤٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٣٣٢) نقلا عن: الكشاف: ٦٠٣/٤. قال الزمخشري:" أى: كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله . [الكشاف: ٦٠٣/٤].

(٤٣٣٣)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٧/ ٣٣١.

(٤٣٣٤) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٤٣٣٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٠/١٠.

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)} [الحاقة : ٢٥-٢٩]

التفسير:

وَأمَّا من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادمًا متحسرًا: يا ليتني لم أُعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي؟ يا ليت الموتة التي متُّها في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أُبعث بعدها، ما نفعني مالي الذي جمعته في الدنيا، ذهبت عني حجتي، ولم يَعُدْ لي حجة أحتج بها.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ} [الحاقة : ٢٥-٢٦]، أي:" وَأمَّا من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول نادمًا متحسرًا: يا ليتني لم أُعط كتابي، ولم أعلم ما جزائي"[٤٣٣٦].

قال مجاهد:" تُجعل شماله وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه"[٤٣٣٧].

قال مجاهد:" يخلع يده وراء ظهره"[٤٣٣٨].

عن رجل من بني أسد، قال: قال عمر لكعب: "ويحك، يا كعب! حدِّثنا حديثًا مِن حديث الآخرة. قال: نعم، يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ، ولم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله فيه. قال: ثم يُؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد. قال: فتُنشر حول العرش، فذلك قوله: {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها} [الكهف: ٤٩]. قال الأسدي: الصغيرة ما دون الشرك، والكبيرة الشّرك، إلا أحصاها. قال كعب: ثم يُدعى المؤمن، فيُعطى كتابه بيمينه، فينظر فيه، فحسناته باديات للناس، وهو يقرأ سيئاته لكي لا يقول: كانت لي حسنات فلم تُذكر. فأحبّ الله أن يُريه عمله كلّه، حتى إذا استنقص ما في الكتاب وجد في آخر ذلك كلّه أنه مغفور، وإنك مِن أهل الجنة، فعند ذلك يُقبل إلى أصحابه، ثم يقول: {هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه} [الحاقة: ١٩ - ٢٠]، ثم يُدعى الكافر، فيُعطى كتابه بشماله، ثم يُلفّ، فيُجعل مِن وراء ظهره، ويُلوى عنقه، فذلك قوله: {وأما من أوتي كتابه وراء ظهره} يُنظر في كتابه، فسيئاته باديات للناس، وينظر في حسناته، لكي لا يقول: أفأثاب على السيئات؟"[٤٣٣٩].

قوله تعالى:{يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ} [الحاقة : ٢٧]، أي:" يا ليت الموتة التي متُّها في الدنيا كانت القاطعة لأمري، ولم أُبعث بعدها"[٤٣٤٠].

عن محمد بن كعب القرظي:" {يا لَيْتَها كانَتِ القاضِيَةَ}، قال: الموت"[٤٣٤١].

قال الضحاك:" يا ليتها كانت موتة لا حياة بعدها"[٤٣٤٢].

قال قتادة:" تمنى الموت، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت"[٤٣٤٣].

قوله تعالى:{مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة : ٢٨-٢٩]، أي:" ما نفعني مالي الذي جمعته في الدنيا، ، ذهبت عني حجتي، ولم يَعُدْ لي حجة أحتج بها"[٤٣٤٤].

عن عكرمة، ومجاهد:"{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ}، قال: حُجتي"[٤٣٤٥]. وروي عن القرظي مثله[٤٣٤٦].

(٤٣٣٦) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٣٧)تفسير مجاهد ص ٧١٤ بنحوه، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٦٤، وفتح الباري ٨/ ٦٩٧ - ، وابن جرير ٢٤/ ٢٤٠. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، والبيهقي في البعث.

(٤٣٣٨) تفسير الثعلبي: ١٥٩/١٠.

(٤٣٣٩)أخرجه ابن المبارك في الزهد ١/ ٥١٩.

(٤٣٤٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.

(٤٣٤١)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

(٤٣٤٢)أخرجه هناد (٢٢٤).

(٤٣٤٣) أخرجه الطبري: ٥٨٧/٢٣.

(٤٣٤٤) التفسير الميسر: ٥٦٧.

قال عكرمة:" يعني: حُجّته"[٤٣٤٧].
قال الضحاك:" يقول: بينتي ضلّت عني"[٤٣٤٨].
قال قتادة:" أما والله ما كلّ من دخل النار كان أمير قرية يجبيها، ولكن الله خلقهم، وسلطهم على أقرانهم، وأمرهم بطاعة الله، ونهاهم عن معصية الله"[٤٣٤٩].

القرآن
{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)} [الحاقة : ٣٠-٣٤]
التفسير:
يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها، ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها؛ إنه كان لا يصدِّق بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، ولا يعمل بهديه، ولا يحث الناس في الدنيا على إطعام أهل الحاجة من المساكين وغيرهم.
قوله تعالى:{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} [الحاقة : ٣٠]، أي:" يقال لخزنة جهنم: خذوا هذا المجرم الأثيم، فاجمعوا يديه إلى عنقه بالأغلال، ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها"[٤٣٥٠].
عن المِنْهَال بن عمرو قال : "إذا قال الله، عز وجل {خذوه} ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقي سبعين ألفا في النار"[٤٣٥١].
قوله تعالى:{ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢]، أي:" ثم في سلسلة من حديد طولها سبعون ذراعًا فأدخلوه فيها"[٤٣٥٢].
قال كعب الأحبار : "كل حلقة منها قدر حديد الدنيا"[٤٣٥٣].
عن الضحاك: "{فَاسْلُكُوهُ}، قال: السلك: أن تدخل السلسلة في فيه، وتخرج من دبره"[٤٣٥٤].
قال مجاهد:" بلغني: أنّ السّلسلة تَدخل من مَقْعدَته، حتى تَخرج من فِيه، ثم يُوثّق بها بعد، أو مِن فِيه حتى تَخرج من مَقْعدَته"[٤٣٥٥].
عن سُويد بن نجيح -من طريق المسيّب- قال: "بلغني: أنّ جميع أهل النار في تلك السّلسلة، ولو أنّ حَلقة منها وُضعت على جبل لَذابَ مِن حرِّها"[٤٣٥٦].
عن نسير بن ذعلوق، قال: " سمعت نوفا يقول في رحبة الكوفة، في إمارة مصعب بن الزبير، في قوله: {فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا}، قال: الذراع: سبعون باعا، الباع: أبعد ما بينك وبين مكة"[٤٣٥٧].
وفي رواية:" كلّ ذراع سبعون باعا، كلّ باع أبعد مما بينك وبين مكة، وهو يومئذ في مسجد الكوفة"[٤٣٥٨].

(٤٣٤٥) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.
(٤٣٤٦)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.
(٤٣٤٧) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٣٤٨) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.
(٤٣٤٩) أخرجه الطبري: ٥٨٨/٢٣.
(٤٣٥٠) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٣٥١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٦/٨.
(٤٣٥٢) التفسير الميسر: ٥٦٧.
(٤٣٥٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٦/٨.
(٤٣٥٤) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.
(٤٣٥٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٣٥٦)أخرجه الثعلبي ١٠/ ٣١.
(٤٣٥٧) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ أَنَّ رُصَاصَةً مِثْلَ هَذِهِ، وأشار إلى جمجمة، أُرْسِلَتْ مِنْ السَّماء إلى الأَرْض، وَهَي مَسِيَرةُ خَمْس مِئَةِ سَنَةٍ، لَبَلَغَتِ الأَرْضَ قَبْلَ اللَّيْل، وَلَوْ أَنَّها أُرْسِلَتْ مِنْ رأس السّلْسِلَةِ لَسَارَتْ أَرْبَعِينَ خَرِيفا اللَّيْلَ والنَّهارَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ قَعْرَها أَوْ أَصْلَها"[٤٣٥٩].

القرآن

{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧)} [الحاقة : ٣٥ - ٣٧]

التفسير:

فليس لهذا الكافر يوم القيامة قريب يدفع عنه العذاب. وليس له طعام إلا مِن صديد أهل النار، لا يأكله إلا المذنبون المصرُّون على الكفر بالله.

قوله تعالى:{وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقة : ٣٦]، أي:" وليس له طعام إلا مِن صديد أهل النار"[٤٣٦٠].

قال قتادة:" شرّ الطعام وأخبثه وأبشعه"[٤٣٦١].

وقال الربيع، والضحاك : "هو شجرة في جهنم"[٤٣٦٢].

عن الضحاك:" {غِسْلِينٍ}، قال: هو الضّريع، شجرة يأكل منها أهل النار"[٤٣٦٣].

قوله تعالى:{لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ} [الحاقة : ٣٧]، أي:" لا يأكله إلا المذنبون المصرُّون على الكفر بالله"[٤٣٦٤].

عن مجاهد أنه كان يقرأ: «لا يَأْكُلُهُ إلّا الخاطِيُونَ» لا يَهمز[٤٣٦٥].

عن عكرمة، قال: "قرأ نافعٌ عند عبد الله بن عباس: {لا يأكله إلا الخاطئون}. فقال: مَه، كُلّنا نخطئ"[٤٣٦٦].

وقرأ الجمهور: {الخاطؤن} مهموزا، وهو اسم فاعل من خطىء إذا فعل غير الصواب متعمدا، والمخطئ: من يفعله غير متعمد[٤٣٦٧].

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣)} [الحاقة : ٣٨-٤٣]

التفسير:

(٤٣٥٨) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣.

(٤٣٥٩) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢٣، وانظر: المسند (١٩٧/٢) وسنن الترمذي برقم (٢٥٨٨).

(٤٣٦٠) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٣٦١) أخرجه الطبري: ٥٩١/٢٣.

(٤٣٦٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٧/٨.

(٤٣٦٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤١٧ (٨١)، ٦/ ٤٤١ (١٨٩) -. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر بلفظ: غسلين: شجرة في النار.

(٤٣٦٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٣٦٥)عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور.

(٤٣٦٦)أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٨.

(٤٣٦٧) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٣٤١/٥.

فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لَكَلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل، وليس بقول شاعر كما تزعمون، قليلا ما تؤمنون، وليس بسجع كسجع الكهان، قليلا ما يكون منكم تذكُّر وتأمُّل للفرق بينهما، ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{ {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [الحاقة : ٣٨-٤٠]، أي:" فلا أقسم بما تبصرون من المرئيات، وما لا تبصرون مما غاب عنكم، إن القرآن لَكَلام الله، يتلوه رسول عظيم الشرف والفضل"(٤٣٦٨).

عن قتادة:" {بِما تُبْصِرُونَ} أقسم بالأشياء كلّها، فيَدخل فيه جميع المخلوقات والموجودات. وقال: أقسم بالدنيا والآخرة"(٤٣٦٩).

قال جعفر الصادق: "{بِما تُبْصِرُونَ} مِن صُنعي في مُلكي، {وما لا تُبْصِرُونَ} مِن بِرّي بأوليائي"(٤٣٧٠).

قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} [الحاقة : ٤١]، أي:" وليس بقول شاعر كما تزعمون، قلَّما تؤمنون بهذا القرآن"(٤٣٧١).

عن قتادة:" {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ}: طهَّره الله من ذلك وعصمه"(٤٣٧٢).

قوله تعالى:{وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الحاقة : ٤٢]، أي:" وليس بسجع كسجع الكهان"(٤٣٧٣).

قال قتادة:" طهَّره الله من الكهانة، وعصمه منها، قلَّما تتذكرون وتتعظون"(٤٣٧٤).

قوله تعالى:{تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة : ٤٣]، أي:" ولكنه كلام رب العالمين الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم"(٤٣٧٥).

واختُلِف أهل العلم في معنى «العالم»، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة(٤٣٧٦)، ومجاهد(٤٣٧٧).

الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ ، وهذا قول سعيد بن جبير(٤٣٧٨)، ومجاهد(٤٣٧٩).

الثالث : أنهم المرتزقون، قاله زيد بن أسلم(٤٣٨٠)، ونحوه قول أبي عمرو بن العلاء(٤٣٨١): هم الروحانيّون.

الرابع: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق(٤٣٨٢).

الخامس: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع(٤٣٨٣).

(٤٣٦٨) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٣٦٩)تفسير البغوي ٨/ ٢١٤.
(٤٣٧٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٣٢.
(٤٣٧١) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٣٧٢) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٣.
(٤٣٧٣) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٣٧٤) أخرجه الطبري: ٥٩٢/٢٣.
(٤٣٧٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٣٧٦) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٤٣٧٧)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٤٣٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.
(٤٣٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.
(٤٣٨٠) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢١٣/١.
(٤٣٨١) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(٤٣٨٢) تفسير الثعلبي:١١٢/١.

السادس: ما رواه الربيع بن أنس عن أبي العالية، قال:" الإنس عالم والجن عالم، وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة على الأرض والأرض أربع زوايا ففي كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته تبارك وتعالى"[٤٣٨٤].

والظاهر أن{ العالمين}: جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و(العالم) جمع لا واحدَ له من لفظه، و(العوالم) أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم[٤٣٨٥]. والله أعلم.

عن شُرَيح بن عبيد الله، قال : "قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال : فقرأ :{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ} قال : فقلت : كاهن. قال فقرأ :{وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ لأخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} إلى آخر السورة. قال : فوقع الإسلام في قلبي كل موقع"[٤٣٨٦] [٤٣٨٧].

القرآن

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨)} [الحاقة : ٤٤-٤٨]

التفسير:

ولو ادَّعى محمد علينا شيئًا لم نقله، لانتقمنا وأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه نياط قلبه، فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا. إن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه.

قوله تعالى:{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة : ٤٤]، أي:" ولو ادَّعى محمد علينا شيئًا لم نقله، لانتقمنا وأخذنا منه باليمين"[٤٣٨٨].

وقرأ ذكوان وابنه محمد: «ولو يقول» بالياء وضم القاف، وهذه القراءة معرضة بما صرحت به قراءة الجمهور[٤٣٨٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة : ٤٥]، أقوال:

أحدها: معناه: لأخذناه بالقوة والقدرة. قاله مجاهد[٤٣٩٠]، ومنه قول الشاعر[٤٣٩١]:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقّاها عرابة باليمين

الثاني: يقول: لانتقمنا منه بالحق كقوله: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، يعني: من قبل الحق، بأنكم على الحق. قاله السدي[٤٣٩٢].

(٤٣٨٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص١٩٣١/٦.

(٤٣٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٠٣١):ص٢٢٠٧/٧.

(٤٣٨٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.

(٤٣٨٦)المسند (١٧/١).

(٤٣٨٧)قال ابن كثير:" فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب". [تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨].

(٤٣٨٨) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٣٨٩) انظر: المحرر الوجيز: ٣٦٢/٥-٣٦٣.

(٤٣٩٠) انظر: تفسير السمعاني: ٤٢/٦.

(٤٣٩١)للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب) ، (يمن) ، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب) ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، والإصابة ٤/ ٢٣٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٣، ٢/ ٢٢٣، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٦٠، والعمدة ٢/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٤، ونقد الشعر ص ٢٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري :٣١/٢١.

الثالث: معناه: "لقطعنا يده اليمنى". قاله الحسن[٤٣٩٣].
وعن الحسن -أيضا-:" أي: أذهبنا قوته"[٤٣٩٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة : ٤٦]، أي:" ثم لقطعنا منه نياط قلبه"[٤٣٩٥].
قال مجاهد:" حبل القلب الذي في الظهر"[٤٣٩٦].
قال قتادة:" حبل القلب"[٤٣٩٧].
قال عطاء الخراساني:" نِياط القلب"[٤٣٩٨].
قال عكرمة:" الوَتِين: نِياط القلب[٤٣٩٩].
قال عكرمة:" إذا انقطع الوَتِين، لا إن جاع عِرق، ولا إن شَبع عِرق[٤٤٠٠].
قال الضحاك:" وتين القلب، وهو عرق يكون في القلب، فإذا قطع مات الإنسان"[٤٤٠١].
قال محمد بن كعب : "هو القلب ومَرَاقّه وما يليه "[٤٤٠٢].
قوله تعالى:{فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} [الحاقة : ٤٧]، أي:" فلا يقدر أحد منكم أن يحجز عنه عقابنا"[٤٤٠٣].
قال عطاء: "يقول: لا يحجزه مني أحد"[٤٤٠٤].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [الحاقة :]، أي:" إن هذا القرآن لعظة للمتقين الذين يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه"[٤٤٠٥].
عن قتادة: "{وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}، قال: القرآن"[٤٤٠٦].
عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٤٤٠٧].
عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٤٤٠٨].

القرآن
{وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)} [الحاقة : ٤٩-٥٢]
التفسير:

(٤٣٩٢) انظر: تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
(٤٣٩٣) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ٣٣/٥.
(٤٣٩٤) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٣/٦.
(٤٣٩٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٣٩٦) أخرجه الطبري: ٥٩٣/٢٣.
(٤٣٩٧) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٣.
(٤٣٩٨)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٨.
(٤٣٩٩)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٤٠٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤٤٠١) أخرجه الطبري: ٥٩٤/٢٣.
(٤٤٠٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٨/٨.
(٤٤٠٣) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤٠٤) التفسير البسيط للواحدي: ١٩٤/٢٢.
(٤٤٠٥) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤٠٦) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٣.
(٤٤٠٧) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.
(٤٤٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

إنا لنعلم أنَّ مِنكم مَن يكذِّب بهذا القرآن مع وضوح آياته، وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين به، وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه. فنزِّه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم.

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ} [الحاقة : ٤٩]، أي:" إنا لنعلم أنَّ مِنكم مَن يكذِّب بهذا القرآن مع وضوح آياته"(٤٤٠٩).

قال الربيع: "يعني: بالقرآن"(٤٤١٠).

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الحاقة : ٥٠]، أي:" وإن التكذيب به لندامة عظيمة على الكافرين به حين يرون عذابهم ويرون نعيم المؤمنين به"(٤٤١١).

عن أبي مالك :{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} يقول : لندامة"(٤٤١٢).

عن قتادة: "{وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ}: ذاكم يوم القيامة"(٤٤١٣).

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ} [الحاقة : ٥١]، أي:" وإنه لحق ثابت ويقين لا شك فيه"(٤٤١٤).

قال عطاء: يعني: القرآن مني بدأ، وأنا أرسلته إليكم"(٤٤١٥).

قال قتادة: "إلا أن المؤمن أيقن به في الدنيا فنفعه ، والكافر أيقن به في الآخرة فلم ينفعه"(٤٤١٦).

قوله تعالى:{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة : ٥١]، أي:" فنزِّه الله سبحانه عما لا يليق بجلاله، واذكره باسمه العظيم"(٤٤١٧).

قال عطاء: "فصل لربك الذي عصمك من كل ما رَمَوْك به"(٤٤١٨).

عن إياس بن عامر، قال: سمعت عقبة بن عامر الجهني، يقول: "لما نزلت: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: ٧٤] ، قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى : ١]، قال: «اجعلوها في سجودكم»"(٤٤١٩).

(٤٤٠٩) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤١٠) النكت والعيون: ٨٧/٦.
(٤٤١١) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤١٢) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢١٩/٨.
(٤٤١٣) أخرجه الطبري: ٥٩٥/٢٣.
(٤٤١٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤١٥) التفسير البسيط للواحدي: ١٩٦/٢٢.
(٤٤١٦) النكت والعيون: ٨٨/٦.
(٤٤١٧) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤١٨) التفسير البسيط للواحدي: ١٩٦/٢٢.
(٤٤١٩) المسند(١٧٤١٤):ص٦٣٠/٢٨، وأخرجه الدارمي (١٣٠٥) ، ويعقوب بن سفيان في "المعرفة والتاريخ" ٥٠٢/٢، وأبو يعلى (١٧٣٨) ، وابن خزيمة (٦٠٠) و (٦٧٠) ، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١، والطبراني في "الكبير" ١٧/ (٨٨٩) ، والحاكم ٤٧٧/٢، وابن عبد البر في "التمهيد" ١١٩/١٦ من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ، بهذا الإسناد. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في "تلخيصه": الحديث صحيح.
وأخرجه الطيالسي (١٠٠٠) ، وأبو داود (٨٦٩) ، وابن ماجه (٨٨٧) ، وابن خزيمة (٦٠١) و (٦٧٠) ، وابن حبان (١٨٩٨) ، والحاكم ٢٢٥/١، والبغوي في "التفسير" ٢٨/٧، والمزي في ترجمة إياس من "تهذيب الكمال" ٤٠٥/٣ من طريق عبد الله بن المبارك، عن موسى بن أيوب الغافقي، به، وصحح الحاكم إسناده، فتعقبه الذهبي بقول: إياس ليس بالمعروف.
وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٣٥/١ من طريق عم أحمد بن عبد الرحمن بن وهب- وهو عبد الله بن وهب-، والطبراني ١٧/ (٨٩١) من طريق ابن لهيعة، كلاهما عن موسى بن أيوب الغافقي، به.
وأخرجه الطبراني ١٧/ (٨٩٠) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن موسى بن أيوب، عن رجل من قومه سماه، عن عقبة بن عامر. وزاد: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: "سبحان ربي العظيم" ثلاث مرات، وإذا سجد قال: "سبحان ربي الأعلى" ثلاث مرات. والرجل المبهم هو بلا شك إياس بن عامر الغافقي.

«آخر تفسير سورة (الحاقة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وأخرجه أبو داود (٨٧٠) عن أحمد بن يونس، عن الليث، عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب- على الشك- عن رجل من قومه، عن عقبة. بزيادة الطبراني السابقة. وقال: وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة.

قلنا: لكن روي لهذه الزيادة شواهد تتقوى بها وإن كان لا يخلو واحد منها من مقال: فعن عبد الله بن مسعود عند أبي داود (٨٨٦) ، والترمذي (٢٦١) ، وقال: حديث ابن مسعود ليس إسناده بمتصل، عون بن عبد الله بن عتبة لم يلق ابن مسعود. وقال أبو داود: هذا مرسل، عون لم يدرك عبد الله.

وعن جبير بن مطعم عند البزار (٣٤٤٧) ، والطبراني (١٥٧٢) ، والدارقطني ٣٤٢/١، وفي إسناده عبد العزيز بن عبيد الله الحمصي، وهو ضعيف. وعن أبي مالك الأشعري. سيرد ٣٤٣/٥، وفي إسناده شهر بن حوشب، وهو ضعيف.

وعن أقرم بن زيد الخزاعي عند الدارقطني ٣٤٣/١، وفي إسناده من لا يعرف.

وعن أبي بكرة عند البزار (٣٦٨٦) وفيه من لا يعرف أيضا.

قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، يستحبون أن لا ينقص الرجل في الركوع والسجود من ثلاث تسبيحات.

قلنا: وفي الباب أيضا عن حذيفة بن اليمان، لكن دون تقييد الذكر في الركوع والسجود بعدد، وهو عند مسلم (٧٧٢) ، وسيأتي في "المسند" ٣٨٢/٥.

قال السندي: قوله: "اجعلوها" أي: اعملوا بها واجعلوا السبحة التي تدل عليها هي، والمراد: قولوا: سبحان ربي العظيم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المعارج»

«سورة المعارج» هي السورة السبعون في ترتيب المصحف، أما ترتيبها في النزول فهي السورة الثامنة والسبعون، وكان نزولها بعد سورة «الحاقة» وقبل سورة «النبأ»، وآياتها ثلاث وأربعون في عد الشام، وأربع في عد الباقين. كلماتها مائتان وثلاث عشرة. وحروفها سبعمائة وسبع وخمسون. المختلف فيها آية: {أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، فواصل آياتها: «جعلناهم»، على الميم: {مَعْلُومٌ} [المعارج : ٢٤]، و{وَالْمَحْرُومِ} [المعارج : ٢٥]، وعلى الجيم: {الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣]، وعلى اللام: {كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨][٤٤٢٠].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة سأل بمكة"[٤٤٢١]، وروي عن ابن الزبير مثله[٤٤٢٢].

قال ابن عطية:" هي مكية لا خلاف بين الرواة في ذلك"[٤٤٢٣].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤٤٢٤].

قال القرطبي:" هي مكية باتفاق"[٤٤٢٥].

وقال الألوسي :"وفي مجمع البيان عند الحسن إلا قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ} [المعارج: ٢٤]"[٤٤٢٦].

(٤٤٢٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٠/١.

(٤٤٢١) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤٤٢٢) انظر: الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٤٢٣) المحرر الوجيز: ٣٦٤/٥.

(٤٤٢٤) زاد المسير: ٣٣٥/٤.

(٤٤٢٥) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٨.

(٤٤٢٦) روح المعاني: ٦٢/١٥.

القرآن

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)} [المعارج : ١ - ٤]

التفسير:

دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم، وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه من الله ذي العلو والجلال، تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا، وهو على المؤمن مثل صلاة مكتوبة.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "{سَأَلَ سَائِلٌ}[المعارج: ١]، قال: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة"(٤٤٢٧).

عن ابن عباس: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} [المعارج : ١], قال: «النضر بن الحارث بن كلدة»(٤٤٢٨).

عن ابن عباس: "{سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج: ١]، قال: هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء"(٤٤٢٩).

عن سعيد بن جبير: "{سَأَلَ سَائِلٌ} [المعارج: ١]، قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة، قال: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء»"(٤٤٣٠).

قال مقاتل:" نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة القرشي من بني عبد الدار بن قصي، وذلك أنه قال: اللهم إن كان ما يقول محمد هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأمطر علينا حجارة السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فقتل يوم بدر"(٤٤٣١).

قوله تعالى:{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ(١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ} [المعارج : ١-٢]، أي:" دعا داع من المشركين على نفسه وقومه بنزول العذاب عليهم وهو واقع بهم يوم القيامة لا محالة، ليس له مانع يمنعه"(٤٤٣٢).

عن الضحاك:{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، قال: " واقع على الكافرين"(٤٤٣٣).

قال قتادة:" سأل عذاب الله أقوام، فبين الله على من يقع؛ على الكافرين"(٤٤٣٤).

عن مجاهد، قوله: "{سَأَلَ سَائِلٌ، قال: دعا داع، {بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}، قال: يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} [الأنفال : ٣٢]"(٤٤٣٥).

وقرئ: «سالَ سَائِلٌ»، فلم يهمز «سأل»، ووجهه إلى أنه فعل من: السيل(٤٤٣٦).

قوله تعالى:{مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ} [المعارج : ٣]، أي:" وهو صادر من الله من الله ذي العلو والجلال"(٤٤٣٧).

قال قتادة:" ذي الفواضل والنِّعم"(٤٤٣٨).

عن مجاهد، قوله: "{مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ}، قال: معارج السماء"(٤٤٣٩).

(٤٤٢٧) مسند البزاز(٥٠٩٨):ص٢٩٨/١١، وقال:" وهذا الحديث لا نعلم أحدا رواه إلا أبو أسامة".

(٤٤٢٨) السنن الكبرى للنسائي(١١٥٥٦):ص٣١٢/١٠.

(٤٤٢٩) الدر المنثور: ٢٧٧/٨، وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٤٤٣٠) المستدرك(٣٨٥٤):ص٥٤٥/٢. وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٤٤٣١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٥/٤.

(٤٤٣٢) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٤٣٣) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٤٤٣٤) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٤٤٣٥) أخرجه الطبري: ٥٩٦/٢٣.

(٤٤٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٩٦/٢٣.

(٤٤٣٧) التفسير الميسر: ٥٦٨، وصفوة التفاسير: ٤١٩/٣.

(٤٤٣٨) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

قوله تعالى:{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، أي:" تصعد الملائكة وجبريل إليه تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا"(٤٤٤٠).

واختلف في قوله تعالى:{تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} [المعارج : ٤]، على وجوه:

أحدها: أنه مقدار صعود الملائكة من أسفل الأرض إلى العرش، لو صعده غيرهم قطعه في خمسين ألف سنة، وهذا معنى قول مجاهد(٤٤٤١).

عن مجاهد: "{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات مقدار خمسين ألف سنة؛ ويوم كان مقداره ألف سنة، يعني: بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض، مسيرة خمس مئة عام"(٤٤٤٢).

الثاني : أنه مدة الدنيا، مقدار خمسين ألف سنة، لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا اللّه ، قاله عكرمة(٤٤٤٣)، ومجاهد-أيضا-(٤٤٤٤).

قال معمر: "وبلغني أيضا، عن عكرمة، في قوله: {مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}: لا يدري أحدٌ كم مضى، ولا كم بقي إلا الله"(٤٤٤٥).

الثالث : أنه يوم القيامة، قاله الحسن(٤٤٤٦)، وعكرمة(٤٤٤٧)، والضحاك(٤٤٤٨)، وقتادة(٤٤٤٩)، ومحمد بن كعب القرظي(٤٤٥٠)، وهذا هو مقدار يوم القيامة من وقت البعث إلى أن يفصل بين الخلق.

عن عكرمة: "{فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، قال: يوم القيامة"(٤٤٥١).

قال قتادة:" ذاكم يوم القيامة"(٤٤٥٢).

قال الضحاك:" يعني: يوم القيامة"(٤٤٥٣).

قال عكرمة:" في يوم واحد يفرغ في ذلك اليوم من القضاء كقدر خمسين ألف سنة"(٤٤٥٤).

عن الحسن، قال:" يكون عليهم كصلاة مكتوبة"(٤٤٥٥).

قال إبراهيم التيمي:" قدْر يوم القيامة على المؤمن قدْر ما بين الظهر إلى العصر"(٤٤٥٦).

(٤٤٣٩) أخرجه الطبري: ٦٠٠/٢٣.

(٤٤٤٠) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٤٤١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢٣، وزاد المسير: ٣٣٦/٤-٣٣٧.

(٤٤٤٢) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٤٤٤٣) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣-٦٠٢.

(٤٤٤٤) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٤٥) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٤٦) انظر: النكت والعيون: ٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٣٦/٤-٣٣٧.

(٤٤٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٤٤٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٥٠) انظر: النكت والعيون: ٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٣٦/٤-٣٣٧.

(٤٤٥١) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٤٤٥٢) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٥٣) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٥٤) أخرجه الطبري: ٦٠١/٢٣.

(٤٤٥٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٤٥٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣١٦. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

عن أبي الهيثم عن سعيد، أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}، ما أطول هذا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤْمِنِ حتى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ يُصَلِّيها فِي الدُّنْيا»[٤٤٥٧].

وروي عن ابن أبي مليكة:" أن رجلا سأل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة، فقال: ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؟ قال: إنما سألتك لتخبرني، قال: هما يومان ذكرهما الله في القرآن، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[٤٤٥٨]. وفي رواية:" هما يومان ذكرهما الله جلّ وعزّ، الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم"[٤٤٥٩].

القرآن

{فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)} [المعارج : ٥]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على استهزائهم واستعجالهم العذاب، صبرًا لا جزع فيه، ولا شكوى منه لغير الله.

وفي تفسير الآية الكريمة قولان:

أحدهما : أنه الصبر الذي ليس فيه جزع ، قاله مجاهد[٤٤٦٠].

وقال الحسن:" الصبر الجميل: الذي ليس فوقه جزع إلا إلى الله"[٤٤٦١].

الثاني : أنه المجاملة في الظاهر، قاله الحسن[٤٤٦٢].

عن قيس بن الحجاج في قوله: {فاصبر صبرا جميلا} قال: "هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم ولا يدرى من هو، وإنما أمره بالصبر؛ لأن المشركين كانوا يؤذونه، فأمره بالصبر إلى أن ينزل بهم عذابه"[٤٤٦٣].

القرآن

{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)} [المعارج : ٦-٧]

التفسير:

إن الكافرين يستبعدون العذاب ويرونه غير واقع، ونحن نراه واقعًا قريبًا لا محالة.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا} [المعارج : ٦]، أي:" إن الكافرين يستبعدون العذاب ويرونه غير واقع"[٤٤٦٤].

عن الأعمش:" {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا}، قال: الساعة"[٤٤٦٥].

القرآن

{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩)} [المعارج : ٨-٩]

(٤٤٥٧) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٥٨) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣.

(٤٤٥٩) أخرجه الطبري: ٦٠٢/٢٣-٦٠٣.

(٤٤٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٤/١٥، وتفسير مجاهد: ٣٩٣.

(٤٤٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٩٩): ٢١١٢/٧.

(٤٤٦٢) انظر: النكت والعيون: ٩١/٦.

(٤٤٦٣) تفسير السمعاني: ٤٦/٦.

(٤٤٦٤) التفسير الميسر: ٥٦٨.

(٤٤٦٥)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٢٠٢ (١٦٤) -. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

التفسير:
يوم تكون السماء سائلة مثل حُثالة الزيت، وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذَرَتْه الريح.
قوله تعالى:{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} [المعارج : ٨]، أي:" يوم تكون السماء سائلة مثل حُثالة الزيت"(٤٤٦٦).
قال مجاهد: "كَعَكَرِ الزيت"(٤٤٦٧).
قال عطاء: "كعكر القطران"(٤٤٦٨).
قال الحسن: "مثل الفضة إذا ذيبت"(٤٤٦٩).
قوله تعالى:{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} [المعارج : ٩]، أي:" وتكون الجبال كالصوف المصبوغ المنفوش الذي ذَرَتْه الريح"(٤٤٧٠).
عن مجاهد وقتادة: "{كَالْعِهْنِ}، قال: كالصوف"(٤٤٧١).
قال الحسن: " وهو أضعف الصوف، وأول ما تتغير الجبال تصير رملًا مهيلًا، ثم عهنًا منفوشًا، ثم تصير هباء منثورا"(٤٤٧٢).

القرآن
{وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠)} [المعارج : ١٠]
التفسير:
ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه؛ لأن كل واحدٍ منهما مشغول بنفسه.
قال قتادة:" يشغل كلّ إنسان بنفسه عن الناس"(٤٤٧٣).
وقرئت: {ولا يسْأَلُ حَمِيم}، فمن قرأ :{وَلَا يَسْأَلُ}، فالمعنى أنهم يعرف بعضهم بعضاً، ويدل عليه قوله: {يُبَصَّرُونَهُمْ}، ومن قرأ {ولا يُسْأَل حَمِيمٌ حَمِيمًا}، فالمعنى: لا يُسْأَل قريب عن قرابته(٤٤٧٤).

القرآن
{يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤)} [المعارج : ١١-١٤]
التفسير:
يرونهم ويعرفونهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا. يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة، وبجميع مَن في الأرض مِنَ البشر وغيرهم، ثم ينجو من عذاب الله.
قوله تعالى:{يُبَصَّرُونَهُمْ} [المعارج : ١١]، أي:" يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحدًا"(٤٤٧٥).

(٤٤٦٦) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤٦٧) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
(٤٤٦٨) التفسير الوسيط للواحدي: ٣٥٢/٤.
(٤٤٦٩) التفسير الوسيط للواحدي: ٣٥٢/٤.
(٤٤٧٠) التفسير الميسر: ٥٦٨.
(٤٤٧١) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
(٤٤٧٢) تفسير الثعلبي: ٢٧:٣٤٥، [ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٢٢١/٨.
(٤٤٧٣) أخرجه الطبري: ٦٠٤/٢٣.
(٤٤٧٤) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٢٠/٥.
(٤٤٧٥) التفسير الميسر: ٥٦٩، وصفوة التفاسير: ٤٢٠/٣.

وفي قوله تعالى:{يُبَصَّرُونَهُمْ} [المعارج : ١١]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنهم الأقرباء يبصر بعضهم بعضاً فيعرف كل إنسان قريبه، قاله قتادة[٤٤٧٦].
قال قتادة:" يعرفونهم يعلمون، والله ليعرِّفَنَّ قوم قوما، وأناس أناسا"[٤٤٧٧].
الثاني : أن المؤمنين يبصرون الكافرين ، قاله مجاهد[٤٤٧٨].
وقال السدي: {يُبَصَّرُونَهُمْ}: يعرفونهم، أمّا المؤمن فلبياض وجهه، وأما الكافر فلسواد وجهه"[٤٤٧٩].
وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، قول من قال: معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميما عن شأنه، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم، ثم يفرّ بعضهم من بعض، كما قال جلّ ثناؤه: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات بالصواب، لأن ذلك أشبهها بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن سسسقوله: {يُبَصَّرُونَهُمْ} تلا قوله: {وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا}، فلأن تكون الهاء والميم من ذكرهم أشبه منها بأن تكون من ذكر غيرهم"[٤٤٨٠].
قوله تعالى:{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} [المعارج : ١١-١٣]، أي:" يتمنى الكافر لو يفدي نفسه من عذاب يوم القيامة بأبنائه، وزوجه وأخيه، وعشيرته التي تضمه وينتمي إليها في القرابة"[٤٤٨١].
وفي قوله تعالى:{وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ} [المعارج : ١٣]، قولان:
أحدهما : أنها أمه التي تربيه، قاله مالك[٤٤٨٢].
الثاني : أن «الفصيلة»: قبيلته. قاله مجاهد[٤٤٨٣]، وقتادة[٤٤٨٤]، ومحمد بن كعب القرظي[٤٤٨٥].
قال القرظي:" قبيلته التي يَنتسب إليها"[٤٤٨٦].
عن قتادة، قوله: "{يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ}، الأحبّ فالأحبّ، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدائد ذلك اليوم"[٤٤٨٧].

القرآن
{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨)} [المعارج : ١٥-١٨]
التفسير:
ليس الأمر كما تتمناه -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب، تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن، تنادي مَن أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله، وجمع المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤدِّ حق الله فيه.
قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا لَظَى} [المعارج : ١٥]، أي:" ليس الأمر كما تتمناه -أيها الكافر- من الافتداء، إنها جهنم تتلظى نارها وتلتهب"[٤٤٨٨].

(٤٤٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
(٤٤٧٧) أخرجه الطبري: ٦٠٥/٢٣.
(٤٤٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
(٤٤٧٩) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٣٧/١٠.
(٤٤٨٠) تفسير الطبري: ٦٠٥/٢٣.
(٤٤٨١) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٤٨٢) انظر: النكت والعيون: ٩٢/٦، وغرائب التفسير وعجائب التأويل لتاج القراء: ١٢٥٢/٢.
(٤٤٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٦/٢٣.
(٤٤٨٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٣٣٤):٣٤٧/٣.
(٤٤٨٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٤٨٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٤٨٧) أخرجه الطبري: ٦٠٦/٢٣.

عن الضحاك:" أنه اسم الدرك الثامن في جهنم"[٤٤٨٩].

قوله تعالى:{نَزَّاعَةً لِلشَّوَى} [المعارج : ١٦]، أي:" تنزع بشدة حرها جلدة الرأس وسائر أطراف البدن"[٤٤٩٠].

وفي معنى قوله تعالى:{لِلشَّوَى} [المعارج : ١٦]، أقوال:

أحدها : أن «الشوى» الأطراف، وهي اليدان والرجلان، قاله مجاهد[٤٤٩١]، أبو صالح[٤٤٩٢]، قال الشاعر[٤٤٩٣]:

إذَا نَظرَتْ عَرفْتَ النَّحْرَ مِنْهَا ... وعَيْنَيْهَا ولمْ تَعْرفْ شَوَاهَا

وقول الآخر[٤٤٩٤]:

سليم الشظى عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسا ... لَه حَجَبَاتٌ مُشرفاتٌ على الفالي

الثاني:: أنه جمع شواة، وهي جلدة الرأس. وهذا قول مجاهد[٤٤٩٥]، وسعيد بن جبير[٤٤٩٦]، ومحمد بن كعب[٤٤٩٧]، ودليل هذا التفسير قول كثير عزّة[٤٤٩٨]:

لأصبحت هدتك الحوادث هذه ... لها فشواة الرأس باد قتيرها

قال سعيد بن جبير:" فروة الرأس"[٤٤٩٩].

الثالث : أنه العصب والعقب ، قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٤٥٠٠].

الرابع : نزاعة للحم الساقين. وهذا قول أبي صالح[٤٥٠١].

الخامس : أنه محاسن وجه بني آدم، قاله الحسن[٤٥٠٢]، وقتادة[٤٥٠٣]، وأبو العالية[٤٥٠٤]، وثابت البناني[٤٥٠٥].

(٤٤٨٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٤٨٩) النكت والعيون: ٩٣/٦.

(٤٤٩٠) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٤٩١) انظر: الدر المنثور: ٨/ ٢٨٢، وعزاه إلى ابن أبي شيبة.

(٤٤٩٢) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ٩٣/٦.

(٤٤٩٣) بلا نسبة في النكت والعيون: ٩٣/٦، وتفسير القرطبي: ٢٨٩/١٨، واللباب: ٣٦٤/١٩.

(٤٤٩٤)ورد البيت في: "ديوان امرؤ القيس": ١٤٣، دار صادر، و"الأضداد" لابن الأنباري: ٢٣٠، و"الكشف والبيان" ١٢: ١٨٤/ أ، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٨/ ٢٨٩. ومعناه: الشظى: عظم لاصق بالذراع. الشوى: اليدان والرجلان، الشنج: الصلب، النسا: عرق في الفخذ، الحجبات: رؤوس عظام الوركين. الفالي: اللحم الذي على الورك، وأصله الفائل. كما ورد الشطر الأول من البيت منسوبًا لدريد بن الصمة في شعر يرثي به عبد الله أخاه، وقد قتلته بنو عبس، قال: سَلِيم الشَّظَى عَبْل الشَّوَى شنج النسا ... طويل القَرا نهْدٍ أسيل المُقَلَّدِ

انظر: "ديوان دريد بن الصمة": ٥١.

(٤٤٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٨/٢٣، والنكت والعيون: ٩٣/٦.

(٤٤٩٦) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤٤٩٧) انظر: الدر المنثور: ٢٨١/٨-٢٨٢، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤٤٩٨) البيت له في "الكشف والبيان": ٣٨/١٠، وتفسير القرطبي: ١٨/ ٢٨٨. والقتير: الشيب.

(٤٤٩٩) انظر: الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٤٥٠٠)انظر: "الكشف والبيان" :٣٨/١٠، و"تفسير البغوي" ٤/ ٣٩٤، و"زاد المسير" ٣٣٧/٤، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ١٢٨. ومعنى العَصَب -بفتحتين-: أطناب المفاصل التي تُلائم بينها وتشدها. انظر: "لسان العرب" ١/ ٦٠٢ (عصب)، و"المصباح المنير" ٢/ ٤٩٢. والعقب -أيضًا بفتحتين-: أطناب المفاصل، وبكسر القاف: مؤخر القدم، والمراد هنا المعنى الأول. انظر: "المصباح المنير" ٢/ ٥٠٠، (عقب).

(٤٥٠١) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٣، والدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر، وانظر: الكشف والبيان: ٣٨/١٠.

(٤٥٠٢) انظر: النكت والعيون: ٩٣/٦، وزاد المسير: ٣٣٧/٤.

(٤٥٠٣) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤٥٠٤) انظر: زاد المسير: ٣٣٧/٤.

(٤٥٠٥) انظر: الكشف والبيان" ١٢/ ١٨٣/ ب، و"التفسير الكبير" ٣/ ١٢٨، و"الدر المنثور" ٨/ ٢٨٢، وعزاه إلى ابن

قال قتادة:" لهامته ومكارم وجهه"[٤٥٠٦].
وقال الحسن:" نزاعة لهامته ومكارم خَلْقِهِ وأطرافه"[٤٥٠٧].
السادس : للهام تحرق كلّ شيء منه، ويبقى فؤاده نضيجا. قاله الحسن[٤٥٠٨].
السابع: أنه اللحم والجلد الذي على العظم، لأن النار تشويه ، قاله الضحاك[٤٥٠٩].
قال الضحاك:" تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا"[٤٥١٠].
وعن الحسن، قال {نَزَّاعَةً لِلشَّوَى}، قال: للهام , قال: «تأكله النار , حتى لا تبقي منه شيئا غير فؤاده نضيج»"[٤٥١١].
وقال قرة بن خالد:" نزاعة للهام تحرق كل شيء منه ويبقى فؤاده نضجا"[٤٥١٢].
وأكثر المفسرين على أنها: الأطراف[٤٥١٣].
قوله تعالى:{تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى} [المعارج : ١٧]، أي:" تنادي مَن أعرض عن الحق في الدنيا، وترك طاعة الله ورسوله"[٤٥١٤].
قال مجاهد:" أدبر عن الطاعة وتولى عن الحق"[٤٥١٥].
وقال قتادة:" أدبر عن أمر الله وتولى عن كتاب الله"[٤٥١٦].
قال الزجاج:" تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه"[٤٥١٧].
قوله تعالى:{وَجَمَعَ فَأَوْعَى} [المعارج : ١٨]، أي:" وجمع المال، فوضعه في خزائنه، ولم يؤدِّ حق الله فيه"[٤٥١٨].
قال الماوردي:" يعني الذي أدبر وتولى جمع المال فأوعى ، بأن جعله في وعاء حفظا له ومنعا لحق الله منه"[٤٥١٩].
عن مجاهد:" {وجَمَعَ فَأَوْعى}، قال: جمع المال"[٤٥٢٠].
قال قتادة:" كان جموعا قموما للخبيث "[٤٥٢١].
قال قتادة: "فكان جموعا منوعا"[٤٥٢٢].
عن الحكم -رضي الله عنه- قال: "كان عبد الله بن حكيم لا يربط كيسه، قال: سمعت الله يقول: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى}"[٤٥٢٣].

المنذر، و"فتح القدير" ٥/ ٢٩٠.
(٤٥٠٦) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.
(٤٥٠٧) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(٤٥٠٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(٤٥٠٩) انظر: النكت والعيون: ٩٣/٦.
(٤٥١٠) أخرجه الطبري: ٦٠٩/٢٣.
(٤٥١١) تفسير عبدالرزاق(٣٣٢٥):ص٣٤٥/٣.
(٤٥١٢) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٤٥١٣) التفسير البسيط: ٢٢٢/٢٢.
(٤٥١٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥١٥) النكت والعيون: ٩٤/٦.
(٤٥١٦) النكت والعيون: ٩٤/٦.
(٤٥١٧) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.
(٤٥١٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥١٩) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.
(٤٥٢٠)أخرجه الطبري: ٦١٠/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤٥٢١)أخرجه الطبري:٦١٠/٢٣. وعزاه السيوطي إلى عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤٥٢٢) معاني القرآن: ٢٢٢/٥.
(٤٥٢٣) الدر المنثور: ٢٨٢/٨، وعزاه إلى ابن سعد.

القرآن

{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)} [المعارج : ١٩-٣٠]

التفسير:

إن الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص، إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإمساك، إلا المقيمين للصلاة الذين يحافظون على أدائها في جميع الأوقات، ولا يَشْغَلهم عنها شاغل، والذين في أموالهم نصيب معيَّن فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم المعونة، ولمن يتعفف عن سؤالها، والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة، والذين هم خائفون من عذاب الله. إن عذاب ربهم لا ينبغي أن يأمنه أحد. والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرَّم الله عليهم، إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين.

قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج : ١٩-٢١]، أي:" إن الإنسان جُبِلَ على الجزع وشدة الحرص، :" إذا أصابه المكروه والعسر فهو كثير الجزع والأسى، :" وإذا أصابه الخير واليسر فهو كثير المنع والإمساك"[٤٥٢٤].

وفي معنى: «الهَلوع»، أقوال:

أحدها: أنه الموصوف بما يلي هذه الآية، به قال الحسن[٤٥٢٥].

عن حميد الطويل، قال: سألت الحسن، عن قوله عز وجل: {خُلِقَ هَلُوعًا} [المعارج: ١٩]، قال: «اقرأ ما بعدها» فقرأت: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} [المعارج: ٢١]، قال: " هذا الهلوع: هكذا خلق الإنسان "[٤٥٢٦].

الثاني: أنه الحريص على ما لا يحلُّ له، به قال حصين[٤٥٢٧].

عن يحيى، قال خالد:" وسألت شعبة عن قوله: {إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا}، فحدثني شعبة عن حصين أنه قال: الهلوع: الحريص"[٤٥٢٨].

الثالث: البخيل، قاله الحسن[٤٥٢٩]، والضحاك[٤٥٣٠].

قال الضحاك:" هو بخيل منوع للخير، جَزُوع إذا نزل به البلاء، فهذا الهلوع "[٤٥٣١].

الرابع: الشحيح، قاله ابن جبير[٤٥٣٢].

قال سعيد بن جبير:" شحيحا جَزُوعا"[٤٥٣٣].

الخامس: الشَّرِه، حكاه الثعلبي عن مجاهد[٤٥٣٤].

(٤٥٢٤) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥٢٥) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٤.
(٤٥٢٦) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٤.
(٤٥٢٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٢٨) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٢٩) انظر: الكشف والبيان: ٣٩/١٠، والنكت والعيون: ٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.
(٤٥٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٣١) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٣٣) أخرجه الطبري: ٦١١/٢٣.

السادس: الضَّجُور، قاله عكرمة[٤٥٣٥]، وقتادة[٤٥٣٦].
السابع : أنه الجزوع. قاله قتادة[٤٥٣٧].
وحكي الماوردي عن مجاهد قال:" أنه الشديد الجزع"[٤٥٣٨].
أصل الكلمة من السرعة، تقول: نعامة هالعة، أي مسرعة، وناقة هلواع كذلك. والجمهور على أن معنى الهلوع ما فسره الله بقوله: {إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا}"[٤٥٣٩].
قوله تعالى: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ} [المعارج : ٢٣]، أي:" إلا المقيمين للصلاة، الذين يحافظون على أداء صلاتهم في جميع الأوقات، ولا يَشْغَلهم عنها شاغل"[٤٥٤٠].
عن إبراهيم: "{الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}، قال: المكتوبة"[٤٥٤١]. وفي رواية:" الصلوات الخمس"[٤٥٤٢].
عن قتادة قوله: "{إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ... } إلى قوله: {دَائِمُونَ}، ذكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو عاد ما أُرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خُلُقٌ للمؤمنين حسن"[٤٥٤٣].
عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: حدثتني عائشة -زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "خُذُوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُونَ، فإنَّ الله لا يَمَلُّ حَتى تَمَلُّوا" قالت: وكان أحب الأعمال إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دُووم عليه. قال: يقول أبو سلمة: إن الله يقول: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}"[٤٥٤٤].
وعن عقبة بن عامر الجُهَنّي، في قوله: {الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ}، قال:" هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خَلْفَهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم"[٤٥٤٥].
قوله تعالى: {وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥)} [المعارج : ٢٤ - ٢٥]، أي:" والذين في أموالهم نصيب معيَّن فرضه الله عليهم، وهو الزكاة لمن يسألهم المعونة، ولمن يتعفف عن سؤالها"[٤٥٤٦].
اختلف أهل العلم في المعنيّ بـ«حَقٌّ مَعْلُومٌ» الذي ذكره الله في هذا الموضع، على قولين:
أحدهما: أن «الحقّ المعلوم»: الزكاة المفروضة. قاله قتادة[٤٥٤٧]، وابن سيرين[٤٥٤٨]،وابن أبي مريم[٤٥٤٩].

(٤٥٣٤) انظر: الكشف والبيان: ٣٩/١٠، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.
(٤٥٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٣٦) انظر: النكت والعيون: ٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٣٨/٤.
(٤٥٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١١/٢٣.
(٤٥٣٨) انظر: النكت والعيون: ٩٤/٦.
(٤٥٣٩) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٢٥٢/٢. ثم قال:" العجيب: مقاتل: الهلوع دابة من وراء جبل قاف يأكل كل يوم سبع صحارى من الحشيش ويشرب سبع بحار من ماء، لا تصبر مع الحر ولا مع البرد، تفكر كل ليلة ماذا تأكل غدا، فشبه الإنسان بها".
(٤٥٤٠) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥٤١) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.
(٤٥٤٢) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.
(٤٥٤٣) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.
(٤٥٤٤) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.
(٤٥٤٥) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢٣.
(٤٥٤٦) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.
(٤٥٤٨) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٤٥٤٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.

الثاني: أنه سوى الصدقة يصل بها رحمه، أو يقري بها ضيفا، أو يحمل بها كلا أو يُعِين بها محرومًا. وهذا قول مجاهد[٤٥٥٠].

قال الشعبي وإبراهيم:" إن في المال حقا سوى الزكاة"[٤٥٥١].

عن مجاهد: "{فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ}، قال: سوى الزكاة، وأجمعوا على أن السائل هو الذي وصفت صفته"[٤٥٥٢].

واختلفوا أيضا في معنى «المحروم» في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : أنه الْمُحَارِفُ الذي لا يكاد يتيسر له مكسبه، وهذا قول مجاهد[٤٥٥٣]، والضحاك[٤٥٥٤]، وسعيد بن المسيب[٤٥٥٥]، ونافع[٤٥٥٦]، وعطاء[٤٥٥٧]، وإبراهيم[٤٥٥٨].

قال مجاهد:" المحروم: الذي لا يُهدى له شيء وهو محارف"[٤٥٥٩].

قال إبراهيم:" المحروم: هو المحارف الذي ليس له أحد يعطف عليه، أو يعطيه شيئا"[٤٥٦٠].

قال إبراهيم:" المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف في الناس"[٤٥٦١].

وقال عطاء:" هو المحدود المحارف"[٤٥٦٢].

قال الضحاك:" هو الرجل المحارف الذي لا يكون له مال إلا ذهب، قضى الله له ذلك"[٤٥٦٣].

عن مجاهد، وعطاء، قالا: "المحروم: المحارف في الرزق، وفي التجارة"[٤٥٦٤].

الثاني : أنه المتعفف الذي لا يسأل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته، قاله قتادة[٤٥٦٥]، وابن شهاب الزهري[٤٥٦٦].

عن قتادة، قوله: "{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، هذان فقيرا أهل الإسلام، سائل يسأل في كفّه، وفقير معتفٌّف، ولكليهما عليك حقّ يا ابن آدم"[٤٥٦٧].

قال قتادة:" السائل الذي يسأل بكفه، والمحروم: المتعفف، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم"[٤٥٦٨].

قال الزهري:" السائل: الذي يسأل، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل"[٤٥٦٩].

عن الزهري:" أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان، قالوا: فمن المسكين يا رسول الله؟ قال: الذي لا يجد غنى، ولا يعلم بحاجته فيتصدق عليه فذلك المحروم"[٤٥٧٠].

(٤٥٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.
(٤٥٥١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.
(٤٥٥٢) أخرجه تفسير الطبري: ٦١٣/٢٣.
(٤٥٥٣) انظر: تفسير الطبري:٦١٥/٢٣، و٤١٤/٢٢.
(٤٥٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٤١٤/٢٢.
(٤٥٥٥) انظر: تفسير الطبري:٦١٥/٢٣، و٤١٥/٢٢.
(٤٥٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٥/٢٢.
(٤٥٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣، و٤١٥/٢٢.
(٤٥٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٥/٢٣.
(٤٥٥٩) أخرجه الطبري: ٦١٤/٢٣.
(٤٥٦٠) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
(٤٥٦١) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
(٤٥٦٢) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.
(٤٥٦٣) أخرجه الطبري: ٤١٤/٢٢.
(٤٥٦٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٩٨٥):ص٢٣٨/٣.
(٤٥٦٥) انظر: تفسير الطبري:٦١٧/٢٣، و٤١٦/٢٢.
(٤٥٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٤٥٦٧) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.
(٤٥٦٨) أخرجه الطبري:٦١٧/٢٣، و٤١٦/٢٢.
(٤٥٦٩) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.

عن محمد بن كعب القرظي: "المحروم صاحب الحاجة، ثم قرأ: {إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} [الواقعة : ٦٧]"[٤٥٧١]. قال الثعلبي:" ونظيره في قصة ضروان[٤٥٧٢] {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"[٤٥٧٣].

قال النحاس:" حدثنا الزهري محمد بن مسلم[٤٥٧٤]، أنّه قال: المحروم: الذي لا يسأل، وأكثر الصحابة على أنه: المحارف. وليس هذا بمتناقض، لأن «المحروم» -في اللغة-: الممنوع من الشيء، فهو مشتمل على كل ما قيل فيه"[٤٥٧٥].

الثالث : أنه الذي يجيء بعد الغنيمة وليس له فيها سهم، قاله محمد بن الحنفية[٤٥٧٦].

عن إبراهيم:" عن الحكم، عن إبراهيم أن ناسا قَدِموا على عليّ رضي الله عنه الكوفة بعد وقعة الجمل، فقال: اقسموا لهم، وقال: هذا المحروم"[٤٥٧٧].

قال إبراهيم: "المحروم: الذي لا فيء له في الإسلام، وهو محارف من الناس"[٤٥٧٨]. وفي رواية:" المحروم: المحارف الذي ليس له في الغنيمة شيء"[٤٥٧٩].

عبن محمد بن الحنفية :"أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فغنموا، وفتح عليهم، فجاء قوم لم يشهدوا، فنزلت: {فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}، يعني: هؤلاء"[٤٥٨٠].

الرابع : أنه الذي لا ينمى له مال. قاله عكرمة[٤٥٨١].

عن حصين، قال: "سألت عكرمة، عن السائل والمحروم؟ قال: السائل: الذي يسألك، والمحروم: الذي لا ينمى له مال"[٤٥٨٢].

الخامس : أنه المصاب بثمره وزرعه يعينه من لم يصب، زيد بن أسلم[٤٥٨٣].

عن عبد الله بن عياش، قال: "قال زيد بن أسلم في قول الله: {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} قال ليس ذلك بالزكاة، ولكن ذلك مما ينفقون من أموالهم بعد إخراج الزكاة، والمحروم: الذي يُصاب زرعه أو ثمره أو نسل ماشيته، فيكون له حقّ على من لم يصبه ذلك من المسلمين، كما قال لأصحاب الجنة حين أهلك جنتهم قالوا {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ} وقال أيضًا: {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}"[٤٥٨٤].

عن أبي قلابة، قال: جاء سيل باليمامة، فذهب بمال رجل، فقال رجل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم: هذا المحروم"[٤٥٨٥].

(٤٥٧٠) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢٢.

(٤٥٧١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٤٥٧٢)ضروان: اسم أرض باليمن فيها الجنة المشار إليها. انظر: الدر المنثور ٦: ٢٥٣.

(٤٥٧٣) الكشف والبيان: ١١٢/٩.

(٤٥٧٤)هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، القرشي المدني، تابعي جليل، وامام علم، كان عالم الحجاز والشام، وكان آية فى الحفظ، حتى انه قال ما استودعت قلبي شيئا فنسيه، وقال الليث بن سعد: ما رأيت عالما قط اجمع من ابن شهاب، وقال مالك: لم يكن فى الناس له نظير توفى عام ١٢٤ هـ.

(٤٥٧٥) إعراب القرآن: ١٦٠/٤.

(٤٥٧٦) انظر: تفسير الطبري:٦١٦/٢٣، و٤١٧/٢٢.

(٤٥٧٧) أخرجه الطبري:٦١٥/٢٣، وانظر: ٤١٧/٢٢.

(٤٥٧٨) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٤٥٧٩) أخرجه الطبري: ٦١٥/٢٣.

(٤٥٨٠) أخرجه الطبري: ٦١٦/٢٣.

(٤٥٨١) انظر: تفسير الطبري:٦١٦/٢٣، و٤١٧/٢٢.

(٤٥٨٢) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢.

(٤٥٨٣) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.

(٤٥٨٤) أخرجه الطبري: ٤١٧/٢٢-٤١٨.

(٤٥٨٥) أخرجه الطبري:٦١٦/٢٣، و٤١٥/٢٢.

وفي رواية عن أبي قلابة، قال: "كان رجل من أهل اليمامة له مال، فجاء سيل فذهب بماله، فقال رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم: هذا المحروم، فاقسموا له"[٤٥٨٦].
السادس : أنه المملوك، قاله عبد الرحمن بن حميد[٤٥٨٧].
السابع : أنه الكلب [٤٥٨٨]، قال محمد بن إسحاق : "حدثني بعض أصحابنا قال : كنا مع عمر بن عبد العزيز في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر كتف شاة فرمى بها إليه، وقال : يقولون : إنه المحروم"[٤٥٨٩].
التاسع: أنه من وجبت نفقته من ذوي الأنساب لأنه قد حرم كسب نفسه ، حتى وجبت نفقته في مال غيره. أفاده الماوردي[٤٥٩٠].

والصواب من القول في ذلك أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ، كما قال جلّ ثناؤه :{وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[٤٥٩١]، وإنما وقع الاختلاف في هذا لأنها صفة أقيمت مقام الموصوف، و«المحروم»: هو الذي قد حرم الرزق واحتاج. فهذه الأقوال كلها داخلة في هذا غير أنه ليس فيها أجل مما روي عن ابن عباس ولا أجمع أنه: «المحارف»"[٤٥٩٢].

قال الشعبي: "أعناني أن أعلم ما {الْمَحْرُومِ}[٤٥٩٣]، لقد سألت عن المحروم منذ سبعين سنة، فما أنا اليوم بأعلم مني من يومئذ"[٤٥٩٤].

قال الحسن البصري: "أدركت أقواماً إن كان الرجل ليعزم على أهله أن لا يردوا سائلاً، ولقد أدركت أقواماً إن كان الرجل ليخلف أخاه في أهله أربعين عاماً، وإن أهل البيت يبتلون بالسائل، ما هو من الجن ولا من الإنس، وإن الذين كانوا من قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغاً، ويبتاعون بالفضل أنفسهم. رحم الله امرأ جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة وليس خلقاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة، وابتغى الرحمة، حتى يأتي عليه أجله وهو كذلك"[٤٥٩٥].

وحكي :«أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلّم فقال: يا رسول الله مالي لا أحب الموت، جعلني الله فداك؟ فقال: هل لك مال؟ قال: نعم. قال: قدم مالك. قال: لا أطيق ذلك يا رسول الله. قال: فإن قلب المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن أخره أحب أن يتخلف معه»[٤٥٩٦]".

(٤٥٨٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.
(٤٥٨٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦٦/٥.
(٤٥٨٨)قال الجصاص:" من تأوله على الكلب فإنه لا يجوز أن يكون المراد عنده بحق معلوم الزكاة لأن إطعام الكلب لا يجزي من الزكاة فينبغي أن يكون المراد عنده حقا غير الزكاة فيكون في إطعام الكلب قربة كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في كل ذي كبد حرى أجرا وإن رجلا سقى كلبا فغفر الله له»(٤٥٨٨)، والأظهر في قوله حق معلوم أنه الزكاة لأن الزكاة واجبة لا محالة وهي حق معلوم فوجب أن يكون مرادا بالآية إذ جائز أن ينطوي تحتها ويكون اللفظ عبارة عنها ثم جائز أن يكون جميع ما تأول السلف عليه المحروم مرادا بالآية في جواز إعطائه الزكاة وهو يدل على أن الزكاة إذا وضعت في صنف واحد أجزأ لأنه اقتصر على السائل والمحروم دون الأصناف المذكورة في آية الصدقات وفرق الله تعالى في الآية بين السائل والمحروم لأن الفقير قد يحرم نفسه بتركه المسألة وقد يحرمه الناس بترك إعطائه فإذا لم يسئل فقد حرم نفسه بترك المسألة فسمي محروما من هذا الوجه لأنه يصير محروما من وجهين من قبل نفسه ومن قبل الناس". [أحكام القرآن: ٢٩٦/٥].
(٤٥٨٩) تفسير ابن كثير: ٤١٩/٧، وحكاه عنه النحاس في: الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣، والماوردي في النكت والعيون: ٣٦٦/٥
(٤٥٩٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦٧/٥.
(٤٥٩١) تفسير الطبري: ٤١٨/٢٢.
(٤٥٩٢) الناسخ والمنسوخ: ٦٨٣.
(٤٥٩٣)أخرجه الطبري:٦١٦/٢٣، و٤١٨/٢٢.
(٤٥٩٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٢/٩.
(٤٥٩٥)الحلية ٢/ ١٤٩ وكتاب الزهد الكبير للبيهقي(١٣):ص ٢/ ٦٥.
(٤٥٩٦)الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٢٠٥ (رقم ٤٥٨٠)، وتفسير التستري: ١٥٣.

عن الحرث بن النعمان- ابن أخت سعيد بن جبير- قال: "سمعت أنس بن مالك يحدّث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «يا أنس ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: يا ربّ ظلمونا حقوقنا التي فرضتها عليهم. قال: فيقول: وعزّتي وجلالي لأقربنّكم ولأبعدنّهم»، قال: فتلا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عليه هذه الآية: {وَفِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}"[٤٥٩٧].

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المعارج : ٢٦]، أي:" والذين يؤمنون بيوم الحساب والجزاء فيستعدون له بالأعمال الصالحة"[٤٥٩٨].

عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[٤٥٩٩].

وقال مجاهد: "يوم الحساب"[٤٦٠٠].

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩)إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المعارج : ٢٩-٣٠]، أي:" والذين هم حافظون لفروجهم عن كل ما حرَّم الله عليهم إلا على أزواجهم وإمائهم، فإنهم غير مؤاخذين"[٤٦٠١].

قال مجاهد: "يحفظ فرجه إلا من امرأته أو أمته، فإنه لا يلام على ذلك"[٤٦٠٢].

القرآن

{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥)} [المعارج : ٣١-٣٥]

التفسير:

فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام. والذين هم حافظون لأمانات الله، وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد، والذين يؤدُّون شهاداتهم بالحق دون تغيير أو كتمان، والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلُّون بشيء من واجباتها. أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرُّون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم.

قوله تعالى:{ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المعارج : ٣١]، أي:" فمن طلب لقضاء شهوته غير الزوجات والمملوكات، فأولئك هم المتجاوزون الحلال إلى الحرام"[٤٦٠٣].

قال أبو عبدالرحمن:" من زنى فهو عاد"[٤٦٠٤].

قال السدي:" أي: فأولئك هم المعتدون"[٤٦٠٥].

عن الزهري، قال: "سألت القاسم بن محمد بن أبي بكر عن متعة النساء، فقال: «إني لأرى تحريمه في القرآن», قال: قلت: فأين؟, قال: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}"[٤٦٠٦].

(٤٥٩٧) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٣/٩.
(٤٥٩٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٥٩٩) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٤٦٠٠) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.
(٤٦٠١) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٦٠٢) التفسير البسيط للواحدي: ٥٢٦/١٥.
(٤٦٠٣) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٦٠٤) أخرجه الطبري:١١/١٩.
(٤٦٠٥) نقلا عن: تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.
(٤٦٠٦) تفسير عبدالرزاق(١٩٥٧):ص٤١٣/٢.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} [المعارج : ٣٢]، أي:" والذين هم حافظون لأمانات الله، وأمانات العباد، وحافظون لعهودهم مع الله تعالى ومع العباد"(٤٦٠٧).

عن سعيد بن جبير:" {والذين هم لأماناتهم}: يعني بهذا ما ائْتُمِنوا عليه فيما بينهم وبين الناس، {وعهدهم} قال: يوفون العهد، {راعون} قال: حافِظون"(٤٦٠٨).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج : ٣٤]، أي:" والذين يحافظون على أداء الصلاة ولا يخلُّون بشيء من واجباتها"(٤٦٠٩).

قال مسلم بن صبيح:" أقام الصلاة لوقتها"(٤٦١٠).

قال مسروق:" على ميقاتها"(٤٦١١).

قال الحسن:" على المواقيت"(٤٦١٢).

قال قتادة: "على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها"(٤٦١٣).

وروي عن إبراهيم: "{عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، قال: دائمون، قال: يعني بها المكتوبة"(٤٦١٤).

روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال : «استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»(٤٦١٥).

قال ابن مسعود :«سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، أيّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : "الصلاة على وقتها". قلت : ثم أيّ ؟ قال : "برُّ الوالدين". قلت : ثم أي ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله»(٤٦١٦).

عن قتادة، عن حنظلة الكاتب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من حافظ على الصلوات الخمس، على وضوئهن ومواقيتهن وركوعهن وسجودهن، وعلم أنه حق لله عليه دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة"(٤٦١٧).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ} [المعارج : ٣٥]، أي:" أولئك المتصفون بتلك الأوصاف الجليلة مستقرُّون في جنات النعيم، مكرمون فيها بكل أنواع التكريم"(٤٦١٨).

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "(٤٦١٩).

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"(٤٦٢٠).

(٤٦٠٧) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦٠٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤٦٠٩) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦١٠) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٤٦١١) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٤٦١٢)أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ١/ ١٣٧.

(٤٦١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٣٩٣/١.

(٤٦١٤) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٤٦١٥)جاء من حديث ثوبان : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٧) من طريق سفيان عن منصور عن ابن أبي الجعد عنه به وفيه انقطاع. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٨) من طريق المعتمر عن ليث عن مجاهد عنه به ، وليث بن أبي سليم ضعيف. ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الزوائد.

(٤٦١٦)صحيح البخاري برقم (٥٩٧٠) وصحيح مسلم برقم (٨٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٨/١)، وقال: "فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين بندار بن بشار ، والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٤٦١٧) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٣٩٣/١.

(٤٦١٨) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٤٦٢٠) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

القرآن

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)} [المعارج : ٣٦-٣٩]

التفسير:

فأيُّ دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مدُّوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك، يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقًا متعددة وجماعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟ أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله جنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون، فإنهم لا يدخلونها أبدًا. إنَّا خلقناهم مما يعلمون مِن ماء مهين كغيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟

قوله تعالى:{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ} [المعارج : ٣٦]، أي:" فأيُّ دافع دفع هؤلاء الكفرة إلى أن يسيروا نحوك -أيها الرسول- مسرعين، وقد مدُّوا أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك"(٤٦٢١).

وفي قوله تعالى:{مُهْطِعِينَ} [المعارج : ٣٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: مسرعين. قاله سعيد بن جبير(٤٦٢٢)، وقتادة(٤٦٢٣)، مأخوذ من: أهطع يهطع إهطاعاً. إذا أسرع. قال يزيد بن مفرّغ الحميريّ(٤٦٢٤):

بِدِجْلَةَ أَهْلُهَا ولَقَد أراهُمْ... بِدِجْلَةَ مُهْطِعِينَ إلى السّمَاع

وقال الآخر(٤٦٢٥):

بمهطع سرح كأنّ زمامه ... في رأس جذع من أول مشذّب

وقال الشاعر(٤٦٢٦):

بمستهطع رسل كأنّ جديله ... بقيدوم رعن من صؤام ممنّع

فمن حمله على «الإسراع»، فمعناه: أن أئمة الكفر كانوا يأتون رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - ، فيستمعون القرآن منه، ثم يسرعون إلى أتباعهم، ويجلسون حلقا حلقا، ويحرفون ما يستمعون من رسول اللّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ -، ويلبسون على ضعفائهم وأتباعهم؛ ليصدهم ذلك عن الإيمان باللّه - عَزَّ وَجَلَّ – ورسوله، فإن كان الأمر على هذا فتأويله: ما لهم يسرعون إليك ليسمعوا كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك، نحو أن يقول بعضهم: {مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى}، و{مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، {إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ}، ونحو ذلك(٤٦٢٧).

الثاني : معناه: ناظرين، قاله الضحاك(٤٦٢٨)، وأبو الضحى(٤٦٢٩)، وتميم بن حَدْلم(٤٦٣٠).

وقال مجاهد:" مديمي النظر"(٤٦٣١).

(٤٦٢١) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦٢٢) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٦٢٣) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٦٢٤) ديوانه" ص ١٦٧، وورد في "مجاز القرآن" ١/ ٣٤٣، و"الوقف والابتداء" لابن الأنباري ١/ ٦٧، و"والمحرر الوجيز" ٨/ ٢٥٩، وفيها (دارُهم) بدل (أهلها)، وورد غير منسوب في "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٦٦، و"تهذيب اللغة" (هطع) ٤/ ٣٧٦٨، و"الفريد في إعراب القرآن" ٣/ ١٧٣، و"تفسير القرطبي" ٩/ ٣٧٦، و"اللسان" (هطع) ٨/ ٤٦٧٤، و"الدر المصون" ٧/ ١٢٠، و"عمدة الحفاظ" ٤/ ٢٩٤، والمعنى: أي أنهم مقبلون برؤوسهم إلى سماع الداعي.

(٤٦٢٥) انظر: مجاز القرآن:٣٤٢/١.

(٤٦٢٦) انظر: مجاز القرآن: ٣٤٣/١، والأساس (هطع) واللسان والتاج (قيدوم).

(٤٦٢٧) تأويلات أهل السنة: ١٢١/١٠.

(٤٦٢٨) انظر: تفسير الطبري:٣٠/١٧.

(٤٦٢٩) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١٧.

(٤٦٣٠) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.

(٤٦٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٣٠١):ص٢٢٥١/٧.

قال أبو الضحى:" الإهطاع: التحميج الدائم الذي لا يَطْرَف"[٤٦٣٢].
قال الضحاك:" شدة النظر الذي لا يطرف"[٤٦٣٣]. وفي رواية:" شدة النظر في غير طَرْف"[٤٦٣٤].
قال الضحاك:" الإهطاع: شدة النظر في غير طَرْف"[٤٦٣٥].
قال تميم بن حَدْلم:" الإهطاع: التحميج[٤٦٣٦]"[٤٦٣٧].
ومن حمله على النظر، فمعناه: أنهم كانوا يجلسون من بعيد، فينظرون إلى رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه ويطعنون عليه بالسحر والافتراء، وأنه من أساطير الأولين، فيمكرون، بمن يقتدي برسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - ومن يعاديه من الكفرة، فإن كان على هذا فتأويله كأنه يقول له: يجلسون من البعد ناظرين إليك، ولا يدنون منك؛ ليستمعوا ما أنزل إليك فينتفعوا به، لكنهم متفرقون عن اليمين وعن الشمال، يصدون الناس عن مجلسك، وقد علموا أن لهم إلى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجة؛ إذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالأنباء المتقدمة؛ ليعلموا أنك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة[٤٦٣٨].
الثالث : عامدين، قاله قتادة[٤٦٣٩].
الرابع :أي: منطلقين. قاله الحسن[٤٦٤٠].
وحكي عن عطية العوفي:" معرضين"[٤٦٤١].
قوله تعالى:{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج : ٣٧]، أي:" يتجمعون عن يمينك وعن شمالك حلقًا متعددة وجماعات متفرقة يتحدثون ويتعجبون؟"[٤٦٤٢].
وفي تفسير قوله تعالى:{عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} [المعارج : ٣٧]، أقوال:
أحدها : متفرقين ، قاله الحسن[٤٦٤٣]، وابن لهيعة[٤٦٤٤]، وأنشد الأخير، قول الشاعر[٤٦٤٥]:
بمعزاة أضحت صداها ... ترى ركبانها عصبا عزينا
ومنه قول الراعي[٤٦٤٦]:
أخليفة الرحمنِ إن عشيرتي ... أمسى سَراتُهُمُ إليك عِزينا
قال الحسن:" عزين: متفرّقين، يأخذون يمينا وشمالا، يقولون: ما قال هذا الرجل"[٤٦٤٧].
الثاني : أي: مجالس مجنبين، قال مجاهد[٤٦٤٨].
الثالث: أن «العزين»: مجالس أنداء[٤٦٤٩]. قاله مسلم بن خالد الزنجي[٤٦٥٠].

(٤٦٣٢) أخرجه الطبري: ٢٩/١٧.
(٤٦٣٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٦٣٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٦٣٥) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٢.
(٤٦٣٦) «التحميج»: إدامة النظر، والقلب كاره أو محنق، أو التحديق في النظر. يقال: حَمَّجَ تحميجاً، أي نظر بخوف، وتحميج التعيين: غؤُورُهما انظر: "المحيط في اللغة" (حمج) ٢/ ٤١٨.
(٤٦٣٧) انظر تفسير الطبري:٣٠/١٧، و٥٧٥/٢٢.
(٤٦٣٨) تأويلات أهل السنة: ١٢١/١٠.
(٤٦٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٦١٨/٢٣، ٦١٩.
(٤٦٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.
(٤٦٤١) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٦.
(٤٦٤٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.
(٤٦٤٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢١):ص١٣٨/١، والنكت والعيون: ٩٦/٦.
(٤٦٤٤) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٩):ص١٤٨/٢.
(٤٦٤٥) انظر: المصدر السابق، والبيت فيه بلا نسبة.
(٤٦٤٦) انظر: النكت والعيون: ٩٦/٦، وتفسير القرطبي: ٢٩٣/١٨. وفي اللباب: ٣٧٣/١٩:« أَخَلِيفَةَ الرَّحْمَنِ إنَّ عَشِيرَتِي ... أمْسَى سَرَاتُهُم عِزينَ قُلُولاً»
(٤٦٤٧) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٣.
(٤٦٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.

الرابع : أي: مُتَفَرّقين حلقا حلقا، واحدها: «عِزَة»، وهي: العصبة من الناس. نحو هذا المعنى ذهب الضحاك[٤٦٥١]، وقتادة[٤٦٥٢]، وابن زيد[٤٦٥٣].

عن الضحاك، في قوله: "{عِزِينَ}، قال: حلقا ورفقاء"[٤٦٥٤].

قال قتادة:" العزين: الحلق المجالس"[٤٦٥٥].

قال قتادة:" أي: فرقا حول نبيّ الله صلى الله عليه وسلم لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه"[٤٦٥٦].

عن جابر بن سمرة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم حلق، فقال : "ما لي أراكم عزين ؟"[٤٦٥٧]. وفي رواية: "مالي أرَاكُمْ عِزِينَ حِلَقًا"[٤٦٥٨].

عن عبادة بن نسي , قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم , المسجد فرآهم عزين حلقا , فقال: «ما لي أراكم عزين حلقا كحلق الجاهلية؟ جلس رجل خلف أخيه؟»[٤٦٥٩].

قوله تعالى:{أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ(٣٨) كَلَّا} [المعارج : ٣٨-٣٩]، أي:" أيطمع كل واحد من هؤلاء الكفار أن يدخله الله جنة النعيم الدائم؟ ليس الأمر كما يطمعون"[٤٦٦٠].

قال مالك بن دينار: "جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[٤٦٦١].

قوله تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} [المعارج : ٣٩]، أي:" إنَّا خلقناهم مما يعلمون مِن ماء مهين كغيرهم، فلم يؤمنوا، فمن أين يتشرفون بدخول جنة النعيم؟"[٤٦٦٢].

قال الضحاك:" يعني: النُّطفة التي خُلق منها البشر"[٤٦٦٣].

عن معمر ، قال:" تلا قتادة {خلقناهم مما يعلمون} [المعارج: ٣٩] فقال: «خلقت من قذر يا ابن آدم فاتق الله» "[٤٦٦٤].

عن أنس بن مالك، قال: "كان أبو بكر الصديق إذا خطبنا ذكر مناتن ابن آدم فذكر بدء خلقه أنّه يخرج من مخرج البول مرتين، ثمّ يقع في الرحم نطفة، ثمّ علقة، ثمّ مضغة، ثمّ يخرج من بطن أمه فيتلوث في بوله وخراه حتّى يقذر أحدنا نفسه"[٤٦٦٥].

(٤٦٤٩) الأنداء: جمع: النادي: وهم القوم المجتمعون. و وفي حديث أبي سعيد «كنا أنداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم». وقيل: أراد كنا أهل أنداء. فحذف المضاف. [النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٧/٥].

(٤٦٥٠) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١٠٦):ص٦٣.

(٤٦٥١) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٣) انظر: تفسير الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٤) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٥) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٦) أخرجه الطبري: ٦١٩/٢٣.

(٤٦٥٧)المسند (٩٣/٥) وصحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٤٨٢٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٢٢)، وتفسير الطبري: ٦٢٠/٢٣.

(٤٦٥٨) أخرجه الطبري: ٦٢٠/٢٣.

(٤٦٥٩) تفسير عبد الرزاق(٣٣٢٦):ص٣٤٥/٣.

(٤٦٦٠) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤س.

(٤٦٦٢) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦٦٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٦٦٤) تفسير عبدالرزاق(٣٣٣٢):ص٣٤٧/٣، وتفسير الطبري: ٦٢١/٢٣، وانظر: "الكشف والبيان": ٤١/١٠.

عن بسر بن جحاش القرشي، أن النبي صلى الله عليه وسلم بزق يوما في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: " قال الله: ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة "[٤٦٦٦].

القرآن

{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١)} [المعارج : ٤٠ - ٤١]

التفسير:

أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغارب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرة الدالة على البعث، إنا لقادرون قدرة تامة على أن نستبدل بهم قومًا أفضل منهم وأطوع لله، وما أحد يسبقنا ويفوتنا ويعجزنا إذا أردنا أن نأتي بقوم آخرين خير منهم.

قوله تعالى:{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ} [المعارج : ٤٠]، أي:" أقسم تعالى بنفسه، وهو رب المشارق والمغارب للشمس والقمر وسائر الكواكب؛ لما فيها من الآيات الباهرة الدالة على البعث"[٤٦٦٧].

عن عكرمة في قوله: "{برب المشارق والمغارب} قال: المنازل التي تجري فيها الشمس والقمر"[٤٦٦٨].

قال قتادة:" للشمس ثلاثمائة وستون مَشرقًا، وثلاثمائة وستون مغربًا"[٤٦٦٩].

قرأ أبو حيوة:" برب المشرق والمغرب"[٤٦٧٠].

القرآن

{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)} [المعارج : ٤٢-٤٤]

التفسير:

لكن سبق في علمنا ومشيئتنا تأخير عقوبة هؤلاء الكفار، وعدم تبديلهم بقوم آخرين، فاتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب، يوم يخرجون من القبور مسرعين، كما كانوا في الدنيا يذهبون إلى آلهتهم التي اختلقوها للعبادة مِن دون الله، يهرولون ويسرعون، ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحقارة والمهانة، ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا ⁄ادبه يهزؤون ويُكَذِّبون.

قوله تعالى:{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا} [المعارج : ٤٤]، أي:" اتركهم يا محمد يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، واشتغل أنت بما أُمرت به"[٤٦٧١].

(٤٦٦٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤١/١٠.

(٤٦٦٦) مسند أحمد(١٧٨٤٢):ص٣٨٥/٢٩.[إسناده حسن]

(٤٦٦٧) التفسير الميسر: ٥٦٩.

(٤٦٦٨) الدر المنثور: ٢٨٦/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤٦٦٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٣٨ -.

(٤٦٧٠) تفسير الثعلبي: ٣٧٣/٢٧، و "مختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه (ص ١٦٢)، "الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي ١٨/ ٢٩٥.

وقرأ بها: ابن محيصن، والجحدري كما في "إتحاف فضلاء البشر" للدمياطي ٢/ ٥٦٢، "البحر المحيط" لأبي حيان ٨/ ٣٣٠، "الدر المصون" للسمين الحلبي ١٠/ ٤٦٣.

قوله تعالى:{حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي:" حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون فيه بالعذاب"[٤٦٧٢].

قال السدي:" يوم القيامة"[٤٦٧٣].

وقرا ابن محيصن ومجاهد :"حَتَّى يَلْقَوْا"[٤٦٧٤].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا} [المعارج : ٤٤]، أي:" يوم يخرجون من القبور مسرعين"[٤٦٧٥].

عن قتادة: "{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا}، أي: من القبور سراعا"[٤٦٧٦].

قال يحيى: "بلغني عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"[٤٦٧٧].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي:" كأنهم يسعون ويستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها ليعبدوها"[٤٦٧٨].

عن مجاهد، قوله: "{يُوفِضُونَ}، قال: يستبقون"[٤٦٧٩].

وفي قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} [المعارج : ٤٤]، قراءتان[٤٦٨٠]:

القراءة الأولى : «نُصُبٍ» بضم النون والصاد[٤٦٨١]، بمعنى: الأصنام، وقد كانوا يسرعون إلى أصنامهم إذا ذهبوا إليها، فيعظموها ويستلموها.

قال الحسن:" يبتدرون إلى نصبهم أيهم يستلمه أوّل"[٤٦٨٢].

قال الحسن: "كانوا يجتمعون غدوة فيجلسون فإذا طلعت الشمس تبادروا إلى أنصابهم"[٤٦٨٣].

الثانية : «إلى نُصْبٍ»، بفتح النون وجزم الصاد، يعنون: إلى شيء منصوب، يقال: فلان نصب عيني.

قال الضحاك:" إلى علم ينطلقون"[٤٦٨٤].

قال أبو العالية:" إلى علامات يستبقون"[٤٦٨٥].

قال يحيى بن أبي كثير:" إلى غاية يستبقون"[٤٦٨٦]. وحكي عن زيد بن ثابت[٤٦٨٧]، وأبي العالية[٤٦٨٨]، مثله[٤٦٨٩].

(٤٦٧١) صفوة التفاسير: ٤٢٣/٣.

(٤٦٧٢) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٤٦٧٣) أخرجه الطبري: ٦٥٢/٢١.

(٤٦٧٤) البحر المحيط في التفسير: ٢٧٧/١٠.

(٤٦٧٥) التفسير الميسر: ٥٧٠.

(٤٦٧٦) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.

(٤٦٧٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٣/٢.

(٤٦٧٨) صفوة التفاسير: ٤٢٣/٣.

(٤٦٧٩) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.

(٤٦٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٢٤/٢٣، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٢٤/٥، والكشف والبيان: ٤٢/١٠، وحجة القراءات: ٧٢٤/١، والسبعة في القراءات: ٦٥١.

(٤٦٨١) وهي قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم.

(٤٦٨٢) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣-٦٣٥.

(٤٦٨٣) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥.

(٤٦٨٤) أخرجه الطبري: ٦٢٥/٢٣.

(٤٦٨٥) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣-٦٣٥.

(٤٦٨٦) أخرجه الطبري: ٦٣٥/٢٣.

(٤٦٨٧)نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.

(٤٦٨٨)نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.

(٤٦٨٩)نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٥/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٣٠/٨.

وقال أبو العلاء: "سمعت بعض العرب يقول: النصب: الشبكة التي يقع فيها الصيد فيتسارع إليها صاحبها مخافة أن يفلت الصيد منها"(٤٦٩٠).

قوله تعالى:{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ} [المعارج : ٤٤]، أي:" ذليلة أبصارهم منكسرة إلى الأرض، تغشاهم الحقارة والمهانة"(٤٦٩١).

عن قتادة: "{خاشِعَةً أبْصارُهُمْ} بسواد الوجوه"(٤٦٩٢).

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} [المعارج : ٤٤]، أي:" ذلك هو اليوم الذي وعدوا به في الدنيا، وكانوا به يهزؤون ويُكَذِّبون"(٤٦٩٣).

عن قتادة: "{ذَلِكَ الْيَوْمُ}: يوم القيامة، {الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ}"(٤٦٩٤).

«آخر تفسير سورة (المعارج)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٦٩٠) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٤٢/١٠.
(٤٦٩١) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٦٩٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٢.
(٤٦٩٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٦٩٤) أخرجه الطبري: ٦٢٦/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «نوح»

«سورة نوح» هي السورة الحادية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة النحل»، وآياتها ثمان وعشرون في عد الكوفة، وتسع في عد البصرة والشام، وثلاثون عند الباقين. وكلماتها مائتان وأربع وعشرون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. والمختلف فيها أربع: {سُوَاعًا } [نوح : ٢٣]، {وَنَسْرًا} [نوح : ٢٣]، {وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا} [نوح : ٢٤]، {فَأُدْخِلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]. فواصل آياتها: «منا»، على الميم آية: {أَلِيمٌ} [نوح : ١][٤٦٩٥].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: نزلت سورة نوح بمكة"[٤٦٩٦]، وروي عن ابن الزبير مثله[٤٦٩٧].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٤٦٩٨].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤٦٩٩].

(٤٦٩٥) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٢/١.

(٤٦٩٦) الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤٦٩٧) انظر: الدر المنثور: ٢٨٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٦٩٨) المحرر الوجيز: ٣٧٢/٥.

(٤٦٩٩) زاد المسير: ٣٤١/٤.

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤)} [نوح : ١ - ٤]

التفسير:

إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، وقلنا له: حذِّر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب موجع. قال نوح: يا قومي إني نذير لكم بيِّن الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه، وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده، وخافوا عقابه، وأطيعوني فيما آمركم به، وأنهاكم عنه، فإن أطعتموني واستجبتم لي يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم، ويُمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى، إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبدًا، لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [نوح : ١]، أي:" إنا بعثنا نوحاً إلى قومه"(٤٧٠٠).

عن أبي صالح قال:" أرسل: بعث"(٤٧٠١).

وعن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"(٤٧٠٢).

قال يزيد الرقاشي: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"(٤٧٠٣).

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول نبي أرسل نوح صلى الله عليه وسلم"(٤٧٠٤).

قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وما يذكر أهل الكتاب من أهل التوراة، وما حفظ من الأحاديث عن عبد الله بن عباس، وعن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل"(٤٧٠٥).

قال غير واحد من علماء التفسير : "وكان أول ما عبدت الأصنام، أن قومًا صالحين ماتوا، فبنى قومهم عليهم مساجدَ وصوروا صور أولئك فيها ، ليتذكروا حالهم وعبادتهم ، فيتشبهوا بهم. فلما طال الزمان، جعلوا تلك الصور أجسادًا على تلك الصور، فلما تمادى الزمان عبدوا تلك الأصنام وسموها بأسماء أولئك الصالحين "ودًا وسواعًا ويَغُوث وَيَعُوق ونسرًا". فلما تفاقم الأمر بعث الله ، سبحانه وتعالى - وله الحمد والمنة - رسوله نوحا يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له "(٤٧٠٦).

قوله تعالى:{أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح : ١]، أي:" وقلنا له: حذِّر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب موجع"(٤٧٠٧).

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"(٤٧٠٨)، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك(٤٧٠٩).

(٤٧٠٠) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٥):ص١٥٠٥/٥.
(٤٧٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٣):ص١٥٠٤/٥.
(٤٧٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.
(٤٧٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٢):ص١٥٠٤/٥.
(٤٧٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٤):ص١٥٠٤/٥-١٥٠٥.
(٤٧٠٦) تفسير ابن كثير:٤٣١/٣-٤٣٢.
(٤٧٠٧) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٤٧٠٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [نوح : ٢]، أي:" قال نوح: يا قومي إني نذير لكم بيِّن الإنذار من عذاب الله إن عصيتموه"[٤٧١٠].

قال قتادة:" نذيرا من النار"[٤٧١١].

عن سعيد بن جبير:" المبين: البين"[٤٧١٢].

قوله تعالى:{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ } [نوح : ٣]، أي:" وإني رسول الله إليكم فاعبدوه وحده وخافوا عقابه وأطيعوني فيما آمركم به، وأنهاكم عنه"[٤٧١٣].

عن قتادة، قوله: "{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ}، قال: أرسل الله المرسلين بأن يُعْبَد اللهُ وحده، وأن تتقي محارمه، وأن يُطاع أمره"[٤٧١٤].

قوله تعالى:{يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ} [نوح : ٤]، أي:" فإن أطعتموني واستجبتم لي يصفح الله عن ذنوبكم ويغفر لكم"[٤٧١٥].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٤٧١٦].

قوله تعالى:{وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [نوح : ٤]، أي:" ويُمدد في أعماركم إلى وقت مقدر في علم الله تعالى"[٤٧١٧].

عن مجاهد: "{إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}، قال: ما قد خطّ من الأجل، فإذا جاء أجل الله لا يؤخَّر"[٤٧١٨].

قوله تعالى:{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ} [نوح : ٤]، أي:" إن الموت إذا جاء لا يؤخر أبدًا"[٤٧١٩].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ} [نوح : ٤]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: يعني بأجل الله الذي لا يؤخر يوم القيامة ، جعله الله أجلا للبعث ، قاله الحسن[٤٧٢٠].

الثاني: يعني أجل الموت إذا جاء لم يؤخر ، قاله مجاهد[٤٧٢١].

الثالث: يعني أجل العذاب إذا جاء لا يؤخر ، قاله السدي[٤٧٢٢].

قوله تعالى:{لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [نوح : ٤]، أي:" لو كنتم تعلمون ذلك لسارعتم إلى الإيمان والطاعة"[٤٧٢٣].

قال الحسن:" لو كنتم تعلمون لعلمتم أن أجل الله إذا جاء لا يؤخر[٤٧٢٤].

القرآن

(٤٧١٠) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧١١) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٢.
(٤٧١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٠٩):ص٣٠٢٧/٩.
(٤٧١٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧١٤) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٣.
(٤٧١٥) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٤٧١٧) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧١٨) أخرجه الطبري: ٦٣٠/٢٣.
(٤٧١٩) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٢٠) النكت والعيون: ٩٩/٦.
(٤٧٢١) النكت والعيون: ٩٩/٦.
(٤٧٢٢) النكت والعيون: ٩٩/٦.
(٤٧٢٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٢٤) النكت والعيون: ٩٩/٦.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)} [نوح : ٥ - ١٠]

التفسير:

قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدهم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هربًا وإعراضًا عنه، وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك؛ ليكون سببًا في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم ; كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطَّوا بثيابهم؛ كي لا يروني، وأقاموا على كفرهم، واستكبروا عن قَبول الإيمان استكبارًا شديدًا، ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهرًا علنًا في غير خفاء، ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال، وأسررت بها بصوت خفيٍّ في حال أخرى، فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفارًا لمن تاب من عباده ورجع إليه.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا(٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا} [نوح : ٥]، أي: "قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان بك وطاعتك في الليل والنهار، فلم يزدهم دعائي لهم إلى الإيمان إلا هربًا وإعراضًا عنه"[٤٧٢٥].

قال قتادة:" بلغنا أنهم كانوا يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغوينك، فأراني قد ذهب بي أبي إليه وأنا مثلك، فحذرني كما حذّرتك"[٤٧٢٦].

قوله تعالى:{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} [نوح : ٧]، أي: "وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان بك؛ ليكون سببًا في غفرانك ذنوبهم، وضعوا أصابعهم في آذانهم ; كي لا يسمعوا دعوة الحق، وتغطَّوا بثيابهم؛ كي لا يروني"[٤٧٢٧].

عن سعيد بن جبير، والسدي : {وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ}: "غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا ما يقول"[٤٧٢٨].

قال سعيد بن جبير:" تَسَجَّوا بها"[٤٧٢٩].

قوله تعالى:{وَأَصَرُّوا} [نوح : ٧]، أي: "وأقاموا على كفرهم"[٤٧٣٠].

وفي قوله تعالى:{وَأَصَرُّوا} [نوح : ٧]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أنه إقامتهم على الكفر ، قال قتادة: "قدما قدما في معاصي الله لالتهائهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله"[٤٧٣١].

الثاني: الإصرار: أن يأتي الذنب عمدا ، قاله الحسن[٤٧٣٢].

الثالث: معناه أنهم سكتوا على ذنوبهم فلم يستغفروا قاله السدي[٤٧٣٣].

قوله تعالى:{وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا} [نوح : ٧]، أي: "واستكبروا عن قَبول الإيمان استكبارًا شديدًا"[٤٧٣٤].

عن الضحاك:" أن ذلك كفرهم بالله وتكذيبهم لنوح"[٤٧٣٥].

(٤٧٢٥) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٢٦) أخرجه الطبري :٦٣١/٢٣.
(٤٧٢٧) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٢٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٢/٨.
(٤٧٢٩) الدر المنثور: ٢٨٩/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٤٧٣٠) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٣١) النكت والعيون: ١٠٠/٦.
(٤٧٣٢) النكت والعيون: ١٠٠/٦.
(٤٧٣٣) النكت والعيون: ١٠٠/٦.
(٤٧٣٤) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٣٥) النكت والعيون: ١٠٠/٦.

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا} [نوح : ٨]، أي: ثم إني دعوتهم إلى الإيمان ظاهرًا علنًا في غير خفاء"[٤٧٣٦].

قال مجاهد:" «الجهار»: الكلام المعلن به"[٤٧٣٧].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ} [نوح : ٩]، أي: "ثم إني أعلنت لهم الدعوة بصوت مرتفع في حال"[٤٧٣٨].

عن مجاهد، قوله: "{أَعْلَنْتُ لَهُمْ}، قال: صحْت"[٤٧٣٩].

قال مجاهد:" يقول: صحت بهم"[٤٧٤٠].

قوله تعالى:{وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} [نوح : ٩]، أي: " وأسررت بالدعوة بصوت خفيٍّ في حال أخرى"[٤٧٤١].

عن مجاهد، قوله: "{وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا}، قال: فيما بيني وبينهم"[٤٧٤٢].

قوله تعالى:{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح : ١٠]، أي: فقلت لقومي: سلوا ربكم غفران ذنوبكم، وتوبوا إليه من كفركم، إنه تعالى كان غفارًا لمن تاب من عباده ورجع إليه"[٤٧٤٣].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{الغفور}، يعني: غفور الذنوب"[٤٧٤٤].

عن قتادة :"{غفورا} لهم إذا تابوا"[٤٧٤٥].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٤٧٤٦].

القرآن

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦)} [نوح : ١١ - ١٦]

التفسير:

إن تتوبوا وتستغفروا يُنْزِل الله عليكم المطر غزيرًا متتابعًا، ويكثرْ أموالكم وأولادكم، ويجعلْ لكم حدائق تَنْعَمون بثمارها وجمالها، ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم. ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه، وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ولحمًا؟ ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في هذه السموات نورًا، وجعل الشمس مصباحًا مضيئًا يستضيء به أهل الأرض؟

قوله تعالى:{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح : ١١]، أي:" إن تتوبوا وتستغفروا يُنْزِل الله عليكم المطر غزيرًا متتابعًا"[٤٧٤٧].

(٤٧٣٦) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٣٧) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
(٤٧٣٨) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٣٩) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
(٤٧٤٠) أخرجه الطبري: ٦٣٢/٢٣.
(٤٧٤١) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٤٢) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣.
(٤٧٤٣) التفسير الميسر: ٥٧٠.
(٤٧٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٦٢٧):ص١٩٩٢/٦.
(٤٧٤٥) أخرجه الطبري:٤٥٦/١٧.
(٤٧٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٤٧٤٧) التفسير الميسر: ٥٧١.

قال ابن كيسان: "غزيرًا كثيرًا"[٤٧٤٨].

وعن هارون التيمي، في قول الله: "{وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا}[الأنعام : ٦]، قال: المطر في إبانه"[٤٧٤٩].

عن الشعبيّ، قال: "خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا}، وقرأ الآية التي في سورة «هود»، حتى بلغ: {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ}"[٤٧٥٠].

قوله تعالى:{وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ} [نوح : ١٢]، أي:" ويكثرْ أموالكم وأولادكم"[٤٧٥١].

قال عطاء:" يُكثر أموالكم وأولادكم"[٤٧٥٢].

قوله تعالى:{وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ} [نوح : ١٢]، أي:" ويجعلْ لكم حدائق تَنْعَمون بثمارها وجمالها"[٤٧٥٣].

عن السدي:" {جنات}، قال: البساتين "[٤٧٥٤].

قال مجاهد:" الجنات: حوائط"[٤٧٥٥].

قوله تعالى:{وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح : ١٢]، أي:" ويجعل لكم الأنهار التي تسقون منها زرعكم ومواشيكم"[٤٧٥٦].

قال قتادة:" رأى نوح قوما تجزّعت أعناقهم حرصا على الدنيا، فقال: هلموا إلى طاعة الله، فإن فيها درك الدنيا والآخرة"[٤٧٥٧].

عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين أنه قال لسفيان الثوري: ... وإذا استبطأت الرزقَ، فأكثر من الاستغفار؛ فإنّ الله قال في كتابه: {استغفروا ربَّكم إنّه كانَ غفّارا * يُرسل السماءَ عليكم مدرارًا * ويُمددكم بأموالٍ وبنينَ} يعني: في الدنيا، والآخرة، {ويجعل لكُم جناتٍ ويجعل لكم أنهارًا}"[٤٧٥٨].

قوله تعالى:{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح : ١٣]، أي:" ما لكم -أيها القوم- لا تخافون عظمة الله وسلطانه"[٤٧٥٩].

وفي قوله تعالى:{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح : ١٣]، وجوه من التفسير:

أحدها: ما لكم لا ترجون لله عاقبة. وهذا قول قتادة[٤٧٦٠].

الثاني : لا ترجُون لله ثوابًا، ولا تخافون عقابًا. قاله سعيد بن جبير[٤٧٦١].

الثالث: معناه: ما لكم لا تُعظّمون الله حقّ عَظمته. قاله سعيد بن جبير-أيضا-[٤٧٦٢].

(٤٧٤٨) تفسير الثعلبي: ٣٨١/١٤.

(٤٧٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١١٣):ص١٢٦٤/٤.

(٤٧٥٠) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣.

(٤٧٥١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٥٢)تفسير البغوي ٨/ ٢٣١.

(٤٧٥٣) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٨٢٤):ص٢٧٩٦/٩.

(٤٧٥٥) تفسير مجاهد: ٤٩٦.

(٤٧٥٦) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٥٧) أخرجه الطبري: ٦٣٣/٢٣-٦٣٤.

(٤٧٥٨)أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٩٣ مطولًا من طريق مالك بن أنس.

(٤٧٥٩) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٥/٢٣.

(٤٧٦١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٤.

(٤٧٦٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٣١، ورواه عن ابن عباس كما في :تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.

الرابع: لا تَعرفون لله حقًّا، ولا تَشكرون له نعمة. قاله الحسن[٤٧٦٣].
الخامس: معناه: ما لكم لا ترون لله عظمة. وهذا قول مجاهد[٤٧٦٤]، والضحاك[٤٧٦٥].
قال مجاهد:" لا تبالون لله عظمة"[٤٧٦٦].
قال مجاهد:" لا تبالون عظمة ربكم؛ قال: والرجاء: الطمع والمخافة"[٤٧٦٧].
عن إسماعيل الهَمداني، قال: سألتُ عاصم بن بهدلة عن قول الله: "{مالَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وقارًا}. قال: لا تَخافون لله عظيمةً، قال الشاعر:
إذا لسَعتْه النّحل لم يرجُ لسْعها ... وخالفها في بيت نُوبٍ عوامل"[٤٧٦٨].
قوله تعالى:{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح : ١٤]، أي:" وقد خلقكم في أطوار متدرجة: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ولحمًا؟"[٤٧٦٩].
قال مجاهد:" من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتمّ خلقه"[٤٧٧٠].
قال مجاهد:" نطفة، ثم علقة، شيئا بعد شيء"[٤٧٧١].
قال يحيى بن رافع:" نُطفة، ثم عَلقة، ثم مُضغة"[٤٧٧٢].
قال قتادة:" نطفة، ثم علقة، ثم خلقا طورا بعد طور"[٤٧٧٣].
قال قتادة:" طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت به الشعر، فتبارك الله أحسن الخالقين"[٤٧٧٤].
قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} [نوح : ١٥]، أي:" ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض"[٤٧٧٥].
قال الحسن:" بعضهنّ فوق بعض، بين كلّ أرض وسماء خلْقٌ وأمْر"[٤٧٧٦].
قوله تعالى:{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا} [نوح : ١٦]، أي:" وجعل القمر في هذه السموات نورًا، وجعل الشمس مصباحًا مضيئًا يستضيء به أهل الأرض"[٤٧٧٧].
عن الضحاك: "{جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}، يقول: خلق القمر يوم خلق سبع سموات"[٤٧٧٨].
عن عكرمة:" إنه يضيء نور القمر فيهنّ كلّهنّ، كما لو كان سبع زجاجات أسفل منهنَّ شِهاب أضاءتْ كلّهنّ، فكذلك نور القمر في السموات كلّهنّ؛ لِصَفائهنّ"[٤٧٧٩].
قال الحسن: "{وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}، يعني: في السماء الدنيا"[٤٧٨٠].

(٤٧٦٣)أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٣٢). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
(٤٧٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.
(٤٧٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٣٤/٢٣.
(٤٧٦٦) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣.
(٤٧٦٧) أخرجه الطبري: ٦٣٤/٢٣.
(٤٧٦٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأشراف -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/ ٣١٣ (٤٥١) -.
(٤٧٦٩) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٧٧٠) أخرجه الطبري: ٦٣٥/٢٣-٦٣٦.
(٤٧٧١) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.
(٤٧٧٢)أخرجه أبو الشيخ (١٠٩٠).
(٤٧٧٣) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.
(٤٧٧٤) أخرجه الطبري: ٦٣٦/٢٣.
(٤٧٧٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٧٧٦)أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٧٧٧) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٧٧٨) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٣.
(٤٧٧٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الحسن:" وجوههما في السماء، وظهورهما إليكم"[٤٧٨١].

عن علي بن زيد :" {وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}: القمر وجهه إلى السموات، وقفاه إلى أهل الأرض"[٤٧٨٢].

عن عطاء بن أبي رباح:" {وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}، قال: يضيء لأهل السماء كما يضيء لأهل الأرض"[٤٧٨٣].

قال السدي:" جعل ضوء القمر فيهنّ جميعًا كضوئه في السماء الدنيا، والنور: الضوء، وجعل الشمس فيهنّ سراجًا"[٤٧٨٤].

قال قتادة: "ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: إن ضوء الشمس والقمر نورهما في السماء، اقرءوا إن شئتم: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا} ... إلى آخر الآية"[٤٧٨٥].

عن أبي الزّاهرية، عن كعب الأحبار، قال: "خَلْق الله -تبارك وتعالى- القمر من نور، ألا ترى أنه قال: {وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا}! وخَلْق الشمس من نار، ألا ترى أنه قال: {وجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجًا}! والسّراج لا يكون إلا من النار"[٤٧٨٦].

عن شَهر بن حَوْشَب، قال: "اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار، وكان بينهما بعض العَتب، فتَعاتبا، فذهب ذلك، فقال عبد الله بن عمرو لكعب: سَلني عمّا شئتَ، ولا تسألني عن شيء إلا أخبَرتُك بتصديق قولي من القرآن. فقال له: أرأيتَ ضوء الشمس والقمر، أهو في السموات السبع كما هو في الأرض؟ قال: نعم، ألم تر إلى قول الله: {خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقًا وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجًا}؟"[٤٧٨٧].

القرآن

{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)} [نوح : ١٧ - ٢٠]

التفسير:

والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاء، ثم يعيدكم في الأرض بعد الموت، ويخرجكم يوم البعث إخراجًا محققًا. والله جعل لكم الأرض ممهدة كالبساط؛ لتسلكوا فيها طرقًا واسعة.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} [نوح : ١٧]، أي:" والله أنشأ أصلكم من الأرض إنشاء"[٤٧٨٨].

قال خالد بن معدان: "خلق الإنسان من طين ، فإنما تلين القلوب في الشتاء"[٤٧٨٩].

عن الشعبي، في قوله: {كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [الشعراء : ٧]، قال:" الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم"[٤٧٩٠].

(٤٧٨٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٥، وتفسير البغوي ٨/ ٢٣١.

(٤٧٨١)أخرجه أبو الشيخ (٥٥٣، ٦٢٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤٧٨٢)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٥ -.

(٤٧٨٣)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٢٠). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤٧٨٤)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٢).

(٤٧٨٥) أخرجه الطبري: ٦٣٧/٢٣. قال النحاس: " أجلّ ما روي فيه قول عبد الله بن عمرو:...".[إعراب القرآن: ٢٨/٥]

(٤٧٨٦)أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٠٩).

(٤٧٨٧)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٦ - بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٤٧٨٨) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٨٩) النكت والعيون: ١٠٢/٦.

(٤٧٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٣٨):ص٢٧٥٠/٨، وانظر: المحرر الوجيز: ٢٢٦/٤.

قوله تعالى:{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩)لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} [نوح : ١٩-٢٠]، أي:" والله جعل لكم الأرض ممهدة كالبساط، لتسلكوا فيها طرقًا واسعة"(٤٧٩١).

عن قتادة: "{لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا}، قال: طرقا وأعلاما"(٤٧٩٢).

القرآن

{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا (٢٥)} [نوح : ٢١ - ٢٥]

التفسير:

قال نوح: ربِّ إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي، واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالا في الدنيا وعقابًا في الآخرة، ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكرًا عظيمًا، وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة آلهتكم إلى عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح، ولا تتركوا وَدًّا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونَسْرا، وهي أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله. وقد أضلَّ هؤلاء المتبوعون كثيرًا من الناس بما زيَّنوا لهم من طرق الغَواية والضلال. ثم قال نوح -عليه السلام-: ولا تزد -يا ربنا- هؤلاء الظالمين لأنفسهم بالكفر والعناد إلا بُعْدا عن الحق. فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أُغرقوا بالطوفان، وأُدخلوا عقب الإغراق نارًا عظيمة اللهب والإحراق، فلم يجدوا من دون الله مَن ينصرهم، أو يدفع عنهم عذاب الله.

قوله تعالى:{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا} [نوح : ٢١]، أي:" قال نوح: ربِّ إن قومي بالغوا في عصياني وتكذيبي، واتبع الضعفاء منهم الرؤساء الضالين الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا ضلالا في الدنيا وعقابًا في الآخرة"(٤٧٩٣).

روى شبل عن مجاهد قال: "{وَلَدُهُ}: زوجه وأهله"(٤٧٩٤).

وروى خارجة عن أبي عمرو بن العلاء، قال:" {وَلَدُهُ}: عشيرته وقومه"(٤٧٩٥).

قوله تعالى:{وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا} [نوح : ٢٢]، أي:" ومكر رؤساء الضلال بتابعيهم من الضعفاء مكرًا عظيمًا"(٤٧٩٦).

عن مجاهد، قوله: "{كُبَّارًا}، قال: عظيما"(٤٧٩٧).

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [نوح : ٢٣]، أي:" وقالوا لهم: لا تتركوا عبادة آلهتكم إلى عبادة الله وحده، التي يدعو إليها نوح، ولا تتركوا وَدًّا ولا سُواعًا ولا يغوث ويعوق ونَسْرا، وهي أسماء أصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله"(٤٧٩٨).

عن محمد بن قيس: "{وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، قال: كانوا قومًا صالحين من بنى آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صوّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم،

(٤٧٩١) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٩٢) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.

(٤٧٩٣) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٩٤) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٨/٥.

(٤٧٩٥) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٢٨/٥. وقال النحاس:" أما أهل اللغة سوى هذه الرواية عن أبي عمرو فيقولون: ولد وولد مثل بخل وبخل وفلك وفلك، ويجوز عندهم أن يكون ولد جمع ولد وثن ووثن".

(٤٧٩٦) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٧٩٧) أخرجه الطبري: ٦٣٨/٢٣.

(٤٧٩٨) التفسير الميسر: ٥٧١.

فصوّروهم، فلما ماتوا، وجاء آخرون دبّ إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم"[٤٧٩٩].

قال محمد بن كعب:" كان لآدم -عليه السلام- خمس بنين: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه حزنا شديدا، فجاءهم الشيطان، فقال: هل لكم أن أصور لكم في قبلتكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: نكره أن يجعل في قبلتنا شيئا نصلي إليه، قال: فأجعله في مؤخّر المسجد. قالوا: نعم فصوره لهم من صفر ورصاص، ثمّ مات آخر فصوّره لهم، ثمّ مات آخر فصوّره لهم، قال: فنقصت الأشياء كما ينقصون اليوم وأقاموا على ذلك ما شاء الله، ثمّ تركوا عبادة الله سبحانه فأتاهم الشيطان فقال: ما لكم لا تعبدون شيئا، قالوا: من نعبد؟ قال: هذه آلهتكم وآلهة آبائكم لا ترونها مصوّرة في مصلّاكم، قال: فعبدوها من دون الله عزّ وجل، حتّى بعث الله عزّ وجلّ نوحا فدعاهم إلى عبادة الله سبحانه، فقالوا: {لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ} إلى قوله سبحانه وتعالى: {وَنَسْراً}"[٤٨٠٠].

عن أبي المطهر قال : "ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائم يصلي - يزيد بن المهلب، قال : فلما انفتل من صلاته قال : ذكرتم يزيدَ بن المهلب، أما إنه قتل في أول أرض عُبد فيها غيرُ الله. قال : ثم ذكر ودًا - قال : وكان وَدٌّ رجلا مسلما وكان محببا في قومه، فلما مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه، فلما رأى إبليس جَزَعهم عليه، تشبه في صورة إنسان، ثم قال : إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله، فيكونَ في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم. فصُوِّر لهم مثله، قال : ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه. فلما رأى ما بهم من ذكره قال : هل لكم أن أجعل في منزل كل واحد منكم تمثالا مثله، فيكون له في بيته فتذكرونه ؟ قالوا : نعم. قال : فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال : وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به، قال وتناسلوا ودَرَس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذوه إلها يعبدونه من دون الله أولاد أولادهم، فكان أول ما عبد من غير الله : الصنم الذي سموه وَدّا"[٤٨٠١].

قال عكرمة:" كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على الإسلام"[٤٨٠٢].

عن الضحاك: "{وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}، هي آلهة كانت تكون باليمن"[٤٨٠٣].

قال قتادة:" كانت آلهة يعبدها قوم نوح، ثم عبدتها العرب بعد ذلك، قال: فكان «ودّ» لكلب بدومة الجندل، وكان «سُواعٌ» لهُذَيل، وكان «يغوث» لبني عطيف من مراد بالجُرف، وكان «يعوق» لهمْدان، وكان «نَسْر» لذي الكُلاع من حِمْير"[٤٨٠٤].

قال قتادة:" كان «ودّ» لهذا الحيّ من كَلْب بدومة الجَندل، وكانت سُواع لهذيل برياط، وكان «يغوث» لبني عُطَيف من مُراد بالجُرْف من سبَأ، وكان «يعوق» لهمدان ببلخع، وكان «نسر» لذي كلاع من حِمْير؛ قال: وكانت هذه الآلهة يعبدها قوم نوح، ثم اتخذها العرب بعد ذلك. والله ما عدا خشبة أو طينة أو حجرًا"[٤٨٠٥].

وحكي الثعلبي عن عطاء، وقتادة، والثمالي، والمسيب: "صارت أوثان قوم نوح إلى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل، وكان سواع برهاط لهذيل، وكان يغوث لبني غطيف من مراد بالجوف، وكان يعوق لهمدان، وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير، وأما اللات فلثقيف، وأما العزى فلسليم وغطفان وخثعم ونصر

(٤٧٩٩) تفسير الطبري: ٦٣٩/٢٣.
(٤٨٠٠) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٦/١٠.
(٤٨٠١) رواه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٥/٨-٢٣٦.
(٤٨٠٢) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٣.
(٤٨٠٣) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.
(٤٨٠٤) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٣.
(٤٨٠٥) أخرجه الطبري: ٦٣٩/٢٣.

وسعيد بن بكر، وأما مناة فكانت لقديد، وأما أساف ونائلة وهبل فلأهل مكّة، وكان أساف حيال الحجر الأسود، وكانت نائلة حيال الركن اليماني، وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا"[٤٨٠٦].

وقال الواقدي: "كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير"[٤٨٠٧].

قال أبو عثمان النهدي : "رأيت «يغوث»، وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل أجرد ، ويسيرون معه لا يهيجونه، حتى يكون هو الذي يبرك فإذا برك نزلوا وقالوا : قد رضي لكم المنزل ، فيضربون عليه بناء وينزلون حوله"[٤٨٠٨].

قرأ أهل المدينة: «وُدًّا» بالضم، وقرأ الْأَعْمَش وعاصم: {وَدًّا}، بالفتح[٤٨٠٩].

وفِي قراءة عَبْد اللَّه: «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ويَغوثًا ويَعَوقًا ونَسْرًا» بالألف[٤٨١٠].

قوله تعالى:{مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا} [نوح : ٢٥]، أي:" فبسبب ذنوبهم وإصرارهم على الكفر والطغيان أُغرقوا بالطوفان"[٤٨١١].

عن أبي زهير، قال:" بلغني أن قوم نوح عاشوا في ذلك الغرق أربعين يوما"[٤٨١٢].

قال محمد بن إسحاق:" فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه، وما جاوز الماء ركبته، ودأب الماء حين أرسله خمسين ومائة كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان، وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال، ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء فسكن الماء، واشتدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح عليه الصلاة والسلام كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه، فلم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها، فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت إليه حين أمست وفي فمها ورقة زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قل، عن وجه الأرض، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت"[٤٨١٣].

وقرأ أبو عمرو: «مِما خَطاياهُمْ»، بالألف بغير همز[٤٨١٤].

قوله تعالى:{فَأُدْخِلُوا نَارًا} [نوح : ٢٥]، أي:" وأُدخلوا عقب الإغراق نارًا عظيمة اللهب والإحراق"[٤٨١٥].

عن الضحاك:" {أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نارًا}، قال: يعني: في الدنيا، في حالة واحدة؛ كانوا يَغرقون من جانب، ويَحترقون في الماء من جانب"[٤٨١٦].

القرآن

(٤٨٠٦) الكشف والبيان: ٤٦/١٠.
(٤٨٠٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٤٦/١٠.
(٤٨٠٨) نقلا عن: النكت والعيون: ١٠٤/٦.
(٤٨٠٩) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٩/٣.
(٤٨١٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٨٩/٣.
(٤٨١١) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٨١٢) تفسير ابن أبي حاتم(٨٦٣٨):ص١٥٠٧/٥.
(٤٨١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٠):ص١٥٠٧/٥-١٥٠٨.
(٤٨١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٤١/٢٣.
(٤٨١٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٨١٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٣٣.

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨)} [نوح : ٢٦ - ٢٨]

التفسير:

وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: ربِّ لا تترك من الكافرين بك أحدًا حيًّا على الأرض يدور ويتحرك. إنك إن تتركهم دون إهلاك يُضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك. ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا، وللمؤمنين والمؤمنات بك، ولا تزد الكافرين إلا هلاكًا وخسرانًا في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا} [نوح : ٢٦]، أي:" وقال نوح -عليه السلام- بعد يأسه من قومه: ربِّ لا تترك من الكافرين بك أحدًا حيًّا على الأرض يدور ويتحرك"[٤٨١٧].

قال الضحاك: "{دَيَّارًا}: واحدا"[٤٨١٨].

وقال السُّدِّي : "الديار : الذي يسكن الدار"[٤٨١٩].

قال أبو العالية والحسن:" لو أهلك أطفالهم معهم لكان عذابًا مِن الله لهم، ولكن الله تعالى أهلك دُرّيتهم وأطفالهم بغير عذاب، ثم أهلكهم"[٤٨٢٠].

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لو رحم الله من قوم نوح أحدا، لرحم امرأة، لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل، فلما بلغها الماء صعدت به منكبها، فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها، فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها. فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة"[٤٨٢١].

قوله تعالى:{إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح : ٢٧]، أي:" إنك إن تتركهم دون إهلاك يُضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك عن طريق الحق، ولا يأت من أصلابهم وأرحامهم إلا مائل عن الحق شديد الكفر بك والعصيان لك"[٤٨٢٢].

قال قتادة:" أما والله ما دعا عليهم حتى أتاه الوحي من السماء: {أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ}، فعند ذلك دعا عليهم نبي الله نوح فقال: {رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلا فَاجِرًا كَفَّارًا}، ثم دعاه دعوة عامة، فقال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}... إلى قوله: {تَبَارًا}"[٤٨٢٣].

عن عطية العوفي، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس:" {ولا يَلِدُوا إلّا فاجِرًا كَفّارًا} إنما قال نوح - عليه السلام - هذا حين أخرج الله تعالى كلَّ مؤمن مِن أصلابهم وأرحامهم، وأعقم أرحامَ نسائهم، وأيْبَسَ أصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة"[٤٨٢٤].

(٤٨١٧) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٨١٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٤٨١٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٣٦/٨.

(٤٨٢٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٨.

(٤٨٢١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨. قال ابن كثير:" هذا حديث غريب، ورجاله ثقات".
وله شاهد من حديث عائشة رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٥٩١) والحاكم في المستدرك (٣٤٢/٢) من طريق سعيد بن أبي مريم، عن موسى بن يعقوب، عن فائد مولى عبيد الله بن علي بن أبي رافع : أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة أخبره أن عائشة أخبريه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لو رحم الله من قوم نوح أحدًا لرحم أم الصبي" وذكره نحوه، وقال الحاكم : "صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي بقوله : "إسناد مظلم، وموسى بن يعقوب المذكور في إسناده ليس بذاك".

(٤٨٢٢) التفسير الميسر: ٥٧١.

(٤٨٢٣) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢٣.

(٤٨٢٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٤٧ - ٤٨، وتفسير البغوي ٨/ ٢٣٤.

قوله تعالى:{رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا} [نوح : ٢٨]، أي:" ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمنًا"[٤٨٢٥].

عن سعيد بن جُبَير، في قوله: "{رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ}، قال: يعني: أباه، وجدَّه"[٤٨٢٦].

قال الحسن: "قال نوح: {رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ} كانا مُؤْمِنَيْن"[٤٨٢٧].

قال قتادة :" ثم دعا دعوة عامّة، قال: {رَبِّ اغْفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ ولِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا} بلغ: {إِلَّا تَبارًا}"[٤٨٢٨].

وقرأ الحسين بن على: «ولولدي»، يريد: ساما وحاما[٤٨٢٩]

قوله تعالى:{وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [نوح : ٢٨]، أي:" واغفر لمن دخل بيتي مؤمنًا، ربِّ واغفر للمؤمنين والمؤمنات بك"[٤٨٣٠].

عن الضحاك: "{وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا}، قال: مسجدي"[٤٨٣١].

عن أبي سعيد : - أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي"[٤٨٣٢].

قوله تعالى:{وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح : ٢٨]، أي:" ولا تزد الكافرين إلا هلاكًا وخسرانًا في الدنيا والآخرة"[٤٨٣٣].

عن مجاهد، قوله: "{إلا تَبَارًا}، قال: خسارًا"[٤٨٣٤].

قال مجاهد:" كانوا يضربون نوحًا حتى يُغْشَى عليه، فإذا أفاق قال: ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[٤٨٣٥].

«آخر تفسير سورة (نوح)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤٨٢٥) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٨٢٦)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٤٨٢٧)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٤٢ -.
(٤٨٢٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٠.
(٤٨٢٩) انظر: الكشاف: ٦٢١/٤.
(٤٨٣٠) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٨٣١) أخرجه الطبري: ٦٤٢/٢٣.
(٤٨٣٢)المسند (٣٨/٣) وسنن أبي داود برقم (٤٨٣٢) وسنن الترمذي برقم (٢٣٩٥).
(٤٨٣٣) التفسير الميسر: ٥٧١.
(٤٨٣٤) أخرجه الطبري: ٦٤٣/٢٣.
(٤٨٣٥) أخرجه الطبري: ٦٤٣/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الجن»

«سورة الجن» هي السورة الثانية والسبعون في القرآن الكريم، وقد نزلت بعد «سورة الأعراف»، آياتها ثمان وعشرون عند الكل، إلا مكة؛ فإنها في عدهم سبع. عدوا {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، وأسقطوا {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢] في غير رواية البزي. وفى رواية البزي: لم يعد {لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ} [الجن : ٢٢]، ولم يعد {مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢]، فصار في روايته سبعا وعشرين. وفى الرواية الأخرى: ثماني وعشرين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها تسعمائة وتسع وخمسون. فواصل آياتها على: «الألف»[٤٨٣٦].

- **مكان نزول السورة:**

عن ابن عباس، قال: "نزلت سورة الجن بمكة"[٤٨٣٧]، وروي عن ابن الزبير مثله[٤٨٣٨].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين"[٤٨٣٩].

قال ابن الجوزي:" كلّها مكّيّة بإجماعهم"[٤٨٤٠].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق، ويظهر أنها نزلت في حدود سنة عشر من البعثة"[٤٨٤١].

(٤٨٣٦) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٤/١.

(٤٨٣٧) الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٤٨٣٨) انظر: الدر المنثور: ٢٩٦/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٤٨٣٩) المحرر الوجيز: ٣٧٨/٥.

(٤٨٤٠) زاد المسير: ٣٤٦/٤.

(٤٨٤١) التحرير والتنوير: ٢١٦/٢٩.

القرآن

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)} [الجن : ١-٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أوحى الله إليَّ أنَّ جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن، فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعًا في بلاغته وفصاحته وحكمه وأحكامه وأخباره، يدعو إلى الحق والهدى، فصدَّقنا بهذا القرآن وعملنا به، ولن نشرك بربنا الذي خلقنا أحدًا في عبادته.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: " انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} [الجن: ٢]، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} [الجن: ١]، وإنما أوحي إليه قول الجن"[٤٨٤٢].

قوله تعالى:{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ} [الجن : ١]، أي:" قل -أيها الرسول-: أوحى الله إليَّ أنَّ جماعة من الجن قد استمعوا لتلاوتي للقرآن"[٤٨٤٣].

(٤٨٤٢)أخرجه البخاري (٧٧٣) في الأذان: باب الجهر بقراءة صلاة الفجر، و(٤٩٢١) في تفسير سورة الجن، وأخرجه مسلم (٤٤٩) في الصلاة: باب الجهر بالقراءة في الصبح، والترمذي (٣٣٢٣) في التفسير: باب ومن سورة الجن، والطبري في " جامع البيان " الطبري: ٦٤٧/٢٣-٦٤٨، والطبراني (١٢٤٤٩) ، والحاكم ٥٠٣/٢، والبيهقي في "دلائل النبوة" ٢٢٥/٢-٢٢٦، والبغوي في "معالم التنزيل" ١٧٣/٤ من طرق عن أبي عوانة به. وقال الحاكم: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه!

تنبيه: روى البخاري الحديث دون قوله: "ما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الجن وما رآهم".

قال الحافظ في " الفتح " ٦٧٠/٨: أخرجه أبو نعيم في " المستخرج " عن الطبراني، عن معاذ بن المثنى، عن مسدد شيخ البخاري فيه، فزاد في أوله: "مَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الجن ولا رآهم، انطلق ... إلخ" وهكذا رواه مسلم، عن شيبان بن فروخ، عن أبي عوانة بالسند الذي أخرجه البخاري فكأن البخاري حذف هذه اللفظة عمداً، لأن ابن مسعود أثبت أنَّ النَّبيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَرَأَ على الجن، فكان ذلك مقدماً على نفي ابن عباس.

وقال البيهقي في " الدلائل " ٢٢٧/٢: وهذا الذي حكاه عبد الله بن عباس إنما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعلمت بحاله، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه، ثم أتاه داعي الجن مرة أخرى، فذهب معه وقرأ عليهم القرآن، كما حكاه عبد الله بن مسعود ورأى آثارهم وآثار نيرانهم، والله أعلم، وعبد الله بن مسعود حفظ القصتين معاً.

ومن فوائد الحديث: إثبات وجود الشياطين والجن، وأنهما لمسمى واحد، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر والإيمان، فلا يقال لمن آمن منهم، إنه شيطان، وفيه أن الصلاة في جماعة شرعت قبل الهجرة، وفيه مشروعيتها في السفر، والجهر بالقراءة في صلاة الصبح، وأن الاعتبار بما قضى الله للعبد من حسن الخاتمة، لا بما يظهر منه من الشر ولو بلغ ما بلغ، لأن هؤلاء الذين بادروا إلى الإيمان بمجرد استماع القرآن لو لم يكونوا عند إبليس في أعلى مقامات الشر، ما اختارهم للتوجه إلى الجهة التي ظهر أن الحدث الحادث من جهتها، ومع ذلك فغلب عليهم ما قضي لهم من السعادة بحسن الخاتمة، ونحو ذلك قصة سحرة فرعون. انظر " الفتح " ٦٧٥/٨.

(٤٨٤٣) التفسير الميسر: ٥٧٢.

عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}، هو قول الله: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ}، لم تُحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد؛ فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم حرست السماء الدنيا، ورُميت الشياطين بالشهب، فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، فأمر الجنّ فتفرّقت في الأرض لتأتيه بخبر ما حدث. وكان أوّل من بُعث نفر من أهل نصيبين وهي أرض باليمن، وهم أشراف الجنّ، وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة وما يلي اليمن، فمضى أولئك النفر، فأتوا على الوادي وادي نخلة، وهو من الوادي مسيرة ليلتين، فوجدوا به نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة فسمعوه يتلو القرآن؛ فلما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما قُضِيَ، يعني: فُرِغ من الصلاة، وَلَّوْا إلى قومهم منذرين، يعني مؤمنين، لم يعلم بهم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ولم يشعر أنه صُرِف إليه، حتى أنزل الله عليه: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ}"(٤٨٤٤).

عن محمد بن إسحاق، قال: "كانت الأحبار من اليهود، والرُّهبان من النصارى، والكُهّان من العرب قد تحدَّثوا بأمْر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مَبعثه لمّا تَقارب من زمانه؛ أما الأحبار من يهود، والرُّهبان من النصارى فَعمّا وجدوا مِن صفته في كُتبهم وصفة زمانه لما كان في عهْد أنبيائهم إليهم فيه، وأما الكُهّان من العرب فيأتيهم به الشياطين من الجنّ فيما يَسرقون من السمع، إذ كانت وهي لا تُحجب عن ذلك بالقذْف بالنجوم، وكان الكاهن والكاهنة من العرب لا يزال يَقع منهما ذِكْر بعض أمْره لا تُلْقِي العرب فيه بالًا، حتى بَعثه الله - عز وجل -، ووقعتْ تلك الأمور التي كانوا يَذكرون، فعرفوها، فلمّا تَقارب أمْرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحضَر مَبعثه حُجبت الشياطين عن السمع، وحِيل بينها وبين المقاعد التي كانت تَقعد لاستراق السمع فيها، فرُموا بالنّجوم، فعَرفت الجنّ أنّ ذلك لأمْرٍ حَدث من الله - عز وجل - في العباد. يقول الله تعالى لنبيّه - عليه السلام - حين بَعثه، وهو يَقُصّ عليه خبر الجنّ إذ حُجبوا عن السمع، فعَرفوا ما عَرفوا وما أنكروا من ذلك حين رَأوا ما رَأوا: {قل أوحي إلي أنه استمع} إلى قوله: {أم أراد بهم ربهم رشدًا}. فلمّا سمعت الجنّ القول عَرفتْ أنها إنّما مُنعتْ من السمع قَبل ذلك له، لئلا يُشْكِل الوحيَ شيءٌ مِن خبر السماء، فيَلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله - عز وجل -، وقَطْعِ الشُّبَهِ، فآمنوا وصدَّقوا ثم {ولوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا} إلى آخر الآية [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠]"(٤٨٤٥).

عن عبد الملك، قال: "لم تُحرس الجنُّ في الفَتْرة بين عيسى ومحمد - صلى الله عليه وسلم -، فلمّا بَعثَ الله محمدًا - صلى الله عليه وسلم - حُرست السماء الدنيا، ورُميت الجنّ بالشّهاب، فاجتمعتْ إلى إبليس، فقال: لقد حَدث في الأرض حَدثٌ، فَتَعرَّفوا، فأخبرونا ما هذا الحَدث. فبَعثَ هؤلاء النّفر إلى تِهامة وإلى جانب اليمن، وهم أشراف الجنّ وسادتهم، فوجدوا النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - يُصلّي صلاة الغَداة بنَخلة، فسَمعوه يتلو القرآن، {فَلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا أنْصِتُوا فَلَمّا قُضِيَ} يعني بذلك: أنه فَرغ من صلاة الصبح، {ولَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} [الأحقاف: ٢٩] مؤمنين، لم يَشعر بهم حتى نزل: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجنّ} ... يقال: سبعة من أهل نَصِيبين"(٤٨٤٦).

قوله تعالى:{فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا(١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن : ١-٢]، أي:" فلما سمعوه قالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا بديعًا في بلاغته وفصاحته وحكمه وأحكامه وأخباره، يدعو إلى الحق والهدى"(٤٨٤٧).

عن عطاء: {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ}، قال: " إلى الإيمان بالله"(٤٨٤٨).

القرآن

(٤٨٤٤) أخرجه الطبري: ٦٤٨/٢٣.
(٤٨٤٥)سيرة ابن إسحاق ص ٩٠ - ٩١.
(٤٨٤٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤٨٤٧) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٨٤٨) التفسير البسيط للواحدي: ٢٨١/٢٢.

{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)} [الجن : ٣]

التفسير:

وأنه تعالتْ عظمة ربنا وجلاله، ما اتخذ زوجة ولا ولدًا.

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن : ٣]، أي:" وأنه تعالتْ عظمة ربنا وجلاله"[٤٨٤٩].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} [الجن : ٣]، على أقوال:

أحدها : معناه: تعالى أمر ربنا وسلطانه وقُدرته، قاله قتادة[٤٨٥٠]، والسدي[٤٨٥١].

قال قتادة:" تعالى أمر ربنا: تعالت عظمته"[٤٨٥٢].

الثاني : فعل ربنا ، قاله الضحاك[٤٨٥٣].

الثالث : ذكر ربنا، وهو قول مجاهد[٤٨٥٤].

الرابع : غنى ربنا، قاله الحسن[٤٨٥٥].

وعن سليمان التيمي، عن الحسن وعكرمة، في قول الله: "{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا}، قال أحدهما: غناه، وقال الآخر: عظمته"[٤٨٥٦].

والجد يكون بمعنى الغنى، ومنه الحديث: «لا ينفع ذا الجد منك الجد»[٤٨٥٧]، وكذلك الحديث الآخر: "قمت على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجد محبوسون»[٤٨٥٨]"[٤٨٥٩]. يعني: ذوي الحظ في الدنيا.

الخامس : جلال ربنا وعظمته، قاله مجاهد[٤٨٦٠]، وعكرمة[٤٨٦١]، قتادة[٤٨٦٢]، وحكاه الواحدي عن الأكثرين وجميع أصحاب اللغة[٤٨٦٣].

(٤٨٤٩) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٤٨٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.

(٤٨٥١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.

(٤٨٥٢) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٣.

(٤٨٥٣) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.

(٤٨٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢٣.

(٤٨٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣، وتفسير مجاهد: ٦٧٧، وتفسير عبدالرزاق(٣٣٤٦):ص٣٥١/٣.

(٤٨٥٦) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٣.

(٤٨٥٧)أخرجه البخاري ١/ ٢٧١ ح ٨٤٤، كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، وكتاب القدر: باب لا مانع لما أعطى الله: ٤/ ٢١٢: ح ٦٦١٥، وكتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال: ٤/ ٣٦٢، ح ٧٢٩٢، ومسلم ١/ ٣٤٣: ح ١٩٤: كتاب الصلاة: باب اعتدال أركان الصلاة، وباب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع: ح ٢٠٥ - ٢٠٦، كتاب المساجد: باب استحباب الذكر بعد الصلاة (ح) ١٣٧ - ١٣٨، وأبو داود ١/ ٣٧٧ - ٣٧٨: كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل إذا سلم من الصلاة. ومالك في "الموطأ" ٧/ ٦٨٧ كتاب القدر: باب ما جاء في أهل القدر، والدارمي في "سننه" ٧١ - ٨٨، والترمذي ٢/ ٩٧: ح ٢٩٩: كتاب الصلاة: باب ما يقول إذا سلم من الصلاة، والنسائي ٢/ ٥٤٤ - ٥٤٥: ح ١٠٦٧، كتاب التطبيق، باب ما يقول في قيامه ذلك، وكتاب السهو: باب نوع آخر من القول عند إنقضاء الصلاة: ٣/ ٧٩ - ٨٠: ح ١٣٤٠ - ١٣٤١، وباب نوع آخر من الدعاء عند الانصراف من الصلاة: ٣/ ٨٢: ح ١٣٤٥، والإمام أحمد في "المسند" ٣/ ٨٧، و٤/ ٩٣، و٩٧، و١٠١، و٢٤٥، و٢٤٧، ٢٥٠، و٢٥٤، و٢٨٥.

قال النووي: (والصحيح المشهور: الجد -بالفتح- وهو الحظ، والغنى، والعظمة، والسلطان، أي لا ينفع ذا الحظ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظه، أي لا ينجيه حظه منك، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح، كقوله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ} [الكهف: ٤٦]، والله تعالى أعلم. "شرح صحيح مسلم" ٤/ ٤٤١، وانظر قوله في: "عون المعبود، شرح سنن أبي داود" للآبادي: ٤/ ٣٧٢.

(٤٨٥٨)الحديث أخرجه البخاري في "الجامع الصحيح" ٣/ ٣٨٨ ح ٥١٩٦، من طريق أبي عثمان عن أسامة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار، فهذا عامة من دخلها النساء".

(٤٨٥٩) التفسير البسيط: ٢٨٥/٢٢-٢٨٦.

(٤٨٦٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ١٩٢/٣، وتفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.

قال قتادة:" أي: تعالى جلاله وعظمته وأمره"[٤٨٦٤].
السادس : نعم ربنا على خلقه ، قاله محمد بن كعب[٤٨٦٥].
السابع : أي : تعالى ربنا. قاله سعيد بن جبير[٤٨٦٦].
الثامن: علا ظفره على كل كافر بالحجة. قاله ابن كيسان[٤٨٦٧].
التاسع : أنهم عنوا بذلك الجد الذي هو أبو الأب، ذلك كان من كلام جهلة الجن. وهذا قول أبي جعفر[٤٨٦٨].
قال أبو جعفر الباقر وابنه جعفر والربيع بن أنس: "ليس لله جد وإنّما وليه الجدّ بالجهالة فلم تؤخذوا به"[٤٨٦٩].

عن جعفر محمد بن عبد الله بن أبي سارة، عن أبيه، عن أبي جعفر: "{تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا}، قال: كان كلامًا من جهلة الجن"[٤٨٧٠].

وقول من قال: إن الجن قالت هذه بالجهالة لا يصح؛ لأنهم لو قالوه بالجهل لأنكر عليهم ولَمَا أخبر الله بذلك عنهم في القرآن. فأما ما روي عن ابن عباس أنه قال: «لو علمت الجن أن في الإنس جدًّا ما قالت: «تعالى جد ربنا»"[٤٨٧١]، فهذا محمول على أن هذا اللفظ مُوهم، وكان الأولى بهم أن يجتنبوا إطلاقه في وصف الله، وإن كان بمعنى جائز في وصفه[٤٨٧٢].

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: تعالت عظمة ربنا وقُدرته وسلطانه، لأن للجدِّ في كلام العرب معنيين أحدهما الجدّ الذي هو أبو الأب، أو أبو الأم، وذلك غير جائز أن يوصف به هؤلاء النفر الذين وصفهم الله بهذه الصفة، وذلك أنهم قد قالوا: {فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا} ومن وصف الله بأن له ولدًا أو جدًّا أو هو أبو أب أو أبو أمّ، فلا شكّ أنه من المشركين، والمعنى الآخر: الجَدّ الذي بمعنى الحظ؛ يقال: فلان ذو جدّ في هذا الأمر: إذا كان له حظٌ فيه، وهو الذي يُقال له بالفارسية: البَخْت، وهذا المعنى قصده هؤلاء النفر من الجنّ بقيلهم: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا} إن شاء الله، وإنما عَنَوا أن حظوته من المُلك والسلطان والقدرة والعظمة عالية، فلا يكون له صاحبة ولا ولد؛ لأن الصاحبة إنما تكون للضعيف العاجز الذي تضطرّه الشهوة الباعثة إلى اتخاذها، وأن الولد إنما يكون عن شهوة أزعجته إلى الوقاع الذي يحدث منه الولد، فقال النفر من الجنّ: علا مُلك ربنا وسُلطانه وقدرته وعظمته أن يكون ضعيفًا ضعف خلقه الذين تضطرّهم الشهوة إلى اتخاذ صاحبة، أو وقاع شيء يكون منه ولد، وقد بين عن صحة ما قلنا في ذلك إخبار الله عنهم أنهم إنما نزهوا الله عن اتخاذ الصاحبة والولد بقوله: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا}، يقال منه: رجل جدّي وجديد ومجدود: أي: ذو حظٌ فيما هو فيه، ومنه قول حاتم الطائي[٤٨٧٣]:

(٤٨٦١) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣، وتفسير عبدالرزاق(٣٣٤٦):ص٣٥١/٣.
(٤٨٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤٩/٢٣.
(٤٨٦٣) انظر: التفسير البسيط: ٣٢٨٤/٢٢.
(٤٨٦٤) أخرجه الطبري: ٦٤٩/٢٣.
(٤٨٦٥) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.
(٤٨٦٦) انظر: النكت والعيون: ١١٠/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٣٧/٨.
(٤٨٦٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.
(٤٨٦٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٠/٢٣.
(٤٨٦٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.
(٤٨٧٠) أخرجه الطبري: ٦٥٠/٢٣.
(٤٨٧١)رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٣٧/٨، وانظر: الكشف والبيان: ٥/١٠، وقد وصفه بما وصف سابقه من القول بالجهالة، و"تفسير ابن كثير" ٨/ ٢٣٧، وقال ابن كثير: "إسناد جيد لكن لست أفهم ما معنى هذا الكلام، ولعله قد سقط شيء، والله أعلم.
(٤٨٧٢) التفسير البسيط: ٢٨٧/٢٢.
(٤٨٧٣)البيت لحاتم الطائي (شعراء النصرانية: ١٢٨) وفيه: "حظكم" في موضع "جدكم" وهما بمعنى. قال شارحه:

أعْزُوا بني ثُعْلٍ فالغَزْوُ جَدُّكُمُ ... عُدُّوا الرَّوَابي وَلا تَبْكُوا لِمَنْ قُتِلا
وقال آخر(٤٨٧٤):
يُرَفعُ جَدُّكَ إنِّي أمْرُؤٌ ... سَقَتْني إلَيْكَ الأعادِي سِجالا(٤٨٧٥).
وقرأ عكرمة: «تَعالى جِدُّ رَبِّنا»، بكسر الجيم على ضد الهزل، وقرأ ابن السميع: «جدي ربّنا»، وهو: الجدوى والمنفعة(٤٨٧٦).

القرآن
{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤)} [الجن : ٤]
التفسير:
وأن سفيهنا -وهو إبليس- كان يقول على الله تعالى قولا بعيدًا عن الحق والصواب، مِن دعوى الصاحبة والولد.
اختلف أهل العلم في معنى قوله: {سَفِيهُنَا} [الجن : ٤]، على قولين:
أحدهما : جاهلنا وهم العصاة منا. قاله قتادة(٤٨٧٧).
قال معمر:" تلا قتادة: {وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا}، فقال: عصاه والله سفيه الجنّ، كما عصاه سفيه الإنس"(٤٨٧٨).
، وهو كل عاص متمرد من الجن، قاله مقاتل(٤٨٧٩)، وابن قتيبة(٤٨٨٠).
الثاني : أن السفيه هو إبليس عليه اللعنة، قاله مجاهد(٤٨٨١)، وقتادة(٤٨٨٢)، ومسلم بن خالد الزنجي(٤٨٨٣).
عن مجاهد:" {وأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا}، قال: هو إبليس"(٤٨٨٤).
عن قتادة :"{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا}، وهو إبليس"(٤٨٨٥).
وأخرج ابن مردويه والديلمي -بسند واه- عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: "{وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا}، قال: إبليس"(٤٨٨٦).
عن أبي مالك:"{شَطَطًا}: جورا"(٤٨٨٧).

والروابي: الأشراف، أو الأصل والشرف. وفي (اللسان: جدد).
(٤٨٧٤)هذا البيت لم ينسبه المؤلف. وهو أشبه بقول الحطيئة في لاميته المنصوبة، التي يخاطب بها سيدنا عمر بن الخطاب، معتذرا عن هجائه الزبرقان بن بدر التميمي، ومطلعها: "نأتك أمامة إلا سؤالا"، ولم أجده في ديوان الحطيئة المطبوع، ولا في جمهرة أشعار العرب (١٥١ - ١٥٤) . وقوله: يرفع جدك: يدعو له بأن يرفع الله حظه وذكره. والسجال: جمع سَجْل، وهو الدلو يعتذر إليه مما دسه عليه الوشاة.
(٤٨٧٥) تفسير الطبري: ٦٥٠/٢٣-٦٥١.
(٤٨٧٦) انظر: الكشف والبيان: ٥٠/١٠.
(٤٨٧٧) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤٨٧٨) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤٨٧٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٢/٤.
(٤٨٨٠) انظر: غريب القرآن: ٤٨٩.
(٤٨٨١) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤٨٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤٨٨٣) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (١٠٧):ص٦٣.
(٤٨٨٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. وأخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣من طريق رجل من المكّيّين.
(٤٨٨٥) أخرجه الطبري: ٦٥٣/٢٣.
(٤٨٨٦) الدر المنثور: ٢٩٨/٨. وأخرج عبد بن حميد عن عثمان بن حاضر مثله.
(٤٨٨٧) النكت والعيون: ١١٠/٦.

القرآن

{وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥)} [الجن : ٥]

التفسير:

وأنَّا حَسِبْنا أن أحدًا لن يكذب على الله تعالى، لا من الإنس ولا من الجن في نسبة الصاحبة والولد إليه.

قال معمر :" وتلا قتادة: {أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الجن: ٥]، فقال: «عصاه والله سفهة الجن كما عصاه سفهة الإنس»[٤٨٨٨].

القرآن

{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦)} [الجن : ٦]

التفسير:

وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن، فزاد رجالُ الجنِّ الإنسَ باستعاذتهم بهم خوفًا وإرهابًا ورعبًا.

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن : ٦]، أي:" وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن"[٤٨٨٩].

قال مجاهد:" كانوا يقولون إذا هبطوا واديا: نعوذ بعظماء هذا الوادي"[٤٨٩٠].

قال قتادة:" كانوا في الجاهلية إذا نزلوا منزلا يقولون: نعوذ بأعزّ أهل هذا المكان"[٤٨٩١].

قال قتادة:" لنا أن هذا الحيّ من العرب كانوا إذا نزلوا بواد قالوا: نعوذ بأعز أهل هذا المكان؛ قال الله: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} : أي إثما، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة"[٤٨٩٢].

قال الربيع بن انس:" كانوا يقولون: فلان من الجنّ ربّ هذا الوادي، فكان أحدهم إذا دخل الوادي يعوذ بربّ الوادي من دون الله، قال: فيزيده بذلك رهقا، وهو الفرَق"[٤٨٩٣].

قال الحسن:" كان الرجل منهم إذا نزل الوادي فبات به، قال: أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه"[٤٨٩٤].

قال إبراهيم:" كانوا إذا نزلوا الوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي من شرّ ما فيه، فتقول الجنّ: ما نملك لكم ولا لأنفسنا ضرّا ولا نفعا"[٤٨٩٥].

قال إبراهيم: "كانوا في الجاهلية إذا نزلوا بالوادي قالوا: نعوذ بسيد هذا الوادي، فيقول الجنيون: تتعوّذون بنا ولا نملك لأنفسنا ضرّا ولا نفعا! "[٤٨٩٦].

قوله تعالى:{فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]، أي:" فزاد رجالُ الجنِّ الإنسَ باستعاذتهم بهم خوفًا وإرهابًا ورعبًا"[٤٨٩٧].

وفي قوله تعالى:{فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]، وجوه من التفسير:

(٤٨٨٨) تفسير عبدالرزاق(٣٣٤٧):ص٣٥١/٣.

(٤٨٨٩) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٤٨٩٠) أخرجه الطبري:: ٦٥٥/٢٣.

(٤٨٩١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.

(٤٨٩٢) أخرجه الطبري:: ٦٥٥/٢٣.

(٤٨٩٣) أخرجه الطبري:: ٦٥٦/٢٣.

(٤٨٩٤) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣.

(٤٨٩٥) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣.

(٤٨٩٦) أخرجه الطبري: ٦٥٤/٢٣-٦٥٥.

(٤٨٩٧) التفسير الميسر: ٥٧٢.

أحدها : زاد الكفار طغيانا، قاله مجاهد[٤٨٩٨].
الثاني : فزادهم ذلك إثما، قاله قتادة[٤٨٩٩]، ومنه قول الأعشى[٤٩٠٠]:
لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَتِها ... هلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ ما لم يُصِبْ رَهَقا
يعني: إثماً .
قال قتادة:" أي: إثما، وازدادت الجنّ عليهم بذلك جراءة"[٤٩٠١].
عن قتادة: "{فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}، يقول: خطيئة"[٤٩٠٢]. وفي رواية:" خطيئة وإثما"[٤٩٠٣].
الثالث : خوفاً ، قاله أبو العالية[٤٩٠٤]، والربيع بن أنس[٤٩٠٥].
قال الربيع:" فيزيدهم ذلك رهقا، وهو الفرق"[٤٩٠٦].
الرابع : عظمة، وذلك أنّهم قالوا: سدنا الجن والإنس. قاله إبراهيم[٤٩٠٧].
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فزاد الإنس الجنّ بفعلهم ذلك إثما، وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله. والرهق في كلام العرب: الإثم وغِشيان المحارم[٤٩٠٨].
قال عكرمة:" كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، وكان الإنس إذا نزلوا واديا هرب الجن، فيقول سيد القوم: نعوذ بسيد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم، فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون، فذلك قول الله: {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} [الجن : ٦]"[٤٩٠٩].

القرآن
{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨)} [الجن : ٨]
التفسير:
وأنَّا -معشر الجن- طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها، فوجدناها مُلئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يُرمى بها مَن يقترب منها.
سبب النزول:
عن أبي رجاء العطاردي -من طريق عبيد الصيد- يقول: كنا قبل أن يُبعث النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - ما نرى نجمًا يُرمى به، فبينما نحن ذات ليلة إذ النجوم قد رُمِي بها، فقلنا: ما هذا؟ َ إنّ هذا لأمر

(٤٨٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٨٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٠)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٣٦٥ من القصيدة المرقومة٨٠) . وفي اللسان: (رهق) قال: والرهق: غشيان المحارم من شرب الخمر ونحوه. قال ابن بري: وكذلك فسر الرهق في شعر الأعشى: بأنه غشيان المحارم، وما لا خير فيه قوله: "لا شيء ينفعني.." البيت. قال المحقق-سيد احمد شاكر-: وتفسير ابن برى لا يعجبني، لأن الأعشى لم يكن يعرف المحرمات، وإنما يحسن تفسيره كما قال شارح الديوان: إن الرهق: الدنو من المحبوب والقرب منه، والتمنع بما ينوله، فأما إذا كان بعيدا عنه فلا شفاء ولا قرار.
(٤٩٠١) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٢) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٣) تفسير عبدالرزاق(٣٣٤٨):ص٣٥١/٣.
(٤٩٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٦) أخرجه الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٧) انظر: الكشف والبيان: ٥١/١٠.
(٤٩٠٨) تفسير الطبري: ٦٥٦/٢٣.
(٤٩٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٠٠):ص٣٣٧٧/١٠.

حَدَث. فجاءنا أنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - بُعث، وأنزل الله هذه الآية في سورة الجن: {وأنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا}"[٤٩١٠].

قوله تعالى:{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ} [الجن : ٨]، أي:" وأنَّا -معشر الجن- طلبنا بلوغ السماء؛ لاستماع كلام أهلها"[٤٩١١].

عن سعيد بن جُبير، قال: "كانت الجنّ تستمع، فلما رجموا قالوا: إن هذا الذي حدث في السماء لشيء حدث في الأرض؛ قال: فذهبوا يطلبون حتى رأوا النبيّ صلى الله عليه وسلم خارجا من سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر، فذهبوا إلى قومهم مُنذرين"[٤٩١٢].

قوله تعالى:{فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا} [الجن : ٨]، أي:" فوجدناها مُلئت بالملائكة الكثيرين الذين يحرسونها، وبالشهب المحرقة التي يُرمى بها مَن يقترب منها"[٤٩١٣].

عن قتادة:" {وأنّا لَمَسْنا السَّماءَ} إلى قوله: {فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدًا}، قال: كانت الجنّ تستمع سَمْع السماء، فلما بَعث اللهُ محمدًا حُرِسَت السماء، ومُنعوا ذلك، فتفقّدت الجنُّ ذلك مِن أنفسها. قال: ودُكِر لنا: أنّ أشراف الجنّ كانوا بنَصيبين مِن أرض المُوصل، فطلبوا ذلك، وصوّبوا النظر حتى سَقطوا على نبيِّ الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يُصلّي بأصحابه عامدًا إلى عُكاظ"[٤٩١٤].

القرآن

{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (٩)} [الجن : ٩]

التفسير:

وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع; لنستمع إلى أخبارها، فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويهلكه.

قوله تعالى:{وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ} [الجن : ٩]، أي:" وأنا كنا قبل ذلك نتخذ من السماء مواضع; لنستمع إلى أخبارها"[٤٩١٥].

عن معمر: "قلت للزهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم. قلت: أرأيت قوله تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ}، فقال: غلظت وشدد أمرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم"[٤٩١٦].

قوله تعالى:{فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن : ٩]، أي:" فمن يحاول الآن استراق السمع يجد له شهابًا بالمرصاد، يُحرقه ويهلكه"[٤٩١٧].

قال قتادة:" كانت الجنّ تسمع سمع السماء؛ فلما بعث الله نبيه، حُرست السماء، ومُنعوا ذلك، فتفقَّدت الجنّ ذلك من أنفسها"[٤٩١٨].

عن محمد ابن شهاب الزُّهريّ، قال:" إنّ الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النّجوم، انقطعت الكَهنة فلا كهانة"[٤٩١٩].

(٤٩١٠)أخرجه يحيى بن سلام ٢/ ٥٢٦، ٨٢٤.
(٤٩١١) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩١٢) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢٣.
(٤٩١٣) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩١٤) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.
(٤٩١٥) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩١٦) نقلا عن: الكشاف: ٦٢٦/٤.
(٤٩١٧) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩١٨) أخرجه الطبري: ٦٥٨/٢٣.
(٤٩١٩)أخرجه البيهقي في الدلائل ٢/ ٢٣٧.

القرآن

{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠)} [الجن : ١٠]

التفسير:

وأننا -معشر الجن- لا نعلم: أشرًّا أراد الله أن ينزله بأهل الأرض، أم أراد بهم خيرًا وهدى؟

قال الحسن البصري: "{وأنّا لا نَدْري أشَرٌّ أُريدَ بمَن فِي الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} أنهم قالوا: هذا أمرٌ حَدثَ حين رُمي بالنّجوم، فلا نَدري أشرٌّ أراد الله بأهل الأرض أن يُهلكهم، {أم أراد بهم ربهم رَشدًا} أم أحدث لهم منه نعمة وكرامة!"[٤٩٢٠].

القرآن

{وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١)} [الجن : ١١]

التفسير:

وأنا منا الأبرار المتقون، ومنا قوم دون ذلك كفار وفساق، كنا فرقًا ومذاهب مختلفة.

قوله تعالى:{كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا} [الجن : ١١]، أي:" كنا فرقًا ومذاهب مختلفة"[٤٩٢١].

عن عكرمة، في قوله: "{طَرَائِقَ قِدَدًا}، يقول: أهواء مختلفة"[٤٩٢٢].

قال سعيد بن جبير:" ألوانًا شتى"[٤٩٢٣].

قال الحسن: "{قددًا}: مختلفين"[٤٩٢٤].

قال مجاهد:" مسلمين وكافرين"[٤٩٢٥].

قال قتادة:" كان القوم على أهواء شتى"[٤٩٢٦].

قال ابن كيسان: "شيعا وفرقا، لكل فرقة هوى كأهواء الناس[٤٩٢٧].

قال السدي:" الجن مثلكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة"[٤٩٢٨].

عن أبي معاوية، قال : "سمعتُ الأعمش يقول : تروح إلينا جني، فقلت له : ما أحب الطعام إليكم ؟ فقال: الأرز. قال : فأتيناهم به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا. فقلت : فيكم من هذه الأهواء التي فينا ؟ قال : نعم. قلت : فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا"[٤٩٢٩].

القرآن

{وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣)} [الجن : ١٣]

التفسير:

وإنا لما سمعنا القرآن آمنَّا به، وأقررنا أنه حق مِن عند الله، فمن يؤمن بربه، فإنه لا يخشى نقصانًا من حسناته، ولا ظلمًا يلحقه بزيادة في سيئاته.

(٤٩٢٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٤٥ -.

(٤٩٢١) التفسير الميسر: ٥٧٢.

(٤٩٢٢) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(٤٩٢٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٥١، وتفسير البغوي ٨/ ٢٤٠.

(٤٩٢٤) تفسير الثعلبي: ٤٣٢/٢٧.

(٤٩٢٥) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣-٦٦٠.

(٤٩٢٦) أخرجه الطبري: ٦٥٩/٢٣.

(٤٩٢٧) تفسير الثعلبي: ٤٣٢/٢٧، وتفسير البغوي:٢٤٠/٨.

(٤٩٢٨) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥١/١٠.

(٤٩٢٩) رواه الحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" كما في تفسير ابن كثير: ٢٤١/٨. وقال:" عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المِزِّي فقال : هذا إسناد صحيح إلى الأعمش".

قوله تعالى:{فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا} [الجن : ١٣]، أي:" فمن يؤمن بربه، فإنه لا
عن قتادة: "{فَلا يَخَافُ بَخْسًا}، أي: ظلما، أن يظلم من حسناته فينقص منها شيئا، أو يحمل عليه ذنب غيره، {وَلا رَهَقًا}: ولا مأثما"(٤٩٣٠).
قال عطاء: "{رَهَقًا}: عذابًا"(٤٩٣١).

القرآن

{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥)} [الجن : ١٤-١٥]

التفسير:

وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق، فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك الذين قصدوا طريق الحق والصواب، واجتهدوا في اختياره فهداهم الله إليه، وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وَقودًا لجهنم.

قوله تعالى:{وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ} [الجن : ١٤]، أي:" وأنا منا الخاضعون لله بالطاعة، ومنا الجائرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق"(٤٩٣٢).

عن مجاهد، قوله: "{الْقَاسِطُونَ}، قال: هم الظالمون"(٤٩٣٣).

عن عكرمة:" {ومنا القاسِطُونَ}، قال: هم الظالمون"(٤٩٣٤).

قال قتادة:" الجائرون"(٤٩٣٥).

قوله تعالى:{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا} [الجن : ١٤]، أي:" وأما الجائرون عن طريق الإسلام فكانوا وَقودًا لجهنم"(٤٩٣٦).

عن قتادة: {وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ}، قال: " هم الجبّارون"(٤٩٣٧).

القرآن

{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)} [الجن : ١٦-١٧]

التفسير:

وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يحيدوا عنها لأنزلنا عليهم ماءً كثيرًا، ولوسَّعنا عليهم الرزق في الدنيا؛ لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟ ومن يُعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذابًا شديدًا شاقًّا.

قوله تعالى:{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ} [الجن : ١٦]، أي:" وأنه لو سار الكفار من الإنس والجن على طريقة الإسلام، ولم يحيدوا عنها"(٤٩٣٨).

وفي هذه الاستقامة، قولان :

(٤٩٣٠) أخرجه الطبري: ٦٦٠/٢٣.
(٤٩٣١) التفسير البسيط: ٣٠٥/٢٢.
(٤٩٣٢) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩٣٣)تفسير مجاهد: ص ٦٧٧، أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٤٩٣٤)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٧٧ -.
(٤٩٣٥) أخرجه الطبري: ٦٦١/٢٣.
(٤٩٣٦) التفسير الميسر: ٥٧٢.
(٤٩٣٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٢.
(٤٩٣٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.

أحدهما : أنها الإقامة على طريق الكفر والضلالة، ، أي: لو استمروا عليها فعلنا ذَلِكَ بِهِم . قاله زيد بن أسلم[٤٩٣٩]، ويمان بن رباب[٤٩٤٠]، وابن كيسان[٤٩٤١]، ومحمد بن كعب[٤٩٤٢]، وأبو مجلز[٤٩٤٣][٤٩٤٤].
الثاني : الاستقامة على الهدى والطاعة، قاله سعيد بن جبير[٤٩٤٥]، والحسن[٤٩٤٦]، ومجاهد[٤٩٤٧]، وقتادة[٤٩٤٨]، والضحاك[٤٩٤٩]،سعيد بن المسيب[٤٩٥٠]، وعطاء بن رياح[٤٩٥١]، وعبيد بن عمير[٤٩٥٢]، وعطية[٤٩٥٣]، والسدي[٤٩٥٤][٤٩٥٥].

قال مجاهد:" طريقة الإسلام"[٤٩٥٦]. وفي رواية:" طريقة الحقّ"[٤٩٥٧].
قال سعيد بن جبير:" الدين"[٤٩٥٨].
قال قتادة:" لو آمنوا كلهم"[٤٩٥٩]. وفي رواية:" لو اتقوا"[٤٩٦٠].

(٤٩٣٩) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٤٠) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٤١) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٤٢) انظر: النكت والعيون: ١١٦/٦.
(٤٩٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٤٤) ودليل هذا التفسير، قوله تعالى:
- {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف : ٣٣]، فجعل تماديهم في الكفر سببا لتوسيع النعم عليهم.
- {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ٤٤]، الآية، ومعناه: أبواب كل شيء من الخيرات والنعم.
- {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى : ٢٧].
- {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦-٧]

[انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٣٥/٥-٢٣٦، والكشف والبيان: ٥٤/١٠، وتفسير السمعاني: ٦٩/٦]
(٤٩٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٤٦) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠، وزاد المسير: ٣٤٨/٤.
(٤٩٤٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(٤٩٥٠) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٥١) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٥٢) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٥٣) انظر: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٥٤) انظر: النكت والعيون: ١١٦/٦، وزاد المسير: ٣٤٨/٤.
(٤٩٥٥) انظر: ودليل هذا التفسير قوله سبحانه وتعالى:
- {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة : ٦٦].
- {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [الأعراف : ٩٦].
- {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل : ٩٧].
- {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً} [نوح: ١٠-١١].

(٤٩٥٦) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٥٧) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٥٨) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.

قال الضحاك:" هذا مثل ضربه الله كقوله: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}، وقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}، والماء الغدق يعني: الماء الكثير {لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} لنبتليهم فيه"(٤٩٦١).

فعلى القول الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسَّعنا عليهم لنختبرَهم فِيهِ فننظر كيف شُكْرُهم، وعلى القول الثاني: يكون المعنى: لو استقاموا على الكفر فكانوا كفاراً كلهم، لأكثرنا لهم المال لنفتنهم فيه عقوبة واستدراجا، ثم نعذبهم على ذلك. وقيل: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم، كقوم نوح(٤٩٦٢).

قراءة العامة: «لو»، بكسر الواو. وقرأ الأعمش: «لَوُ اسْتَقَامُوا»، بضم الواو(٤٩٦٣).

قوله تعالى:{لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا} [الجن : ١٦]، أي:" لأنزلنا عليهم ماءً كثيرًا، ولوسَّعنا عليهم الرزق في الدنيا"(٤٩٦٤).

قال سعيد بن جبير:" مالا كثيرا"(٤٩٦٥).

قال قتادة:" لأوسعنا عليهم من الدنيا"(٤٩٦٦). وفي رواية:" لوسع عليهم في الرزق"(٤٩٦٧).

قال مجاهد:" نافعا كثيرا، لأعطيناهم مالا كثيرا"(٤٩٦٨).

قال الربيع بن أنس:" عيشا رَغدًا"(٤٩٦٩).

قوله تعالى:{لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ} [الجن : ١٧]، أي:" لنختبرهم: كيف يشكرون نعم الله عليهم؟"(٤٩٧٠).

قال سعيد بن جبير:" يقول: لنبتليهم به"(٤٩٧١).

وقال قتادة:" لنبتليهم فيه"(٤٩٧٢).

قال مجاهد:" حتى يرجعوا لما كتب عليهم من الشقاء"(٤٩٧٣). وفي رواية:" حتى يرجعوا إلى علمي فيهم"(٤٩٧٤). وفي رواية:" لنبتليهم به حتى يرجعوا إلى ما كتب عليهم من الشقاء"(٤٩٧٥).

عن التيمي، قال:" قال عمر رضي الله عنه في قوله: "{وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا}، قال: أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة"(٤٩٧٦).

قال الحسن، قال: "كان والله أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سامعين لله مطيعين فتحت عليهم كنوز كسرى وقيصر، ففتنوا بها فوثبوا بإمامهم فقتلوه". يعني: عثمان بن عفان(٤٩٧٧).

(٤٩٥٩) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٦٠) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٦١) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(٤٩٦٢) انظر: زاد المسير: ٣٤٨/٤.
(٤٩٦٣) انظر: السبعة في القراءات: ٦٥٦، والكشف والبيان: ٥٣/١٠.
(٤٩٦٤) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٦٥) أخرجه الطبري: ٦٢٣/٢٣.
(٤٩٦٦) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٦٧) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٦٨) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٦٩) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٧٠) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٧١) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣/ ٦٢٣.
(٤٩٧٢) تفسير الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٧٣) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٧٤) أخرجه الطبري: ٦٢٢/٢٣-٦٢٣.
(٤٩٧٥) أخرجه الطبري: ٦٦٢/٢٣.
(٤٩٧٦) أخرجه الطبري: ٦٦٣/٢٣.
(٤٩٧٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٣/١٠.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا} [الجن : ١٧]، أي:" ومن يُعرض عن طاعة ربه واستماع القرآن وتدبره، والعمل به يدخله عذابًا شديدًا شاقًّا"(٤٩٧٨).

عن قتادة، قوله: "{يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا}، عذابا لا راحة فيه"(٤٩٧٩).

قال قتادة:" صَعودا من عذاب الله لا راحة فيه"(٤٩٨٠).

عن مجاهد، قوله: "{عَذَابًا صَعَدًا}، قال: مشقة من العذاب"(٤٩٨١).

وقرئ: «نَسْلُكْهُ» بالنون اعتبارا بقوله: {لِنَفْتِنَهُمْ}، أنها بالنون، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة بالياء، بمعنى: يسلكه الله، ردّا على الربّ في قوله: {وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ}(٤٩٨٢).

القرآن

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨)} [الجن : ١٨]

التفسير:

وأن المساجد لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره، وأخلصوا له الدعاء والعبادة فيها؛ فإن المساجد لم تُبْنَ إلا ليُعبَدَ اللهُ وحده فيها، دون من سواه.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة:" كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يخلص له الدعوة إذا دخل المسجد"(٤٩٨٣).

وقال قتادة:" كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده"(٤٩٨٤).

الثاني: قال سعيد بن جبير:" قالت الجنّ لنبيّ الله: كيف لنا نأتي المسجد، ونحن ناءون عنك، وكيف نشهد معك الصلاة ونحن ناءون عنك؟ فنزلت: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}"(٤٩٨٥).

عن الأعمش قال: "قالت الجن: يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، يقول: صلوا لا تخالطوا الناس"(٤٩٨٦).

قوله تعالى:{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} [الجن : ١٨]، أي:" وأن المساجد لعبادة الله وحده"(٤٩٨٧).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ} [الجن : ١٨]، وجهان:

أحدهما : أنها المساجد التي هي بيوت اللّه للصلوات.

عن عكرمة: "{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ}، قال: المساجد كلها"(٤٩٨٨).

قال الحسن: "أراد بها البقاع كلها وذلك، أن الأرض جعلت للنبي صلّى الله عليه وسلّم مسجدا، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية إذا دخل أحدهم المسجد قال: أشهد أن لا إله إلّا الله والسلام على رسول الله"(٤٩٨٩).

(٤٩٧٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٧٩) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(٤٩٨٠) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(٤٩٨١) أخرجه الطبري: ٦٦٤/٢٣.
(٤٩٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.
(٤٩٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٥/٢٣.
(٤٩٨٤) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.
(٤٩٨٥) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.
(٤٩٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٠٧):ص٣٣٧٨/١٠.
(٤٩٨٧) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٨٨) أخرجه الطبري: ٦٦٥/٢٣.
(٤٩٨٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٤/١٠.

الثاني : أنها الأعضاء التي يسجد عليها للّه، أي : هي لله فلا تسجدوا بها لغيره. قاله سعيد بن جبير(٤٩٩٠)، والربيع(٤٩٩١)، وعطاء(٤٩٩٢)، وطلق بن حبيب(٤٩٩٣).

القرآن

{وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩)} [الجن : ١٩]

التفسير:

وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه، كاد الجن يكونون عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض ; مِن شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه.

قوله تعالى:{وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن : ١٩]، أي:" وأنه لما قام محمد صلى الله عليه وسلم، يعبد ربه"(٤٩٩٤).

قال قتادة يعني: "لما قام عبد الله بالدعوة"(٤٩٩٥).

قال الحسن:" لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم"(٤٩٩٦).

قوله تعالى:{كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} [الجن : ١٩]، أي:" كاد الجن يكونون عليه جماعات متراكمة، بعضها فوق بعض ; مِن شدة ازدحامهم لسماع القرآن منه"(٤٩٩٧).

عن سعيد بن جُبير في قوله: {كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}، قال: تراكبوا عليه"(٤٩٩٨).

عن مجاهد، قوله: "{كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا}، قال: جميعًا"(٤٩٩٩).

وفي كونهم عليه لبداً ثلاثة أوجه :

أحدها : أنهم المسلمون في اجتماعهم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قاله سعيد بن جبير(٥٠٠٠).

قال سعيد بن جبير:" كان أصحاب نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يأتمون به، فيركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده"(٥٠٠١).

قال الحسن:" لما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا إله إلا الله" ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تكون عليه جميعا"(٥٠٠٢).

الثاني : أنهم الجن حين استمعوا من رسول اللّه قراءته، قاله الضحاك(٥٠٠٣).

قال الضحاك:" كادوا يركبونه حرصا على ما سمعوا منه من القرآن"(٥٠٠٤).

(٤٩٩٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٤٤/٨.
(٤٩٩١) انظر: النكت والعيون: ١١٩/٦.
(٤٩٩٢) انظر: "الكشف والبيان": ٥٤/١٠.
(٤٩٩٣) انظر: الكشف والبيان: ٥٤/١٠.
(٤٩٩٤) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٩٥) تفسير الثعلبي: ٤٥٧/٢٧-٤٥٨. [ط. دار التفسير]
(٤٩٩٦) الدر المنثور: ٣٠٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٤٩٩٧) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٤٩٩٨) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.
(٤٩٩٩) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣.
(٥٠٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٣.
(٥٠٠١) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.
(٥٠٠٢) أخرجه الطبري: ٦٦٨/٢٣، وانظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٥٠٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٦/٢٣.
(٥٠٠٤) أخرجه الطبري: ٦٦٦/٢٣.

الثالث : أنهم الجن والإنس في تعاونهم على رسول اللَّه في الشرك ، قاله قتادة[٥٠٠٥].

قال قتادة:" تلبدت الإنس والجنّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه، ويظهره على من ناوأه"[٥٠٠٦].

قال قتادة:" لما قام النبيّ صلى الله عليه وسلم تلبَّدت الجنّ والإنس، فحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذي أنزله الله"[٥٠٠٧].

والقول الأخير هو الأظهر لقوله بعده :{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}، أي : قال لهم الرسول - لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه، ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته[٥٠٠٨].

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠)} [الجن : ٢٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفار: إنما أعبد ربي وحده، ولا أشرك معه في العبادة أحدًا.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن كفار قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- بمكة: إنك جئت بأمر عظيم لم نسمع مثله قط، وقد عاديت الناس كلهم، فارجع عن هذا الأمر فنحن تجيرك، فأنزل الله- تعالى- {قُلْ إِنَّما أَدْعُوا رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً}"[٥٠٠٩].

قرأ أبو جعفر، والأعمش، وعاصم، وحمزة {قُلْ} على الأمر، {إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا}، وقراءة العامة: (قال) يعني: رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبه قرأ أكثر القراء[٥٠١٠].

القرآن

{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)} [الجن : ٢١-٢٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: إني لا أقدر أن أدفع عنكم ضررًا، ولا أجلب لكم نفعًا، قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأ أفرُّ إليه مِن عذابه، لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالتَه التي أرسلني بها إليكم. ومَن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبدًا.

سبب النزول:

عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: "زعم حضرميّ أنه ذكر له أن جنيا من الجنّ من أشرافهم إذا تَبَع، قال: إنما يريد محمد أن نجيره وأنا أجيره فأنزل الله: {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ}"[٥٠١١].

(٥٠٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(٥٠٠٦) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(٥٠٠٧) أخرجه الطبري: ٦٦٧/٢٣.

(٥٠٠٨) تفسير ابن كثير: ٢٤٥/٨.

(٥٠٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٦٥/٤.

(٥٠١٠)معاني القرآن" للفراء ٣/ ١٩٥، "السبعة" لابن مجاهد (ص ٦٥٧)، "جامع البيان" للطبري ٢٩/ ١٢٠، "المبسوط في القراءات العشر" لابن مهران (ص ٣٨٤)، "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري ٢/ ٣٩٢.

(٥٠١١) أخرجه الطبري: ٦٦٩/٢٣.

قوله تعالى:{قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢]، أي:" قل: إني لن ينقذني من عذاب الله أحد إن عصيته، ولن أجد من دونه ملجأ أفرُّ إليه مِن عذابه"(٥٠١٢).

عن الضحاك: {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا}، قال:" ملجأ"(٥٠١٣).

قال قتادة:" أي: ملجئا ونصيرا"(٥٠١٤).

قال السدي:" حرزا"(٥٠١٥).

قوله تعالى:{إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن : ٢٣]، أي:" لكن أملك أن أبلغكم عن الله ما أمرني بتبليغه لكم، ورسالتَه التي أرسلني بها إليكم"(٥٠١٦).

عن قتادة، قوله: "{إِلا بَلاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ}، فذلك الذي أملك بلاغًا من الله ورسالاته"(٥٠١٧).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن : ٢٣]، أي:" ومَن يعص الله ورسوله، ويُعرض عن دين الله، فإن جزاءه نار جهنم لا يخرج منها أبدًا"(٥٠١٨).

عن سعيد بن جبير: "{خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٥٠١٩).

القرآن

{حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤)} [الجن : ٢٤]

التفسير:

حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب، فسيعلمون عند حلوله بهم: مَن أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ} [الجن : ٢٤]، أي:" حتى إذا أبصر المشركون ما يوعدون به من العذاب"(٥٠٢٠).

قوله تعالى:{فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا} [الجن : ٢٤]، أي:" فسيعلمون عند حلوله بهم: مَن أضعف ناصرًا ومعينًا وأقل جندًا؟"(٥٠٢١).

قال عطاء في قوله: "{وأقل عدداً}: هو أن الله تعالى يجعل لأوليائه من الأزواج الآدميات، والحور العين ألوفاً، ومن الولدان المخلدين ألوفاً، ومن القهارمة(٥٠٢٢) ألوفاً، فعند ذلك عدد المؤمن الواحد أكثر من عدد كثير من أهل مدائن الدنيا، والكافر لا عدد له إلا قرناء الشياطين"(٥٠٢٣).

القرآن

(٥٠١٢) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠١٣) الدر المنثور: ٣٠٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٥٠١٤) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(٥٠١٥) تفسير الثعلبي: ٤٦٠/٢٧[ط. دار التفسير]، وتفسير البغوي: ٢٤٣/٨.

(٥٠١٦) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠١٧) أخرجه الطبري: ٦٧٠/٢٣.

(٥٠١٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣، و(١٠٥٠٠):ص١٨٣٣/٦.

(٥٠٢٠) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٢١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٢٢)القهارمة: قال الليث: القَهْرَمان: هو المسيطر الحفيظ على ما تحت يديه. "تهذيب اللغة" ٦/ ٥٠٢، مادة: (قهرم). والقهرمان: لفظة فارسية معناه: الوكيل، أو أمين الدخل والخرج، جمعه: قهارمة. انظر: "الوافي"، و"معجم وسيط للغة العربية" لعبد الله البستاني: ٥٢٣.

(٥٠٢٣) التفسير البسيط للواحدي: ٣٢٩/٢٢-٣٣٠.

{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)} [الجن : ٢٥-٢٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وُعدتم به قريب زمنه، أم يجعل له ربي مدة طويلة؟ وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه، إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب، ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن; لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة; ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ كما حُفظوا من الجن، وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهرًا وباطنًا من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عددًا، فلم يَخْفَ عليه منه شيء.

قوله تعالى:{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا} [الجن : ٢٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: ما أدري أهذا العذاب الذي وُعدتم به قريب زمنه أم يجعل له ربي مدة طويلة؟"(٥٠٢٤).

قال عطاء: "يريد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده"(٥٠٢٥).

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يا بني آدم، إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده، إنما توعدون لآت"(٥٠٢٦).

عن أبي ثعلبة الخُشني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم"(٥٠٢٧).

قوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} [الجن : ٢٦]، أي:" وهو سبحانه عالم بما غاب عن الأبصار، فلا يظهر على غيبه أحدًا من خلقه"(٥٠٢٨).

قال قتادة:" {عالِمُ الغَيْبِ} عالم الوحي"(٥٠٢٩).

قال الحسن: " الغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(٥٠٣٠).

قوله تعالى:{إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} [الجن : ٢٧]، أي:" إلا من اختاره الله لرسالته وارتضاه، فإنه يُطلعهم على بعض الغيب"(٥٠٣١).

قال قتادة:" فإنه يصطفيهم، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب"(٥٠٣٢).

قال قتادة:" فإنه يظهره من الغيب على ما شاء إذا ارتضاه"(٥٠٣٣).

قوله تعالى:{فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} [الجن : ٢٧]، أي:" ويرسل من أمام الرسول ومن خلفه ملائكة يحفظونه من الجن; لئلا يسترقوه ويهمسوا به إلى الكهنة"(٥٠٣٤).

(٥٠٢٤) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٢٥) التفسير البسيط للواحدي: ٣٣٠/٢٢.

(٥٠٢٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٤٦/٨، ورواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (١٠٥٦٤) من طريق الحسن بن سفيان، عن محمد بن المصفي، به.

(٥٠٢٧)سنن أبي داود برقم (٤٣٤٩)،، ورواه الحاكم في المستدرك (٤٢٤/٤) من طريق ابن وهب، به. وقال الحاكم : "صحيح على شرطهما ولم يخرجاه".

(٥٠٢٨) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٢٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٤٧ -.

(٥٠٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٢٠٤):ص١٨٦٤/٦-١٨٦٥.

(٥٠٣١) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٣٢) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

(٥٠٣٣) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.

عن قتادة، قوله: "{فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، قال: الملائكة"(٥٠٣٥).

عن إبراهيم: "{مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}، قال: ملائكة يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم"(٥٠٣٦). وفي رواية:" الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من الجنّ"(٥٠٣٧). وفي رواية أخرى:" الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن"(٥٠٣٨).

قال الضحاك:" كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه، أن يتشبَّه الشيطان على صورة الملك"(٥٠٣٩).

قال سعيد بن جبير:" أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل، ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا"(٥٠٤٠).

قوله تعالى:{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن : ٢٨]، أي:" ليعلم الرسول صلى الله عليه وسلم، أن الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق، وأنه حُفظ كما حُفظوا من الجن"(٥٠٤١).

وفي قوله تعالى:{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ} [الجن : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : ليعلم محمد أن الرسل قبله قد بلغت رسالات الله وحفظت ، قاله قتادة(٥٠٤٢).

عن قتادة: "{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ}، ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قبله قد أبلغت عن ربها وحفظت"(٥٠٤٣).

قال قتادة:" ليعلم نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أن الرسل قد أبلغت عن الله، وأن الله حفظها، ودفع عنها"(٥٠٤٤).

الثاني: ليعلم من كذب الرسل أن الرسل قد بلغت عن ربها ما أمرت به، قاله مجاهد(٥٠٤٥).

قال مجاهد:" ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم"(٥٠٤٦) (٥٠٤٧).

والصواب، قول من قال: ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم؛ وذلك أن قوله: {لِيَعْلَمَ} من سبب قوله: {فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا} وذلك خبر عن الرسول، فمعلوم بذلك أن قوله ليعلم من سببه إذ كان ذلك خبرا عنه(٥٠٤٨).

ويُقرأ: «لِتَعْلَمَ» بالتاء، يريد: لتعلم الجنُّ أن الرسل قد بلَّغتْ عن إلههم بما وَدُّوا من استراق السمع(٥٠٤٩).

(٥٠٣٤) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٥٠٣٥) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٣٦) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.
(٥٠٣٧) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.
(٥٠٣٨) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.
(٥٠٣٩) أخرجه الطبري: ٦٧٢/٢٣.
(٥٠٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٠٩):ص٣٣٧٨/١٠.
(٥٠٤١) التفسير الميسر: ٥٧٣.
(٥٠٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٤٣) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٤٤) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٤٦) أخرجه الطبري: ٦٧٣/٢٣.
(٥٠٤٧)وعلق ابن كثير على قول مجاهد، قائلا:" في هذا نظر". [تفسير ابن كثير: ٢٤٧/٨].
(٥٠٤٨) تفسير الطبري: ٦٧٤/٢٣.
(٥٠٤٩) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٢، والبحر المحيط: ١٩٦/٣، وهي قراءة ابن عباس، وزيد بن على

قوله تعالى:{وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} [الجن : ٢٨]، أي:" وأن الله سبحانه أحاط علمه بما عندهم ظاهرًا وباطنًا من الشرائع والأحكام وغيرها، لا يفوته منها شيء، وأنه تعالى أحصى كل شيء عددًا، فلم يَخْفَ عليه منه شيء"(٥٠٥٠).

عن سعيد بن جُبير:" أنه قال في هذه الآية :{إلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} ... إلى قوله: {وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}، قال: ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم، فبلغوا رسالاتهم"(٥٠٥١).

«آخر تفسير سورة (الجن)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٥٠٥٠) التفسير الميسر: ٥٧٣.

(٥٠٥١) أخرجه الطبري: ٦٧٤/٢٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المزمل»

«سورة المزمل» هي السورة الثالثة والسبعون في القرآن الكريم، نزلت بعد «سورة القلم»، وهي من سور المفصّل، وآياتها ثمان عشرة في عد الكوفة، وتسعة عشر في البصرة، وعشرون في الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها ثمانمائة وست وثلاثون. المختلف فيها ثلاث آيات: {الْمُزَّمِّلُ} [المزمل : ١]، {شِيبًا} [المزمل : ١٧]، {إِلَيْكُمْ رَسُولًا} [المزمل : ١٥]. فواصل آياتها على الألف، إلا الآية الأولى؛ فإنه باللام، والأخيرة؛ فإنها «بالراء». مجموعها «رال»[٥٠٥٢].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥٠٥٣]، وابن الزبير[٥٠٥٤]، والحسن[٥٠٥٥]، وعكرمة[٥٠٥٦]، وعطاء[٥٠٥٧]، وجابر[٥٠٥٨]، وحكاه ابن الجوزي عن إجماع المفسرين[٥٠٥٩].

عن ابن عباس، قال: "نزلت {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، بمكة"[٥٠٦٠]، وروي عن ابن الزبير مثله[٥٠٦١].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة، فإن ذلك نزل بالمدينة. وهذا مروي عن ابن عباس –أيضا-[٥٠٦٢]، وبه قال ابن يسار[٥٠٦٣]، ومقاتل[٥٠٦٤]، وحكاه ابن عطية عن الجمهور[٥٠٦٥].

قال السيوطي: " إن استثناء قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ} [المزمل : ٢٠]، إلى آخر السورة يرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة «نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس»"[٥٠٦٦].

قال ابن عاشور:" الظاهر أن الأصح أن نزول : {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى: {وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} [المزمل : ٢٠]، إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة.. والروايات عن عائشة مضطربة"[٥٠٦٧].

الثالث: أنهما مكية سوى آيتين منها، قوله عزّ وجلّ: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، والتي بعدها[٥٠٦٨]. حكي ذلك عن ابن عباس[٥٠٦٩]، وقتادة[٥٠٧٠].

[٥٠٥٢] انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
[٥٠٥٣] انظر: الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
[٥٠٥٤] انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
[٥٠٥٥] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
[٥٠٥٦] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
[٥٠٥٧] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
[٥٠٥٨] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
[٥٠٥٩] انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
[٥٠٦٠] الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
[٥٠٦١] انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
[٥٠٦٢] الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى النحاس.
[٥٠٦٣] انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
[٥٠٦٤] انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
[٥٠٦٥] انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٦/٥.
[٥٠٦٦] انظر: الإتقان: ٦٦/١-٦٧. [بتصرف]
[٥٠٦٧] التحرير والتنوير: ٢٥٣/٢٩.
[٥٠٦٨] المزمل: ١٠- ١١.

[٥٠٦٩] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وزاد المسير: ٣٥٢/٤، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
[٥٠٧٠] انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.

القرآن
{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)} [المزمل : ١-٤]
التفسير:
يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا يسيرًا منه. قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا حتى تَصِلَ إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف.
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} [المزمل : ١]، أي:" يا أيها المتغطي بثيابه"[٥٠٧١].
قرأ أبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران، والأعمش «المتزمِّل» بإظهار التاء. وقرأ عكرمة، وابن يعمر: «المزمل» بحذف التاء، وتخفيف الزاي[٥٠٧٢].
واختلف أهل التفسير في المعنى الذي وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية من التزمُّل، على أقوال:
أحدها : وصفه بأنه متزمِّل النبوّة والرسالة، قاله عكرمة[٥٠٧٣].
قال عكرمة:" زُملت هذا الأمر فقم به"[٥٠٧٤].
عن عكرمة: "يعني: يا أيّها الذي زمّل هذا الأمر، أي: حمّله"[٥٠٧٥].

الثاني : وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة، قاله قتادة[٥٠٧٦].
قال قتادة:" هو الذي تزمل بثيابه"[٥٠٧٧].
عن إبراهيم النخعي: في قوله: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، قال: "نزلت وهو في قطيفة"[٥٠٧٨].
قال أبو عبد الله الجدلي: "سألت عائشة عن قوله سبحانه: {يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مرطا طوله أربع عشر ذراعا نصفه عليّ وأنا نائمة ونصفه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو يصلّي. قال أبو عبد الله: فسألتها ما كان؟ قالت: والله ما كان جزّا ولا قزّا ولا مرعزي ولا إبريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا"[٥٠٧٩].
وقال السدي: "أراد يا أيها النائم قم فصل"[٥٠٨٠].
قوله تعالى:{ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ} [المزمل : ٣-٤]، أي:" قم للصلاة في الليل إلا يسيرًا منه، قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا حتى تَصِلَ إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين"[٥٠٨١].

[٥٠٧١] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥٠٧٢] انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
[٥٠٧٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٧٦/٢٣.
[٥٠٧٤] أخرجه الطبري: ٦٧٦/٢٣.
[٥٠٧٥] نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٩/١٠.
[٥٠٧٦] انظر: تفسير الطبري: ٦٧٦/٢٣.
[٥٠٧٧] أخرجه الطبري: ٦٧٦/٢٣.
[٥٠٧٨] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠١٥):ص٣٣٨٠/١٠.
[٥٠٧٩] نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٨/١٠.
[٥٠٨٠] نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٩/١٠.
[٥٠٨١] التفسير الميسر: ٥٧٤.

حكي عن وهب بن منبه، أنه قال: "القليل: ما دون المعشار والسدس"[٥٠٨٢].

عن زُرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام : "أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارًا له بها ويجعله في الكُرَاع والسلاح، ثم يجاهد الروم حتى يموت. فلقي رهطًا من قومه فحدثوه أن رهطًا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "أليس لكم فيّ أسوة؟ فنهاهم عن ذلك، فأشهدهم على رَجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إليّ فأخبرني بردها عليك. قال : فأتيت على حكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه إليها، فقال : ما أنا بقاربها ؛ إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا، فأبت فيهما إلا مُضيًا. فأقسمتُ عليه، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ وعرفته، قال : نعم. قالت : من هذا معك ؟ قال : سعيد بن هشام. قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر. قال : فترحمت عليه وقالت : نعم المرء كان عامر. قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى، قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن. فَهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم.ألست تقرأ هذه السورة :{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} ؟ قلت : بلى. قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرًا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة. فهممت أن أقوم، ثم بدا لي وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت : كنا نعد له سِواكه وطَهُوره، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثماني ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو [ويستغفر ثم ينهض وما يسلم. ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم. فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني. فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم، أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم، فتلك تسع يا بني. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شَغَله عن قيام الليل نوم أو وَجَع أو مرض، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى أصبح، ولا صام شهرًا كاملا غير رمضان.

فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال : صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة"[٥٠٨٣].

واختلفوا من مدة فرض «قيام الليل» إلى أن نسخ، على قولين:

أحدهما : سنة.

قال قتادة:" فرض الله عز وجل: قيام الليل في أول هذه السورة فقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت أقدامهم فأمسك الله خاتمتها حولا، ثوم أنزل الله عز وجل: التخفيف في آخرها قال عز وجل: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} [المزمل: ٢٠]، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من قيام الليل فجعل قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقال {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المزمل: ٢٠]، وهما فريضتان لا رخصة لأحد فيهما"[٥٠٨٤].

[٥٠٨٢] النكت والعيون: ١٢٦/٦.

[٥٠٨٣]المسند (٥٤/٦)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٦).

[٥٠٨٤] الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٥٠.

عن أبي عبد الرحمن، قال: "لما نزلت: {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} قاموا بها حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، فاستراح الناس"[٥٠٨٥].

وروي عن قتادة: "{قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا}، قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفا بعد في آخر السورة"[٥٠٨٦].

عن الحسن، قال: لما نزلت {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} ... الآية، قام المسلمون حولا فمنهم من أطاقه، ومنهم من لم يطقه، حتى نزلت الرخصة"[٥٠٨٧].

الثاني : عشر سنين. وهذا قول سعيد بن جبير[٥٠٨٨].

عن سعيد بن جبير، قال: " لما أنزل الله على نبيه: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، قال: مكث النبيّ صلى الله عليه وسلم على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}... إلى قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ}، فخفّف الله عنهم بعد عشر سنين"[٥٠٨٩].

قوله تعالى:{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل : ٤]، أي:" واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف"[٥٠٩٠].

قال الحسن: "اقرأه قراءة بينة"[٥٠٩١].

عن مجاهد: "{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا}، فقال: بعضه على أثر بعض"[٥٠٩٢].

قال مجاهد:" بعضه على أثر بعض، على تؤدة"[٥٠٩٣].

قال مجاهد:" ترسل فيه ترسلا"[٥٠٩٤].

قال ابن عباس، وقتادة:" بيّنه بيانا"[٥٠٩٥].

قال عطاء:" الترتيل النَّبْذ: الطَّرْح"[٥٠٩٦].

وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُليكة عن أم سلمة : أنها سُئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت : كان يقطع قراءته آية آية، {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[٥٠٩٧]"[٥٠٩٨].

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ، ورَتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[٥٠٩٩].

وعن ابن مسعود أنه قال : "لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة"[٥١٠٠].

[٥٠٨٥] أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣.

[٥٠٨٦] أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣.

[٥٠٨٧] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٨٨] انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٢):ص٣٣٧٩/١٠.

[٥٠٨٩] أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣، وابن أبي حاتم(١٩٠١٢):ص٣٣٧٩/١٠.

[٥٠٩٠] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٠٩١] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٩٢] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٩٣] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٩٤] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٩٥] أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.

[٥٠٩٦] أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.

[٥٠٩٧]المسند (٣٠٢/٦)، وسنن أبي داود برقم (٤٠٠١)، والشمائل للترمذي برقم (٢٩٩).

[٥٠٩٨] تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٨.

[٥٠٩٩]المسند (١٩٢/٢) وسنن أبي داود برقم (١٤٦٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٥٦).

عن عمرو بن مرة، قال : سمعت أبا وائل قال : "جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال : هذّا كهذّ الشعر. لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن. فذكر عشرين سورة من المُفَصّل سورتين في ركعة"[٥١٠١].

القرآن

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)} [المزمل : ٥]

التفسير:

إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآنًا عظيمًا مشتملا على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية.

اختلف أهل العلم في تفسير الآية، على أقوال:

أحدها : أنه إذا أوحي إليه كان ثقيلاً عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه.

عن عاصم قال: "سمع أبو العالية رجلا وهو يقول: سورة قصيرة، فقال: أنت أقصر وألم؛ قال: وكان ابن سيرين يكره أن يقول: سورة خفيفة، فإن الله يقول: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل : ٥]، ولكن قل سورة يسيرة، فإن الله يقول: {لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]"[٥١٠٢].

عن ابن سيرين، وأبي العالية قالا: " لا يقال: سورة خفيفة، فإنه قال تعالى: {سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: ٥] قال: وكيف أقول؟ قال: تقول: سورة يسيرة""[٥١٠٣].

الثاني : العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه ، قاله الحسن[٥١٠٤]، وقتادة[٥١٠٥].

عن الحسن، في قوله: "{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا}، قال: العمل به، قال: إن الرجل لَيَهُذُّ[٥١٠٦] السورة، ولكنّ العمل به ثقيل"[٥١٠٧].

قال قتادة:" ثقيل والله فرائضه وحدوده"[٥١٠٨].

قال قتادة: "ثقله في الميزان كثقله على الإنسان في الدنيا"[٥١٠٩].

قال أبو العالية: "ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام"[٥١١٠].

وقال محمد بن كعب: "ثقيلا على المنافقين"[٥١١١].

الثالث : ثقل بمعنى: كريم ، مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل عليّ، أي: كريم عليّ ، قاله السدي[٥١١٢].

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه[٥١١٣].

(٥١٠٠) رواه البغوي في معالم التنزيل (٢١٥/٨).

(٥١٠١)صحيح البخاري برقم (٧٧٥).

(٥١٠٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهي(١٨):ص١٤/٣.

(٥١٠٣) المصاحف لأبي داود: ٣٥٠.

(٥١٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٣.

(٥١٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٣.

(٥١٠٦) الهذ: سرعة القراءة. وهو يهذ القرآن هذًا: إذا أسرع فيع وتابعه. وهذا الحديث سرده (التاج).

(٥١٠٧) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.

(٥١٠٨) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.

(٥١٠٩) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٣٩/٥.

(٥١١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٠/١٠.

(٥١١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٠/١٠.

(٥١١٢) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٦.

(٥١١٣) تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.

القرآن

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)} [المزمل : ٦]

التفسير:

إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيرًا في القلب، وأبين قولا لفراغ القلب مِن مشاغل الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا} [المزمل : ٦]، أي:" إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيرًا في القلب"[٥١١٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} [المزمل : ٦]، وجوه:

أحدها : أنه قيام الليل ، بالحبشية ، قاله مجاهد[٥١١٥].

قال مجاهد:" إذا قمت الليل فهو ناشئة"[٥١١٦].

روى عن عبيد بن عمير: "قلت لعائشة: رجل قام من أوّل الليل، أتقولين له قام ناشئة؟ قالت لا، إنما الناشئة القيام بعد النوم"[٥١١٧].

الثاني : أنه ما بين المغرب والعشاء ، قاله علي بن حسين[٥١١٨].

عن على بن الحسين -رضى الله عنهما-:" أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء، ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: {إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ}، هذه ناشئة الليل"[٥١١٩].

الثالث : ما بعد العشاء الآخرة ، قاله الحسن[٥١٢٠]، ومجاهد[٥١٢١]، وقتادة[٥١٢٢]، وأبو مِجْلز[٥١٢٣]، وأبو رجاء[٥١٢٤].

قال الحسن:" كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل"[٥١٢٥].

قال مجاهد، وقتادة:" كلّ شيء بعد العشاء فهو ناشئة"[٥١٢٦].

قال قتادة:" ناشئة الليل: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة"[٥١٢٧].

وعن قتادة، قال:" حين يقبل الليل من المشرق"[٥١٢٨].

الرابع : أنها ساعات الليل كلها، لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، وأيّ ساعة من الليل قمت فهو ناشئة، قاله مجاهد[٥١٢٩].

قال مجاهد:" أيّ: الليل قمت فهو ناشئة"[٥١٣٠].

[٥١١٤] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥١١٥] أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.

[٥١١٦] أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.

[٥١١٧] نقلا عن: الكشاف: ٦٣٨/٤.

[٥١١٨] انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٩.

[٥١١٩] نقلا عن: الكشاف: ٦٣٨/٤.

[٥١٢٠] انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٩.

[٥١٢١] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣-٦٨٣.

[٥١٢٢] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.

[٥١٢٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.

[٥١٢٤] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.

[٥١٢٥] تفسير مجاهد: ٦٧٩.

[٥١٢٦] أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣-٦٨٣، ٦٨٤.

[٥١٢٧] أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.

[٥١٢٨] تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٧٥):ص٤٣/٢.

[٥١٢٩] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.

[٥١٣٠] أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.

قال مجاهد:" أيّ ساعة تَهَجَّدَ فيها متهجد من الليل"[٥١٣١].
الخامس : أنه بدء الليل ، قاله عطاء وعكرمة، وابن كيسان[٥١٣٢].
السادس : أن الليل كله ناشئة، قال عكرمة[٥١٣٣]، والضحاك[٥١٣٤].
عن الضحاك، قوله: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، يعني: الليل كله"[٥١٣٥].
قال مجاهد:" الليل كله، إذا قام يصلي فهو ناشئة"[٥١٣٦].

عن حاتم بن أبي صغيرة، قال: "قلت لعبد الله بن أبي مليكة: ألا تحدثني أيّ الليل ناشئة؟ قال: على الثبت سقطت، سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت عنها ابن الزبير، فأخبرني مثل ذلك"[٥١٣٧].
عن عكرمة، قوله: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، قال: هو الليل كله"[٥١٣٨].
وفي تفسير قوله تعالى:{هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا} [المزمل : ٦]، وجوه:

أحدها : مواطأة قلبك وسمعك وبصرك[٥١٣٩]، قاله مجاهد[٥١٤٠].
قال مجاهد:" تواطئ سمعك وبصرك وقلبك"[٥١٤١].
قال مجاهد:" مُوَاطأة للقول، وفراغا للقلب"[٥١٤٢].
قال مجاهد:" أجدر أن تواطئ سمعك وقلبك"[٥١٤٣].
قال مجاهد: أجدر أن تواطئ لك سمعك، أن تواطئ لك بصرك"[٥١٤٤].
قال مجاهد:" يواطئ سَمْعُك وبصرك وقلبك بعضه بعضا"[٥١٤٥].
الثاني : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار، وأشدّ مواطأة بالليل منه بالنهار. قاله الضحاك[٥١٤٦].
قال الفراء:" يقول: هي أثبت قياما"[٥١٤٧].
الثالث : أثبت في الخير، وأحفظ في الحفظ[٥١٤٨]. قاله قتادة[٥١٤٩].
قال قتادة:" القيام بالليل أشدّ وطئا: يقول: أثبت في الخير"[٥١٥٠].
قوله تعالى:{وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل : ٦]، أي:" وأبين قولا لفراغ القلب مِن مشاغل الدنيا"[٥١٥١].

[٥١٣١] أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
[٥١٣٢] نقلا عن: المحرر الوجيز: ٣٨٨/٥.
[٥١٣٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
[٥١٣٤] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
[٥١٣٥] أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
[٥١٣٦] أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
[٥١٣٧] أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
[٥١٣٨] أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
[٥١٣٩] وهو معنى قراءة: «وطاءً»، بكسر الواو ومدّ الألف. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٣]
[٥١٤٠] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤١] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤٢] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤٣] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤٤] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤٥] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٤٦] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.
[٥١٤٧] معاني القرآن: ١٩٧/٣.
[٥١٤٨] وهو معنى قراءة: «أَشَدُّ وَطْئًا»، بفتح الواو وسكون الطاء. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣]
[٥١٤٩] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.
[٥١٥٠] أخرجه الطبري: ٦٨٤/٢٣.

وفي قوله :{وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: أبلغ في الخير وأمعن في العدل ، قاله الحسن[٥١٥٢].
الثاني: أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، قاله مجاهد[٥١٥٣]، وقتادة[٥١٥٤].
عن الأعمش، قال: "قرأ أنس هذه الآية: «إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وأصْوَبُ قِيلا»، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي: {وَأَقْوَمُ قِيلا}، قال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد"[٥١٥٥].
عن قتادة: "{وَأَقْوَمُ قِيلا}: أحفظ للقراءة"[٥١٥٦].
قال مجاهد:" أثبت للقراءة"[٥١٥٧].
قال الزهري:" يعني: القرآن ومنفعتهم به. يقول: حتى يفهم القرآن ويتدبر آياته ويفقه ما فيه"[٥١٥٨].
قال ابن قتيبة:" أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ عنه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، فيخلص القول، ولا يكون دون تسمّعه وتفهّمه حائل"[٥١٥٩].
قال الحسن:" "لقد أدركت أقواماً يقدرون على أن يعملوا في السر، فأرادوا أن يعملوه علانية، ولقد أدركت أقواماً إن أحدهم ليأتيه الزوار فيقوم من الليل فيصلي، وما يشعر به الزوار"[٥١٦٠].
وكان لقمان يقول لابنه: "يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت بالليل"[٥١٦١].

القرآن
{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)} [المزمل : ٧]
التفسير:
إن لك في النهار تصرفًا وتقلبًا في مصالحك، واشتغالا واسعًا بأمور الرسالة، ففرِّغ نفسك ليلا لعبادة ربك.
وفي تفسير الآية أقوال:
أحدها : يعني: فراغاً طوياً لنَومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، قاله مجاهد[٥١٦٢]، وقتادة[٥١٦٣]، وعطاء[٥١٦٤].
قال قتادة:" فراغا طويلا"[٥١٦٥].
قال مجاهد:" متاعا طويلا"[٥١٦٦].
قال عطاء:" النوم والفراغ"[٥١٦٧].

[٥١٥١] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥١٥٢] انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
[٥١٥٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
[٥١٥٤] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
[٥١٥٥] أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
[٥١٥٦] أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.
[٥١٥٧] تفسير عبدالرزاق(٣٣٦٧):ص٣٥٧/٣.
[٥١٥٨] الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن: ٣٥.
[٥١٥٩] تأويل مشكل القرآن: ٢١٥.
[٥١٦٠] نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٠.
[٥١٦١] نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٠، وانظر: شعب الإيمان(٥٦٩٨)/ص: ٥/ ٤١.
[٥١٦٢] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
[٥١٦٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣، وتفسير عبدالرزاق(٣٣٧٠):ص٣٥٨:٣.
[٥١٦٤] انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩١):ص١٠٥.
[٥١٦٥] أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.
[٥١٦٦] أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.

عن يحيى بن يعمر «من جذيلة قيس»:" أنه كان يقرأ: «سَبْخًا طَوِيلا»، قال: وهو النوم"[٥١٦٨].
الثاني : دعاء كثيراً ، حكاه الماوردي عن السدي[٥١٦٩].
الثالث: تطوعا كثيرًا, حكاه ابن كثير عن السدي[٥١٧٠].
وقَرَأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبى عبلة: «سبخا» بالخاء، والتسبيخ: توسعة الصوف[٥١٧١] والقطن وما أشبهه، يُقال: سبِّخي قطنك. قَالَ أَبُو الفضل: "سمعت أبا عَبْد اللَّه يقول: حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم، فسأله الفراء عنْ هَذَا الحرف فَقَالَ: أهل باديتنا يقولون: اللهم سبّخ عنه للمريض والملسوع ونحوه"[٥١٧٢].

القرآن
{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)} [المزمل : ٨-٩]
التفسير:
واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاعتمد عليه، وفوِّض أمورك إليه.
قوله تعالى:{وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل : ٨]، أي:" وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه"[٥١٧٣].
أحدها : أخلص إليه إخلاصاً، قاله مجاهد[٥١٧٤]، والضحاك[٥١٧٥]، وقتادة[٥١٧٦]، وأبو يحيى المكي[٥١٧٧].
قال مجاهد:" أخلص إليه المسألة والدعاء"[٥١٧٨].
قال قتادة:" يقول: أخلص له العبادة والدعوة"[٥١٧٩].
قال الحسن:" بَتِّل نفسك واجتهد"[٥١٨٠].
قال الحسن:" أخلِص له إخلاصًا"[٥١٨١]. وروي عن عطاء الخراساني مثله[٥١٨٢].
الثاني: أن "التَّبتُّل": رفْض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله. قاله زيد بن أسلم[٥١٨٣].
قوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [المزمل : ٩]، أي:" هو مالك المشرق والمغرب"[٥١٨٤].

[٥١٦٧]الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩١):ص١٠٥.
[٥١٦٨] أخرجه الطبري: ٦٨٧/٢٣.
[٥١٦٩] انظر: النكت والعيون: ١٢٨/٦.
[٥١٧٠] انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٨.
[٥١٧١]توسعة الصوف: تنفيشه.
[٥١٧٢] معاني القرآن للفراء: ١٩٧/٣.
[٥١٧٣] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥١٧٤] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٧٥] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٧٦] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٧٧] انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٧٨] أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٧٩] أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٨٠] أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
[٥١٨١]عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
[٥١٨٢]أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٥.
[٥١٨٣]تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣، وتفسير البغوي ٨/ ٢٥٥.
[٥١٨٤] التفسير الميسر: ٥٧٤.

عن عكرمة:" {رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ}، قال: وجه الليل، ووجه النهار"[٥١٨٥].
عن عاصم أنه قرأ: «رَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ» بخفض (ربِّ)[٥١٨٦].
قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [المزمل : ٩]، أي:" لا معبود بحق إلا هو"[٥١٨٧].
قال محمد بن إسحاق: "لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٥١٨٨].
عن كعب، قال:" لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص"[٥١٨٩].
قوله تعالى:{فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل : ٩]، أي:" فاعتمد عليه، وفوِّض أمورك إليه"[٥١٩٠].
قال السدي: أما «الوكيل»، فالحفيظ"[٥١٩١].

عن قتادة : " {وكفى بالله وكيلا}، قال : حفيظًا"[٥١٩٢].

القرآن

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)} [المزمل : ١٠]

التفسير:

واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي دينك، وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم.

قوله تعالى:{وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، أي:" وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم"[٥١٩٣].

عن قتادة، قوله: "{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا}، براءة نسخت ما ههنا؛ أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يقبل منهم غيرها"[٥١٩٤].

روي عن أبي الزاهرية أنّ أبا الدرداء، قال: "إنا لنكشّر في وجوه أقوام ونضحك إليهم، وإنّ قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم"[٥١٩٥].

قال عماد الدين الواسطي:" عليك بمفارقة الإخوان البطالين الذين يخوضون كثيرًا في قيل وقال، وجانب أهل المنكر والفواحش الذين لا همة لهم، ولا يظهرُ عليهم أثر المخافة من الله عزَّ وجلّ، واهرب من هؤلاء فرارك من الأسد، وحاسنهم في السلام والكلام كما قال الله عزَّ وجلّ: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠]، وعليك بصحبة أهل التقوى والورع في الكلام والمأكل والملبس، وأهل الأخلاق المرضية، والوفا في سائر أصناف العالَم من الفقهاء والفُقراء والصُّوفية أهل السُّنَّة الذين يكونون على علم الحديث والأثر وقليل ما هم"[٥١٩٦].

[٥١٨٥]عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
[٥١٨٦]عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
وهي قراءة متواترة، قرأ بها ابن عامر، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة، وقرأ بقية العشرة: {رَبُّ} بضم الباء. انظر: النشر ٢/ ٣٩٣، والإتحاف ص ٥٦٩.
[٥١٨٧] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥١٨٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٣٦):ص٥٧٣٣/٣.
[٥١٨٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٢٣):ص٥٨٥/٢.
[٥١٩٠] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥١٩١] أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٧):ص٢٠٠٩/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!
[٥١٩٢] اخرجه الطبري(١٠٦٧٥):ص٢٩٧/٩.
[٥١٩٣] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥١٩٤] أخرجه الطبري: ٦٨٩/٢٣.
[٥١٩٥] رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٣/١٠.
[٥١٩٦] مفاتيح طريق الأولياء: ٣٥.

القرآن

{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)} [المزمل : ١١]

التفسير:

دعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذبين بآياتي أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهِّلهم زمنًا قليلا بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم.

سبب النزول:

قال الثعلبي:"نزلت في صناديد قريش المكذبين المستهزئين"[٥١٩٧].

وقال مقاتل بن حيان: "نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة"[٥١٩٨].

عن قتادة، قال الله: "{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا}، يقول: إن لله فيهم طلبة وحاجة"[٥١٩٩].

عن عائشة قالت: "لما نزلت هذه الآية: {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا} ... الآية، قال: لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر"[٥٢٠٠].

القرآن

{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)} [المزمل : ١٢-١٣]

التفسير:

إن لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ونارًا مستعرة يُحرقون بها، وطعامًا كريهًا ينشَب في الحلوق لا يستساغ، وعذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا} [المزمل : ١٢]، أي:" إن لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ونارًا مستعرة يُحرقون بها"[٥٢٠١].

عن قتادة: "{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا}، أي: قيودا"[٥٢٠٢].

عن عكرمة: "{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا}، قال: قُيودا"[٥٢٠٣].

عن عكرمة:" أن الآية التي قال: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا}، إنها قيود"[٥٢٠٤].

قال مجاهد، وحماد:" الأنكال: القيود"[٥٢٠٥].

وقال حماد:" قيودا سوداء من نار جهنم"[٥٢٠٦].

عن الشعبي:" إذا ارتفعوا استقلت بهم"[٥٢٠٧].

[٥١٩٧] تفسير الثعلبي: ٥١٣/٢٧. [ط. دار التفسير]

[٥١٩٨]تفسير الثعلبي: ٥١٣/٢٧. [ط. دار التفسير]، وذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٢٥٥، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٨/ ٣٩٣، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٤٥.

والقول في "تفسير القرآن" للسمعاني ٦/ ٨١، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٣٨٩ بلا نسبة.

[٥١٩٩] أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.

[٥٢٠٠] أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.

[٥٢٠١] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢٠٢] أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.

[٥٢٠٣] أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.

[٥٢٠٤] أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.

[٥٢٠٥] أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣، ٦٩١.

[٥٢٠٦] أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.

[٥٢٠٧] نقلا عن: الكشاف: ٦٤٠/٤.

قال عامر الشعبي: "تَرون أنّ الله لم يجعل الأنكال في أرْجُل أهل النار لأنه خشي أن يَفِرُّوا منه؟ ولكن إذا أرادوا أنْ يَرتفعوا استَثْقلتْ بهم"[٥٢٠٨].

قوله تعالى:{وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ} [المزمل : ١٣]، أي:" وطعامًا كريهًا ينشَب في الحلوق لا يستساغ"[٥٢٠٩].

قال مجاهد:" شجرة الزقوم"[٥٢١٠].

قوله تعالى:{وَعَذَابًا أَلِيمًا} [المزمل : ١٣]، أي:" وعذابًا موجعًا"[٥٢١١].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٥٢١٢]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٥٢١٣].

عن حُمْران بن أعين: "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ}، فصعق صلى الله عليه وسلم"[٥٢١٤].

عن خالد بن حسان، قال: "أمسى عندنا الحسن وأمسى صائما، فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية: {إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيماً}، فقال: ارفع الطعام، فلما كانت الليلة الثانية أتيناه أيضا بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعه، فلمّا كانت الليلة الثالثة أتيته فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعوا، فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم بحديثه، فجاءوا معه فلم يزالوا به حتّى شرب شربة من سويق"[٥٢١٥].

القرآن

{يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤)} [المزمل : ١٤]

التفسير:

يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل حتى تصير الجبال تَلا من الرمل سائلا متناثرًا، بعد أن كانت صُلبة جامدة.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ} [المزمل : ١٤]، أي:" يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل"[٥٢١٦].

عن مجاهد، في قوله: {يوم ترجف الراجفة} [النازعات: ٦] يقول: «ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة»"[٥٢١٧].

قوله تعالى:{وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} [المزمل : ١٤]، أي:" وتصبح الجبال على صلابتها تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت صلبة جامدة"[٥٢١٨].

وفي قوله تعالى:{وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} [المزمل : ١٤]، وجهان:

أحدهما : رملاً سائلاً ينهال.

[٥٢٠٨]تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣.

[٥٢٠٩] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢١٠] انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٣.

[٥٢١١] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢١٢] أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

[٥٢١٣] انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

[٥٢١٤] أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.

[٥٢١٥] رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٤/١٠.

[٥٢١٦] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢١٧] تفسير مجاهد: ٧٠٢.

[٥٢١٨] صفوة التفاسير: ٤٤٣/٣.

عن مجاهد، قوله: "{كَثِيبًا مَهِيلا}، قال: ينهال"[٥٢١٩].

الثاني : أن المهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه ، قاله الضحاك[٥٢٢٠].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦)} [المزمل : ١٥-١٦]

التفسير:

إنا أرسلنا إليكم -يا أهل «مكة» - محمدًا رسولا شاهدًا عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان، كما أرسلنا موسى رسولا إلى الطاغية فرعون، فكذَّب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكًا شديدًا.

قوله تعالى:{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل : ١٦]، أي:" فكذَّب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكًا شديدًا"[٥٢٢١].

عن مجاهد، وقتادة، قوله: "{أَخْذًا وَبِيلا}، قال: شديدا"[٥٢٢٢].

القرآن

{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧)} [المزمل : ١٧]

التفسير:

فكيف تَقُون أنفسكم -إن كفرتم- عذاب يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان الصغار; مِن شدة هوله وكربه؟

قوله تعالى:{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ} [المزمل : ١٧]، أي:" كيف لا تحذرون وتخافون يا معشر قريش عذاب يوم هائل إن كفرتم بالله ولم تؤمنوا به؟"[٥٢٢٣].

عن الحسن:" {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا}، قال: بأي صلاة تَتَّقون؟! بأي صيام تَتَّقون؟!"[٥٢٢٤].

قال قتادة:" يقول: كيف تتقون يوما، وأنتم قد كفرتم به ولا تصدّقون به"[٥٢٢٥].

قال قتادة:" والله لا يتقي من كفر بالله ذلك اليوم"[٥٢٢٦].

عن قتادة:" فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيبًا}، قال: تَتَّقون ذلك اليوم إن كفرتم. قال: لا، واللهِ، ما اتّقى ذلك اليوم قومٌ كفروا بالله وعَصَوا رسوله"[٥٢٢٧].

قوله تعالى:{يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل : ١٧]، أي:" وكيف تأمنون ذلك اليوم الرهيب الذي يشيب فيه الوليد من شدة هوله، وفظاعة أمره؟"[٥٢٢٨].

عن خَيْثمة بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَة :" في قوله: {يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِيبًا}، قال: ينادي منادٍ يوم القيامة: يَخرج بعْثُ النار؛ من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. فمن ذلك يَشيب الولدان"[٥٢٢٩].

[٥٢١٩] أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٣.

[٥٢٢٠] انظر: النكت والعيون: ١٣٠/٦.

[٥٢٢١] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢٢٢] أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٣.

[٥٢٢٣] صفوة التفاسير: ٤٤٤/٣.

[٥٢٢٤] عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

[٥٢٢٥] أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

[٥٢٢٦] أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

[٥٢٢٧] أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٥، وابن جرير ٢٣/ ٣٨٨، كذلك من طريق سعيد بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

[٥٢٢٨] صفوة التفاسير: ٤٤٤/٣.

عن الضحاك، قال:" كان ابن مسعود يقول: "إذا كان يومُ القيامة دعا ربُّنا المَلِكُ آدم، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم: أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج من كلّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيُساقون إلى النار سُودا مقرّنين، زُرقا كالِحِين، فيشيب هنالك كلّ وليد"[٥٢٣٠].

وقرأ ابن مسعود وعطيّة: «فكيف يتّقون يوما يجعل الولدان شيبا أن كفرتم»، وقرأ أبو السماك العدوي: «فكيف يتّقون» بكسر النون على الإضافة[٥٢٣١].

القرآن

{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)} [المزمل : ١٨]

التفسير:

السماء متصدعة في ذلك اليوم; لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعًا لا محالة.

قوله تعالى:{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} [المزمل : ١٨]، أي:" السماء متصدعة في ذلك اليوم; لشدة هوله"[٥٢٣٢].

وفي قوله تعالى:{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} [المزمل : ١٨]، وجهان:

أحدهما : مثقلة به، قاله مجاهد[٥٢٣٣]، وعكرمة[٥٢٣٤]، وقتادة[٥٢٣٥].

قال قتادة:" مثقل به ذلك اليوم"[٥٢٣٦].

وقال الحسن:" مثقلة محزونة يوم القيامة"[٥٢٣٧]. وفي رواية:" مُثقلة بيوم القيامة"[٥٢٣٨].

الثاني : مخزونة به، قاله الحسن[٥٢٣٩].

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)} [المزمل : ١٩]

التفسير:

إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} [المزمل : ١٩]، أي:" إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس"[٥٢٤٠].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ}، يعني: القرآن"[٥٢٤١].

[٥٢٢٩]أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١١٩، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٣١٦ (٣٦١٦٤).

[٥٢٣٠] أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

[٥٢٣١] انظر: الكشف والبيان: ٦٤/١٠.

[٥٢٣٢] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢٣٣] انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.

[٥٢٣٤] انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.

[٥٢٣٥] انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.

[٥٢٣٦] أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.

[٥٢٣٧] أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.

[٥٢٣٨]أخرجه عبد بن حميد -كما في التغليق ٤/ ٣٥٠، وفتح الباري ٨/ ٦٧٥ -، وبنحوه من طريق أبي رجاء، وابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ١٣٢ (٨) -.

[٥٢٣٩] انظر: النكت والعيون: ١٣١/٦.

[٥٢٤٠] التفسير الميسر: ٥٧٤.

[٥٢٤١] أخرجه الطبري: ٦٩٧/٢٣.

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [المزمل : ١٩]، أي:" فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه"[٥٢٤٢].

عن قتادة، قوله: "{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا}، بطاعة الله"[٥٢٤٣].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)} [المزمل : ٢٠]

التفسير:

إن ربك -أيها النبي- يعلم أنك تقوم للتهجد من الليل أقل من ثلثيه حينًا، وتقوم نصفه حينًا، وتقوم ثلثه حينًا آخر، ويقوم معك طائفة من أصحابك. والله وحده هو الذي يقدِّر الليل والنهار، ويعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما، علم الله أنه لا يمكنكم قيام الليل كله، فخفَّف عليكم، فاقرؤوا في الصلاة بالليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن، علم الله أنه سيوجد فيكم مَن يُعجزه المرض عن قيام الليل، ويوجد قوم آخرون يتنقَّلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون من رزق الله الحلال، وقوم آخرون يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمته ونشر دينه، فاقرؤوا في صلاتكم ما تيسَّر لكم من القرآن، وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وتصدَّقوا في وجوه البر والإحسان مِن أموالكم؛ ابتغاء وجه الله، وما تفعلوا مِن وجوه البر والخير وعمل الطاعات، تلقَوا أجره وثوابه عند الله يوم القيامة خيرًا مما قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا، واطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم، إن الله غفور لكم، رحيم بكم.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" إن ربك -أيها النبي- يعلم أنك تقوم للتهجد من الليل أقل من ثلثيه حينًا، وتقوم نصفه حينًا، وتقوم ثلثه حينًا آخر، ويقوم معك طائفة من أصحابك"[٥٢٤٤].

عن قتادة:"{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ} الآية، قال: أدنى من ثُلثي الليل، وأدنى من نصفه، وأدنى من ثُلثه"[٥٢٤٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" والله وحده هو الذي يقدِّر الليل والنهار، ويعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما"[٥٢٤٦].

قال عطاء: "{واللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ والنَّهارَ}، يريد: لا يَفوته عِلْمُ ما تَفعلون، أي: أنه يَعلم مقادير الليل والنهار، فيَعلم القَدْر الذي تقومون من الليل"[٥٢٤٧].

قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} [المزمل : ٢٠]، أي:" علم الله أنه لا يمكنكم قيام الليل كله، فخفَّف عليكم"[٥٢٤٨].

عن مجاهد: {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ} قال: "علم أن لن تُطيقوا قيام الليل {فَتابَ عَلَيْكُمْ}"[٥٢٤٩].

[٥٢٤٢] التفسير الميسر: ٥٧٤.
[٥٢٤٣] أخرجه الطبري: ٦٩٧/٢٣.
[٥٢٤٤] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٤٥] عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
[٥٢٤٦] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٤٧] تفسير البغوي ٨/ ٢٥٧.
[٥٢٤٨] التفسير الميسر: ٥٧٥.

عن الحسن وسعيد بن جبير: "{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ}، أن لن تطيقوه"[٥٢٥٠].
عن قتادة: "{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ}: قيام الليل كتب عليكم"[٥٢٥١].
قوله تعالى:{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} [المزمل : ٢٠]، أي:" فاقرؤوا في الصلاة بالليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن"[٥٢٥٢].
عن مجاهد: "{فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ} قال: أنْ خَفّف عنهم في القيام"[٥٢٥٣].
عن سعيد بن جُبَير: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}:" خمسون آية"[٥٢٥٤].
عن أبي رجاء محمد، قال:" قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك؛ قال الله للعبد الصالح: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ}، {وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ}، قلت: يا أبا سعيد قال الله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}- قال: نعم، ولو خمسين آية"[٥٢٥٥].
عن السديّ، في قوله: "{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}، قال: مئة آية"[٥٢٥٦].
قال الحسن:" من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجه القرآن"[٥٢٥٧].
قال كعب: "من قرأ في ليلة مئة آية كُتب من العابدين"[٥٢٥٨].

قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى} [المزمل : ٢٠]، أي:" علم الله أنه سيوجد فيكم مَن يُعجزه المرض عن قيام الليل"[٥٢٥٩].
قال مجاهد: " ثم أنبأنا الله تعالى بخصال المؤمنين، فقال: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضى} إلى آخر الآية"[٥٢٦٠].
قوله تعالى:{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} [المزمل : ٢٠]، أي:" ويوجد قوم آخرون يتنقّلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون من رزق الله الحلال وقوم آخرون يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمته ونشر دينه، فاقرؤوا في صلاتكم ما تيسَّر لكم من القرآن"[٥٢٦١].
عن قتادة، قال: "ثم أنبأ بخصال المؤمنين، فقال: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، قال: افترض الله القيام في أوّل هذه السورة، فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة"[٥٢٦٢].

[٥٢٤٩] عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
[٥٢٥٠] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٧، ٦٩٨.
[٥٢٥١] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٨.
[٥٢٥٢] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٥٣] عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
[٥٢٥٤] تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٥.
[٥٢٥٥] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٨.
[٥٢٥٦] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٨.
[٥٢٥٧] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٨-٦٩٩.
[٥٢٥٨] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٩.
[٥٢٥٩] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٦٠] عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
[٥٢٦١] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٦٢] أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٩.

عن مجاهد، في قوله: {طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه: ٢]، يعني: «في الصلاة». وهو كقوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، قال: «وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة»[٥٢٦٣].

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم"[٥٢٦٤].

عن قتادة: "{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، فهما فريضتان واجبتان، لا رخصة لأحد فيهما، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره"[٥٢٦٥].

عن الحسن في قوله: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٥٢٦٦]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٥٢٦٧].

وعن الحسن في قوله: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة"[٥٢٦٨]. وروي عن قتادة نحو ذلك[٥٢٦٩].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٥٢٧٠].

وعن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"[٥٢٧١].

قوله تعالى:{وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المزمل : ٢٠]، أي:" وتصدَّقوا في وجوه البر والإحسان مِن أموالكم؛ ابتغاء وجه الله"[٥٢٧٢].

قال الحسن البصري: "كلّ ما في القرآن مِن القرْض الحسن فهو التطُّوع"[٥٢٧٣].

قوله تعالى:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} [المزمل : ٢٠]، أي:" وما تفعلوا مِن وجوه البر والخير وعمل الطاعات، تلقَوا أجره وثوابه عند الله يوم القيامة، تجدوا ذلك الأجر والثواب يوم القيامة خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال"[٥٢٧٤].

عن سعيد بن جبير: {مَا تُقَدِّمُوا}، يعني: ما عملوا من الأعمال من الخير في الدنيا"[٥٢٧٥].

عن أبي العالية، قوله: "{تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}، يقول: تجدوا ثوابه عند الله"[٥٢٧٦]. وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[٥٢٧٧].

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل : ٢٠]، أي:" واطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم ، إن الله غفور لكم، رحيم بكم"[٥٢٧٨].

قال محمد بن إسحاق: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ}، أي: يغفر الذنب، {رَحِيمٌ}، قال: يرحم العباد على ما فيهم"[٥٢٧٩].

[٥٢٦٣] تفسير مجاهد: ٤٦٠.
[٥٢٦٤] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٦٥] أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.
[٥٢٦٦] أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
[٥٢٦٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
[٥٢٦٨] أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.
[٥٢٦٩] نظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.
[٥٢٧٠] أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
[٥٢٧١] أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.
[٥٢٧٢] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٧٣]تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٣.
[٥٢٧٤] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٢٧٥] أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١):ص٢٠٦/١.
[٥٢٧٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٢):ص٢٠٧/١.
[٥٢٧٧] انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٧/١. حكاه بدون سند.
[٥٢٧٨] التفسير الميسر: ٥٧٥.

«آخر تفسير سورة (المزمل)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[٥٢٧٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٥)، (١٨٦٦):ص٣٥٥/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المدثر»

«سورة المدثر» هي السورة الرابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني وهي السورة السادسة والأخيرة من المجموعة السادسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة «المزمل»[٥٢٨٠]، وقيل: إنها ثانية السور نزولا وإنها لم ينزل قبلها إلا سورة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١][٥٢٨١]، وآياتها ست وخمسون في عد العراقي والبزي، وخمس في عد المكي. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وعشر. المختلف فيها اثنان: {يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ} [المدثر : ٤٠-٤١] فواصل آياتها: «ردنها»، على الدال آية: {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} [المدثر : ١٥][٥٢٨٢].

- **مكان نزول السورة:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥٢٨٣]، وابن الزبير[٥٢٨٤]، وحكاه ابن عطية وابن الجوزي عن إجماع المفسرين[٥٢٨٥].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من أهل التأويل"[٥٢٨٦].

الثاني: فيها من المدني آية واحدة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً} [المدثر : ٣١]. وهذا قول مقاتل[٥٢٨٧].

(٥٢٨٠) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

(٥٢٨١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٩.

(٥٢٨٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.

(٥٢٨٣) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي.

(٥٢٨٤) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٥٢٨٥) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥، وزاد المسير: ٣٥٨/٤.

(٥٢٨٦) المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥.

(٥٢٨٧) انظر: زاد المسير: ٣٥٨/٤.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)} [المدثر : ١-٧]

التفسير:

يا أيها المتغطي بثيابه، قم مِن مضجعك، فحذِّر الناس من عذاب الله، وخُصَّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وَطَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، ودُمْ على هَجْر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، ولا تُعط العطيَّة؛ كي تلتمس أكثر منها، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي.

سبب نزول الآيات: [١-٤]

عن الأوزاعي، قال: سمعت يحيى، يقول: "سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)}[المدثر: ١-٤]"[٥٢٨٨].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر : ١]، أي:" يا أيها المتغطي بثيابه"[٥٢٨٩].

وفي قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر : ١]، وجهان:

أحدهما : يا أيها المتدثر بالنبوة وأثقالها ، قاله عكرمة[٥٢٩٠].

قال عكرمة:" دثِّرت هذا الأمر فقم به"[٥٢٩١].

الثاني : يا أيها المتدثر بثيابه، قاله قتادة[٥٢٩٢].

قال إبراهيم:" كان متدثرا في قطيفة"[٥٢٩٣].

عن الزهريّ، قال: "فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة، فحزن حزنًا، فجعل يعدو إلى شواهق رءوس الجبال ليتردّى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبيّ الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك، قال: "بَيْنَما أنا أَمْشِي يَوْما إذ رأيْتُ المَلَكَ الَّذِي كان يأتِيني بحرَاءَ على كُرْسِيّ بَينَ السَّماءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبا، فَرَجَعْتُ إلى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: "زَمِّلُونِي"، فزملناه: أي فدثرناه، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ

[٥٢٨٨]أخرجه البخاري (فتح الباري: ٨/ ٦٧٦ - ح: ٤٩٢٢) ومسلم (١/ ١٤٤ - ح: ١٦١ "٢٥٧") والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٨ / ٤٨ - ح: ١١٣) وابن جرير (٩٠/٢٩) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٣ / ٤٥١ - ح: ١٩٤٨) من طريق يحيى به, ويشهد له:

* ما أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢٥١/٢) وأبو بكر الآجري (الشريعة: ٤٤٠) وأبو نعيم في "الدلائل" (٦٩/١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة نحوه, وإسناده صحيح.

[٥٢٨٩] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٢٩٠] انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٤.

[٥٢٩١] أخرجه الطبري: ٩/٢٤.

[٥٢٩٢] انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٤.

[٥٢٩٣] أخرجه الطبري: ٧/٢٤.

فَطَهِّر}، قال الزهري: فكان أوّل شيء أنزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... }، حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"[٥٢٩٤].

قوله تعالى:{قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر : ٢]، أي:" قم مِن مضجعك، فحذِّر الناس من عذاب الله"[٥٢٩٥].

قال قتادة:" أي: أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم، وشدّة نقمته"[٥٢٩٦].

قوله تعالى:{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر : ٣]، أي:" وخُصَّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة"[٥٢٩٧].

عن أبي مالك الغفاري:"{ورَبَّكَ فَكَبِّرْ}، قال: عَظِّم"[٥٢٩٨].

قوله تعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر : ٤]، أي:" وَطَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن"[٥٢٩٩].

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر : ٤]، على وجوه:

أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر.

قال السدي: "يقال للرجل إذا كان صالحا: إنّه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرا: إنه لخبيث الثياب"[٥٣٠٠].

قال الحسن: يطيب أحدهم ثوبه، وقد أصل ريحه!"[٥٣٠١].

الثاني: طهر نفسك من الذنب، قاله مجاهد[٥٣٠٢]، وقتادة[٥٣٠٣]، وإبراهيم[٥٣٠٤]، وعامر[٥٣٠٥]، وعطاء[٥٣٠٦].

ويشهد له قول عنترة[٥٣٠٧]:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحرَّمِ

أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة[٥٣٠٨]. قال: المعنى: "أي طهر نفسك من الذنوب. فكنى عنه بثيابه: لأنها تشتمل عليه"[٥٣٠٩].

قالت ليلى الأخيلية وذكَرَتْ إبلاً[٥٣١٠]:

[٥٢٩٤] أخرجه الطبري: ٨/٢٤.

[٥٢٩٥] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٢٩٦] أخرجه الطبري: ٩/٢٤.

[٥٢٩٧] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٢٩٨] عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

[٥٢٩٩] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٣٠٠] نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٩/١٠.

[٥٣٠١] نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٥.

[٥٣٠٢] انظر: زاد المسير: ٣٥٩/٤.

[٥٣٠٣] انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤، وزاد المسير: ٣٥٩/٤.

[٥٣٠٤] انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٤.

[٥٣٠٥] انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣٠٦] انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣٠٧] ورد البيت في: ديوان عنترة: ٢١٠ تح: محمد سعيد مولوي برواية: كَمَّشت بالرمح الطويل ثيابه، وهو في شرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٢٤، و"أشعار الشعراء الستة الجاهليين" ٢/ ١٢٥، و"الكشف والبيان" ١٢: ٢٠٥/ ب، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٩/ ٦٢. برواية: الطويل ثيابه، بدلا من الأصم ثيابه، و"روح المعاني" ٢٩/ ١١٧، و"المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى" للسمرقندي: ٢٢٤ رقم ٢١٠. ومعنى البيت: الشك: الانتظام، الأصم: الصلب، يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها. ثم قال: ليس الكريم محرمًا على الرماح، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل: بل معناه أن كرهه لا يخلصه من القتل المقدر له. "شرح المعلقات السبع" ١٤٩.

[٥٣٠٨] انظر: غريب القرآن: ٤٩٥.

[٥٣٠٩] غريب القرآن: ٤٩٥.

[٥٣١٠] البيت للشماخ في تهذيب اللغة ١٥/ ١٥٤، وليس في ديوانه، ولليلى الأخيلية في ديوانها ص ٧٠، وأساس البلاغة (ثوب) ، والمعاني الكبير ص ٤٨٦، وكتاب الصناعتين ص ٣٥٣، والبيت بلا نسبة في مجمل اللغة ١/ ٣٧٢، وتاج العروس

رَمَوْها بأثواب خِفَافٍ فلا ترى ... لَهَا شَبَهَاً إلا النَّعَام المُنَفَّرا

أي: ركبوها، فَرَمَوْها بأنفسهم! والعرب تقول للعفاف: إزارٌ، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ.

قال قتادة:" يقول: طهرها من المعاصي، فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دَنِسَ الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا: مطهَّر الثياب"[٥٣١١].

قال قتادة:" هي كلمة من العربية كانت العرب تقولها: طهر ثيابك: أي من الذنوب"[٥٣١٢].

وقال عكرمة، والضحاك: "لا تلبس ثيابك على معصية"[٥٣١٣].

عن عامر وعطاء، قالا:" من الخطايا"[٥٣١٤].

الثالث: أن المراد بـ«الثياب»: العمل، والمعنى: وعملك فأصلح، قاله الضّحّاك[٥٣١٥]، ومجاهد-أيضا[٥٣١٦]، وأبو رزين[٥٣١٧].

قال أبو رَزين:" عملك فأصلحه، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل، قالوا: فلان خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل قالوا: فلان طاهر الثياب"[٥٣١٨].

ومنه ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيها»[٥٣١٩]، يعني: عمله الصالح. والطالح[٥٣٢٠].

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: ما يعجبني أن أقرأ القرآن إلا في الصلاة والمساجد، لا في الطريق قال الله تعالى: {وثيابك فطهر} [المدثر: ٤]. يريد مالك أنه كنى بالثياب عن الدين"[٥٣٢١].

الرابع: وخُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسن[٥٣٢٢]، والقرظي[٥٣٢٣].

الخامس: وَثِيَابَكَ فقصّر وشمّر، لأن تقصير الثياب طهرة لها. قاله طاوس[٥٣٢٤].

قال الزجاج:" وقيل {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أي: ثيابك فقصر، لأن تَقْصِيرَ الثَّوبِ أبعدُ مِنَ النجاسة وأنه إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يُصِيبَه ما ينجسه"[٥٣٢٥].

السادس: وقلبك ونيتك فطهر، قاله سعيد بن جبير[٥٣٢٦]، ويشهد له قول امرئ القيس[٥٣٢٧]:

(ثوب) ، ولسان العرب (ثوب).

[٥٣١١] أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٢] أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٣] أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٤] أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٥] انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤. رواه أبو زوق عن الضحاك.

[٥٣١٦] انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٧] انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

[٥٣١٨] أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.

[٥٣١٩] ذكره الماوردي في "النكت والعيون: ١٣٦/٦، والعز بن عبدالسلام في "التفسير": ٣٨٤/٣، والقرطبي في "التفسير": ٦٣/١٩، والسيوطي في "اللباب": ٤٩٤/١٩.

[٥٣٢٠] انظر: النكت والعيون: ١٣٦/٦.

[٥٣٢١] نقلا عن: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٠/٤.

[٥٣٢٢] انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.

[٥٣٢٣] انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.

[٥٣٢٤] انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤. رواه أبو زوق عن الضحاك.

[٥٣٢٥] معاني القرآن: ٢٤٥/٥.

[٥٣٢٦] انظر: زاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٣/٨.

[٥٣٢٧] ورد البيت في: ديوانه: ٣٧ ط دار صادر، شرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٩، وانظر مادة: (ثوب) في: "تهذيب اللغة" ١/ ١٥٤، و"لسان العرب" ١/ ٢٤٦، و"تاج العروس" ١/ ١٧٠، و"النكت والعيون" ٦/ ١٣٦، و"المدخل" ٢٢٥ رقم: ٢١٣، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٦٢.

ومعنى البيت: أراد الشاعر بالثياب: القلب، فالمعنى على هذا القول: إن ساءك خلق من أخلاقي، وكرهت خصلة من خصالي،

فإن تك قَدْ سَاءَتْكِ مِني خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ
أي: قلبي من قلبك.
السابع: معناه: ونفسك فطهر مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون. وهذا معنى قول مجاهد -في إحدى الروايات-[٥٣٢٨]
قال مجاهد:" لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالوا" [٥٣٢٩].
الثامن: اغسل ثيابك بالماء، ونقّها، قاله ابن سيرين[٥٣٣٠].
عن محمد بن سيرين: "{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال: اغسلها بالماء"[٥٣٣١].
وهذا القول الذي قاله ابن سيرين د في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله عكرمة قول عليه أكثر السلف من أنه عُنِيَ به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك[٥٣٣٢].
قوله تعالى:{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر : ٥]، أي:" ودُمْ على هَجْر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها"[٥٣٣٣].
وفي تفسير قوله تعالى:{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر : ٥]، وجوه:
أحدها : يعني: الآثام والأصنام ، قاله مجاهد[٥٣٣٤]، وقتادة[٥٣٣٥]، والزهري[٥٣٣٦].
عن قتادة: "{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}: إساف ونائلة، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما، فأمر الله نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما"[٥٣٣٧].
الثاني : والشرك فاهجر ، قاله سعيد بن جبير[٥٣٣٨].
الثالث : والذنب فاهجر ، قاله الحسن[٥٣٣٩].
الرابع : والمعصية والإثم فاهجر، قاله الضحاك[٥٣٤٠]، وإبراهيم[٥٣٤١]، والسدي[٥٣٤٢].
قال الضحاك:" يقول: اهجر المعصية"[٥٣٤٣].
الخامس : والعذاب فاهجر ، حكاه أسباط[٥٣٤٤].
قاله السدي : "«الرَّجز»، بنصب الراء : الوعيد"[٥٣٤٥].

فردي علي قلبي أفارقك، أي استخرجي قلبي من قلبك يفارقه. ديوانه: المرجع السابق.
[٥٣٢٨] انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤.
[٥٣٢٩] أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.
[٥٣٣٠] انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤.
[٥٣٣١] أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.
[٥٣٣٢] تفسير الطبري: ١٢/٢٤.
[٥٣٣٣] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٣٣٤] انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٣٥] انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٣٦] انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٣٧] أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٣٨] انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦، وزاد المسير: ٣٦٠/٤.
[٥٣٣٩] انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦، وزاد المسير: ٣٦٠/٤.
[٥٣٤٠] انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٤١] انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٤٢] انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
[٥٣٤٣] أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
[٥٣٤٤] انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
[٥٣٤٥] انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.

ويحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل. ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه[٥٣٤٦].

قرأ حفص والمفضل عن عاصم: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُر»، بضم الراء[٥٣٤٧].

قوله تعالى:{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر : ٦]، أي:" ولا تُعط العطيَّة؛ كي تلتمس أكثر منها"[٥٣٤٨].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر : ٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله عكرمة[٥٣٤٩]، والضحاك[٥٣٥٠]، ومجاهد[٥٣٥١]، وقتادة[٥٣٥٢]، وطاووس[٥٣٥٣]، وإبراهيم[٥٣٥٤]، وضمرة بن حبيب[٥٣٥٥]، وأبو الأحوص[٥٣٥٦].

قال قتادة:" يقول: لا تعطِ شيئا، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها"[٥٣٥٧].

قال الضحاك:" ي للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصّة، وللناس عامَّة مُوَسَّع عليهم"[٥٣٥٨].

قال الضحاك :" هو الربا الحلال، كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة"[٥٣٥٩].

قال مجاهد:" تعطي مالا مصانعة رجاء أفضل منه من الثواب في الدنيا"[٥٣٦٠].

قال الضحاك:" هما رِبَوان: حلال، وحرام؛ فأما الحلال: فالهدايا، والحرام: فالربا"[٥٣٦١].

الثاني : معناه لا تمنن بعملك تستكثر على ربك ، قاله الحسن[٥٣٦٢].

وقال الربيع بن أنس:" لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل"[٥٣٦٣].

الثالث : معناه: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه ، قاله مجاهد[٥٣٦٤].

قال مجاهد:" لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف"[٥٣٦٥].

والأظهر القول الأول-والله أعلم-[٥٣٦٦].

قوله تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر : ٧]، أي:" ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي"[٥٣٦٧].

[٥٣٤٦] تفسير السعدي: ٨٩٥.

[٥٣٤٧] انظر: السبعة في القراءات: ٦٥٩، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٠/٣. وهي قراءة السلمي ومجاهد وأهل المدينة.

[٥٣٤٨] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٣٤٩] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٠] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥١] انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤.

[٥٣٥٢] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٣] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤-١٥.

[٥٣٥٤] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٥] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٦] انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٧] أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٥٨] أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.

[٥٣٥٩] أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٦٠] أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.

[٥٣٦١] أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.

[٥٣٦٢] انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤.

[٥٣٦٣] أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.

[٥٣٦٤] انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤-١٦.

[٥٣٦٥] أخرجه الطبري: ١٥/٢٤-١٦.

[٥٣٦٦] تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.

[٥٣٦٧] التفسير الميسر: ٥٧٥.

وفي قوله تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر : ٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : فاصْبِرْ على ما لاقيت من الأذى والمكروه. قاله مجاهد[٥٣٦٨]:
عن مجاهد، قوله: "{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}، قال: على ما أوتيت"[٥٣٦٩].
الثاني : على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد ، قاله السدي[٥٣٧٠].
الثالث : اصبر على عطيتك لله، قاله إبراهيم[٥٣٧١].
عن إبراهيم: "{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}، قال: اصبر على عطيتك"[٥٣٧٢]. وفي رواية:" عطيتك اصبر عليها"[٥٣٧٣].
الرابع : فاصْبِرْ على الوعظ لوجه الله ، قاله عطاء[٥٣٧٤].

القرآن
{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)} [المدثر : ٨-١٠]
التفسير:
فإذا نُفخ في «القرن» نفخة البعث والنشور، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهل أن يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأهوال.
قوله تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} [المدثر : ٨]، أي:" فإذا نُفخ في «القرن» نفخة البعث والنشور"[٥٣٧٥].
قال الحسن:" ذا نُفخ في الصُّور"[٥٣٧٦].
قال الضحاك:" يعني: الصُّور"[٥٣٧٧].
قال الربيع:" الناقور: الصور"[٥٣٧٨].
قال قتادة:" الناقور: الصور، والصور: الخلق"[٥٣٧٩].
عن مجاهد، قوله: "{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}، قال: في الصور، قال: هو شيء كهيئة البوق"[٥٣٨٠].
روي عن أبي حباب القصاب، قال: "أمّنا زرارة بن أوفى فلما بلغ فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ الآية: خرّ ميتا"[٥٣٨١].
قوله تعالى:{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر : ٩]، أي:" فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهل أن يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأهوال"[٥٣٨٢].

[٥٣٦٨] انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
[٥٣٦٩] أخرجه الطبري: ١٦/٢٤.
[٥٣٧٠] انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
[٥٣٧١] انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٤.
[٥٣٧٢] أخرجه الطبري: ١٧/٢٤.
[٥٣٧٣] أخرجه الطبري: ١٧/٢٤.
[٥٣٧٤] انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
[٥٣٧٥] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٣٧٦] انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
[٥٣٧٧] انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
[٥٣٧٨] انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
[٥٣٧٩] أخرجه الطبري: ١٨/٢٤.
[٥٣٨٠] أخرجه الطبري: ١٨/٢٤.
[٥٣٨١] رواه الثعلبي في"الكشف والبيان": ٧١/١٠، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/٢، ٢٥٩)، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.
[٥٣٨٢] التفسير الميسر: ٥٧٥.

عن قتادة:" قال الله تعالى ذكره: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}، فبين الله على من يقع: {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}"[٥٣٨٣].

القرآن

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)} [المدثر : ١١-١٧]

التفسير:

دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد، وجعلت له مالا مبسوطًا واسعًا وأولادًا حضورًا معه في «مكة» لا يغيبون عنه، ويسَّرت له سبل العيش تيسيرًا، ثم يأمُل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي. ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيده على ذلك؛ إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معاندًا مكذبًا، سأكلفه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها.

سبب النزول:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: " هذا سحر يؤثر يأثره من غيره فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: ١١]"[٥٣٨٤].

قوله تعالى:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر : ١١]، أي:" دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد"[٥٣٨٥].

عن مجاهد: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، قال: خلقته وحده ليس معه مال ولا ولد"[٥٣٨٦].

قال مجاهد:" نزلت في الوليد بن المغيرة، وكذلك الخلق كلهم"[٥٣٨٧].

عن الضحاك: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، يعني: الوليد بن المغيرة"[٥٣٨٨].

قال سعيد بن جبير:" هو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومي"[٥٣٨٩].

قال قتادة:" وهو الوليد بن المغيرة، أخرجه الله من بطن أمه وحيدًا، لا مال له ولا ولد، فرزقه الله المال والولد، والثروة والنماء"[٥٣٩٠].

قوله تعالى:{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا} [المدثر : ١٢]، أي:" وجعلت له مالا مبسوطًا واسعًا"[٥٣٩١].

واختلف في مبلغ ماله على أقوال:

[٥٣٨٣] أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

[٥٣٨٤] أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٣٨٧٢):ص٥٥٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي على شرط البخاري وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٢٨٢) للبيهقي في الدلائل.

[٥٣٨٥] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٣٨٦] أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

[٥٣٨٧] أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

[٥٣٨٨] أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

[٥٣٨٩] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.

[٥٣٩٠] أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

[٥٣٩١] التفسير الميسر: ٥٧٥.

أحدها : كان ماله ألف دينار ، قاله سعيد بن جبير[٥٣٩٢]، ومجاهد[٥٣٩٣]، وإبراهيم بن المهاجر[٥٣٩٤].
الثاني : أربعة الآف دينار ، قاله قتادة[٥٣٩٥].
الثالث : ستة الآف دينار ، قاله قتادة-أيضا-[٥٣٩٦].
الرابع : مائة ألف دينار ، قاله مجاهد[٥٣٩٧].
الخامس : أنها أرض يقال لها: ميثاق، قاله النعمان بن سالم[٥٣٩٨]، وهو مروي عن مجاهد أيضاً[٥٣٩٩].
السادس: يعني: بستانه الذي له بالطائف، والممدود الذي لا يتقطع خيره شتاء ولا صيفا، كقوله: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة : ٣٠]، يعني: لا ينقطع. حكي الماوردي عن السدي نحوه[٥٤٠٠].
والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا} وهو الكثير الممدود، عدده أو مساحته[٥٤٠١].
قوله تعالى:{وَبَنِينَ شُهُودًا} [المدثر : ١٣]، أي:" وأولادًا حضورًا معه في «مكة» لا يغيبون عنه"[٥٤٠٢].
وفي عدد أبنائه، أقوال:
أحدها : أنهم كانوا عشرة ، قاله مجاهد[٥٤٠٣].
الثاني : قال الضحاك : "كان له سبعة ولدوا بمكة ، وخمسة ولدوا بالطائف"[٥٤٠٤].
الثالث : أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، قاله ابن جبير[٥٤٠٥].
قال سعيد بن جبير:" هو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومي، وكان له ثلاثة عشر ولدا، كلهم رب بيت"[٥٤٠٦].
وفي قوله تعالى:{وَبَنِينَ شُهُودًا} [المدثر : ١٣]، وجهان:
أحدهما : أنهم حضور معه لا يغيبون عنه، قاله السدي[٥٤٠٧].
الثاني : أنهم كلهم رب بيت، قاله ابن جبير[٥٤٠٨].
قوله تعالى:{وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا} [المدثر : ١٤]، أي:" ويسَّرت له سبل العيش تيسيرًا"[٥٤٠٩].
قال مجاهد:" من المال والولد"[٥٤١٠].

[٥٣٩٢] انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
[٥٣٩٣] انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
[٥٣٩٤] انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٥٧):ص١١٣/١.
[٥٣٩٥] انظر: الكشف والبيان: ٧١/١٠.
[٥٣٩٦] انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٣٩٧] انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٣٩٨] انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
[٥٣٩٩] انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٤٠٠] انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٤٠١] تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
[٥٤٠٢] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٤٠٣] انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
[٥٤٠٤] النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٤٠٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
[٥٤٠٦] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
[٥٤٠٧] انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
[٥٤٠٨] انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
[٥٤٠٩] التفسير الميسر: ٥٧٥.
[٥٤١٠] أخرجه الطبري: ٢١/٢٤.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ(١٥) كَلَّا} [المدثر : ١٥]، أي:" ثم يأمُل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي، ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيده على ذلك"[٥٤١١].

قال مجاهد:" فما زال يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك"[٥٤١٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر : ١٦]، أي:" إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معاندًا مكذبًا"[٥٤١٣].

قال قتادة:" كفورا بآيات الله جحودا بها"[٥٤١٤].

عن مجاهد، قوله: "{عَنِيدًا}، قال: معاندا للحقّ مجانبا"[٥٤١٥].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا}، قال محمد بن عمرو: معاندا لها. وقال الحارث: معاندا عنها، مجانبا لها"[٥٤١٦].

قال سعيد بن جبير:" فلما نزلت: {إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر : ١٦]، لم يزل في إدبار من الدنيا في نفسه وماله وولده حتى أخرجه من الدنيا"[٥٤١٧].

قوله تعالى:{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} [المدثر : ١٧]، أي:" سأكلفه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها"[٥٤١٨].

عن مجاهد، وقتادة: "{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}، قال: مشقة من العذاب"[٥٤١٩].

قال قتادة:" أي: عذابا لا راحة منه"[٥٤٢٠].

عن أبي سعيد، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم :"{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}، قال: «هو جبل في النار من نار، يكلَّفون أن يصعدوه، فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله كذلك»"[٥٤٢١].

عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذلكَ مِنْهُ أَبَدًا"[٥٤٢٢].

القرآن

{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)} [المدثر : ١٨]

التفسير:

إنه فكَّر في نفسه، وهيَّأ ما يقوله من الطعن في محمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن.

عن مجاهد، قوله: "{فَكَّرَ وَقَدَّرَ}، قال: الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة"[٥٤٢٣].

القرآن

[٥٤١١] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٤١٢] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣١):ص٣٣٨٢/١٠.

[٥٤١٣] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٤١٤] أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

[٥٤١٥] أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

[٥٤١٦] أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

[٥٤١٧] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.

[٥٤١٨] التفسير الميسر: ٥٧٥.

[٥٤١٩] أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.

[٥٤٢٠] أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.

[٥٤٢١] أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤-٢٣.

[٥٤٢٢] أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.

[٥٤٢٣] أخرجه الطبري: ٢٥/٢٤.

{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)} [المدثر : ١٩-٢٥]

التفسير:

فَلُعِن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن؟ ثم لُعِن كذلك، ثم تأمَّل فيما قدَّر وهيَّأ من الطعن في القرآن، ثم قطَّب وجهه، واشتدَّ في العبوس والكُلوح لمَّا ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعنًا يطعن به في القرآن، ثم رجع معرضًا عن الحق، وتعاظم أن يعترف به، فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنْقل عن الأولين، ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلَّمه محمد منهم، ثم ادَّعى أنه من عند الله.

قوله تعالى:{ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} [المدثر : ١٩-٢٠]، أي:" فَلُعِن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن؟ ثم لُعِن كذلك"(٥٤٢٤).

قال محمد بن شهاب الزُّهريّ: "{فَقُتِلَ} عُذّب"(٥٤٢٥).

قوله تعالى:{ ثُمَّ نَظَرَ (٢١)ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} [المدثر : ٢١-٢٢]، أي:" ثم تأمَّل فيما قدَّر وهيَّأ من الطعن في القرآن، ثم قطَّب وجهه، واشتدَّ في العبوس والكُلوح لمَّا ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعنًا يطعن به في القرآن"(٥٤٢٦).

قال قتادة:" زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فإذا هو ليس له بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وَما يعلى، وما أشكّ أنه سحر، فأنزل الله فيه: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ... } الآية {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}: قبض ما بين عينيه وكلح"(٥٤٢٧).

عن قتادة :"{وبَسَرَ}، قال: كَلَح"(٥٤٢٨).

عن عكرمة، أن الوليد بن المُغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنَّك مُنكر لما قال، وأنك كاره له؛ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكَّر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، قال قتادة: خرج من بطن أمه وحيدا، فنزلت هذه الآية حتى بلغ تسعة عشر"(٥٤٢٩).

عن الضحاك:" {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، يعني: الوليد بن المغيرة، دعاه نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقال: حتى أنظر، ففكر {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، فجعل الله له سقر"(٥٤٣٠).

قوله تعالى:{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [المدثر : ٢٤]، أي:" ثم رجع معرضًا عن الحق، وتعاظم أن يعترف به، فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنْقل عن الأولين"(٥٤٣١).

عن أبي رزين: "{إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، قال: يأخذه عن غيره"(٥٤٣٢).

(٥٤٢٤) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٥٤٢٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٣، وتفسير البغوي ٨/ ٢٦٩.

(٥٤٢٦) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٥٤٢٧) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥.

(٥٤٢٨)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.

(٥٤٢٩) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٤.

(٥٤٣٠) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٥.

(٥٤٣١) التفسير الميسر: ٥٧٦.

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر : ٢٥]، أي:" ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلَّمه محمد منهم، ثم ادَّعى أنه من عند الله"[٥٤٣٣].

قال الحسن ، في قوله: {إِنْ هَذَا إلا قَوْلُ البشر}، يَعنون: "عَدّاسًا غلام عُتْبَة. كقوله: {ولَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل: ١٠٣] هو عَدّاس"[٥٤٣٤].

القرآن

{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)} [المدثر : ٢٦-٣٠]

التفسير:

سأدخله جهنم؛ كي يصلى حرَّها ويحترق بنارها، وما أعلمك أيُّ شيء جهنم؟ لا تبقي لحمًا ولا تترك عظمًا إلا أحرقته، مغيِّرة للبشرة، مسوِّدة للجلود، محرقة لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء.

سبب نزول قوله تعالى: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر : ٣٠]:

عن البراء بن عازب -من طريق عامر-: "أنّ رهطًا مِن اليهود سألوا رجلًا مِن أصحاب النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - عن خَزنة جهنم. فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء، فأخبَر النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فنَزل عليه ساعتئذ: {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ}"[٥٤٣٥].

عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية- قال:" لمّا سمع أبو جهل: {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال لقريش: ثَكِلتْكم أُمّهاتكم، أسمعُ ابنَ أبي كَبْشَة يُخبركم أنّ خَزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهْم! أفيَعجز كلُّ عشرة منكم أن يَبطشوا برجلٍ من خَزنة جهنم؟! فأوحى الله إلى نبيّه أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة، فيقول له: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: ٣٤ - ٣٥]"[٥٤٣٦].

قال الضَّحّاك: "لما نزلت هذه الآية {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتْكم أُمّهاتكم، أسمع ابن أبي كَبْشَة يُخبر أنّ خَزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم! -أي: الشّجعان- أفيَعجز كلّ عشرة منكم أن يَبطشوا بواحد من خَزنة جهنم؟! قال أبو الأشَدِّ أُسَيْد بن كَلَدَة بن خَلَف الجُمحيّ: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر؛ عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين"[٥٤٣٧].

عن قتادة -من طريق سعيد- في قوله: "{عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ}، قال: ذُكر لنا: أنّ أبا جهل حين أُنزِلَتْ هذه الآية قال: يا معشر قريش، ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدًا مِن خَزنة النار وأنتم الدَّهْمُ؟!"[٥٤٣٨].

[٥٤٣٢] أخرجه الطبري: ٢٦/٢٤.

[٥٤٣٣] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٤٣٤]ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٥٧ -.

[٥٤٣٥]أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٩ (٤٦٢)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٦٨ - ، من طريق حُريث بن أبي مطر، عن عامر، عن البراء بن عازب به.

قال البيهقي: «حديث ابن أبي مطر ليس بالقوي». وقال ابن رجب في التخويف من النار ص ٢١٩: «حُريث هو ابن أبي مطر ضعيف». وقال ابن كثير: «هكذا وقع عند ابن أبي حاتم، عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله».

[٥٤٣٦] أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.

[٥٤٣٧]تفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.

[٥٤٣٨] أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤-٢٩، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣١ بنحوه من طريق معمر.

قوله تعالى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ(٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ} [المدثر : ٢٦-٢٨]، أي:" سأدخله جهنم؛ كي يصلى حرَّها ويحترق بنارها، وما أعلمك أيُّ شيء جهنم؟ لا تبقي لحمًا ولا تترك عظمًا إلا أحرقته"(٥٤٣٩).

عن مجاهد، قوله: "{لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ}، قال: لا تميت ولا تحيي"(٥٤٤٠).

قال الضحاك:" تأكله كلّه، فإذا تَبدّى خَلْقه لم تَذره حتى تقوم عليه"(٥٤٤١).

قال السدي:" لا تُبقي لهم لحمًا، ولا تَذر لهم عظمًا"(٥٤٤٢).

عن مَزيدة بن جابر الهجري، قوله: "{لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ}، قال: لا تُبقي منهم شيئًا أن تأكلهم، فإذا خُلِقوا لها لا تَذرهم حتى تأخذهم فتَأكلهم"(٥٤٤٣).

قوله تعالى:{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٢٩]، أي:" مغيِّرة للبشرة، مسوِّدة للجلود، محرقة لها"(٥٤٤٤).

عن مجاهد: "{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ}، قال: الجلد"(٥٤٤٥).

قال قتادة:" أي: حرّاقة للجلد"(٥٤٤٦).

قال الضحاك:" يعني: بشر الإنسان، يقول: تحرق بشره"(٥٤٤٧).

قال أبو رزين:" تلفح الجلد لفحة، فتدعه أشدّ سوادا من الليل"(٥٤٤٨).

قال أبو رزين:" غيرت جلودهم فاسودّت"(٥٤٤٩).

قال عطاء الخراساني:" بَشرة الإنسان تُلوَّح على النار"(٥٤٥٠).

قال زيد بن أسلم:" أي: تُلوِّح أجسادهم عليها"(٥٤٥١).

قال الحسن:" يعني: تَلوح لهم جهنم حتى يَروها عيانًا"(٥٤٥٢).

قوله تعالى:{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر : ٣٠]، أي:" يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء"(٥٤٥٣).

قال عمرو بن دينار: "{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} إنّ واحدًا منهم يَدفع بالدّفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومُضر"(٥٤٥٤).

قال قتادة:" قال أبو جهل: يخبركم محمد أن خزَنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهم ليجتمع كلّ عشرة على واحد"(٥٤٥٥).

(٥٤٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٥٤٤٠) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٤١)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٥٤٤٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(٥٤٤٣) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٤٤) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٥٤٤٥) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٤٦) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٤٧) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(٥٤٤٨) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٤٩) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(٥٤٥٠)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٥.
(٥٤٥١) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٥٤٥٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(٥٤٥٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٥٤٥٤)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(٥٤٥٥) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.

عن قتادة: "{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، ذُكر لنا أن أبا جهل حين أُنزلت هذه الآية قال: يا معشر قريش، ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدا من خزَنة النار وأنتم الدَّهم؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر"[٥٤٥٦].

القرآن

{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١)} [المدثر : ٣١]

التفسير:

وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختبارًا للذين كفروا بالله؛ وليحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأنَّ ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم، ويزداد المؤمنون تصديقًا بالله ورسوله وعملا بشرعه، ولا يشك في ذلك الذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله؛ وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب؟ بمثل ذلك الذي ذُكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي مَن أراد هدايته، وما يعلم عدد جنود ربك -ومنهم الملائكة- إلا الله وحده. وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس.

سبب النزول:

عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة:" لمّا نزلت هذه الآية: {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتْكم أُمّهاتكم، أسمع ابن أبي كَبْشَة يُخبركم أنّ خَزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهم! -أي: الشّجعان- أفَيعجز كلّ عشرة منكم أن يَبطشوا برجلٍ من خَزنة جهنم؟! فقال أبو الأشَدَّين كَلَدَة بن خَلَف بن أسد الجُمحيّ: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر؛ عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله: {وما جَعَلْنا أصْحابَ النّارِ إلّا مَلائِكَةً} "[٥٤٥٧].

قال السدي:" قال رجل من قريش -يُدعى: أبا الأشَدَّين-: يا معشر قريش، لا يَهولنَّكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمَنكِبي الأيمن عشرة، وبمَنكِبي الأيسر تسعة. فأنزل الله: {وما جَعَلْنا أصْحابَ النّارِ إلّا مَلائِكَةً}"[٥٤٥٨].

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة-:" قال أبو جهل يومًا وهو يهزأُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمدٌ أنّ جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا وكثرة، أفيعجزكم مائةُ رجل منكم عن رجل منهم؟! فأنزل الله - عز وجل - في ذلك من قوله: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا}"[٥٤٥٩].

قال مقاتل:" حين قال أبو الأشَدَّين وأبو جهل ما قالا؛ فأنزل الله تعالى في قول أبي جهل: ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: {وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُو}، يقول: ما يَعلم كثرتهم أحد إلا الله. وأنزل الله في قول أبي الأشَدَّين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: {عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ} [التحريم: ٦]"[٥٤٦٠].

[٥٤٥٦] أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨-٢٩.

[٥٤٥٧]أورده الثعلبي ١٠/ ٧٤.

[٥٤٥٨]عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

[٥٤٥٩]أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٨.

[٥٤٦٠]تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٤٩٧ - ٤٩٨.

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر : ٣١]، أي:" وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختبارًا للذين كفروا بالله"[٥٤٦١].

عن قتادة: "{وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}: إلا بلاء"[٥٤٦٢].

قال مجاهد:" جعلوا فتنة، قال أبو الأشدّ بن الجمحي: لا يبلغون رتوتي حتى أجهضهم عن جهنم"[٥٤٦٣].

عن الأزرق بن قيس، عن رجل، من بني تميم، قال: كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ٣٠]، فقال: " ما تقولون: أتسعة عشر ملكا أو تسعة عشر ألف ملك؟ " فقلت أنا: بل تسعة عشر ألفا، قال: «ومن أين علمت ذلك؟» فقلت: لأن الله عز وجل يقول: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر: ٣١] فقال أبو العوام: «صدقت وبيد كل ملك منهم مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفا بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا»[٥٤٦٤].

قوله تعالى:{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [المدثر : ٣١]، أي:" وليحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأنَّ ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم"[٥٤٦٥].

عن مجاهد، قوله: "{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، قال: يجدونه مكتوبا عندهم عدّة خزَنة أهل النار"[٥٤٦٦].

قال الضحاك:" عدّة خزَنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل"[٥٤٦٧].

قال قتادة:" يصدّق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر"[٥٤٦٨].

قال قتادة:" ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّة خزَنة النار ما في كتبهم"[٥٤٦٩].

قوله تعالى:{وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} [المدثر : ٣١]، أي:" وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب؟"[٥٤٧٠].

عن قتادة: "{وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}، أي: نفاق"[٥٤٧١].

قوله تعالى:{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر : ٣١]، أي:" وما يعلم عدد جنود ربك -ومنهم الملائكة- إلا الله وحده"[٥٤٧٢].

عن قتادة: "{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ}، أي: من كثرتهم"[٥٤٧٣].

قال عطاء:" يعني: من الملائكة الذين خَلَقهم لتعذيب أهل النار، لا يَعلم عِدّتهم إلا الله"[٥٤٧٤].

[٥٤٦١] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٦٢] أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.
[٥٤٦٣] أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤-٣٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
[٥٤٦٤] تفسير مجاهد: ٦٨٤.
[٥٤٦٥] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٦٦] أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
[٥٤٦٧] أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
[٥٤٦٨] أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
[٥٤٦٩] أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
[٥٤٧٠] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٧١] أخرجه الطبري: ٣١/٢٤.
[٥٤٧٢] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٧٣] أخرجه الطبري: ٣١/٢٤.
[٥٤٧٤]تفسير البغوي ٨/ ٢٧١.

عن الحسن: "أنّ سائلًا سأل رسول الله عن خَلْق الملائكة: مِن أي شيء خُلقتْ؟ فقال: «من نور الحُجُب السبعين التي تَلي الرّبّ؛ كلّ حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، فليس مَلَك إلا وهو يَدخل في نهر الحياة، فيَغتسل، فيكون مِن كلّ قطرة من ذلك الماء مَلَك، فلا يُحصي أحد ما يكون في يوم واحد». فهو قوله: {وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}"[٥٤٧٥].

عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُقَّ لها أن تَئط، ما فيها موضع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا، ولا تَلَذّذتم بالنساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل". فقال أبو ذر : والله لوددتُ أني شجرة تُعضد"[٥٤٧٦].

عن عباد بن منصور، قال : سمعت عدي بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال : سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن لله تعالى ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل، قالوا : سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك"[٥٤٧٧].

قوله تعالى:{وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٣١]، أي:" وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس"[٥٤٧٨].

عن مجاهد، وقتادة، قوله: "{وَمَا هِيَ إلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}، يعني: النار"[٥٤٧٩].

القرآن

{كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)} [المدثر : ٣٢-٣٧]

التفسير:

ليس الأمر كما ذكروا من التكذيب للرسول فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر، وبالليل إذ ولى وذهب، وبالصبح إذا أضاء وانكشف. إن النار لإحدى العظائم؛ إنذارًا وتخويفًا للناس، لمن أراد منكم أن يتقرَّب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي.

قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ} [المدثر : ٣٣]، أي:" وبالليل إذ ولى وذهب"[٥٤٨٠].

عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}: إذ ولَّى"[٥٤٨١].

عن الحسن أنه قرأها «إذا دَبَر»[٥٤٨٢].

قوله تعالى:{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ} [المدثر : ٣٤]، أي:" وبالصبح إذا أضاء وانكشف"[٥٤٨٣].

عن قتادة: "{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ}: إذا أضاء وأقبل"[٥٤٨٤].

[٥٤٧٥]أخرجه يحيى بن سلام ٢/ ٧٧٥ مرسلًا. وينظر: تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٥٩ - ٦٠.

[٥٤٧٦]المسند (١٧٣/٥)، وسنن الترمذي برقم (٢٣١٢)، وسنن ابن ماجة برقم (٤١٩٠).

[٥٤٧٧]تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٦٠). قال ابن كثير٢٧٢/٨:" هذا إسناد لا بأس به".

[٥٤٧٨] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٤٧٩] أخرجه الطبري: ٣١/٢٤، ٣٢.

[٥٤٨٠] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٤٨١] أخرجه الطبري: ٣٢/٢٤.

[٥٤٨٢]عزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر ، وانظر: تفسير الطبري ٣٢/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٤٨/٥، وقال:" وكلاهما جَيِّدٌ في العربية".

[٥٤٨٣] التفسير الميسر: ٥٧٦.

قوله تعالى:{إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ} [المدثر : ٣٥]، أي:" إن النار لإحدى العظائم"[٥٤٨٥].
عن مجاهد، والضحاك، وأبي رزين: "{إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ}، يعني: جهنم"[٥٤٨٦].
قال قتادة:" هي النار"[٥٤٨٧].
قوله تعالى:{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٣٦]، أي:" إنذارًا وتخويفًا للناس"[٥٤٨٨].
قال الحسن: "والله ما أنذر الناسُ بشيء أدهى منها، أو بداهية هي أدهى منها"[٥٤٨٩].
وروي عن أبي رزين، قوله:" {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}، يقول الله: أنا لكم منها نذير فاتقوها"[٥٤٩٠].
وروي عن ابن زيد، في قوله: "{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}، قال: الخلق. قال: بنو آدم، البشر. فقيل له: محمد النذير؟ قال: نعم ينذرهم"[٥٤٩١].
قوله تعالى:{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر : ٣٧]، أي:" لمن أراد منكم أن يتقرَّب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي"[٥٤٩٢].
قال قتادة:" يتقدّم في طاعة الله، أو يتأخر في معصيته"[٥٤٩٣].

القرآن

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)} [المدثر : ٣٨-٤٧]

التفسير:

كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفَكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُدْرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلِّين في الدنيا، ولم نكن نتصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغَواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

قوله تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر : ٣٨]، أي:" كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفَكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات"[٥٤٩٤].
قوله تعالى:{إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ} [المدثر : ٣٩]، أي:" إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة"[٥٤٩٥].
قال مجاهد:" لا يحاسبون"[٥٤٩٦].

[٥٤٨٤] أخرجه الطبري: ٣٢/٢٤.
[٥٤٨٥] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٨٦] أخرجه الطبري: ٣٣/٢٤.
[٥٤٨٧] أخرجه الطبري: ٣٣/٢٤.
[٥٤٨٨] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٨٩] اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.
[٥٤٩٠] اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.
[٥٤٩١] اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.
[٥٤٩٢] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٩٣] أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
[٥٤٩٤] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٩٥] التفسير الميسر: ٥٧٦.
[٥٤٩٦] أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.

قال قتادة:" علَّق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين"[٥٤٩٧].

قال الضحاك:" كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة، ألم تسمع أنه قال: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}- يقول: ليسوا رهينة {فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ}"[٥٤٩٨].

قال الحسن: "{إلَّا أَصْحابَ اليَمِينِ} هم المسلمون المُخلصون"[٥٤٩٩].

وقال الحسن:" هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم[٥٥٠٠].

قوله تعالى:{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)} [المدثر : ٤٠-٤٢]، أي:" هم في جنات لا يُدْرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟"[٥٥٠١].

عن معونة بن قُرّة -من طريق سلام- قال: "ما يَسُرّني بهذه الآية الدنيا وما فيها؛ قوله - عز وجل -: {ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، ألا ترى أنه ليس فيهم خير"[٥٥٠٢].

عن عمرو بن دينار قال: "سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ :«في جنات يتساءلون عن المجرمين يا فلان ما سلككم في سقر»، قال عمرو: وأخبرني لقيط قال: سمعت ابن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب يقرؤها كذلك"[٥٥٠٣].

قوله تعالى:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} [المدثر : ٤٥]، أي:" وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغَواية والضلالة"[٥٥٠٤].

عن قتادة: "{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}، قال: كلما غوى غاوٍ غوى معه"[٥٥٠٥].

قال قتادة:" يقولون: كلما غوى غاو غوينا معه"[٥٥٠٦].

قوله تعالى:{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر : ٤٦]، أي:" وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء"[٥٥٠٧].

عن قتادة:{ يَوْمِ الدِّينِ}، قال: " يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم"[٥٥٠٨].

وقال مجاهد: "يوم الحساب"[٥٥٠٩].

قوله تعالى:{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [المدثر : ٤٧]، أي:" حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات"[٥٥١٠].

عن سالم بن عبد الله بن عمر، في قوله تعالى: {حَتّى أتانا اليَقِينُ}، قال: اليقين: الموت"[٥٥١١].

القرآن

[٥٤٩٧] أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.

[٥٤٩٨] أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.

[٥٤٩٩]تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٣.

[٥٥٠٠]تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٣، وعزاه إلى مقاتل.

[٥٥٠١] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٥٠٢]أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ١/ ١٢٤ (١٤٩) -.

[٥٥٠٣] أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٤٦):ص٣٣٨٥/١٠.

[٥٥٠٤] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٥٠٥] أخرجه الطبري: ٣٧/٢٤.

[٥٥٠٦] أخرجه الطبري: ٣٧/٢٤.

[٥٥٠٧] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٥٠٨] علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

[٥٥٠٩] علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٥٠٨/٢.

[٥٥١٠] التفسير الميسر: ٥٧٦.

[٥٥١١]عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)} [المدثر : ٤٨]

التفسير:

فما تنفعهم شفاعة الشافعين جميعًا من الملائكة والنبيين وغيرهم; لأن الشفاعة إنما تكون لمن ارتضاه الله، وأذن لشفيعه أن يشفع له.

عن قتادة: "{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، قال: تعلمن أن الله يشفع بعضهم في بعض"[٥٥١٢].

عن قتادة: "{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " إنَّ مِنْ أُمَّتِي رَجُلا يُدْخِلُ اللهُ بِشَفَاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيم"[٥٥١٣].

قال الحسن: "أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدَّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"[٥٥١٤].

عن أبي قلابة، قال: "يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة مثل بني تميم، أو قال: أكثر من بني تميم، وقال الحسن: مثل ربيعة ومضر"[٥٥١٥].

عن عبد الله -في قصة ذكرها في الشفاعة-، قال: "ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار، ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، ثم قرأ عبد الله يأيها الكفار {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}، وعقد بيده أربعا، ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير، ألا ما يُترك فيها أحد فيه خير"[٥٥١٦].

قال عبد الله: "لا يبقى في النار إلا أربعة، أو ذو الأربعة - الشك من أبي جعفر الطبري - ثم يتلو: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}"[٥٥١٧].

القرآن

{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)} [المدثر : ٤٩-٥١]

التفسير:

فما لهؤلاء المشركين عن القرآن وما فيه من المواعظ منصرفين؟ كأنهم حمر وحشية شديدة النِّفار، فرَّت من أسد كاسر.

قوله تعالى:{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} [المدثر : ٤٩]، أي:" فما لهؤلاء المشركين عن القرآن وما فيه من المواعظ منصرفين؟"[٥٥١٨].

عن قتادة: "{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ}، أي: عن هذا القرآن"[٥٥١٩].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)} [المدثر : ٥٠-٥١]، أي:" كأنهم حمر وحشية شديدة النِّفار، فرَّت من أسد كاسر"[٥٥٢٠].

واختلف أهل التفسير في معنى «القسورة»، على أقوال:

[٥٥١٢] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٣] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٤] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٥] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٦] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٧] أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.

[٥٥١٨] التفسير الميسر: ٥٧٧.

[٥٥١٩] أخرجه الطبري: ٣٩/٢٤.

[٥٥٢٠] التفسير الميسر: ٥٧٧.

أحدها: يعني: الرماة. قاله مجاهد[٥٥٢١]، وعكرمة[٥٥٢٢]، وحكاه ابن كثير عن الجمهور[٥٥٢٣].

عن قتادة: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}، قال: قسورة النبل"[٥٥٢٤].

قال قتادة:" هم الرماة القناص"[٥٥٢٥].

وقال قتادة:" النبل"[٥٥٢٦].

قال مجاهد:" عصبَة قناص من الرماة"[٥٥٢٧].

قال عكرمة:" القسورة: الرماة، فقال رجل لعكرمة: هو الأسد بلسان الحبشة، فقال عكرمة: اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة"[٥٥٢٨].

الثاني: يعني: رجال القَنْص. قاله سعيد بن جبير[٥٥٢٩].

الثالث: من رجال أقوياء. قاله زيد بن أسلم[٥٥٣٠]. وكلّ ضخم شديد عند العرب فهو: قسور وقسورة. قال لبيد[٥٥٣١]:

إذا ما هتفنا هتفة في ندينا ... أتانا الرجال العائذون القساور[٥٥٣٢].

الرابع: ظلمة الليل. قاله عكرمة[٥٥٣٣].

الخامس : أنه الأسد. قاله زيد بن أسلم-أيضا-[٥٥٣٤].

فشبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها. وفي تشبيههم بالحمر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين، كما في قوله كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص[٥٥٣٥].

القرآن

{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)} [المدثر : ٥٢-٥٣]

التفسير:

[٥٥٢١] انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.

[٥٥٢٢] انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.

[٥٥٢٣] انظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.

[٥٥٢٤] أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤-٤١.

[٥٥٢٥] أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.

[٥٥٢٦] أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٠): ص/٣٦٦.

[٥٥٢٧] أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.

[٥٥٢٨] أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.

[٥٥٢٩] انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٤.

[٥٥٣٠] الكشف والبيان: ٧٩/١٠.

[٥٥٣١] وانظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٥، وتفسير القرطبي: ٨٩/١٩، والبحر المحيط: ٣٢٤/١٠واللباب: ٥٥٨/١٠. وفي تلك المصادر«العائِذون» بدلا من« العائذون».

[٥٥٣٢] الكشف والبيان: ٧٩/١٠.

[٥٥٣٣] نقلا عن "الكشف والبيان":٧٩/١٠، والكشاف: ٦٥٦/٤.

[٥٥٣٤] انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢٤.

[٥٥٣٥] الكشاف: ٦٥٦/٤.

بل يطمع كل واحد من هؤلاء المشركين أن يُنزل الله عليه كتابًا من السماء منشورًا، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ليس الأمر كما زعموا، بل الحقيقة أنهم لا يخافون الآخرة، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء.

قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً} [المدثر : ٥٢]، أي:" بل يطمع كل واحد من هؤلاء المشركين أن يُنزل الله عليه كتابًا من السماء منشورًا، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٥٣٦).

عن مجاهد، قوله: "{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً}، قال: إلى فلان من رب العالمين"(٥٥٣٧).

قال قتادة:" قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل"(٥٥٣٨).

قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ} [المدثر : ٥٣]، أي:" ليس الأمر كما زعموا، بل الحقيقة أنهم لا يخافون الآخرة، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء"(٥٥٣٩).

قال قتادة :" إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يصدّقون بالآخرة، ولا يخافونها، هو الذي أفسدهم"(٥٥٤٠).

القرآن

{كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)} [المدثر : ٥٤-٥٦]

التفسير:

حقًّا أنَّ القرآن موعظة بليغة كافية لاتِّعاظهم، فمن أراد الاتعاظ اتعظ بما فيه وانتفع بهداه، وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى. هو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى ويطاع، وأهلٌ لأن يغفر لمن آمن به وأطاعه.

قوله تعالى:{ {كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [المدثر : ٥٤-٥٥]، أي:" حقًّا أنَّ القرآن موعظة بليغة كافية لاتِّعاظهم، فمن أراد الاتعاظ اتعظ بما فيه وانتفع بهداه"(٥٥٤١).

عن قتادة، قوله: "{كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}، أي: القرآن"(٥٥٤٢).

قوله تعالى:{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر : ٥٦]، أي:" هو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى ويطاع، وأهلٌ لأن يغفر لمن آمن به وأطاعه"(٥٥٤٣).

عن قتادة، قوله: "{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}، قال: أهل أن تتقى محارمه، {وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}: أهل أن يغفر الذنوب"(٥٥٤٤).

قال قتادة:" ربنا محقوق أن تتقى محارمه، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب"(٥٥٤٥).

عن عبد القُدُّوس بن بكر، قال: سمعت ابن النضر الحارثي يذكر في قوله - عز وجل -: {هو أهل التقوى وأهل المغفرة}، قال: أنا أهْلٌ لأن يَتقيني عبدي، فإن لم يَفعل كنتُ أهلًا لأنْ أغفر له"(٥٥٤٦).

(٥٥٣٦) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥٥٣٧) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.
(٥٥٣٨) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.
(٥٥٣٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥٥٤٠) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.
(٥٥٤١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥٥٤٢) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٤.
(٥٥٤٣) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥٥٤٤) أخرجه الطبري:: ٤٤/٢٤.
(٥٥٤٥) أخرجه الطبري:: ٤٤/٢٤.

عن الحسن، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله: لأنا أكرم وأعظم عفوًا من أنْ أستر على عبد لي في الدنيا ثم أفضحه بعد أن ستَرتُه، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يقول الله تعالى: إني لأجدني أستحي مِن عبدي، يَرفع يديه إليَّ، ثم أردّهما. قالت الملائكة: إلهنا، ليس لذلك بأهل. قال الله: لكني أهْلُ التقوى وأهْلُ المغفرة، أشهدكم أني قد غفرتُ له». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ويقول الله: إني لأستحي مِن عبدي وأمَتي يَشيبان في الإسلام، ثم أُعذّبهما بعد ذلك في النار»"[٥٥٤٧].

عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} وقال : "قال ربكم : أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلها كان أهلا أن أغفر له"[٥٥٤٨].

«آخر تفسير سورة (المدثر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء العاشر من التفسير، ويليه الجزء الحادي عشر بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «القيامة».

[٥٥٤٦]أخرجه أحمد في الزهد ٤٤١.

[٥٥٤٧]أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢/ ٣٤ مرسلًا.

[٥٥٤٨]المسند (١٤٢/٣)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٢٨)، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٩٩)، وتفسير النسائي (٤٧٥/٢)، وانظر: مسند أبي يعلى (٦٦/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٧٦/٨، . قال الترمذي : "حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي".